الجواهر المنبرية

في خطب الجمع والمناسبات الدينية

اسم الكتاب : الجواهر المنبرية

اسم المؤلف : طه عبد الله عفيفي

مقاس الكتاب : ١٧ x ٢٤

عدد الصفحات : ١٣١٢

عدد الأجزاء : مجلدان

رقم الإيداع : ٢٢٠٨٣ / ٢٠٠٦



دار البيان العربي

الأزهر / درب الأتراك ت: ٥١١٨٠٩٧

الجواهر المنبرية

في خطب الجمع والمناسبات الدينية

طه عبد الله العفيفي

طبعة جديدة ومنقحة
وبها إضافات تنشر لأول مرة

المجلد الثاني

الناشر
دار البيان العربي



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]

* والقائل: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا﴾ [الإسراء: ٨٥].

* (وعن) أبى موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم[١] كمثل غَيثٍ أصاب أرضًا فكانت منها طائفة طيبة[٢] قبلت الماء، وأنبتت الكلأ والعُشب الكثير، فكان منها أجادب[٣] أمسكت الماء[٤] فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى منها إنما هى قيعان[٥] لا تمسك ماءً، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فُقِّه فى دين الله تعالى، ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعَلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أُرسِلتُ به))**. رواه البخارى ومسلم.

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من الطائفة الأولى..

اللهم آمين

(١) **الهدى** : مصدر بمعنى الدلالة والبيان، والعلم : هو اعتقاد الشىء اعتقادا جازما عن دليل.

(٢) أى خصبة صالحة للإنبات.

(٣) جمع أجدب وهو المكان الذى احتبس عنه المطر فيبست أرضه وأملحت.

(٤) يعنى حبسته من الشرب والضياع.

(٥) جمع قاع، وهى الأرض المستوية التى لا نبات فيها.

الإهـداء

إلى روح والدى السيد عبد الله العفيفى.

* الذى علمنى كيف أرتقى منبر رسول الله ﷺ وكيف أبلغ دعوة الله تعالى من فوقه والذى سجلت له فى هذا الجزء الثانى من الجواهر.. بعض خطبه ومواعظه... تخليدًا لذكراه..وأنا أسأل الله تعالى أن يجزيه عنى وعن المسلمين خير الجزاء... وأن يجعله فى أعلى عليين مع النبى الأمين، ومع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقا.

طه عبد الله العفيفى

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

مقدمة الجزء الثانى

** أخى الواعظ بصفة خاصة / وأخى المسلم بصفة عامة...

(بعد) أن صدر الجزء الأول، من: (الجواهر المنبرية: فى خطب الجمع والمناسبات الدينية)، وانتشر بتوفيق من الله تبارك وتعالى بين أغلب الأوساط الدينية... وبين الإخوة الوعاظ بصفة خاصة. (أرسل) إلىّ الكثيرون منهم يناشدنى بأن أسارع بإصدار الجزء الثانى من **(الجواهر المنبرية)** الذى كنت وعدت به...

(وذلك) لأنهم وجدوا فى الجزء الأول ضالتهم المنشودة.. ولا سيما بالنسبة للمقدمة الهامة التى كان لا بد وأن يقفوا عليها... حتى يرتقوا على المنبر على أساس جوهرى سليم... وأيضا بالإضافة _ بعد ذلك _ إلى الخطب التى جمعت أهم ما يتعلق بالمناسبات الدينية.. بأسلوب دراسى ينبغى أن يستوعبه الأخ الواعظ ويحفظ ما فيه من النصوص قبل أن يُلقِىَ المراد منه من فوق المنبر..

(ثم) كانت الخاتمة التى قدمتُ فيها للأخ الواعظ أهم النصائح التى لا بد وأن يكون منفذًا لها... حتى يكون أهلا لشرف ارتقاء منبر رسول الله ﷺ ... الذى لن ينجحوا فى حياتهم الوعظية إلا بالاقتداء به صلوات الله وسلامه عليه.. كما يأمرنا الله تعالى بهذا فى قوله:﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

** (هذا) وإذا كان لى _ بعد هذا التذكير السريع بالجزء الأول من الجواهر- أن أقدم الجزء الثانى الذى بين يدى الأخ الواعظ بصفة خاصة .. فإننى أقول له: ها هو الجزء الثانى من الجواهر بين يديك.. بعد أن بذلت فيه مجهودا كبيرا - بتوفيق من الله تبارك وتعالى - من أول شهر رمضان ١٤٢٠ هـ إلى غرة شهر ربيع الأول ١٤٢١هـ.

* (ولسوف) يجد فيه الأخ الواعظ كذلك الخير الكثير الذى سيجد فيه أيضا ضالته المنشودة.. التى تتلخص فى الآتى:

١ - أكثر من خمسين خطبة أو درس فى المواضيع العامة الهامة التى لا بد وأن يكون الأخ الواعظ مُلمًّا بها.

٢ - أكثر من ثلاثين فتوى لرسول الله ﷺ .. بعد أن علقت عليها.. ولخصت المراد منها.

٣- أكثر من خمس عشرة خطبة من خطب والدى السيد عبد الله العفيفى - عليه رحمة الله - بعد مقدمة هامة تتعلق به وبجهاده فى سبيل نشر السنة ومحاربة البدعة بالحكمة والموعظة الحسنة.

٤ - مختارات هامة من المواعظ النافعة التى لا بد وأن يكون الأخ الواعظ منتفعا بها.. بل وحافظا لها.

٥ - هذا بالإضافة إلى مختارات من مجموعة النظم والنثر... رأيت كذلك أن أزود الأخ الواعظ بها عسى أن يحفظها لكى يستشهد بها فى خطبه ودروسه.

** (وإذا) كان لى بعد أن أختم مقدمتى بأمر هام.. (فهو) أننى أذكِّره بضرورة أن يكون متبعا لرسول الله ﷺ فى أقواله وأفعاله، وتقريراته.. التى هى فى مجملها سنته التى هى الطريقة التى أوصانا بها صلوات الله وسلامه عليه فى حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه الذى يقول فيه:

* (صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذَرَفت منها العيون، ووَجِلت منها القلوب. فقال قائل: يا رسول الله: كأن هذه موعظة مودِّع فماذا تعْهدُ إلينا ؟ فقال: **((أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدًا حبشيًّا، فإنه مَنْ يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعَضوا عليها بالنواجذ[1]، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كلَّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة))**. أخرجه أحمد، وأبوداود، وابن ماجه، والحاكم وصححه البيهقى، والترمذى، وقال: حسن صحيح.

** (مع) ضرورة كذلك أن يكون من الرافضين للبدعة..

* (ففى) الحديث الشريف الذى أخرجه الشيخان وأبوداود وابن ماجه (عن) عائشة رضى الله عنها (عن) رسول الله ﷺ أنه قال: **((من أحدث فى**

(١) النواجذ: آخر الأضراس فى أقصى الأسنان.

أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ)).

** (وفى) الختام أوصِيه ونفسى بضرورة أن يستعين بالله تبارك وتعالى فى أداء رسالته الوعظية والإرشادية.. لأنه كما يقول الشاعر:

إذا لم يكن عَونٌ مِن الله للفَتَى ... فأولُ ما يجنى عليه اجتهادُه

** (ثم) أُذَكّرُه فى النهاية.. بأننى إن شاء الله تعالى وبعونه.. سأبدأ فى إعداد الجزء الثالث من الجواهر.. بنفس الأسلوب الذى عرضته.. ولكن بصورة أوضح وأشمل..

والله ولى التوفيق.

خادم القرآن والسنة
طه عبد الله العفيفى

** (ثم) إليك أيها الأخ الواعظ.. هذه:

المقدمة الهامة

الذى قدم بها إمام أهل السنة العارف بالله الشيخ: **محمود محمد خطاب السبكى** – المتوفى فى الرابع عشر من ربيع الأول سنة ١٣٥٢ هـ – ٧ يوليوسنة ١٩٣٣م – كتابَه: **(هداية الأمة المحمدية)**: حيث يقول عليه رحمة الله ورضوانه.. فى هذه المقدمة التى أردت أن أزوّد بها الأخ الواعظ.. حتى ينفّذ المراد منه فى جميع خطبه ومواعظه:

الحمدُ لله الذى خطب الأنام لموائد الكرام. فتجلَّى عليهم فى جوامع الكلِم ببدائع الحِكم. فشاهدوا ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وأشهد أن لا إله إلا الله خص مَنْ شاء مِنْ سر مكنون التُّحف، وجعله كَوْثَر الحياة لمن دنا مِنْ عَبقَرىّ رياضه واغترف. فنادى مناديه: نور البدور يا مبصرون ظهر.

وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا رسول الله خطيبُ الأمم. الذى أنزل عليه مولاه: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**﴾ [الحجر:٩٤] صلى الله عليه و على آله وسلم ومَنْ سُنتَه نصر.

(أما بعد) ،،

فيقول محمود بن محمد بن أحمد خطاب السُّبكى: إنه لما كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أكيد الواجبات. وكان السعى فى إحياء السنة وإماتة البدعة من أعظم القربات. ولا سيما فى هذا الزمان الذى شَرُّه عَمّ وأضَرّ. بذلتُ الجهد بإعانة الله تعالى فى ذلك. فألفت ما شاء إبرازَه، من خزائنه السيد المالك. من الكتب التىَ يَطلبُ أن يجعلها غِذاء أرواحهم ذووالنّظر.

وقد تمسك بالسنة وترك البدعة كل من اطلع على تلك الكتب ووفقه للعمل مولاه، وبقى على غيه مَن لم يطلع أواطلع ولم يفهم، أوفهم ولم يرد الله هدايته فاستحوذ عليه شيطانه وهواه، حتى يتوب الله عليه أويقذفه فى سقر.

والسبب فى ذلك عدم تمسك المتمشيخين بغير حق، وذلك أن النفس جُبِلت على حُبّ المخالفة، والشيطان يزينها لها. فإذا رأى الجهلة مَن يُنسَب إلى

العلم يترك السنن ويرتكب البدع ونحوها، يزداد ميلهم إلى ارتكاب ما تهواه نفوسهم، وإذا نهاهم أحد من أهل العلم العاملين عن ذلك، وذكر لهم آيات قرآنية وأحاديث قدسية ونبوية، وأن نصوص المجتهدين ناطقة بطلب التمسك بالسنن ومنع ما ارتكبوه من البِدع لم يقبلوا، ويقولون: وجدنا الشيخ فلان عملها أوقال بحسنها ويغريهم إبليس على عدم قبول النصيحة فيستمرُّون، وفى غيهم يعمهون.

ولكن كل ذلك لا يسقط وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. بل ذلك من دواعى تأكيد القيام بواجبهما على كل من يقدر. ولا سيما وُلاةُ الأمور فإن سكوتهم على إزالة المنكر أمر خطير.

(ثم) بعد ذلك يقول الإمام عليه رحمة الله: ولما كان الاطلاع على كتبنا المشار إليها مع فهم معانيها ليس متيسر للكثير. أردت أن أُنشئ ديوان خطبٍ سهلا موافقًا لأهل هذا الزمان، ليكون أسلوبا تنحو نحوه الخطباء ذوو العرفان. فيعم النفع غالب العباد. لا فرق بين أُمِّىّ وكاتب، ومتكاسلٍ عن الفلاح وراغِب. وسميته (**هدايا الأمة المحمدية، فى الحكم المحمودية السَّنية**)، ولم أكتف بالحاصل من الخطباء، لأنه ليس مناسبا لما عليه من عظيم البلاء. وذلك أن أغلبهم يخطُب مَنْ الدواوين المؤلفة، وغالبها غير موافق لما عليه العباد من المخالفة، ولم يشعر بأن الخطيب حكيم، يُطلب منه أن يمنح الدواء الملائم للسقيم، وإلا كان بالحكمة من الجاهلين، الذين يضرون مَنْ يعالجونه من مرضى المسلمين.

ألم تر أن الخليقة فى طوفان البِدَع سابحون، وعن العمل بسنة رسول الله ﷺ ناؤون. وما وجدنا خطيبا يُلْقِى فى ذلك بعض النصائح، بأن يقول: يا عباد الله قد ارتكبتم كذا من البدع، وتركتم العمل بسنة كذا التى كان عليها خير مَنْ شَفَع، وغير ذلك مما يقتضيه الحال. ويؤيد نصيحته بالآيات والأحاديث.

بل شاهدنا غالب الواعظين، يلازم الخطبة من بعض الدواوين، كأن الله تعالى أمره بالتعبد بقراءتها فى جميع الأوقات، ولم نجد مناسبة بين كلام الديوان الذى واظب على تلاوته وما ارتكبناه من المخالفات. وليس هذا

دَيْدَن الخطباء، الذين يعرفون الداء والدواء. إذ العاقل الخالى من الإفلاس، الذى عرَّض نفسه لوعظ الناس، عليه أن يُلقِى نصيحةً مناسبة لحال المخاطَبين، ولا سِيَّما زجرهم عن البدع وإلا كان من المُلومِين. قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **((إذا ظهرت البدع ولعن آخرُ هذه الأمة أولَها، فمن كان عنده عِلم فلينشُرْه، فإن كاتم العلم يومئذ كَكَاتم ما أُنزِل على محمد))**[1].

وقال ﷺ : **((إذا ظهرت البدع وشُتم أصحابى فليُظهِر العالم عِلْمَه فإن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله))**[2].

وغير ذلك من الأحاديث الواردة فى وعيد من تهاون فى زجر أهل البدع حيث ترك الواجب عليه، لأن كل من خالف ظاهر السنة يجب الرد عليه، لما روى أبورافع عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: **((ما من نبى بعثه الله فى أمّة قبلى إلا كان له مِنْ أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تَخلُف من بعدهم خُلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهومؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهومؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهومؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل))**[3].

وأن لا يقلد فى خطبته ديوانا من الدواوين التى ليس فيها التصريح بما ارتكبه حاضرو الخطبة فإن ذلك قصور. وأن لا يشتغل بتحسين الألفاظ ويغفل عن ملاحظة المعانى المناسبة لمن يخطب لهم اقتداءً بغالب المؤلفين فى ذلك الموضوع.

وإذا خطب أحد القاصرين بخطبة من تلك الدواوين وسها عن سجعة أوسبق لسانه إلى غيرها ارتعد ووقفت حاله وذلك لجهله واعتقاده أن من تلفظ بقول بغير ما فى الديوان أخطأ خطًا كبيرا كأنه غيَّر فى كلام رب العالمين،

---

(١) أخرجه ابن عساكر عن معاذ بن جبل (انظر: رقم ٧٥١ ص ٤٠١ ج ١ فيض القدير للمناوى).
(٢) أخرجه الديلمى عن معاذ (انظر: ص ٥٤ رموز الأحاديث).
(٣) أخرجه مسلم (انظر: ص ٢٧ ج ٢ نووى).

بل لو حرف كلام الله تعالى عن مواضعه لا يعتريه مثل ذلك، ويقلد بعضُهم بعضًا فيما ذُكِر. وكذا مؤلفوالدواوين يقلد بعضهم بعضًا فى الوضع، فترى موضع وأسلوب الديوان المؤلف فى هذا الزمان – أعنى القرن الرابع عشر [1] – مثل موضوع وأسلوب الديوان المؤلف فى القرن السابع مثلًا، مع أنه لا يخفى تباعد حال الزمانين، وما ضرَّ الناس إلا تقليد بعضهم بعضا من غير تدبر ونظر فى الأصول، وغفلتهم عما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه وصالح سلف المؤمنين.

(ثم) يقول رحمة الله عليه:

على أن التزام السجع ليس بلازم، بل التزامه ربما كان مُضِرًّا، وذلك أن غالب الناس يريد أحدهم أن يُرشد العباد إلى ما فيه فلاحهم وينهاهم عن ما فيه هلاكهم فيمنعه عن ذلك عدم معرفته بالسجع، ولاعتقاده أن النصيحة من شرطها أن تكون مسجعة فيفوته وإخوانه الخير، وبعضهم يعرف السجع ولكن تمنعه مراعاته من أداء المعنى المطلوب، فلولا التزامهم السجع لأدّى كل إنسان مراده بما يقدر عليه فينتشر النفع.. ا.هـ.

** إلى آخر هذه المقدمة الهامة – التى لا بد وأن يكون الأخ الواعظ بصفة خاصة قد فهم المراد منها.. حتى يؤدى رسالته الوعظية على أكمل وجه.. وبدون تعقيد فى اللفظ أوالمعنى...

** (ثم) إذا كان لى بعد ذلك أن أبدأ فى عرض جواهرى المنبرية.. التى أسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع بها.. وأن يجعلها حجة لنا لا علينا...

** (فإننى) أقدمها أولا بهذه الأبيات..كهدية منى إلى الأخ الواعظ الذى أقول مخاطبا إياه:

فإليك يا خلّى جواهرنا التى ... ما قد وعدت بها كجزءٍ ثانيِ
لتكون نافعةً كأول طبعةٍ ... من ذى (الجواهر) فى بنى الإنسانِ
وتكون زادًا للدعاة إلى الهُدَى ... فى كل أُسبوع وكلّ زمانِ
من فوق منبر سيدى علم الهُدَى ... من جاءنا بالنور والعرفانِ

---

(١) أى الذى كتب فيه الإمام محمود خطاب السبكى ديوانه ومقدمته هذه.. وهوكذلك قرنه الذى عاش فيه.. عليه رحمة الله.

ليكون نبراسا مضيئا للورى ... فى عالم التذكير والتبيانِ

من سنة المختار أعظم واعظٍ ... مَنْ كان هادينَا مَعَ القرآنِ

فأنار دُنيانا بنور كلامه ... وهدى القلوب لنعمة الإيمانِ

هذا الذى لولاه ما كان الهدى ... ولَكَانت الدنيا بلا عنوانِ

أعنى لكان الناس دون تَعَبُّدٍ ... لله.. بل كانوا إلى خسرانِ

ولكان أكثرهم بدون تَوَحُّدٍ ... ولكان جُلُّ[1] الناس فى كُفرانِ

ولكان أكثرهم بدون ترابُطٍ ... ولكان جُلُّ الخلق فى طغيانِ

مثل الذى قد كان فى الزمن الذى ... قبل الرسول..كفتنة الأوثانِ

وكذاك وأدُ البنت دون تعقل ... أوخوف مولانا العظيم الشَانِ

مَنْ أنقذ الإنسان بالخير الذى ... هوبعَثَةُ المختار بعد هَوَانِ

فأعاد للدنيا الهداية والتُّقَى ... وأعاد للإنسان خيَرَ كَيانِ

ولسوف نسعد كلُّنا نحن الأولى ... قد سارعوا فورا بدون ثوانِ

لشراء جوهرنا الجديد بلهفةٍ ... بعد الذى قرأوه فى الإعلانِ

بصدور جوهرنا الجديد كتحفةٍ ... حتى يكونوا منه فى إحسانِ

أعنى بهم أهلَ المنابر أخوتى ... من ناشدونى قبلُ فى إذْعَانِ

أن أُصدر الجزء الجديد بسرعةٍ ... ليكون زادَهموا إلى الإخوانِ

فسألت الله أن يحقق حُلمهم ... ليكون تحقيقا مع الإتقانِ

فإذا به وهوالكريم يُعينُنى ... فأحقَق المأمول بالبرهانِ

فإليك يا ربى نقدم شكرنا ... عن كلِّ مخطوب بكل لسَانِ

من ذى الجواهر يا إلهى دائما ... فى كل يوم بل وكل مكانِ

باسم الأئمة والدعاة وغيرهم ... مِن كل مَنْ نادى إلى الغفرانِ

وكذاك مَنْ نادى جميع بنى الهُدى ... ليكون قائدهم إلى الرحمنِ

وكذا نصلى بل نسلم دائما ... نحن الدعاة على الهُدى العدنانِ

من كان أصلًا للسعادة كلها ... فى هذه الدنيا وفى الرِّضوانِ

عند الإله هناك فى الدار التى ... هى جنة الفردوس خيرِ مكَانِ

---

(١) جل الناس: أى معظمهم.

** والآن إليك أيها الأخ الواعظ: (الجواهر المنبرية) فى الخطب أوالدروس العامة والهامة.. التى أرجوأن تجد فيها ضالتك المنشودة من الوعظ الصافى.. والعلم النافع الذى كان لا بد وأن تقف عليه حتى تنتفع به وتنفع الناس به.. وقبل ذلك إليك هذه الأبيات، التى أرجوأن تضعها دائما وأبدا نصب عينيك حتى يصل وعظك وإرشادك إلى قلوب سامعيك.. وحتى يكون وعظك مقبولا عند الله إن شاء الله:

مواعظ الواعظ لن تقبَلا — حتى يعيها قلبه أولا

يا قوم مَن أظلمُ مِن واعظٍ — خالف ما قَدْ قالَهُ فى المِلاَ

أظْهَرَ للخلق إحسانَهُ — وخالف الرحمن لمّا خلا

والله ولى التوفيق.



الجواهر المنبرية

في خطب الجمع والمناسبات الدينية

طه عبد الله العفيفي

طبعة جديدة ومنقحة

وبها إضافات تنشر لأول مرة

المجلد الثاني

الناشر

دار البيان العربي



(١) – خطبة أو درس

حول الاستبراء من البول

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل فى وصف أهل قباء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨]، وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية نزلت فيهم لأنهم كانوا يُتبعون الحجارة الماء أثناء الاستنجاء [١].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبدُ الله ورسوله؛ وصفيه من خلقه وخليله القائل: **((استنزهوا[٢] من البول فإن عامَّة عذاب القبر منه))** أخرجه الدارقطنى والحاكم وصححه، عن أبى هريرة رضي الله عنه.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين كانوا يحبون أن يتطهروا.. فكانوا لذلك من الطاهرين.. وكانوا رجالًا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ* لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧، ٣٨].

(أما بعد) ،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه.. (فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى وتوفيقه رأيت أن أذكركم وأذكر نفسى بموضوع هام (قد) يستهين به أكثرنا.. وقد لا يفكر فيه.. (مع) أنه يعتبر من الأساسيات التى يتوقف عليها صحة الوضوء.. وما بعده من صلاة.. (ألا) وهو الاستبراء من البول الذى يجهله أكثر المسلمين.. (وأعنى) به تصفية مجرى البول قبل الاستنجاء.. (وذلك) بنحونحنحة، أو بالقيام والقعود، أوبخطوة

(١) أخرجه البزار.

(٢) أى استبرئوا منه استبراءً كاملا.

إلى الأمام ثم إلى الخلف.. وبالعصر باليد اليسرى مع النتر إلى أسفل ثلاث مرات على الأقل.. حتى يتحقق له أن ما كان فى مجرى البول قد نزل.. ثم بعد ذلك يستنجى بالماء.. أوبالحجر ثم بالماء.. كما جاء فى الحديث الذى استمعنا إليه.. (مع) ملاحظة أن المرأة بطبيعتها لا استبراء لها...

وإنما عليها أن تنتظر قليلا حتى تصفى نفسها تماما ثم تستنجى بالماء.. ثم تتوضأ.

(إن) أكثر المسلمين للأسف الشديد لا يلاحظون هذا..(ولهذا) فإنهم قد يصلون بدون وضوء..لأن الذى يحدث منه بعد انتهاء التبول مباشرة.. هوأنه يستنجى ثم يقوم لكى يتوضأ.. فيحدث بعد ذلك أن ينزل الماء الذى كان متبقيا فى مجرى البول فى ثيابه الداخلية فتتنجس وهو لا يدرى.. (ثم) عندما يتوضأ بعد ذلك فإن الوضوء سيكون باطلا.. لأنه بنى على باطل.. وما بنى على باطل فهوباطل..وكذلك إذا صلى فإن الصلاة ستكون باطلة.. لأنها بنيت على باطل.

** (ولهذا)، فقد ورد فى الحديث الشريف* (عن) ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال: **((إنهما يعذبان، وما يُعذبان فى كبير! بلى إنه كبير: أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر[1] من بوله))** متفق عليه. وهذا لفظ إحدى روايات البخارى، قال العلماء: معنى **((وما يعذبان فى كبير))** أى: كبير فى زعمهما. وقيل: كبيرٌ تركُه عليهما.

** (هذا)، ولما كان الاستنزاه أوالاستبراء من البول من أهم **(آداب قضاء الحاجة)**

** فإننى أرى أن أذكر الأخوة المسلمين بأهم تلك الآداب.. حتى يلاحظوها وينفذوها.. كما جاء فى هدى الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى علم أصحابه كل شىء حتى الخراءة[2]..

(فإليكم) خلاصة تلك الآداب[3] المتعلقة بالبول والغائط، وهى:

---

(١) أى لا يطلب البراءة منه، أولا يتنزه، أولا يستتر عن أعين الناس.

(٢) كما جاء فى حديث سلمان الفارسى رضي الله عنه الذى رواه أحمد ومسلم وأبوداود والترمذى.

(٣) كما جاء فى الجزء الأول من الدين الخالص.. (ص:١٨٠ - ١٨٩).

* أن يقول الأخ المسلم – ذكرا كان أم أنثى – جهرًا عند دخوله محل قضائها – وذلك قبل أن يضع رجله اليسرى فى داخل هذا المحل : ((**بسم الله، اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث**))[1]. (ثم) يدخل برجله اليسرى،

* (ولا) يكشف عن عورته قبل أن يدنو إلى القعود .

* وأن يوسع بين رجليه ويميل إلى اليسار .

* (ولا) يرد سلاما، ولا يجيب مؤذنا، ولا يشمت عاطسا.. (وإن) عطس هو حمد الله بقلبه.

* (ولا) ينظر إلى عورته ، ولا إلى ما يخرج منه .

* (ولا) يبزق فى البول[2].

* (ولا) يطيل القعود، فإنه يُوَكّد الناسور – وهو علة تحدث حول المقعدة أو عرق فى باطنه فساد.

* (ولا) يكثر الالتفاف، ولا يعبث ببدنه، ولا يرفع بصره إلى السماء.

* (فإذا) فرغ من قضاء حاجته، عصر ذَكَره من أسفله إلى الحَشَفة –مع النتر إلى أسفل لا إلى أعلى حتى لا ينجس ثيابه[3]– (ثم) يغسل يده ثلاثا، (ثم) يفيض الماء بيده اليمنى على فرجه، ويغسله باليسرى بادئا بالقُبل[4]، ويرُخِى مقعدته – يفعل ذلك ثلاثا – ويدُلِّك كل مرة ويبالغ ما لم يكن صائما، (ثم) يقوم وينشف فرجه بخرقة نظيفة إن أمكنه، وإلا مسحه بيده مرارًا.

* (ويستر) عورته قبل أن يستوى قائما، (ثم) يخرج برجله اليمنى، ويقول: ((**غُفرانك، الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى، الحمد لله الذى أذاقنى لذَته، وأَبقَى فِىَّ قُوَّته، وأذهب عنى أذاه، اللهم حَصِّن فرْجِى، وطهر قلبى، ومَحِّصْ ذنوبى**))، فقد ورد كل هذا عن رسول الله ﷺ .

---

(١) الخبث: بضم الخاء والباء، أوبضم الخاء وتسكين الباء: أى ذكور الشياطين، والخبائث إناث الشياطين.

(٢) أى لا يبصق فيه.

(٣) وهذا هو الإستبراء الذى نبهت عليه.. قبل هذا.

(٤) وهو الفرج الأمامى بالنسبة للذكر والأنثى.. والدبر هو الفرج الخلفى.

* (أما) إذا كنت فى غير هذه الأمكنة [1].. فقل هذا عند تشمير الثياب.

* (ويطلب) ممن يريد قضاء الحاجة ترك استصحاب ما فيه ذكر الله – سواء كان مصحفا، أوكتابا، أوجريدة – (لقول) أنس: كان النبى ﷺ **إذا دخل الخلاء نزع خاتمه**. أخرجه الأربعة[2] وصححه الترمذى، وأخرجه الحاكم بلفظ: إن رسول الله ﷺ لبس خاتما نقشه محمد رسول الله. **فكان إذا دخل الخلاء وضعه** [3]. (وهو) دليل على أنه يندب لمن يريد التبرز أن ينحى عنه كل ما هو معظم من اسم الله تعالى أواسم نبى أوملك. (وبهذا) قالت الأئمة الأربعة.. (فإن) خالف كره له ذلك إلا لحاجة. (كأن) يخاف عليه الضياع، وهذا فى غير القرآن، أما القرآن فقالوا: يحرم استصحابه فى تلك الحالة كُلًا أوبعضا – أى وحتى لوكان بعض أجزاء القرآن – إلا إن خيف عليه الضياع، أوكان حرزًا، فله استصحابه. (ويجب) ستره حينئذ ما أمكن.

* (ويطلب) ممن يريد قضاء الحاجة، البعد والاستتار عن الناس (لقول) جابر: خرجنا مع النبى ﷺ فى سفر، **فكان لا يأتى البرَاز[4] حتى يغيب فلا يُرَى**. أخرجه ابن ماجه بسند رجاله رجال الصحيح، ولأبى داوود: كان إذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد. (وقال) المغيرة بن شعبة: كان النبى ﷺ **إذا ذهب المذهب أبعد**. أخرجه الأربعة والحاكم. وقال الترمذى حسن صحيح.

(وذلك) لإخفاء ما يستقبح سماعه أورائحته، (وأيضا) من أجل التسَتُّر (فعن) أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: **((من أتى الغائط فليستتر، فإن لم يجد إلا أن يجمع[5] كثيبا من رمل فليستدبره. فإن الشيطان يلعب بمقاعد بنى آدم. من فعل فقد أحسن، ومن لا فلا حرج))**. أخرجه أحمد وأبوداود وابن ماجه

---

(١) وهى المراحيض كما نسميها فى بلادنا.

(٢) وهم أبوداود والترمذى والنسائى وابن ماجه.

(٣) أى خلعه.

(٤) البراز: بفتح الباء الموحدة، اسم للفضاء الواسع من الأرض، كُنِىَ به عن حاجة الإنسان كما كنى عنها بالغائط والخلاء.

(٥) أى: فإن لم يجد سترة، فليجمع من التراب أوالرمل قدرا يكون ارتفاعه بحيث يستره.

والحاكم والبيهقى.

(ومعنى) أن الشيطان يلعب بمقاعد بنى آدم.. أى: أن الشيطان يحضر مكان قضاء الحاجة لخلوه عن الذِّكر الذى يطرد به..فإذا حضر أمر الإنسان بكشف العورة وحسَّن له البول فى المواضع الصلبة التى هى مظنة رشاش البول.

(ولهذا) أمر قاضى الحاجة بالتستر حال قضائها مخالفة للشيطان ودفعا لوسوسته.

* (ويطلب) من المتخلى أن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها – أى ولا يُعطِىَ القبلة ظهره – (فعن) أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **((إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم، فإذا أتى أحدكم الغائط، فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، ولا يستطب[1] بيمينه))**، وكان يأمر بثلاثة أحجار، وينهى عن الرَّوَثة والرِّمة[2] .. أخرجه مالك وأحمد والأربعة إلا الترمذى.

(وقال) مالك والشافعى وأحمد فى رواية: يحرم استقبال القبلة عند قضاء الحاجة فى الصحراء. ولا يحرم ذلك فى البنيان[3].. (وقال) الأوزاعى والثورى وأبو ثور وأحمد فى رواية: لا يجوز ذلك فى الصحراء ولا فى البنيان (أخذًا) بحديث أبى هريرة (وبحديث) أبى أيوب الأنصارى أن النبى ﷺ قال: **((إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها، ولكن شرِّقوا أوغرِّبوا))** أخرجه الجماعة والبيهقى (وقال) الترمذى: حديث أبى أيوب أحسن شىء فى هذا الباب وأصح.

(والاحتياط) فى الدين واجب.. عملا بالحديث الأخير... (وهذا) هو القول الفصل.

* (ويطلب) من المتخلِّى أن لا يستقبل الريح، فيكره استقبالها لئلا ترد عليه رشاش البول فَيُنَجِّسُه.

*(ويطلب) من قاضى الحاجة الكَفُّ عن الكلام (لحديث) ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجُلًا مَرَّ ورسول الله ﷺ يبول فسلم فلم يرد عليه. أخرجه أحمد ومسلم والأربعة.

---

(١) **لا يستطب**: من الاستطابة أى لا يستنجى.

(٢) **والرمة**: بكسر الراء وتشديد الميم: العظم البالى.

(٣) أى المراحيض المبنية.

* (وعن) المهاجر بن قنفذ أنه أتى النبى ﷺ وهو يبول فسلم فلم يرد حتى توضأ. أخرجه أبو داود.

(وهو) يدل على كراهة ذكر الله حال قضاء الحاجة ولوكان واجبا كَرَدِّ السلام. ولا يستحق المسلِّم فى تلك الحالة جوابا.

* (ويطلب) من المتخلِّى، أن يختار المكان اللين الذى لا صلابة فيه، أوالمنخفض ليأمن من رشاش البول ونحوه (لقول) أبى موسى: مال رسول الله ﷺ إلى دَمِثٍ[1] فى جنب حائط فبال وقال: **((إذا بال أحدكم فليرتد[2] لبوله))** أخرجه أحمد وكذا أبو داود عن أبي موسى قال: إني كنت مع رسول الله ﷺ ذات يوم، فأراد أن يبول فأتى دَمِثًا في أصل جدار فبال ثم قال: **((إذا أراد أحدكم أن يبول فليرتد لبوله))** موضعا.

(والحديث) وإن كان ضعيفا، لأن سندَه فيه مجهول، فإن أحاديث التنزه عن البول تفيده قوة.

** (ويطلب) من قاضى الحاجة أن يتقى الجحر لئلا يكون فيه شىء يؤذيه (لحديث) قتادة عن عبد الله بن سرجس قال: نهى رسول الله ﷺ أن يبال فى الجحر. قالوا لقتادة: ما يكره من البول فى الجحر؟ قال: يقال: إنها مساكن الجن. أخرجه أحمد والنسائى وأبوداود والحاكم والبيهقى.

(والحديث) يدل على كراهة البول فى الحفر التى تسكنها الهوام[3] والسباع؛إما لأنها مساكن الجن، أو لأنه يؤذى ما فيها من الحيوانات أوتؤذيه، ومثلُ البولِ الغائط.

* (ويطلب) ممن أراد قضاء الحاجة أن يتجنب طريق الناس وظلهم، لما فيه من أذيتهم بالتنجيس والرائحة الكريهة (لحديث) أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: **((اتقوا اللاعنين))**[4] قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال: **((الذى يتخلى فى طريق الناس أو ظلّهم))** أخرجه أحمد ومسلم وأبوداود.

---

(١) دَمِثٍ: بدال مهملة فميم مكسورة فثاء مثلثة، أى سهل.

(٢) أى فليختر مكانا سهلا لينا أومنخفضا.

(٣) كالثعابين والعقارب.

(٤) المراد باللاعنين الأمرين اللذين يحملان الناس على اللعن، وذلك أن من فعلهما لعن وشتم عادة.

* (ويطلب) من قاضى الحاجة أن لا يبول فى مستحمه، لأنه جالب للوسواس، (لحديث) عبد الله بن مغفل أن النبى ﷺ قال: **((لا يبولن أحدكم فى مستحمه، ثم يغتسل فيه. فإن عامَّة الوسواس[1] منه))** أخرجه أحمد والأربعة، وفى رواية: **((ثم يتوضأ فيه))**. (وعن) أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إنما يكره البول فى المغتسل مخافة اللمم[2]. أخرجه ابن أبى شيبة. (ولا منافاة) بينهما، فقد تؤد الوسوسة إلى الجنون.

* (ويطلب) من المتَخَلِّى البول قاعدا، ويكره قائما (لقول) جابر رضي الله عنه: نهى رسول الله ﷺ أن يبول الرجل قائما أخرجه ابن ماجه. (والنهى) فى هذا الحديث محمول على الكراهة (لقول) حذيفة: أتى رسول الله ﷺ سباطة قوم فبال قائما، ثم دعا بماء فمسح على خفيه. أخرجه السبعة والبيهقى. (قال) فى الدين الخالص: (فعل) ذلك لبيان الجواز، وأنه ليس بحرام، وكانت عادته المستمرة البول قاعدا. (وقول) عائشة رضى الله عنها: من حدثكم أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم بال قائما فلا تصدقوه، وما كان يبول إلا جالسا. أخرجه أحمد والأربعة إلا أبا داود، وقال الترمذى: هوأحسن شىء فى الباب وأصح. (ويحمل) على ما وقع منه ﷺ فى البيت. وقد بال قائما فى غيره فلم تطلع عليه عائشة وقد حفظه حذيفة والمثبت مقدم على النافى.

(ولا ريب) أن البول من قيام من الجفاء والغلظة والمخالفة للهيئة المستحسنة، مع كونه مظنَّة لانتضاح البول وترشرشه على البائل وثيابه.

فأقل أحوال النهى مع هذه الأمور أن يكون البول من قيام مكروهًا[3].

(فعلى) الأخوة المسلمين المستمعين أن يلاحظوا كل هذا وينفذوا المراد منه.. حتى يكونوا إن شاء الله تعالى من (المطَّهِّرين) الذين يحبهم الله تبارك وتعالى..

---

(١) **الوسواس**: بكسر الواو الأولى، حديث النفس والشيطان بما لا نفع فيه، أوبما فيه شر. (وأما) بفتح الواو: فاسم الشيطان.

(٢) **اللمم**: بفتحتين: نوع من الجنون.

(٣) انظر ص ١٩ الروضة الندية.



(٣) – خطبة أو درس

حول الماء الذى يجوز التطهير به

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨].

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله (الذى) ورد عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رجلًا سأله ﷺ فقال له: يا رسول الله، إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله ﷺ : **((هو الطهور ماؤه، الحل ميتته))** أخرجه مالك وأحمد والأربعة، وقال الترمذى: حسن صحيح وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والدارقطنى والبيهقى وصححوه.

والماء الطهور: هوالطاهر فى نفسه، المطهر لغيره، ولا يكون كذلك إلا إذا كان مطلقا غير مقيد بما يختلط به، فلا يقال له: ماء ورد ولا ماء زعفران...

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين كانوا من المتفقهين فى دينهم دون تعصب أوتعقيد.. فكانوا هُداة مهديين، وقادة منتصرين وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ*لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(وأما بعد)، فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه فى هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك تعالى وتوفيقه (رأيت) أن أذكِّركم ونفسى بموضوع هام.. يتوقف عليه المعنى المراد من كلمة طهارة، أوالطهور.. (وبالتالى) لن يتحقق هذا المعنى المراد بالنسبة للوضوء – مثلا –

أو الغسل.. أو بالنسبة للاستعمال فى العادات [1]..إلا إذا عرفنا حقيقة كل هذا.. أوالمراد منه على ضوء ما جاء فى كتب الفقه، وعلى ألسنة الفقهاء المعتمدين الذين استطاعوا بتوفيق من الله تبارك وتعالى وبجهد كبير منهم أن يُوَصِّلوا إلينا كل تلك الأساسيات فى أسلوب سهل وميسر.. ومن الكتب التى نقلت إلينا كل هذا.. كتاب (الفقه الواضح)[2] ج١، الذى يعتبر توضيحا وتلخيصا لما جاء فى كتاب (الدين الخالص)[3] ج ١، فلقد ذكر صاحب الكتاب الأول، تحت عنوان:

الماء الذى يجوز التطهير به

*أن كل ماء نزل من السماء، أونبع من الأرض وسواء كان عذبا، أوملحا، ما لم يتغير لونه أوطعمه، أوريحه: يجوز التطهير به.

*ثم ذكر أن الماء الطهور هوالطاهر فى نفسه، المطهِّر لغيره [4]...

*(ثم) قال: وقد اختلف الفقهاء فى الماء الذى يجوز منه الوضوء والغسل، أختلافا كثيرا، لوبسطناه لخرجنا عن حد الاختصار المفيد، ولكن نبسط هنا منه ما تدعوالضرورة إليه، فنقول:

*هناك ماء يجوز استعماله فى العادات والعبادات.

*وهناك ماء يجوز استعماله فى العبادات دون العادات.

*وهناك ماء يجوز استعماله فى العادات دون العبادات.

*وهناك ماء لا يجوز استعماله فى العادات ولا فى العبادات.

**ثم يقول بعد ذلك موضحا تلك الأقسام الأربعة:

أما الماء الذى يجوز استعماله في العادات والعبادات فهو ثلاثة :

***النوع الأول** : وهو الماء المطلق الذى لم يخالطه شىء يغير لونه أو طعمه ، أو ريحه .

---

(١) من طبخ، وعجن، وشرب.. وما إلى ذلك.

(٢) لفضيلة الدكتور محمد بكر إسماعيل – أكرمه الله –.

(٣) للإمام الشيخ محمود خطاب السبكى عليه رحمة الله.

(٤) كما سيشرح بعد ذلك.

**النوع الثانى: هو ما خالطه شىء طاهر، ولكن لم يغير لونه، ولا طعمه، ولا ريحه.

* **النوع الثالث**: ماء تغير لونه أوطعمه، أوريحه، بأشياء غالبا ما تلازمه ولا تنفصل عنه ويصعب الاحتراز منها، كأن يخالطه تراب، أورمل، أوملح، يغير من لونه، أوطعمه، أوريحه.

* (كذلك) إذا كان قد تغير بمَمَرِّه الذى يجرى فيه، أوبمقره الذى يمكث فيه أوبشىء جاوره، ولم يختلط به فإن هذه الأشياء معفوعنها. فلا يضرك أن تتوضأ أوتغتسل بماء مالح أومُرٍّ، أوماء قد اسود لونه بسبب التراب أواصفر لونه، أواحمر بسبب الرمال التى يجرى عليها أوتغيرت رائحته بشىء جاوره ولم يختلط به. (وذلك) مثل الماء الذى يجاور بعض المصانع فيتغير بدخانها، أويجاور حيوانا ميتا فيتغير بنتنه، فإن التغير المانع من استعمال الماء هوما كان بشىء اختلط به فعلا.

**وأما الماء الذى يجوز استعماله فى العبادات، دون العادات: فهوالماء الذى أصابته نجاسة لم تغير لونه، ولا طعمه، ولا ريحه، (فهذا) الماء قد أجاز الشارع الحكيم استعماله فى التطهير لأنه لم يتغير وصف من أوصافه الثلاثة لا اللون، ولا الطعم، ولا الرائحة (ولكن) حرم استعماله فى العادات من طبخ وعجن، وشرب، وما إلى ذلك.

فالقليل من النجاسة إذا وقع فى الماء، أوفى الطعام، حرم تناوله.

(فلو) سقطت قطرة منها فى برميل من زيت – مثلا – حرم استعماله، فى الطعام، ولكن يجوز الانتفاع به، فيما سوى ذلك.

(والدليل) على جواز استعمال هذا الماء فى العبادات من وضوء وغسل، هو: إجماع المسلمين على ذلك، وعدم وجود معارض وحديث أبى أمامه أن النبى ﷺ قال: **((إن الماء طهور إلا أن تغير ريحه، أو لونه، أو طعمه، بنجاسة تحدث فيه))**.

(وقد) اتفق المحدثون على الفقرة الأولى من هذا الحديث، وهى قوله: **((إن الماء طهور))**، وضعّفوا ما زاد عليها من حيث السَّنَد، مع اتفاقهم على مضمونها، فالجميع يحكمون بطهارة هذا الماء الذى لم يتغير أحد أوصافه الثلاثة، بما وقع فيه

من نجاسة. (وإن) كان بعض الفقهاء قد كره استعمال هذا الماء فى الوضوء، والغُسل، مع وجود غيره، فإن لم يوجد غيره فلا كراهة فى استعماله.

** **وأما النوع الثالث**: الذى يجوز استعماله فى العادات دون العبادات، فهوالماء الذى خالطه طاهر فغير لونه، أوطعمه، أوريحه. كأن يكون دخله ماء ورد، أوزعفران، أوعجين، أونحوذلك. (فإننا) قد قلنا: إن الماء الذى يجوز منه التطهير، لا بد وأن يكون ماءً مطلقا لم يتغير وصف عن أوصافه الثلاثة. إلا إذا تغير بالأشياء التى تلازمه، مثل التراب، والرمل.. إلخ.

(وجَوَّزَ) الحنفية استعمال هذا الماء المتغير بالطاهر، إذا لم يكن التغير كثيرا يخرجه عن إطلاقه، ويسلبه اسم الماء المطلق.

مستدلين بقوله ﷺ فيمن سقط عن راحلته فمات – **((اغسلوه بماء وسِدْر))** الحديث أخرجه البخارى ومسلم.

* (ووجه) الدلالة: أن الميت لا يغسل إلا بما يصح التطهير به للحَىّ.

* (ومثل) ما رواه الجماعة عن أم عطية قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ حين توفيت ابنته زينب فقال: **((اغسلنها ثلاثا، أو خمسا، –أو أكثر من ذلك إن رأيتن – بماء وسدر، وأجعلن فى الأخيرة كافورا أو شيئا من كافور فإذا فرغتن فآذننى))** . فلما فرغنا آذناه، فأعطانا حقوة فقال أشعِرنها إياه تعنى إزاره.

فقد أمرهن ﷺ بأن يغسلنها بماء مخلوط بسدر، وكافور، وهما نبات طيب الرائحة، وهذا يدل على جواز استعمال الماء المتغير بطاهر لم يخرجه عن طهوريته وإطلاق اسم الماء عليه.

(وعن) أحمد والنسائى وابن خزيمة من حديث أم هانئ: أن النبى ﷺ اغتسل هووميمونة من إناء واحد من قصعة فيها أثر العجين.

** **وأما النوع الرابع**: وهوالماء الذى يحرم استعماله فى العادات والعبادات، فهوالذى أصابته نجاسة غيرت لونه، أوطعمه، أوريحه، قل الماء أوكثر. قلّت النجاسة أوكثرت.

(فالمدار) فى حرمة استعماله فى العبادات هو التغير.

والمدار فى حرمة استعماله فى العادات من طبخ، وشرب ونحوذلك، هووقوع النجاسة فيه.

إذ القليل من النجاسة يحرم الكثير من المطعومات أوالمشروبات على ما قرره جمهور العلماء.. ا.هـ. بتصرف يسير.

* (وقد) أشار فى (الدين الخالص) ج ١ ص ١٤٠ إلى ملاحظة هامة تتعلق بالتطهير بالماء المستعمل فقال: (ويصح) التطهير بالماء المستعمل فى طهارة بلا كراهة عند الظاهرية لأنه يصدق عليه اسم الماء المطلق.

(وقالت) المالكية: يكره التطهير به عند وجود غيره ولم يُضف إليه ماء مطلق لضعفه باستعماله فى الطهارة الأولى. (ولا) يجوز التيمم مع وجوده، أما إذا لم يوجد غيره أو أضيف إليه ماء مطلق فلا يكره التطهر به.

(وقال) أبوحنيفة والشافعى: لا تجوز الطهارة به على كل حال لأنه لا يتناوله اسم الماء المطلق.

(وشذَّ) أبو يوسف فقال: إنه نجس.

(والحق) أن الماء المستعمل طاهر عملا بالأصل وبالأدلة الدالة على أن الماء طهور. وهومذهب جماعة من السلف والخلف. ا. هـ.

(فعلى) الأخوة المسلمين المستمعين أن يذكروا كل هذا ويدرسوه، وينفذوا المراد منه على تلك الدراسة الفقهية الموفقة.. التى لا غنى عنها.

والله ولى التوفيق



(٣) خطبة أو درس

حول سؤال القبر ونعيمه وعذابه

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: «**لولا أن لا تدافنوا** (١) **لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر**» أخرجه أحمد ومسلم والنسائى.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغُرِّ الميامين الذين كانوا يتدافنون ثم يسألون الله تعالى لإخوانهم التثبيت عند سؤال القبر كما علمهم رسول الله ﷺ.. فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين، وكانوا يؤمنون بنعيم القبر وعذابه... فكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه.. فى هذا اللقاء المبارك رأيت بمشيئة الله تعالى وتوفيقه أن أدور معكم حول موضوع هام.. يسأل عنه كثير من الناس لأنه يتعلق بالقبر الذى هو أول منزل من منازل الآخرة.. ألا وهو: سؤال القبر ونعيمه وعذابه..

(وأول) ما أريد الاستماع معكم إليه هو قول هانئ مولى عثمان بن عفان رضي الله عنهما .. (فلقد) قال: كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يُبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكى، وتذكر القبر فتبكى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**القبر أول منزل من منازل الآخرة. فإن نجا منه فما**

---

(١) تدافنوا: بفتح التاء على حذف إحدى التائين.. أى: لولا خوف ترك دفن موتاكم.

بعده أيسر. وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه».

وقال ﷺ : «**ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه** [1]». أخرجه الترمذى، وقال: حسن غريب، ورزين وزاد: قال هانئ: سمعت عثمان يُنشد:

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة ... وإلا فإنى لا أخالك ناجيًا

(ثم) إليكم بعد هذه المقدمة الهامة هذا الحديث الشريف الذى يقول فيه البراء بن عازب رضي الله عنه: خرجنا مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد. فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجلسنا حوله وكأن على رءوسنا الطير، وفى يده عود ينكت به فى الأرض فرفع رأسه فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**» مرتين أوثلاثًا، ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة، وحنُوط من حنوط [2] الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان**». قال: «**فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء** [3]**، فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض**». قال: «**فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له** [4]**، فيفتح لهم. فيشيعه من كل سماء مُقربوها إلى السماء التى**

---

(١) أفظع؛ أى: أشد وأشنع.

(٢) الحنوط : كرسول طيب يخلط للميت خاصة وكل ما طيب. به الميت من مسك وغيره.

(٣) أى: من فم قربة الماء.

(٤) أى يطرقون له باب السماء الأولى...إلخ.

تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة. فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه إلى الأرض، فإنى (منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تاره أخرى[1]) قال: ((فتعاد روحه فى جسده، فيأتيه ملكان[2] فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربى الله، فيقولان له: وما دينك فيقول: دينى الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادى مناد من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة. قال: فيأتيه من روحها[3] وطيبها، ويفسح له فى قبره مد بصره. ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذى يسرك، هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالي)).

قال: ((وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا، وإقبال على الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح[4] فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب، فتفرق فى جسده، فينزعها كما ينتزع السفود[5] من الصوف المبلول، فيأخذها. فإذا أخذها لم يدعوها فى تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة وإلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح

---

(١) كما جاء فى الآية ٥٥ من سورة طه.. وهي: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ... ﴾ الآية..

(٢) وهما منكر ونكير.

(٣) الروح: بفتح الراء وسكون الواو؛ أى: الرحمة.

(٤) المسوح: جمع مسح كحمل وحمول: الثوب الخشن.

(٥) السفود: بوزن التنور: الحديدة التى يشوى بها اللحم.

له فلا يفتح له)).

ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ[1] ﴾[الأعراف:٤٠] فيقول الله: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحًا، ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾[الحج: ٣١]. فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادى مناد من السماء: أن كذب فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًا من النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذى يسوءك هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول: فمن أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة)). أخرجه أحمد وأبوداود وابن خز يمة.

(وورد) كذلك عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه حتى أنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم. فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا، ويفسح له فى قبره سبعون ذراعًا، ويملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون. وأما الكافر أوالمنافق فيقال له: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فيقول: لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس. فيقال له: لا دريت ولا تليت[2]، ويضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين[3]، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه)) أخرجه أحمد والشيخان وأبوداود

---

(١) سم الخياط أى ثقب الإبرة.

(٢) أى لا عرفت الحق بنفسك ولا اتبعت من يعرف.

(٣) أى غير الجن والإنس.

والنسائى واللفظ للبخاري.

(وعن) عائشة رضي الله عنها قالت: سألت النبى ﷺ عن عذاب القبر، فقال: «**عذاب القبر حق**» الحديث أخرجه الشيخان.

(وعن) ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إن الموتى ليعذبون فى قبورهم حتى أن البهائم لتسمع أصواتهم**» أخرجه الطبرانى فى الكبير بسند حسن.

** قال فى (الدين الخالص) (ج١ ص٦٣ وما بعدها): هذا، والمنعم والمعذب عند أهل السنَّة الجسد والروح جميعا.. (ثم) يقول:

* (واعلم) أنه وردت أحاديث دالة على اختصاص هذه الأمة بالسؤال فى القبر دون الأمم السابقة، قال العلماء: السر فيه أن الأمم كانت تأتيهم الرسل، فإن أطاعوهم فالمراد. وإن عصوهم اعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب. فلما أرسل الله النبى محمدًا ﷺ رحمةً للعالمين، أمسك عنهم العذاب، وقبل الإسلام ممن أظهره سواء أخلص أم لا، وقيَّض لهم من يسألهم فى القبور ليخرج سرَّهم بالسؤال، وليميز الله الخبيث من الطيب. وذهب ابن القيم إلى عموم المسألة[1].

(ومما) تقدم يستفاد أن لأهل القبور حياة يدرك بها أثر النعيم والعذاب، ولوتتفتت أجسادهم. وهو أمر غيبيٌّ لا نبحث عن كيفيته. وحال صاحبه كحال النائم يرى الملاذ والمؤلمات، ولا يرى من بجواره شيئا. وإنما ستر عنا رحمة بنا لقوله فى الحديث: «**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر**».

* (ثم) يقول: هذا، ولا يسأل الأنبياء والصالحون والصبيان والشهداء.. لحديث راشد بن سعد عن صحابى أن رجلًا قال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم إلا الشهيد؟ فقال: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**[2]» أخرجه النسائى.

---

(١) انظر ص ١٦٠ ج ٢ سبل السلام طبعة صبيح .

(٢) والمعنى أن ثباتهم فى الصف وبذلهم أرواحهم لله تعالى دليل إيمانهم.. فلا حاجة إلى سؤالهم.

** والخلاصة التى نريد أن ننتهى إليها، أونتفق عليها.. (وهى) أنه يجب الإيمان بأن أول ما ينزل بالميت بعد موته سؤال منكر ونكير، بأن يُرُدَّ الله عليه روحه وسمعه وبصره، ثم يسألانه عن دينه وربه ونبيه، فإما أن ينعم أويعذب.. لما ورد فى ذلك من الأحاديث الصحيحة التى بلغت حدَّ الشهرة كما سمعنا..

** (وهناك) آية فى القرآن[1] يقول الله تعالى فيها عن آل فرعون: ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾ [غافر: ٤٦] أى النار يعرض عليها فرعون وشيعته فى أول النهار وفى آخره وهم فى قبورهم[2]. (وقال) فى حاشية الصاوى (ج ٤ ص ٨) (والمعنى تعرض أرواحهم من حين موتهم إلى قيام الساعة على النار ﴿**غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾ أى صباحًا ومساء ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر:٤٦] أى: عذاب جهنم. (وقد) روى فى تفسير هذا أن أرواح الكفار فى جوف طير سود تغدوعلى جهنم وتروح كل يوم مرتين، فذلك عرضها[3]. والله أعلم.

(فنحن) إن شاء الله نؤمن بهذا.. دون أن نسأل عن كيفيته ونحن نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المنعمين فى قبورنا إلى أن ندخل الجنة إن شاء الله تعالى مع الأبرار.

اللهم آمين

(١) فى سورة غافر رقم ٤٦.

(٢) التفسير الميسر بهامش مصحف الأزهر. لفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى..شيخ الأزهر.. ص ٣٩٧.

(٣) ارجع إلى (حاشية الصاوى على الجلالين) ج ٤ ص ٨.

(٤) خطبة أو درس

حول النفخة الأولى والنفخة الثانية

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له القائل ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨] وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: ((**يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنف مشاة، وصنف ركبان، وصنف على وجوههم**)) قيل: يا رسول كيف يمشون على وجوههم؟ قال: ((**إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب**(١) **وشوك**)) أخرجه أحمد وأبوداود والترمذى. اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين كانوا يعملون ليوم الحساب ألف حساب، فكانوا بسبب هذا من أولى الألباب..وكانوا هُداة مهديين وقادة منتصرين وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه.. (فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تعالى وتوفيقه: رأيت أن أذكركم ونفسى بأهم ما يتعلق بالنفخة الأولى والنفخة الثانية فى الصور حتى نتعظ بهذا الموضوع الذى أنا شخصيّا أعتبره من المواضيع الهامة التى ينبغى علينا - نحن المؤمنين إن شاء الله - أن نذكرها ونذَكِّر بها على الدوام.. (وذلك) حتى لا ننسى نهايتنا أو ما بعد نهايتنا المحتومة فى هذه الحياة الأولى.. التى لا دوام لها.. والتى هى متاع الغرور. (وحتى) لا أطيل عليكم إليكم تلك الآيات التى تحدث الله تعالى فيها عن النفختين فى سورة الزمر.. مع الشرح الموجز والمفيد إن شاء

---

(١) (الحدب) بفتحتين: ما ارتفع من الأرض.

الله.. فقد قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [الزمر: ٦٨]، وهذه هى النفخة الأولى التى عبر الله تعالى عنها وما بعدها بالماضى لتحقق وقوعه.. أى لكونه واقعًا فى علم الله تعالى أزلًا.. لأن كل ما ظهر فهوجار فى سابق علمه تعالى.. والنافخ فى الصور هوإسرافيل، وجبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره.. عليهم السلام.. (والصور) بسكون الواو فى قراءة العامة وهوالقرن فيه ثقب بعدد جميع الأرواح، وله ثلاث شعب: شعبة تحت الثرى[1] تخرج منها الأرواح وتتصل بأجسادها، وشعبة تحت العرش منها يرسل الله الأرواح إلى الموتى، وشعبة فى فم إسرافيل وهو ملك عظيم.... (والنفخة الأولى) تطول وتكون بها الزلزلة وتسيير الجبال، وتكوير الشمس، وانكدار النجوم، وتسجير البحار[2].. والناس أحياء والهون ينظرون إليها فتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى.. (وهى) المعنية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج:١]. (وأما) عن المراد من قوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ﴾؛ أى: مات ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْض إلا مَنْ شَاءَ اللَّه﴾ [الزمر: ٦٨] أى: من الحور والولدان وغيرهما. (وقد) قيل فى قوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ﴾؛ أى: مات من كان حيًّا فى الدنيا، ويغشى على من كان ميتا من قبل لكنه حى فى قبره كالأنبياء والشهداء (وعلى هذا) فإن الذى سيصعق عند النفخة الأولى هومن كان حيًّا حياة دنيوية.. (أما) من كان حيًّا حياة برزخية فإنه يغشى عليه[3].. (وقد) قيل أيضًا: إن النفخ ثلاث مرات [4]: النفخة الأولى وقد وقفنا عليها.. والنفخة الثانية: يكون بها الصعق، والنفخة الثالثة: نفخة القيام.. وبين هاتين النفختين أربعون سنة على الصحيح لتستريح الأرض من الهول الذى حصل لها، وفى تلك المدة تمطر السماء وتنبت الأرض ولا حى على ظهرها من سائر المخلوقات.

(وقد) جاء كذلك فى الحاشية[5] أن الاستثناء من الصعق بمعنى الموت

(١) أى التراب. فى الأرض السفلى.

(٢) سجرت أى امتلأت وفاض ماؤها.. سورة التكوير الآية ٦.

(٣)لأنه لن يموت مرتين.. أرجو أن تلاحظ هذا... فالموتة موتة واحدة.

(٤) وإن كانت الآية تفيد أن النفخ سيكون مرتين.

(٥) بتصريف .

يستثنى منه بمعنى الغشى والدهش موسى عليه السلام، فإنه لا يغشى عليه بل يبقى متيقظا ثابتا لأنه صعق فى الدنيا فى قصة الجبل[1] فلا يصعق مرة أخرى.. (وأما) عن جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت.. فإنهم لا يموتون بالنفخة الأولى، وإنما يموتون بين النفختين.

(لما) روى أن رسول الله ﷺ ، تلا ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ الآية، فقالوا: يا نبى الله من هم الذين استثنى الله تعالى؟ قال: ((**هم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت**))، فيقول الله لملك الموت: يا ملك الموت من بقى من خلقى — وهوأعلم — فيقول: يا رب بقى جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعبدك الضعيف ملك الموت.. فيقول الله تعالى: خذ نفس إسرافيل وميكائيل فيخران ميتين كالطودين[2] العظيمين، فيقول مت يا ملك الموت[3].. فيموت فيقول الله لجبريل: يا جبريل من بقى، فيقول: تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام وجهك الباقى الدائم وجبريل الميت الفانى.. فيقول الله تعالى: يا جبريل لا بد من موتك، فيقع ساجدا: يخفق بجناحيه يقول: سبحانك ربى تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام [4]...

* ثم بعد ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾ أى: بعد أربعين سنة على الصحيح.. (وقرب) نفخة القيام تأتى سحابة من تحت العرش فتمطر ماء خائر كالمنى.. فتنبت أجسام الخلائق كما ينبت البقل.. فتتكامل أجسامهم.. (مع) ملاحظة أن جميع جسد ابن آدم تأكله الأرض.. باستثناء (عَجْب[5]) الذنب.. فإنه يبقى.. وهومثل عين الجرادة لا يدركه الطرف — أى البصر — فتركب عليه أجزاؤه [6].. فإذا تم وتكامل نفخ فيه

---

(١) تشير الآية ٤٣ من سورة الأعراف.

(٢) **الطود**: أى: الجبل.

(٣) وقد ورد أن ملك الموت هوآخرهم موتًا.

(٤) وبعد ذلك كما ورد يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ..﴾ ولما لم يكن هناك من يجيب.. فإنه سيجيب نفسه بقوله: ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

(٥) **العجب**: بفتح العين وَتسكين الجيم: أصل الذنب (مختار الصحاح ص٤١٣).

(٦) أى: أجزاء الجسد.

الروح، ثم انشق عنه القبر، ثم قام خلقًا سويًّا..

(وفى) النفخة الثانية يقول الله تعالى: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة، والأعضاء المتمزقة، والشعور المنتثرة.. إن الله المصور الخالق يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.. فيجتمعن. ثم ينادى قوموا للعرض على الجبار.. فيقومون كما يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴾[القمر: ٧].

(فإذا) خرجوا من قبورهم يتلقى المؤمنون بمراكب من رحمة الله.. كما يقول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ [مريم: ٨٥].أى: جماعات جماعات.

(وأما) المجرمون فإنهم يمشون على أقدامهم وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم.

(ثم) بعد ذلك يقول سبحانه وتعالى مشيرًا إلى ما بعد النفخة الثانية: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]: أى ما يفعل بهم من الحساب والمرور على الصراط وإدخالهم الجنة أوالنار.. كما يشير الله تبارك وتعالى إلى هذا فى قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦] أى: فى هذا اليوم يخرج الناس من قبورهم متفرقين لكى يروا جزاء أعمالهم.. ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] كما يقول أيضًا سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أى بالحسنات﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أى فى الجنة ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ أى خفت موازين حسناته ﴿فأمه هاوية﴾ أى: فمرجعه إلى النار يسقط بأم رأسه ويهوى إليها دون رحمة ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾

** ثم بعد ذلك يقول سبحانه وتعالى فى ختام الآيات التى ندور حولها: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أى حين يتجلى لفصل القضاء ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ أى أعطى كل واحد من الخلائق كتابه بيمينه أوشماله للحساب ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [الزمر: ٦٩] أى بمحمد ﷺ وأمته لكى يشهدوا لهم بأنهم قد بَلَّغوا.. ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِ﴾ أى بالعدل ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ* وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوأَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ*وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٠، ٧١] أى جماعات متفرقة.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ* قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ* وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ* وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ* وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٦٨ - ٧٥] (١).

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بكل هذا التذكير الذى استمعنا إليه وأن يجعلنا جميعًا من المتقين الذين سيساقون إلى الجنة زمرا..

اللهم آمين.

(١) التفسير من (حاشية الصاوى على الجلالين) بتصريف واختصار.



(٥) خطبة حول موضوع

حقيقة الخشوع فى الصلاة وغيرها

الحمد لله القائل:﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل:﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ *الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢] وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى ورد عنه أنه رأى رجلًا يعبث بلحيته وهويصلى، فقال: ((**لوخشع قلب هذا، لخشعت جوارحه**)) [1] اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين كانت ﴿تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد:١٦] فكانوا لهذا أوبسبب هذا من المهتدين، وكانوا رجالًا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله:﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد) ،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه.. (يقول) الله تبارك وتعالى فى أول وصف من صفات المؤمنين الذين كتب لهم الفوز بالجنة:﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ *الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ، أى متواضعون، وقيل: أى ظاهرًا وباطنًا.. (فالخشوع) الظاهرى.. التمسك بآداب الصلاة كعدم الالتفات، والعبث، وسبق الإمام، ووضع اليد فى الخاصرة، وغير ذلك (والخشوع) الباطنى: استحضار عظمة الله، وعدم التفكر الدنيوى.

(إذا) كان هذا هوالمعنى المراد من كلمة الخشوع.. (فإننى أرى أن أبدأ بالمراد من شرح المراد من الخشوع الظاهرى.. الذى يستلزم أن تكون حاضر القلب فى الصلاة، وأن تكون ملتزمًا بآدابها.

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذى فى نوادره عن أبى هريرة.

(وأعنى) بهذا ما أشار إليه الرسول ﷺ فى قوله عن الرجل الذى رآه يعبث بلحيته وهويصلى: ((**لوخشع قلب هذا لخشعت جوارحه**)) وذلك لأنه إذا خشع القلب خشعت الجوارح والعكس كذلك هوالصحيح.

(ففى) الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم يقول حبيبنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: ((**ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب**))، يقول الإمام النووى فى شرح هذا المعنى فى كتابه الأربعين النووية [١]: أى: فى الجسد مضغة إذا خشعت خشعت الجوارح، وإذا طمحت [٢] طمحت الجوارح، وإذا فسدت فسدت الجوارح، ثم يقول: قال العلماء: البدن مملكة النفس ومدينتها، والقلب: وسط المملكة، والأعضاء: كالخدم، والقوى الباطنة: كضياع المدينة، والعقل: كالوزير المشفق الناصح به، والشهوة كطالب أرزاق الخدام، والغضب صاحب الشرطة، وهوعبد مكار خبيث يتمثل بصورة الناصح، ونصحه سم قاتل، ودأبه أبدًا منازعة الوزير الناصح، والقوة المخيلة فى مقدم الدماغ كالخازن، والقوة المفكرة فى وسط الدماغ، والقوة الحافظة فى آخر الدماغ، واللسان كالترجمان والحواس الخمسة جواسيس وقد وُكِّلَ كل منهم بصنيع من الصناعات، فوكل العين بعالم الألوان، والسمع بعالم الأصوات، وكذلك سائرها فإنها أصحاب الإخبار، ثم قيل هى كالحجبة توصل إلى النفس ما تدركه، وقيل: إن السمع والبصر والشم كالطاقات تنظر منها النفس، فالقلب هوالملك، فإذا صلح الراعى صلحت الرعية، وإذا فسد فسدت الرعية، وإنما يحصل صلاحه بسلامته من الأمراض الباطنة كالغل والحقد والحسد والشح والبخل والكبر والسخرية والرياء والسمعة والمكر والحرص والطمع وعدم الرضا بالمقدور.

---

(١) الحديث السادس فى كتاب الأربعين النووية.

(٢) يقال: رجل طموح: أى شديد التطلع.

(ثم) يقول: أمراض القلب كثيرة تبلغ نحو الأربعين، عافانا الله منها وجعلنا ممن يأتيه بقلب سليم. ا.هـ.

(ثم) أقول بعد هذا: أنه لكى يتحقق خشوع القلب فى الصلاة بصفة خاصة.. (فإن) هذا يستلزم حضور القلب فيها.. بمعنى أن يكون المصلى فيها بقلبه قبل قالبه، أى: أنه ينبغى عليه إذا أراد ان يدخل فى الصلاة أن يستحضر عظمة الخالق سبحانه وتعالى.. حتى يتحقق الخشوع الباطنى، وذلك لن يكون إلا إذا طرح الدنيا خلف ظهره وهويكبر تكبيرة الإحرام.. (وقد) قرأت أن أحد الصالحين وهو زين العابدين ﷺ كان إذا توضأ وتهيأ للصلاة اصفر لونه واحمر واخضر فسئل: لماذا يحدث هذا؟ فقال لسائله: أما تدرون أمام من سأقف!! (وقرأت) كذلك أن أحد الصالحين كان مريضًا والعياذ بالله بمرض خبيث.. كان من أهم آثاره أن قرر الأطباء قطع ساقه – ولم يكن هناك ما يسمى بالتخدير فى عصرنا الحاضر – فقال لهم: إن كان ولابد فانتظر حتى أصلى واقطعوها وأنا فى الصلاة.. وفعلا فعلوا هذا.. فلم يشعر بأى ألم.. (ونستطيع) نحن الآن أن نحدد الفرق الشائع بيننا وبين هذا الرجل أومثل هذا الرجل إن أكثرنا لو مرت نملة على إحدى قدميه وهويصلى فإنه يشعر بها.. (وأن) بعضهم وهو يصلى نراه يكثر من النحنحة والالتفات، والنظر إلى أعلى، وإلى آخر تلك الأعمال التى لا يمكن أبدا أن تكون من أعمال الصلاة.

(ولهذا) فقد قال العلماء: إذا رأيت إنسانا وهويصلى يفعل أفعالا كثيرة تخالف آداب الصلاة.. فخيل إليك وهويفعلها أنه ليس فى الصلاة... فاحكم عليه ببطلان صلاته.

(وقد) مر عصام بن يوسف رحمه الله بحاتم الأصم وهو يتكلم فى مجلسه، فقال: يا حاتم تحسن تصلى؟ قال: نعم. قال: كيف تصلى؟ قال حاتم: أقوم بالأمر، وأمشى بالخشية، وأدخل بالنية، وأكبر بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكر، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأسلم بالنية، وأختمها بالإخلاص لله عز وجل، وأرجع على نفسى بالخوف، أخاف أن لا يقبل منى، وأحفظه بالجهد إلى أن أموت.

(قال): تكلم فأنت تحسن تصلى.أ.هـ .كلام ابن رجب باختصار [1].

**(هذا) وإذا كان لى بعد ذلك أن أخص للأخوة المسلمين أهم ما ينبغى عليهم أن يلاحظوه بالنسبة للخشوع الظاهرى والباطنى فى الصلاة، فإنه حسبى أن أقرأ عليهم بعض ما ذكر حول هذا فى (الدين الخالص) تحت عنوان.

الخشوع فى الصلاة

حيث يقول: وهو قسمان: ظاهرى وباطنى.

(فالظاهرى) سكون الجوارح عن العبث وجعل بصره موضع سجوده، (الباطنى) خوف القلب، وخضوعه ورقته، وسكونه، وحفظه عن الاشتغال لغير ما هوفيه من التأمل فى معانى القرآن[2]، فينشأ عنه سكون الجوارح، لقوله ﷺ فى العابث بلحيته: «**لوخشع قلب هذا لخشعت جوارحه**» أخرجه الحكيم الترمذى فى نوادره عن أبى هريرة.....

*(وقد) اتفق العلماء: على أنه يطلب من المصلى أن يكون خاشعا مستحضرا عظمة الله وهيبته وأنه يناجى من لا تخفى عليه خافية، لقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ *الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢] أى: خائفون من الله متذللون له، جاعلون أبصارهم إلى مواضع السجود. (ثم) يقول: (قد) عد الغزالى الخشوع ركنا من أركان الصلاة [3].

*(وقال) بعض السلف: الخشوع للصلاة كالروح للجسد.

(وقال) ابن رجب الحنبلى فى رسالة الخشوع فى الصلاة: ويتفاوت الخشوع فى القلب بحسب تفاوت معرفتها لمن خشعت له، وبحسب تفاوت مشاهدة القلوب للصفات المقتضية للخشوع.

*(فمن خاشع): لقوة مطالعته لقرب الله من عبده واطلاعه على سره وضميره المقتضى للاستحياء من الله تعالى ومراقبته فى الحركات والسكنات.

---

(١) الدين الخالص ج٢ ص٢٧٥.

(٢) أى الذى يتلى فى الصلاة .

(٣) وهذا معناه أن الصلاة تبطل إذا لم يكن فيها خشوع....عند الإمام الغزالى رحمه الله.

* (ومن خاشع) لمطالعته شدة بطشه وانتقامه وعقابه المقتضى للخوف منه سبحانه وتعالى، جابر المنكسرة قلوبهم من أجله، وهوسبحانه وتعالى يتقرب ممن يناجيه فى الصلاة ويعفر وجهه فى التراب بالسجود...إلى أن يقول بعد ذلك .

*(وقد) قبح الله من لا يخشع قلبه لسماع كتاب الله وتدبره. قال: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]، قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما كان بين إسلامنا وبين ما عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين. خرجه مسلم وخرجه النسائى، وزاد فيه: فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضا.

(وخرج) ابن ماجه من حديث الزبير رضي الله عنه قال: لم يكن بين إسلامهم وبين أن نزلت هذه الآية يعاتبهم الله بها إلا أربع سنين.

(قد) سمع كثير من الصالحين هذه الآية تتلى فأثرت فيه آثارا متعددة. (فمنهم) من مات عند ذلك لانصداع قلبه بها، (ومنهم) من تاب عند ذلك وخرج عما هوفيه. (وقال) تعالى: ﴿ لَو أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا [1] مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[الحشر: ٢١] (قال) أبوعمران الجونى: والله لقد صرف إلينا ربنا فى هذا القرآن ما لو صرفه على الجبال لمحاها ودحاها.

(وكان) مالك بن دينار رحمه الله يقرأ هذه الآية ثم يقول: أقسم لكم لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا صدع قلبه. (وروى) عن الحسن قال: يا بن آدم إذا وسوس لك الشيطان بخطيئة أوحدثت بها نفسك، فاذكر عند ذلك ما حملك الله فى كتابه مما لو حملته الجبال الرواسى لخشعت وتصدعت أما سمعته يقول: ﴿ لَوأَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ الآية.

فإنما ضرب لك المثال لتتفكر فيها، وتعتبر بها وتنزجر بها عن معاصى الله عز وجل، وأنت يا بن آدم أحق أن تخشع لذكر الله وما حملك من كتابه، وآتاك من حكمه، لأن عليك الحساب ولك الجنة أوالنار.

---

(١) التصدع: أى التشقق.

(وقد كان) النبى ﷺ يستعيذ بالله من قلب لا يخشع كما فى صحيح مسلم. عن زيد بن أرقم أن النبى ﷺ كان يقول: ((**اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها**)).

(وروى) عن كعب الأحبار قال: مكتوب فى الإنجيل يا عيسى قلب لا يخشع علمه لا ينفع، وصوته لا يسمع، ودعاؤه لا يرفع. (قال) أسد بن موسى فى كتابه الورع: حدثنا مبارك بن فضالة كان الحسن رحمه الله يقول: إن المؤمنين لما جاءتهم هذه الدعوة من الله، صدقوا بها، وأفضى يقينها إلى قلوبهم وخشعت لله قلوبهم وأبدانهم وأبصارهم. وكنت والله إذا رأيتهم رأيت قوما كأنهم رَأْيَ عين[1] فوالله ما كانوا بأهل جدل ولا باطل، ولا اطمأنوا إلا إلى كتاب الله، ولا أظهروا ما ليس فى قلوبهم، ولكن جاءهم من الله أمر فصدقوا به فنعتهم الله تعالى فى القرآن أحسن نعت فقال: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا**﴾ [الفرقان: ٦٣] قال: حلماء لا يجهلون، وإذا جهل عليهم حلموا، ثم ذكر ليلهم خير ليل فقال: ﴿ **وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾ [الفرقان: ٦٤] أى: ينتصبون لله على أقدامهم، ويفترشون وجوههم لربهم سجدا تجرى دموعهم على خدودهم خوفا من ربهم.

(وقد) شرع الله تعالى لعباده من أنواع العبادات ما يظهر فيه خشوع الأبدان الناشئ عن خشوع القلب وذله وانكساره، ومن أعظم ما يظهر فيه ذلك من العبادات الصلاة.

(وقد) مدح تعالى الخاشعين فيها بقوله: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ *الَّذِينَ هُمْ فِى صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾ [المؤمنون:١، ٢].

*(قال ابن المبارك) عن أبى جعفر عن ليث عن مجاهد: ﴿ **وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾ [البقرة: ٢٣٨] . قال القنوت: الركون والخشوع، وغض البصر وخفض الجناح من رحمة الله تعالى.

(قال) وكان العلماء إذا قام أحدهم فى الصلاة هاب الرحمن عز وجل عن أن يشذ نظره، أويلفت، أويقلب الحصى أويعبث بشىء أويحدث نفسه بشىء

---

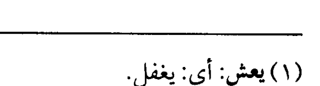
(١) أى كأنهم يبصرون الغيبيات رأى العين.

من أمر الدنيا إلا ناسيا ما دام فى صلاته.

(قال منصور) عن مجاهد فى قوله تعالى: ﴿ **سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾ [الفتح: ٢٩] قال: الخشوع فى الصلاة.

(فعلى) الإخوة المسلمين المستمعين أن يلاحظوا كل هذا وينفذوا المراد منه فى الصلاة وفى جميع أحوالهم الإيمانية التى من أهمها –بعد الصلاة – ذكر الله تبارك وتعالى الذى يقول: ﴿ **أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] ويقول ﴿**وَمَنْ يَعْشُ** (١) **عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾ [الزخرف: ٣٦] .

والله ولى التوفيق



(١) **يعش**: أى: يغفل.

(٦)- خطبة أو درس

حول ختام الصلاة وأهم صيغه

الحمد لله القائل:﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥]وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل:﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧] وأشهد أن سيدنا محمدا عبدُ الله ورسوله وصفيه وخليله الذى ورد عنه أنه كان يقول لأصحابه: **((إنما بعثت معلما))**.

* اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغُرِّ الميامين الذين ﴿عَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ ، فكانوا هُداة مهديين وقادة منتصرين وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ* لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧،٣٨]

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه: الصلاة كما عَلِمنا مِن قَبلِ هذا هى أعظم أركان الإسلام - بعد الشهادتين - لأنها عبادة من أفضل العبادات، وقُربة من أفضل القربات (وهى) أيضا من (خير الموضوعات) [1] أى: خيرُ شىء وضعه الشارع.

(وقد) روى الطبرانى فى الأوسط بسنده (عن) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال: **((لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا صلاة لمن لا طهور له، ولا دين لمن لا صلاة له، إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد))**. (وقد) روى مسلم فى صحيحه (عن) عثمان بن عفان رضي الله عنه قال:

---

(١) أخرجه ابن حبان والحاكم، ونص الحديث كاملا: **((الصلاة خير موضوع فمن شاء استكثر ومن شاء استقل))**.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ما من امرئ تحضُرُه صلاة مكتوبة[1]، فيحسن وضوءها، وخشوعها، وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم تُؤْتَ كبيرةٌ، وذلك الدَّهرَ كُلَّه)).

*(ولهذا) كان ولابد وأن تؤدَّى الصلاة على هذا الأساس الوارد فى نص الحديث الأخير، والذى من أهمه بعد إحسان الوضوء وإسباغه. الخشوع الذى هوروح الصلاة .

(ولكن) يبدوأن الشيطان يلعب دورًا كبيرا فى حياة المصلِّين حتى يفسد عليهم صلاتهم، وحتى يخرجهم منها ولو بقلوبهم.

(وحتى) تتضح الصورة لنا.. (فقد) قرأتُ أنَ أحدَ الصالحين كان قد وضع الجوالق – أى الزكائب – عند فلان من الناس.. (ثم) حدث بعد ذلك وفى يوم ما أن جلس يفكر مع عبده أين توجد الجوالق ؟ ولكنهما لم يهتديا إلى مكانها ثم حدث بعد ذلك ومصادفةً.. أن دخل الرجل الصالح فى الصلاة.. فجاءه الشيطان – كما يفعل مع أكثرنا – وقال له: إن الجوالق التى تبحث عنها عند فلان..!! فأخذ الرجل يفكر فى هذا إلى أن انتهى من أداء الصلاة التى كان يصليها.. (ثم) نادى عبده، وقال له: اذهب إلى فلان وعُدْ بالجوالق ..فتعجب العبد الذى كان مشغولا بهذا الموضوع معه، وقال له: ياسيدى متى تذكرت هذا ؟! قال: وأنا فى الصلاة !! فقال له العبد- هذا الذى كان صالحا: ياسيدى إذن أنت كُنتَ مع الجوالق لا مع الخالق..ففهم الرجل الصالح هذا أن الشيطان قد ضحك عليه..(ولهذا) فقد أعتق العبد الصالح على تذكيره بهذا الذى فعله الشيطان به..حتى لا يتكرر مرة أخرى..(هذا) ولما كان أكثرنا يعانى من مثل هذه الوساوس عقب كل صلاة..(فإن) النَّبى ﷺ قد علمنا كيف نكفِّر عن كل تلك الوساوس عَقِب كلّ صلاة..(وذلك) بالحرص على:

الذكر والدعاء عقب الصلاة المكتوبة

(فقد) ورد أنه يسن للمصلى إذا سلَّم مِن صلاته أن يقول وفى سره –حتى لا

---

(١) أى المفروضة.

يشوش على نحو مصلٍّ يريد أن يتمم ما فاته من الركعات مع الإمام[1] -: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام، اللهم أعِنّي على ذِكرك، وشكرك، وحُسن عبادتك (وأن) يقرأ آية الكرسي[2]، و ﴿قُلْ هُوَاللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثم المعوذتين، ثم يقول: سبحان الله ثلاثا وثلاثين مرة، والحمد لله ثلاثا وثلاثين مرة، والله أكبر ثلاثا وثلاثين مرة، (ثم) بعد ذلك نختم المائة بقوله: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، (ثم) بعد ذلك يدعو بما شاء من خير الدنيا والآخرة[3].. (مع) ملاحظة أن الدعاء بالمأثور أفضل.

* (وقد) روى أبو داود والحاكم[4]: أن النبي ﷺ كان يقول دبر كل صلاة **((اللهمّ عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، اللهم إني أعوذ بك من الكُفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت))**.

* (وروى) أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي (عن) عبد الله بن الزبير قال: كان رسول الله ﷺ إذا سلم في دبر الصلاة أو الصلوات يقول: **((لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولا نعبد إلا إياه، أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون))**.

* (وأخرج) أحمد والشيخان (عن) المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ كان يقول دُبُرَ كلّ صلاة مكتوبة: **((لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانعَ لما أعطيت، ولا معطيَ لما منعت، ولا ينفعُ ذا الجَد[5] مِنك الجدّ))**.

---

(1) لأن التشويش على المصلى حرام.. اللهم إلا إذا كان الجهر هذا من الإمام - مرة أو مرتين على سبيل التعليم.

(2) لأن النبي ﷺ كان يقول: **((من قرأ آية الكرسي في دبر الصلاة المكتوبة كان في ذمة الله إلى الصلاة الأخرى))** أخرجه الطبراني بسند حسن.

(3) وقد ورد في كل هذا أحاديث صحيحة.

(4) وصححه السيوطي.

(5) الجد: بفتح الجيم: الحظ والغنى.

* (وعن) أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا قضى صلاته مسح بيده اليمنى ثم قال: **((أشهد أن لا إله إلا الله الرحمن الرحيم،اللهم أذهب عنى الهَمَّ والحَزَن))** أخرجه ابن السُّني، وكذا الطبرانى بلفظ: أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان إذا صلى وفرغ من صلاته يمسح يمينه على رأسه ويقول: **((بسم الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، اللهم أذهب عنى الهم والحزن))**.

* (وعن) الحارث بن مسلم التميمى قال: قال لى النبى ﷺ : **((إذا صليت الصبح فقل قبل أن تتكلم: اللهم أجرنى من النار سبع مرات. فإنك إن مِتَّ من يومك ذلك كتب الله لك جوارًا من النار، وإذا صليت المغرب فقل قبل أن تتكلم: اللهم إنى أسألك الجنة، اللهم أجرنى من النار سبع مرات. فإنك إن مت من ليلتك تلك كتب الله لك جوارا من النار))** أخرجه أحمد وأبوداود والنسائى بسند جيد، وابن حبان.

* (وعن) شَهر بن حَوشَب (عن) عبدالرحمن بن غنم عن أبى ذَرٍّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **((مَنْ قال فى دُبر صلاةِ الفجر وهوثانٍ رجليه قبل أن يتكلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له،له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو حَيٌّ لا يموت، وهوعلى كل شىء قدير، كتبت له عشر حسنات، ومحى عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات. وكان يومه ذلك كله فى حِرزٍ مِنْ كُلِّ مكروه، وحُرِس من الشيطان[1] ولم ينبغ لذنب أن يُدركَه فى ذلك اليوم إلا الشرك بالله[2] عز وجل))**.أخرجه النسائى والطبرانى فى الأوسط والترمذى بسند صحيح خلا شهر بن حوشب فإنه مختلَف فيه، ضعفه

---

(١) يعنى أنه إذا قالها بإخلاص ومراقبة لله تعالى كانت سببا فى حفظه من وساوس الشيطان.

(٢) أى يدركه، أى يهلكه ويبطل عمله، والمعنى أن الله تعالى يغفر لمن قال هذا الذكر فى يومه وليلته ما اكتسب من ذنب، ولا ينبغى لأى ذنب أن يدركه ويحبط به سوى الشرك: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

بعضهم ووثقه البعض.

* (فعلى) الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا وينفذه عقب كل صلاة مكتوبة –دون تشويش – لقول النبى ﷺ : **((لا ضرر ولا ضرار))**[1].

* (وينبغى) للداعى رفع يديه حال الدعاء، ومسحُ وجهه بهما بعده خارج الصلاة[2] (لحديث) ابن عباس أن النبى ﷺ قال: **((سَلُوا الله ببطون أَكُفِّكُم، ولا تسألوه بظهورها، فإذا فرَغتم فامسحوا بها وجوهكم))** أخرجه أبوداود[3].

* (ومن) آداب الدعاء بَسطُ اليدين ورفعُهما حذو المنكبين (لما) ثبت عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه فعل هذا فى نحو ثلاثين موضعا فى أدعية متنوعة (وقد) ورد هذا فى حديث سلمان الفارسى رضي الله عنه فى فضل الدعاء بلفظ: **((إن الله حيى كريم يستحى إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صِفْراء خائبتين))**[4].

* (هذا) وإذا كان لى فى ختام هذا الموضوع الهام أن أُذكر بملاحظة هامة وهى أنه إذا كان قد ورد التسبيح عقب كل صلاة مكتوبة بأعداد مختلفة، فإنّ أى عدد منها عَمِلَ به الإنسان سيكون قد وافق الوارد، ولكنّ أكثرها وأقواها روايةً التسبيحُ ثلاثا وثلاثين مرة والتحميد كذلك مرة والتكبير كذلك مرة (مع) ملاحظة أن العدد المخصوص فى الأذكار عقب الصلوات مُعتَبر.

ولهذا فإنه ينبغى على الأخ الذاكر أن لا يتعداه وإلا حُرِم ثوابَه.. (لاحتمال) أن يكون لتلك الأعداد حكمة وخاصية تفوت بمجاوزة ذلك العدد. (وقد) بالغ القرافى فى القواعد فقال: مِن البدع المكروهة الزيادة فى المندوبات المحدودة شرعا لأن شأن العظماء إذا حددوا شيئا أحبوا أن يوقف عنده، ويُعد الخارج عنه مسيئا للأدب ا . هـ.

* (وقد) مثّله بعض العلماء بالدواء يكون مثلًا فيه أوقية سكر فلو زِيد فيه

---

(١) أخرجه أحمد وابن ماجه عن ابن عباس بسند حسن.

(٢) أما الدعاء فى الصلاة فلم يثبت فيه مسح الوجه بعده.

(٣) وقال: روى هذا الحديث من غير وجه عن محمد بن كعب كلها واهية وهذا الطريق أمثلها –أى أحسنها – وهوضعيف أيضا. ا هـ.

(٤) أخرجه ابن حبان والحاكم وصححه والأربعة إلا النسائى وحسنه الترمذى.

أوقية أخرى لتخلف الانتفاع به، ولواقتصر على الأوقية فى الدواء ثم استعمل من السكر بعد ذلك ما شاء لم يختلف الانتفاع به (ويُمثل) أيضا بأسنان المفتاح إذا زيد فيها أونقص لا تفتح، فكذلك العدد المذكور إذا زيد فيه أونقص لا يحصل الثواب الموعود به.

* (ثم) يقول فى (الدين الخالص)[1] تحت عنوان:

عَدُّ التَسْبِيح

(يجوز) عَدّ هذه الأذكار ونحوها بالأصابع، أو النوى، أو السبحة أو غيره (لحديث) هانئ بن عثمان عن حميصة بنت ياسر عن يسيرة بنت ياسر قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((**عليكُنَّ بالتسبيح والتهليل والتقديس[2] واعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات مستنطقات[3] ولا تغفلن فتنسين الرحمة**))[4] أخرجه الحاكم والترمذى وصحّح السيوطى إسناده.

* (ولحديث) ابن عمرو قال: **رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعقد التسبيح بيمينه.** أخرجه الثلاثة[5] والحاكم، وصححه الترمذى وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الأعمش عن عطاء بن السائب.

* (ولحديث) سعد بن أبى وقاص أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على امرأة بين يديها نوى أوحصى تسبح به فقال: ((**أخبرك بما هوأيسر عليك من هذا أوأفضل ؟ سبحان الله عدد ما خلق فى السماء، وسبحان الله عدد ما خلق فى الأرض وسبحان الله عدد ما خلق بين ذلك ، وسبحان الله عدد ما هوخالق، والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك**)) أخرجه الأربعة[6] وابن حبان والحاكم وصححه،وقال الترمذى: حسن غريب.

---

(١) ج ٣ ص ٢٢ وما بعدها بتصرف واختصار.
(٢) أى قول: سبوح قدوس رب الملائكة.. والروح.
(٣) أى اعددن التسبيح وغيره بالأنامل فإنهن يسألن يوم القيامة عم اكتسبن وفيم استعملن ؟
(٤) أى تحرمن من الرحمة المترتبة على ما ذكر.
(٥) وهم أبوداود، والترمذى، والنسائى.
(٦) وهم أبوداود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه.

* (ولحديث) صفية قالت: دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبين يدى أربعة آلاف نواة أسبح بهن، فقال: **((لقد سبحت بهذا ؟ ألا أعلمك بأكثر مما سبحت به ؟))**فقالت: علمني. فقال: **((قولى: سبحان الله عدد خلقه))**. أخرجه الترمذى والحاكم وصححه.

** (ففي) هذه الأحاديث – بالإضافة إلى غيرها – دلالة على جواز عد الذكر بالنوى والحصى وكذا بالسُّبحة إذ لا فارق، لتقريره صلى الله عليه وعلى آله وسلم للمرأتين عليه وعدم إنكاره. والإرشاد إلى ما هوالأفضل لا ينافى جواز غيره.

وقد قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **((نعم المذكِّر السُّبحة))** أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس عن على.

(وعن) أبى سعيد الخدرى أنه كان يسبح بالحصى.

* (وعن) أبى هريرة أنه كان معه كيس فيه حصى أونوى فيسبح به حتى ينفذ. أخرجهما ابن أبى شيبة.

(وقد) ذكر السيوطى آثارًا أخرى فى رسالة (المنحة فى السُّبحة) ثم قال: ولم يُنقل عن أحد من السَّلف ولا من الخلف المنع من جواز عد الذكر بالسُّبحة بل كان أكثرهم يعدُّونه بها ولا يرون ذلك مكروها. ا هـ.

* (ثم) يقول فى (الدين الخالص): ومحل جواز اتخاذ السبحة للذكر ما لم يترتب عليه رياء أوسمعة وإلا مُنع،كما يمنع وضعها فى العنق كما يفعل بعض الجهلة، ووضعها فى اليد وإدارتها[1] من غير ذِكر.

* (وقد) سُئل العلّامة الشيخ علِيّ العَدَوى عن اتخاذ السُّبح ؟ (فأجاب) بأن اتخاذ السبح للكبار من الخشب أوغيره[2] حرام يجب التباعد عنه باتخاذ سُبحة من السُّبح المعتادة التى لا يحصل بها شُهرة، وبعد اتخاذها على هذا الوجه لا يضعها فى رقبته أونحوها مما يفيد أن حاملها من المتصوفة،فيئول أمره

---

(١) أى بين أصابعه.. كما يفعل بالسلسلة.. وهذا عبث.

(٢) كما يفعل أدعياء التصوف..الجهلاء.

إلى الرياء المحرم بالإجماع، ويحذر أيضا مما يفعله بعض الناس من كونه يتكلم مع الناس فى اللهو واللعب، ويدير السبُّحة من أولها إلى آخرها ويُوهِم أنه يُسَبِّح فى تلك الحالة، والحاصل أنه إذا تعاطى السبحة على الوجه المعتاد تباعد عن الأمور المقتضية للشهرة والعُجب والرياء لأن ذلك كله مُحبِط للعمل. ا. هـ.

** (وعلى) هذا، فإنه ينبغى علينا نحن المسلمون أن نلاحظ كل هذا، وننفذ الوارد منه فى سنة الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه كما يقول عبد الله بن مسعود: **((اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم[1]))** أى أنه صلوات الله وسلامه عليه لم يفارق الدنيا إلا بعد أن تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

والله ولى التوفيق

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود.

(٧)- خطبة أو درس

حول أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿حافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨]، أي: حافظوا على الصلوات الخمسة بصفة عامة، والصلاة الوسطى بصفة خاصة . ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ أى وأنتم فى أسمى درجات الخشوع والإخلاص.

* وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله القائل: **((بُنى الإسلام على خمس: شهادةِ أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان))**.

* (ففي) هذا الحديث الشريف الذى رواه البخارى ومسلم عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما (يشير) النبى ﷺ إلى ملاحظة هامة، وهى: أن من أتى بهذه الخمس، فقد تم إسلامه، كما أن البيت يتم بأركانه (مع) ملاحظة: أن (على) فى الحديث بمعنى (من)، كقوله تعالى: ﴿إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ [المؤمنون:٦] ، (والبناء) المشار إليه فى الحديث بناء معنوي.. (وكذلك)يقاس بالنسبة لبقية أركان الإسلام.

(وأيضا) مع ملاحظة: أن الخمسة المذكورة فى الحديث هى (أصول البناء) وأما التتمات، والمكملات كبقية الواجبات وسائر المستحبات فهى زينة للبناء[1]...

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وسلم الغر الميامين الذين كانوا على صلة دائمة بالله تبارك وتعالى عن طريق الصلوات المفروضة والمسنونة.. بالإضافة

---

(١) ارجع إلى شرح الحديث الثالث من الأربعين النووية لكى تقرأ كل هذا بالتفصيل إن شاء الله.

إلى أدائهم الكامل لجميع أركان الإسلام.. فضلا عن الواجبات وسائر المستحبات فكانوا لهذا، أومن أجل هذا من... الوارثين ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون:١١]، وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ* لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧،٣٨] .

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه..: (فقد) رأيت إن شاء الله تعالى فى هذا اللقاء المبارك وفى هذا اليوم المبارك – يوم الجمعة – أن أناقش معكم – وبإيجاز – موضوع يتعلق بمشروعية التطوع، (وذلك) من خلال حديث شريف، رواه أبوداود .

(عن) أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: **((إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، يقول ربنا لملائكته، وهوأعلم: انظروا فى صلاة عبدى أتَمَّها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كُتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئا، قال: انظروا هل لِعبدى من تطوع ؟ فإن كان له تطوع، قال: أتموا لعبدى فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك))**.

(ففى) هذا الحديث الشريف يرغبنا الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فى الحرص على أداء التطوع قبل كل صلاة مفروضة أوبعدها...(لأن) هذا التطوع– كما سنعرف معناه بعد – شُرِع ليكون جَبرًا لِما عسى أن يكون قد وقع فى الفرائض من نقص، ولِما فى الصلاة من فضيلة ليست لسائر العبادات.. (وقد) قال مالك فى الموطأ: بلغنى أن النبى ﷺ قال: **((استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أنّ خيرَ أعمالِكم الصلاة ولَن يحافظ على الوُضوء إلا مؤمن))** وروى مسلم عن ربيعة بن مالك الأسلمى قال: قال رسول الله ﷺ: **((سَلْ))** فقلتُ: أسألك مرافقتك فى الجنة. فقال **((أَو غَيْرَ ذلك؟))** قلتُ: هوذاك، قال: **((فأَعِنّى على نفسك بكثرة السجود))** أى: فأعنى على تحقيق هذا المطلب المنشود لك بالإكثار من النوافل.

* (وقد) يسأل الأخ المسلم الآن عن المعنى المراد من كلمة (نوافل)، فأقول له: إنها صلاة غير واجبة، والمراد بها السنن الرَّاتِبة وغير الراتبة. (وأعنى بهذا، أن التطوع ينقسم إلى قسمين.. إلى تطوع مطلق، وإلى تطوع مُقيَّد.. (وهاك) بيان هذين القسمين بدون إطالة إن شاء الله[1]:

** (فأما) عن القسم الأول وهو التطوع المطلق – الذى قد يكون تهجدا – فإنه يقتصر فيه على نية الصلاة.. (قال) النووى: فإذا شرع فى تطوع ولم يَنوعددا، فله أن يسلم من ركعة، وله أن يزيد فيجعلها ركعتين أوثلاثة أومائة أوألفا أوغير ذلك. (ولو) صلَّى عددا لا يعلمه ثم سلم صح بلا خلاف، اتفق عليه أصحابنا، ونص عليه الشافعى فى الإملاء.

(وروى) البيهقى بإسناده أن أبا ذر ﷺ صلى عددا كثيرا، فلما سلم قال له الأحنف بن قيس رحمه الله: هل تدرى انصرفت على شفع[2] أم على وتر ؟ قال: إن لا أكن أدرى فإن الله يدرى، إنى سمعت خليلى أبا القاسم ﷺ يقول، ثم بكى ثم قال: إنى سمعت خليلى أبا القاسم ﷺ يقول: **((ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحَطَّ عنه بها خطيئة))**، رواه الدارمى فى مسنده بسند صحيح[3].

** (وأما) عن القسم الثانى، من التطوع (فهو) ما شُرع تبعا للفرائض، ويسمى: السنن الراتبة، ويشمل سنة الفجر، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء. وإلى غيره..

** (وقد) يسأل الأخ المسلم كذلك بعد ذلك عن سنة الفجر وفضلها ؟ فأُذكّره ونفسى بحديث شريف ورد (عن) عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال فى الركعتين قبل صلاة الفجر[4]: **((هما أحب إلى من الدنيا جميعا))**[5]،

---

(١) كما جاء فى فقه السنة تحت عنوان: أقسام التطوع. بتصرف كبير.

(٢) الشفع هوالذى يقسم على اثنين، وأما الوتر فهوعكسه.

(٣) إلا رجلا اختلفوا فى عدالته.

(٤) أى قبل صلاة الصبح.. وأما السنة فهى سنة الفجر.

(٥) رواه أحمد ومسلم والترمذى.

(مع) ملاحظة أنه من السنة أن تخفف هاتين الركعتين – أى فى القراءة – وأن تقرأ فى الركعة الأولى منها [1]: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون:١] وفى الثانية ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، مع الإسرار بالقراءة.

** (وأما) عن سنة الظهر، فقد ورد أنها أربع ركعات، أوست أوثمان، وإليك بيان هذا بإيجاز:

* (فعن) ابن عمر رضي الله عنهما قال: حفظت من النبى ﷺ عشر ركعات: ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب فى بيته [2]، وركعتين بعد العشاء فى بيته، وركعتين قبل صلاة الصبح رواه البخارى.

* (وعن) عبد الله بن شقيق، قال: سألت عائشة رضى الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ ؟ قالت: كان يصلى قبل الظهر أربعا واثنين بعدها. رواه أحمد ومسلم وغيرهما.

* (وعن) أم حبيبة قالت: قال رسول الله ﷺ : **((من صلى أربعا قبل الظهر وأربعا بعدها: حرم الله لحمه على النار))**. رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذى.

* (وقد) ورد فى فضل الأربع قبل الظهر (عن) أبى أيوب الأنصارى: أنه كان يصلى أربع ركعات قبل الظهر، فقيل له: إنك تديم هذه الصلاة ؟ فقال: إنى رأيت رسول الله ﷺ يفعله، فسألته، فقال: **((إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، فأحببت أن يرفع لى فيها عمل صالح [3]))**.

** (وأما) عن سنة المغرب المؤكدة.. (فقد) سبق فى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أنه يسن بعد صلاة المغرب صلاة ركعتين (ويستحب) أن نقرأ فيها

---

(١) أى بعد الفاتحة.

(٢) هذا إذا كان سيعود إلى بيته بعد الصلاة.. أما إذا كان سيعود إلى عمله.. أوسيجلس فى المسجد لكي يستمع إلى درس حتى العشاء فإنه يصلى السنة البعدية فى المسجد.

(٣) رواه أحمد وسنده جيد.

بعد الفاتحة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون:١] فى الأولى، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] فى الثانية (وكذلك) سبق فى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما سُنِّية الركعتين بعد صلاة العشاء.

مع ملاحظة: أن السنن التى وقفنا عليها، هى السنن المؤكدة، أى التى يثاب الإنسان على فعلها ويعاتب على تركها[1].

** (وأما) عن السنن غير المؤكدة، أى التى فعلها النبى ﷺ ولم يواظب على فعلها[2]، فهى:

* أولا: ركعتان أوأربع قبل العصر[3]: وقد ورد فيها عدة أحاديث متكلم فيها، ولكن لكثرة طرقها يؤيد بعضها بعضا: (فمنها) حديث ابن عمر الذى يقول فيه: قال رسول الله ﷺ : **((رحم الله امرًا صَلَّى قبل العصر أربعا))** رواه أحمد وأبوداود والترمذى وحسنه وابن حبان وصححه، وكذا صححه ابن خُزيمة.

(وأما) الاقتصار على ركعتين فقط، فدليله عموم قوله ﷺ : **((بين كل أذانين صلاة))** رواه الجماعة، ولابن حبان من حديث ابن الزبير أن النبى ﷺ قال: **((ما من صلاة مفروضة إلا وبين يديها ركعتان))**.

(مع) ملاحظة: أنه ليست هناك سنن لا مؤكدة ولا غير مؤكدة بعد العصر.. باستثناء جواز تحية المسجد، أو صلاة ركعتين سُنةً للوضوء، أوالصلاة على الجنازة.. حتى ولوكان كل هذا فى أوقات الكراهة[4]. (وأيضا) مع ملاحظة أنك إذا صليت أربعا قبل الظهر، أوأربعا بعدها، أوأربعا قبل العصر[5]:فإنه من السنة أن تفصل بعد كل ركعتين بالسلام، وأنه يجوز أن

---

(١) لأن الرسول ﷺ فعلها وواظب على فعلها ورغب فيها.. بعكس السنن غير المؤكدة.

(٢) وحكمها أن يثاب الإنسان على فعلها ولا يعاقب على تركها.. وهى المستحبة والمندوبة.. ومن الخير للمؤمن أن لا يدعها.

(٣) أى قبل صلاة العصر وبعد الأذان.

(٤) عند الشافعية.

(٥) كما جاء فى حديثٍ رواه أحمد والنسائى وابن ماجه والترمذى وحسنه.

تصليها متصلة بتسليم واحد، لقول رسول الله ﷺ : ((**صلاة الليل والنهار مثنى مثنى**)) رواه أبو داود بسند صحيح. (وأيضا) مع ملاحظة أنه إذا فاتتك الأربع قبل الظهر (فإنه) يجوز لك أن تصليهن بعد الركعتين بعد الظهر[1]، كما كان يفعل رسول الله ﷺ في حديث رواه ابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها، (وكذلك) بالنسبة للركعتين اللتين تصليان بعدها (فقد جاء فى حديث رواه أحمد (عن) أم سلمة قالت: صلى رسول الله ﷺ الظهر، وقد أتى بمال، فقعد يقسمه حتى أتاه المؤذن بالعصر. فصلى العصر ثم انصرف إلى، وكان يومى فركع ركعتين خفيفتين، فقلنا: ما هاتان الركعتان يا رسول الله، أمرت بهما ؟ قال: ((**لا.. ولكنهما ركعتان كنتُ أَرْكعهُما بعد الظهر فشغلنى قَسْم هذا المال حتى جاء المؤذّنُ بالعصر، فكرِهتُ أن أَدَعَهُما**)) رواه البخارى ومسلم وأبوداود بلفظ آخر.

* (وثانيا): من السنن غير المؤكدة: أن تصلى ركعتين قبل صلاة العشاء (لما رواه) الجماعة من حديث عبد الله بن مُغَفّل أن النبى ﷺ قال: ((**بين كل أذانين صلاة،بين كل أذنين صلاة**))، ثم قال فى الثالثة: ((**لمن شاء**)).

** (وهناك) ملاحظة هامة لا بد وأن نذكرها على الدوام، وهى: أنه يُستحب الفصل بين الفريضة والنافلة بمقدار ختم الصلاة: (فعن) رجل من أصحاب النبى ﷺ أن رسول الله ﷺ صَلّى العصر فقام رجل يصلى فرآه عمر، فقال له: اجلس، فإنما هلك أهل الكتاب أنه لم يكن لصلاتهم فصل. فقال رسول الله ﷺ : ((**أحْسَن ابن الخطاب**)) رواه أحمد بسند صحيح.

** (وأيضا) هناك ملاحظة هامة تتعلق بجميع النوافل القبلية والبعدية بالنسبة لجميع الصلوات الخمس المفروضة علينا، (وهى) أنه يستحب صلاتها فى البيت- ليتبرك البيت بها، وتتنزل فيه الرحمة والملائكة، وينفر منه الشياطين.

* (فقد) روى أحمد ومسلم (عن) جابر أن النبى ﷺ قال: ((**إذا صلى**

---

(١) لأن السنن القبلية يمتد وقتها إلى آخر وقت الفريضة.

أحدكم الصلاة فى مسجده فليجعل لبيته نصيبا مِنْ صلاتِه، فإن الله عز وجل جاعِلٌ فى بيته من صلاتِهِ خيرا)).

* (وعند) أحمد عن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **((صلاة الرجل فى بيته تطوعا نُورٌ فمن شاء نَوَّر بيتَه))** .

(وعن) عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ :**((اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم ولا تتخذوها قبورا** [1]**))** رواه أحمد وأبوداود.

*(وأما) عن الوتر، أى الذى يصلى بعد سنة العشاء البعدية، فهوسنة مؤكدة، حث عليه الرسول ﷺ ورغّب فيه: (فعن) على رضي الله عنه أنه قال: إن الوتر ليس بحتم[2] كصلاتكم المكتوبة _أى المفروضة _ولكن رسول الله ﷺ أَوْتَر ثم قال:**((يا أهل القرآن أوتروا فإن الله وتر**[3]**: يحب الوتر))** رواه أحمد وأصحاب السنن وحسنة الترمذى ورواه الحاكم أيضا وصححه.

(وقد) أجمع العلماء على أن وقت الوتر لا يدخل إلا بعد صلاة العشاء وأنه يمتد إلى الفجر (مع) ملاحظة أن النبى ﷺ كان يوتر أول الليل وأوسطه وآخره _كما جاء فى حديث رواه أحمد بسند صحيح (وعن) عبد الله بن أبى قيس قال:سألت عائشة رضى الله عنها عن وتر رسول الله ﷺ ؟ فقالت: ربما أوتر أول الليل وربما أوتر من آخره. قلت: كيف كانت قراءته أكان يسر بالقراءة أم يجهر؟ قالت: كل ذلك كان يفعل، وربما أسر وربما جهر، وربما اغتسل فنام، وربما توضأ فنام[4]_ تعنى فى الجنابة.

رواه أبوداود، ورواه أيضا أحمد ومسلم والترمذى.

(ويستحب) تعجيل صلاة الوتر أول الليل لمن خشى أن لا يستيقظ آخره (فعن) جابر رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: **((من ظن منكم أن لا يستيقظ آخره** (أى الليل) **فليوتر أوله، ومن ظن منكم أنه يستيقظ آخره، فإن صلاة آخر الليل**

---

(١) لأن القبور لا يصلى فيها، أى ليس فيها صلاة.

(٢) **حتم**: أى لازم.

(٣) أى أنه تعالى واحد يحب صلاة الوتر ويثيب عليها. قال نافع: وكان ابن عمر لا يصنع شيئا إلا وترًا.

(٤) ومعلومٌ أن هذا الوضوء مع الجنابة.. لا تجوز الصلاة به.. وإنما هو من المستحبات.

محضورة_ أى تحضرها الملائكة_ وهى أفضل)) رواة أحمد ومسلم والترمذى وابن ماجه.

* (وقد) قال الترمذى عن عدد ركعات الوتر روى عن النبى ﷺ :الوتر بثلاث عشرة ركعة وإحدى عشرة ركعة وتسع ، وسبع وخمس وثلاث ، وواحدة. (مع) ملاحظة أنه يجوز أداء الوتر ركعتين ركعتين [1]، ثم صلاة ركعة بتشهد وسلام (كما) يجوز صلاة الكل بتشهدين وسلام، فيصل الركعات بعضها ببعض من غير أن يتشهد إلا فى الركعة التى هى قبل الأخيرة، فيتشهد فيها ثم يقوم إلى الركعة الأخيرة فيصليها ويتشهد فيها ويسلم (ويجوز) أداء الكل بتشهد واحد وسلام فى الركعة الأخيرة، كل ذلك جائز ووارد عن النبى ﷺ (ويجوز) القراءة فى الوتر بعد الفاتحة بأى شيء من القرآن.

(كما) يجوز القنوت فى الوتر فى جميع السَّنة [2]. (ويستحب) أن يقول المصلِّى بعد السلام من الوتر: سبحان الملك القدوس ثلاث مرات يرفع صوته بالثالثة، ثم يقول: رب الملائكة والروح. (لما) رواه أبوداود والنسائى من حديث أبى بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ فى الوتر[3] بـ ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾ [الأعلى:١] و﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾ [الكافرون:١] و﴿**قُلْ هُواللَّهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص:١] فإذا سلم قال: سبحان الملك القدوس ثلاث مرات يمد بها الثالثة ويرفع. (وهذا) لفظ النسائى. زاد الدارقطنى ويقول: ربُّ الملائكة والروح، ثم يدعو بما رواه أحمد وأصحاب السنن (عن) علىّ أن النبى ﷺ كان يقول فى آخر وتره: **((اللَّهُمّ إنى أَعُوذ برضاك مِنْ سخطك، وأعوذ بِمُعافاتِك من عقوبتك، وأعوذ بك مِنْكَ، لاَ أُحْصِى ثناءً عليك، أنت كما أَثْنَيتَ على نفسِك))**.

(وأيضا) مع ملاحظة أنه يجوز لمن صلى الوتر ثم بدا له أن يصلى... أن يصلى ولا يعيد الوتر. (لما) رواه أبوداود والنسائى والترمذى وحسنه (عن) على قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((لا وتران فى ليلة))**. (وعن) أم

---

(١) أى يسلم على رأس كل ركعتين.

(٢) ارجع إلى هذا بالتفصيل فى فقه السنة وكتب الفقه المطولة والمعتمدة.

(٣) أى بعد قراءة سورة الفاتحة.

سلمة: أنه ﷺ كان يركع ركعتين بعد الوتر وهو جالس. رواه أحمد وأبوداود والترمذى وغيرهم.

** (وقد) ذهب جمهور العلماء إلى مشروعية قضاء الوتر (لما) رواه البيهقى والحاكم وصححه على شرط الشيخان.

* (عن) أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: ((**إذا أصبَحَ أحَدُكُم ولم يُوتِر فَلْيوتر**)).

** (واختلفوا) فى الوقت الذى يُقضى فيه (فعند) الحنفية: يُقضى فى غير أوقات النَّهْى[1]، (وعند) الشافعية: يقضى فى أى وقت من الليل أومن النهار، وعند مالك وأحمد: يقضى بعد الفجر[2] مالم تصل الصبح.

** (فعلى) الأخوة المسلمين أن يذكروا كل هذا وينفذوا المراد منه حتى يفوزوا بكل هذا الخير الذى وقفوا عليه من خلال ما استمعوا إليه (وحَسْبُهم) فى الختام أن يكونوا من المشار إليهم فى هذا الحديث القدسى الصحيح الذى رواه البخارى (عن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ ، عن ربه عز وجل، قال: ((**مَنْ عادَى لى وَليًّا، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلَىَّ عبدى بشيء أحبَّ إلَىَّ مما افترضتُ عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببته، كنتُ سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه**)).

** (هذا) بالإضافة إلى الفوز بأهم هدف من هذا التذكير وهو(قبول الصلاة) تامةً إن شاء الله.

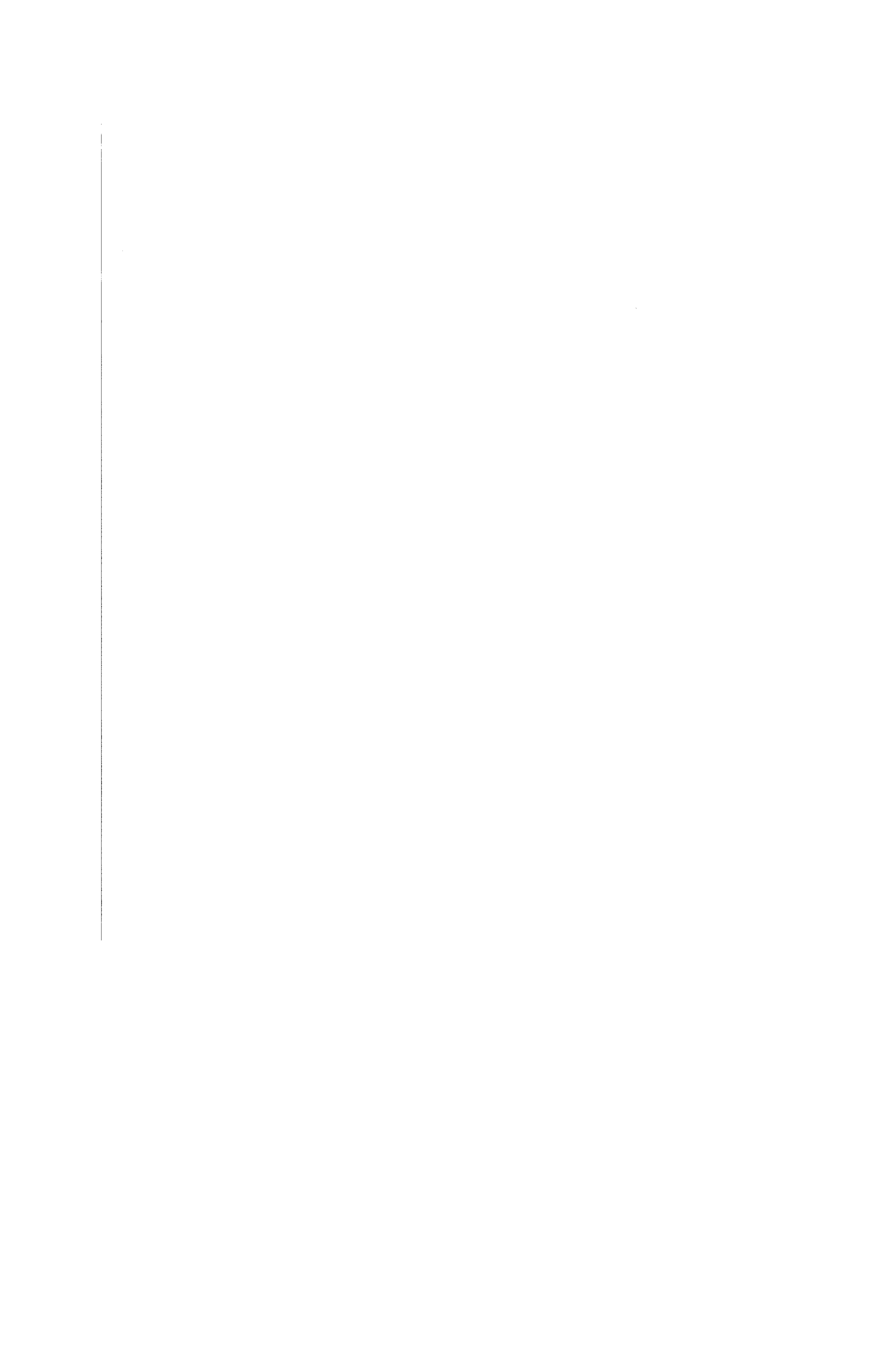
والله ولى التوفيق[3]

---

(١) وأوقات النهى، هى: عند شروق الشمس إلى ثلث ساعة، وقبل الظهر بحوالى ثلث ساعة، وقبل المغرب بحوالى ثلث ساعة.

(٢) أى بعد صلاة سنة الفجروقبل صلاة الصبح.

(٣) ملحوظة: على الأخ الخطيب أن يجعل من هذا الموضوع خطبة ودرسا بعد الصلاة إن شاء الله حتى لا يمل المستمعون.. مع تلخيص الخطبة الأولى فى الثانية ثم الدعاء بما يناسب المقام... وبإخلاص لله رب العالمين.



(٨)- خطبة أو درس

حول الحساب اليسير والعسير

الحمد لله القائل: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ* فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا**﴾ [الانشقاق:٧-٩] وأشهد أن سيدنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: ((**من نوقش الحساب عذب**)) قالت السيدة عائشة: فقلتُ: أليس يقول الله: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابا يَسِيرا *وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورا**﴾؟ فقال: ((**إنما ذلك العَرْضُ، وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك**)) أخرجه الشيخان والترمذى وأبوداود.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين كانوا يحاسِبون أنفسَهم قبل أن يحاسبوا حتى يكونوا يوم القيامة من الذين سَيُحاسَبون حسابا يسيرا... فكانوا هُداة مهدِيين، وقادةً منتصرين، وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿**رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ* لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [النور:٣٧، ٣٨] .

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه.. ففى هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى رأيت أن أذكركم ونفسى بموضوع هام أرى ضرورة أن ننتفع به قبل أن نفارق هذه الدنيا... ثم نرانا فى يوم القيامة فى موقف شديد أمام الله تبارك وتعالى لكى نُسأل عن كل صغيرة وكبيرة فعلناها فى هذه الحياة الأولى.

(فعن) أبى سعيد وأبى هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: **((يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله تعالى له: ألم أجعل لك سمعًا وبصرًا ومالا وولدا، وسَخّرتُ لك الأنعامَ والحرثَ وتَركْتُك ترأس وترتع ؟ أكنت تظن أنك مُلاقِيَّ يومَك هذا ؟ فيقول: لا. فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني))**[1]. أخرجه الترمذى وقال: صحيح غريب.

(وعن) أبى برزة الأسلمى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((لا تزولُ قدما عبدٍ حتى يُسأل: عن عمره فيمَ أفناه ؟ وعن علمه فيم فعل فيه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيم أبلاه ؟))** أخرجه الترمذى وقال: حسن صحيح. والطبرانى وأبونُعيم فى الحلية.

(فمن) هذين الحديثين الشريفين كما سمعنا نستطيع أن نتصور جميعًا ما فى موقف الحساب مِن أهوال وشدائد.. لا بد وأن يشغل بها كل مؤمن ومؤمنة حتى يحاسب نفسه قبل أن يحاسب.. (فقد) ورد كذلك:

* (عن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **((مَن كانت عنده مظلمة**[2] **لأخيه مِن عِرضه أوشيء منه فليتحَلَّلْه منه اليوم من قبل أن لايكون دينارٌ ولا درهم، إن كان له عَمَل صالح أُخِذ منه بقدر مظلمته. وإن لم تكن له حسنات أُخِذ من سيئات صاحبه فحُمِل عليه))** أخرجه أحمد والبخارى والترمذى.

* (وفى) يوم القيامة لن يكون هناك مجال للإنكار.. لأن القاضى سيكون هوالله تبارك وتعالى الذى لا تخفى عليه خافية.

(وقد) سُئل إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه: لِمَ زَهِدْتَ فى الدنيا يا إبراهيم؟ فقال لثلاثٍ: رأيتُ الطريق طويلا وليس معى زاد، الثانى: رأيت القبر مُوحِشا وليس معى مؤنس، الثالث: رأيت الجبار قاضيا وليس معى حُجة ولا مَنْ يدافِع عنى.

---

(١) أنساك: أى أتركك فى العذاب.

(٢) مظلمة: بفتح اللام: ما يطلبه المظلوم من الظالم.

* (وقد) يحتاج العاصى إلى من يشهد له أو عليه.. فيحقق الله تعالى له مطلبه.. حتى لا تكون له حجة:

* (فعن) أنس رضي الله عنه أنه قال: (كنا) عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال: **((هل تدرون مم أضحك؟))** قلنا: الله ورسوله أعلم. فقال: **((من مخاطبة العبد لربه، فيقول: يا رب ألم تُجِرْنى من الظلم ؟ يقول: بلى. فيقول: إنى لا أجيز على نفسى اليوم شاهدا إلا منى. فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا، والكرامِ الكاتبين شهودا.. فيُخْتَمَ على فِيه – أى على فمه – ويقول لأركانه: انطقى فتنطق بأعماله، ثم يُخلَّى بينه وبين الكلام.. فيقول: بُعدًا لَكُنَّ وسُحقا فعَنْكُنَّ كنت أُناضِل))** أخرجه مسلم.

** قال فى (الدين الخالص) ج ١ ص ٩٢:

** (واعلم) أنه سيشهد على العاصى أحد عشر شاهدا فى هذا اليوم المشهود: اللسان، والأيدى، والأرجل، والسمع، والبصر، والجلد، والأرض، والليل، والنهار، والحفظة الكرام، والمال:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور:٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ* حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت:١٩-٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [1] [ق:٢١]

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((يومئذ تحدث أخبارها))** [2] فقال: **((أتدرون ما أخبارُها ؟))** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **((فإن أخبارُها أن تشهد على كل عَبْدٍ أوأُمَةٍ بما عَمِل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا. قال: فهذه أخبارها))** أخرجه أحمد والبغوى وابن حبان والترمذى وصححه.

* (وعن) الحارث بن يزيد قال: سمعت ربيعة الجرشى أن النبى ﷺ

---

(١) سائق : ملك يسوقها إلى المحشر

شهيد : يشهد عليها بما عملت ... قاله عثمان بن عفان . فيما رواه الحاكم وابن المنذر .

(٢) سورة الزلزلة: الآية ٤.

قال: ((تَحَفَّظُوا من الأرض فإنها أُمُكُّم، وإنه ليس مِن أحدٍ عامِلٌ عليها خيرا أوشرا إلا وهي مخبرة)) أخرجه الطبراني.

* (وعن) أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: ((إن هذا المال خضر حلو، ونعم هولمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل، وإنه مَن يأخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع، ويكون عليه شهيدا يوم القيامة))أخرجه مسلم، وفى رواية لمالك: ((وإنه ليشهد يوم القيامة على مَنْ منع منه حقَّه)).

** (وقال) أيضا بعد ذلك فى (الدين الخالص):

* (والحكمة) فى ذلك: أن يعلم المرء أن لا ظُلم فى ذلك اليوم، وإظهارُ مراتِبِ أصحاب الكمال، فيزدادون سرورا على سرورهم، وإظهارُ فضائحِ أصحاب الشمال فيزدادون حَسْرة وندامة. (ثم) يقول: نسألُ الله السلامة...

(وحتى) نقول مثله: نسأل الله السلامة بصورة إيجابية.. فإننى أرى أن أستمع معكم إلى النص الذى ذكره الإمام الغزالى – رحمه الله – وكان قد أرسله ضمن رسالة: له[1]..إلى أحد الملوك ليعظه.. فقال: وقد قال نبينا محمد ﷺ : ((يحشر الأغنياء أربع فرق: رجل جمع مالا من حرام وأنفقه فى حرام.. فيقال: اذهبوا به إلى النار.. ورجل جمع مالا من حرام وأنفقه فى حلال.. فيقال: اذهبوا به إلى النار.. ورجل جمع مالا من حلال وأنفقه فى حرام.. فيقال: اذهبوا به إلى النار.. ورجل جمع مالا من حلال وأنفقه فى حلال.. فيقال: قفوا هذا واسألوه.. لعله ضيع بسبب غناه فيما فرضناه عليه.. أو قصر فى الصلاة، أو فى وضوئها، أو فى ركوعها، أو فى سجودها، أو فى خشوعها..؟ أو ضيع شيئا من فرض الزكاة والحج....

فيقول الرجل: جمعت مالى من حلال... وأنفقته فى حلال... وما ضيعت شيئا من حدود الفرائض، بل أتيت بتمامها..

---

(١) كما جاء فى كتاب: مع الله للشيخ محمد الغزالى عليه رحمة الله.

فيقال: لعلك باهيت بمالك.. واختلت فى شىءٍ من ثيابك ؟ فيقول: يا رب! ما باهيت بمالى.. ولا اختلت فى شئ من ثيابى.. فيقال: لعلك فرّطتَ فيما أمرناك من صلة الرحم وحقَّ الجيران والمساكين... وقصّرت فى التقديم والتأخير والتفصيل والتعديل..

*** ويحيط به هؤلاء، فيقولون: ربنا[1]... أغنيته من بين أظهرنا وأحوجتنا إليه، فقصر فى حقنا.**

يقول النبى ﷺ : **((فإن ظهر تقصيرُه ذُهب به إلى النار.. وإلا قيل له. قِف... ! هاتِ الآن شُكر كلِّ نعمةٍ.. وكلِّ شربة.. وكل لذة.. فلا يزال يُسأل ويُسأل...)).**

** ثم يقول الإمام الغزالى عليه رحمة الله مُعلِّقا على هذا الحديث: فهذه حال الصالحين المصلحين القائمين بحقوق الله.. فكيف حال المفرّطين المنهمكين فى الحرام والشبهات... ؟

** (هذا) وأستطيع مرة أخرى أن أعود إلى مقدمة موضوع الحساب فأذكّر بما جاء فى أوله.. فى (الدين الخالص).. حيث قال عن (الحساب): وهو توقيف الله تعالى عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم أقوالا وأفعالا واعتقادات تفصيلا بعد أخذهم كتابهم إلا من استُثنى [2].

وكيفية التوقيف أمر غيبي. والناس فيه متفاوتون:

(فمنهم) من.. يُحاسَب حسابا يسيرا يعرض عمله عليه. فيطلعه الله على سيئاته سِرًّا بحيث لا يطَّلِع عليها أحد ثم يعفوعنه ويأمُر به إلى الجنة

(ومنهم) من يُناقَش الحساب...بأن يُسأل عن كل جزئية ويطالب بالعُذر

---

(١) أى: يا ربنا.
(٢) وهم الأنبياء والصالحون والصبيان والشهداء.

والحُجة، فلا يجد عذرا ولا حجة فيهلك مع الهالكين. ويأمر الله تعالى منادٍ ينادى عليه بسيئات أعماله، فَيُفتَضح بين الخلائق.

(فعليك) أيها العقل أن تحاسِبَ نفسك قبل أن تُحاسَب، وتُبَادِرَ بالأعمال الصالحة قبل الفوات، وتصلَ ما بينك وبين ربك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وتؤمنَ بالحساب وتستعدَّ له.. قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧] وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَال هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ [الكهف:٤٩].

* (فلاحظ) كل هذا أخا الإسلام..

حتى تكون بسبب تنفيذ المراد منه إن شاء الله من المؤمنين الذين سيحاسبون حسابا يسيرا.. وأنت تسأل الله تبارك وتعالى دائما التوفيق.. وحسن الخاتمة لنا ولك ولجميع المسلمين والمسلمات إلى يوم الدين.

اللهم آمين

(٩) – خطبة أو درس

حول سورة العصر

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٩،١٠] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبدُ الله ورسوله وصَفِيُّه من خلقه وخليلُه الذى ورد عنه أنه قال: ((ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل))[١].

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين كانوا ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢] فكانوا هداة مهديين وقادة منتصرين، وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ* لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧، ٣٨] .

(أما بعد) ،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه.. لقد (قرأت) عن الإمام الشافعى ﷺ قوله: (لوتدبر الناس سورة العصر لكفتهم)[٢]: ولا شك أن كلامه هذا معناه أن أكثر الناس لا يتدبرون القرآن بصفة عامة.

(وقد) يكون السبب المباشر فى هذا.. (هو) الأقفال التى وضعت على أكثر

---

(١) قاله عثمان بن عفان فيما رواه الحاكم وابن المنذر.

(٢) السورة رقم ١٠٣ بترتيب المصحف.

القلوب.. كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤].. (ولهذا) فقد رأيت فى هذا اللقاء أن أكسِر معكم تلك الأقفال التى على أكثر قلوبنا حتى نتدبر معا سورة العصر التى يقول الله تعالى فيها ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإنسان لَفِى خُسْرٍ * إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]

(وهذه) السورة كما سمعنا سورة مكية[١] وآياتها ثلاث. (وهذه) السورة أيضا هى وسورة الكوثر أقصر سور القرآن.. وهما وإن كانتا من جهة الألفاظ قليلتان..فإن معانيهما كثيرة لا تقف عند حَدٍّ.

(ثم) إنَّ قولَه تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ أى: وحقِّ صلاة العصر، أووحقِ الدهر الذى كلُّه عِبَر وعِظات[٢].

(وهو) قَسَم من الله تعالى، وجوابه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الإنسان لَفِى خُسْرٍ﴾.

(وجاء) فى تفسير الجلالَين أن المراد به الدهر... (ثم) علق على هذا فى (حاشية الصاوى) بقوله: هذا أحد الأقوال الثلاثة التى ذكرها المفسر – وهى أنه الدهر، أوما بعد الزوال إلى الغروب، أوصلاة العصر – فى معنى العصر.. ووجه قسمه بالدهر أنه يحصل فيه السراء والضراء، والصحة والسقم، والغنى والفقر.. ونحوذلك.. ولأن العمر لا يُقَاوم[٣] بشىء فلو ضيعت ألف سنة فيما لا يعنى ثم ثبتت السعادة فى اللمحة الأخيرة بقيت فى الجنة أبد الآباد، فكان أشرفُ الأشياء حياتك فى تلك اللمحة، ولأن الدهر والزمان من جملة أُصول النِّعم (وقوله): أو ما بَعد الزوال[٤] إلى الغروب.. (أى) ووجه القسم به أن فيه العجائب... (وأيضا): يدرك المقصر فيه ما فاته أول النهار..

(وقوله): أو صلاة العصر.. (أى) فأقسم بها لشرفها ولأنها الصلاة

---

(١) ونقل عن قتادة وابن عباس أنها مدنية.
(٢) كما جاء بهامش المصحف للدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر.
(٣) أى لا يقوم بمال ولا غيره.
(٤) أى ما بعد الظهر.

الوسطى فى قولٍ بدليل ما فى مصحف عائشة وحفصة: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة:٢٣٨] صلاة العصر ولِما وَرَد: **((مَنْ فاتته صلاةُ العصر فكأنما وُتِر**[1] **أهله وماله)).**

(فقد) اختلف الفقهاء فى تعيين الصلاة الوسطى على عشرة أقوال[2]؛ أو أكثر، فقال جماعة: هى صلاة الصبح، لما فيها من المشقة ؛ ولأنها صلاة تَثقُل على كثير من الناس.

وممن قال بهذا عمر بن الخطاب، ومُعاذ بن جبل، وابن عباس، وابن عمر، وجابر، ومالك، والشافعى. (وقال) جَمعٌ غفير من الفقهاء والمحدثين: هى صلاة العصر..وقد رجّح كثير من المحققين هذا الرأى الأخير، لورود الأحاديث الصحيحة والصريحة بذلك.. والتى (منها):

* ما رواه مسلم وأحمد وأبوداود أن رسول الله ﷺ قال يوم الأحزاب: **((حَبَسونا عن الصلاة الوسطى – صلاة العصر – مَلَأ الله بيوتَهم وقبورَهم نارا)).**

* (وروى) ابن جرير من حديث أبى هريرة مرفوعا: **((الصلاةُ الوسطى صلاةُ العصر))**.. (و) طريق كهيل بن حرملة. سُئِل أبوهريرة عن الصلاة الوسطى، فقال: اختلفنا فيها ونحن بِفناء بيت رسول الله ﷺ ، وفينا هاشم بن عتبة، فقال: أنا أعلم لكم.. فقام فاستأذن على رسول الله ﷺ ، ثم خرج إلينا، فقال: أخبر أنها صلاة العصر[3].

** (وقيل): إن العصر الذى أقسم الله تعالى به، هو: زمان رسول الله ﷺ .. -فهو أعظم زمان – ولهذا فقد أقسم الله تعالى به كما أقسم بمكانه فقال:

* ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر:٧٢] (ففيه) تنبيه على أن عصره: أفضل العصور، وبلده: أفضل البلاد، وحياته: أفضل من حياة غيره.. (وقيل): العصر زمانه وزمان أمته – التى جعلها الله تعالى خير أمّة أخرجت للناس – (ولأن) زمانه أوعصره هو ختام العصور وأفضلها.. (وفيه) ظهور

---

(١) أى: فقد.

(٢) كما جاء فى الفقه الواضح ج ٢ ص ٢١ وما بعدها.

(٣) انظر: المنهل العذب المورود فى شرح سنن أبى داود ج ٣ ص ٣٢٤.

الساعة وعجائبها (فقد) ورد فى حديث أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال:

* **((إن من أشراط الساعة: أن يُرفَع العلم، ويظهرَ الجهلُ، ويفشو الزنا، ويُشربَ الخمر، ويكثُر النساء، ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة قَيِّم واحد))** أخرجه السبعة إلا أبا داود وقال الترمذى: حسن صحيح. (وعن) أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال:

* **((لا تقوم الساعة حتى يفيض المال، وتظهر الفتن، ويكثر الهَرْج [1]))** قالوا: وما الهرج يا رسول الله ؟ قال: **((القتل القتل القتل))** أخرجه ابن ماجه بسند صحيح. (وعنه) أيضا أن النبى ﷺ قال:

* **((لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن ويكثر الهرج – وهوالقتل – حتى يكون فيكم المال فيفيض))** أخرجه الشيخان وابن ماجه. إلى آخر تلك الأمارات التى ظهر بعضها الآن.. والتى نسأل الله تعالى أن ينجِّيَنا منها (والتى) منها كذلك: **((أن تلدَ الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رِعاء الشاء يتطاولون فى البنيان..))** [2]

(ولهذا) كما سمعنا أقسم الله تعالى بزمان الرسول ﷺ الذى فيه ما فيه من العجائب والآيات التى لا بد وأن نَذكُرَها وأن نذكِّر بها على الدوام.. ولو على سبيل العظة والاعتبار..(ثم) إذا كان جواب القسم كما سمعنا – فى أول الكلام – هوقول الله تعالى بعد ذلك: ﴿إِنَّ الإنسان لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر:٢]: فإن المراد بالإنسان هنا.. هوالجنس الشاملَ للمسلم والكافر.. (وذلك) لأن الإنسان لا ينفك عن خسران.. لأن الخسران.. هوتضييع العمر..فإن كل ساعة تمر من عمر الإنسان إما أن تكون تلك الساعة فى طاعة أو معصية.. فإن كانت فى معصية.. فهوالخسران المبين.. وإن كانت فى طاعة.. فلعل غيرها أفضل وهوقادر عليه..فكان فعل غير الأفضل تضييعا وخسرانا.. وأيضا:

---

(١) الهرج: بفتح فسكون. يقال: هرج الناس يهرجون من باب ضرج: أى وقعوا فى فتنة وقتل.

(٢) من حديث جبريل الذى رواه مسلم.

ربح الإنسان فى طلب الآخرة، وحبها والإعراض عن الدنيا.. فلما كانت الأسباب الداعية إلى الآخرة خفية.. والأسباب الداعية إلى حب الدنيا ظاهرة.. وكثر اشتغال الناس بحب الظاهر كانوا فى خسار وبوار.. قد أهلكوا أنفسهم بتضييع أعمارهم فيما لم يُخلَقوا له.

(وقد) أشار الله تبارك وتعالى فى القرآن الكريم إلى ملاحظة هامة لا بد وأن نفهم المراد منها فقال: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾[الكهف:١٠٣] فقوله: ﴿ بالأَخْسَرِينَ﴾ : جمع أخسر.. إما بمعنى أشد الناس خسرانا، أوبمعنى خاسر.. وأعمالا: تمييز طابَقَ المُمَيَّز.. أى جُمِع لمُشَاكَلَة مُمَيِّزه.. ثم بينهم بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[الكهف:١٠٤] أى بطل عملهم.. لأن شرط الثواب الإسلام.. والكُفر لا تنفع معه طاعة. ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾ أى يظنون ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ أى عملا يجازون عليه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بآياتِ رَبِّهم﴾ أى بدلائل توحيده من القرآن وغيره ﴿وَلِقَائِهِ﴾ أى: وبالبعث والحساب والثواب والعقاب ﴿ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُم﴾أى بطلت ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾ أى: لا نجعل لهم قدرا ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾[الكهف:١٠٦] أى مهزوءًا بها.. (ثم) بعد ذلك يقول سبحانه وتعالى آيتين سنحتاج إليهما بعد ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً *خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨] .

* (ثم) بعد ذلك نعود إلى المعنى المراد من كلمة ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾فقد قيل: أى: غبْن، وقيل: هلكة، وقيل: عقوبة، وقيل: شر، وقيل: نقص.. والمعنى متقارب.

وقيل: المراد الإنسان الكافر بدليل استثناء المؤمنين بعد.. فى قوله تعالى: ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ وهذا الاستثناء إنْ أُريد به الإنسان – أى جنس الإنسان – فهومتصل، وإن أُريد به خُصوص الكافر فهومنقطع.. لأن المؤمنين لم يدخلوا فى عُموم الخُسران.

(ومعنى) قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الكهف: ١٠٧] أى: امتثلوا المأمورات واجتنبوا المنهيات..

(وقد) أشار فى (حاشية الصاوى) إلى ملاحظة هامة قال فيها: (واعلم) أنه سبحانه وتعالى حكم بالخسران على جميع الناس إلا من أتى بهذه الأشياء الأربعة، وهى: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصى بالحق، والتواصى بالصبر.

(والحِكمة) فى ذلك أن هذه الأمور اشتملت على ما يخص الإنسان فى نفسه، وهو الإيمان والعمل الصالح، وما يخص الإنسان فى غيره وهو التواصى بالحق والتواصى بالصبر.

(فإذا) جَمَع ذلك فقد قام بحق الله وحق عباده.

**ومعنى (التواصى بالحق) أى الإيمان، (والتواصى بالصبر) أى على الطاعة وعن المعصية.. وعلى البلايا والمصائب.. إلى آخره.. (وقد) ورد أن الذين أمنوا وعملوا الصالحات فى العصر الأول كانوا إذا التقى أحدُهم بأخيه وقبل أن يَنصَرِف كان يقرأ على أخيه سورة العصر.

(فلنكن) نحن كذلك من المنتفعين بسورة العصر.. ولْنقرأها كذلك على أنفسنا عند المغادرة.

والله ولى التوفيق

(١٠) – خطبة أو درس

حول الآية: رقم ٩٠ من سورة النحل

الحمد لله القائل: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، وقال: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ[1] وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨] وقال: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [الحج: ٧١].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبدُ الله ورسوله وصَفِيُّه مِنْ خلْقه وخليلُه القائل: ((**اتقوا الظُّلْمَ فإن الظلمَ ظُلُماتٌ يومَ القيامة، واتقوا الشُّح [2] فإن الشُّح أهْلَكَ مَنْ كان قَبلَكُم حملهم على أن سَفَكوا دمائهم واسْتَحلُّوا محارِمَهُم**)) رواه مسلم عن جابر ﷺ . اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين كانوا يتقون دعوة المظلوم، ويصلون الأرحام، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.. فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين، وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: :﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ* لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧، ٣٨].

(أما بعد) ،

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه.. (فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى.. (رأيت) أن يكون لقائى معكم حول آية كريمة من سورة النحل يأمرنا فيها سبحانه وتعالى بأمور ثلاثة، وينهانا عن أمور ثلاثة، فيقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإحسان وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْى يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠] .

---

(١) أى قريب مشفق.

(٢) وهو البخل مع الحرص على جمع المال.

(فهذه) الآية كما قال ابن مسعود رضي الله عنه[1]: أَجْمَعُ آية فى القرآن فى الخير والشر.. (وهذه) الآية من ثمرات قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] حتى قال العلماء: إن لم يكن فى القرآن غير هذه الآية لكفت فى البيان والهدى والرحمة.. لأنها آمِرةٌ بكل خير، ناهِية عن كل شر.

** (هذا) وإذا كان الله تبارك وتعالى قد أمرنا فى أول الآية (بالعدل)، فإن العدل كما فسره ابن عباس رضي الله عنهما، هو (التوحيد) أى شهادة أن لا إلا الله وأن محمدًا رسول الله (وهو) أيضا كما ورد عنه: خلع الأنداد.

(والإحسان): **((أن تعبد الله كأنك تراه))**[2]، **((وأن تحب لأخيك ما تحب لنفسك))**[3] فإن كان مؤمنا تحب أن يزداد إيمانا وإن كان كافرا تحب أن يكون أخاك فى الإسلام.

(وفى) رواية: (العدل): التوحيد، والإحسان: الإخلاص.. وكُلّ هذا أفاده المفسِّر فى (الجلالين) بقوله: التوحيد والإنصاف.. أي فى كل الأمور...

(فالإنصاف) فى التوحيد: اعتقاد أن الله تعالى مُتَّصِف بكل كمال، مُنَزَّه عن كل نَقْص.. (والإنصاف) فى الاعتقاد: نِسبة الأفعال كلها لله، ونِسبة الكَسْبِ للعبيد خلافا للجبرية والمعتزلة.. (فالفرقة) الأولى نفت الكسب أصلا وقالوا: العبد كالخيط المعلق فى الهواء لا فعل له أصلا، وتعذيب الله له ظلم، وهؤلاء كفار (والفرقة الثانية): قالوا: العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية، وهؤلاء فُسّاق.. وكلا المذهبين جور[4]...

(والإنصاف): نسبة الأفعال كلِّها لله خيرِها وشرها ظاهرها وباطنِها.. (ولكن) من الأفعال ما هو جَبْرِيٌّ.. (وهذه) لا كَسْبَ للعبد فيها.. (ولذا) لا يُثاب عليها ولا يعاقب (ومنها) ما هو اختيارى (وهذه) للعبد فيها نوع كَسْبٍ.. (ولذا) يثاب عليه (إن) كان خيرا.. ويعاقب عليه (إن) كان شرًّا..

---

(١) كما جاء فى حاشية الصاوى على الجلالين ج٢ ص ٢٥١، ٢٥٢.. بتصرف.

(٢) من حديث رواه مسلم.

(٣) من حديث رواه البخارى ومسلم وهو الحديث الثالث عشر من الأربعين النووية.. فارجع إليه.

(٤) أى ظلم.

(وهـذا) مـذهب أهـل السـنة.. خـرج مـن بـين فـرث ودم لبنـا خالصـا سـائغا للشاربين[1].

(والإنصاف) فى العبادات: عدم التفريط والإفراط فيها.. (بـل) يكـون بين ذلك قواما[2].

(والإنصاف)فى النفقات:أن لا يُسرِف ولا يَقْتُر..قال تعالى:﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا**﴾ [الإسراء:٢٩].

(والإنصاف) بين عباد الله.. أن يَقسِم لزوجاته، وينصر المظلوم على الظالم، ويعامل الخلق باللطف والرفق وغير ذلك.

** (هذا)، وإذا كان لى أن أُعلّق على مضمون كـل هـذا.. (فـإننى)أرى أن أُذكِّـر بـبعض الأحاديـث الشريفـة المرغبـة فى العـدل الـذى هوالإنصـاف.. والمرهِّبة مِن عكسه وهوالظلم الذى حرمـه الله تعـالى عـلى نفسـه وجعلـه بيننـا محرما، فقال فى الحديث القدسى: ((يا عبـادى إنـى حَرّمـتُ الظلـمَ عـلى نفسـى وجعلته بينكم محرَّمـا فـلا تَظـالمو..))[3] (فمعنـى): ((لا تظـالموا)): أى: لا يظلـم بعضكم بعضا.

* (وعن) عائشـة رضى الله عنهـا أن رسـول الله ﷺ قـال: ((**مـن ظَلَـم قَيْـدَ شِبر[4] مِن الأرض طُوِّقه مِن سَبع أَرَضِين[5]**))متفق عليه.

* (وعن) أبى موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((**إن الله لَيُمْلِى[6] للظالم فإذا أخذه لم يفلته[7]، ثم قرأ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْـذُ رَبِّـكَ إِذَا أَخَـذَ الْقُـرَى[8] وَهِـيَ ظَالِمَـةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[9]**)) [هود:١٠٢] متفق عليه.

---

(١) النحل: من الآية ٦٦.
(٢) أى: وَسَطًا.
(٣) وهومن حديث صحيح رواه مسلم عن أبى ذر رضي الله عنه عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل.
(٤) أى: قدر.
(٥) أى: كلفه الله نقل ما ظَلَم منها كالطوق للعنق.
(٦) أى: ليمهل للظالم.
(٧) أى: لم يخلصه من العذاب.
(٨) أى أهلها.
(٩) أى: موجع غير مرجو الخلاص منه.

* (وعن) أبى أُمامة إياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **((من اقتطع[1] حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجَبَ الله له النار وحَرَّم عليه الجنة))**، فقال رجل: وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله ؟ فقال: **((وإن كان قضيبًا مِن أَرَاكٍ[2]))** رواه مسلم.

** (فعلى) الأخوة المسلمين أن يلاحظوا كل هذا ويذكروه حتى يكونوا من أهل العدل الذى إن دام عمّر.. وأما الظلم الذى هوعكسه.. فإنه إن دام دمَّر.

** (وأما) عن الإحسان: (فهو): (مع الله) أداء فرائضه على الوجه الأكمل (والإحسان)مع عباده سبحانه وتعالى: أن تعفوعن مَن ظلمك، وتعُطى مَن حرمك، وتَصلَ من قطعك.

(وهو) أيضا كما جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم: **((أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك))** .

(والمعنى) أن تعبد الله ملاحظا لجلاله كأنك تراه ببصرك،(وهذا) مقام المشاهدة.. فإن لم تصل لهذه المرتبة فلاحظ أنه يراك، وأنك فى حَضْرَتِه، (وهذا) مقام المراقَبَة (فمَثَل) المشاهد: كالبصير الجالس فى حضرة الملك.. (فأدبه) من جهتين: كونه رائيا الملك، وكون الملك رائيا له (ومثل) المراقب: كمثل الأعمى الجالس فى حضرة الملك (فأدبه) من جهة ملاحظته كون الملك رائيا له.

(والفرق) كما سمعنا كبير بين المشاهد والمراقب.. (فلنكن) من الفائزين بمرتبة المشاهدة حتى نكون كالبصير الجالس فى حضرة الملك.

** (وأما) عن إيتاء ذى القربى فإن المراد من الأمر بإيتائهم (هو): التصدق عليهم.. لأنهم أَوْلَى مِن غيرهم وقد ورد فى الحديث **((أن أعجل الناس ثوابا صلة الرحم))**.

---

(١) **اقتطع**: أى أخذ وكذا سائر الحقوق.

(٢) أى سواكًا من خشب الأراك.

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لا يَجزِى**[1] **ولدٌ والدا إلا أَنْ يجدَه مملوكا فيشتريه فيعتقه**)) رواه مسلم.

* (وعنه) أيضا رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرِم ضيفَه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلْيَصِل رَحِمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليَقُل خيرا أولِيصْمُت**)) متفق عليه.

* (وعن) أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**من أحب أن يبسط**[2] **له فى رزقه ويُنْسَأ له**[3] **فى أثره فليصِلْ رحمه**)) متفق عليه.

(وقد) قرأتُ فى فقه السنة ج٣ ص ١٦٨ تحت عنوان:

أَوْلَى الناس بالصدقة

(إنّ) أولى الناس بالصدقة أولادُ المتصدِّق وأهلُه وأقاربُه، ولا يجوز التصدق على أجنبى وهو محتاج إلى ما يتصدق به لنفقته ونفقة عِياله:

(فعن) رسول الله ﷺ قال: ((**إذا كان أحدكم فقيرا فليبدأ بنفسه، وإن كان فَضْلٌ فعلى عياله، وإن كان فضل فعلى ذَوى قرابته أوقال: ذوى رحمه، وإن كان فَضْلٌ فهاهنا، وهاهنا**)) رواه أحمد ومسلم.

* (وذوى القربى) هم المرتبة الأولى التى ينبغى علينا أن نعطيهم من أموالنا – على سبيل الإنفاق – كما جاء فى آية البر التى يقول الله تبارك فيها:

﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ**[4] **مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ**[5] **ذَوِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِى الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِى الْبَأْسَاءِ**[6] **وَالضَّرَّاءِ**[7] **وَحِينَ الْبَأْسِ**[8] **أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٧٧].

---

(١) أى: لا يكافئ.
(٢) أى: يُوسِّع.
(٣) أى يؤخر له فى أَجَله وعُمره.
(٤) أى ذا البر.
(٥) أى على حبه لله، أوعلى حبه للمال.
(٦) أى الفقر.
(٧) أى الأمراض.
(٨) أى حين القتال.

(فلنكن) جميعا إن شاء الله من أهل البر الذين سيصلون ذوى قرابتهم وهم أُولو الأرحام الذين هم الأخ والأخت، والخال والخالة، والعم والعمة.. ومن جاء منهم من الأبناء والأحفاد.

(وأما) عن (الفحشاء) وهى أول المنهيات الثلاثة، وهى الزنا..الذى حرمه الله تعالى فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّى الْفَوَاحِشَ[1] مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

** (وقد) ورد فى السنة الصحيحة: (عن) ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أَىُّ الذنْبِ أعظم ؟ قال: ((**أن تجعل لله نِدًّا وهو خَلَقك**)) قلتُ: إن ذلك لَعَظيم. قلتُ:ثم أى ؟ قال: ((**أن تقتل وَلَدك مخافَةَ أن يَطْعَمَ مَعَك**)) قلتُ: ثم أى ؟ قال: ((**أن تُزانى حَلِيلَةَ جارِك**)) أخرجه الشيخان وغيرهما.

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((**لا يَزْنِى الزَّانى حين يَزْنِى وهومؤمِنٌ ولا يَسْرِق السارق حين يسرق وهومؤمن ولا يَشرَبُ الخمر حين يشرب وهومؤمن**)) رواه البخارى ومسلم، زاد النسائى فى روايته: ((**فإذا فعل ذلك فقد خلع رِبْقَة[2] الإسلامِ عن عُنُقه**)).

** (فعلى) الأخوة المسلمين أن يَعِفُّوا أنفسهم عن الزِّنا حتى تَعِفَّ نساؤهم.. كما قال الإمام الشافعى رضي الله عنه:

عِفُّوا تَعِفُّ نساؤكم فى المَحْرَم … وتجنَّبوا ما لا يليق بمُسْلِم

أَنَّ الزنا دَينٌ فإن سَلَّفْتَه[3] … كان الوفا مِن أهل بيتك فاعلَم

مَنْ يزن بامرأة بألْفَىْ درهم … فى بيته يُزْنَى بغير الدّرهم

مَنْ يزنِ يُزْنَ به ولو بجداره … إن كنت يا هذا لبيبًا فافْهَم

(١) والفواحش: أى الأفعال القبيحة:كالزنا والسرقة والقتل.

(٢) أى خرج عن حدوده التى التزمها.

(٣) أو أقرضته.

يـا هاتكـا حُـرُم الرجـالِ وكاشـفًا سِـتْرَ الحرائـر عِشْـت غـير مُكَـرَّم

لوكنـت حُـرًّا مـن سُـلالة طـاهر مـا كُنـتَ هَتَّاكًـا لحرمةمُسْـلِم

* (أما) عن النهى الثانى من المنهيات الثلاث، وهو(المُنكَر) الذى هوشرعا من الكفر والمعاصى.. ويدخل فيه الزنا وغيره.. فهوتعميم بعد التخصيص.

(ولهذا) كان لا بد وأن نجتنب المعاصى والمخالفات.. حتى لا نكون من الملعونين الذين تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ* كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٨، ٧٩]،

(مع) ملاحظة قول القائل:

تَـعصِى الإلـهَ وأنـتَ تُظهِـرُ حُبَّـه هـذا لَعَمْـرِى فى القيـاس بَـدِيعُ

لـو كـان حقًّـا صـادقا لأطعتـه إن المُحِـبَّ لِمَـن يُحِـبُّ مُطِيـعُ

** (وأما) عن النهى الثالث من المنهيات الثلاث، فهو(البغى) أى الظلم للناس، وقد خصه بالذكر اهتماما به كما بدأ بالفحشاء.. لأنه أعظم المعاصى بعد الكفر (ولذا) قال بعض العلماء: أعجل العقوبة على المعاصى عقوبة البغى (وفى) الحديث: **((لوأن جبلين بغى أحدهما على الآخر لانتقَم اللهُ مِن الباغى))** (وفيه) أيضا: **((الظلمة وأعوانهم كلاب النار))**.

(هذا) وإذا كان المفسر قد ذكر أن الله تعالى قد خصَّ البغى بالذكر اهتماما به كما بدأ بالفحشاء كذلك.. (أى) اهتماما بها لأن الزنا فيه ضياع الأنساب والأعراض، ويترتب عليه المَقْتُ والعقوبة من الله، قال تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء:٣٢]. (ثم) إذا كان الله تبارك وتعالى يقول فى ختام الآية: ﴿يَعِظُكُم﴾ [البقرة: ٢٣١] (أى بالأمر والنهى) ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢] [1] أى تتعظون.

---

(١) أى: تتذكرون. قلبت التاء ذالا وأدغمت فى الذال.

(وقد) ورد أن النبى ﷺ قرأ هذه الآية[1] على الوليد بن المغيرة، فقال: أعدها يا محمد، فلما قرأها قال: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أَسْفَلَه لَمُغْدِقٍ وما هوبقول البشر.

** (ولكون) هذه الآية العظيمة أَجْمَعُ آية.. (فقد) استعملها الوعاظ فى آخر الخطبة... غالبا[2].

** (فلنكن) إن شاء الله تعالى من المنتفعين بهذه الآية الكريمة التى نسأل الله تعالى أن يجعلها حجة لنا لا علينا.

اللهم آمين

(١) وهى الآية ٩٠ من سورة النحل موضوع الخطبة.
(٢) لعل أول من فعل ذلك هو عمر بن عبد العزيز فليراجع فى سيرته .

(١١) – خطبة أو درس

حول التحذير من اللغو فى الأقوال والأفعال

الحمد لله القائل ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل فى وصف عبادة الذين يستحقون رحمته: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبدُ الله ورسوله وصفيه وخليله القائل: ((مِنْ حُسن إسلام المَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يَعنْيه))(١).

أى: تركه ما لا يُهِمَّه من أمر الدنيا من الأفعال والأقوال.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين كانوا ﴿عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[المؤمنون: ٣] فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين، وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ* لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧- ٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه.. ورد عن الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قال لأبى ذر ﷺ (عن) صُحُف إبراهيم – عليه السلام – قال: ((**كانت أمثالا كلها.. كان فيها: أيها السلطان المغرور، إنى لم أبعثك لتجمع المال بعضها على بعض، ولكن بعثتك لِتَرُدَّ عنى دعوة المظلوم، فإنى لا أردها ولوكانت من كافر،** (وكان) **فيها: على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له أربع ساعات: ساعة يناجى فيها ربه، وساعة يتفكر فى صنع الله تعالى، وساعة يحدّث فيها نفسه، وساعة يخلو بذى الجلال والإكرام، وإن تلك الساعة عون له على تلك الساعات،** (وكان) **فيها:**

---

(١) حديث حسن رواه الترمذى وغيره هكذا.

على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله ألا يكون ظاعنا[1] إلا فى ثلاث: تزوّد لمعاد، ومؤنة لمعاش، ولَذَّةٍ فى غير محرم. (وكان) فيها: على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله، أن يكون بصيرا لزمانه، مقبلا على شأنه، حافظا للسانه (ومن) حسب الكلام من عمله يوشك أن يُقِلَّ الكلام إلا فيما يعنيه)).

* قال: بأبى وأمى[2]، فما كان فى صحف موسى؟ قال ﷺ : ((كانت عبرا كلها، (وكان) فيها عجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك! وعجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح ! وعجبا لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها وهو يطمئن إليها! وعجبا لمن أيقن بالقدر ثم هويغضب ! وعجبا لمن أيقن بالحساب غدا وهو لا يعمل)) قلت بأبى وأمى، هل بقى مما كان فى صحفهما شئ؟ ((قال نعم يا أبا ذر)): ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى *[3] بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٤-١٩] قلت: بأبى وأمى،أوصنى، قال: ((أوصيك بتقوى الله فإنها رأس أمرك كله)) [4]، قال: قلت: زدنى، قال: ((عليك بتلاوة القرآن، واذكر الله كثيرا؛ يذكرك فى السماء))، قلت:زدنى،قال: ((عليك بالجهاد فإنه رهبانية المؤمنين))، قلت: زدنى، قال: ((عليك بالصمت فإنه مطردة[5] للشياطين عنك وعون لك على أمر دينك))، قلت: زدنى، قال: ((قل الحق ولوكان مُرًّا))، قلت: زدنى، قال: ((لا تأخذك فى الله لومة لائم))، قلت: زدنى، قال: ((صِلْ رَحِمَكَ وإن قَطَعُوك))، قلت: زدنى، قال: ((بحسب امرئ من الشر ما يجهل من نفسه ويتكلف ما لا يعنيه، يا أبا ذر، لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكَفِّ، ولا حُسن كحسن الخُلُق))[6].

* (ودخل) رجل على الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وقال له: عظنى، فقال له:

---

(١) ظعن فلان ظعنا: أى سار وارتحل.
(٢) أى قال أبوذر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ بعد ذلك.
(٣) تزكى: أى تطهر.
(٤) أى أن التقوى بالنسبة للعبادات كالرأس بالنسبة للجسد... وقد ورد: فإنها..
(٥) بكسر الميم.
(٦) شرح الأربعين النووية الحديث رقم ١٢.

- إن كان الله تعالى تَكَفَّل بالرزق فاهتمامك لماذا؟
- إن كان الخُلف على الله فالبُخْل لماذا؟
- وإن كانت الجنة حقّا فالراحة لماذا؟
- وإن كانت النار حقا فالمعصية لماذا؟
- وإن كان سؤال منكر ونكير حقّا فالأُنس لماذا؟
- وإن كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا؟
- وإن كان الحساب حقّا فالجَمْعُ لماذا؟
- وإن كان كل شيء بقضاء وقدر فالخوف لماذا؟(1).

** (فإذا) كانت هذه هى الخلاصة، أو هى الأساسيات التى ينبغى علينا نحن المؤمنون أن نشغل بها عن جميع الشواغل الدنيوية التى لا تؤدى فى النهاية إلا إلى الخسران المبين المشار إليه فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً* الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف١٠٣، ١٠٤]، (فإننى) أرى وبعد هذا التقديم (أن) أعيش مع الإخوة المستمعين وبإيجاز – حول الصفة الثانية من صفات المؤمنين، وهى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون:٣] أى: عن الكلام الذى لا فائدة فيه مبتعدون، والمُراد به كذلك كل ما يعود على الإنسان منه فائدة فى الدين أوالدنيا.. سواء كان هذا، قولا، فعلا، أومَكْروها، أومُباحًا، كالهَزْلِ، واللعب، وضياع الأوقات فيما لا يعنى، والتَّغوُّل فى الشهوات، وغير ذلك مما نهى الله عنه.

وبالجملة فينبغى للإنسان أن يُرى ساعيا فى حسنة لمعاده، أودرهم لمعاشه، ومن حُسْن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. (وإذا) كان هذا هوالمشار إليه إجمالا فى أول هذا التذكير.. (فإنه) ينبغى علينا نحن كذلك أن نتخذ لنا منهجا نسير على هداه (وذلك) من خلال هَدْى رسول الله ﷺ الذى أوصانا الله تعالى أن نقتدى به فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ

---

(١) شرح الأربعين النووية ص ١٧ الحديث الثانى.

وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ [الأحزاب:٢١] (وحسب) الأخ المسلم أن يقرأ مثلا عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه كان يقول: ((أيها الناس، كأن الموت فيها على غيرنا قد كُتب، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وَجَب،وكأن الذى نُشيِّع من الأموات قومٌ سَفْرٌ عمّا قليل إلينا راجعون،نبوئُهم أَجْداثَهُم[١] ونأكُل من تُراثِهِم كَأَنَّا مُخَلَّدون بعدهم. قد نسينا كل واعظة، وأَمِنَّا كُلّ جائِحَة[٢]، طُوبَى لمن شغله عَيْبُه عن عيوب الناس. طوبى[٣] لمن طاب كَسْبُه، وصَلَحت سريرته، وحسُنت علانيته، واستقامت طَوِيَّته. طوبى لمن تواضع لله فى غير مَنقصه، وأنفق مالا جمعه فى غير معصية. وجالس أهل الفقه والحكمة، وخالط أهل الذل والمسكنه. طوبى لمن زَكَتْ نفسُه، وحسنت خليقته، وطابت سَريرته وعزل عن الناس شره، طوبى لمن أنفق الفضل[٤]من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السُّنة، ولم تستهوه البدعة)) أخرجه أبونعيم، وقد ورد بألفاظ متقاربة.

** (وقد) قال أيضًا فى خطبة أخرى رواها أبوالدرداء: ((توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشْغلَوا. وصِلوا الذى بينكم وبين ربكم تَسْعدوا. وأكثروا الصدقة ترزقوا، وأمروا بالمعروف تَخصبوا، وانهوا عن المنكر تُنصَروا. أيها الناس إنّ أَكْيَسَكَم[٥] أكثرُكم ذِكْرا للموت، وأكرمُكم استعدادا له. ألا وإن من علامات العقل التجافى عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والتزود لسُكْنَى القبور، والتأهُّب ليوم النشور)). أخرجه ابن ماجه.

** (ففى) هاتين الخطبتين الجامعتين – كما سمعنا – ركز النبى ﷺ على أهم الأخلاقيات الكريمة.. التى لو تخلقنا بها، وكنا من الحريصين على تنفيذ

---

(١) الأجداث: جمع جدث: وهوالقبر، أى ننزلهم قبورهم، والأجداث: هى المقابر.

(٢) الجائحة: الآفة المهلكة.

(٣) طوبى لهم: أى النجاح والفلاح لهم، وقيل: اسم شجرة فى الجنة.

(٤) أى الزائدة.

(٥) الكَيْسَ: بفتح فسكون: الفطنة والعقل.

المراد منها.. لكنا فى شغل شاغل عن كل لغو باطل فى الأقوال أوالأفعال.. ولكنا كذلك من أكيس الناس الذين عرفوا أن الدنيا بكل ما فيها من متاع زائل.. لا تساوى عند الله جناح بعوضة.. كما ورد عن الحبيب المصطفى ﷺ فى شأنها.. إلى أن يقول: **((ولوكانت تَزِن عند الله جناح بعوضة ما سَقَى كافرا منها شربة ماء))**.

** (ولهذا) كما سمعنا فى نص الخطبتين (فقد) أوصانا النبى ﷺ بأن نُخرِج حُبَّ الدنيا من قلوبنا.. وأن نستعد دائما وأبدا للحظة الرحيل منها إلى الآخرة التى هى دار القرَار والتى أشار الله تعالى إليها فى قوله تعالى: **﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِى الْحَيَوَانُ﴾**أى لهى الحياة الحقيقية **﴿لَو كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾** [العنكبوت: ٦٤]

(وقد)ورد كذلك فى السُّنة: (عن) ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنكبى فقال: **((كن فى الدنيا كأنك غريب أوعابر سبيل))**، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك . رواه البخارى.

* (فقوله) ﷺ : **((كن فى الدنيا كأنك غريب أوعابر سبيل))**: أى لا تركن إليها ولا تتخذها وطنا، ولا تُحدِّث نفسك بالبقاء فيها، ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق الغريب به فى غير وطنه الذى يريد الذهاب منه إلى أهله، وهذا معنى قول سلمان الفارسى رضي الله عنه : أمرنى خليلى ﷺ أن لا أتخذ من الدنيا إلا كمتاع الراكب.. ولله دَرُّ مَنْ قال:

أتبنى بناء الخالدين وإنما ... مقامُك فيها لو عقلت قليلُ
لقد كان فى ظِلّ الأَراكِ كفاية ... لمن كان فيها يعتريه رَحِيلُ

*(نعم) وحسب الإنسان العاقل أن يذكر هذه الدنيا بكل ما فيها من متاع.. لا تساوى لحظة واحدة من التفكير فيها، أوالانشغال بها.. عن طريق لغوباطل، أولهوأولعب، أوانصراف عن طاعة الله إلى طاعة الشيطان الذى

يدعو حزبه ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦] .

** (فعلى) الأخ المسلم أن ينتفع بكل هذا التذكير الذى أرجو أن يشغل به عن اللغو بكل أنواعه.. (وليكن) الموت دائما أبدا هو الواعظ الحقيقى الذى يفرق الجماعات، ولله در من قال:

ألا أيها الناسى ليوم رحيله	أراك عن الموت المفرِّق لاهيا
ولا ترعوى بالظاعنين إلى البُكَى	وقد تركوا الدنيا جميعا كما هيا
ولم يخرجوا إلا بقُطنٍ وخِرْقَةٍ	وما خلفوا من مَنزلٍ ظلّ خاويا
وهم فى بطون الأرض صَرْعَى جفا همو	صديقٌ وخِلٌّ كان قبل موافِيا

** (ولنذكر) جميعا قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ [1] فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ [الإسراء:١٣،١٤]: عسى أن يكون هذا القول الكريم سببا فى انشغالنا عن جميع الملذات والشهوات.

والله ولى التوفيق.

(١) وطائره: أى عمله.

(١٢) – خطبة أو درس
حول الصفة الثالثة من صفات المؤمنين

وهى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون:٤] .

الحمد لله القائل: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات:٥٥] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبدُ الله ورسولُه وصفيه وخليله القائل: **((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أنّ لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا عصموا منى دماءهم وأموالهم بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى))** رواه البخارى ومسلم (عن) ابن عمر رضي الله عنهما .

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين كانوا يؤدون زكاتهم بدون مَنٍّ أوأذى.. فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين، وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه تعالى عنهم فى قوله:﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ* لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[النور٣٧:٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه. (فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى رأيت أن أذكركم ونفسى بالصفة الثالثة من صفات المؤمنين، وهى الآية الرابعة من السورة التى سميت باسمهم.. تلك التى يقول الله تعالى فيها: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون:٤] أى مُؤَدّون.. (وقد) أمر الله تعالى حبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه..بأن يأخذها من أغنياء المسلمين ليعطيها لفقرائهم..فقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[التوبة: ١٠٣] .

(وقد) روى الجماعة (عن) ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ لما بَعث مُعاذ بن

جَبَل ﷺ إلى اليمن[1] قال: ((**إنك تأتى قوما أهل كتاب، فَادْعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأَعْلمهم أن الله عز وجل افترض عليهم خمسَ صلواتٍ فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صَدَقةً فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وتُرَدُّ إلى فُقَرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكَرائِم[2] أموالهم، واتّقِ دعوةَ المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**)).

* (وروى) الطبرانى فى الأوسط والصغير (عن) عَلِى كَرَّم الله وجهه، أن النبى ﷺ قال: ((**إن الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم، ولن يَجْهَد الفقراء إذا جاعوا أوعروا إلا بما يصنع أغنياؤهم، ألا وإن الله يحاسبهم حسابا شديدا، ويعذبهم عذابا أليما**)).

* (هذا) وإذا كان لى أن أقف هنا وقفة إيجابية.. (فإننى) أريد أن أذكر الأخ المسلم.. بأن المعنى المراد من قول الرسول ﷺ ((**ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أوعروا إلا بما يصنع أغنياؤهم**))، هوأن الجهد والمشقة من الجوع والعُرْىِ لا يصيب الفقراء إلا ببخل الأغنياء.. أى أن كل ضيق أوكرب فى حياة الفقراء والمساكين المسلمين لا يكون إلا بسبب عدم حرص عدد كبير من أغنياء المسلمين على إعطاء إخوانهم المحتاجين حقوقهم المشرعة التى جعلها الله تعالى فى أموالهم اختبارا لإيمانهم.. كما أشار الله تعالى إلى هذا فى قوله، أووصفه للمتقين:

* ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَعُيُون *آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ[3] *وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ[4] * وَفِى أَمْوَالِهِمْ[5] حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾ [الذاريات ١٥-١٩] ، أى أن الله تبارك وتعالى جعل

---

(١) واليا أو قاضيا سنة عشر من الهجرة.

(٢) أى نفائس الأموال.

(٣) أى ما ينامون.

(٤) أى الجزء الأخير من الليل.

(٥) أى وفى أموالهم حق لمن يسأل غيره المساعدة، وللفقير الذى يتعفف عن السؤال.

أخص صفات الأبرار الإحسان، وأن مظهر إحسانهم يتجلى فى القيام من الليل والاستغفار فى السحر تعبدا لله وتقربا إليه، كما يتجلى فى إعطاء الفقير حقه رحمة به وحنوًّا عليه.

** (فلا بد) إذن أن نفهم المراد من هذا المدح القرآنى للمتقين حتى نحرص أن نكون على شاكلتهم.. ولك بإيتاء الزكاة التى ستكون مدخرة لنا عند الله تعالى أضعاف ما تصدقنا به.. وقد:

* (روى) أحمد والترمذى وصححه (عن) أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله عز وجل يقبل الصدقات ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربى أحدكم مهره أو فلوه أو فصيله**[1]**حتى أن اللقمة لتصير مثل جبل أحد**». قال وكيع: وتصديق ذلك فى كتاب الله: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُو يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوالتَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [التوبة:١٠٤] ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِى الصَّدَقَاتِ**﴾ [البقرة: ٢٧٦].

* (وروى) أحمد بسَنَدٍ صحيح (عن) أنس رضي الله عنه قال: أتى رجل من تميم رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنى ذو مال كثير، وذوأهل وحاضرة[2]، فأخبرنى كيف أصنع وكيف أنفق؟ فقال رسول الله ﷺ: «**تخرج الزكاة من مالك فإنها طهرة تطهرك، وتصل أقربائك وتعرف حق المسكين والجار السائل**».

* (وإذا) كان الله تبارك وتعالى قد رغبنا فى إيتاء الزكاة، وإذا كان قد ورد فى السنة كذلك الترغيب فيها.. (فإن) العكس أيضا قد ورد فى القرآن والسنة.

** ففى القرآن الكريم يقول الله تعالى مُرهِّبا مِن منعها:

* ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ**

---

(١) المهر والفلو والفصيل: ولد الفرس.

(٢) الحاضرة: ضد البادية، وهى المُدُن والقُرَى والريِّف. انظر: مختار الصحاح، مادة[حضر].

أَلِيم * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[التوبة: ٣٤، ٣٥].

وقال: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَخَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ[١] مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[آل عمران: ١٨٠].

**وفى السُّنة الشريفة، ورد الترهيب كذلك، فقد:

*(روى) أحمد والشيخان، (عن) أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :

((ما مِن صاحب كنز[٢] لا يُؤَدِّى زكاته إلا أُحْمِىَ عليه فى نار جَهنم، فَيُجْعَل صفائح، فتكوى بها جنباه وجبهته حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ؛ وما من صاحب إبل لا يُؤَدِّى زكاتها إلا بُطِح[٣] لها بِقاع قَرْقَر[٤] كأَوْفرَ ما كانت[٥]، تَسْتَن[٦] عليه كلّما مضى[٧] عليه أُخْراها ردت عليه أُولاها حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، وما من صاحب غنم لا يؤدى زكاتها إلا بُطِح لها بقاع قرقر كأوفر ما كانت فَتَطؤه بِأظْلافِها[٨]، وتنطَحُه بقرونها ليس فيها عَقْصاء[٩] ولا جَلْحاء[١٠]، كلما مضى عليه أخراها ردت عليه أولاها حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، قالوا: فالخيل يا رسول الله؟ قال: الخيل فى نواصيها، أو قال: الخيل معقود فى

---

(١) أى: سيجعل ما بخلوا به من مال طوقا من نار فى أعناقهم.

(٢) الكنز مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤدّ، وأما ما أخرجت زكاته فليس بكنز.

(٣) أى: بسط ومد.

(٤) أى: المستوى الواسع من الأرض.

(٥) أى: كأعظم ما كانت عليه.

(٦) أى: تجرى.

(٧) أى: مرّ عليه.

(٨) الظلف للغنم كالحافر للفرس.

(٩) ملتوية القرنين.

(١٠) أى: التى لا قرن لها.

نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الخيل ثلاثة: هى لرجل أَجْرٌ ولرجل سِتْرٌ، ولرجل وِزْرٌ.

فأما التى هى له أَجْر، فالرجل يتخذها فى سبيل الله، ويَعُدُّها له، فلا تُغَيِّبُ شيئا فى بطونها إلا كتب الله له أجرا، ولو رعاها فى مَرْج[1] فما أكلت من شىء إلا كتب الله له بها أجرًا، ولو سقاها من نهر كان لكل قطرة تغيبها فى بطونها أجر، حتى ذكر الأجر فى أبوالها وأرواثها، ولواسْتَنَّت شرفًا[2] أو شرفين كتب له بكل خطوة يخطوها أجر.

وأما التى هى له سِتْر فالرجل يتخذها تَكَرُّما وتَجَمُّلا لا ينسى حق ظُهورِها وبطونها فى عُسْرِها ويُسرها.

وأما التى هى عليه وزر فالذى يتخذها أَشَرًا[3] وبَطَرًا[4] وبَذَخًا[5]، ورِياءَ الناسِ فذلك الذى عليه الوزر.

قالوا: فالحُمُر يا رسول الله؟ قال: ما أنزل الله على فيها شيئا إلا هذه الآية الجامعة[6] الفاذة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[الزلزلة: ٧، ٨])).

*(وروى) الشيخان (عن) أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: ((من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مُثِّل له[7] يوم القيامة شُجاعا أقرعَ[8] له زبيبتان[9] يُطَوَّقه يوم القيامة، ثم يأخذ بِلِهْزَمَتيه – يعنى شدقيه – ثم يقول: أنا كنزك أنا مالك. ثم تلا هذه الآية ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[آل عمران: ١٨٠].

---

(١) أى: المرعى.
(٢) أى: العالى من الأرض.
(٣) المرح واللجاج.
(٤) بطر فلان بطرا: علا فى المدح والزهو.
(٥) أى: المتناولة لكل خير وبر.
(٦) الفاذة: أى القليلة النظير.
(٧) مثل له: أى صور له.
(٨) الشجاع: الذكر من الحيات، والأقرع الذى ذهب شعره من كثرة السم.
(٩) نكتتان سوداوان فوق عينيه.

(وأما) عن: (حكم مانعها)

فقد قال فى (فقه السنة) ما نصه:

الزكاة من الفرائض التى أجمعت الأمة عليها، واشتهرت شُهرةً جعلتها من ضروريات الدِّين بحيث لو أنكر وجوبها أحدٌ خرج عن الإسلام، وقُتل كُفرا، إلا إذا كان حديثَ عهدٍ بإسلام فإنه يُعْذَرُ لجهل بأحكامه.

* (أما) من امتنع عن أدائها مع اعتقاده وجوبها فإنه يأثم بامتناعه دون أن يخرجه ذلك عن الإسلام، وعلى الحاكم أن يأخذها منه قهرا ويُعزِّره ولا يأخذ من ماله أَزْيد منها إلا عند أحمد والشافعى فى القديم، فإنه يأخذها منه ونصف ماله عقوبة له [1]،لما رواه أحمد والنسائى وأبو داود والحاكم والبيهقى عن بهز ابن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**فى كل إبل سائمة فى كل أربعين ابنة لبون لا يفرق إبل عن حسابها، من أعطاها مؤتجرا[2] فله أجرها، ومن منعها فإنا آخذوها وشطر ماله عزمة[3] من عزمات ربنا تبارك وتعالى، لا يحل لآل محمد منها شىء**)).

وسئل أحمد عن إسناده فقال: صالح الإسناد. وقال الحاكم فى بهز: حديثه صحيح.

إلى أن يقول.. تحت عنوان:

(على من تجب) ؟

(تجب) الزكاة على المسلم الحر المالك للنصاب من أى نوع من أنواع المال الذى تجب فيه الزكاة، ويشترط فى النصاب:

١ - أن يكون فاضلا عن الحاجات الضرورية التى لا غنى للمرء عنها كالمطعم والملبس والمسكن والمركب وآلات الحِرفة.

---

(١) ويلحق به من أخفى ماله ومنع الزكاة ثم انكشف أمره للحاكم.

(٢) أى: طالبا الأجر من الله تعالى.

(٣) أى: حقًا من الحقوق الواجبة.

٢ - وأن: يَحُول عليه الحَوْلُ[1] الهجرى، ويعتبر ابتداؤه من يوم ملك النصاب، ولا بد من كماله فى الحول كلّه. فلو نقص أثناء الحول من كماله. قال النووى: مذهبنا[2] ومذهب مالك وأحمد والجمهور أنه يشترط فى المال الذى تجب فيه الزكاة فى عينه، ويعتبر فيه الحول كالذهب، والفضة، والماشية: وجود النصاب فى جميع الحول، فإن كَمُل بعد ذلك استؤنف الحول من حين يكمل النصاب.

وقال أبوحنيفة: المعتبر وجود النصاب فى أول الحول وآخره ولا يضر نقصه بينهما، حتى ولوكان معه مائتا درهم فتلقف كلها في أثناء الحول إلا درهمًا ؛ أو أربعون شاة فتلفت فى أثناء الحول إلا شاة، ثم ملك فى آخر الحول تمام المائتين وتمام الأربعين: وجبت زكاة الجميع[3].....

(ثم) يقول فى فقه السنة: (وهذا) الشرط لا يتناول زكاة الزروع والثمار، فإنها تَجِبُ يومَ الحصاد ؛ قال الله تعالى: ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ [الأنعام: ١٤١] قال العبدرى: أموال الزكاة ضربان، أحدهما: ما هو نماء فى نفسه كالحبوب والثمار، فهذا تجب الزكاة فيه لوجوده.

والثانى: ما يُرْصَد للنماء كالدراهم والدنانير وعروض التجارة والماشية، فهذا يعتبر فيه الحول فلا زكاة فى نصابه حتى يحول عليه الحول، وبه قال الفقهاء كافة. انتهى من المجموع للنووى.

** (فعلى) الأخوة المسلمين المستمعين الذين تجب الزكاة عليهم وعلى من يتولون أمورهم أن يدرسوا كل هذا وينفذوه.. بالنسبة لزكاة النقدين الذهب والفضة.. مع ملاحظة: أنه لا شىء فى الذهب حتى يبلغ عشرين دينارا، فإذا بلغ عشرين دينارا وحال عليه الحول ففيها ربع العشر أى نصف دينار، وما زاد على العشرين دينارا يؤخذ ربع عُشْره كذلك.

---

(١) **الحول**: السنة يقال: حال عليه الحول أى مرَّت عليه سنة انظر: مختار الصحاح مادة [حول].

(٢) وهو مذهب الشافعية.

(٣) لو باع النصاب فى أثناء الحول أو أبدله بغير جنسه انقطع حول الزكاة واستأنف حولا آخر إلا إذا قصد التهرب من الزكاة فيعامل بنقيض قصده.

(وأما) الفضة: فلا شيء فيها حتى تبلغ مائتي درهم، فإذا بلغت مائتي درهم ففيها ربع العشر، وما زاد فبحسابه قلّ أم كَثُر فإنه لا عفو فى زكاة النقد بعد بلوغ النصاب.

* (وقد) اتفق العلماء على أنه لا زكاة فى الماسِ والدُّرّ والياقوت واللُّؤلؤ والمَرجان والزَّبَرْجَد ونحو ذلك من الأحجار الكريمة إلا إذا اتخذت للتجارة ففيها الزكاة.

* (واختلفوا) فى حُلِيّ المرأة من الذهب والفضة، فذهب إلى وجوب الزكاة فيه أبوحنيفة وابن حزم إذا بلغ نصابًا.

(وذهب) الأئمة الثلاثة إلى أنه لا زكاة فى حُلِيّ المرأة بالِغًا ما بلغ... (وأنا) شخصيًّا مع الرأى الأول خُروجًا من الخلاف ولو على سبيل الاحتياط.. والاحتياط فى الدين واجب.

* (أما) عن الزُّروع والثمار.. (فإن) الأصناف التى كانت تؤخذ منها الزكاة على عهد رسول الله ﷺ ، هى: الحِنطَة، والشَّعِير، والتمر، والزَّبيب...

(ولم) يكن يؤخذ من الخضروات ولا من غيرها من الفواكه إلا العنب والرُّطَب.. (قال) ابن القيم: ولم يكن من هديه ﷺ أخذ الزكاة من الخيل، والرقيق – أى العبيد – ولا البغال، ولا الحمير، ولا الخضروات، ولا الأباطح والمقاتى والفواكه التى لا تُكَال ولا تُدَّخر إلا العنب، والرطب، فإنه يؤخذ الزكاة منه جملة، ولم يفرق بين ما يُلْبَس وما لم يُلْبَس.

* (وقد) ذهب أكثر العلماء إلى أن الزكاة لا تجب فى شيء من الزروع والثمار حتى تبلغ خمسة أوسق بعد تصفيتها من التبن والقشر، فإن لم تُصَفَّ بأن تركت فى قشرها[1] فيشترط أن تبلغ عشرة أوسق.. والوسق: ستون صاعا بالإجماع.

---

(١) كالأرز إذا ترك فى قشره.

(وذهب) أبوحنيفة ومجاهد إلى وجوب الزكاة فى القليل والكثير، لعموم قوله ﷺ : ((فيما سَقَتِ السّماء العُشْر))[1]. ولأنه لا يعتبر له حول فلا نصاب . وما سقى بنصح أو غرب فنصف العشر.

(وأما) زكاة الحيوان، (فقد) جاءت الأحاديث الصحيحة مصرحة بإيجاب الزكاة فى الإبل، والبقر، والغنم.. وأجمعت الأمة على العمل بها. (ويشترط) لإيجاب الزكاة فيها أن تبلغ نصابا، وأن يحول عليها الحول، وأن تكون سائمة أى راعية من الكلأ المباح فى أكثر العام[2].

(ولا شىء) فى الإبل حتى تبلغ خمسا فإذا بلغت خمسًا سائمة وحال عليها الحول ففيها شاة[3]، فإذا بلغت عشرا ففيها شاتان، وهكذا كلما زادت خمس زادت شاة، فإذا بلغت خمسًا وعشرين ففيها بنت مخاض – وهى التى بلغت سنة ودخلت فى الثانية – أو لبون – وهو الذى له سنتان ودخل فى الثالثة – فإذا بلغت ست وثلاثين، ففيها ابنة لبون، وفى ستًا وأربعين حقة – وهى التى لها ثلاث سنين ودخلت فى الرابعة – وفى إحدى وستين جذعة – وهى التى لها أربع سنين ودخلت فى الخامسة – وفى ست وسبعين بنتا لبون، وفى إحدى وتسعين حقتان إلى مائة وعشرين، فإذا زادت ففى كل أربعين بنت لبون، وفى كل خمسين حقة.... إلخ. (وأما) عن زكاة البقر (فإنه) لا شىء فيها حتى تبلغ ثلاثين سائمة وحال عليها الحول ففيها تَبيعٌ أو تَبيعةٌ – وهو ما له سنة – ولا شىء فيها غير ذلك حتى تبلغ أربعين، فإذا بلغت أربعين ففيها مُسِنّة – وهى مالها سنتان – ولا شئ فيها حتى تبلغ ستين فإذا بلغت ستين ففيها تَبيعان. (وفى) السبعين: مُسِنَّة وتبيع، وفى الثمانين: مسنتان، وفى التسعين: ثلاثة أتباع. وفي المائة مسنة وتبيعان . (وفى) العشرة والمائة: مُسِنَّتان وتَبِيعٌ. (وفى) العشرين

(١) ارجع إلى كل هذا بالتفصيل فى فقه السنة والفقه على المذاهب الأربعة... وغيرهما من كتب الفقه المطولة.

(٢) هذا رأى أبى حنيفة وأحمد. وعند الشافعى: إن علفت قدرا تعيش بدونه وجبت فيها الزكاة وإلا فلا، وهى تصبر على العلف يومين لا أكثر.

(٣) جَذَعٌ من الضأن وهو ما أتى عليه أكثرُ السنة، أو ثَنِيٌّ من المعز وهوما له سنة.

والمائة: ثلاث مُسِنَّاتٍ أو أربعة أتباع، وهكذا ما زاد ففى كل ثلاثين تَبِيعٌ، وفى كل أربعين مُسِنَّة.

* (وأما) عن زكاة الغنم (فإنه) لا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين، فإذا بلغت أربعين سائمة وحال عليها الحول، (ففيها) شاة إلى مائة وعشرين (فإذا) بلغت مائة وإحدى وعشرين ففيها شاتان إلى مائتين، (فإذا) بلغت مائتين وواحدة (ففيها) ثلاث شياة إلى ثلاثمائة، (فإذا) زادت على ثلاثمائة (ففى) كل مائة شاة ويؤخذ الجذع من الضأن، والثنى من المعز.

* (ثم) يقول فى (فقه السنة): هذا، ويجوز إخراج الذكور فى الزكاة إتفاقا إذا كان نصاب الغنم كله ذكورا. فإن كان إناثا، أو كان ذكورا وإناثا: جاز إخراج الذكور عند الأحناف، وتعينت الأنثى عند غيرهم...الخ [1].

** (فعلى) الإخوة المسلمين المستمعين الذين تجب الزكاة عليهم فى أى نوع من تلك الأنواع: أن ينفذوا كل ما وقفوا عليه بدون مَنٍّ أو أذى..حتى لا يكونوا من المشار إليهم فى قول الله تبارك وتعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِى يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة:٢٦٤].

والله ولى التوفيق

---

(١) ارجع إلى كل هذا بالتفصيل فى فقه السنة ج ٢ ص٧٢.. وما قبلها وما بعدها.

(١٣)- خطبة أو درس

حول الصفة الرابعة من صفات المؤمنين وهى:
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾

الحمد لله القائل: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله وحده لا شريك له القائل، لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ.. ﴾ [النور:٣٠]. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: ((كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مُدركٌ ذلك لا محالة: العينان زناهما النظر، والأُذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرِّجل زناها الخُطا، والقلب يَهوى ويتمنىَّ، ويُصدِّقُ ذلك الفرجُ أو يكذِّبُه)) هذا لفظ مسلم، ورواية البخارى مختصرة.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين كانوا لفروجهم حافظين، وكانوا لأبصارهم غاضِّين، فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين، وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ* لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه.. فى هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى وتوفيقه.. رأيت أن أُذكِّركم ونفسى بأهم ما يتعلق بالصفة الرابعة من صفات المؤمنين التى يقول الله تعالى فيها واصفا لهم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون:٥] أى: مانعون عن الحرام، أى عن كل ما لا يحل وَطْؤُه بِوَجهٍ من الوجوه.. ﴿إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِم﴾ [المؤمنون: ٦] أى: من زوجاتهم.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [المؤمنون:٦] أى من الإماء – وكان هذا فى أول الإسلام.. ثم حدث بعد ذلك أن رغَّب النبى ﷺ فى العتق.. وجعله من الكَفَّارات.. إلى أن أصبح جميع العبيد أحرارًا..ولا سيَّما بعد أن انتشر الإسلام.. وفُتِحت الأمصار – ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون:٦] أى فى إتيانهنَّ ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ [المؤمنون:٧] أى من الزوجات والسَّرارِى – أى – الإماء – أو الاستمناء باليد – وهو حرام – بالإجماع ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون:٧] أى المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم.

(وهذا) وإذا كنت قد وقفت مع الإخوة المسلمين المستمعين إلى المعنى الإجمالى للصفة الرابعة من صفات المؤمنين... (فإنى) أريد أن أنتقل بكم[1] إلى أهم ما يتعلق بهذا الموضوع، ألا وهو صمام الأمان فيه.. (وأعنى) به النظرة التى هى الخطوة الأولى إلى تلويث الفروج بجريمة الزنا والعياذ بالله.. كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله:

كُلُّ الحوادث مَبْدَاها من النظرِ ... ومُعظَم النار من مُستصغَر الشَّررِ

وقول الآخر:

نظــرةٌ فابتســامةٌ فســلامٌ ... فكــلامٌ فمْوعــدٌ فلقِــاءُ

(ولهذا) فإن الله سبحانه وتعالى وهو العليم الخبير.. قد أمر الحبيب المصطفى صلوات الله عليه.. بأن يبلغ المؤمنين والمؤمنات الرسالة الآتية: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور:٣٠] أى عمّا لا يحل لهم.. (وقد) ورد فى حديث قدسى أن الله تبارك وتعالى قال مخاطبًا عبده: ((وإن مما أنعمتُ عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما، وجعلت لهما غطاء[2] فانظر بعينيك إلى ما أَحْلَلْتُ لك، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأطلق عليهما غِطاءهما)).

وهذا معناه أنه ينبغى علينا أن ننظر بعيننا إلى ما يحل لنا أن ننظر إليه.. وأن ننظر كذلك إلى ملكوت الخالق سبحانه وتعالى.. حتى نصل عن طريق هذا

---

(١) أو بهم.
(٢) وهو الجفن العلوى.

إلى معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده.. كما يقول أحدهم مشيرًا إلى هذا فى قوله:

تأمل فى نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليكُ
غصون من لُجين[1] شاخصاتٍ ... بأبصارٍ هى الذهب السَّبِيكُ
على قُضُب الزَّبرجد شاهداتٌ ... بأن الله ليس له شريكُ

(وإياك) إياك أن تكون كهذا المغالط الذى يقول:

أميل إلى الشكل البديع إذا بَدَى ... وأُمعن فيه ثم أردِّد
وما مقصدى فعلُ القبيح وإنما ... أشاهد صُنع الله ثم أوُحِّدُ

(إننى) أقول لهذا المغالط.. (إنه) حسْبك أن تنظر إلى زوجك التى أحلها الله تعالى (بل) وحسبها كذلك أن تنظر إليك.. حتى يستمتع كلاكُما بالآخر.. (ولهذا) فإنه من السنة أن يتزين كل منكما لصاحبه فى داخل البيت حتى يملأ فراغه وحتى يستغنى كلاهما بصاحبه عن الحرام..(بل) وينبغى للأخ المؤمن أن يملأ فراغ بيته ما دام هناك فراغ عنده.. بعد أن يعود من عمله.. حتى لا تشغل الزوجة بغيره من المفسدين الذين يحاولون اقتحام حرمة هذا البيت.. عن طريق اختلاط شائن قد لا يكون مقصودًا.. ولكنه سيكون سببا فى تلويث الفروج التى لا بد وأن يحميها من الألف إلى الياء.. (وذلك) لن يكون إلا بالغيرة على نسائنا وبناتنا.. كما كان يغار رسول الله ﷺ على نسائه.

* (فعن) أم سلمه رضي الله عنها قالت: كنت عند رسول الله ﷺ ، وعنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم، وذلك بعد أن أُمرنا بالحجاب، فقال النبى ﷺ : **((احتجبا منه))** فقلنا: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا، ولا يعرفنا؟ فقال النبى ﷺ : **((أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه[2]!))** رواه أبو داود والترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

* (وعن) جرير رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة[3]؟

---

(١) **اللُّجين**: الفضة.
(٢) أى: تريانه.
(٣) أى: البغتة – من غير قصد لها.

فقال: ((**اصرِفْ بصرَك**)) رواه مسلم.

** (كما) حرم الرسول ﷺ الخلوة بالنساء الأجنبيات[1] عنا..

* (فعن) عقبة بن عامر ؓ أن رسول الله ﷺ قال: ((**إياكُم والدَّخولَ على النساء!**)) فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحَمْوَ، فقال: ((**الحَمْوُ الموت**[2])) متفق عليه (الحمو) قريب الزوج كأخيه وابن أخيه وابن عمه.

* (وعن) ابن عباس ؓ أن رسول الله ﷺ قال: ((**لا يخلُونَّ أحدكُم**[3] **بامرأة إلا مع ذى مَحْرَم**)). متفق عليه.

(ثم) بعد ذلك يقول سبحانه وتعالى بعد قوله: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**﴾ [النور: ٣٠] بعد ذلك: ﴿**وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**﴾ [النور: ٣٠] أى عَمَّا لا يحل لهم فعلُه بها وحكمة دخول (من) فى غض البصر، دون حفظ الفرج والإشارة إلى أن أمر النظر أوسع من أمر الفرج.. ﴿ **ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ** ﴾ أى خير ﴿**إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ [النور: ٣٠] أى بالأبصار والفروج فيجازيهم عليه.. أى أن الغاضَّ يُجازى بالحسنات وغيرُه يُجَازَى بالسَّيئات.. (ثم) يقول سبحانه: ﴿ **وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١] أى عمَّا لا يحل لهن نظره..

وهذا أمر من الله سبحانه وتعالى للمؤمنات بغض الأبصار وحِفظ الفروج.. وبسط الكلام فى شأنهن ولأن النساء شأنهن التبرّج والخيلاء والعُجْب (لما روى): ((**إذا أقبلت المرأة جلس إبليس على رأسها فزينها لمن ينظر وإذا أدبرت جلس على عجيزتها فزينها لمن ينظر**)).. (وقد) قرأت إن اللعين إبليس يقول للمرأة المتبرجة: أنت نصف جُندى .. وذلك لأنها تعينه على فساد الناس.. بالانفراط فى الشهوات.. التى كثيرًا ما يزينها للناس.. كما يشير إلى هذا رب العزة سبحانه وتعالى فى قوله: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ**

---

(١) الأجنبيات على وجه الخلوة بهن أو هن مكشوفات.

(٢) وذلك لتمكنه من الوصول إلى المرأة.

(٣) أى أجنبية عنه لأن الشيطان سيكون ثالثهما.

وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ* قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٤، ١٥] .

* (وقد) ورد كذلك فى الحديث الشريف: **((ما تركتُ بعدِى فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء))** .

** (وإذا) كان لنا أن نعود بعد ذلك إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**﴾ [النور: ٣١] أى عما لا يحل لهن فعله بها،أى عن الأمر الذى لا يحل فعله بالفروج كأن تمكن المرأة - الفاسقة - من فرجها غير زوجها نظرًا أو فعلا. ﴿**وَلا يُبْدِينَ**﴾ [النور: ٣١] **(أى: ولا يظهرن)** ﴿**وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾ [النور: ٣١] وهو الوجه والكفان.. فيجوز نظره لأجنبى.. إن لم يَخَفْ فتنة فى أحدِ وجهين.. و الثانى يحرم[1] لأنه مظنة الفتنة[2] ورُجِّحَ حَسْمًا للباب - أى سدًا للذريعة - ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١] أى يلقين خمرهن على موضع جيوبهن وهو العنق، والجيب فى الأصل طوق القميص.. وكانت النساء على عادة الجاهلية يَسْدُلنَ خمرهن مِن خلفهن، فتبدو نُحورُهن وقلائِدُهن من جيوبهن لسعتها فأمرن بإرسال خمرهنَّ على جيوبهن سترًا لما يبدوا منها.. وقال تعالى: ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١] أى يسترن الرءوس والأعناق والصدور بالمقانع ﴿**يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ**﴾ [النور: ٣١] أى الخفية وهى ما عدا الوجه والكفين ﴿**إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١] (جمعُ بَعْل أى زوج) ﴿**أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١] أى ولو من الرضاع وإن سفلوا ﴿**أَوْ إِخْوَانِهِنَّ**﴾ جمع أخ كان من نسب أو رضاع ﴿**أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١] أى نساء جنسهن اللاتى اشتركن معهن فى الإيمان فيخرج الكافرات.. ﴿**أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ**﴾ [النور: ٣١] فيجوز لهم نظره إلا ما بين السُّرة

---

(١) أى: أن تكشف المرأة عن وجهها.

(٢) أى: للرجل أو المرأة.. أو لهما معا.

والركبة، فيحرم نظره لغير الأزواج، وخرج بنسائهن الكافرات.. فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن... أى باتفاق مالك والشافعى لئلا تصفها الكافرة لأهل دينها فتحصل المفاسد.. (وعند) مالك لا يحل للرجال المحارم إلا نظر الوجه والأطراف من النساء المحارم، وأما النساء فيحل لهنّ النظر ما عدا ما بين السرة والركبة من الرجال المحارم.. ﴿أَوِ التَّابِعِينَ﴾ [النور: ٣١] .. والمراد بهم: الشيخ الهَرم الذى لا يشتهى النساء، أو الأَبْلَه الذى لا يعرف الأرض من السماء ولا الرَّجُل من المرأة ﴿غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ﴾ [النور: ٣١] أى أصحاب الحاجة إلى النساء.. فيجوز لمن ذُكر نظر ما عدا ما بين السرة والركبة عند الشافعى وعند مالك يحل نظر الوجه والأطراف فقط. ﴿مِنَ الرِّجَالِ﴾ [النساء: ٧٥] أى بأن لم ينتشر ذكر كل (أو الطفل) بمعنى الأطفال ﴿الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا﴾ [النور: ٣١] أى يطلعوا ﴿عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [النور: من الآية ٣١] أى للجماع، فيجوز أن يبدين لهم ما عدا ما بين السرة والركبة.. ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] أى من خلخال يتقعقع.. فإن ذلك يورث الرجال ميلا إليهن.. وهذا من باب سدّ الباب وتعليم الأحوط، وإلا فصوت الخلخال مثلا ليس بعورة ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] [1] (فعلى) الإخوة المؤمنين والأخوات المؤمنات المستمعين والمستمعات أن ينفذوا المراد من كل هذا التذكير الذى يُعتبر أساسًا فى حفظ الفروج.. مع الاستعانة بالله تعالى على مواجهة شياطين الإنس والجن حتى لا يكون لهم سلطان علينا.. فَنضِلّ أو نزل.. والعياذ بالله.. والله المستعان، وهو سبحانه ولى التوفيق، وخير الحافظين.

(١) التفسير من حاشية الصاوى على الجلالين.. بتصرف.. فارجع إليه.

(١٤)- خطبة أو درس

حول الصفة الخامسة من صفات المؤمنين

وهى قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون:٨]

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [1] [الأحزاب:٧٢].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبدُ الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: **((لا إيمان لمن لا أمانة له...[2]))**.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين كانوا: ﴿لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون:٨]، فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين، وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه..(فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى وتوفيقه (رأيت) أن أذكِّركم ونفسى بأهم ما يتعلق بالصفة الخامسة من صفات المؤمنين، وهى قول الله تبارك وتعالى عنهم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون:٨] أى غير مُضَيِّعين لها.

* (والمراد) من قوله تعالى فى نص هذا الوصف: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ ﴾

---

(١) الأمانة هنا أوامر الله ونواهيه سبحانه وتعالى في الدين.

(٢) الحديث رواه الطبرانى فى الأوسط بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وتمامه: «.. ولا صلاة لمن لا طهور له ولا دين لمن لا صلاة له، إنما موضع الصلاة من الدين، كموضع الرأس من الجسد».

أى ما ائتمنوا عليه من حقوق الخالق.. كالصلاةِ، والصوم، والحجِّ، وفعلِ المعروف والأمر به، واجتناب المنكر والنهى عنه.. (وأما) عن حقوق الخلق.. فهى كالودائع، والصنائع، وأعراض الخلق، وعوراتهم.. هذا بالإضافة إلى أسرار الناس التى اؤتمن عليها.

* (والمراد) من قوله تعالى: ﴿وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون :٨]، فالعهد مرادف للأمانات.. أى فيما بينهم وبين الله تبارك وتعالى من صلاة وغيرها، أو فيما بينهم وبين غيرهم.. ﴿رَاعُونَ﴾ أى غير مضيعين لها.. لأنهم سيسألون عن هذه العهود.. قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولا﴾ [الإسراء:٣٤]

أى: إذا عاهدتم الله والناس، أى: وما عاهدكم الله عليه من التكاليف... ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولا﴾ أى هل وفَّى به صاحبه أم لا...؟! وليس المراد أن العهد هو الذى سيُسأل وإنما الذى سيُسال هو صاحبه.. لا نفس العهد إذ لا يتأتَّى سؤاله..

** (هذا) وإذا كان لى أن أُعلق إجمالا على أهم ما يتعلق بالأمانات التى أؤتمنَّا عليها من الخالق... أو من المخلوق....

* (فإنه) حسبى أن أذكِّر ببعض الأحاديث الشريفة الصحيحة المتعلقة بكل تلك الأمانات (ثم) بعد ذلك أعلق تعليقًا شاملا على كل هذا التذكير النافع إن شاء الله...

(أما) عن الصلاة، وهى أهم الحقوق التى ائتمننا الله تعالى عليها.. (فهى) عماد الدين وركْنُه الركين، (وهى) التى من أقامها فقد أقام الدين، ومن ضيعها فقد هدم الدين.. (ولهذا) فقد جعلها الله تبارك و تعالى.. أهم ركن من الأركان بعد الشهادتين.

(فعن) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله : **((بُنِى الإسلام على خمس**[1]. **شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة،**

---

(١) أى بخمس على أن تكون على بمعنى الباء وإلا فالمبنى غير المبنى عليه.. فلو أخذنا بظاهره لكانت الخمسة خارجة عن الإسلام، فهو فاسد، ويحتمل أن تكون على بمعنى (من) كقوله تعالى ﴿إلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ [المؤمنون:٧] أى من أزواجهم..(شرح الأربعين النووية) الحديث الثالث.

وحج البيت وصوم رمضان)) رواه البخاري ومسلم.

(وهي) أيضًا عمود الدين.. قال رسول الله ﷺ : **((رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد..))** الحديث أخرجه الترمذي.

* * (وعلى) هذا فإنه ينبغى على الأخ المؤمن أن يكون أمينًا على هذه الصلاة.. بمعنى أن يؤديها كما كان يؤديها رسول الله ﷺ الذى يقول: **((صَلُّوا كما رأيتمونى أصلى..))** حديث صحيح..

** (ولا سيما) إذا كانت الصلاة هى خير الأعمال كما ورد فى حديث أخرجه ابن حبان والحاكم عن رسول الله ﷺ أنه قال : **((الصلاة خيرُ موضوع فمن شاء استكثر ومن شاء استقل))** أى خير شيء صنعه الشارع.

* (وفي) رواية صحيحة أيضًا: **((واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة))**.

** (وهي) أيضًا الناهية عن الفحشاء والمنكر.. قال الله تعالى: **﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾** [العنكبوت: ٤٥] .

قال القرطبى: لا سيما وإن أشعر نفسه أن هذا ربما يكون آخر عمله، وهذا أبلغ فى المقصود، وأتم فى المراد فإن الموت ليس له سن محدود، ولا زمن مخصوص، ولا مرض معلوم، وهذا مما لا خلاف فيه... إلى أن يروى عن ابن عباس، وابن مسعود، والحسين والأعمش، قولهم: (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم تزده من الله إلا بعدًا، ولم يزدد بها من الله إلا مقتًا [1]). انتهى باختصار. [2]

ومعنى الحديث – كما قال القرطبى : أن مرتكِبَ الفحشاء والمنكر لا قدر لصلاته، لغلبة المعاصى عليه.

(فلاحظ) كل هذا أخ الإيمان حتى تكون أمينًا على صلاتك.. وحتى تفوز بكل الخير الذى وقفت على أهميته.

** (وأما) عن الصوم الذى فرضه الله علينا فى شهر رمضان.. (فهو)

---

(١) أي: بغضًا وسخطًا.

(٢) تفسير القرطبى جـ ١٣ صـ ٣٤٨.. نقلا عن (الفقه الواضح) جـ٢..صـ٨ بتصرف كبيرصـ٨ .

المشار إليه فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣] .

** (وقد) أشار النبى ﷺ فى كثير من الأحاديث الشريفة إلى فضل هذا الصيام وما ينبغى علينا أن نلاحظه فيه:

** (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **((قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى [١] وأنا أجزى به، والصيام جُنَّة [٢] فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يَرفُث، ولا يصخب، فإن سابَّه أحد [٣] أو قاتله فليقل: إنى صائم. والذى نفس محمد بيده [٤] لَخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح _ بفطره _ وإذا لقى ربه فرح بصومه))** متفق عليه. وهذا لفظ رواية البخارى. وفى رواية له: **((يترك طعامه، وشرابه، وشهوته، من أجلي، الصيام لى وأنا أجزى به، والحسنة بعشر أمثالها))** وفى رواية لمسلم **((كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف))** قال الله تعالى: **((إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به، يدع شهوته وطعامه من أجلى. للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه. ولخلوف فيه [٥] أطيب عند الله من ريح المسك))**. (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **((من صام رمضان إيمانًا [٦] واحتسابًا [٧] غُفر له ما تقدم من ذنبه))**. متفق عليه. (فعلى) الأخ المؤمن أن يصوم رمضان صيامًا حقيقيا على هذا الأساس المشار إليه فى الحديث القدسى الذى استمعنا إليه.. وأيضًا على الأساس المشار إليه فى قول أحدهم:

اغضض الطرف واللسان اكْفُفَنهُ ... وكذا السَّمع صُنْه حين تصوم

(١) إضافة تشريف للصيام.
(٢) أي وقاية
(٣) أى: سبّه ونازعه.
(٤) أى: بقدرته.
(٥) أى تغير فمِه الناشئ عن الصوم بضم الخاء خُلوف.
(٦) أي: مصدقًا بثوابه.
(٧) أي: قاصدًا لوجه الله تعالى.

* (حتى) تكون فعلا قد أديت الصيام بأمانة.

(وأما) عن الحج المشار إليه فى قول الله تبارك وتعالي: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا ﴾ [آل عمران: ٩٧].

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: **((يا أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحُجوا))** فقال رجل: أكلَّ عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا[1] فقال رسول الله ﷺ : **((لو قلت: نعم لوجبت ولما استطعتم))** ثم قال: **((ذرونى ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه))** رواه مسلم. (وعنه) قال: سُئل النبى ﷺ أى العمل أفضل؟ قال: **((إيمانٌ بالله ورسوله))** قيل: ثم ماذا؟ قال: **((الجهاد فى سبيل الله))**، قيل: ثم ماذا؟ قال: **((حج مبرور))** متفق عليه. (والمبرور) هو الذى لا يرتكب صاحبه فيه معصية. (وعنه): سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه))** متفق عليه. (فعلى) الأخ المؤمن أن يؤدى فريضة الحج بأمانة على هذا الأساس الذى وقف عليه – حتى يعود إن شاء الله بعد أدائها بدون رفث أو فسوق أو جدال: كيوم ولدته أمه.. (أعنى) بشهادة ميلاد جديدة. (وأما) عن فعل المعروف والأمر به واجتناب المنكر والنهى عنه.. (فهو) المشار إليه فى قول لقمان الحكيم لولده: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [لقمان: ١٧] .. وبالطبع لا بد وأن يكون الأخ المؤمن منفذًا بأمانة لهذا الخلق الكريم.. وإلا فإن فاقد الشىء لا يعطيه.. (فعن) أبى زيد أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق[2] أقتاب[3] بطنه فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحا، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه))** متفق عليه (وعن) حذيفة رضي الله عنه عن النبى ﷺ :

---

(١) أي: أعاد المقالة ثلاث مرات .

(٢) (تندلق) : أى تخرج.

(٣) الأقتاب: أي: الأمعاء.

قال: ((**والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**)) رواه الترمذى. وقال: حديث حسن. (وأما) عن أهم حقوق الخلق التى ينبغى للأخ المؤمن أن يكون أهلا لحفظها ورعايتها، وهى: الودائع والصنائع، وأعراض الخلق وعوراتهم.. (فإنى) أُضيف لها كذلك الزوجة والأولاد.. (فإنك) أيضًا مسئول عنه.. ولا بد وأن تكون أمينًا فى رعايته ورعاية حقوقهم المشروعة.. (فعن) ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ. يقول: ((**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته: الإمام**[1] **راعٍ ومسئول عن رعيته والرجل راعٍ فى أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعيَة فى بيت زوجها ومسئولة عنْ رعيتها والخادم راعٍ فى مال سيده ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته**)) متفق عليه.

(وعن) أبى يعلى معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**ما من عبدًا يسترعيه الله رعية يموت يومَ يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**)). متفق عليه. وفى رواية ((**فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة**)). وفى رواية لمسلم: ((**ما من أميرًا يلى أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة**)). أسأل الله تعالى أن ينفعنا بها استمعنا إليه حتى نكون إن شاء الله تعالى من المؤمنين الصادقين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ .

اللهم آمين

(١) أي: ذو الخلافة العظمى وسائر الحكام.

(١٥)- خطبة أو درس

حول حقيقة الزهد والزاهدين

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [١] كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا [٢] تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا [٣]* الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ [٤] الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ [٥] عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [٦] [الكهف: ٤٥،٤٦].

وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى ورد عنه فى نص حديث متفق عليه أنه كان يقول: **((اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة))** [٧]

اللهم صلّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغُرِّ الميامين الذين كانت الدنيا فى أيديهم لا فى قلوبهم، فكانوا فيها من الزاهدين، وكانوا منها من المنفقين فى جميع أبواب الخير.. فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين، وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ *لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه .

---

(١) أى اذكر لقومك ما يشبه الحياة فى سرعتها وزوال زهرتها.
(٢) أى مهشوما مكسورا، كالأخضر البراق ثم تجف، تذروه الرياح: أى تفرقه، وتذريه: أى تنسفه.
(٣) أى قادرًا.
(٤) وهى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله..
(٥) أى أفضل من المال والبنين .
(٦) أى يرجوه عند الله تعالى.
(٧) عن أنس بن مالك ﷺ .

(فى) هـذا اللقـاء المبـارك بمشـيئة الله تبـارك وتعـالى رأيـت أن أدور معكـم حول موضوع هام وحيوى لا بد وأن نقف على حقيقته المتفق عليها.. حتى لا تكون من أهـل الشـطط الـذين يخلطـون بـين الخطـأ والصـواب بتلـك الصُّـور المهـزوزة التـى كانـت ولا تـزال سـببًا فى انحـراف أكثـر المبتعـدين عـن الهَـدْى المُحمّدى الصحيح... (وأعنى) بهذا أن هناك منهم مـن يظـن أن الزهـد معنـاه ترك العمل للدنيا _ والتفرغ للعبادة.. (وربما) جلس أحدهم أو بعضـهم فى مسجد أو بجوار ضريح بدعوى أنه من الزاهدين.. (وإننى) أسأله أو أسألهم: ما الذى كان معكم من حطام الدنيا حتى تزعموا أنكم قد زهدتم فيـه ؟ إنكـم أساسًا لا تملكون شيئًا من هذا المتاع الدنيوى فما معنى الزهد فى نظركم؟

وهل من الدين أو هل من الزهد أن يترك أحدكم عملـه أو أهلـه.. ثـم نـراه يمد يده لكى يأخذ حَسَنة من فلان أو فلان؟

* (إن) فعلا مُشينًا كهـذا _ وهـو مـا يسـمى بالتسـول _ لا يمكـن أبـدًا أن يكون مسموحًا به تحت أى شعار من شعارات العزة والكرامة التى أشار إليها الإمام على كرم الله وجهه فى قوله:

لَحَمْـلِى الصَّـخرُ مِـن قِمَـم الجبـال أحـبُّ إلىّ مـن مِـنَن الرجـال
يقـول النـاس لى فى الكسـب عـار فقلـت العـار فى ذل السـؤال

* (وهو) أيضًا الذى يقول: (جعت يومًا فـذهبت إلى عـوالى[1] المدينـة أطلـب عملا.. فوجدت امرأة قد جمعت ترابا مُتَلَبِّدًا تريـد بلـه بالمـاء[2].. فبادلتهـا كـل ذنوب[3] على تمرة فملأتُ لها ستّة عشر ذنوبا حتى مَجَلت يدى[4].. فبسطت كفى لترى أثر العمل .. فعـدت لى ست عشرة تمـرة فأخـذتها وذهبـت إلى رسـول الله ﷺ فأخبرته بما حدث ففرح وأكل معى منها.

---

(١) اسم مكان.
(٢) لكى تبنى به.. أو لكى تصنع به اللبنات للبناء.
(٣) الذَّنوب: أى الدلو الملأى بالماء وقال ابن السكيت فى مختار الصحاح: أى التى فيها ماء قريب من الملء .
(٤) مجلت يدى: أى احمرت.

** (وهذا) معناه أن النبى ﷺ كان يشجع العامل ويفرح به.. بل وكان يحب أن يأكل مع هذا العامل من ثمرة كفاحه تشجيعًا له.. وتنبيها لغيره حتى يفعلوا مثله.. فى كل عمل شريف حتى ولو كان من تلك الأعمال التى قد يحتقرها أكثرنا. (بل) وورد أنَّ النبى ﷺ خرج ذات يوم مع بعض أصحابه فى سَفَر من الأسفار.. وكانت معهم شاة.. فلما أرادوا ذبحها لكى يُعدُّوا منها طعامًا.. قال أحدهم: علىَّ ذبحها.. وقال آخر: علىَّ سلخُها.. وقال ثالث: علىَّ طَبخُها. وقال النبى ﷺ: **((وعلىَّ جمع الحطب))** فقالوا له: يا رسول الله.. إننا سنكفيك كل هذا فقال لهم: **((أنا أعلم أنكم ستكفوننى هذا: ولكن لا أريد أن أتميز عليكم))**.. (وهكذا) كان النبى ﷺ يُوجِّه أصحابه ويعلمهم أن العمل شرف وواجب.. وأن العامل المنتج هو الخليفة لله تعالى فى أرضه.

* (وقد) ورد كذلك [1] أن النبى ﷺ دخل المسجد ذات يوم فرأى أبا أُمامة الأنصارى رضي الله عنه يجلس فيه فى غير وقت الصلاة - ولم تكن تلك عادته - فقال له: **((يا أبا أمامة ما لى أراك جالسا فى المسجد فى غير وقت الصلاة ؟!))** فقال: هُموم لزمتنى وديون يا رسول الله. فقال له صلوات الله وسلامه عليه: **((أفلا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك))** ؟يقول أبو أمامة: قلت: بلى[2] يا رسول الله قال: **((قل إذا أصبحت وإذا أمسيت [3] : اللهم إنى أعوذ بك من الهمّ والحَزَن، وأعوذ بك من العَجْز والكَسَل، وأعوذ بك من الجُبن والبخل[4] وأعوذ بك من غَلَبَة الدَّين وقَهْر الرجال))**: يقول أبو أمامة: ففعلت ذلك فأذهب الله همىِّ وقضى عنى دَينى.ا.هـ.

أتدرون لماذا ؟ لأن أبا أمامة قد فهم المراد من قول الرسول ﷺ له، ولهذا نفَّذه تنفيذًا عمليًّا.. بعد أن خرج من المسجد متجها إلى العمل الشريف عقب كل صلاة مكتوبة.

---

(١) فى حديث رواه أبو داود .

(٢) بلى: أى نعم .

(٣) أى قل فى الصباح وقل فى المساء .

(٤) الجبن : هو الشح بالنفس والبخل: هو الشح بالمال.

(لأن) الإسلام أساسًا لم يأمرنا بملازمة المسجد أو المساجد حتى في يوم الجمعة الذى يستريح فيه أكثرنا فقال تعالى فى سورة الجمعة: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِمِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِى الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:١٠] قال تعالى فى سورة الملك: ﴿فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك:١٥] وقال تعالى فى آخر سورة المزمل مشيرًا إلى ملاحظة هامة لا بد وأن يفخر بها كُل عامل شريف: ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠] فقد قدم الله تبارك وتعالى العمل فى هذه الآية على الجهاد فى سبيل الله.. وهذا شرف كبير كلنا لا بد وأن نحرص على أن نكون أهلا له.. (وذلك) حتى لا نكون عاله على غيرنا.. بل وحتى نكون من أهل العزة والكرامة لأن أكثر الناس للأسف الشديد لا يجلون ولا يحترمون غير صاحب المال.. كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله:

رأيتُ النَّاس قد مالوا ... إلى مَن عنده مال
ومَن لا عنده مالُ ... فعنه النّاس قد مالوا
رأيتُ النَّاسَ قد ذهبوا ... إلى مَنْ عنده ذهبُ
ومَنْ لا عنده ذهب ... فعنه النَّاسُ قد ذهبوا
رأيت النَّاسَ مُنفَضَّه ... إلى من عنده الفضه
ومن لا عنده فِضَّه ... فعنه النَّاس مُنْفضه

**(ولهذا) فقد ورد فى الحث على الأكل من عمل اليد، والتعفف به عن السؤال والتعرض للإعطاء:

* (وعن) أبى عبد الله الزبير بن العوَّام ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((لأن يأخذ أحدكم أَحبُله _ جمع حبل _ ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها فيكُفَّ الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه))** رواه البخارى.

* (وعن) أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: **((كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده))** رواه البخارى.

* (وعن) المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **((ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يديه وإن نبى الله داود ﷺ كان يأكل من عمل يده))** رواه البخارى.

** (والسؤال) الذى نريد أن نقف على إجابته الآن بعد هذا التقديم المتعلق بموضوع الخطبة هو: إذن ما هى:

حقيقة الزهد والزاهد

فأقول ما قاله العلماء، وهو: ليس الزهد أن يترك الإنسان العمل ويتفرغ للعبادة، وإنما الزهد هو أن تكون الدنيا فى يده لا فى قلبه حتى لا يكون عبدا لها.. أو مشغولا بها عن الآخرة.. وفى خطبة من خطب الرسول ﷺ قال لأصحابه: **((كونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن كلا يتبعها ولدها))**[1]. (ثم) لا بد وأن يكون أساسًا مالكًا لكثير من حطام الدنيا حتى يكون زاهدًا فيه. بمعنى أن يعتبره وسيلة لطاعة الله وتنفيذًا لأوامره.

(وقد) سئل أحد الصالحين لماذا تحب المال وأنت حكيم ؟ فقال لثلاث: لأؤدى به الفرض، وأصون به العرض، واستغنى به عن القرض.. (وفى) الحديث الشريف يقول رسول الله ﷺ: ((**اليدُ العليا خير من اليد السفلى**))[2] .

* (كما) قال العلماء فى تعريف الزاهد الحقيقى: ليس الزاهد من لا مال عنده، وإنما الزاهد من لم يشغل المال قلبه وإن أوتى مثل ما أوتى قارون.. (وتلك) هى الإجابة الكافية التى ينبغى علينا أن نفهم المراد منها.. حتى تكون الدنيا _ كما علمنا _ فى أيدينا لا فى قلوبنا.. لأنها إذا كانت فى أيدينا استطعنا أن نستغلها فى طاعة الله.. أما إذا كانت متربعة على قلب العبد منَّا.. فإنه سيكون مَطِيَّة لها.. والعياذ بالله.

* (وقد) ورد عن أنس رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: **((ما مِن يوم إلا ومَلَك**

---

(١) من خطبة رواها الهيثمى.. ارجع إليها فى الجزء الرابع من الدين الخالص..ص ٢٢٤ .
(٢) وهو صحيح.

يقف على باب أحدكم خمس مرات، فإذا وجد أحدكم قد نفذ طعامُه وشرابه[1] وانقطع أجلُه ألقَى عليه من غمرات الموت فغشيته كرباته، وغمرته غمراته، فمن أهل بيته الناشرة شعرها. والضاربة وجهها والباكية بشجوها والصارخة بويلها، فيقول ملك الموت: ممّ الجزع وفيم الجزع ؟ فوالله ما أذهبت لأحد منكم رزقا، ولا قربت له أجلا، ولا أتيته حتى أمرت، ولا قبضت روحه حتى اسْتَأمرت، وإن لى فيكم لعودة ثم عودة حتى لا أبقى منكم أحدًا، قال النبى ﷺ: والذى نفسى محمد بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم، ولبكوا على أنفسهم، حتى إذا حمل الميت على نعشه رفرفت روحه على النعش وهو ينادى: يا أهلى ويا أولادى لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بى، جمعت المال مِن حِلّه ومن غير حِلّه ثم خلفته لغيرى، فالهناءة لكم والتعاسة لى، فاحذروا أن يحل بكم ما حل بىَّ)) .

* (وعن) أنس أيضا ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((أيها الناس اتقوا الله حق تقاته واسعوا فى مرضاته، وأيقنوا من الدنيا بالفناء ومن الآخرة بالبقاء، واعملوا لما بعد الموت فكأنكم بالدنيا كأنها لم تكن، وبالآخرة لم تزل، أيها الناس إن من فى الدنيا ضيف وما فى يده عارية، وأن الضيف مرتحِلٌ والعارية مردودة، ألا وإن الدنيا عَرَض حاضر يأكل منها البارُّ والفاجر، وإن الآخرة وعدٌ صادق يحكم فيها ملك قادر، فرحم الله امرأً نظر لنفسه ومهّد لرسمه ما دام رسفه مرخص، وصُلْبه على عاتقه ملقى، قبل أن ينفذ أجله، وينقطع عمله)) .

* (ولله) در ابن الجوزى عليه رحمة الله فلقد قال: ما هذه الغفلة وأنتم مستبصرون، ما هذه الرقدة وأنتم مستيقظون، وكيف نسيتم الزاد وأنتم راحلون، أين من كان قبلكم من الآباء والأجداد ألا تفكرون؟ أما رأيتم كيف نازلهم نازل المنون ﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس:٥٠]

---

(١) لأن الإنسان لن يموت وهناك لقمة قدر الله له أن يأكلها، أو شربة قدر الله له أن يشربها.

أتسكنون إلى سُكْنَى دارٍ ما تَسْكُنون، لو حضرت القلوب لجرت من العيون عيون، كأنكم بالآلام قد اعترضت وبالأجسام قد انتفضت وبالأوصال قد اتصلت وبالخصال قد حصلت، فرحم الله عبدا قد أعتق نفسه من رِق شهواتها، ونظر لها قبل مماتها، وأخذ من جِدته عتادًا لفقره،وادَّخر من صحته زادًا لقبره، قبل أن يفوت زمان الاستدراك لوقوع الهلاك، قبل عزة الفكاك عند الوقوع فى الأَشراك، قبل أن يعلن الوهن ويغلق الرهن، ويحبس النفس ويغرس الفارِس والفَرَس، فكأنكم بالموت قد حل العراض وأنشب فى الأرواح مخالب الاقتناص وأشخص عن هذه الدار هذه الأشخاص، وأَسَر فقسر وعزّ الخلاص، وأين لكم الانفصال ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص:٣]، ثم تقومون للحساب والجزاء والقصاص، وإذا الخلائق قد حشرت، وإذا الصحائف قد نشرت، وإذا جهنم قد سبقت، ومرارة العذاب قد زَلَفت فتتمطنق بكم حينئذ قبائحُكم وتستنطق يومئذ عليكم جوارحُكم، وتنشرحين القضاء فى الفضاء فضائحكم، فيا خجل المقصرين ويا أسف المذنبين ويا حسرة المفرطين، ويا سوء منقلب الظالمين.

*(وله) أيضا ﷺ :

وتنبه أيها الشاب لاغتنام العمل، وتيقظ أيها الكهل قبل خيبة الأمل، بادر أيها الشيخ فكأن قد قيل: رَحَل، كأنك بالموت قد ألقاك صريعا، وبالموت قد أبكاك نجيعا، وبالأسف قد ضربك ضربا وجيعا، وبمَلَكِ الموت قد أقبل إليك سريعا، والجَبِينُ من العَرَق يَرْشَح، والطرف[1] من الفَرَقِ يُفْسَح والرُّوح فى القَلَق تَسْبَح، وأنت تبسط كَفًّا وتقبض كفًّا، والملك يَكُفكَ عن التصرف كَفًّا، وسفينة الحسرات فى موج العَبَرات تتكفّأ، ثم يُرمى بك فى جانب اللحد وتُخفى. وتَلْقى ما على الله لا يَخفى فتبقى فى تلك الحفرة كالمأسور، تمضى عليك الأزمان والعصور إلى أن ينفخ فى الصور، هذا وقد سمعت بعذاب

(١) **الطرف**: أى العين .

القبـور ثـم تقـوم نادمـا يـوم الحشر والنشـور، والأرض تـزول والسـماء تمـور، والجلود تشهد والنار تفور، والأسف شديد والكتاب منشور، والسؤال دقيـق ولسـت بالمعـذور، والحسـاب قـد فُصـل وحُصِّـل مـا فى الصـدور، والصراط عجيب لا يشبه الجُسور، و قد ذلَّ وملَّ وكلَّ الجَسـور، فيـا لـه مـن يـوم أَهْوُنـه صَعْق موسى وَدكّ الطور. ا. هـ .

*(فليكن) كل هذا الوعظ والإرشاد الذى يدور حول التزهيـد فى الـدنيا.. سببًا فى إخراج حبها من قلوبنا (مع) الحرص على أن نكون أيضا من العـاملين فى مَنَاكِبها من أجل جَلْـب أرزاقنـا وأرزاق أهلينـا منهـا.. لا حرصًـا ولا طعـمًا فيها.. تنفيذا للمراد من قول الله تعـالى فى قرآنـه: ﴿وَلا تَـنْسَ نَصِيبَكَ مِـنَ الـدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٧٧] حتى نكون بسبب هذا إن شاء الله تعـالى من الزاهدين الحقيقين الذين عملوا لدنياهم كما عملوا لأخراهم.

** (وحسبنا) فى الختام قول الرسول ﷺ : **((إن الـدنيا حلـوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظرَ كيـف تعملـون فـاتقوا الـدنيا واتقـوا النسـاء))** رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى .

الله ولى التوفيق

(١٦)- خطبة أو درس

حول التحذير من مكائد الشياطين من الإنس والجن

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله القائل: **((إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم))**.. من حديث متفق عليه .

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين كانوا يتحصنون بذكر الله تعالى من شياطين الإنس والجن الذين ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام:١١٢] فكانت الشياطين تفر من أمامهم، وكانوا لهذا من الذاكرين الآمنين، وكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين، و كانوا رجالا كما تحدث الله تعالى عنهم في قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ*لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨] .

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه: من المحفوظات التي أحفظها قول أحد المبتلين في بيتين من الشعر:

إني ابتليتُ بأربعٍ ما سلَّطوا ... إلا لِشدة شِقوتي وعنائي

إبليس و الدنيا ونفسي والهَوَى ... كيف الخلاصُ وكلهم أعدائي

** (وإذا) كان الرجل يسأل عن الخلاص من كل هؤلاء الأعداء، فإننا مبدئيًّا نجيبه، بقول الله تعالى في آخر سورة العنكبوت: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا[1] لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] أي: أنهم إذا أخلصوا

(١) أي الذين أخلصوا العبادة لنا، وبذلوا أموالهم وأنفسهم من أجل إعلاء كلمة الحق لنهدينهم إلى الطريق المستقيم.

لله فى مجاهدتهم لكل هؤلاء الأعداء وغيرهم.. من شياطين الإنس والجن.. فإن الله تعالى سينصرهم عليهم نصرا مؤزرا.. ولا سيما إذا استعانوا به سبحانه وتعالى على أخطرهم – بصفة خاصة – وهو اللعين إبليس يلعب دورا كبيرا فى حياة بنى آدم، من يوم أن حكم الله تعالى عليه بالإغواء.. كما يشير إلى هذا قول الله تعالى فى الربع الأول من سورة الأعراف:

*﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ أى: فبسبب إضلالك لى لأزينن لهم كلَّ ما هو قبيح ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦] أى على الطريق الموصل إليك ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧] أى من الجهات الأربع حتى أمنعهم من سلوكها، وهى الجهات التى اعتاد الهجوم منها.. قال ابن عباس: ولكنه لم يقل: مِن فوقهم لأنه لا يمكنه أن يمنع عن العبد رحمة الله..ولم يقل: من تحتهم تكبرا..ويكثر إتيانه من أمام وخلف، ليضعف فى اليمين واليسار لحفظ الملائكة ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧] أى مؤمنين راضين ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا﴾ أى: معيبا ممقوتا ﴿مَذْءُومًا﴾ أى: مطرودا مُبعدا عن الرحمة.. ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ أى من الناس[1].. ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٨] أى: منك بذريتك ومن الناس وفيه تغليب الحاضر على الغائب، وفى الجملة معنى جزاء مَنْ الشرطية، أى من تبعك أُعذّبه (ثم) قال الله تعالى بعد ذلك: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ أى حواء ﴿الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ أى بالأكل منها، وهى الحنطة[2] ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:١٩] أى لأنفسكما ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف:٢٠] والوسوسة هى الحديث الخفى الذى يلقيه الشيطان فى قلب الإنسان على سبيل التكرار (وقد) يقول أحدنا: أن الأنبياء معصومون

---

(١) واللام للابتداء، أو موطئة للقسم.

(٢) وقيل: الكرم، وقيل :التين، وقيل البلح، وقيل: الأترج، والمشهور هو الحنطة.

من وسوسة الشيطان، وظاهر الآية يقتضى أن الشيطان - وهو إبليس - وسوس لآدم ؟! فأجيبه[1] بأنه لم يباشر آدم بالوسوسة وإنما باشر حواء، وهى باشرت آدم بذلك. (قال) محمد بن قيس: ناداه ربه يا آدم لما أكلت منها وقد نهيتُك ؟ قال:أطعمتنى حواء.. فقال الله تعالى لِحواء: لِمَا أطعمتيه ؟ قالت: أَمَرتنى الحية.. فقال للحية: لِمَ أمرتيها ؟ قالت: أمرنى إبليس فقال الله تعالى: (أما أنت) يا حواء فلأُدمِيَنّك كل شهر[2] كما أدميتِ الشجرة، (وأما) أنت يا حَيّة فأقطع رجليك[3] فتمشين على وجهك وَلَيَشْدخَنّ رأسك كلُّ مَن لقيك (وأما) أنت يا إبليس فملعون.

(ثم) قد يقول أيضا أحدنا: كيف وسوس لهما وهو خارج الجنة ؟ فأجيبه أيضا بأن وسوسته، وإن كانت خارج الجنة إلا أنها وصلت لهما بقوة جعلها الله له على ذلك، وأنه تحيل على دخول الجنة بدخوله فى جوف الحية ووسوس لهما.. والله أعلم .

* (ثم) بعد ذلك يقول الله تبارك وتعالى:﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [4]وهو إبليس[5]﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾ أى لِيُظهر لهما ما ستر عنهما من سوءاتهما..وقد اختلف فى ذلك اللباس، فقيل: غطاء على الجسد من جنس الأظفار، فنزع عنهما، وبقيت الأظفار فى اليدين والرجلين تذكرة وزينة وانتفاعًا ولذلك قالوا: إن النظر للأظفار فى حال الضحك يقطعه، وقيل: كان

---

(١) بما جاء فى حاشية الصاوى على الجلالين ج٢ص ٥٤.

(٢) وذلك الحيض الذى هو العادة الشهرية... بالإضافة إلى الاستحاضة والنفاس الذى يكون بالولادة.

(٣) وكانت قبل ذلك كالغزالة.

(٤) والشيطان من شاط بمعنى احترق،أو من شطن بمعنى بَعُد.

(٥) وإبليس: من أبلس، بمعنى يائس، لأنه آيسٌ من رحمة الله.. وقد كان يُسمى عزرايل.. وقيل غير ذلك..

** وقيل: إن الله تعالى عاقب آدم بالمشقة فى السعى على الرزق عكس المرأة، قال تعالى: ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ [طه:١١٧] ولم يقل: فتشقيا.

نورا، وقيل: كان من ثياب الجنة (وقال): ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إلا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ[1] أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠]، أى وذلك لازم عن الأكل منها كما فى آية أخرى.

**﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أى: أقسم لهما بالله.. (وهو) كاذب.. فهو أول من حلف بالله كذبا، وأول من عصى الله مطلقا.. ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾أى: فى ذلك ﴿فَدَلاهُمَا﴾ أى حطهما عن منزلتهما ﴿بِغُرُورٍ﴾ أى: منه ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ ﴾أى: أكلا منها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ﴾ أى ظهر لكل منهما قُبُله وقبل الآخر، ودبره وسمى كل منهما سوأة لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ ﴾أى يلزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ ﴾ ليسترا به.. وقد قيل: إن الورق هذا، هو ورق التين، وقيل: هو ورق الموز ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ أى: بَيِّن العداوة حيث امتنع من السجود له ورضى بالطرد والبعد.

﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ أى بمعصيتنا (وإن) كان ليس بمعصية حقيقية لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين، وليس ذلك بقادح فى عصمه آدم، لأن المستحيل على الأنبياء تعمد المخالفة وأما الخطأ فى الاجتهاد والنسيان الرحمانى فهو جائز عليهم.. ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ قال: اهبطوا﴾ أى يا آدم ويا حواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما.. فهذا هو وجه الجمع فى الآية.. وقيل: إن الجمع باعتبار آدم وحواء والحية وإبليس، ويكون قوله: ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ باق على ظاهر لأن إبليس والحية عدو لآدم وحواء ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أى من ظلم بعضهم بعضًا ﴿وَلَكُمْ فِى الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أى مكان استقرار ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ أى تقضى آجالكم ﴿قَالَ فِيهَا

---

(١) وقرئ بكسر اللام أى شذوذًا، يؤيده قوله تعالى فى موضوع آخر: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠] فالملك بضم الميم يناسب الملك بكسر اللام.

تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ أى فى يوم البعث والنشور.

(ثم) بعد ذلك يقول سبحانه وتعالى مخاطبا بنى آدم بعد أن أخبرهم بما فعله اللعين إبليس بأبويهم آدم وحواء – حتى كان سبب إخراجهما معه من الجنة.. ﴿يَا بَنِى آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ أى خلقناه لكم.. وأنزلنا أسبابه من السماء وهو المطر، فينشأ عنه النبات الذى يكون منه اللباس، كالقطن، والكتان، وتعيش به الحيوانات التى منها الصوف، والشعر، والوبر، والحرير ﴿يُوَارِى سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾ وهو ما يتجمل به من الثياب ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ أى الناشئ عنها والناشئة عنه وهو العمل الصالح والسَّمت الحسن ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ لأنه يستر من فضائح الآخرة.. فإذا كان كذلك فإنه ينبغى للإنسان أن يشتغل بتحسين ظاهرة بالأعمال الصالحة، وباطنه بالإخلاص فإنه محل نظر الله منه (ففى) الحديث: **((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))** (1).

(ولذلك) قال العارف البكرى: إلهى زيّن ظاهرى بامتثال ما أمرتنى به، ونهيتنى عنه، وزين سِرّى بالأسرار، وعن الأغيار فصُنه ﴿ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّـهِ﴾ أى من دلائل قدرته واسم الإشارة عائد على اللباس المنزل بأقسامه ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

*(ثم) بعد ذلك ينتقل الله تبارك وتعالى إلى الهدف الأسمى من هذا التذكير، فيقول محذرا إيانا من الشيطان وجنوده من الإنس والجن فيقول تبارك وتعالى: ﴿يَا بَنِى آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ﴾ أى لا يُضِلنكم ﴿ الشَّيْطَانُ﴾ أى لا تتبعوه فتفتنوا وهذا نهى لبنى آدم عن الإصغاء لفتنه واتباعه وليس المراد النهى عن تسلطه إذ لا قُدرة لمخلوق على منع ذلك لأنه قضاء مُبرَم.. وإنما المراد من النهى الميل إليه.

*(ثم) بعد ذلك يضرب الله تعالى مثلا على هذا فيقول: ﴿كَمَا أَخْرَجَ

---

(1) الحديث: رواه مسلم.

أَبَوَيْكُمْ﴾ بفتنه ﴿ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ﴾ أى الشيطان ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ ﴾أى جنوده ﴿مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾ وذلك للطافة أجسامهم أو عدم ألوانهم.. لأن أجسادهم كالهواء نعلمه ونتحققه ولا نراه للطافته وعدم تلونه.

(هذا) وجه عدم رؤيتنا لهم، وأما وجه رؤيتهم لنا فكثافة أجسادنا وتلوُّننا، وأما رؤية بعضهم لبعض فحاصلة لقوة أبصارهم، وهذا حيث كانوا بصورتهم الأصلية، وإما إذا تصوروا بغيرها فنراهم لأن الله جعل لهم قدرة على التشكُّل بالصورة الجميلة والخسيسة وتحكم عليهم الصورة كما فى الأحاديث الصحيحة.. فالآية ليست على العموم، والفرق بينهم وبين الملائكة أن الملائكة لا يتشكلون إلا فى الصورة الجميلة ولا تحكم عليهم بخلاف الجن .

(وقد) ورد أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم.. وجعلت صدور بنى آدم مساكن لهم إلا من عصمه الله..

كما قال تعالى: ﴿الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس:٥] فهم يرون بنى آدم وبنو آدم لا يرونهم، قال مجاهد: قال إبليس: جُعل لنا أربع: نَرى ولا نُرى، ونخرج من تحت الثرى، ويعود شيخنا شابًّا. (قال) مالك بن دينار: إن عدوًّا يراك ولا تراه لشديد المجاهدة إلا من عصمه الله .

(ثم) بعد ذلك يختم سبحانه وتعالى الآية بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ أى أعوانا وقُرناء ﴿لِلذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [1].

** (فإذا) كان هذا هو الشيطان الرجيم، وإذا كانت تلك هى قصته مع أبوينا.. وإذا كان الله تعالى قد حذرنا منه كمؤمنين إن شاء الله.. فإنه ينبغى علينا أن نستعين بالله تعالى عليه وعلى جنوده حتى ننتصر عليهم.. مع ضرورة

---

(١) هذه الآيات من سورة الأعراف من الآية ١٦-٢٧ والتفسير من حاشية الصاوى على الجلالين مع التصرف والاختصار.

التسلح ضده وضدهم بذكر الله تعالى الذى يقول: ﴿وَمَنْ يَعْش [1] عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦] .

والله ولى التوفيق

---

(١) ويعش : أى يغفل.

(١٧)- خطبة أو درس

حول الأسباب العشرة التى يندفع بها شر الحاسد والعائن [١]، والساحر

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦] وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: ((.. احفظ الله يحفظك..)) [٢].

اللهم صلّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين كان شعارهم الدائم هو: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠] فكانوا لهذا من المعافين، وكانوا هداة مهديين وقادة منتصرين،وكانوا رجالا كما تحدث عنهم الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧،٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه.. فإن كل إنسان منا ينبغى عليه أن يعالج نفسه بنفسه من شر كل حاسد إذا حسد وذلك بالأسباب العشرة التى ذكرها ابن قيم الجوزية فى كتابه (تفسير المعوذتين) والتى رأيت أن ألخصها لكم فى هذا اللقاء.. وأنا أعتقد أنكم فى أشد الحاجة إلى التحصن بتلك الأسباب نظرًا لكثرة الحاسدين لنا فى جميع شئون حياتنا..

(وقبل) أن أبدأ فى تلخيص هذه الأسباب العشرة.

---

(١) العائن: أى الذى يحسد بعينه.

(٢) من حديث حسن صحيح رواه الترمذى.

** (فإننى) أحب أولا أن أقف معكم على مراتب الحسد الثلاث [1]..
التى أولها الحسد الذى لا ضرر منه، وهو حسد يخفيه الإنسان بقلبه ولا يرتب عليه أذى بوجه ما، لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده بل يجد فى قلبه شيئا من ذلك، ولا يعامل أخاه إلا بما يحب الله، فهذا لا يكاد يخلو منه أحد إلا مَن عصمه الله، وقد قيل للحسن البصرى: أيَحسد المؤمن ؟ فقال: (ما أنساك لإخوة يوسف!).

المرتبة الثانية: وهى المذمومة التى نسأل الله تعالى أن يعافينا جميعا منها ومن شررها..

(فهى) تمنى استصحاب عدم النعمة، فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة، بل يحب أن يبقى – هذا العبد- على حاله من جهله أو فقره أو ضعفه أو شتات قلبه عن الله أو قلة دينه، فهو يتمنى دوام ما هو فيه من نقص وعيب. فهذا حسد على كل شىء مُقَدر، والأول حسد على شىء محقق. وكلاهما حاسد، عدو نعمة الله وعدو عباده، وممقوت عند الله تعالى وعند الناس. ولا يُسود أبدًا أو لا يواسى، فإن الناس لا يسوّدون عليهم إلا مَن يريد الإحسان إليهم، فأما عدو نعمة الله عليهم فلا يسوّدونه باختيارهم أبدا إلا قهرًا ويعدونه من البلاء والمصائب التى ابتلاهم الله بها، فهم يبغضونه وهو يبغضهم.

وأما الحسد الثالث، فهو المحمود الذى يسمى بالغبطة التى هى تمنى أن يكون للحاسد مثل حال المحسود من غير أن تزول النعمة عنه. فهذا لا بأس به ولا يعاب صاحبه، بل هذا قريب من المنافسة. وقد قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[المطففين: ٢٦] وفى الصحيح – عن النبى ﷺ أنه قال: **((لا حسد إلاَ فى اثنتين: رجل آتاه الله مالا وسلطه على هلكته [2] فى الحق، ورجل**

---

(١) كما جاء فى الحديث فى تفسير المعوذتين لابن القيم صـ٤٦ بتصرف .
(٢) أى فى إنفاقه فى أبواب الخير المشروعة.

آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس)) .

** (فلنكن) من أهل الحسد المحمود.. وليحذر كل واحد منا أن يكون سيئ الخلُق مع الله بسبب الحسد المذموم الذى يعتبر تدخلا فى تصرفات الخالق سبحانه وتعالى، كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله الذى وجهه إلى أحد الحاسدين له:

ألا قل لمن بات لى حاسدًا	أتدرى على من أسأت الأدب
أسأت على الله فى فعله	كأنك لَمْ تَرْضَ لى ما وهب
فكان جزؤاك أن خصَّنى	وسَدَّ عليك طريق الطلب

**(ثم) إليكم بعد هذا: الأسباب العشرة التى يندفع بها شر الحاسد عن المحسود، وهى بإيجاز:

* **أولا**: التعوذ بالله من شر الحاسد، والتحصن به سبحانه وتعالى، واللجوء إليه.. وهو المقصود بالمعوذتين[1] والله تعالى سميع لاستعاذته، عليم بما يستعيذ منه .

والسمع هنا المراد به سمع الإجابة لا السمع العام. فهو مثل قوله سمع الله لمن حمده : وقول الخليل عليه السلام ﴿رَبِّى لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[إبراهيم: ٣٩]. ومرة يقرنه بالعلم، ومرة بالبصر، لاقتضاء حال المستعيذ ذلك، فإنه يستعيذ به من عدو يعلم أن الله يراه، ويعلم كيده وشره.

السبب الثانى: تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه، فمن اتقى الله تولى الله حفظه ولم يَكِلْه إلى غيره، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾[آل عمران: ١٢٠]، وقال النبى ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: **((..احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك))**[2]، فمن حَفِظ الله[3] حفِظَه الله ووجده أمامه أينما توجه. ومن كان الله حافظه وأمامه فمِمَّن يخاف، ومن يحذر؟

---

(١) وهما (قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس) .
(٢) من حديث حسن صحيح رواه الترمذى
(٣) أى نفذ أوامره واجتنب نواهيه.

** **السبب الثالث**: الصبر على عدوه، وأن لا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلا. فإنه لن ينتصر على حاسده وعدوه. بمثل الصبر عليه.. ولله دَرُّ من قال:

اصبر على حسد الحسود فإنَّ صبرَك قاتِلُه

النار تأكلُ بعضَها إن لم تجدْ ما تأكُلُه

وذلك لأن بغيه سهام يرميها من نفسه إلى نفسه وما من الذنوب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم وقد قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ**﴾[الحج: ٦٠] وقد سبقت سنة الله أنه لو بغى جبل على جبل لجعل الباغي منهما دكًّا.

** **السبب الرابع**: التوكل على الله، فمن يتوكل على الله فهو حسبه. والتوكل على الله أقوى الأسباب التى يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم.. (فإذا) كان الله تعالى يقول: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾[الطلاق: ٣] فإن المعنى أى كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مَطْمَع فيه لعدوه ولا يضره إلا أذى لا بد منه، كالحر، والبرد، والجوع، والعطش. وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبدا.

(ولو) توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل له ربه مخرجا من ذلك وكفاه ونصره. (مع) ملاحظة أنه على قدر إيمان العبد يكون توكُّله على الله تبارك وتعالى.

** **السبب الخامس**: فراغ القلب من الاشتغال بالحاسد أو التفكير فيه، وأن يقصد بهذا الفراغ القلبى أن يمحوه من باله كلما خطر له فلا يلتفت إليه ولا يخافه ولا يملأ قلبه بالفكر فيه.. وهذا من أنفع الأدوية وأقوى الأسباب المعينة على

انــدفاع شره.. وهــذا أيضــا بــاب عظــيم النفــع لا يلقــاه إلا أصــحاب النفــوس الشريفــة والهمــم العاليــة التــى نســأل الله تعــالى أن يجعلنا من أهلها.

**** السبب السادس**: وهو الإقبال على الله والإخلاص لـه، وجعل محبته ورضاه والإنابة إليه فى محل خواطر نفسه وأمانيها.. ويوم أن يكون الإنسان منا قد ملأ قلبه بحب الله تعالى والإنابة إليه.. بدل الانشغالات الأخرى التى لا خير من ورائها... فإنه لن يصاب بسوء من جانب حساده أو أعدائه؛ لأن الله تعالى سيكون قد أحاطه بحفظه ورعايته.. كما أشار الله تعالى إلى هذا فى حق الصِّديق يوسف عليه السلام: ﴿**كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ [يوسف: ٢٤] فما أعظم سعادة من دخل حصن الله... لأنه سيكون قد أوى إلى حصن منيع،ولا خوف على من تحصن به، ولا ضيعة على من أوى إليه، ولا مطمع للعدو فى الدنو إليه منه ﴿**ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [الجمعة:٤].

**** السبب السابع**: تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التى سلطت عليه أعداءه، فإن الله تعالى يقول: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ** ﴾ [الشورى:٣٠] وقال لخير الخلق، وهم أصحاب نبيه،دونه ﷺ:﴿**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ**﴾[آل عمران: ١٦٥] فما سلط على العبد من يؤذيه إلا بذنب، يعلمه أو لا يعلمه، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها ، وما ينساه مما عمله أضعاف ما يذكره.

وفى الدعاء المشهور ((**اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم**)).. ولقى بعض السلف رجلٌ فأغلظ له ونال منه،فقال له: قف حتى أدخل البيت ثم أخرج إليك،فسجد لله وتضرع إليه وتاب وأناب إليه سبحانه ثم خرج إلى الرجل الذى أغلظ له القول.. فقال له: ما صنعت ؟ فقال: تبت إلى الله من الذى سلطك به علىّ.

(فلنقلع) عن الذنوب حتى لا يسلط علينا أحد بسببها.. والله تعالى يعفو عن كثير.. وهو سبحانه غفور رحيم.

** السبب الثامن: الصدقة والإحسان ما أمكنه فإن لذلك تأثيرًا عجيبا فى دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد ولو لم يكن فى هذا إلا تجارب الأمم قديما وحديثا لكفى به.

(وقَلّ) أن تسلط العين والحسد والأذى على محسن متصدق، وإن أصابه شئ من ذلك كان معاملا فيه باللطف والمعونة والتأييد، وكانت له فيه العافية الحميدة.

والشكر كذلك حارس النعمة من كل ما يكون سببا لزوالها.. والمحسن المتصدق يستخدم جندًا أو عسكرًا يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه.

** **السبب التاسع**: وهو من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها، ولا يوفَّق إلا من عظم حظه من الله.. (ألا) وهو إطفاء نار الحاسد والباغى والمؤذى بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذًى وشرًا وبغيًا وحسدًا ازددت إليه إحسانا وصدق الله العظيم القائل: ﴿**وَلا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِى أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِى حَمِيمٌ *وَمَا يُلَقَّاهَا إلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [فصلت:٣٤-٣٦]، والقائل: ﴿**أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ [القصص:٥٤] وتأمل حال النبى ﷺ إذ ضربه حتى قومه حتى أدموه، فجعل يسلت الدم عنه ويقول ((**اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون**))... (وإذا) كنت ترجو هذا من ربك، وتحب أن يقابِل به إساءتك فما أولاك وأجَدرك أن تعامِل به خَلْقه، وتقابل به إساءتهم فى حقك يفعل الله معك فى الجزاء من جنس العمل، فكما تعمل مع الناس فى إساءتهم فى حقك يفعل الله معك فى ذنوبك وإساءتك، جزاءً وفاقًا.

فانتقم بعد ذلك أو اعف، وأحسن أو اترك، فكما تَدين تُدَان وكما تفعل مع

عباده يفعل معك..فمن تصدَّر هذا المعنى وشغل به فكره هان عليه الإحسان إلى من أساء إليه. (وهذا) مع ما يحصل له بذلك من نصر الله ومعيته الخاصة، كما قال النبي ﷺ الذى شكا إليه قرابته، وأنه يحسن إليهم وهم يسيئون إليه، فقال: ((**لا يزال معك من الله ظهير، ما دمت على ذلك**)) هذا مع ما يتعجله من ثناء الناس عليه، ويصيرون كلهم معه على خصمه.

فإن كل من سمع أنه محسن إلى ذلك الغير وهو مسيء إليه، وجد قلبه ودعاءه ورحمته مع المحسن على المسيء وهذا أمر فطرى فطر الله عليه عباده (فهو) بهذا الإحسان قد استخدم عسكرًا لا يعرفهم ولا يعرفونه، ولا يريدون منه إقطاعا ولا خبزًا.. أى لا جزاء ولا شكورًا.

*(هذا) مع أنه لا بد له مع عدوه وحاسده من إحدى حالتين: إما أن يملكه بإحسان فيستعبده وينقاد له - أى عدوه - ويذل له، ويبقى الناس إليه، إما أن يُفتّت كيده ويقطع دابره، إن أقام على إساءته إليه. فإنه يذيقه بإحسانه أضعاف ما ينال منه بانتقامه، ومن جرب هذا عرفه حق المعرفة.. والله الموفق المعين، بيده الخير كله، لا إله غيره، وهو المسئول أن يستعملنا فى ذلك بمَنّه وكرمه.

* **السبب العاشر**: وهو الجامع لذلك كله، وعليه مدار هذه الأسباب.(وهو) تجريد التوحيد، والترحال بالفكر فى الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم، والعلم بأن هذه الآلات بمنزلة حركات الرياح، وهى بيد محركها وفاطرها وبارئها، ولا تضر ولا تنفع إلا بإذنه، فهو الذى يحسن عبده بها، وهو الذى يصرف عنه وحده لا أحد سواه. قال تعالى:﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ**﴾[يونس: من الآية١٠٧] وقال النبى ﷺ لعبد الله ابن عباس رضي الله عنهما: ((**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك..**)) من حديث رواه الترمذى

وقال:حديث صحيح -(فإذا) جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله، بل يفرد الله بالمخافة.. وقد أمنه منه، وأخرج من قلبه اهتمامه به واشتغاله به وفكره فيه...إلى أن يقول الإمام ابن قيم الجوزية:

* * (فهذه) عشرة أسباب يندفع بها شر الحاسد والعائن والساحر، وليس له أنفع من التوجه إلى الله وإقباله عليه، وتوكله عليه، وثقته به، وأن لا يخاف معه غيره بل يكون خوفه منه وحده ولا يرجو سواه، بل يرجوه وحده.فلا يعلق قلبه بغيره، ولا يستغيث بسواه، ولا يرجو إلا إياه ومتى علق قلبه بغير الله ورجاه وخافه وُكِلَ إليه وخُذِل من جهته.فمن خاف شيئًا سوى الله سُلِّط عليه ، ومن رجا شيئًا سوى الله خُذِل من جهته، وحُرم خيره.. فهذه سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا.. ا. هـ بتصرف كبير وإضافات موضوعية.. لا بد منها.

* * (فلنأخذ) جميعًا كمؤمنين بكل تلك الأسباب مع الاستعانة الكاملة بالله تعالى الذى جعل لكل شىء سببًا.. وهو سبحانه خالق الأسباب الذى بيده الخير، وهو على كل شىء قدير.

والله ولى التوفيق

(١٨) خطبة أو درس

حول التذكير بالموت وما بعده

الحمد لله القائل:﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا الله وحده لا شريك له القائل : ﴿كُلُّ نَفْس ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] والقائل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلال وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن٢٦، ٢٧] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى خاطبه ربه بقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[الزمر:٣٠] اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين لآثروا الآخرة على الدنيا فكانوا من أولى الألباب الذين ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة.. فكانوا هناك فى جنة الخلد مع الأبرار الذين أعد الله تعالى لهم كعباد صالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.. كانوا هنا فى دنياهم قبل مماتهم من الرجال الحقيقيين الذين تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ* لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [المؤمنين:٣٧، ٣٨] .

(أما بعد) ،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه.. الحياة الدنيا كما هو معلوم لنا جميعًا أنفاس معدودة، وأوقات محدودة.. من جاهد نفسه فيها ابتغاء مرضاة الله غنم، ومن حاسب نفسه على ما قدمت يداه فيها سلم (وما) الحياة الدنيا إلا أعمار، وما الأعمار إلا أعوام، وما الأعوام إلا شهور، وما الشهور ألا أيام، وما الأيام إلا ساعات، وما الساعات إلا دقائق، وما الدقائق إلا لحظات تحصيها ملائكة كرام.. وإن الله تعالى – كما يقول الإمام الغزالى عليه رحمة الله –خلق الإنسان من نوعين..من جسد وروح، وجعل الجسد منزلًا لتلك الروح لتأخذ زادًا لآخرتها، لمدة من هذا العالم، وجعل لكل روح مدة

مقدرة تكون فى هذا الجسد، فإذا جاء الأجل فرق بين الروح والجسد.

(ولهذا) فقد رأيت فى هذا اللقاء المبارك أن أذكركم ونفسى بتلك النهاية المحتومة التى لا بد منها.. حتى نستعد لها، ونعمل لما بعدها.. (فنكون) بهذا إن شاء الله من أكيس الناس _ أى من أعقل الناس _ الذين سئل عنهم الحبيب المصطفى صلوات الله عليه وسلامه، فقال: **((أكثرهم للموت ذكرًا، وأشدهم له استعداد، أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة[1]))**

ولله در علىٍّ رضي الله عنه، (فلقد) سُئِل عن وصف الدنيا، فقال: **(وما أصف لكم من دار أولها عناء، وآخرها فناء، حلالها حساب، وحرامها عقاب، من صح فيها أمن، ومن أمن فيها ندم، ومن استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن).**

إنـــما الـــدَّنيا فنـــاء ... لـــيس للـــدنيا ثبـــوت

إنـــما الـــدنيا كَبيـــتٍ ... نســـجته العنكبـــوتُ

كـــل مـــا فيهـــا لعمـــرى ... عـــن قريـــب ســـيموت

ولقـــد يكفيـــك منهـــا ... أيهـــا العاقـــل قـــوت

** (فالعاقل) إذن هو الذى يعرف حقيقة الدنيا.. حتى يخرج حبها من قلبه.. وحتى لا يكون من المشغولين بها عن الآخرة..

أمـــا والله لـــو علـــم الأنـــامُ ... لَـما خُلقـوا لمـا غفلـوا ونـاموا

مـــوت، ثـــم بعـــث، ثـــم حشرٌ ... وتـــوبيخ وأهـــوال عِظـــامُ

ونحـــن إذا أُمرنـــا أو نُهينـــا ... كأهـــل الكهـــف أيْقـــاظٌ نِيـــامُ

* (وقد) ورد فى الحديث: **((ما من يوم إلا وملك ينادى بين السماء والأرض، يقول: يا أهل الدنيا، ابنوا للخراب، واجمعوا للذهاب، ولدوا للتراب))**

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت.. والطبرانى فى الصغير بإسناد حسن..بنحوه .

وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال:

بَنِي الدنيا أقِلُّوا الهمّ فيها ... فما فيها يئُولُ إلى الذهاب

بناء للخراب وجمعُ مال ... ليفنى والتّوالد للتّراب

(وقد) ورد أن للموت ألما لا يعلمه إلا من نزل به فهو أشد من الضرب بالسيوف، وأعظم ألما من النشر بالمناشير، والقرض بالمقاريض، وذلك أن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم مع بقاء قوة فى البدن، ولذلك يستغيث المضروب ويصيح، بخلاف الميت فينقطع صوته لضعف قوته عن الصياح، فإن الموت هد كل جزء من أجزاء البدن فلم يترك قوة للاستغاثة أما العقل فقد غشيته الوسوسة، وأما اللسان فقد أبكم، وأما الأطراف فقد ضعفت. وعند ذلك يود الميت لو قدر على الاستراحة بالأنين. ولكنه لا يقدر على ذلك، فإن بقى فيه بعض قوة، سُمع له عند نزع الروح وجذبها خوار وغرغرة من حلقه وصدره وقد أصفر لونه وارتعدت فرائصه حتى ترتفع الحدقتان إلى أعلى الجفون، وترتفع الأنثيان[1] إلى أعالى موضعهما، وتصفر الأنامل، ويموت كل عضو منه على حدة، فأول ما يموت قدماه ثم ساقاه، ثم فخذاه، ولكل عضو سكرة بعد سكرة، وكربة بعد كربة حتى تبلغ الروح الحلقوم، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها، وتحيط به الحسرة والندامة.

* (وقد) اتفق أن الرشيد جلس يومًا للراحة فقال: من بالباب من الشُّعراء؟ فقالوا: الرقاش: فقال: فليدخل، وليطرفنا بشىء من الملح الأدبية والطرف العربية.. فدخل فجلس فطلب منه الرشيد ما يناسب هذا اليوم، فقال: يا أمير المؤمنين: عش ما تشاء ممتعًا.. فى ظل شاهقة القصور.

* فقال الرشيد: ثم ماذا ؟ فقال:

فإذا النفوس تغرغرت ... بزفير حشرجة الصّدورِ

فهناك تعلم موقنًا ... ما كنت إلا فى غرورِ

---

(١) وهما الخصيتان.. والخصية.. البيضة من أعضاء التناسل .

فبكى الرشيد حتى علا صوته وبكى من حوله، فقال بعض المتملقين: أتى بك أمير المؤمنين لتسره فكنت سببًا لحزنه. فقال له الرشيد: اسكت، المغرور من أغررتموه، وجّدنا فى غفلتنا فأيقظنا .

(وكان) عمر عبد العزيز ﷺ، يجمع الفقهاء فيتذكرون الموت والقيامة ثم يبكون حتى كأنَّ بين أيديهم جنازة.

* (وقد) قيل: مَنْ أكثر مِن ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وعدم الرضا بالكفاف، والتكاسل فى العبادة.

* ولله در من قال:

جديرٌ بالتواضع من يموت — وحسب المرء من دنياه قوت

فما للمرء يصبح ذا هموم — وحرص ليس تدركه النعوت

فيا هذا سترحل عن قريب — إلى قوم كلامهم السكوت

** (وفى) الخبر: (إذا فارق الروح البدن نودى من السماء بثلاث صيحات: يا بن أدم أتركت الدنيا أم الدنيا تركتك ؟ أجمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك ؟ أقتلت الدنيا أم الدنيا قتلتك ؟

* (وإذا) وضع على المغتسل نودى من السماء بثلاث صيحات: يا بن آدم أين أتركت بدنك القوى ما أضعفك ؟ وأين لسانك الفصيح ما أسكتك ؟ وأين آذانك السماعة ما أصمَّك ؟ وأين أحبابك الخُلّص ما أوحشك ؟

* (وإذا) وضع فى الكفن نودى من السماء بثلاث صيحات: يا بن آدم طوبى لك إن صحبك رضوان الله، والويل لك إن صحبك سخط الله، يا بن آدم طوبى لك إن كان مأواك الجنان، والويل لك إن كان مأواك النيران. يا بن آدم تذهب إلى سفرٍ بعيد بغير زاد ، وتخرج من منزلك فلا ترجع إليه أبد الآباد وتصر إلى بيت الأهوال.

* (وإذا) حمل على الجنازة نودى من السماء بثلاث صيحات: يا بن آدم طوبى لك إن كان عملك خيرًا أو طوبى لك إن كنت تائبًا، وطوبى لك إن كنت مطيعا لله.

* (وإذا) وضع للصلاة عليه نودى من السماء بثلاث صيحات: يا ابن آدم كل عمل عملته تراه الساعة، فإن كان عملك خيرًا تراه خيرًا وإن كان شرًّا تراه شرًّا.

* (وإذا) وضعت الجنازة على شفير القبر نودى بثلاث صيحات: يا بن آدم ما تزودت من العمران لهذا الخراب؟ وما حملت من الغنى لهذا الفقر؟وما حملت من النور لهذه الظلمة؟

* (وإذا) وضع فى اللحد نودى بثلاث صيحات: يا بن آدم كنت على ظهرى ضاحكًا فصرت فى بطنى باكيًا، وكنت على ظهرى فرحا فصرت فى بطنى حزينًا، وكنت على ظهرى ناطقًا فصرت فى بطنى ساكنًا.

* (وإذا) أدبر الناس عنه يقول الله تعالى: يا عبدى بقيت فريدًا وحيدًا، وتركوك فى ظلمة القبر، وقد عصيتنى لأجلهم وأنا أرحمك اليوم رحمة يعجب منها الناس، وأنا أَشْفَقُ عليك من الوالدة بولدها).

* (وبكي) عمر ﷺ عند موته، فقيل له: ما يبكيك ؟ فقال: أخاف أن أكون قد أتيت بذنب أحسبه هينا وهو عند الله عظيم.

* (وبكي) أبو هريرة ﷺ عند موته، فقيل له:ما يبكيك ؟ فقال: لبعد سفرى وقلة حيلتي.

* (وقال) بعضهم: دخلنا على عطاء السلمى نعوده فى مرضه الذى مات فيه، فقلنا له:كيف حالك ؟ فقال: الموت فى عنقي، والقبربين يدي، والقيامة موقفي، وجسر جهنم فى طريقي، ولا أدرى ما يفعل بي، ثم أبكى بكاءً شديدًا حتى غشى عليه، فلما أفاق قال: اللهم ارحمنى وارحم وحشتى فى القبر، ومصرعى عند الموت، وارحم مقامى بين يديك، يا أرحم الراحمين.

* (ودخل) المُزَنّى على الإمام الشافعى ﷺ فى مرضه الذى مات فيه، فقال: كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ فقال:أصبحت عن الدنيا راحلًا،

وللإخوان مفارقًا، ولسوء عملي ملاقيًا، ولكأس المَنِيَّة شاربًا، وعلى ربي سبحانه وتعالى واردًا، ولا أدرى روحي صائرة إلى الجنة فأهنيها أو إلى النار فأعزيها، وأنشد:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي … جعلت الرجا مني لعفوك سلمًا

تعاظمني ذنبي فلما قرنته … بعفوك ربي كان عفوك أعظما

فما زلت ذا عفوًا عن الذنب لم تزل … تجود وتعفو منةً وتكرمًا

فإن تعف عن متمرض بذنوبه … ظلوم شئوم لا يفرق مأثمًا

وإن تنتقم مني فلستُ بآيسٍ … ولو دَخلتْ نفسي بجرمي جهنماً

فذنبي جسيم مِن قديم وحادثٍ … وعفوك يا ذا المنِّ أعلى وأجسمًا

عسى من له الإحسان يغفر ذلتي … ويستر أوزاري وما قد تقدمًا

* (وقال) مالك بن دينار: زرت المقابر فإذا بهلولُ قاعدٌ بين القبور وهو ينظر إلى السماء فيبتهل، وإلى الأرض فيعتبر، وعن يمينه فيضحك، وعن يساره فيبكي، فقلت له: السلام عليكم يا بهلول. فقال: وعليك السلام يا مالك يا بن دينار. فقلت له: أراك قاعدًا بين القبور، فقال: قعدت عند قوم لا يؤذونني، وإن غبت عنهم لا يغتابوني، فقلت: أراك تنظر إلى السماء فتبتهل، وإلى الأرض فتعتبر، وعن يمينك فتضحك وعن يسارك فتبكي فقال: يا مالك إذا نظرت إلى السماء، وتذكرت قوله تعالي: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢] فحق لمن سمع هذه الآية أن يبتهل، فإذا نظرت إلى الأرض تذكرت قوله تعالي: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه:٥٥]، فحق لمن سمع هذه الآية أن يعتبر، وإذا نظرت إلى اليمين تذكرت قوله تعالي: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة:٢٧]، فحق لمن سمع هذه الآية أن يضحك، وإذا نظرت إلى الشمال تذكرت قوله تعالي: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ* فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ* وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة:٤١-٤٣] فحق لمن سمع هذه الآية أن يبكي.

*(وقد) قرأت أن الأرض تنادى كل يوم بخمس كلمات فتقول: يا بن آدم،

تمشى على ظهرى ومصيرك إلى بطنى، يا بن آدم، تضحك على ظهرى وسوف تبكى فى بطنى، يا بن آدم تفرح على ظهرى وسوف تحزن فى بطنى يا ابن آدم، تأكل الألوان على ظهرى وسوف تأكلك الديدان فى بطنى، يا بن آدم، تُذنب على ظهرى، وسوف تعذب فى بطنى.

* (فعلى الإخوة المسلمين المستمعين أن يذكروا كل هذا ويذكروا به.. حتى يكونوا إن شاء الله تعالى من المتذكرين للموت وما بعده.. قبل فوات هذه الفرصة الدنيوية التى يعيشونها.. وقبل أن يقول كل واحد منهم عندما سيأتيه الموت وهو غافل عنه: ﴿**وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ* وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [المنافقون:١٠، ١١] .

* (هذا) وإذا كنت أقول هذا للإخوة المستمعين فإننى أيضا أوجه من خلالهم نداء إلى الغافلين فأقول: أيها الغافلون: هل شغلكم الإكثار من الأموال والأولاد عن ذكر العرض والمعاد ؟أو شغلكم التفاخر لكثرة الأموال والأولاد عن ذكر الموت وما بعده من السؤال والأحوال ودام لكم هذا الاشتغال حتى زرتم المقابر؟أى استحكمت الغفلة: حتى فى حال زيارتكم للقبور التى يعتبر وينزجر عندها كل مغرور، ودامت لكم هذه الحال إلى أن مِتّم، وفى القبر صُمِمتم، وللسؤال قعدتم، وللأهوال شاهدتم ؟.

* (وأعلم) أنه قد سمى الدفن فى القبور زيارة إشارة إلى أن الإقامة فى القبر ستكون إقامة مؤقتة وأنها ستكون كإقامة الزائر الذى لا بد وأن يرحل مهما طالت إقامته فى بيت المضيف.. وكذلك هم سيبعثون من القبور إلى الحشر والنشور.

﴿**يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ** (١) **سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ** (٢) **يُوفِضُونَ**﴾ [المعارج:٤٣]، لكى يقفوا بين يدى الحاكم العدل الجبار ليعرفوا مآلهم إلى الجنة وإما إلى النار.

---

(١) **من الأجداث** : أى القبور .

(٢) أى يخرجون من قبورهم مسرعين كأنهم إلى أرصنا مهم يسرعون كما كان حالهم فى الدنيا.

* (فانتبهوا) أيها الغافلون وقدم لأنفسكم خيرًا ينفعكم هناك.. ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ [1] وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس:٣٤-٣٧]، ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله﴾ [الانفطار:١٩]، ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين:٦].

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا جميعًا من المنتفعين بهذا التذكير النافع إن شاء الله..وأن يجعله حجة لنا لا علينا... ما حيينا وبعد مماتنا إلى يوم الدين.

اللهم آمين

(١) صاحبته : أي زوجته .

(١٩)- خطبة أو درس
حول أهم مكفرات الذنوب

الحمد لله القائل: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك القائل: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلا كَرِيما﴾ [النساء:٣١] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: ((**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان: مكفرات ما بينهن - أى من الصغائر - إذا اجتنبت الكبائر**)) حديث صحيح.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى أصحابه الغر الميامين الذين كانوا لذنوبهم من المستغفرين، فكانوا لهذا من الطاهرين وكانوا هداة مهديين وقاده منتصرين. وكانوا رجالًا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ* لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧- ٣٨] .

* (أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه..(لقد)رأيت بمشيئة الله تبارك وتعالى أن يكون لقائى معكم فى هذا اليوم المبارك..حول أهم مكفرات الذنوب - مع - ملاحظة أولًا:أن الذنوب التى أعنيها هى الصغائر..أما الكبائر - وهى المشدد عليها فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة - فإنه لا بد فيها من الإقلاع عن المعصية، والندم على فعلها، وعقد العزم على ألا يعود إلى الذنب مرة أخري.

ومع ضرورة أن يرد حقوق العباد إليهم.. (وإلا)فإن الله تعالى لن يغفر له صغائره [١]..

(وإذا) كان لى أن أوسع فى شرح هذا وتوضيحه (فإننى)أحب أولًا أن أقف مع الإخوة المسلمين علي:

---

(١) كما أشارت الآية التى وقفنا عليها فى أول الخطبة وهى الآية لرقم ٣١ من سورة النساء .

المعنى المراد من كلمة:

كبائر

فإنها: جمع كبيرة، وهى ما ورد فيها تحذير شديد، وغلظت عقوبتها، وأكبر الكبائر: الشرك بالله، ويليه قتل النفس بغير حق، و الزنا، والسرقة، و أكل مال اليتيم، وأكل الربا، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، والفرار من ميدان المعركة، وعمل السحر، والكذب، وقول الزور، وتبذير المال فى غير محله، والقذف، وهو: رمى العفيف بالزنا...إلخ .

(وقد) جمع أبو طالب المكى عليه رحمة الله الكبائر على النحو التالى [1]:

*أربعة فى القلب، وهي: الشرك بالله تعالى وإصرار على معصية الله تعالي، والقنوط من رحمة الله تعالي، والأمن من مكر الله تعالى [2].

*وأربعة فى اللسان، وهى شهادة الزور، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، واليمين الغموس [3]، والسحر.

* وثلاثة فى البطن، وهى: شرب الخمر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا وهو يعلم.

* واثنان فى اليدين، وهما القتل، والسرقة.

* واثنان فى الفرج، وهما: الزنا، واللواط [4].

* وواحدة فى الرجل، وهى: الفرار من الزحف [5].

* وواحدة فى جميع البدن، وهى: عقوق الوالدين.

---

(١) كما جاء فى كتاب له.

(٢) مكر الله تعالي، أى عذابه.

(٣) وقد سمى بهذا الاسم.. لأنه يغمس صاحبه فى النار.. وهذا اليمين لا كفارة له.. لأنه يقسم وهو يعلم أنه كاذب.

(٤) وهو نكاح الذكر.. و العياذ بالله .

(٥) أى من ميدان الجهاد فى سبيل الله.

** (وأما) الصغائر، فهى إلا اللَّمَمَ المشار إليه فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلا اللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢] : أى إلا ما صغر من الذنوب، التى قد يقع فيها الإنسان ثم يتوب عنها توبة صادقة - على شريطة - أن يكون مجتنبًا للكبائر.. كما أشارت الآية التى وقفنا عليها فى أول الخطبه وهى قول الله تعالي: ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلا كَرِيما﴾ [النساء:٣١] .

أي: إن تتركوا كبائر الذنوب والفواحش كالزنا والربا وتعمُّد الكذب نكفر ونستر عنكم صغائر الذنوب وإحساننا متى تبتم عنها توبة صادقة [١].

(وقد) وقد قرأت فى حاشية الصاوى على الجلالين..أن ﴿اللَّمَمَ﴾ هو صغائر الذنوب كالنظرة والقبلة، واللمسة - فهو استثناء منقطع - والمعني: لكن اللمم يُغفر باجتناب الكبائر..(وقرأت) أيضا توضيحًا لهذا فى الحاشية:أن اللمم هو فى الأصل أن يلم بالشىء ولم يرتكبه، والمراد فعل الصغائر.. كالنظرة .. والكذب الذى لا حد فيه ولم يترتب على فسادٌ بين الناس، وهجر المسلم فوق ثلاث، والتبختر فى المشي..ونحو ذلك (كما) ذكر أيضا فى تفسير ﴿كَبَائِرَ الإِثْمِ﴾ [الشورى: ٣٧] أنها جمع كبيرة، وهى ما ورد فيها وَعِيدٌ أوحدّ..وأن قوله: ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ إما عطف مرادف إن أريد بها الكبائر، أو خاص إن أريد بها ما ترتب عليه عظيم مفسدة كالقتل والزنا والسرقة..ونحو ذلك.

**(والآن) وبعد ذلك التمهيد الهام الذى كان لا بد منه لكى نتجنب الكبائر إذا أردنا أن يغفر الله تعالى لنا الصغائر إليكم أيها الأخوة المسلمون أهم مكفرات الذنوب الصغائر: وهي:

الطهارة الحسية والمعنوية

*(فعن) أبى مالك الأنصارى أن رسول الله ﷺ قال: ((**الطهور شطر الإيمان**)) رواه مسلم، وفى رواية لأحمد ((**الطهارة نصف الإيمان**)) والروايتان بمعنى واحد.

(١) التفسير الميسر لفضيلة الدكتور / محمد سيد طنطاوي.

** والطهارة عند الفقهاء، هى رفع الحدث والخبث..

* (فهى)طهارتان:طهارة من الحدث، وتكون بالوضوء والغسل، أو بما يكون بدلًا عنها، وهو التيمم.

* وطهارة من الخَبَث، ومعناها:إزالة ما تعلق بالثواب والمكان والبدن وغيره من النجاسات.

** (وأما)عن الطهارة المعنوية، فهى المشار إليها فى قول الإمام الغزالى عليه رحمة الله، فى كتابه (إحياء علوم الدين [1]):حيث قسم الطهارة إلى أربع مراتب:

- المرتبة الأولى: تطهير الظاهر من الأحداث، والأخباث، والفضلات.

- المرتبة الثانية: تطهير الجوارح من الجرائم والآثام.

- المرتبة الثالثة: تطهير القلب من الأخلاق المذمومة، والرذائل المقوتة.

- المرتبة الرابعة: تطهير السِّر مما سوى الله تعالي، وهى طهارة الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه.

(والطهارة) فى كل مرتبة نصف العمل الذى هى فيه.

* * (ولا شك)أنه إذا تحققت الطهارة بجميع مراتبها، فإن هذا سيكون معناه أن الجسد هذا سيكون طاهرًا من الذنوب الصغائر..ما دام فاعلها أساسًا قد اجتنب الكبائر.

**(وأما)عن[2]:

الوضوء

فهو:يكفر الذنوب، ويمحو الخطايا، ويضاعف الأجر، ويرفع الدرجات، وهو سلاح المؤمن.

---

(١) راجع إحياء علوم الدين ج١ ص١١١ط صبيح.

(٢) كما جاء في(الفقه الواضح) ج١ ص٥٢ وما بعدها.

(فعن)عبد الله الصنابحي رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ: ((**إذا توضأ العبد فتمضمض[1] خرجت الخطايا من فيه[2]، فإذا استنثر[3] خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظافر يديه، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه، فإذا غسل رجليه، خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظافر رجليه، ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة[4] له**)).رواه مالك والنسائي.

*(وعن)أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**إن الخصلة الصالحة تكون في الرجل يصلح الله بها عمله كله، وطهور الرجل لصلاته يكفر الله به ذنوبه، وتبقى صلاته له ناقله**)).أخرجه أبو يعلى.

*(وعن)أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: ((**ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟**)) **قالوا:بلى يا رسول الله ! قال:** ((**إسباغ الوضوء على المكاره [5]، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة:فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**)). رواه الترمذي ومسلم. والرباط:معناه المرابطة للجهاد في سبيل الله.

(والصلاة مكفرة للذنوب)

* (قال) تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَي النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود:١١٤] ، والمراد بالحسنات هنا الصلوات الخمس والمراد الصغائر بالسيئات: الصغار (بدليل) قول ﷺ: ((**الصلوات الخمس، والجمُعة إلى الجمعة: كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر**)).رواه مسلم.

* (وفي) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم يقول النبي ﷺ

(١) أي فتمضمض.
(٢) أي من فمه.
(٣) أي أخرج الماء من أنفه بيده اليسري.
(٤) أي زائدة.
(٥) إسباغ الوضوء:أي إتمامه على المكاره. أي:على الرغم من وجود ما يكره معه استعماله الماء كالبرد وغيره.

لأصحابه: ((**أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم، يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟**)) قالوا: لا يبقى من درنه شيءٌ قال: ((**فكذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا**)).

* (وقد) روى مسلم فى صحيحه (عن) عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**ما من امرئ تحضره صلاة مكتوبة**[1]**، فيحسن وضوءها، وخشوعها، وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم تؤت كبيرة. وذلك الدهر كله**)).

وروى الطبرانى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: ((**تحترقون تحترقون، فإذا صليتم الصبح غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم الظهر غسلتها،ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم العصر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم المغرب غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم العشاء غسلتها، ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا**))

(ومعنى): ((**.. فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا**)) أى: أن الإنسان منا إذا نام، ثم حدث وهو نائم أن قال وهو يتقلب على فراشه: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أو قرأ قرآنًا.. أو سمع وهو يقول كلمه خير.. (فإن) سيدنا رقيبًا سيسجل له هذا فى صحيفة حسناته.

(أما) إذا كان العكس هو الصحيح.. (فإن) عتيدًا لن يسجل هذا فى صحيفة سيئاته.. لأن النبى ﷺ يقول: ((**رُفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبى حتى يحتلم**[2]**، وعن المجنون حتى يفيق**)). رواه أحمد.

(وأحب) أن يلاحظ الأخ المسلم كذلك..أنه إذا عمل حسنة فى أى وقت من أوقات النهار أو الليل.. فإن سيدنا رقيبًا..سيسجلها لحسابه فورًا: (أما)

---

(١) أى المفروضة.

(٢) أى حتى يبلغ _ والصبى يشمل الذكر والأنثى _ ومن علامات البلوغ: خروج المنى فى اليقظة أو فى النوم، ونزول دم الحيض، ونبت الشعر فوق الفرج وحواليه وتحت الإبطين.

إذا عمل سيئة.. فإن سيدنا رقيبا سيقول لسيدنا عتيد: انتظر علّه يستغفر فيغفر له – لأنه من فضل الله علينا أن جعل رقيبًا رئيسًا على عتيد – الرواية تقول: فينتظره ست ساعات فلكية فإن تاب خلال هذه الفترة، فإن السيئة لا تسجل..(وإلا) فإن رقيبًا سيقول له:اكتب أراحنا الله منه(١).

(بعكس) المؤمنين الصادقين..فإن الملائكة تستغفر لهم..كما أشار الله تعالى إلى هذا فى قوله:﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر:٧-٩] .

*(وعن)عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبى ﷺ أنه ذكر الصلاة يوما فقال: ((**من حافظ عليها كانت له نورًا، وبرهانا، ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نورًا، ولا برهانًا ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون، وفرعون، وهامان، وأبى بن خلف**)) رواه أحمد، وقال معلقا عليه: من تركها بسبب الرياسة حُشر مع فرعون ومن تركها بسبب السياسة حشر مع هامان ومن تركها بسبب جمع المال حُشر مع قارون، ومن تركها بسبب الجدال والخصام:حشر مع بن أبى خلف(٢).اهـ.

(ومن) **المكفرات كذلك، ما ورد:

*(عن)أبى ذر، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ قال: ((**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**)).رواه

(١) هذا الكلام يحتاج إلى توثيق من الكتب المعتمدة لأنه من الغيبيات وقد سبق مثله فى خطب أخرى.

(٢) لأن هامان كان وزيرًا لفرعون يدبر شئون الملك، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا﴾ [غافر : ٣٦].

الترمذى وقال: حديث حسن، وفى بعض النسخ حسن صحيح.

*(فمعنى)قوله ﷺ: ((**واتبع السيئة الحسنة تمحها**)) أى : إذا فعلت سيئة فاستغفر الله تعالى منها وافعل بعدها حسنة تمحها (وقد) قال الإمام النووي- فى شرح الأربعين النووية: وأعلم أن ظاهر الحديث يدل على أن الحسنة لا تمحو إلا سيئة واحدة، وإن كانت حسنة بعشر، وأن التضعيف لا يمحو السيئة، وليس هذا على ظاهره، بل الحسنة الواحدة تمحو عشر سيئات..[1]..إلخ.

** (ومن) المكفرات، ما ورد: (عن) أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**قال الله تعالى يا بن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك، يا بن آدم إنك لو أتيتنى بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئًا لأتينك بقرابها مغفرة**))رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

**(ومن) المكفرات، ما ورد:

*(عن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: ((**صلاة الرجل فى جماعة تزيد على صلاته فى سوقه وبيته بضعًا وعشرين[2] درجة، وذلك أن أحدهم إذا توضأ، فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة، لا ينهزه[3] إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفع له بها درجه، وحط عنه بها خطيئة، حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان فى الصلاة ما كانت الصلاة هى تحبسه، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام فى مجلسه الذى صلى فيه يقولون:اللهم ارحمه اللهم اغفر له، اللهم تُب عليه، ما لم يُؤْذِ فيه، ما لم يُحدِث فيه**))متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

** (ومن) المكفرات، ما ورد :

---

(١) ارجع إلى الحديث ١٨ فى الأربعين النووية.

(٢) **البضع** : من ثلاثه إلى عشرة.

(٣) **ينهزه**: بفتح الياء والهاء وبالزاي:أى يخرجه وينهضه.

* (عن) أبى سعيد وأبى هريرة رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: ((**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هَمَّ ولا حَزَن، ولا أذى ولا غَمَّ، حتى الشوكة يشاكها إلا غفر الله بها من خطاياه**)) متفق عليه.

* (وعن) ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبى ﷺ وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله أنك نوعك[1] وعكًا شديدًا، قال: ((**أجل إنى أوعدك كما يوعك رجلان منكم**)) ذلك أن لك أجرين ؟ قال: ((**أَجَل ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئة وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها**)) متفق عليه.

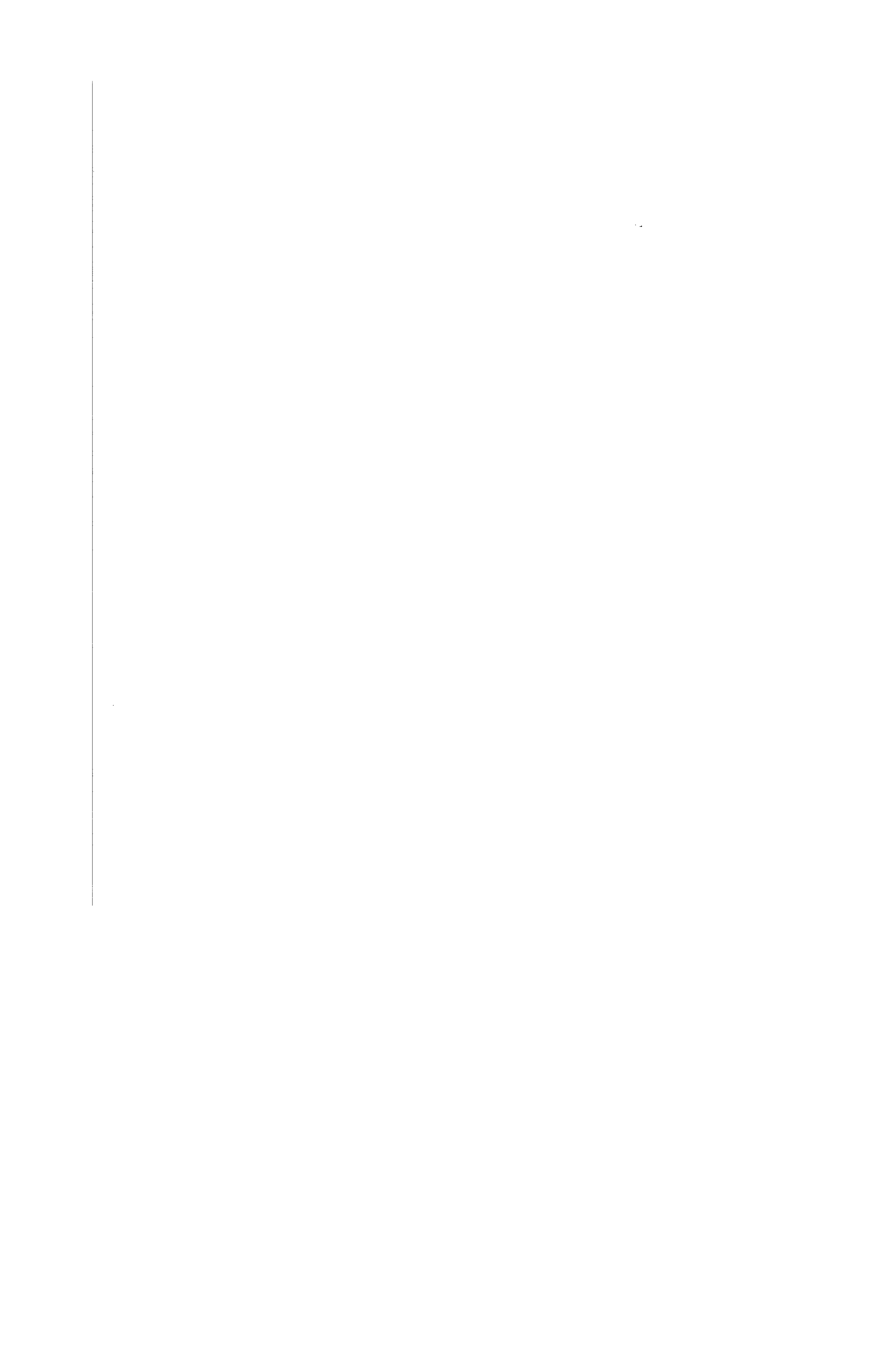
* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة**)) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

* (وهكذا) أخوة الإسلام نستطيع أن نتفق على تلك المكفرات فى كتاب الله تعالى وفى السُّنة الصحيحة.. وما أكثر تلك المكفرات التى ينبغى علينا أن نتفق عليها.. وننفذ المراد منها.. عسى أن يغفر الله تعالى لنا خطايانا.. ونحن نسأله سبحانه وتعالى أن يتجاوز عن سيئاتنا وأن يتفضل علينا برحمته أو برحماته التى وسعت كل شيء بفضله وكرمه، وعفوه..

اللهم آمين.

---

(١) أى تمرض.



(٣٠)- خطبة أو درس
حول التوبة وأهم شروطها

الحمد لله القائل:﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل:﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وكان الرسول ﷺ يقول لأصحابه: ((**أيها الناس: توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة**)) رواه مسلم عن الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه .

* (وعن) أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**)) رواه البخاري.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين المؤمنين الصادقين العاملين المخلصين الذاكرين المستغفرين التائبين الذين عرفوا الله تبارك وتعالى فعرفهم ونصروا الله سبحانه وتعالى فنصرهم فكانوا هداة مهتدين وقادة منتصرين. وكانوا رجالاً كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم في قوله:﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ* لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧، ٣٨] .

* (أما بعد)؟؟

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه.. (لقد) رأيت في هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تعالى وتوفيقه.. (أن) أدور معكم حول موضوع هام أمرنا الله تبارك وتعالى أن ننفذ المراد منه.. ألا وهو التوبة أي الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى – فقال تعالى كما سمعنا في أول الخطبة

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[النور: ٣١].. وهذا الأمر المنصوص عليه في أول الآية يفيد الوجوب.. والواجب هو ما يثاب الإنسان على فعله ويعاقب على تركه.

(ولكن) هناك ملاحظة هامة لا بد كذلك وأن نقف عليها وهى أنه إذا كانت التوبة واجبة فإن هناك ما هو أوجب منها.. ألا وهو ترك الذنب كما قال الإمام الشافعى ﷺ.. وكان قد سُئل عن ثمانية أمور: عن الواجب والأوجب، والعجيب والأعجب، والصعب والأصعب، والقريب والأقرب ؟ فأجاب عليه رضوان الله بقوله:

من واجب الناس أن يتوبوا	لكن ترك الذنوب أوجب
والدهر في صرفه[1] عجيب	وغفلة الناس عنه أعجب
والصبر في النائبات صعب	ولكنْ فوات الثواب أصعب
وكل ما ترتجي قريب	والموت من دون ذاك أقرب

(وهذا) الذي أشار إليه الإمام الشافعى فى قوله:

(لكن ترك الذنوب أوجب) هو شاهدنا الذي سنركز عليه في هذا اللقاء المبارك.. لأنه لا معنى للتوبة إذا كان هناك إصرار على المعصية.. (ولذلك) فقد قال الإمام النووي عليه رضوان الله في كتابه (**رياض الصالحين**) تحت عنوان: (باب التوبة) قال العلماء: التوبة[2] واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط: أحدها أن يُقلع[3] عن المعصية، والثانى: أن يندم على فعلها، والثالث: أن يعزم على أن لا يعود إليها، فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

---

(١) أي في تقلباته.

(٢) أي القرب إلى الله بالطاعة والرجوع إليه بتجديد نية العمل الصالح.

(٣) أي: يكف عن المعصية .

(وإن) كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة – أى الماضية – وأن يبرأ من حق صاحبها – أى من استيفاء الحق منه – فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كان حد قذف ونحوه مكنه منه– أى من نفسه – أو طلب عفوه، و إن كان غيبة استحله منها – أى طلب منه المسامحة دون أن يَذْكر ما قاله عنه .

(ثم) يقول الإمام النووى: ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقى عليه الباقى. (ثم) يقول: وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة.

(هذا) وإذا كان لى أن أعلق على أهم ما جاء فى هذه الشروط فإني أحب أن أشير أولاً إلى المعنى المراد من قوله: أن يعزم أن لا يعود إليها أبدًا.. (فإن) المراد هو أن يكون صادقًا في هذه التوبة لا بد وأن يكون ناويًا فيها عدم الرجوع إلي الذنب مرة أخرى ويسأل الله تعالي العون علي تحقيق هذا (ولكن) إذا حدث وأن ضحك الشيطان عليه حتي أوقعه مرة أو مرات في المعصية.. (فإن) هذا ليس معناه أن باب التوبة سيغلق في وجهه.. (إنني) أبشر الأخ المسلم بأن باب التوبة لا يغلق أبدًا.

* (فعن) أبي حمزة أنس بن مالك الأنصاري ﷺ – خادم رسول الله ﷺ – قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لله أفرح**[1] **بتوبة عبده من أحدكم سقط علي بعيره وقد أضله في أرض فلاة**)) متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: ((**لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى**

(١) أي: أشد قبولاً للراجى.

شجرة فاضطجع [1] في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها. ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ [2] من شدة الفرح)).

* (وعن) أبي موسي عبد الله بن قيس الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((**إن الله تعالي يبسط يده [3] بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده في النهار ليتوب مسيء الليل حتي تطلع الشمس من مغربها**)) رواه مسلم.

*(وعن) أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه**)) رواه مسلم.

* (وعن) أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((**إن الله عز وجل يقبل توبة العبد [4] مالم يغرغر**)) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(ومعني) مالم يغرغر أي تصل روحه حلقومه.. لأن الله تعالى يقول: ﴿**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ [النساء: ١٨].

(وأما) عن المعني المراد من قول الإمام النووي.

(أن) يبرأ من حق صاحبها.. (فقد) فسره بعد ذلك بقوله: (فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه) وهذا إذا كان المال المغتصب هذا موجود بيده .. (وأما) إذا لم يكن موجودًا.. فإنه يجب عليه أن ينوي السداد إلي آخر لحظة في حياته.. وإذا حدث وسدد فبها ونعمت.. (وإذا) لم يستطع السداد إلى أن مات.. فإن

---

(١) أي جلس يستريح في مفازة في أرض واسعة لا نبات بها ولا ماء.

(٢) تجاوز الأعرابي الصواب والله تعالي قبل خطأه.

(٣) أي يتجاوز عز وجل شأنه ويوسع جوده ويعم فضله.

(٤) أى المذنب المكلف.

الله تعالى – وهو العليم الخبير – سيتولى بنفسه تصفية هذا الحساب في يوم الحساب.. وقد ورد أن الله تعالى سيظل يعطي صاحب الحق هذا – نيابة عن هذا الذي كان قد اغتصب ماله – إلى أن يرضى. (وأما) عن المعنى المراد من قوله: (وإن كان حد قذف مكنه منه) فقد ورد أن أبا ذر رضي الله عنه قال ذات يوم لسيدنا بلال رضي الله عنه: يا بن السوداء... فلما علم النبي ﷺ بهذا حَزِن وتألم ثم قال لأبي ذر: «**أعيرته بأمه إنك امرؤٌ فيك جاهلية**» أي لا زالت فيك رواسب الجاهلية.. لأن الإسلام قد أذاب الفوارق.. فالناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على أعجمى إلا بتقوى الله ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات:١٣].

فلما سمع أبو ذر هذا أو مثل هذا من رسول الله ﷺ. بكي بكاء شديدًا، ثم وضع خده علي الأرض وطلب من بلال أن يطأ وجهه بقدمه عقابًا له، وتأديبًا له، ولكنَّ بلالاً أبى وعفا عن صاحبه حتي يفوز بالُمشار إليه في قوله تبارك وتعالي.. ﴿**وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٤] .

(بل) وثبت أن النبي ﷺ قال: «**هذا ظهري فمن كنت جلدت له ظهرًا فهذا ظهري فليقتص مني**»..

(إن) مثل هذا لا بد وأن نذكره وننفذه قبل يوم القيامة الذي سيقتص الله تعالي فيه حتي للحيوانات.

* (فعن) أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لتؤدن الحقوق إلي أهلها يوم القيامة حتي يقاد للشاة الجلحاء [1] من الشاة القرناء**» [2] رواه مسلم.

* (وقد) أشار الله تعالى إلى هذا فى قوله.. ﴿**يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا**﴾ [النبأ: ٤٠] .

---

(١) أى التى لا قرن لها .

(٢) أى التى نطحتها بقرنيها.

(وهـذا) معنـاه أن الله تبـارك وتعـالى بعـد أن يقـتص مـن الحيوانـات للحيوانات.. سيقول الله تبارك وتعالى لكل تلك الحيوانات إظهارا لعدله سبحانه وتعالى: كونوا ترابا.. فيقول: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾.. وهذا تصريح بحشر البهائم.. كما يشير إلى هذا أيضا قول الله تبارك وتعالى ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير:٥] أى جمعت.

(وقد) قرأت (فى حاشية الصاوى على الجلالين) ج٣ ص١٤٥ أن الحيوانات التى ستدخل الجنة عشرة، وهى: براق الرسول ﷺ، وهدهد بلقيس، ونملة سليمان، وعجل إبراهيم، وكبش إسماعيل، وبقرة بنى إسرائيل، وكلب أهل الكهف، وحمار عزير، وناقة صالح، وحوت يونس، والله أعلم[1].

*(وأما) عن المراد من قول الإمام النووى: (أو طلب عفوه) فإن عفا عنه فإن هذا سيكون معناه أن الله تعالى قد رضى عنه (وإن كان غيبة استحله منها) أى طلب منها المسامحة.

(ثم) يقول: (ويجب أن يتوب من جميع الذنوب) أى صغيرها وكبيرها (فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقى عليه الباقى) أى أنه لا بد وأن يأخذ بأسباب التوبة الكاملة إلى آخر لحظة فى حياته مع الإكثار من التوبة والاستغفار كما كان يفعل رسول الله ﷺ مع ملاحظة أن الاستغفار معناه سؤال غفر الذنب (وشرط) قبوله: الإقلاع عن الذنب المستَغْفَر منه، والاستغفار منه مع التلبس بالذنب تلاعب كما قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] أى لم يقيموا على ذنوبهم بل أقروا بها واستغفروا.. (وقد) ورد فى حديث: ((**التائب من الذنب كمن لا**

---

(١) وليس على هذا دليل صريح ولا يعنى ذكرها فى القرآن أنها ستكون فى الجنة فإن مثل هذا يحتاج إلى دليل قاطع من القرآن أو السنة لأنه من الغيبيات .

ذنب له، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه)) أخرجه ابن أبى الدنيا من حديث ابن عباس، وأوله عند ابن ماجه والطبرى من حديث ابن مسعود بإسناد حسن: والمستغفر.. إلخ. موقوفًا والله أعلم.

*(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة**)) رواه البخارى.

*(وعنه) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم**)) رواه مسلم.

*(وعن) ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة. ((**رب اغفر لى وتب علىّ إنك أنت التواب الرحيم**)) رواه أبو داود، والترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

*(وعن) ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق[1] مخرجًا[2]، ومن كل همٍّ[3] فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب**)) رواه أبو داود.

* (وعن) شدَّاد بن أوس رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: ((**سيد الاستغفار[4] أن يقول العبد: اللهم أنت ربى، لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرِّ ما صنعت، أبوء[5] لك بنعمتك علىَّ، وأبوء بذنبى، فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**)).

---

(١) دنيوى أو أخروى.

(٢) أى ما يخرج منه بأن يلطف به ويخرج من ذلك الكرب وينجو من الهم.

(٣) أى حزن بفرج الله له ما يهتم بأن يزيل عنه سببه وينجيه من تعبه .

(٤) أى أعظم صيغ الاستغفار الجامع لمعانى التوبة.

(٥) أى أقر وأعترف.

(ثم) يقول النبى ﷺ: ((**من قالها فى النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة**)) رواه البخارى.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من التائبين المستغفرين، وأن يقبل توبتنا أجمعين.

اللهم آمين..

(٣١) خطبة أو درس

حول الترغيب فى المسارعة بالتوبة إلى الله تعالى قبل الموت.. الذى سيأتى بغتة

الحمد لله القائل: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[آل عمران:١٨٥].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ((**كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**))[١].

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين عرفوا الله تعالى فأطاعوه، وعرفوا الحق فاتبعوه، وعرفوا الدنيا فرفضوها، وعرفوا الآخرة فطلبوها، وعرفوا النار فهربوا منها، وعرفوا الجنة فعملوا من أجلها.. فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين، وكانوا رجالًا تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[النور:٣٧- ٣٨].

(أما بعد) فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه، (ورد) عن أبى الدرداء رضي الله عنه أنه قال: خطبنا النبى ﷺ يوم الجمعة فقال: ((**توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم تسعدوا، وأكثروا الصدقة ترزقوا وأمروا بالمعروف تخصبوا، وانهوا عن المنكر تنصروا أيها الناس إن أكيسكم**[٢] **أكثركم**

---

(١) من حديث رواه البخارى.

(٢) الكيس: بفتح فسكون الفطنة والعقل.

ذكرًا للموت، وأكرمكم أحسنكم استعدادًا له. ألا وإن من علامات العقل التجافى عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والتزوُّد لسكنى القبور، والتأهُّب ليوم النشور » أخرجه ابن ماجه .

* (وقد) رأيت فى هذا اللقاء المبارك أن أدور معكم وبإيجاز إن شاء الله حول هذه الخطبة المحمدية الجامعة التى لو نفذنا المراد منها - كما جاء فى نصها- كنا من أعقل الناس الذين تجافوا عن دار الغرور التى هى الدنيا التى تحدث الله سبحانه وتعالى عنها فقال : ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا**[1] **وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ**﴾ [الحديد: ٢٠] وهذا بالنسبة لمن باع الآخرة بالدنيا ﴿**وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ**﴾ [الحديد: ٢٠] وهذا بالنسبة لمن باع الدنيا بالآخرة.. ثم يقول سبحانه : ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ [الحديد: ٢٠].

(فقد) أشار الله تعالى فى هذه الآية الكريمة من أول قوله تعالى: ﴿**اعْلَمُوا**﴾ إلى آخرة الآية إلى أن الاشتعال بالدنيا عن الآخرة دائر بين هذه الأمور الخمسة، وهى اللعب، واللهو، والزينة، والتفاخر، والتكاثر فى الأموال والأولاد..

(وقد) قال الإمام على كرم الله وجهه لعمار بن ياسر: (لا تحزن على الدنيا، فإن الدنيا ستة أشياء: مأكول، ومشروب، وملبوس، ومشموم، ومركوب.. وأفضل ملبوسها الديباج، وهو نسج دودة، وأفضل مشمومها المسك، وهو دم فأرة[2] وأفضل المركوب: الفرس وعليها تقتل الرجال، وأما أحسن طعامها: فهو العسل، وهو بزقة ذبابة[3] وأما المنكوح فهو النساء، وهن مبال فى مبال.

وأما عن(متاع الغُرور)، فهو بالضم: ما اغتر به الشخص من متاع الدنيا.

---

(١) أى ثم يتحرك هذا النبات الذى أعجب الكفار، ثم يبدأ فى الضعف فتراه مصفرا، ثم يكون بعد ذلك حطاما مكسرا .

(٢) وقد قرأت فى المعجم الوجيز أن المسك ضرب من الطيب يتخذ من ضرب من الغزلان والقطعة منه مسكة .

(٣) يقصد النحلة .

(ثم) إذا كان الله تبارك وتعالى – فى نص الآية – قد ضرب مثلًا على الدنيا فى قوله: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ أى مطر ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾ أى الزراع ﴿نَبَاتُهُ﴾ أى الناشئ عنه ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أى ييبس ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ أى فُتاتًا يضمحل بالرياح.. (فإن) هذا هو مثلنا نحن كذلك.. (فنحن) نرى الطفل رضيعًا فى أول مراحل حياته، ثم نراه بعد ذلك صبيًّا يمشى على قدميه بعد أن كان يحبو على ركبتيه، ثم نراه غلامًا يرتع ويلعب، ثم نراه شابًّا فى مقتبل العمر.. ثم نراه رجلًا فى سن الأربعين – مثلًا – ثم نراه بعد ذلك شيخًا مُسنًّا فى سن الستين – مثلًا – يتوكأ على العصا بعد أن كان يمشى على قدميه معتدلًا.. كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله:

وكنت أمشى على رجلين معتدلًا فصرت أمشى على أخرى من الشجر[1]

(ثم) نراه بعد ذلك – إن عشنا حتى نراه كَهلًا – لا يقوى حتى على الاتكاء على العصا.. (ولهذا) فإنه سيكون مُقعدًا أو مُمَدَّدًا.. ولكى ينتقل من مكان إلى مكان فإنه سيحبو كما كان يحبو يوم أن كان طفلًا فى بداية مراحل حياته.. (ثم) سيظل مُقعدًا أو ممدَّدًا إلى أن يموت لكى يعود إلى مضيق القبر كما خرج من مضيق البطن.. كما قال تعالى مشيرا إلى هذا: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[طه:٥٥] وقوله: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم﴾ أى خلقكم ﴿مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ أى أنشأكم منها.. باعتبار النطفة فإن أصلها وهو الغذاء من الأرض ثم يعيدكم فيها أى : مقبورين[2] ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[نوح:١٨][3] أى للبعث الذى لا بد وأن نؤمن به (وهو) المشار إليه فى قوله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[الروم: ٢٧] أى هين.

(وعن) أبى رزين العقيلى قال: قلت: يا رسول الله كيف يُعيد الله الخلق وما آية ذلك ؟ قال:

---

(١) وهى العصا .

(٢) فالإنبات استعارة للخلق.

(٣) التفسير من حاشية الصاوى على الجلالين ج ٤ ص ١٩٧ بتصرف كبير وإضافات.

((**أما مررت بوادى قومك جدبا ثم مررت به يهتز خَضِرًا ؟**)) قلت: نعم قال: ((**فتلك آية الله فى خلقه كذلك يحيى الله الموتى**)) أخرجه أحمد وأبو الحسن رزين بن معاوية والطبرانى.

والمعنى: أما مررت بوادى قومك حال خُلُوِّه من النبات، ثم مررت به بعد أن اخضر بالنبات ؟ كذلك يحيى الله الموتى يوم القيامة.

** (وعلى) هذا، فإننى أستطيع أن أقول للإخوة المستمعين بعد هذا التمهيد الهام.. إننا جميعًا لا بد وأن نكون قد فهمنا المراد من هذا التذكير المتعلق ببداية الإنسان ونهايته.. وأننا جميعًا وبدون استسقاء فى سفر إلى الله تبارك وتعالى.. وأن سفرنا هذا لا بد وأن يُجَهِّز له عُدَّته وزاده الذى ينبغى أن يكون زادًا حقيقيًّا على أساسٍ من التقوى التى هى رأس الأمر كُلّه.. ولله در من قال:

تزوَّدْ من التقوى فإنك لا تدرى ... إذا جَنَّ ليلٌ هل تعيش إلى الفجر

فكم من فتى يمسى ويُصبحُ لاهيًا ... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى

وكم من صحيح مات من غير عِلَّة ... وكم من سقيم عاش حينا من الدَّهر

وكم من عروس زينوها لزوجها ... وقد قبضت أرواحهم ليلة القَدْر[1]

* (وأعنى) بهذا أن الموت يأتى بغتة كما أشار أحدهم أيضًا إلى هذا فى قوله:

اغتنم فى الفراغ فضلَ ركوعٍ ... فعسى أن يكون موتُك بغتة

كم صحيح رأيت من غير سقم ... ذهبت نفسه الصحيحة فَلْتة

(وبهذا) فإن أهم ما ينبغى على الأخ المسلم أن يُعجل به قبل أن ينتهى أجله - الذى لا يدرى متى سينتهى - فهو أن يعجِّل بالتوبة إلى الله تبارك وتعالى قبل الموت حتى يقبل الله تعالى منه توبته، وإلا رفضها سبحانه كما يشير الله تعالى إلى هذا فى قوله: ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ**

---

(١) لأن فيها ينزل إلى الأرض ما يقضى فى السنة كلها كما جاء فى التفسير.

قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٧](١). أى: إنما التوبة المقبولة عند الله إنما هى توبة الذين يعملون العمل السيئ عن جهل وسفه وحمق، ثم يتوبون بعد وقت قريب من ارتكابهم لما نهى الله تعالى عنه. ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء:١٨].

(وذلك) لأنه إذا أخذ فى النزع، أى بلغت الروح الحلقوم، وفى وقت الغرغرة سيرى الإنسان مقعده فى الجنة أو النار، فيظهر عليه علامة البشرى أو الحزن فلا ينفعه الندم إذ ذاك.

(ولهذا) كان لا بد وأن يعجل الأخ المسلم بالتوبة إلى الله تبارك وتعالى قبل الغرغرة.. (وإلاَّ) فإن الله تبارك وتعالى لن يقبل توبته كما أفادت الأخيرة

(وقد) قرأت قولًا جامعا قال فيه حاتم الأصم رحمه الله: ((العجلة من الشيطان إلا فى خمسة أشياء فإنها من السنَّة: إطعام الضيف إذا دخل، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب)) .

(ولا بد) وأن تكون التوبة _ الصادقة هذه _ مقترنة بالأعمال الصالحة التى ستكون مؤكِّدة لها.. كما أشار الله تعالى هذا إلى مرتين فى وصفه لعباده الذين يستحقون رحمته، فقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٢) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٣) وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ

---

(١) التفسير الذى بين الآيتين من التفسير الميسر لفضيلة شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى أكرمه الله.

(٢) أى: كان غراما، وعقابا ملازما دائما.

(٣) أى: وكان إنفاقهم لأموالهم وسطا لا إسرف فيه ولا بخل

يَلْقَ أَثَامًا [1] يُضَاعَفْ [2] لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ [3] وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان:٦٣-٧٧] إلى آخر السورة.

* (ولتكن) كما نبهت عليك صادقا فى توبتك إلى الله تعالى واستغفارك له، وإلا كانت توبتك تحتاج إلى توبة، واستغفارك يحتاج إلى استغفار[4].

** (ولا بد) وأن يكون العمل الصالح الذى ستؤكد به توبتك خالصًا لوجه الله تبارك وتعالى.. وإلا فإن الله تعالى سيرده عليك كذلك..كما أشار الله تبارك وتعالى إلى هذا فى قوله عن المرأين: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣] والهباء المنثور، هو الغبار الذى يرى أثره فى شعاع الشمس..(وليكن) كل عمل صالح ستتقرب به إلى الله تبارك وتعالى تحت شعار واحد، وهو: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ ﴾ [الأنعام١٦٢، ١٦٣] حتى تكون من أهل التوحيد الخالص الذى أسأل الله تعالى أن يميتنا عليه..وحسبنا أن يتحقق لنا هذا.. كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله:

يا ربّ إن ذنوبى فى الورى كثرت — وليس لى عمل فى الحشر ينجينى

وقد أتيتك بالتوحيد يصحبه — حب النّبى وهذا القدر يكفينى

(نعم) لا بد مع هذا التوحيد الخالص –وهو إفراد الله تعالى بالعبادة –أن تكون محبًا لرسول الله ﷺ حبًا صادقًا بمعنى أن تكون متمسكًا بسنته ومتأدبًا بآدابه –لأنه صلوات الله وسلامه عليه هو النعمة الكبرى التى امتن

(١) أى ومن يفعل هذه الفواحش يلق عقابا شديدا .

(٢) أى أضعافا لا يعلمها إلا الله .

(٣) أى يحول الله سيئاتهم إلى حسنات .

(٤) كما قالت رابعة العدوية رضى الله عنها.

الله علينا به فقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أَنْفُسِهِمْ[1] يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ[2] كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

(ثم) فى الختام لا بد وأن ننفذ ما جاء فى خطبة الرسول ﷺ وهو الإكثار من الصدقات، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والإكثار من ذكر الموت وضروة الاستعداد له، مع التجافى عن دار الغرور، والتزود لسكنى القبور، والتأهب ليوم النشور (حتى) نكون إن شاء الله تعالى بسبب كل هذا من السعداء المرزوقين المنصورين.(مع) ضرورة الاستعانة بالله تبارك وتعالى على تحقيق كل هذا الخير الذى ننشده جميعا كمؤمنين صادقين يرجون رحمة الله تعالى، ويخشون عذابه.

والله ولى التوفيق

---

(١) أنفسهم بضم الفاء، وفى قراءة بفتح الفاء من أفضلهم ومن أعظمهم.

(٢) الكتاب أى القرآن، والحكمه أى السنة.

(٣٣) خطبة أو درس

حول صلاة التوبة

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم:٨] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: ((**لو أن لابن آدم واديًا من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب**)). متفق عليه.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين صدقوا فى توبتهم إلى الله.. فكانوا هداة مهدين وقادة منتصرين، وكانوا رجالًا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه..(فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى رأيت أن أدور معكم حول موضوع هام عنوانه:

صلاة التوبة

وذلك من خلال حديث ورد عن أبى بكر ﷺ يقول فيه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**ما من رجل يذنب ذنبًا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلى -أى ركعتين**[١]- **ثم يستغفر الله إلا غفر له**. ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا

(١) لرواية ابن حبان والبيهقى وابن خزيمة.

أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦])). رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه والبيهقى والترمذى وقال: حديث حسن. وروى الطبرانى فى الكبير بسند حسن (عن) أبى الدرداء أن النبى ﷺ قال: ((**من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام فصلى ركعتين أو أربعًا مكتوبة أو غير مكتوبة**[1] **يحسن فيهن الركوع والسجود ثم استغفر الله غفر له**)).

(وإذا) كان لى أن أبدأ الآن فى شرح هذا الموضوع الهام فإنى أرى أن أبدأ أولًا بما بدأ به الرسول ﷺ حديثه، وهو قوله: ((**ما من رجل يذنب ذنبًا**)) فإن التنبيه هذا يشمل المرأة كذلك.. لأن كليهما فى الذنب سواء.. (وقد) تكون المرأة أشد تعرضًا للذنب من الرجل.. (وذلك) لكثرة الشياطين الذين يحومون حولها..

(وقد) تكون هى أيضًا الأساس فى هذه الفتن. (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس**[2]**، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، ورءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**)) رواه مسلم.

(وقد) قيل: معنى (**كاسيات**): أى من نعمة الله (**عاريات**) أى: من شكرها. وقيل: معناه: تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارًا لجمالها ونحوه. وقيل: تلبس ثوب رقيقًا يصف لون بدنها. ومعنى (**مائلات**): قيل: عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه (**مميلات**): أى يعلمن غيرهن فعلهن المذموم. وقيل: مائلات يمشين متبخترات، مميلات لأكتافهن. وقيل: مائلات

---

(١) أى مفروضة أو غير مفروضة.

(٢) ظلمًا لا قصاصًا ولا حدًّا.

يمشطن المشطة الميلاء. وهى مشطة البغايا. وممیلات يمشطن غيرهن تلك المشطة ((**رءوسهن كأسنمة البخت**)): أى يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها.

(فعلى) الأخت المسلمة أن تلاحظ كل هذا حتى لا تقع فيه فتكون من أهل النار والعياذ بالله، وعلى ولى أمرها أن لا يسمح لها بفعل هذا.. (ففى) الحديث: ((**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**))..وعليه أن يغار على أهله كما كان رسول الله ﷺ يغار على أهله: (فعن) أم سلمة رضي الله عنها قالت: كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب، فقال النبى ﷺ: ((**احتجبا منه**)) فقلنا: يا رسول الله أليس هو أعمى: لا يبصرنا، ولا يعرفنا ؟ فقال النبى ﷺ: ((**أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه**[1] **!!**)).رواه أبو داود والترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

*(وعلى) الرجل بصفة عامة أن يتقى الله فى المرأة حتى لا يكون سببًا فى فتنتها، (وعلى) المرأة بصفة خاصة أن تتقى الله فى الرجل حتى لا تكون سببًا فى فتنته.

(ثم) إذا كان النبى ﷺ قد قال بعد ذلك فى نص الحديث الذى ندور حوله: ((**ثم يقوم فيتطهر**)): فإن المراد بالتطهر أى الوضوء - أو الغسل إذا كان هناك حدث أكبر - وكذلك إذا كان الرسول ﷺ قد قال في الحديث الثانى: ((**من توضأ فأحسن الوضوء**)): فأننى أرى كذلك أن أقف مع الأخ المسلم على وصف وضوء رسول الله ﷺ[2].

*(فعن) حُمران بن أبان قال: دعا عثمان رضي الله عنه بماء وهو على المقاعد فسكب على يمينه فغسلها.وفى رواية (فأفرغ على يديه ثلاثًا فغسلهما) ثم أدخل يمينه فى الإناء فغسل كفيه ثلاثًا، ثم غسل وجهه ثلاث مِرارٍ، ومضمض واستنشق

(١) أى تريانه.وحكمة الأمر بالحجاب أن لا ينظر إليه ولا إلى شىء منه فيه تحريم نظر المرأة إلى الأجنبى، ونظر المرأة إلى الأجنبى، ونظر عائشة إلى لعب الحبشة فى المسجد لم يكن لأبدانهم، وإنما كان للعبهم وآلاتهم.

(٢) كما جاء فى الجزء الأول من (الدين الخالص).

واستنثر وغسل ذراعيه إلى المرفقين ثلاث مرات، ثم مسح برأسه وأمرّ بيديه على ظهر أذنيه، ثم غسل رجليه إلى الكعبين ثلاث مرار. ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((**من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لا يحدِّث نفسه فيهما، غُفر له ما تقدم من ذنبه**)). وفى رواية: ((**غفر له ما كان بينهما وبين صلاته بالأمس**)) أخرجه أحمد والشيخان.

* (وعن) عبد خير، قال: جلس على ﷺ بعدما صلى الفجر فى الرحبة[1] ثم قال لغلامه ائتنى بطهور[2]، فأتاه الغلام بإناء فيه ماء وطست[3] ونحن جلوس ننظر إليه. فأخذ بيمينه الإناء فأكفأه على يده اليسرى، ثم غسل كفيه، ثم أخذ بيده اليمنى الإناء فأفرغ على يده اليسرى، ثم غسل كفيه. ثلاث مرار كل ذلك لا يدخل يده فى الإناء حتى يغسلها ثلاث مرات. وفى رواية: فتمضمض ثلاثًا واستنشق ثلاثًا من كف واحدة، ثم أدخل يده اليمنى فى الإناء فغسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يده اليمنى ثلاث مرات إلى المرفق، ثم غسل يده اليسرى ثلاث مرات إلى المرفق، ثم أدخل يده اليمنى فى الإناء حتى غمرها الماء ، ثم رفعها بما حملت من الماء ، ثم مسحها بيده اليسرى ، ثم رأسه بيديه كلتيهما مرة . وفى رواية : (فبدأ بمقدم رأسه إلى مؤخَّره) ، ثم صبَّ بيده اليمنى ثلاث مرات على قدمه اليمنى ، ثم غسلها بيده اليسرى ثم صَبَّ بيده اليمنى على قدمه اليسرى ثم غسلها بيده اليسرى ثلاث مرات ، ثم أدخل يده اليمنى فغرف بكفه فشرب فضل وضوئه. ثم قال: هذا طهور نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم .

أخرجه أحمد وأبو داود والنسائى والدارقطنى والدارمى بسند جيد .

(وهذا) مع ملاحظة ضرورة أن يرجع الأخ المسلم إلى كتب الفقه المطولة..

---

(١) **الرَّحَبة**؛ بفتحات: موضع متسع بالكوفة.

(٢) **الطَّهور**: بفتح الطاء هو الماء الذى يتطهر به.

(٣) **الطست**؛ بفتح الطاء فسكون السين المهملتين، وحُكى بالشين المعجمة: إناء من نحاس.

حتى يقف على أهم ما يتعلق بالوضوء من سنن ، ونواقض ومكروهات .. إلخ، (لأنه) الأساس فى الصلاة ففى الحديث.. ((**لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ**))(١). رواه البخارى ومسلم .

(وإتماما) للفائدة إليك كذلك أخا الإسلام .

الغسل الكامل

وهو المشتمل على الفرائض، والسنن، والمندوب، وكيفيته (أن) ينوى المغتسل بقلبه رفع الحدث الأكبر، أو استباحة الصلاة ونحوها. ثم يقول: باسم الله والحمد لله ثم يغسل كفيه ثلاثًا قبل إدخالها الإناء، ثم يغسل ما على فرجه وسائر بدنه من الأذى. ثم يتوضأ وضوءه للصلاة، ثم يدخل أصابعه كلها فى الماء فيغرف غرفة يخلل بها أُصول شعره من رأسه ولحيته

ثم يحثى على رأسه ثلاث حثيات، ثم يفيض الماء على سائر جسده يبدأ بالشق الأيمن ثم الأيسر، ويتعاهد معاطف بدنه كالإبطين وداخل الأذنين والسرة وما بين الأليين(٢) وأصابع الرجلين وعُكن البطن وغير ذلك، فيوصل الماء إلى جميع ذلك، ويدلك ما تصل إليه يداه من بدنه

(وإن) كان يغَّسل فى نهر أو نحوه انغمس حتى يصل الماء إلى جميع بشرته وشعره ظاهره وباطنه وأُصول منابته (ويستحب) أن ينوى الغسل من أول شروعه فيه ويستصحب النية إلى الفراغ منه غلبة ويكفى الظن فى تعميم الجسد بالماء، ثم يتحول من مكان غُسله فيغسل قدميه إن لم يكن غسلها أولًا .

* (ودليل) ذلك حديث عائشة: أن رسول الله ﷺ (كان إذا اغتسل من الجنابة يبدأ فيغسل يديه ثلاثًا ثم يفرغ بيمينه على شماله فيغسل فرجه. ثم يتوضأ وضوءه للصلاة ثم يأخذ الماء ويدخل أصابعه فى أصول الشعر حتى

---

(١) أى أحدث حدثا أصغر يوجب الوضوء . وأما الحدث الأكبر فإنه يوجب الغُسل ..ارجع إلى الجزء الأول من الدين الخالص ..باب الوضوء .

(٢) أى ما بين المقعدة.

إذا رأى أنه قد استبرأ حفن على رأسه ثلاث حفنات ثم أفاض على سائر جسده، ثم غسل رجليه).أخرجه الشيخان. وفى رواية لهما: ((ثم يخلل بيده شعره حتى إذا ظن أنه قد أروى[1] بشرته أفاض عليه ثلاث مرات

**(كما) يقول فى (الدين الخالص) ج: ص ٣١٣ ٠

*(وأجمع) حديث فى كيفية غسل الحائض والنفساء (حديث) عائشة أن أسماء سألت النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن غُسل المحيض ؟ قال: ((**تأخذ إحدكنَّ ماءها وسدرتها فتَطهَّر فتحسن الطهور، ثم تصُبُّ على رأسها فتدلكه دلكًا شديدًا حتى يبلغ شئون رأسها، ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فِرصة ممسكة فتطهَّر بها**)) قالت أسماء وكيف تطهَّر بها ؟ قال: ((**سبحان الله تطهَّرى بها**)) قالت عائشة - كأنها تخفى ذلك - تتبَّعى أثر الدم، وسألته عن غسل الجنابة ؟ قال: ((**تأخذى ماءك فتطهَّرين فتحسنين الطهور أو أبلغى الطهور، ثم تصبُّ على رأسها فتدلكه حتى يبلغ شئون رأسها ثم تفيض عليها الماء**)) فقالت عائشة: نِعمَ النساءُ نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين أخرجه السبعة [2] إلا الترمذى .

(وفى) الحديث دليل على أنه يحسن فى حق المغتسلة من الحيض أن تأخذ شيئًا من مسك وتضعه فى قطنه وتدخله فى فرجها بعد الغسل، ومثلها النفساء، فإن لم تجد مِسكًا استعملت أى طيب وجدت. (والحكمة) فى ذلك تطييب المحل ودفع الرائحة الكريهة.

(وهناك) تنبيه هام.. لا بد وأن أوقف عليه الأخ المسلم، والأخت المسلمة.. وقد (قرأته) فى (الفقه الواضح) ج:ص ٩٩ وما بعدها، تحت عنوان:

(تنبيه)

وفيه يقول: كثير من العوام يدخل الحمام ليغتسل ومعه اللوفة والصابونة،

---

(١) استبرأ: أى أوصل الماء إلى البشرة وكذا (أروى).

(٢)وهم البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه.

فيتدلك بهما ثم يخرج وهو يظن أنه قد طهر من جنابته بهذا الغسل. وليس هذا الغسل مطهرًا له أبدا، وسيظل جُنُبًا ما دام يصنع ذلك، ولو عاش خمسين عامًا. (لأن) ما يصنعه لا يسمى غُسلًا شرعيًا، ولكن يسمى استحماما القصد منه التنظيف.

* (أما) الغسل الشرعى، فإنه لا يتحقق إلا بماء مطلق لم يخالطه شىء كالصابون ونحوه.

(ثم) يقول فعلى المسلم إذا أراد أن يغتسل من الجنابة أن يفعل ما فعله رسول الله ﷺ ، فيصب الماء المطلق الخالى من كل ما يغيره على جسده من أعلى إلى أسفل.. وبهذا يكون قد طهر .. (وله) بعد ذلك أن يستحم بالصابونة واللوفة.

(ثم) يقول: (وله) أن يستحم أولًا باللوفة والصابون ثم يزيل ما علق بجسده من أثر الصابون ثم بعد ذلك يتولى رفع الحدث الأكبر ويغتسل الغسل الشرعى المعروف؛ والذى وقفنا عليه بالنسبة للأخ المسلم والأخت المسلمة.

** (وهناك) ملاحظة أخرى لا بد وأن تقف عليها الأخت المسلمة، وهى أنه ليس واجبًا عليها أن تفك ضفائرها عند الغسل مطلقا لما فيه من الحرج والمشقة، والدين مبنى على اليسر ورفع الحرج.

* (فعلى) المرأة أن تصب الماء على رأسها صبًّا غزيرا حتى يصل إلى جلدة رأسها وتتيقن من ذلك فإن غلب على ظنها أن الماء لم يصل، صبَّت ماء آخر..وآخر حتى يبلغ جلدة رأسها - فإن لم تتيقن أن الماء يصل إلى جلدة رأسها لشدة الضفائر وجب عليها نقضها دفعا للشك - فإن تحت كل شعرة جنابة..[1].

* (وأيضًا) مع الملاحظة: أنه يكفى الغسل عن الجنابة وحيض، ويكفى غسل الجنابة عن غسل الجمعة، وغسل العيد، إذا نوى الكل. (لكن) لا يكفى غسل الجمعة ولا غسل العيد عن الجنابة أو غسل الحيض والنفاس، فإن

---

(١) (تحت كل شعرة جنابة) ورد فى حديث ضعيف .

غسل الجنابة والحيض والنفاس فرض وغسل الجمعة والعيد سنة (ولا) تجزئ السُّنة عن الفرض، ولكن تدخل السُّنة فى الفرض.

(ثم) بعد ذلك وبعد التطهر: يصلى أربعًا أو ركعتين مكتوبة أو غير مكتوبة يحسن فيهن الركوع والسجود... ثم يستغفر الله بأى صيغة من صيغ الاستغفار الصحيحة التى منها (رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم**) كما كان يقول رسول الله ﷺ فى الحديث الصحيح الذى رواه أبو داود، والترمذى وقال: حديث صحيح..إلخ ما تستطيع أن تستغفر الله تعالى به.. بصدق.

(ثم) قرأ النبى ﷺ هذه الآية من سورة آل عمران: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً**﴾ أى ذنبا قبيحا كالزنا ﴿ **أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ** ﴾ بما دونه. كالقبلة ﴿**ذَكَرُوا اللَّهَ**﴾ أى ذكروا وعيده ﴿ **فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ**﴾ كهذا الرجل التَّمار[1] الذى نزلت الآية فى حقه..(وكان) قد مرت عليه امرأة، وأرادت أن تشترى منه تمرًا، فأعجبته، فقال: إن التمر الجيد داخل الحانوت، فدخل معها الحانوت وفعل معها ماعدا الإيلاج[2]، وأعطاها التمر.. فتذكر هيبة الله وعقابه.. فجاء إلى النبى ﷺ يبكى. فنزلت الآية.. ﴿ **وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ** ﴾ أى لا يغفر الذنوب إلا الله ﴿ **وَلَمْ يُصِرُّوا**﴾ أى يديموا ﴿ **عَلَى مَا فَعَلُوا**﴾ [آل عمران: ١٣٥] بل أقلعوا عنه ﴿**وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[آل عمران :١٣٥] أى أن الذى أتوه معصية.. والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بفتحها، النهى عنها، الوعيد عليها..لأنه قد يقدم على الذنب من لا يعلم أنه ذنب ولا يؤاخذ بذلك كالمجتهدين من الصحابة فى قتال

بعضهم، ولذلك كان الواحد منهم إذا ظهر له الخطأ أقلع فى الحال.. ﴿**أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا**

---

(١) وهو الذى يبيع التمر.

(٢) أى الإدخال فى الفرج.

﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران:١٣٦] إن النبى ﷺ قد قال قبل أن يقرأ هاتين الآيتين - كما جاء فى نص الحديث الذى تدور حوله: ((**ما من رجل يذنب ذنبًا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلى - أى ركعتين أو أربعًا ثم يستغفر الله إلا غفر له**))، وهذا معناه أن الصلاة هى مفتاح باب الله تبارك وتعالى الذى ينبغى علينا نحن المؤمنين والمؤمنات كثيرًا ولو بركعتين كلما أردنا الرجوع إلى الله تبارك وتعالى بالتوبة الصادقة بعد فعل المعصية..ولله در من قال:

ألا فى الصلاة الخير والفضل أجمع ... لأن بها الرقاب لله تخضعُ

وأول فرض فى شريعة ديننا ... وآخر ما يبقى إذا الدين يرفعُ

فمن قام للتكبير لاقته رحمة ... وكان كعبد بابَ مولاه يَقْرعُ

وكان لرب العرش حين صلاته ... نجيًّا فيا طوبى له حين يخشع

** (فلنذكر) صلاة التوبة على الدوام.. ولنحرص على تنفيذها على الأساس الذى وقفنا عليه فى أول شرح هذا الحديث.. ونحن نستبشر بكلام الرسول ﷺ ..مهما كانت الأخطاء والمعاصى: * (فعن) أبى سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدرى رضي الله عنه أن نبى الله ﷺ قال: ((**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُلّ على راهب[1]، فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة ؟ فقال لا فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناس يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق[2] أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب. فقالت**

---

(١) أى دل على عابد من بنى إسرائيل.. يتعبد بدون علم أو فقه فى الدين .

(٢) أى حتى إذا كان بين الأرضيين .

ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلا بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم - أى حكمًا - فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى[1] فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد[2] فقبضته ملائكة الرحمة)) متفق عليه. وفى رواية فى الصحيح: **((فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها))**، وفى رواية فى الصحيح: **(فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدى، وإلى هذه أن تقربى وقال: قيسوا ما بينهما، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له)**.وفى رواية: **(فنأى بصدره نحوها)** . ا.هـ.

فيا من أسا فيما مضى ثم اعترف ... كن محسنًا فيما بقى تلقى الشرف

واسمع كلام الله فى تنزيله ... ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾[3]

**(والله) تعالى غفور رحيم..أحن على عبده من الوالدة على ولدها..

وهو سبحانه تعالى ولى التوفيق

---

(١) أى أقرب

(٢) أى التى كان متجهًا إليها..كما نصحه العالم.

(٣) الأنفال: من الآية ٣٨.

(٣٣) خطبة أو درس

حول قيام الليل

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] وهذا الأمر وإن كان خاصًا برسول الله ﷺ ، إلا أن عامة المسلمين يدخلون فيه بحكم أنهم مطالبون بالاقتداء به صلوات الله وسلامه عليه.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى كان يقول لأصحابه: ((**عليكم بقيام الليل: فإنه دأب الصالحين قبلكم، ومقربة لكم إلى ربكم، ومَكْفَرة للسيئات، ومَنهاة عن الإثم ومطردة للداء عن الجسد**))[1] اللهم صلّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين كانوا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قرآنه: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [السجدة:١٦] ، وكانوا: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان:٦٤] فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين، وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور٣٧:٣٨] .

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين، وأتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه: قيام الليل، أو صلاة الليل من أعظم القربات إلى الله تبارك وتعالى، بل وهى من أهم

(١)ارجع إليه فى فقه السنة ج٢ .

مكفرات السيئات، (وقد) ورد كذلك أنها من أبواب الجنة _ كما جاء فى نص حديث شريف رواه الترمذى وقال عنه أنه حديث حسن صحيح يقول فيه حبيبنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه لمعاذ بن جبل ﷺ: ((**ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنه، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل فى جوف الليل**))، ثم تلا: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِي لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة: ١٦ : ١٧] . (ولهذا)، فقد رأيت فى هذا اللقاء المبارك أن أدور معكم حول الترغيب فى قيام الليل عسى أن نكون إن شاء الله تعالى من المشار إليهم فى الآية الأخيرة .

** (وحسبى) فى بداية هذا التذكير - الذى أسأل الله تعالى أن ينفعنا به جميعًا - (أن) أُذكر بأن الله تعالى فى قرآنه[1]: بين أن المحافظين على قيام الليل هم المحسنون المستحقون لخيره ورحمته، فقال: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**[2] **وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ [الذاريات:١٥-١٨] كما أن الله تعالى قد مدحهم وأثنى عليهم ونظمهم فى جملة عباده الأبرار، فقال: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾ [الفرقان:٦٣، ٦٤] وأيضًا شهد الله لهم بإيمان بآياته، فقال: ﴿**إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة: ١٥-١٧] وكذلك نفى سبحانه وتعالى التسوية بينهم وبين غيرهم ممن لم يتصف بوصفهم، فقال: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو**

(١) كما جاء فى (فقه السنة) ج ٢ (باب قيام الليل) بتصرف فى الفرض.

(٢) أى ينامون.

رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [الزمر:٩] .

* (وكذلك) ورد فى السنة المطهرة - بالإضافة إلى تلك الآيات البينات - ما يشهد بعلو درجاتهم:

* (فعن) عبد الله بن سلام ﷺ أنه قال: أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنجفل [١] الناس إليه، فكنت ممن جاءه، فلما تأملت وجهه واستبنته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. قال: فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال: ((**أيها الناس: أفشوا السلام، أطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلون الجنة بسلام**)) رواه الحاكم وابن ماجه والترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

*(وقال) سهل بن سعد: جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال: ((يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزِىٌّ به، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس)).
(وعن) أبى الدرداء ﷺ عن النبى ﷺ قال: ((**ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم: الذى إذا انكشفت فتنة قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل، ويكفيه فيقول: انظروا إلى عبدى هذا كيف صبر لى بنفسه؟ والذى له امرأة حسنة وفراش لين حسن فيقوم من الليل فيقول: يذر شهوته ويذكرنى، ولو شاء رقد، والذى إذا كان فى سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا فقام من السحر فى ضراء وسراء**)) .

(وأحب) كذلك وقبل أن أقف معكم على المطلوب منا تحقيقه لأنفسنا.. (أن) أقف معكم على **أهم الآداب التى ينبغى أن يلاحظها من أراد قيام الليل، وهى[٢]:

* (أن) ينوى عند نومه قيام الليل (فعن) أبى الدرداء ﷺ أن النبى ﷺ

(١) أى توافد الناس عليه.

(٢) كما جاء فى الجزء الثانى من (فقه السنة).

قال: ((**من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم فيصلى من الليل فغلبته عينه حتى يصبح: كتب له ما نوى، وكان نومه صدقة عليه من ربه**)) رواه النسائى وابن ماجه بسند صحيح.

* (وأن) يمسح النوم عن وجهه عند الاستيقاظ، ويتسوك، وينظر فى السماء ثم يدعوا بما جاء عن رسول الله ﷺ ، فيقول: ((**لا إله إلا أنت سبحانك، أستغفرك لذنبى وأسألك رحمتك، اللهم زدنى علما ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتنى، وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور**))، ثم يقرأ الآيات العشر من أواخر سورة آل عمران: ﴿إِن فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِى الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران:١٩٠] إلى آخر السورة، ثم يقول: ((**اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، والساعة حق. اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت الله لا إله إلا أنت**)).

(وأن) يفتتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين، ثم يصلى بعدهما ما شاء، (فعن) عائشة رضي الله عنها ، قالت: كان رسول الله ﷺ ((إذا قام من الليل يصلى افتتح صلاته بركعتين خفيفتين)). (وعن) أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: (**إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين**) رواه مسلم.

(وأن) يوقظ أهله، فعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: ((**رحم الله امرأً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أَبَتْ نَضَح فى وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت فى وجهه الماء**)) .

(وعنه) أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: ((**إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلى ركعتين جميعًا كتب فى الذاكرين والذاكرات**)) رواهما أبو داود وغيره بإسناد صحيح.

(وعن) أم سلمة أن النبى ﷺ استيقظ ليلة، فقال:((**سبحان الله، ماذا أنزل الليلة من الفتنة، ماذا أنزل من الخزائن، من يوقظ صواحب الحجرات، يا رُبَّ كاسية فى الدنيا عارية يوم القيامة**)) رواه البخارى.

(وعن) على أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة، فقال: ((**ألا تصليان ؟**)) قال:فقلت: يا رسول الله أنفسنا بيد الله، فإن شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلت ذلك، ثم سمعته وهو مولٍّ يضرب فخذه، وهو يقول: ((**وكان الإنسان أكثر شىء جدلًا**)) متفق عليه .

*(وأن) يترك الصلاة ويرقد إذا غلبه النعاس حتى يذهب عنه النوم (فعن) عائشة أن النبى ﷺ قال: ((**إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم**[1] **القرآن على لسانه، فلم يدر ما يقول: فليضطجع**)) رواه مسلم. (وقال) أنس: دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين [2]، فقال: ((**ما هذا ؟**)) قالوا: لزينب تصلى، إذا كسلت أو فترت أمسكت به، فقال: ((**حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا كسل أو فتر فليرقد**)) متفق عليه.(وأن) لا يشق على نفسه، بل يقوم من الليل ما بقدر ما تتسع له طاقته، ويواظب عليه ولا يتركه إلا لضرورة (فعن) عائشة قالت:قال رسول الله ﷺ : ((**خذوا من الأعمال ما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا**))[3]رواه البخارى ومسلم .

(ورويا) عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أى العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال: ((**أدومه وإن قل**))، (وروى) مسلم، عنها قالت: كان عمل رسول الله ﷺ ديمة، وكان إذا عمل عملا أثبته.

---

(١) أى ثقل عليه الكلام .

(٢) أى بين عمودين بالمسجد .

(٣) معنى الحديث: أن الله لا يقطع الثواب حتى تقطعوا العبادة.

*(وعن) عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : ((**لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل**)) متفق عليه.

(ورويا) عن ابن مسعود قال: ذكر عند النبى ﷺ رجل نام حتى أصبح، فقال: ((**ذاك رجل بال الشيطان فى أذنيه، أو قال : فى أذنه**)).

(ورويا) عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن النبى ﷺ قال لأبيه: ((**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل**)) قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليل

**(فعلى) الإخوة المسلمين الذين استمعوا إلى كل هذا التذكير الذى من أهمه كل تلك الآداب المتعلقة بقيام الليل.. (أن) يكونوا من الحريصين على صلاة الليل على أساس من كل تلك التوجهات المحمدية.

*(مع) ملاحظة أن أفضل أوقاتها هو الثلث الأخير من الليل (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**ينزل ربنا عز وجل إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه، من يستغفرنى فأغفر له**)) رواه الجماعة.

(وقال) أبو مسلم لأبى ذر: أى قيام الليل أفضل ؟ قال سألت رسول الله ﷺ كما سألتنى فقال: ((**جوف الليل الغابر** (١) **وقليلٌ فاعله**)) رواه أحمد بإسناد جيد.

(وإن) كانت صلاة الليل تجوز فى أول الليل ووسطه وآخره ما دامت الصلاة بعد صلاة العشاء (قال) أنس رضي الله عنه فى وصف صلاة رسول الله ﷺ : ما كنا نشاء أن نراه من الليل مصليا إلا رأيناه وما كنا نشاء أن نراه نائما إلا رأيناه، وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيئا ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيئا. رواه أحمد والبخارى والنسائى، قال الحافظ: لم يكن لتهجده ﷺ وقت معين بل بحسب ما يتيسر له القيام.

---

(١) **الغابر**: أى الباقى أو نصف الليل.

* (وأيضا) مع ملاحظة أنه ليس لصلاة الليل عدد مخصوص ولا حد معين، فهى تتحقق ولو بركعة الوتر بعد صلاة العشاء.

(فعن) سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نصلى من الليل ما قلّ أو أكثر ونجعل آخر ذلك وترا. رواه الطبرانى والبزار.

** (والأفضل) المواظبة على إحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة، وهو مخير بين أن يصليها وبين أن يقطعها (قالت) عائشة رضي الله عنها : ما كان رسول الله ﷺ يزيد فى رمضان ولا غيره عن إحدى عشرة ركعة يصلى أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلى ثلاثًا، فقالت: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ فقال **((يا عائشة إن عينى تنامان ولا ينام قلبى))** رواه البخارى ومسلم.

(ورويا) أيضا عن القاسم بن محمد قال: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: كانت صلاة رسول الله ﷺ من الليل عشر ركعات، ويوتر بسجدة - أى بركعة .

(ثم) هناك ملاحظة أخيرة، ذكرها صاحب [1](فقه السنة) عليه رحمة الله تحت عنوان:

(قضاء قيام الليل)

فيقول: (روى) مسلم، عن عائشة أن النبى ﷺ كان إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثِنْتَىْ عشرة ركعة. (وروى) الجماعة إلا البخارى (عن) عمر أن النبى ﷺ قال: **((من نام عن حزبه أو عن شىء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب كأنما قرأه من الليل))**

**(وجاء) فى الدين الخالص (ج٥ ص٢٨٧). (أن) الأفضل فى صلاة الليل أن تكون مثنى، مثنى، (ويسن) أن تفتح بركعتين خفيفتين لينشط بهما لما بعدهما، ثم يطيل القراءة والركوع والسجود، وهو مخير فى القراءة بين الإسرار والجهر وهو أفضل ما لم يهوش على مصلٍّ أو نائم.

---

(١) وهو الشيخ سيد سابق.. رحمه الله رحمة واسعة

(وعن) عبد الله بن الحارث عن المطلب بن ربيعة بن الحارث أن النبى ﷺ قال: ((**صلاة الليل مثنى مثنى. وإذا صلى أحدكم فليتشهد فى كل ركعتين ثم لِيُلِحَّ فى المسألة**[1]**، ثم إذا دعا فليتساكَنْ، وَلْيتبأَّس، وليتضعّف، فمن لم يفعل ذلك فذاك الخِداج**[2])) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه والدارقطنى والبيهقى

(وعن) ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلا قال: يا رسول الله كيف صلاة الليل ؟ قال: ((**صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة**)) أخرجه السبعة.

** (فلنذكر) جميعا كل هذا حتى ننفذ المراد منه، حتى لا يبول الشيطان، أو تبول الشياطين فى آذاننا.. (بل) وحتى تُحَلّ العقد التى عقدت، أو ستعقد على قافية[3] رأس كل واحد منا.. (فعن) أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: ((**إذا نام أحدكم عقد على رأسه ثلاث عقد بجرير**[4]**، فإن قام فذكر الله عز وجل أطلقت واحدة، وإن مضى فتوضأ أطلقت الثانية، فإن مضى وصلى أطلقت الثالثة، فإن أصبح ولم يقم شيئا من الليل ولم يصل، أصبح وهو عليه، يعنى الجرير**))أخرجه الجماعة. وهذا لفظ أحمد .

(ولفظه) عند الشيخين وأبى داود (عن) أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب**[5]

---

(١) أى يلح فيها ويكثر منها.

(٢) **الخداع بكسر أوله**: النقص فى الأجور والفضيلة: (والتساكن) أى إظهار السكون والخشوع والتبؤس: أى لإظهار البؤس والاحتياج، والتضعيف: أى إظهار الضعف.

(٣) **القافية**: مؤخرة العنق ، وخص القفا بذلك لأنه محل القوة الواهية وهى أطوع القوى للشيطان.

(٤) **الجرير بفتح فكسر**: أى الحبل من الجلد كالزمام.

(٥) **المراد بالضرب**: حجب الحس عن النائم حتى يستيقظ. ومنه قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾ أى حجبنا..

مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة [1]، فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان)) [2] ا. هـ

**(فلنستعن) بالله تبارك وتعالى على تحقيق كل هذا الخير.. (ولا سيما) على مجاهدة الشياطين.. لأنه كما يقول الشاعر:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

والله المستعان.. وهو سبحانه ولى التوفيق

(١) عقدة بالإفراد فى الكل وفى رواية مسلم بالإفراد فى الأول والثانية فى الثانى ، والجمع فى الثالث. وفى رواية البخارى بالإفراد فى الأولين وبالجمع فى الثالث، والمؤدى واحد (ظاهر) رواية الجمع أن العقد تنحل كلها بالصلاة، وهو كذلك فى حق من لم يحتج للطهارة و كمن نام متمكنا ثم انتبه فصلى قبل الذكر والطهارة. فالمعنى على رواية الجمع ثم يكون انحلال العقد.

(٢) أى إن لم يذكر ولك يتوضأ ولم يصل ونام حتى فاته التهجد أو صلاة الصبح ، أصبح محزون القلب كثير الهم متحيرا فى أمره، غير منشرح الصدر متكاسلا عن تحصيل مآربه لتركه فعل الخير وتمكن الشيطان منه.



(٢٤) خطبة أو درس

حول صلاة الاستخارة وأهم ما يتعلق بها

الحمد الله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص:٦٨] وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى كان -كما ورد فى الحديث الصحيح(١)- يعلم أصحابه الاستخارة فى الأمور كلها كما يعلمهم السورة من القرآن.

اللهم صلّ وسلم عليه وعلى آله و أصحابه الغر الميامين الذين كانوا يعملون بسنة رسول الله ﷺ فى الاستخارة الشرعية، وفى الأمور كلها.. فكانوا هداه مهتدين وقادة منتصرين، وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧، ٣٨].

(أما بعد)؛؛

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله عليه وعلى آله وسلم.. (فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى وتوفيقه.. رأيت أن يكون لقائى معكم حول موضوع هام.. نحتاج إليه جميعا فى أهم شئون حياتنا ألا وهو..

(صلاة الاستخارة)

التى ورد فيها (عن) جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: ((إذا هم

(١) الذى رواه البخارى.

أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: **اللهم إنى أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى، أو قال: عاجل أمرى وآجله، فاقدره لى ويسره لى، ثم بارك لى فيه وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌ لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى، أو قال: فى عاجل أمرى وآجله، فاصرفه عنى واصرفنى عنه، واقدر لى الخير حيث كان، ثم رضنى به** .أخرجه السبعة إلا مسلمًا[1].

(هذا) وإذا كان لى بعد أن استمعنا إلى نص الحديث أن أدور معكم حول أهم ما فيه من الإشارات والتنبهات...(فإننى) أحب أولا أن أقف معكم على المعنى المراد من قول راوى الحديث وهو: (كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها..) أى: كان يعلمنا صلاة الاستخارة ودعاءها فى الأمور المباحة المهمة، كالزواج، والتجارة وغيرها مما لا يعلم فيه وجه الخير والشر.

أما ما يعلم فيه وجه الخير كالواجب والمندوب. وما يعلم فيه وجه الشر كالمحرم والمكروه، فلا استخارة فيه (وقوله): (فى الأمور كلها..) من قبيل العام الذى أريد به الخصوص. (وقوله): (**إذا هم أحدكم بالأمر**..) أى: إرادته، وهو ترجيح الفعل على الترك. ويحتمل أن يراد بالهم العزم وهو التصميم على الفعل. (وقوله): (ثم ليقل) فيه دلالة على أنه لا يضر تأخير دعاء الاستخارة عن الصلاة، وأنه لا يضر الفعل بكلام يسير، وعلى أنه لا يجزئ الإتيان به فى أثناء الصلاة. وفى رواية أبى داود: (وليقل) وعليه فيحتمل إجراء الدعاء فى أثناء الصلاة قبل السلام.

(وقوله): «**اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لى فى دينى ومعاشى**

---

(١) والسبعة هم: أحمد، والبخارى ومسلم وأبو داود، والترمذى والنسائى، وابن ماجه .

وعاقبة أمرى أو قال: عاجل أمرى وآجله)) أى: إن كان فى علمك أن هذا الأمر الذى أُرِيدُ خير لى... إلخ. فالشك فى متعلق العلم لا فى أصله. والشك من الراوى وفى رواية أحمد. فإن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرا لى فى دينى ومعاشى وعاقبه أمرى))، بلا شك: (مع) هذا يستحسن الجمع بين الكل: فيقول: ومعاشى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله ليتحقق موافقة الوارد..

*****(ثم) بعد ذلك أبدأ فى شرح المراد من الحديث الذى ندور حوله.. فأقول كما قال فى (فقه السنة: يسن لمن أراد أمرًا من الأمور المباحة [1]، والتبس عليه وجه الخير فيه أن يصلى ركعتين من غير الفريضة، ولو كانتا من السنن الراتبة، أو تحية المسجد فى أى وقت من الليل أو النهار يقرأ فيهما بما شاء بعد الفاتحة، ثم يحمد الله ويصلى على نبيه ﷺ ، ثم يدعو بالدعاء الذى رواه البخارى من حديث جابر رضي الله عنه... (وعند) قوله: ((**اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر**)) يسمى حاجته[2]..

(وحكمة) تقديم الصلاة على الدعاء أن المراد من الاستخارة الجمع بين خيرى الدنيا والآخرة فيحتاج إلى قرع باب الملك ولا شىء لهذا أنجع من الصلاة، لما فيها من تعظيم الله تعالى، والثناء عليه وإظهار الافتقار إليه حالا ومآلا.

(قال) فى الدين الخالص: (إذا) تعذرت صلاة الاستخارة، استخار بالدعاء، ويستحب افتتاحه بالحمد لله والصلاة على النبى ﷺ .

(وإذا) استخار فعل ما ينشرح له صدره، ولا يعتمد على انشراح كان له قبل الاستخارة بل ينبغى له ترك اختياره رأسا وإلا فلا يكون مستخيرا لله بل يكون مستخيرا لهواه.

فإن لم ينشرح صدره لشىء . (فقيل): يكرر الاستخارة ثلاثًا؛ لأنه ﷺ كان إذا دعا كرر الدعاء ثلاثًا (وقيل): يكررها سبعا.. (لحديث) أنس أن النبى ﷺ

(١) كالواجب والمندوب المطلوب فعله أما المحرم والمكروه فمطلوب تركه.. ولهذا لا تجرى الاستخارة إلا فى أمر مباح.

(٢)وهذا فى الأولى والأخيرة..

قال: ((**إذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات، ثم انظر إلى الذى يسبق إلى قلبك فإن الخير فيه**)) أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس وابن السنى.

*(والجمع) بين الاستخارة والاستشارة من كمال الامتثال للسَّنة [1]... فينبغى للمكلف أن لا يقتصر على إحداهما، فإن كان ولا بد من الاقتصار، فعلى الاستخارة لما تقدم من قول الراوى: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن ا. هـ

*(وأما) عن القراءة فى صلاة الاستخارة بعد الفاتحة (فقد) قال النووى: يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾ وفى الثانية: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ .ا هـ.

(وقيل): يقرأ فى الأولى: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ**﴾ (القصص ٦٨:٦٩) وفى الثانية بعد الفاتحة: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِينًا**﴾ [الأحزاب:٣٦] (قال) الحافظ فى الفتح: والأكمل أن يقرأ فى كل منها السورة والآية الأوليين فى الأولى يعنى بعد الفاتحة، والآخرتين فى الثانية – بعد الفاتحة – أ هـ.

لكن ظاهر الأحاديث عدم التقييد بشىء مما ذكر فله أن يقرأ فيهما ما شاء.

(هذا) وقول النبى ﷺ فى حديث أبى أيوب: ((**وصل ما كتب الله لك**)) ظاهر فى جواز صلاة الاستخارة بأكثر من ركعتين، فله أن يصلى أربعا أو أكثر بتسليمة.

(ومفهوم) العدد فى قوله فى حديث جابر: فليركع ركعتين (ليس) بحجة عند الجمهور، غير أنهم اتفقوا على أنه لا تجزئ الركعة الواحدة [2].

---

(١) وتكون الاستشارة قبل الاستخارة.. حتى يكون رأى الله تعالى هو الأخير.. الذى لا يصح أن يلغى باستشارة عكسية.. والعياذ بالله.

(٢) ارجع إلى هذا بالتفصيل فى الجزء الخامس من الدين الخالص..

**(ثم) إليكم أيها الإخوة المسلمون أهم تذكير ينبغى علينا أن نقف عليه حتى نحذر الوقوع فيه وهو ما جاء فى (الجزء الخامس) من الدين الخالص.. تحت عنوان

(الاستخارة غير الشرعية)

(فلقد) قال تحت هذا العنوان الخطير: (قد) جهل كثير من الناس الاستخارة الشرعية المرَّغب فيها بالأحاديث الصحيحة – و التى وقفنا عليها – وهجروها أو قلَّ من يعمل بها، وابتدعوا لها أنواعا كثيرة لم يرد شيءِ منها فى الكتاب ولا فى السنة ولم ينقل عن أحد من السلف والخلف (وجهلوا) قول النبى ﷺ ((**ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة**)) أخرجه أحمد والبزار والطبرى فى الكبير عن عضيف بن الحارث... قال فى الفتح: إسناد جيد، ولذا حسنه السيوطى.

*(ثم) يقول بعد توضيح هذا المعنى المراد من الحديث الأخير..

**(هذا) والاستخارات المبتدعة كثيرة (منها) ما يسميه العامة وبعض الخاصة استخارة (ومنها) ما يسمى بأسماء أخرى هى أقرب إلى الطيرة منها إلى الاستخارة، بل هى نوع من التعريف المنهى عنه. (ثم) يقول: وهناك مجمل القول فى الاستخارة غير الشرعية.. وبإيجاز مفيد إن شاء الله..

١ – **استخارة النوم**: التى يعملها صاحب الحاجة أو يعملها غيره.. بأن يقرأ الشخص شيئًا من القرآن ويدعو الله أن يريه فى منامه ما نواه، أو يريه خُضرةً أو بياضًا إن كان ما يقصده خيرًا.. (وأن) يريه حُمرة أو سوادًا إن كان ما يقصده لا خير فيه.. (إلى) أن يقول بعد ذلك (وقد) عكف على هذه الاستخارة خاصة الناس فضلا عن عامتهم.

..(ثم) يقول: (ورؤيا) المؤمن الصادق وإن كانت لا تكاد تخطئ.... إلا أن الاستخارة بواسطتها لم تشرع، وفيها عدول عن تعليم الرسول الأعظم ﷺ، وعن الدعاء الجامع لخيرى الدنيا والآخرة. وهذا يتنافى مع كمال الإيمان

وحسن اليقين الذى يقتضى التخلى عن البدع والتحلى بالسنن.... إلخ.

٢- استخارة السُّبحة : التى يعملها صاحب الحاجة أو تعمل له. وطريقتها أن يأخذ الشخص مسبحة فيتمتم عليها بحاجته، ثم يحصر بعضها.. أى بعض حباتها بين يديه ويعدها. فإن كانت فردية عدل عما نواه، وإن كانت زوجية اعتبر ما نواه خيرا وسار فيه.

(هذا) لا شك ما كان يتبع فى الجاهلية الأولى من إطلاق الطير فى الجو، وهو ما سماه الشرع الشريف بالطِيَرة ونهى عنها.

٣- استخارة الفنجان: ويعملها عادة غير صاحب الحاجة، ويقوم بعملها رجل أو امرأة... وطريقتها أن يشرب صاحب الحاجة القهوة المقدمة إليه ثم يكفئ الفنجان، وبعد قليل يقدمه لقارئه فينظر فيه بعد أن أحدثت فضلات القهوة به رسومًا وأشكالا مختلفة، شأنها فى ذلك شأن كل راسب فى أى إناء إذا انكفأ. بل إن مجرد صب الماء على أرض متربة يحدث بها صورًا وأشكالا هندسية وجغرافية يعجز عنها أصحاب الفن، فيتخيل ما يريد ثم يأخذ فى سرد حكايات كثيرة لصاحب الحاجة، فلا يقوم من عنده إلا وقد امتلأت رأسه بهذه الأسطورة.. (وهذا) ضرب من الدجل الذى ينبغى علينا أن نحاربه..لأن الله تعالى وحده هو الذى يعلم الغيب.

.. (ولو كان) هذا حقًّا لكانت الحكومات تلجا إليه فى معرفة السارق والمسروق وتبين الظالم من المظلوم.. (ولم) يثبت أن النبى ﷺ ادعى مثل هذا لنفسه.. (وإنما) كان يحكم بالظاهر وبكل السرائر إلى الله: فهو القائل صلوات الله وسلامه عليه كما يحكى القرآن الكريم: ﴿**وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِى السُّوءُ**﴾[الأعراف: ١٨٨] (وعن) أم مسلمة أن النبى ﷺ قال: ((**إنما أنا بشر مثلكم وإنكم تختصمون إلى، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فأقضى على ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار**)) أخرجه الجماعة.

٤ - **استخارة الورق (الكوتشينة)**: وهى لا تخرج عن سابقتها، غير أن صاحب الحاجة يعطى ورقتين مصور فيها رجل و امرأة، فيسر إليها ما يريد ثم يأخذهما الدجال، فيخلطهما بباقى الأوراق، ثم يأخذ فى رصها بطريقة فنية فيصادف وجود رجل بجوار امرأة أو وجود رجل أو امرأة فى طريق، أو وجود واحد منهما بجوار أوراق يرمز إليها بالمال أو الفرح أو القضاء، أو ما إلى ذلك، فيأخذ فى سرد ما يمليه عليه خياله – أو شيطانه - فلا يقوم الشخص من مقامه هذا إلا مقتنعا بحقيقة ما يقول، وما هو إلا رجم بالغيب – وإن شئت فقل: هو نصب واحتيال لا يقع فيه غير المغفلين...

٥ - **استخارة الرَّمْل**: وطريقتها، أن يخطط الشخص فى الرمل خطوطا متقطعة، ثم يعدها بطريقة حسابية معروفة لديهم، فينتهى منها إلى استخراج بُرْج الشخص، فيكشف عنه فى كتاب استحضره لهذا الغرض، فيسرد عليه حياته الماضية والمستقبلية.

(وهذا) الكلام الذى قيل له، هو بعينه الذى قيل لغيره قبل هذا، وسيقال لغيره بعد هذا.. ما دام البرجان قد اتفقا.. (وهو) أيضا نصب واحتيال.. ينبغى أن ينتبه له العقلاء... بل ويحاربوه إنقاذًا لغيرهم من البسطاء..

٦- **استخارة الودع**: ولا يقوم به إلا المرأة، وهى تسمى فى العرف (بالغجرية) يخرج الإنسان من حافظته شيئا من النقود ويسر بحاجته إلى ذَكَرِ الوَدَع ثم يطرحه على الودع، فتأخذ بيديها وتلقيه على الأرض بعد خلطه. وهى فى الغالب تكون امرأة ذكية نابهة، لها فراسة خاصة فى ذوى الحاجات فتسلك سبيلا فى الكلام يتفق مع مزاج الشخص فيجيبها بالموافقة فتستمر فى طريقها فلا يقوم من عندها إلا وهو مقتنع بصدقها، وبينها وبين الصدق كما بين السماء والأرض.

٧- **استخارة الكف**: وهى لا تخرج عن سابقتها من جهة قوة فراسة قارئ الكف يساعده على ذلك اختلاف خطوط باطن الكف وما يستخلصه من ميول الشخص، وموافقته له على بعض الأشياء.

** (ثم) بعد ذلك يقول فى (**الدين الخالص**) كلاما هامًّا لابد وأن يكون أساسًا فى هذا التذكير الذى أسأل الله تعالى أن يجعله حجة لنا لا علينا. (ولا شك) عندى وعند العقلاء أن جميع هذه الطُّرق من استخارة الفنجان حتى النهاية لا تخرج عن أنها نوع من التعريف المنهى عنه، و الذى يقول الرسول ﷺ فيه:

((**من أتى عراف – عرافًا – أى ذهب إليه – فسأله عن شىء لم تُقبل منه صلاة أربعين ليلة**)) أخرجه أحمد ومسلم عن حفصة، ويقول: ((**من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ)) أخرجه أحمد والحاكم عن أبى هريرة بسند صحيح.

*(وقد) قالت عائشة رضي الله عنها : من زعم أنه يعلم ما فى غدٍ فقد أعظم على الله الفرية لأن الله تعالى يقول: ﴿**قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إلا اللَّهُ**﴾ [النمل: ٦٥] أخرجه ابن جرير الطبرى .

*(ثم) يقول ولا أدرى بعد ذلك كيف يعكف الناس على أمثال تلك، الترهات وهذه الأباطيل، مُعرضين عن هدى محمد ﷺ وما جاء به. ا. هـ

**(فعلى) الإخوة المسلمين المستمعين أن يلاحظوا كل هذا.. حتى يهتدوا بهدى الرسول ﷺ فى الاستخارة الشرعية التى وقفنا على أهم ما يتعلق بها.

*(مع) ضرورة الحذر من كل تلك الاستخارات الغير مشروعة.

*(والتى) منها كذلك على سبيل المثال (حظك اليوم) الذى ينشر فى الجرائد الصباحية والذى يقرؤه أكثرنا.. بل ويحرص على قراءته.. (إنه) أيضًا نوع من هذه الأباطيل التى نسأل الله تعالى أن يعافينا منها جميعًا .

اللهم آمين

(٣٥) خطبة أو درس

حول صلاة الضحى والترغيب فيها

الحمد الله القائل ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور ٣٦ : ٣٧] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى ورد (عن) أبى سعيد ﷺ أنه قال: ((**كان رسول الله ﷺ يصلى الضحى حتى نقول : لا يدعها ويدعها حتى نقول: لا يصليها**)) رواه الترمذى وحسنه

اللهم صلّ وسلم عليه وعلى آله و أصحابه الغر الميامين الذين يذكرون الله تعالى.. ويسبحون الله تعالى فى بيوته بالغدو والآصال – أى فى أول النهار وآخره – اقتداءً برسول الله ﷺ ، وطمعا فى ثواب الله تبارك وتعالى الذى يقول ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٨] .

(أما بعد) فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله عليه وعلى آله وسلم.. (فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى.. رأيت أن أرغبكم ونفسى فى صلاة الضحى التى ورد فى فضلها فى حديث رواه أحمد ومسلم وأبو داود .

(عن) أبى ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((**يصبح على كل سلامى**[1] **من أحدكم صدقة، فكُلُّ تَسبيحة صَدَقةٌ، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة، ونهى عن المنكر صدقة، ويجزى من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى**)) .

---

(١) أى عظام البدن ومفاصله.

وورد كذلك فى فضلها فى حديث رواه أحمد و أبو داود:(عن) بُريدة أن رسول الله ﷺ قال: ((**فى الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل عليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة**)) قالوا: فمَن الذى يطيق ذلك يا رسول الله ؟ قال : ((**النخامة فى المسجد يدفنها، أو الشىء ينحيه عن الطريق، فإن لم يقدر فركعتا الضحى تجُزِئ عنه**[1])) .

قال الشوكانى: ((والحديثان يدلان على عِظم فضل صلاة الضحى، وكِبر موقعها، وتأكيد مشروعيتها، وأن ركعتيها تجزيان عن ثلاثمائة وستين صدقة، وما كان كذلك فهو حقيق بالمواظبة والمداومة. ويدلان أيضا على مشروعية الاستكثار من التسبيح والتحميد والتهليل، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر ودفن النخامة، وتنحية ما يؤذى المار عن الطريق، وسائر أنواع الطاعات ليسقط بذلك ما على الإنسان من الصدقات اللازمة فى كل يوم)).

(هذا) وإذا كان لى أن أعلق على هذا القول للشوكانى قبل أن أواصل معكم الترغيب فى صلاة الضحى من أهم جوانبها.. (فإننى) أريد أن أؤكد على ما قاله الإمام الشوكانى كتعليق على الحديثين.. (وهو) أننا جميعا كمؤمنين صادقين يرجون رحمة الله.. ويطمعون فى ثوابه.. ينبغى علينا أن نحرص كل الحرص على صلاة ركعتى الضحى – التى يبتدئ وقتها بارتفاع الشمس قَدْر رُمْح، وينتهى حين الزوال [2]، ولكن المستحب أن تؤخر إلى أن ترتفع الشمس ويشتد الحر.

(فعن) زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: خرج النبى ﷺ على أهل قباء[3] وهم يصلون الضحى، فقال: ((**صلاة الأوابين[4] إذا رمضت[5] الفصال من الضحى**)) رواه أحمد ومسلم والترمذى.

---

(١) **يجزى**: -بفتح أوله – بمعنى يكفى، أو بضمه، ويكون من الإجزاء .

(٢) أى قبل الظهر بحوالى ثلث ساعة.. لأنه وقت كراهة باستثناء يوم الجمعة.. لأنه لا كراهة فيه فى هذا الوقت.. بل لك أن تصلى فيه تحيه المسجد إلى أن يحين وقت أذان الجمعة.

(٣) **قباء**: مكان بينه وبين المدينة نحو ميلين.

(٤) **الأوابين**: أى الراجعين إلى الله.

(٥) **رمضت**: أى احترقت، والفصال: جمع فصيل وهو ولد الناقة: أى إذا وجدت الفصال حر الشمس، ولا يكون ذلك إلا عند ارتفاعها.

(وقد)ورد كذلك فى عدد ركعاتها فى حديث رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(عن) أم هانئ أن النبى ﷺ صلى سُبحة الضحى ثمانى ركعات يسلم من كل ركعتين.

(وورد) كذلك فى الحديث رواه أحمد ومسلم وابن ماجه .

(عن) عائشة رضي الله عنها قالت: ((**كان النبى ﷺ يصلى الضحى أربع ركعات ويزيد ما شاء الله**)) .

(والخلاصة) كما جاء فى (فقه السنة) أن أقل ركعاتها اثنتان، وأكثر ما ثبت من فعل رسول الله ﷺ ثمانى ركعات، وأكثر ما ثبت من قول رسول الله ﷺ اثنتا عشر ركعة.. (ثم) يقول: وقد ذهب قوم – منهم أبو جعفر الطبرى، وبه جزم الحليمى والرويانى من الشافعية – إلى أنه لا حد لأكثرها قال العراقى فى شرح الترمذى: لم أر عن أحد من الصحابة والتابعين أنه حصرها فى اثنتى عشر ركعة، وكذا قال السيوطى – وأخرج سعيد بن منصور عن الحسن أنه سئل: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يصلونها ؟ فقال: نعم كان منهم من يصلى ركعتين، ومنهم من يصلى أربعًا ومنهم من يمد إلى نصف النهار وعن إبراهيم النخعى أن رجلا سأل الأسود بن يزيد: كم أصلى الضحى ؟ قال: كما شئت.

**(فليكن) أداؤنا لصلاة الضحى.. التى هى عبادة مستحبة، فمن شاء ثوابها فليؤديها وإلا فلا تثريب عليه فى تركها (وقيل) هى سنة مؤكدة فى حق الرسول ﷺ وفى حق أمته. (أى) أنه يثاب الإنسان على فعلها ويعاتب [1] على تركها .

(أما) إذا كانت سنة غير مؤكدة..أى مستحبة فإنه يثاب الإنسان على فعلها ولا يعاقب على تركها (ومع) هذا فإنه من الخير لنا ألا نُحرم من ثوابها الذى سنكون هناك – عند الله – فى أشد الحاجة إليه.. ولهذا قال أحدهم:

ليس المصاب من فارق الأحباب... إن المصاب من فقد الثواب.

---

(١) أما غير مؤكد: فإنه لا يعاتب على تركها... وأنما سيحرم من ثوابها.

**(ولا سيما) إذا كانت صلاة الضحى كما علمنا قبل هذا ستجزى عن ثلاثمائة وستين صدقة..كان ينبغى على الأخ المسلم أن يتصدق بها كل يوم عن ثلاثمائة وستين مفصلا.

**(وقد) ورد فى السنة الترغيب فى هذا – كما جاء أيضا فى فقه السنة – والدين الخالص وغيرهما.

*(فعن) النواس بن سمعان ﷺ أن النبى ﷺ قال: ((**قال الله عز وجل: ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات فى أول النهار أكفك آخره**)) رواه الحاكم والطبرانى ورجاله ثقات. ورواه أحمد والترمذى وأبو داود والنسائى عن نعيم الغطفانى بسند جيد.

ولفظ الترمذى (عن) رسول الله ﷺ عن الله تبارك وتعالى: أن الله تعالى قال: ((**ابن آدم اركع لى أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره**))

*(وعن) عبد الله بن عمر وقال: بعث رسول الله ﷺ سَرِية – أى فرقة من الجيش – فغنموا وأسرعوا الرجعة، فتحدث الناس بقرب مغزاهم –أى انتهاء الغزو بسرعة – وكثرة غنيمتهم وسرعة رجعتهم، فقال رسول الله ﷺ: ((**ألا أدلكم على أقربَ منهم مغزى، وأكثر غنيمة وأوشك – أى أقرب – رجعةً ؟ مَنْ توضأ ثم غدا إلى المسجد لسبحة الضحى فهو مَغْزًى، وأكثرَ غنيمة وأوشك رجعةً**)) رواه أحمد والطبرانى. وروى أبو يَعْلى نحوه.

*(وعن) أبى هريرة: ﷺ قال: أوصانى خليلى ﷺ بثلاث: ((**بصيام ثلاثة أيام فى كل شهر، وركعتى الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام**)) رواه البخارى ومسلم.

*(وعن) أنس ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ فى سفر صلى سبحة الضحى ثمانى ركعات فلما انصرف قال: ((**إنى صليت صلاة رغبة ورهبة، سألت ربى ثلاثًا فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة: سألته ألا يبتلى أمتى بالسنين - أى بالقحط - ففعل، وسألته ألا يظهر عليهم عدوهم ففعل، وسألته ألا يلبسهم شيعا فأبى على**)) رواه أحمد والنسائى والحاكم وابن خزيمة وصححاه.

(هذا) مع الملاحظة أن صلاة الضحى هى المشار إليها فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ**﴾ [النور:٣٦] فالغدو: أول النهار، والآصال آخر النهار.. وفى قوله تعالى: ﴿**يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِىِّ وَالإِشْرَاقِ**﴾[1] والعَشِىّ ما بعد الزوال، والإشراق طلوع الشمس وتمام ضوئها.. وفسرها ابن عباس رضي الله عنهما بصلاة الضحى.

*(وقد) ورد كذلك أنه من السنة أن تقرأ فى الركعة الأولى - من صلاة الضحى: (والشمس وضحاها)، وفى الركعة الثانية (والضحى).(وأن) تقول بعدها: ((اللهم بك أُصَاوِل، وبك أُحاوِل، وبك أُقاتِل)) .

** (ثم) فى الختام، أحب أن أذكر الأخ المسلم بأننى إذا كنت قد ذكرته ونفسى بضرورة أن نفوز بثواب صلاة الضحى. التى تجزئ عن ثلاثمائة وستين صدقة... (فإن) هذا ليس معناه. أننى أقول له: اكتف بصلاة الضحى.. (وإنما) أقوله: كن حريصًا أيضا على ضرورة التقرب إلى الله تبارك وتعالى بالتسبيح، والتهليل، والتكبير.. والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر؛ (لأن) كل هذا سيكون معناه أنك قد فُزت بثواب كل هذا الخير فوزًا عظيمًا.. (فعن) أبى ذر رضي الله عنه أن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للنبى ﷺ : يا رسول الله ذهب أهل الدثور[2] بالأجور، يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم.(قال): ((**أوليس قد جعل الله لكم ما تَصَدَّقون به ؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر معروف صدقة، ونهى عن كل منكر صدقة، وفى بضع أحدكم صدقة**))، قالوا: يا رسول الله، أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال:((**أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزرٌ ؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجرٌ**)) رواه مسلم.

---

(١) سورة ص من الآية ١٨ أى يسبحن فى المساء وفى الصباح .

(٢) الدثور: أى الأموال الكثيرة .

(وقد) أشار الإمام النووى [1] فى الأربعين النووية إلى المعنى المراد من قول الرسول ﷺ إجابة لسؤال: ((أيأتى أحدنا شهوته فيكون فيها أجر....))، فقال: اعلم أن شهوه الجماع شهوه أحبها الأنبياء والصالحون. قالوا: لما فيها من المصالح الدينية والدنيوية من غض البصر، وكسر الشهوة عن الزنا، حُصول النسل الذى يتم به عمارة الدنيا، وتكثر الأمة إلى يوم القيامة. قالوا: وسائر الشهوات يقسى تعاطيها القلب، إلا هذه فإنها ترقق القلب.. ا.هـ.

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**كل سُلامي [2] من الناس علية صدقة: كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعة صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة**)) رواه البخارى ومسلم.

(وعلى) الإخوة المسلمين إن ينُفذوا المراد من كل هذا التذكير - على هذا الأساس الفقهى السليم - حتى يفوزوا بالخير الجزيل..

والله ولى التوفيق

---

(١) شرح الحديث ٢٥.

(٢) أى: أعضاء الإنسان... فمن أدى هذة الصدقات فى أول يومه فقد أدى زكاة بدنه فيحفظ بقيته.

(٣٦) خطبة أو درس

حول الترغيب فى صلاة الجماعة

والترهيب من التخلف عنها

الحمد لله القائل: ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الذاريات:٥٥]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل -كما- فى الحديث القدسى ((**إن بيوتى فى الأرض المساجد، وزوارى فيها عمارها، فطوبى لمن تطهر فى بيته وزارنى فى بيتى، وحق على المزور أن يكرم زائره**)).

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: ((**إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان**)) **قال الله عز وجل**: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ..**﴾ [التوبة: ١٨] رواه أحمد، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان، والترمذى وحسنه، والحاكم وصححه عن أبى سعيد رضي الله عنه اللهم صلّ وسلم عليه وعلى آله وصحبه الغر الميامين الذين كانوا يحرصون على حضور الجماعات ولا يتخلفون عنها ..حتى إنه ((كان الرجل - منهم - يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف)). رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه .

فكانوا هداة مهدين، وقادة منتصرين، وكانوا رجالًا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿**رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [النور:٣٧، ٣٨].

(أما بعد) ، فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه (ورد) عن أبى الدر داء رضي الله عنه قال: ((**ما من ثلاثة فى قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب**

من **الغنم القاصية))** رواه أبو داود بسند حسن.

(وعن) ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((**صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ**[1] **بسبع وعشرين درجة**)) متفق عليه.

(وعن) أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وسوقه خمسًا وعشرين ضعفًا، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة**[2] **إلا رفع له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه ما لم يُحدث: اللهم صلِّ عليه، اللهم ارحمه. ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة**)). متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

(وعنه) قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ أعمى[3] فقال: يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأل رسول الله ﷺ أن يرخّص له فيصلي في بيته، فرخص له، فلما ولى دعاه فقال: ((**هل تسمع النداء بالصلاة؟**)) قال: نعم. قال: ((**فأجب**)) رواه مسلم.

(وعنه) رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: ((**والذي نفسي بيده، لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب، ثم آمر رجلًا فيؤم الناس، ثم أخالفه إلى رجالٍ**[4] **فأحرق عليهم بيوتهم**)) متفق عليه.

(وأما) عن حضور النساء الجماعة في المساجد: (فعن) ابن عمر أن النبي ﷺ قال: ((**لا تمنعوا النساء أن يخرجن إلى المساجد، وبيوتهن خير لهن**)).

---

(١) الفذ: أي المنفرد.

(٢) هذا الفرض، وأما الجماعة في النفل فهي مباحة سواء قل الجمع أم كثر، فقد ثبت أن النبي ﷺ صلى ركعتين تطوعًا وصلى معه أنس عن يمينه كما صلت أم سليم وأم حرام خلفه، وتكرر هذا ووقع أكثر من مرة.

(٣) وهو سيدنا عبد الله ابن أم مكتوم عليه رضوان الله.

(٤) أي أنه صلوات الله وسلامه عليه.. هم أن يأمر بحطب فيحتطب.. ثم يأمر رجلًا يصلي بالناس بدلًا منه ..ثم ينطلق بعد ذلك إلى قوم يتخلفون عن الجماعة فيحرق عليهم بيوتهم (ومن) رحمة الله تعالى بنا أن النبي هم ولم يفعل وإلا لجاز لنا أن نحرق بيت الذي يستمع إلى النداء فلا يلبيه.

(وعن) أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: ((**لا تمنعوا إماء [1] الله مساجد الله، وَلْيخْرُجن تَفِلات [2]**)). رواهما أحمد وأبو داود.

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: ((**أيما امرأة أصابت بخورًا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة**)). رواه مسلم وأبو داود والنسائى بإسناد حسن.

(وهذا) معناه أنه: يجوز للنساء الخروج إلى المساجد وشهود الجماعة بشرط أن يتجنبن ما يثير الشهوة ويدعو إلى الفتنة من الزينة والطيب...

(والأفضل) لهن الصلاة فى بيوتهن ، لما رواه أحمد والطبرانى عن أم حميد الساعدية أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ ، فقالت: يا رسول الله أنى أحب الصلاة معك. فقال: ﷺ :((**قد علمت، وصلاتك فى حجرتك خير لك من صلاتك فى مسجد قومك، وصلاتك فى مسجد قومك خير لك من صلاتك فى مسجد الجماعة**)).

(وإن) كنت أرى- من باب الاجتهاد الفرعى - أنه من الخير لنا ولها أن تأتى إلى المسجد فى يوم مبارك كهذا لكى تسمع إلى الخطبة ثم تصلى بعد ذلك الجمعة معنا.. (وكذلك) إذا كان هناك لقاء دينى فى أى ليلة من ليالى الأسبوع لكى تنتفع بالعلم النافع..(على) شريطة أن يكون هذا بإذن زوجها أو ولى أمرها ... وإلا فلا ... والله أعلم .

(فإذا) كان الأخ المسلم قد انتفع بكل هذه الأحاديث المرغبة فى صلاة الجماعة، والمرهبة من التخلف عنها.. بالإضافة إلى التنبيه الخاص بالأخوات المسلمات (وإذا) كان الأخ المسلم سيكون حريصًا على حضور الجماعات فى المساجد كلما نادى المؤذن قائلًا: حىّ على الصلاة ، حىّ على الفلاح..(فإننى) أذكره بأهم ما ينبغى عليه أن ينفذه ويلاحظه كلما أراد أن يتوجه إلى المسجد، (وكما جاء فى فقه السنة)، فقد قال تحت عنوان :

---

(١) **إماء الله**: جمع أمة.

(٢) **تفلات**: أى غير متطيبات أى عطرًا.

الدعاء عند التوجه إلى المسجد

(يسن) الدعاء حين التوجه إلى المسجد بما يأتى : قالت أم سلمة: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته [1] قال:كان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته قال : ((**بسم الله توكلت على الله اللهم إنى أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضَل، أو أَذِلّ أو أُذَلّ، أو أَظْلِم أو أُظْلَم، أو أَجْهَل أو يُجْهَل عَلَيَّ**)). رواه أصحاب السنن وصححه الترمذى.

(وروى) أصحاب السنن الثلاثة وحسنه الترمذى (عن) أنس قال: قال رسول الله ﷺ : ((**من قال إذا خرج من بيته : بسم الله ، توكلتُ على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله : يقال له: حسبك! ..هُدِيتَ، وكُفِيتَ وَوُقِيت، وتَنَحَّى عنه الشيطان**)).

(ويسن) لمن دخل المسجد أن يدخل برجله اليمنى ويقول: (أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم. بسم الله، اللهم صلّ على محمد، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك. وإذا أراد الخروج خرج برجليه اليسرى[2] ويقول: بسم الله، اللهم صلِّ على محمد، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك: اللهم اعصمنى من الشيطان الرجيم.

(وقد) رغب النبى ﷺ فى السعى إلى المساجد والجلوس فيها: (فقد) روى أحمد والشيخان (عن) أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: ((**من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له فى الجنة نُزُلًا[3] كلما غدا أو راح[4]**)).

(وروى) مسلم (عن) أبى هريرة أن النبى ﷺ : ((**من تطهر فى بيته ثم**

---

(١) يصح الدعاء بهذا سواء كان خارجًا إلى المسجد أو إلى غير المسجد.

(٢) ولكن لا يلبس الحذاء الأيسر قبل الأيمن .. ولكن عليه أن يلبس اليمنى أولًا بعد إخراجها..من المسجد.

(٣) النُّزل: ما يُعَدُّ للضيف.

(٤) وغدا أو راح: أى ذهب إلى المسجد ورجع.

مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجته)).

(ويسن) أن يصلى الأخ المسلم إذا دخل المسجد - وقبل أن يجلس أو يصافح أحدًا، أو يتكلم مع أحد - أن يصلى ركعتين بنية تحية المسجد.. وكذلك إذا كان هناك درس علم بعد المغرب مثلًا..ودخل المسجد أثناءه..فإنه لا يصلى تحية المسجد، وإنما عليه أن يجلس فى مجلس العلم..لأن طلب العلم فرض.. وأما تحية المسجد فسنة..(فعن) أبى قتادة أن النبى ﷺ قال: ((**إذا جاء أحدكم المسجد فليصلِّ سجدتين**- أى ركعتين- **من قبل أن يجلس**)) رواه الجماعة.

(وأما) إذا دخل المسجد الحرام، فإن تحية المسجد الحرام هى الطواف (وحتى) تسأل الله تعالى أن يكرمك سبحانه وتعالى بالصلاة فى المساجد الثلاثة التى لا تُشَدّ الرحال إلا إليها، وهى المسجد الحرام، والمسجد النبوى، والمسجد الأقصى..(فإنه) حسبى أن أذكرك بالأحاديث الثلاثة الآتية: (روى) الجماعة، أن النبى ﷺ قال: ((**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى**)).

(وروى) البيهقى(عن) جابر أن النبى ﷺ قال: ((**صلاة فى المسجد الحرام مائة ألف صلاة، وصلاة فى مسجدى ألف صلاة ، وفى بيت المقدس خمسمائة صلاة**)).

(وروى) أحمد أن النبى ﷺ قال: ((**صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من صلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة**)).

أى بمائة صلاة فى ألف..كما أشار الحديث الذى أخرجه البيهقى المتقدم . والذى حسنه السيوطى.

(ثم) بعد ذلك، وبعد أن تصلى السنة القبلية للصلاة التى حضرتها..(وحتى) تقام الصلاة.. (فإننى):

أرجو أن تلاحظ شيئًا هامًّا، وهو أنه يحرم رفع الصوت فى المسجد على

وجه يشوش على المصلين ولو بقراءة القرآن، ويستثنى من ذلك درس العلم[1].

(فعن) ابن عمر أن النبى ﷺ خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة فقال: ((**إن المصلى يناجى ربه عز وجل فلينظر بم يناجيه؟ ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن**)) رواه أحمد بسند صحيح.

(ثم) إذا أقيمت الصلاة، لا تقم من مجلسك حتى يقول المقيم- للصلاة- قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ..وبعد أن ينتهى من الإقامة قل[2] : ((**اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صلِّ على محمد وآته سُؤله يوم القيامة**)).

(ثم) بعد ذلك وبعد إقامة الصلاة لاحظ ما جاء فى الأحاديث الآتية حتى تفوز فعلًا بصلاة الجماعة:

(عن) أنس أن النبى ﷺ كان يقبل علينا بوجهه قبل أن يُكبر فيقول:((تراصوا واعتدلوا)) رواه البخارى ومسلم (ورويا) عنه أن النبى ﷺ قال: ((**سووا صفوفكم فإن تسوية الصف من تمام الصلاة**)).

(ولهذا) فإنه يستحب للإمام أن يأمر بتسوية الصفوف وسد الخلل قبل الدخول فى الصلاة.. (فقد) روى أبو داود والنسائى والبيهقى عن أنس أن النبى ﷺ قال: ((**أتموا الصف المقدم ثم الذى يليه، فما كان من نقص فليكن فى الصف المؤخر**)) ، (وروى) البراز بسند حسن (عن) ابن عمر قال: (ما من خطوة أعظم أجرًا من خطوة مشاها رجل إلى فُرْجَةٍ فى الصف فسدَّها).

مع ملاحظة أن الإمام سترة لجميع المصلين الذين خلفه.. فلا مانع أن تسير بين الصفوف لكى تسد فرجة، لأن الإمام سيكون سترة لك- (وروى) النسائى والحاكم وابن خزيمة عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((**من وصل**

---

(١) قال فى كتاب (الإبداع فى معيار الابتداع) للشيخ على محفوظ عليه رحمة الله .. وقد كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف.

(٢) كما جاء فى الجزء الثانى من (الدين الخالص).

صفًا وصله الله، ومن قطع صفًا قطعه الله ››.

(وكذلك) ورد الترغيب فى الصف الأول وميامن الصفوف:(فعن) أبى إمامة أن النبى ﷺ قال: ‹‹**إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول**›› قالوا : يا رسول الله، وعلى الثانى؟ قال: ‹‹ **إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول**›› قالوا : يا رسول الله وعلى الثانى؟ قال : ‹‹ **وعلى الثانى** ›› أخرجه أحمد والطبرانى بسند صحيح (وروى) أبو داود وابن ماجه (عن) عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ : ‹‹**إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف**››.

- (مع) ملاحظة أن الصف الثانى والثالث..إلخ يبدأ أو يبدآن من خلف الإمام مباشرة ...مع ملاحظة الميامن كذلك - (وكذلك) تجب متابعة الإمام وتحرم مسابقته - فقد اتفق العلماء على أن السبق فى تكبيرة الإحرام أو السلام: يبطل الصلاة. واختلفوا فى السبق فى غيرها، فعند أحمد يبطلها. قال: ليس لمن يسبق الإمام صلاة، أما المساواة فمكروهة - (الحديث) أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ‹‹**إنما جُعل الإمام ليُؤتم به، فلا تختلفوا عليه، فإذا كبَّر فكَبِّروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا قال: سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا صلى قاعدًا فصلوا قُعُودًا أجمعون**›› رواه الشيخان. (وفى) رواية أحمد وأبى داود ‹‹**إنما الإمام ليُؤتم به: فإذا كَبَّر فكَبِّروا، ولا تكبروا حتى يكبر، وإذا ركع فاركعوا، ولا تركعوا حتى يركع، وإذا سجد فاسجدوا، ولا تسجدوا حتى يسجد**››، (وكذلك) لا تسلموا إلا بعد التسليمتين، (فقد) ورد فى حديث رواه أحمد ومسلم (عن) أنس قال: قال رسول الله ﷺ : ‹‹ **أيها الناس، إنى إمامكم، فلا تسبقونى بالركوع، ولا بالسجود، ولا بالقيام، ولا بالقعود، ولا بالانصراف**››.

(وإننى) أتساءل متعجبًا: لماذا يتسابق مع الإمام إذا كان لن يخرج من الصلاة قبله... إن هذا لهو العجب العجاب !!!. (وحسبى) أن أذكر بالحديث الذى رواه الجماعة (عن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ‹‹**أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يحوِّل الله رأسه رأس حمار، أو يحول الله صورته صورة حمار**››.

(وقد) روى الجماعة حديثًا أرجو أن نلاحظ المراد منه (فعن) البراء بن

عازب قال: كنا نصلى مع النبى ﷺ ، فإذا قال: سمع الله لمن حمده لم يَحْنِ أحدٌ منا ظهره حتى يضع النبى ﷺ جبهته على الأرض..ا. هـ.

(فلتكن) صلاتنا خلف الإمام هكذا حتى نكون فعلًا من المقتدين برسول الله ﷺ الذى يقول: ((**صلوا كما رأيتمونى أصلى**)).

(ثم) بعد ذلك ، وبعد أن تسلم بعد أن يسلم الإمام التسليمتين... اختم الصلاة فى سرك حتى لا تشوش على نحو مُصَلٍّ يريد أن يتمم ما فاته من الركعات خلف الإمام...(ولا) تشغل نفسك بقولك: حرمًا لفلان، أو جمعًا لآخر ..لأن كل هذا من البدع التى ابتدعوها: حتى فى الحرم: إنهم هناك أيضًا سيقولون لك أيضًا حرمًا، لكى تقول لهم جمعًا... (وقد) يقول أحدنا: إنها سنة حسنة..فأقول له: ليست هناك سنة حسنة فى الدين.. ولكن من الممكن أن تكون فى الدنيا.. لأن النبى ﷺ لم يفارق الدنيا وهناك ثغرة فى الإسلام لم تسد .. ولهذا فقد قال الأئمة الأعلام: من استحسن بدعة فقد زعم أن محمدًا خان الرسالة.. لأن الله تعالى قد أنزل عليه قبل أن يفارق الدنيا: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣] .

(ثم) بعد ذلك : صلِّ السُّنة البعدية- للصلاة التى صليتها -فى المسجد إذا كنت لن تعود إلى بيتك.. (أما) إذا كنت ستعود إلى بيتك بعد خروجك من المسجد مباشرة، فإنه من السنة أن تصلى السنة فى بيتك: (فعن) جابر أن النبى ﷺ قال: ((**إذا صلى أحدكم الصلاة فى مسجده فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته، فإن الله عز وجل جاعل فى بيته من صلاته خيرًا**)) رواه أحمد ومسلم (وعن) عمر أن الرسول ﷺ قال: ((**صلاة الرجل فى بيته تطوعًا نور، فمن شاء نور بيته**)) رواه أحمد.

(مع) ملاحظة أنه من الخير لك أن تعود إلى بيتك أو إلى متجرك من طريق آخر غير الذى جئت منه إلى المسجد حتى يشهد لك هذا الطريق وهذا الطريق.

والله ولى التوفيق

(٣٧)خطبة أو درس

حول صلاة الجمعة والترغيب فيها والترهيب من التخلف عنها

الحمد لله القائل : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[الجمعة:٩] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل : ((**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة**)) رواه مسلم وأبو داود والنسائى والترمذى وصححه .

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين كانوا يلبون نداء الله لصلاة الجمعة ... ولا يتخلفون عنها إلا لخوف أو مرض .

(كما) ورد (عن) ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ : قال : ((**من سمع النداء فلم يجبه فلا صلاة له إلا من عذر**)) قالوا : يا رسول الله وما العذر ؟ قال : ((**خوف أو مرض**)) . رواه أبو داود بإسناد صحيح . (فكانوا) هداةً مهديين وقادة منتصرين وكانوا رجالًا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله : ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[النور: ٣٧:٣٨] .

(أما بعد) ؛؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه ... (فى) هذا اللقاء المبارك رأيت بمشيئة تعالى وتوفيقه أن يكون حديثى معكم فى خطبة اليوم حول أهم ما يتعلق بفضل يوم الجمعة من أحكام تتعلق بتلبية نداء الله

للصلاة فيها .

حتى نكون فعلًا من المؤمنين الذين لبوا نداء الله وسعوا إلى ذكر الله بعد أن تركوا البيع والشراء .

(وأول) ما أريد التذكير به المراد من الآية التى أُمِرْنا - فيها - كمؤمنين - بهذا ، وهى قول الله تبارك وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِى لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: من الآية٩] أى : فامضوا إلى صلاة الجمعة بجد وحرص وإخلاص ﴿ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ أى : واتركوا البيع والشراء وغيرهما ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (ولهذا) فقد أجمع العلماء على أن صلاة الجمعة فرض عين ، وأنها ركعتان (وأنها) تجب على المسلم الحر العاقل المقيم القادر على السعى إليها الخالى من الأعذار المبيحة للتخلف عنها وأمَّا مَنْ لا تجب عليهم، فهم : المرأة والصبى [1] والمريض الذى يشق عليه الذهاب إلى الجمعة أو يخاف زيادة المرض أو بُطأه وتأخيره ، ويلحق به من يقوم بتمريضه إذا كان لا يمكن الاستغناء عنه (فعن) طارق بن شهاب رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : ((**الجمعة حق واجب على كل مسلم فى جماعة إلا أربعة : عبد مملوك ، أو امرأة، أو صبى ، أو مريض**))[2] .

(وكذلك) المسافر ... وإذا كان نازلًا وقت إقامتها ، فإن أكثر أهل العلم يرون أنه لا جمعة عليه (لأن) النبى ﷺ كان يسافر فلا يصلى الجمعة فى سفره، وكان فى حجة الوداع بعرفة يوم الجمعة فصلى الظهر جمع تقديم ، ولم يصل جمعته ، وكذلك فعل الخلفاء وغيرهم.

(وأيضًا) لا جمعة على المدين المعسر الذى يخاف الحبس ، والمختفى من الحاكم الظالم.

---

(١) وهذا متفق عليه .

(٢) قال النووى : إسناده صحيح فى شرط البخارى ومسلم . وقال الحافظ : صححه غير واحد .

** (فعن) ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال : ((**من سمع النداء فلم يجبه فلا صلاة إلا من عذر**)) قالوا : يا رسول الله وما العذر ؟ قال : ((**خوف أو مرض**[1])).

(ثم) يقول فى (فقه السنة) ، ما نصه : كل معذور مرخص له ترك الجماعة كعذر المطر والوحْل والبرْد ونحو ذلك (فعن) ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لمؤذنه فى يوم مطير : إذا قلت : أشهد أن محمدًا رسول الله فلا تقل : حىَّ على الصلاة .قل: صلوا فى بيوتكم ، (فكأنَّ) الناس استنكروا ، فقال : فعله من هو خير منى ، إن الجمعة عزمة[2] وأنى كرهت أن أخرجكم فتمشون فى الطين والدحض[3].

(وعن) أبى مليح عن أبيه أنه شهد النبى ﷺ فى يوم جمعة وأصابهم مطر لم تبتل أسفل نعالهم فأمرهم أن يصلوا فى رحالهم [4]. (ثم) يقول فى (فقه السنة) وكل هؤلاء لا جمعة عليهم ، وإنما يجب عليهم أن يصلوا الظهر ، ومن صلى منهم الجمعة صحت منه وسقطت عنه فريضة الظهر [5] ، وكانت النساء تحضر المسجد على عهد رسول الله ﷺ وتصلى معه الجمعة .

(وأما) مَن لا عذر لهم كهؤلاء المذكورين (فقد) حذرهم الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه من التخلف عنها .. (فعن) ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجمعة : ((**لقد هممت أن آمر رجلًا يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم**)) رواه أحمد ومسلم.

(وعن) أبى هريرة وابن عمر أنهما سمعًا النبى ﷺ يقول على أعواد منبره: ((**لينتهِيَنَّ أقوام عن وَدْعهم الجمعات**[6] **أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين**)) رواه مسلم ورواه أحمد والنسائى من حديث

---

(١) وقد سبق فى المقدمة ذكر هذا الحديث مع سنده .. فارجع إليه .

(٢) أى فريضة .

(٣) **والدحض** : أى الزلق .. أو الوحل .

(٤) رواه أبو داود وابن ماجه.

(٥) أما صلاة الظهر لمن صلى الجمعة ، فإنها لا تجوز باتفاق ، لأن الجمعة بدل الظهر ، فهى تقوم مقامه، والله لم يفرض علينا ست صلوات ، ومن أجاز الظهر بعد الجمعة فإنه ليس له مستند من عقل أو نقل لا عن كتاب ولا عن سنة ، ولا عن أحد من الأئمة .

(٦) أى تركهم . (ويختم) على قلوبهم : أى يطبع على قلوبهم ويحول بينهم وبين الهدى والخير .

ابن عمر وابن عباس.

(وعن) أبى الجعد الضمرى ، وله صحبة ، أن رسول الله ﷺ قال : ((**من ترك ثلاث جمع تهاونًا طبع الله على قلبه**)) رواه الخمسة ، ولأحمد وابن ماجه من حديث جابر نحوه ، وصححه ابن السكن .

*(ولهذا) أجمع المسلمون على افتراض الجمعة على كل من استكمل شرائط وجوبها .. (وأنها) ركعتان (قال) ابن المنذر :أجمع المسلمون على أن صلاة الجمعة ركعتان ا . هـ (وأنها) فريضة محكمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة يُكفَّر جاحدها .

*(وقد) فرضت الجمعة فى ربيع الأول من السنة الأولى من الهجرة . وأول جمعة صلاها النبى ﷺ كانت [1] فى مسجد بنى سالم بن عوف فى السادس عشر من الشهر المذكور . (وقيل) صُلِّيَتْ الجمعة بالمدينة قبل هجرة النبى ﷺ على سبيل الجواز ، وفرضت بها بعد الهجرة .

(وهذا) هو الظاهر لأن سورة الجمعة مدنية .

(هذا) ، وإذا كان لى بعد ذلك أن أعود بكم إلى ما ينبغى علينا أن نلاحظه ونحن نعقد العزم كمؤمنين على تنفيذ أمر الله تبارك وتعالى فى الآية الكريمة التى استمعنا إليها ، وهى قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِى لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ﴾[الجمعة: ٩].

(فإن) المطلوب من الأخ المؤمن المنادى فى الآية.

أولا : الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ليلة الجمعة ويومها (فعن) أوس بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: ((**من أفضل أيامكم يوم الجمعة : فيه خُلق آدم ، وفيه قُبض** [2] **، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا عَلَىَّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة على**)) قالوا : يا رسول الله

(١) كما جاء فى الجزء الرابع من (الدين الخالص) ص ١٧٨ ، ١٧٩ بتصرف .

(٢) أى مات .

وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أَرَمْتَ[1] ؟ ، فقال : ((**إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**)) رواه الخمسة إلا الترمذى .

وثانيًا : يستحب قراءة سورة الكهف يوم الجمعة وليلتها ، (فعن) أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال ((**من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين**)) رواه النسائى والبهيقى والحاكم (وعن) ابن عمر أن النبى ﷺ قال : ((**من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة : سطع له نور تحت قدمه إلى عنان السماء يضىء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين**)) رواه ابن مردويه بسند لا بأس به.

(لاحظ) أخا الإيمان النبى ﷺ قال فى نص الحديثين (من قرأ) ولم يقل : (من سمع ..) ، (وقد) جاء فى (فقه السنة) تحت عنوان:

(كراهة رفع الصوت[2] بها فى المساجد)

أصدر الشيخ محمد عبده فتوى جاء فيها : قراءة سورة الكهف يوم الجمعة جاء فى عبارة الأشباه عند تعداد المكروهات ما نصَّه : ويكره إفراده بالصوم ، - يعنى يوم الجمعة - وإفراد ليلته بالقيام ، وقراءة الكهف فيه خصوصًا وهى لا تقرأ إلا بالتلحين ، وأهل المسجد يلغون ويتحدثون ولا ينصتون ، ثم إن القارئ كثيرًا ما يشوش على المصلين فقراءتها على هذا الوجه محظورة... ا. هـ.

فعلى الأخ المؤمن إذا أراد أن يقرأ سورة الكهف أو غيرها - فى المسجد - أن يقرأها فى سره دون تشويش ؛ لأن التشويش في المسجد - بصفة عامة - منهي عنه ولو بتلاوة القرآن.

وثالثا : يستحب لكل من أراد حضور صلاة الجمعة[3] أو مجمع من مجامع الناس سواء كان رجلًا أو امرأة[4] ، أو كان كبيرًا أو صغيرًا ، مقيمًا أو مسافرًا ، أن يكون على أحسن حال من النظافة والزينة : فيغتسل ويلبس أحسن الثياب ويتطيب بالطيب ويتنظف بالسواك :

---

(١) أرمت : أى بليت.

(٢) بها أو بغيرها.

(٣) أما من لم يرد الحضور فلا يسن الغسل بالنسبة له.

(٤) بين النسْاء فى مصلى السيدات.

(فعن) أبى سعيد رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : ((**على كل مسلم الغسل يوم الجمعة ويلبس من صالح ثيابه ، وإن كان له طيب مَسَّ منه**)) رواه أحمد والشيخان.

ورابعا : يندب التكبير إلى صلاة الجمعة لغير الإمام (فعن) أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ((**من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة - أى كغسل الجنابة - ثم راح : فكأنما قرب بدنة - أى ناقة - ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرَّب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة : فكأنما قرَّب فكأنما قرب كبشا أقرن - أى بقرنين - ومن راح فى الساعة الربعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرَّب بيضة . فإذا خرج الإمام - أى ليرتقى المنبر - حضرت الملائكة يستمعون الذكر**)) [1]، أى : بعد أن يطووا صحفهم .

(وهذا) معناه أن الملائكة[2] تكتب من جاء فى الساعة الأولى وأنه كالمهدى بدنه ومن جاء فى الساعة الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة . فإذا خرج الإمام طووا الصحف ولم يكتبوا أحدًا .

(ومعلوم) أن النبى ﷺ كان يخرج إلى الجمعة - من حجرته - متصلًا بالزوال ، وهو بعد انفصال السادسة ، فدل على أنه لا شىء من الهدى والفضيلة لمن جاء بعد الزوال[3]، ولأن ذكر الساعات إنما للحث على التبكير إلى الجمعة والترغيب فى فضيلة السبق وتحصيل الصف الأول وانتظارها والاشتغال بالتنفل والذكر ونحوه ، وهذا كله لا يحصل بالذهاب بعد الزوال، ولا فضيلة لمن أتى بعد الزوال ، لأن النداء - أى الأذان - يكون حينئذ ويحرم التخلف بعده .

وخامسًا : على الأخ المؤمن - إذا ذهب إلى المسجد - أن يلاحظ أمرًا هامًا ،

---

(١) رواه الجماعة إلا ابن ماجه.

(٢) كما جاء فى الدين الخالص . ج ٤ ، ص ١٥٦ .

(٣) وقت الزوال يكون قبل الظهر بحوالى ثلث ساعة وينتهى عندما يحين وقت الأذان لأن وقت الزوال من الأوقات الثلاثة التى يكره الصلاة فيها إلا فى يوم الجمعة فإنه تسقط هذه الكراهة.

وهو : أن لا يتخطى الرقاب (فقد) حكى الترمذى عن أهل العلم أنهم كرهوا تخطى الرقاب يوم الجمعة وشذَّ دواد فى ذلك (فعن) عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة والنبى ﷺ يخطب فقال له: رسول الله ﷺ : ((**اجلس فقد آذيت ، وآنيت**)) – أى أبطأت وتأخرت – رواه أبو داود والنسائى وأحمد وصححه ابن خزيمة وغيره .

* (ويستثنى) من ذلك – التخطى – الإمام ، أو من كان بين يديه فرجة لا يصل إليها إلاَّ بالتخطىَّ ، ومن يريد الرجوع إلى موضعه الذى قام منه لضرورة بشرط أن يتجنب أذى الناس (فعن) عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال : صليت وراء رسول الله ﷺ بالمدينة العصر ثم قام مسرعًا فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه ، ففزع الناس من سرعته ، فخرج عليهم فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته ، فقال : ((**ذكرت شيئًا من تبر كان عندنا فكرهت أن : يحبسَنى فأمرت بقسمته**)) رواه البخارى والنسائى .

وسادسًا : يسن التنفل قبل الجمعة - ولو فى وقت الزوال – ما لم يخرج الإمام فيكف عنه بعد خروجه إلا تحية المسجد فإنها تصلى أثناء الخطبة مع تخفيفها إلا إذا دخل فى أواخر الخطبة بحيث ضاق عنها الوقت فإنها لا تصلى (فعن) ابن عمر رضي الله عنهما أنه يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلى بعدها ركعتين[1]، ويُحدِّث أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك ، رواه أبو داود .

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : ((**من اغتسل يوم الجمعة ثم أتى الجمعة فصلى ما قدر له . ثم أنصت حتى يفرغ الإمام من خطبته ، ثم يصلى معه غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام**)) رواه مسلم.

(وعن) جابر رضي الله عنه قال : دخل رجل يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب ،

---

(١) ولكن إذا صليت الجمعة فى المسجد صلى أربعًا وإذا صليت فى المنزل صل ركعتين انظر فقه السنة: باب قبل الجمعة وبعدها .

فقال : ((صليت ؟)) قال : لا . قال : ((فصلِّ ركعتين)) [1] رواه الجماعة وفى رواية : ((**إذا جاء أحدُكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوَّز فيها**)) رواه أحمد مسلم وأبو داود . وفى رواية : ((**إذا جاء أحدكم يوم الجمعة وقد خرج الإمام فليصلِّ ركعتين**)) متفق عليه .

** (وأما) عن :

خطبة الجمعة

(فقد) ذهب جمهور أهل العلم إلى وجوب خطبة الجمعة ، واستدلوا على الوجوب بما ثبت عنه ﷺ بالأحاديث الصحيحة ثبوتًا مستمرًا أنه كان يخطب فى كل جمعة ، واستدلوا أيضا بقوله ﷺ : ((**صلوا كما رأيتمونى أصلى**)) وقول الله عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ** ﴾[الجمعة: ٩] وهذا أمر بالسعى إلى الذكر واجبًا لأنه لا يجب السعى لغير الواجب ، وفسروا الذكر بالخطبة لاشتمالها عليه. (وقيل) إن الذكر المأمور بالسعى إليه هو الصلاة ، (وقيل) غاية الأمر أنه متردد بينها وبين الخطبة ، وقد وقع الاتفاق على وجوب الصلاة [2]...

** (وأحب) أن أشير هنا على ملاحظة هامة تتعلق بتقديم الصلاة على الخطبة ... (فقد) ورد أن النبى ﷺ فى أول الأمر كان يصلى أولا ثم يخطب ، فحدث ذات يوم أنه بعد أن صلى الجمعة ثم ارتقى المنبر ليخطب [3].. فقدمت عير من الشام ، قدم بها دحيه بن خليفة الكلبى ، وكان الوقت غلاء فى المدينة، وكان فى تلك القافلة جميع ما يحتاج إليه الناس من بُرٍّ ودقيق وزيت وغيرها ، فنزل بها عند أحجار الزيت - موضع بسوق المدينة - وضرب الطبل ليعلم الناس بقدومه فيبتاع منه .. وقيل: الضارب للطبل أهل المدينة على العادة ...

---

(١) وهذا على سبيل الاحتياط وخروجًا من الخلاف .. ولكن مع تخفيفهما .

(٢) ارجع على (فقه السنة) ج٢ (باب خطبة الجمعة) لكى تقرأ هذا الموضوع بالتفصيل .

(٣) وكان هذا بعد صلاة الجمعة .

فى أنهم كانوا يستقبلونها بالطبل والتصفيق ... فخرج لها الناس من المسجد – أثناء الخطبة – غير اثنى عشر رجلا (وهذا) وهو منشأ الخلاف بين الأئمة فى العدد الذى تنعقد به الجمعة ، فصح عند مالك أنهم اثنا عشر ، وصحَّ عند الشافعى أنهم أربعون [1].. وقد ورد فى الحديث أنه ﷺ قال : ((**لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادى نارًا**)) .

** (وفى الرواية أن الذين بقوا معه : أربعون رجلًا ، (وفى) أخرى أنهم ثمانية ، (وفى) أخرى أنهم أحد عشر ، (وفى) أخرى أنهم ثلاثة عشر ، (وفى) أخرى أنهم أربعة عشر .

* (فلما) حدث منهم هذا أنزل الله تبارك وتعالى قوله: ﴿**وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ**﴾ [الجمعة: ١١] أى فى الخطبة ﴿ **قَائِماً** ﴾ وهذا يشير إلى أن الخطبة تكون من قيام لا من جلوس ، قال علقمة : سئل ابن مسعود : أكان النبى ﷺ : يخطب قائمًا أو قاعدًا ؟ فقال : أما تقرأ : ﴿**وَتَرَكُوكَ قَائِماً**﴾ .

* (وقال) جمهور العلماء : الخطبة فريضة فى صلاة الجمعة .

* (وقال) داود الظاهرى : هى مستحبة ، ويجب أن يخطب الإمام قائمًا خطبتين يفصل بينهما بجلوس ، (وقال) أبو حنيفة وأحمد : لا يشترط القيام ولا القعود ، (ويشترط) الطهارة فى الخطبة عند الشافعى فى أحد القولين ....

* (وأقل) ما يقع عليه اسم الخطبة ، أن يحمد الله تعالى ، ويصلى على النبى ﷺ ، ويوصى بتقوى الله (هذه) الثلاث : شروط فى الخطبتين جميعًا (ويجب) أن يقرأ فى الأولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين فى الثانية، ولو ترك واحدة من هذه الخمسة لم تصح خطبته ولا جمعته عند الشافعى.

(وذهب) أبو حنيفة إلى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة : أجزأه .

(وذهب) مالك إلى أنه ما يقع عليه عند العرب اسم الخطبة وهو كلام مسجع مشتمل على تحذير وتبشير﴿ **قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ** ﴾[الجمعة: ١١]من الثواب ﴿**خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ**

---

(١) ارجع إلى حاشية الصاوى على الجلالين ج ٤ ص ١٦٢ .

وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [الجمعة: ١١] أى خير من رزق وأعطى... (فهو) ﴿**الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾. (ثم) حدث بعد ذلك وبعد أن حدث منهم هذا .. (أن) صار النبى ﷺ بعد ذلك يخطب ثم يصلى .

*(وفى) الختام إليك هذا النموذج من خطب الرسول ﷺ (فعن) ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ كان إذا تشهد قال : ((**الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهد الله فلا مضل له ، ومن يُضلِل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**[1] **أرسله بالحق بشيرًا بين يدى الساعة مَنْ يُطع الله تعالى ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه ولا يضر الله تعالى شيئًا**)) .

* (وقد) ذهب الجمهور إلى وجوب الإنصات وحرمة الكلام أثناء الخطبة ولو كان أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر سواء كان يسمع الخطبة أم لا ، (فعن) ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : ((**من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كالحمار يحمل أسفارًا ، والذى يقول له: أنصت؛ لا جمعة له**)) رواه أحمد وابن أبى شيبة والبزار والطبرانى قال الحافظ فى بلوغ المرام : إسناده لا بأس به .

** (ثم) إذا كان الله تبارك وتعالى قد قال فى نص الآية التى أمرنا فيها نحن المؤمنين تلبية النداء لصلاة الجمعة بعد الاستماع على الخطبة ، وبالعدد الذى وقفنا عليه – والذى قيل : إنه يصح باثنين فأكثر [2]: (أقول) إذا كان الله تعالى قد أمرنا بتلبية النداء بعد أن نترك البيع والشراء – لأنها يحرمان فى هذا الوقت – ثم أمرنا بعد ذلك بقوله : ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِى الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الجمعة: ١٠]، فإن هذا معناه أن الله تبارك وتعالى يأمرنا بالسعى على الرزق بعد صلاة الجمعة .. لأن العمل شرف وواجب ... ولأنه ليس فى الإسلام ما يسمى بيوم أجازة .. وإنما

---

(١) ورد فى الحديث : ((**الخطبة التى ليس فيها شهادة كاليد الجذماء**)) رواه أحمد وأبو داود والترمذى .

(٢) كما جاء فى (فقه السنة ج٢ ص ٢٦٠) .

المطلوب من كلّ مؤمن أن يعمل فى كل وقت من أجل تحصيل رزقه .. بعد أن يؤدى فريضة الصلاة حتى فى يوم الجمعة ... (ثم) هناك ملاحظة أخيرة أُذَكِّر بها الأخ المؤمن ... وهى المشار إليها فى (فقه السنة) تحت عنوان :

الدعاء فى يوم الجمعة

ينبغى الاجتهاد فى الدعاء عند آخر ساعة من يوم الجمعة (فعن) عبد الله ابن سلام ﷺ قال : قلت – ورسول الله ﷺ جالس : إنا لنجد فى كتاب الله تعالى فى يوم الجمعة ساعةً لا يوافقها عبد مؤمن يصلى يسأل الله عز وجل فيها شيئًا إلا قضى له حاجته . قال عبد الله : فأشار إلىَّ رسول الله ﷺ ، أو بعضَ ساعة . فقلتُ : صدقت ، أو بعض ساعة قلتُ : أى ساعة هى ؟ قال : ((**آخر ساعة من ساعات النهار**)) قلت : إنها ليست ساعة صلاة قال : ((**بلى : إن للعبد المؤمن إذا صلى ثم جلس لا يجلسه إلا الصلاة فهو فى صلاة**)) رواه ابن ماجه . (وعن) أبى سعيد وأبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال : ((**وإن فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها خيرًا إلا أعطاه إياه، وهى بعد العصر**)) ، رواه أحمد .. (وقال) الإمام أحمد بن حنبل أكثر الأحاديث فى الساعة التى يرجى فيها إجابة الدعاء– يوم الجمعة – أنها بعد صلاة العصر ، ويرجى بعد زوال الشمس.

** (فلاحظ) كل هذا أخا الإيمان حتى تفوز بكل هذا الخير الذى وقفت عليه .. من أول يوم الجمعة إلى آخر (وعلى) كل تلك الأسس الفقهية التى وقفنا جميعًا عليها ... والتى ينبغى أن تُدرس بإمعان خاص .

والله ولى التوفيق

(٣٨) خطبة أو درس

حول الترهيب من رضى المطلق زوجته ثلاثًا بالتحليل ...

الحمد لله القائل : ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الحشر: ٧] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى سئل عن المحلل ؟ فقال: ((**لا، إلا نكاح رغبة ، لا نكاح دلسة** – أى خديعة وتدليس – **ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل ثم تذوق العسيلة**)) .

رواه أبو إسحاق الجونجانى عن ابن عباس رضي الله عنهما اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين التزموا بحدود الله ولم يتعدوها بأى حال من الأحوال .. فكانوا هداة مهديين وأزواجا صالحين .. وكانوا رجالًا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله : ﴿ **رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ويزيد هم مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(وأما بعد)، فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه .. (فى هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله . تبارك تعالى وتوفيقه (رأيت) أن يكون لقائى معكم حول موضوع خطير .. كان لا بد وأن أدلى بدلوى فيه كمصلح من المصلحين إن شاء الله – ألا وهو موضوع : المحلل والمحلل له .. الذى لا بد وأن نقف جميعًا على حكم الشرع فيه ..

(فقد) قال الشيخ ابن حجر الهيثمى فى كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر ما ملخصه :

* أخرج أحمد والنسائي وغيرهما بسند صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لعن المحلِّل والمحلَّل له.

* وروى ابن ماجه بإسناد صحيح أن رسول الله ﷺ قال : ((**وألا أخبركم بالتيس المستعار ؟**)) قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : ((**هو المحلل ، لعن الله المحلل والمحلل له**)) ، وهو التيس : أى الذَّكَر من الظباء والمعز والوعول .

** وقد (قرأت) فى كتاب (مفتاح الخطابة والوعظ) تحت عنوان :

المحرِّم من الصحابة

* (وروى) ابن المنذر وابن شيبة وعبد الرازق والأثرم (عن) عمر رضي الله عنه أنه قال : لا أُوتَى بمحلِّل ولا محلَّل له إلا رجمتها .. (فسُئِل) ابنه[1] عن ذلك ؟ فقال : كلاهما زانٍ. (وسأل) رجل ابن عمر ، فقال : ما تقول فى امرأة تزوجتها لأُحِلها لزوجها ، لم يأمُرنى ،ولم يَعْلم ؟ فقال له ابن عمر : لا ، إلا نكاح رغبة، أن أعجبتك أمْسَكتها ، وإن كرهتها فارقتها ، وإنا كنا نَعُدُّ هذا سِفاحًا[2] على عهد رسول الله ﷺ .

* (وسُئل) عن رجل طلق ابنة عمه ثم ندم ورغب فيها ، فأراد أن يتزوجها رجل ليحلها له ؟ فقال : كلاهما زانٍ ، وإن مكث عشرين سنة أو نحوها إذا كان يعلم أنه يريد أن يحلها .

* (وسئل) ابن عباس رضي الله عنهما عمن طلق امرأته ثلاثًا ثم ندم ؟ فقال : هو عصى الله فأندمه ، وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجًا.

** (ثم) قال فى نفس المرجع السابق ، تحت عنوان :

تحريم الفقهاء من التابعين

* (قال) الترمذى : والعمل على التحريم عند أهل العلم ، منهم عمر وابنه[3] وعثمان رضي الله عنهم ، وهو قول الفقهاء من التابعين .

* (ونقل) ابن حجر عن الحسن البصرى أنه قال: إذا هم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد العقد .

---

(١) وهو عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أى فجورًا .. والمراد به الزنا.

(٣) أى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

* (وعن) النخعى أنه قال : إذا كانت نية أحد الثلاثة : الزوج الأول أو الزوج الآخر ، أو المرأة التحليل فنكاح الآخر باطل ولا تحل للأول .

* (وعن) المسيِّب أنه قال : من تزوج امرأة ليحلها لزوجها الأول لم تحل له.

وأما عن :

المحرِّم من الأئمة

* (فقد) نقل ابن حجر التحريم (عن) الإمام مالك ، والليث ، وسفيان الثورى ، وأحمد بن حنبل.

* (ونقل) عن أحمد أنه سُئل عمن تزوج امرأة وفى نفسه أن يحلها للأول ولم تعلم هى بذلك ؟ فقال : هو محلِّل ، وإذا أراد بذلك التحليل فهو ملعون .

* (وقد) أخذ المحرِّمون للتحليل وهم أهل العلم من الصحابة والتابعين والأئمة السابقين بإطلاق الأحاديث السابقة .

* (وقال) الإمام الشافعى : إن التحريم محله إذا شرط التحليل فى صلب العقد . ا . هـ . كلام ابن حجر .

** (هذا) ، وإذا كان هناك تعليق على كل هذا .. (فإننى) أريد أن أقف وقفة صغيرة عند كلمة (التَّيْس المستعار) التى وصف النبي ﷺ المحلل بها .. وأنا لا أتصور إنسانًا عاقلًا ، يقبل على نفسه أن يكون تَيْسًا مستعارًا بهذا المعنى الكبير الذى لو فهمه المحلل هذا لما قبل أن يوصف به .. (وَلَمَا) قبل أن يكون فاجرًا أو ملعونًا .. (وأما) بالنسبة للمحلل له .. أو لها ..

فإننى لا أتصور كذلك أن يكون هناك زوج صاحب كرامة يسمح لغيره أن يحلل له زوجته أو أن يحلل لها زوجها .. لكى يجوز لها أن تتزوجه من جديد بعد هذا التحليل المحرم – وقد علمنا قبل ذلك أنه إذا هم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد العقد – هذا بالإضافة إلى اللعنة التي ستلحق كل واحد منهم.

* (إن) القضية إذن قضية كرامة .. (وكان) ينبغى على الزوج المسلم أن يحافظ على زوجته، وأن يتعامل معها بالمودة والرحمة قبل أن يتورط بسبب هذا الطلاق الثالث .. الذى لا حلَّ له فى نظره إلا بهذا التحليل عن طريق هذا

التيس المستعار .. الذى لا يمكن أبدًا أن يكون مشروعًا .. (بل) هو حرام حرام حرام .. (وهو) زنا كما علمنا ...(وقد) يكون الأساس فيه .. هو عدم غيرة الزوج على زوجته ، وهو التسيب والانحلال بتلك الصورة التى جعلت الزوج دَيُّوثًا والعياذ بالله ..

* (روى) أحمد واللفظ له والنسائى والحاكم وقال صحيح الإسناد : ((**ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة ، مدمن الخمر ، والعاقُّ لوالديه ، والدَّيوث الذى يُقر فى أهله الخبث**)).

* وأخرج أحمد : ((**ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة ، العاق لوالديه ، والمرأة المترجلة – أى المتشبهة بالرجال – والديوث ، وثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، ومدمن الخمر والمنان بما أعطى**)) .

* (وروى) الطبرانى بسند قال الحافظ المنذرى لا أعلم فيه مجروحًا وله شواهد كثيرة : ((**ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدًا : الديوث ، والرجلة من النساء ، ومُدمن الخمر**)) قالوا يا رسول الله : أما مدمن الخمر فقد عرفناه ، فما الديوث؟ قال : ((**الذى لا يبالى من دخل على أهله**)) قيل : فما الرجلة من النساء ؟ قال : ((**التى تُشَبَّه بالرجال**)) .

* (وإن) خروج المرأة على الطريق متعطرة ، أو بثوب رقيق ، أو متبرجة .. هو كذلك من أكبر أسباب خراب البيوت ، ويحدث تبعًا لهذا من طلاق بائن.. لا حل له إلا أن تتزوج زواجًا شرعيًّا .. (ثم) بعد ذلك إن طلقها هذا الزوج الثانى برغبته بعد أن يذوق عسيلتها وتذوق عسيلته .. فإنه يجوز للزوج الأول أن يتزوجها زواجًا جديدًا .....وبصداق جديد .. (وحتى) لا يحدث) هذا الخراب من جانب المرأة .. فإننى أذكرها بما ورد :

* (عن) أبى موسى ﷺ عن النبى ﷺ قال : ((**كل عين زانية ، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى كذا وكذا يعنى زانية**)) رواه أبو داود والترمذى وقال: حسن صحيح .

* (وروى) النسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما ولفظهم : قال النبى ﷺ : ((**أى امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية وكل عين زانية**)) .

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((**صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت**[1] **المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**)) رواه مسلم .

* (ولا شك) أن خروج المرأة بهذه الصورة الشيطانية يعتبر فتنة للرجال .. (بل) وفتنة للنساء .. لأنها عندما ستخرج هكذا ... ستستمع من الرجال المفتونين بها إلى الكثير من التعليقات التى قد لا تستمع إليها من جانب زوجها .. فتشغل بها .. وقد يتعلق قلبها بأحد هؤلاء المغازلين .. الذى يطلب منها أن تطلب الطلاق من زوجها لكى يتزوجها بعد ذلك .. فيحدث بين الزوجين الكثير من الخلافات والمشاجرات التى تنتهى غالبًا بالطلاق البائن.. (ثم) بعد ذلك يتبين للزوجة أن من غرَّر بها قد خدعها وقد يكون هناك عدد من الأبناء ...(فتكون) المصيبة الكبرى أنهم يفكرون فى هذا التحليل المحرم..

* (وقد) يكون التحليل هذا قبل انقضاء العدة ... والعياذ بالله – قال تعالى: ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ**[2]﴾[البقرة: ٢٢٨] والقرء : الطهر بين حيضتين ، فإن طلقت فى الطهر حسبت بقية الطهر قرءًا – وإن طلقت فى الحيض اشترط مضى ثلاثة أطهار كاملة ، فإن لم يكن بها عادة فى الحيض مستقيمة وادعت انقضاء الأقراء صُدِّقت بيمينها ، وإن كان لها عادة مستقيمة صدقت فى انقضائها وفق العادة[3] .

---

(١) **البخت** : الأبل الخراسانية . وذات السنامين . وإحداها بُخْتى .

(٢) أى ثلاث حيضات أو ثلاث أطهار.

(٣) ارجع إلى (الفقه الميسر) فى المعاملات ص ١٣٥، لفضيلة الشيخ أحمد عيسى عاشور – عليه رحمة الله.

(أقول) : وإذا حدث أن ادعت انقضاء العدة كذبًا .. وعُلِم هذا من الجانبين استعجالًا لهذا الزواج الآخر فإنه سيكون باطلًا .. وسيكون كل ما سيترتب عليه فجورًا .. (وهذا) بالنسبة للطلقة الثالثة التى لن تحل له بعدها حتى تنكح زوجًا غيره زواجًا شرعيًّا صحيحًا ..

** (وقد) قرأت فى كتاب (الحلال والحرام فى الإسلام) كلامًا هامًّا .. (أرى) من الخير كذلك إن أُذَكِّرْ الزوج به . حتى لا يكون مسيئًا إلى زوجته .. التى ينبغى عليه أن يحترم مشاعرها (فلقد) قال تحت عنوان :

المطلقة تبقى فى بيت الزوجية مدة العدَّة

والواجب فى شريعة الإسلام أن تبقى المطلقة فى بيتها – أى بيت الزوجية – مدَّة العدَّة ، ويحرم عليها أن تخرج من البيت ، كما يحرم على الزوج أن يخرجها منه بغير حق ، وذلك أن للزوج – طوال مدة العدَّة – أن يراجعها ويردها إلى حظيرة الزوجية مرة أخرى – إذا كان هذا هو الطلاق الأول أو الثانى – وفى وجودها فى البيت قريبًا منه إثارة لعواطفه ، وتذكيرًا له أن يفكر فى الأمر مرَّة ومرَّة قبل أن يبلغ الكتاب أجله ، وتنتهى أشهر العدة التى أمرت أن تتربصها استبراءً للرحم ، ورعاية لحق الزوج وحرمة الزوجية ، والقلوب تتغير ، والأفكار تتجدد ، والغاضب قد يرضى ، والثائر قد يهدأ ، والكاره قد يحب .

* وفى ذلك يقول الله تعالى فى شأن المطلقات :

﴿ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِى لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١] .

* (وإن) كان لا بد من الفراق بين الزوجين . فالمطلوب منهما أن يكون بمعروف وإحسان بلا إيذاء ولا افتراء ولا إضاعة للحقوق . قال تعالى : **﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾** [الطلاق: ٢] ، وقال تعالى : **﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾** [البقرة: ٢٢٩] ، وقال : **﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾** [البقرة: ٢٤١] .

* * (ثم) يقول ، تحت عنوان :

(الطلاق مرة بعد مرة)

وقد منح الإسلام للمسلم ثلاث تطليقات فى ثلاث مرات على أن يطلقها كل مرة فى طهر لم يجامعها فيه طلقة واحدة ، ثم يدعها تنقضى عدتها، فإن بدا له أن يمسكها فى العدّة أمسكها ، وإن لم يراجعها حتى انقضت عدتها ، أمكن أن يردها إليه بعقد جديد ، وإن لم يكن له فيها غرض لم يضره أن تتزوج بزوج غيره فإن أعادها إلى عصمته بعد الطلقة الأولى ثم حدث بينهما النفور والشقاق مرة ثانية وعجزت الوسائل الأخرى عن تصفية الجو بينهما ، فله أن يطلقها للمرة الثانية – على الطريقة التى ذكرناها – وله أيضا أن يراجعها فى العدَّة بغير عقد أو يعيدها بعد العدة بعقد جديد .

* فإذا عاد فطلقها للمرة الثالثة كان هذا دليلًا واضحًا على أن النُّفرة بينهما مستحكمة ، والوفاق بينهما غير مستطاع . لهذا لم يُجز له بعد الطلقة الثالثة أن يردها إليه ، ولا تحل له بعد ذلك حتى تنكح زوجًا غيره زواجًا شرعيًّا صحيحًا مقصودًا لذاته لا لمجرد تحليلها للزوج الأول .

* (ثم) يقول : ومن هذا نرى أن المسلم الذى يجمع هذه المرات الثلاث فى مرة واحدة أو لفظة واحدة قد ضاد الله فيما شرعه ، وانحرف عن صراط الإسلام وقد صح أن رسول الله ﷺ أُخبر عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعًا فقام غضبان ثم قال : ((**أَيُلْعَبُ بكتاب الله وأنا بين أظهُرِكُمْ؟**)) حتى قام رجل فقال : يا رسول الله ألا أقتله[1].

(ثم) يقول، تحت عنوان:

(إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان)

وإذا طلق الزوج زوجته وبلغت الأجل المحَدَّد لها –أى قاربت عدتها أن تنقضى– كان على الزوج أحد أمرين: إما أن يمسكها بمعروف، ومعنى ذلك أن يُرجِعَها بقصد الإحسان والإصلاح، لا بقصد المشاكَسة والإضرار.

---

(١) أخرجه النسائي .

(وإمّا) أن يُسَرِّحَها ويفارقَها بمعروف، بأن يتركها حتى تنقضي عدتها ويتم الانفصال بينهما بلا تشويش ولا مضارة، ولا مشاحنة[1] فيما لأحدهما على الآخر من حقوق.

(ولا يحل له) أن يُراجِعَها قُبيل[2] انقضاء عدتها منه، قاصدًا إيذاءها بإطالة العدة عليها، وحرمانها من التزويج بغيره أطول مدة يستطيعها. وهكذا كان يفعل أهل الجاهلية.

(وقد) حرم الله هذه المضارة للمرأة في مُحكم كتابه، بأسلوب ترعد منه الصدور وتجل منه القلوب. قال تعالى: **﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** [البقرة: ٢٣١] .

(ثم) يقول: وبالتأمل فى هذه الاية الكريمة نجدها قد اشتملت على سبع فقرات ، فيها تحذير بعد تحذير، وتذكير يتلوه تذكير، ووعيد على إثر وعيد، وكفى بذلك ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.ا.هـ.

(فعلى) الأخ الزوج ، والأخت الزوجة أن يتقيا الله فى نفسيهما وفى أولادهما.. وأن لا يوصلا الأمر إلى هذا الحد الذى سيكون معناه أن الشيطان قد انتصر عليهما ...(فقد) ورد عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((**إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا ، فيقول: ما صنعت شيئًا، ثم يجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت ، فيلتزمه**[3])) رواه مسلم وغيره.

---

(١) أى مشاجرة.. أو بخل.

(٢) أى قرب انقضاء العدة.

(٣) أى يعانقه ويقبله .

(وعـلى) المفسـدين مـن شـياطين الإنـس أن يتقـوا الله فى الأزواج والزوجات...فلا يفسدوا الزوجة على زوجها.. (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه عـن النبى ﷺ قال: ((**ليس منا من خبب**[1] **امرأة عـلى زوجهـا أو عبـد عـلى سيده**)) رواه أبو داود، والنسائي، وابن حبان فى صحيحه.

أسأل الله تعالى أن يعيننا على جميع المفسدين من شياطين الإنس والجن.

اللهم آمين

(١) أى أفسد امرأة على زوجها.



(٣٩) خطبة أو درس

حول الترهيب من التلهى عن ذكر الله تعالى بالأموال والأولاد .. وحول الترغيب فى الإنفاق فى سبيل الله قبل أن يأتى الموت كل واحد منا ...

الحمد لله القائل : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[التغابن: ١٥] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى ورد عنه أن قال : ((**إن لكل أمة فتنة وفتنة**(١) **أمتى المال**)) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح : عن كعب بن عياض رضي الله عنه .

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين كانت الدنيا بالنسبة لهم مزرعة للآخرة .. فكانوا يستغلون كل لحظة فى هذه الحياة الأولى لصالح آخرتهم المنشودة .. فكانوا لهذا من الرجال الحقيقين الذين تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله : ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[النور ٣٧، ٣٨] .

(أما بعد) ، فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه... (فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تعالى وتوفيقه (رأيت) أن يكون لقائى معكم حول ثلاث آيات من سورة المنافقون – وهى صورة مدنية – يقول الله تعالى فيها : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩] ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ

---

(١) أى بلاء فى الخير والشر.

﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٩-١١] .

*(هذا) ، وإذا كان لى أن أعلق أو أشرح تلكم الآيات الثلاث حتى نعرف المراد منها .. (فإننى) أحب أولًا : أن أمهد بكلمة هامة .. (وهى) أن السبب فى اختيار تلكم الآيات الثلاث لكى تكون موضوعًا لخطبة اليوم : (هو) أن أكثر المسلمين الآن قد أصبحوا فى غفلة أو فى لهو عن ذكر الله .. وذلك بسبب الاشتغال بالأموال والأولاد ... (فأراد الله) تبارك وتعالى أن يذكر المسلمين والمسلمات بضرورة أن يكونوا على عكس هذا ..حتى لا يكونوا كالمنافقين الذين هم أهل الخسران ... كما أراد الله تعالى بعد ذلك أن يذكر المؤمنين والمؤمنات بصفه خاصه .. بضرورة أن يكونوا من المنفقين مما رزقهم الله قبل أن يأتى أحدهم الموت ﴿فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِى إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ إلى آخر الآيات الثلاث (وهذا) النهى والأمر لا بد وأن يكونا منفذين بكل دقة وإسراع قبل فوات الأوان .. وقبل أن تندم ولات ساعة مندم ..

* (ثم) إلينا بعد ذلك كمؤمنين ومؤمنات المعنى المراد من تلكم الآيات الثلاث .. التى يقول الله تعالى فى الآية الأولى منها : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[المنافقون: ٩] ، وهذا نهى صريح للمؤمنين ذكورهم وإناثهم عن التشبه بالمنافقين الذين غرتهم الحياة الدنيا بكل ما فيها من الأموال والأولاد ، بل وبكل ما فيها من متاع زائل (عن ذكر الله) الذى هو الصلوات الخمس .. وهذا قول الضحاك .. وقال الحسن : عن جميع الفرائض ، وقيل: عن الحج والزكاة ، وقيل: عن قراءة القرآن ، وقيل: عن الحج والزكاة ، وقيل : عن قراءة القرآن ، وقيل: عن سائر الأذكار وهو الإثم .

(ولهذا) كان من الخير أن أوضح كل تلك الأقوال ... (فأما) عن الصلوات الخمس التى شغل عنها أكثرهم ولا أقول أكثرنا – فهى الذكر الأكبر المشار إليه فى قول الله تبارك وتعالى :﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ،

وقيل: أى ذكر الله لكم بالثواب والثناء عليكم، أكبر من ذكركم له فى عبادتكم وصلواتكم ... (وهو) قول ابن مسعود، وابن عباس، وأبى الدرداء، وجمع من الصحابة ... وهو اختيار الطبرى .. (والصلاة) هى الذكر الأكبر ... لأنها الجامعة لجميع الأذكار ... فأنت فيها تكبر، وتقرأ قرآنًا، وتسبح، وتهلل، وتصلى على رسول الله ﷺ ... إلى آخر الأذكار الجامعة إلى أن تخرج من الصلاة ... (وهى) أيضًا الجامعة لجميع أركان الإسلام ... لأنك فى الصلاة ... فعلا، وأيضًا تؤدى زكاة وقتك، وأنت كذلك تصوم عن الطعام أو الشراب وأنت فى الصلاة .. وأنت فى الصلاة تتجه إلى الكعبة – التى هى قبلتك فى الصلاة – فتتذكر بهذا الركن الخامس من أركان الإسلام وهو الحج الذى لا بد وأن تؤدى متى استطعت إلى ذلك سبيلا .

(ولهذا) كانت الصلاة هى عماد الدين، وركنه الركين .. وهى أعظم الأركان بعد الشهادتين اللتين تقرأهما فى نهاية الصلاة ... أعنى فى التشهد .

(وهى) أفضل العبادات، وقربة من أعظم القربات .

(وقد) روى البخارى فى صحيحة (عن) أبى هريرة رضى الله عن رسول الله ﷺ، عن رب العزة سبحانه وتعالى أنه قال: ((**من عادى لى وليًا[1]، فقد آذنته [2] وما تقرب إلى عبدى إلى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذ بى لأعيذنه**))، (والفرائض): أى كل ما أوجبه الله على عباده، والصلاة من أعظمها... بل هى أعظمها...

(والنوافل): أى: ما زاد على الفرائض، والصلاة فى بابها، من أعظمها أيضًا.

(والصلاة) – فى نظر الإسلام – هى: الحد الفاصل بين المسلم والكافر،

---

(١) المراد بالولى: أى المؤمن ... قال تعالى: ﴿الله وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ..﴾ .

(٢) أى من آذى مؤمنا فقد آذنه الله بالحرب، أى أعلمه الله أنه محارب له ... والله تعالى إذا حارب العبد أهلكه ... فليحذر الإنسان من التعرض لكل مسلم (شرح الأربعين النووية) ص ٧٨ .

والبار والفاجر ، وهى أيضًا بالنسبة لباقى الأركان – بعد الشهادتين – بمنزلة الرأس من الجسد ، فمن أداها كما ينبغى ، فهو مسلم بار ، ومن تركها ، فهو كافر فاجر : (وقد) روى الطبرانى فى الأوسط (عن) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال «**لا إيمان لمن لا أمانه له، ولا صلاة لمن لا طهور له ، ولا دين لمن لا صلاة له إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد**».

(وإذا كان) الشىء بالشىء يذكر – كما يقولون – فإننى أرى أن أذكر هنا ، بما جاء فى (الفقه الواضح)[1]، عن :

حكم تارك الصلاة

(فمن): تركها وهو منكر لفرضيتها ، غير معترف بوجوبها : فهو كافر ، مرتد عن الإسلام ، لا تجرى عليه الأحكام الشرعية ، وليس له من الحقوق ما للمسلمين : فلا يرث ، ولا يورث ، ولا يصحَّ – إن كان رجلًا – أن يتزوج بمسلمة ، وإن كانت امرأة فلا يصح أن يتزوجها مسلم ، وإذا مات لا يغسل ولا يكفن ، ولا يصلى عليه ، ولا يدفن فى مقابر المسلمين ... (وعلى) الحاكم أن يأمره بها ، فإن صلى فبها وإلا : قتله كفرًا ... (وإنه) ليحشر يوم القيامة مع فرعون ، وقارون ، وأُبى بن خلف ... (فعن) عبد الله بن العاصى ، عن النبى ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال : «**من حافظ عليها : كانت له نورًا ، وبرهانًا ، ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها : لم يكن له نور ، ولا برهان ، ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع فرعون ، وهامان [2]، وقارون وأبى بن خلف**»[3]. رواه الإمام أحمد، وقال معلقًا عليه: من تركها بسبب الرياسة: حشر مع فرعون، ومن تركها بسبب السياسة: حشر مع هامان، ومن تركها بسبب

---

(١) ج٢ص٣٥ . بتصرف.

(٢) لأن هامان كان وزيرًا لفرعون يدبر شئون الملك ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً.. ﴾ [غافر : ٣٦].

(٣) وكان أبى يجادل الرسول ﷺ كثيرًا فى شأن البعث والحياة بعد الموت .

جمع المال : حشر مع قارون ، ومن تركها من أجل الجدال والخصام : حشر مع أبى بن خلف .ا.هـ .

(والأحاديث) التى صرحت بكفر تارك الصلاة ، كثيرة ، منها : ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((**بين الرجل** [1] **وبين الكفر ترك الصلاة**)) . رواه مسلم .

(وعن) بريدة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((**العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**)) رواه أحمد .

(وأما) من تركها كسلًا : (فقد) اختلف الفقهاء فيه .. أى فيمن ترك الصلاة كسلًا ، وهو معترف بوجوبها : (فقال) الحنابلة : هو كافر ، (وقال) الجمهور : هو فاسق .. (و استدلَّ) الحنابلة بالأحاديث المتقدمة ، فجعلوها عامة ، فى من ترك الصلاة مطلقًا .

(وقد) حمل الجمهور هذه الأحاديث على من تركها منكرًا لفرضيتها ، واستدلوا على ذلك بعموم قوله تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ [النساء:١١٦] : (وتارك) الصلاة تكاسلًا ليس مشركًا ، وبالتالى فهو متعرض لرحمة الله عز وجل . (واستدلوا) أيضًا بحديث أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((**لكل نبى دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبى دعوته ، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة ، فهى نائل – إن شاء الله – من مات لا يشرك بالله شيئًا**)) رواه أحمد ومسلم .

(وبحديث) أبى هريرة رضي الله عنه – أيضًا – أن رسول الله ﷺ قال : ((**أسعد الناس بشفاعتى من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**)) . رواه البخارى .

(فعلى) الإخوة المسلمين أن لا يُشغلوا عن الصلاة بأى شاغل دنيوى...(وعلى) الإخوة المؤمنين والمؤمنات بصفه خاصة ... أن ينفذوا أمر الله تعالى فى قوله : ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾ [البقرة:٢٣٨] أى حافظوا على الصلوات الخمس بصفة عامة ، والصلاة

---

(١) بل والمرأة كذلك .... إلا إذا كانت حائضًا أو نفساء ..

الوسطى وهى صلاة العصر على الراجح – بصفة خاصة .﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** ﴾ أى: وقوموا إلى صلاتكم استجابة لأمر الله تعالى وأنتم فى أسمى درجات الخشوع والإخلاص ...

(وأما) عن (الحج) ، فهوا المشار إليه فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا** ﴾[آل عمران: ٩٧] أى على من وجد الزاد والراحلة..أن يحج... وإلا كان من المشار إليهم فى قوله الله تعالى : ﴿**وَمَنْ كَفَرَ**﴾ [آل عمران: ٩٧] أى : من لم يحج ففيه تأكيد لوجوبه وتغليظ على تاركه لأن الترك من أعمال الكفرة ، لأنه تكليف شاق جامع بين كسر النفس، وإتعاب البدن، وصرف المال ، والتجرد عن الشهوات والإقبال على الله عز وجل .

(ومن) رحمة الله تعالى أن جعله مرة واحدة فى العمر .

(فعن) أبى هريرة ﷺ قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال: ((**يا أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا**)) فقال رجل : أكُلَّ عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها [١] ثلاثًا فقال رسول الله ﷺ : ((**لو قلت: نعم لوجبت ولما استطعتم**)) ، ثم قال : ((**ذرونى ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه**)) رواه مسلم .

(ولا شك) أن جميع مناسك الحج فيها من الذكر الكثير والكثير بالإضافة على مضاعفة الحسنات، ولا سيما بالنسبة للصلاة فى المسجد الحرام ... فإنها بمائة ألف صلاة.

وحسب الحاج أن يعلم أنه بعد أدائه لفرضية الحج ... سيعود من هناك بشهادة ميلاد جديدة .

(فعن) أبى هريرة ﷺ أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**من حج فلم يرفث**[٢] **ولم يفسق** [٣] **رجع كيوم ولدته أمه**)) [٤] متفق عليه.

---

(١) أى أعاد المقالة ثلاث مرات.

(٢) أى لم يلغ.

(٣) أى لم يرتكب فواحش.

(٤) أى انقلب من نسكه معرى عن الذنب بالعفو .

(وأما) عن الزكاة ، فهى أيضًا ركن من أركان الإسلام الخمس التى فرضها الله تعالى علينا .. (وقد) أمر الله رسوله صلوات الله وسلامه عليه بأن يأخذها من أغنياء المسلمين لكى يعطيها لفقرائهم فقال تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**﴾[التوبة:١٠٣] أى خذ أيها الرسول من أموال المؤمنين صدقة معينة كالزكاة المفروضة ، أو غير معينة وهى التطوع ومعنى : ﴿ **تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** ﴾ أى تطهرهم بها من دنس البخل والطمع والدناءة والقسوة على الفقراء والبائسين ، وما يتصل بذلك من الرذائل ، وتزكى أنفسهم بها : أى تنميها وترفعها بالخيرات والبركات الخُلقية والعملية حتى تكون بها أهلا للسعادة الدنيوية والأخروية ....

(ويوم) أن يكون الأخ المؤمن محققًا لهذا (الهدف) ... (فإنه) بهذا التحقيق سيكون من الذاكرين لله تعالى بصورة عملية .. (وحسبه) بهذا الذكر الإيجابى أن يكون من المتقين المشار إليهم فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَعُيُون * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾ [الذاريات١٥:١٩] .

(فقد) جعل الله تعالى أخص صفات الأبرار الإحسان، وأن مظهر إحسانهم يتجلى فى القيام من الليل والاستغفار فى السحر تعبُّدًا لله وتقربًا إليه. كما يتجلى فى إعطاء الفقير حقه رحمة به وحنوًا عليه.

(وأما) عن قراءة القرآن ، فهو أى الذكر بقراءة القرآن ... فإن المراد بة : أى القراءة التى تكون بالتدبر فى معانى القرآن .. مع التلاوة الصحيحة .. التى تكون على أساس التدارس القرآنى من جميع الوجوه .. حتى تكون فعلًا من المشار إليهم فى الحديث الشريف الذى ورد : (عن) أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده**)) رواه مسلم .

(وقوله) ذكرهم الله فيمن عنده –أى الملائكة فى الملأ الأعلى– لأنهم

يذكرونه..وفى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى: ﴿فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] .

(وقد) كان النبى ﷺ يحب أن يستمع إلى القرآن من غيره :

(فعن) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبى ﷺ : ((**اقرأ على القرآن**))، فقلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنزل ؟ قال : ((**إنى أحب أن أسمعه من غيرى**)) فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية : ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا**﴾ [النساء: ٤١] قال : ((**حسبك الآن**)) فالتفت فإذا أعيناه تذرفان [1])) متفق عليه.

(ولا بد) وأن يظل الأخ المؤمن. ذاكرًا لله وتعالى عن طريق تلاوة القرآن حتى يظل ذاكرًا لله تبارك وتعالى .. (بل) ومتذكرًا للقرآن ، حتى لا يتفلت منه (فعن أبى موسى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : ((**تعاهدوا القرآن – أى حافظوا على قراءته وواظبوا على تلاوته – فوالذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل فى عقلها**)) . متفق عليه .

(وعن) ابن عمر رضى الله أن رسول الله ﷺ قال : ((**إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعلقة [2] إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت**)) [3] متفق عليه.

(وأما) عن سائر الأذكار بصفة عامة ، فإن المراد بها .. كل ما يوصلك إلى معرفة الله تبارك وتعالى ... فقراءة القرآن ذكر ، والصلاة على النبى ﷺ ذكر والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ذكر ومدارسة العلوم الدينية والتفقهه فيها ذكر ..

(وإن) ذكر الله تبارك وتعالى بصفة عامة ، هو طب القلوب ودواؤها ، وعافية الأبدان وشفاؤها، ونور الأبصار وضياؤها ؛ به تطمئن القلوب ، وتنفرج الكروب ، وتغفر الخطايا والذنوب؛ ولذلك أمر الله تعالى به وحث

---

(١) أى تجرى دموعهما رحمة لأمته ﷺ.

(٢) المربوطة .

(٣) أى بسبب فك العقال عنها.

عليه ، ورغب فيه ، ومدح أهله وبين ما لهم عنده من رفيع الدرجات فقال تعالى : ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٣٥] وقال تعالى : ﴿ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] فلنكن إن شاء الله تعالى من المؤمنين ﴿الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ حتى نفوز بالجنة والأجر العظيم فى الجنة أن شاء الله .. (بل) وحتى تكون من الذين ﴿آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد:٢٨] .

والله ولى التوفيق

(وأما) عن الخسران المشار إليه فى ختام الآية الأولى ... (فإن) المراد به (الخسران والنقصان)، بل: والضياع...وهو ضد الربح الذى لا يكون إلا فى طلب الآخرة...والعمل على أن يفوز فيها بدخول الجنة إن شاء الله تبارك وتعالى.

(وأما) عن الأخسرين .. إما بمعنى أشد الناس خسرانًا ، أو بمعنى : خاسر : (فهم) المشار إليهم فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف:١٠٣، ١٠٤] .

(فلنحذر) أن نكون من الخاسرين ، أو من الأخسرين أعمالًا .... (مع) الاستعاذة بالله من هذا ومن ذاك ....

(ثم) إذا كان الله تبارك وتعالى يقول بعد ذلك فى الآية الثانية : ﴿ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾[البقرة: ٢٥٤] ومِن للتبعيض ، أى من بعض ما رزقكم الله .. وفى التبعيض بإسناد الرزق منه تعالى إلى نفسه زيادة ترغيب فى الامتثال ... حيث كان الرزق له تعالى بالحقيقة ، ومع ذلك فقد اكتفى منهم ببعضه ... (وهذا) معناه أنه ينبغى على الأخ المؤمن أن يكون منفقًا مما رزقه الله .... سواء كان هذا الإنفاق من الزكاة أو من غيرها .. لأن كل الأموال من الله وإلى الله .

(وقد) قال الله تعالى فى القرآن الكريم مرغبًا فى الإنفاق بصفة عامة :﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾[سبأ: ٣٩] وقال تعالى : ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ

﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢] .

(وقد) ورد فى السنة الشريفة (عن) عدى بن حاتم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((**اتقوا النار ولو بشق تمرة**)) متفق عليه .

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكًا تلفًا**)) متفق عليه .

(والمهم) أن يكون الإنفاق هذا فى سبيل الله ، وبدون مَنٍّ أو أذى .. لأن الله تعالى يقول : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾** [البقرة: ٢٦٤] ويقول : **﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ﴾** [البقرة: ٢٦٣] .

(والأهم) أن يكون الإنفاق هذا **﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾** [المنافقون: ١٠] أى فأتصدق ... بالزكاة وغيرها **﴿ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾** [المنافقون: ١٠] أى بأن أحج، وأصلى، وأصل رحمى... إلخ ... قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما قصر أحد فى الزكاة والحج إلا سأل الرجعة عند الموت . (كما) أشار الله تعالى أيضًا إلى هذا قوله : **﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾** [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] .

(ثم) بعد ذلك يقول سبحانه وتعالى فى سورة المؤمنون: **﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ**[1] **بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ**[2] **فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ**[3] **فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ**[4] **وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ**[1] **﴾** [المؤمنون: ١٠٠- ١٠٤] .

---

(١) أي: فلا أحساب تنفع فى هذا اليوم.

(٢) أى: ولاهم يتساءلون فيما بينهم لشدة الهول.

(٣) أى: موازين أعمالهم الصالحة .

(٤) أى: تحرق وجوههم النار.

(وفى) ختام سورة (المنافقون) يضع الله تبارك وتعالى حدًّا لهذا التمنى الذى تقديره – ليتك أخرتنى إلى أجل قريب ... أى زمن قليل فأستدرك فيه ما فاتنى – فيقول سبحانه :﴿ **وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [المنافقون:١١] ... وقد يكون المراد من قول الله تبارك وتعالى : ﴿**خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ أن الله تعالى يعلم سرهم ونجواهم ... وأنهم يريدون الرجعة طمعًا فى الحياة الدنيا .. ولو عادوا إلى الدنيا لعادوا إلى ما كانوا عليه قبل هذا .. (مع) ملاحظة قول الله تبارك وتعالى : ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [الأعراف:٣٤] فإذا جاء الأجل فرق بين الروح والجسد ... (وقد) يدخل النفس ولا يسمح له بالخروج ، وقد يخرج ولا يسمح له بالعودة ... (فلننتفع) بكل هذا التذكير الذى استمعنا إليه ...

والله ولى التوفيق

(١) **كالحون**: أى وهم فيها عابسون.



(٣٠) خطبة أو درس

حول آداب الاستئذان فى القرآن والسنة

الحمد لله القائل : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾[النور: ٢٧] و(تستأنسوا) أى : تستأذنوا .

وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل : ((الاستئذان ثلاثٌ ، فإن أذن لك وإلا فارجع)) متفق عليه ، عن أبى موسى الأشعرى ﷺ . اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين كانوا من المطيعين لله ورسوله فى الاستئذان وغيره كما علمهم رسول الله ﷺ فكانوا هداة مهديين ، وقادة منتصرين ، وكانوا رجالًا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله : ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور٣٧،٣٨].

(أما بعد) ، فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه .. (فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى وتوفيقه ... (رأيت) أن يكون لقائى معكم حول آداب الاستئذان.

التى يجهلها أكثر المسلمين – للأسف الشديد – حتى أصبح دخول المنازل بدون تحفظات ... بتلك الصورة التى لا تمت إلى آداب الاستئذان بصلة ... والتى تجرح مشاعر المسلمين الشرفاء الذين لا يسمحون بمثل هذا التعدى على حرمات البيوت التى من المفروض علينا نحن المؤمنين بصفة خاصة أن نراعيها وننفذها ... كما يأمرنا الله تعالى بهذا فى سورة النور .

(وكان) هذا بعد أن قالت امرأة من الأنصار: يا رسول الله إنى أكون فى

بيتى على حال لا أحب أن يرانى عليها أحد ، لا والد ولا ولد ، فيأتى الأب فيدخل على ، وإنه لا يزال يدخل على رجل من أهلى وأنا على تلك الحالة...فنزلت : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ [النور: ٢٧] أى غير محل سكنكم ، و حينئذ فقد خرج مالك ذات الدار إذا دخل على مكتريها[1]... فيجب عليه الاستئذان ... لأنه قد صدق عليه أنه غير بيته ﴿حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ أى تستأذنوا ﴿وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ فيقول الواحد : السلام عليكم .. أأدخل؟ (وقد) أشار بذلك إلى أن السلام مقدم على الاستئذان ... وهو قول الأكثر...والحق التفصيل...فإن وقع بصره على أحد فى البيت قدم السلام .. وإلا قدم الاستئذان...ثم يسلم... ويكون من السلام والاستئذان فى ثلاث مرات يفصل بين كل مرتين بسكوت يسير ... الأول : إعلام ، والثانى : للتهيؤ ، والثالث : استئذان فى الدخول أو الرجوع...

(وإذا) أتى الباب لا يستقبله من تلقاء وجهه، بل يجىء من جهة ركنه الأيمن أو الأيسر ... (وإذا) طلب منه التعيين فليعين نفسه بصفة تميزة ولا يكتفى بقوله : أنا مثلًا لما روى (عن) جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال : استأذنت على النبى ﷺ فقال : ((**من هذا ؟**)) فقلت: أنا، فقال النبى ﷺ : ((**أنا أنا**)) كأنه كره ذلك [2]لعدم إفادته .. فالواجب أن يُفَصِّل الشخص كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أراد الدخول على النبى ﷺ وهو فى مشربة ، فقال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليكم .. أيدخل عمر.

(وقد) قرأت فى رياض الصالحين فى:

(باب الاستئذان ...)

(عن) أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((**الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلاَّ فارجع**)) . متفق عليه .

---

(١) **مكتريها** : أى مستأجريها.

(٢) والحديث متفق عليه.

(وعن) سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((**إنما جعل الاستئذان – أى طلب الإذن من رب المنزل – من أجل البصر**)) متفق عليه .

*(وعن) ربعى بن خراش قال : حدثنا رجل من بنى عامر أنه استأذن على النبى ﷺ وهو فى بيت، فقال : أألج ؟ – أى : أأدخل – فقال رسول الله ﷺ لخادمه : ((**أخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان ، فقل له: قل : السلام عليكم، أأدخل؟**)) فسمعه الرجل فقال : السلام عليكم ، أأدخل؟ فأذن له النبى ﷺ فدخل . رواه أبو داود بإسناد صحيح.

*(وعن) كلدة بن الحنبل رضي الله عنه قال : أتيت النبى ﷺ فدخلت عليه ولم أسلم – أى : لم أستأذن – فقال النبى ﷺ : ((**ارجع فقل**[1] : **السلام عليكم ، أأدخل ؟**)) رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن .

** (ثم) بعد ذلك يقول سبحانه وتعالى مستكملًا الآية التى ندور حولها : ﴿**ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ أى من الدخول بغير استئذان ﴿**لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ أى خيريته فتعملون به ﴿**فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا**﴾ أى يأذن لكم ﴿ **فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ** ﴾أى حتى يأتيكم الإذن ولو مع خادم يوثق به ﴿**وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ**﴾ بعد الاستئذان ﴿**ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ** ﴾ أى الرجوع ﴿**أَزْكَى لَكُمْ** ﴾ أى من القعود على الباب ﴿ **والله بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ أى من الدخول بإذن وغير إذن ﴿**عَلِيمٌ** ﴾ فيجازيكم عليه ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ** ﴾ أى منفعة ﴿ **لَكُمْ** ﴾ باستكنان وغيره كبيوت الربط والخانات المسبلة ﴿ **والله يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ** ﴾ أى تظهرون ﴿**وَمَا تَكْتُمُونَ**﴾ أى تخفون فى دخول غير بيوتكم من قصد صلاح أو غيره .

(وقد) ورد فى سبب نزول هذه الآية أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما نزلت آية الاستئذان قال : يا رسول الله كيف بالبيوت التى بين مكة والشام على ظهر الطريق والخانات أفلا ندخلها إلا بإذن ؟ فنزلت الآية .

(ومعنى) غير مسكونة : أى غير معدة لسكنى طائفة مخصوصة كالربط

---

(١) أى : إلى ما هو خارج عن مكان النبى ﷺ ليعلمه الاستئذان . فيه الأمر بالمعروف واستدراك السنة وعدم التساهل فيها .

والخانات والحمامات والحوانيت ونحوها (ومعنى) كلمة : باستكنان ، أى طلب من يستتر فيه من الحر والبرد ... وغيره ... إلخ إلى أن يقول سبحانه وتعالى بعد ذلك فى سورة النور مواصلًا آداب الاستئذان .. وكان هذا بعد أن بعث رسوله ﷺ غلامًا من الأنصار يقال له: مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب ليدعوه ... فدعاه فوجده نائمًا وقد أغلق عليه الباب ... فدق الغلام عليه الباب ... فناداه ودخل ... فاستيقظ عمر .. فانكشف منه شىء . فقال عمر : وددت أن الله نهى أبناءنا ونسائنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا فى هذه الساعات إلا بإذن .. ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ فوجد هذه الآية قد نزلت فخر ساجدًا شكرًا لله تعالى .. والآية هى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[النور: ٥٨] أى من العبيد والإماء .. ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ﴾ أى من الأحرار وعرفوا النساء .. أى ميزوا بين العورة وغيرها.. ﴿ثَلاثَ مَرَّاتٍ﴾ أى : فى ثلاثة أوقات : ﴿ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ﴾ أى لأنه وقت القيام من النوم ولبس ثياب اليقظة ﴿ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾ أى من أجل الظهيرة وهى شدة الحر ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ﴾ لأنه وقت التجرد عن الثياب والنوم فى الفراش ﴿ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ﴾ أى : هى أوقات تبدو فيها العورات بسبب إلقاء الثياب ... ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ﴾ أى فى المماليك والصبيان ﴿ جُنَاحٌ﴾ أى فى الدخول عليكم بغير استئذان. ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ أى بعد هذه الأوقات الثلاثة .. لأنهم ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُم﴾ أى للخدمة ... وأنتم تطوفون عليهم للاستخدام .. ﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أى فلو كلفتم الاستئذان فى هذه الأوقات وغيرها لضاق الأمر عليكم﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ ﴾ أى الأحكام ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أى عليم بأمور خلقه ؛ حكيم بما دبره لهم ..

(ثم) بعد ذلك يقول سبحانه : ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ﴾[النور: ٥٩] أى أيها الأحرار ﴿الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا ﴾ أى فى جميع الأوقات ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أى الأحرار الكبار ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أى أحكامه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أى بأمور الخلائق .

ثم يقول سبحانه ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النور: ٦٠] أى اللاتى قعدن عن الحيض والولد لكبرهن ﴿اللاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ أى لا يطمعن فيه لموت شهوتهن عن الرجال ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾ أى من الجلباب والرداء والقناع [1] فوق الخمار ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ﴾ أى مظهرات ﴿بِزِينَةٍ ﴾ أى متزينات [2] .. فحيث وجد الشرط جاز لهن كشف الوجه واليدين بين الأجانب لعدم الفتنة ..وهو المفتى به عند مالك وأحد قولين عند الشافعى ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾ أى بأن لا يضعنها ... ويُدِمنَ الستر للوجه والكفين بين الأجانب ﴿خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ أى لما فيه من سد الذرائع .. فالأفضل لهن الستر للوجه والكفين واليدين .. لأن كل ساقطة لها لاقطة .. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ أى لقولكم ﴿عَلِيمٌ﴾ أى بما فى قلوبكم ...

(ثم) بعد ذلك نزلت آية [3] اختلف العلماء فى سبب نزولها .. فقال ابن عباس : لما نزل قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ٢٩] تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى [4] والعُمى والعُرج وقالوا: الطعام أفضل الأموال .. وقد نهانا الله تعالى عن أكل المال بالباطل والأعمى لا يبصر موضع الطعام ، والأعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام ، والمريض يضعف عن التناول ولا يستوفى فى حقه من الطعام ... والآية ، وهى :

﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١] أى: فى مؤاكلة مقابليهم .. أى السالمين من هذه الثلاثة ﴿وَلا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ أى بيوت أولادكم ﴿ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

---

(١) القناع : أى الذى يلبس وفوق الخمار لستر الوجه والعنق.

(٢) بنحو قلادة وسوار وخلخال . والمراد بها الزينة الخفية .

(٣) رقم ٦١ من سورة النور .

(٤) أى المصابين بالأمراض المزمنة ..

﴿أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ أى خزنتموه ولغيركم .. بأن تكونوا وكلاء عليه لقول ابن عباس عنى بذلك وكيل الرجل، وقيمه فى ضيعته وماشيته فلا بأس عليه أن يأكل من ثمرته وثمرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدّخر . ا. هـ.

﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ فى مودته (والمعنى) أنه يجوز الأكل من بيوت مَن ذُكر وإن لم يحضروا .. أى : إذا علم رضاهم به ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا ﴾ أى مجمعين﴿ أَوْ أَشْتَاتًا﴾ أى : متفرقين ...

وقد نزل فى حكم من تَحرج أن يأكل وحده .. وإذا لم يجد من يؤكله يترك الأكل .. وقيل نزلت فى قوم تَحرَّجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الآكلين فى كثرة الأكل وقلته ..

﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا ﴾ أى لكم لا أهل بها ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أى : قولوا : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فإن الملائكة ترد عليكم .. وإن كان بها أهل فسلموا عليهم ﴿تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ أى ثياب عليها﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾ أى يفصل لكم معالم دينكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أى : لكى تفهموا ذلك .. أى معالم دينكم فهذا أمر إرشاد وأدب للعباد.

(وهكذا يعلمنا الله تبارك وتعالى فى سورة النور من الآية ٢٧ – ٢٩.. ثم من الآية : ٥٨ – ٦١ ... يعلمنا الله تعالى آداب الاستئذان ... كما علمنا الحبيب المصطفى صلوات الله سلامه عليه من خلال أصحابه الفضلاء آداب الاستئذان .. التى ينبغى علينا كذلك نحن المؤمنين بصفة خاصة أن نتعلمها مثلهم حتى نكون من المؤدبين بآداب الإسلام عندما نريد دخول بيوت غيرنا.. أو بيوتنا ... كما قرأنا قبل ذلك فى الآيات[1] السابقة بالإضافة إلى الأحاديث النبوية الصحيحة ...

---

(١) التى نقلت إليك شرحها من تفسير الجلالين وحاشية الصاوى .. عليه بتصرف كبير .

(مع) ضرورة أن نعلم كل هذا لكل فرد من أفراد أسرة كل واحد منا ..
حتى ينفذه تنفيذًا صحيحًا .. يُثاب عليه من الله رب العالمين ...

والله ولى التوفيق



(٣١) خطبة أو درس

حول : أهم نتائج الاستغفار من خلال حديث سيدنا نوح عن قومه..

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك لـه القائـل: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾[هود: ٣].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل : ((**يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة**)) رواه مسلم. عن الأغر بن يسار المزنى ﷺ اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله أصحابه الغر الميامين التائبين المستغفرين.. الذين عرفوا الله تعالى فعرفهم.. ونصروا الله تعالى فنصرهم.. فكانوا هداة مهديين.. وقادة منتصرين، وكانوا رجالًا كما تحدث سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[النور:٣٧ ، ٣٨] .

(أما بعد)؛؛

فيا جماعة المسلمين ، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه.. (فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تعالى وتوفيقه (رأيت) أن يكون لقائى معكم حول أهم نتائج الاستغفار فى القرآن الكريم والسنة.. (وذلك) من خلال قول الله تعالى عن سيدنا نوح عليه السلام عن قومه : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح:١٠ -١٢] .

(وقبل) أن أبدأ فى شرح المراد من تلك الآيات البينات.. (أريد) أولًا أن

أشير إلى ملاحظة هامة، وهى أن الاستغفار معناه طلب المغفرة من الله تبارك وتعالى.. . (وأن) الاستغفار هو الأمر الوحيد الذى أمرنا الله تعالى فى قرآنه بأن نسارع فى طلبه، فقال تعالى فى سورة آل عمران: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣] وقال تعالى فى سورة الحديد:﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْض أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١] .

(وأن) الاستغفار هو الأمان المشار إليه فى قول القائل: كان فى الأرض أمانات من عذاب الله تعالى.. . رفع أحدهما وبقى الآخر.. . (أما) الذى رفع فهو رسول الله ﷺ .. (وأما) الذى بقى فهو الاستغفار.. ثم استدل على هذا بقول الله تعالى فى سورة الأنفال: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣] .

(ولهذا) كان من الخير للأخ المسلم والأخت المسلمة أن يسارعا بالاستغفار والتوبة إلى الله تبارك وتعالى .. . بل والإكثار من كل هذا فى كل يوم كما كان يفعل رسول الله ﷺ الذى ورد عنه أنه قال: ((**والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة**)) رواه البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه .

(وإذا) كان النبى ﷺ قد قال هذا .. وهو كما نؤمن قد غَفَرَ الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .. فإنه بهذا التواضع الكبير يرغبنا فى الإكثار من الاستغفار والتوبة إلى الله تبارك وتعالى .. . (ولا سيما، إذا كان الاستغفار هذا بصيغة سيد الاستغفار:

(فعن) شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ((**سيد الاستغفار** [1] **أن يقول العبد : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك على، وأبوء بذنبى،**

(١) أى الجامع لمعانى التوبة.

فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)).

(ثم) بعد ذلك يقول الرسول ﷺ : **((من قالها فى النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة))** رواه البخارى .

(ومعنى) أبوء، بباء مضمومة، ثم واو وهمزة: أى أقر وأعترف.

(وعن) ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا نَعُدُّ لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة: (رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم) رواه أبو داود ، والترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

(وقد) رغب النبى ﷺ فى الاستغفار .. . (فعن) ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **((من لزم الاستغفار: جعل الله له من كلِّ ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب))** رواه أبو داود.

(وعن) ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **((من قال: أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه : غُفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف))** رواه أبو داود والترمذى والحاكم وقال: حديث صحيح على شرط البخارى ومسلم.

(وقد) حذرنا النبى ﷺ من ترك الاستغفار (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : **((والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم وجاء بقوم يذنبون ويستغفرون الله تعالى فيغفر لهم))** رواه مسلم

(وأما) عن التوبة ، فإن معناها أن نعود إلى الله تعالى عودة حقيقية مقترنة بما يؤكدها من الأعمال الصالحة.. . كما يشير إلى هذا رب العزة سبحانه وتعالى فى قوله: ﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾[الفرقان:٧١] .

(وعلى) هذا فإننا لا بد وأن ننفذ المراد من قوله تبارك وتعالى :﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾[هود:٥٢] .. . (ولكن) على أساس من الصدق فى الاستغفار والتوبة .. (وإلا) فإن استغفارنا يحتاج إلى استغفار، وتوبتنا تحتاج إلى توبة.. .

** (وإن الله تعالى غفور رحيم .. . أحن على عبده من الوالدة على

ولدها.. (فقد) ورد: (عن) أبى موسى، عبد الله بن قيس الأشعرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: ((**إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مُسىء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**)). رواه مسلم.

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه**)) رواه مسلم.

(وعن) أبى عبد الرحمن، عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: ((إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)). رواه الترمذى وقال: حديث حسن.

(والآن) وبعد هذا التمهيد الهام الذى كان لا بد منه .. (إليكم) أهم نتائج الاستغفار كما جاء على لسان سيدنا نوح .. حيث يقول مخاطبًا ربه عز وجل: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائى إلا فِرَارًا * وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّى أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ ثم بعد ذلك يقول سيدنا نوح عليه السلام: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا** ﴾[1].

(وإذا) كان شاهدنا فى هذه الآيات.. هو قول سيدنا نوح: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ..** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**﴾.

(فإننى) أرى أن أبدأ الآن فى شرح المراد من تلك الآيات الثلاث التى تتحدث عن نتائج الاستغفار أو عن أهم نتائج الاستغفار وهى أولًا:

﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا**﴾، وهذا المعنى لا بد وأن يكون أساسًا فى

---

(١) سورة نوح: ٥- ١٢.

التبشير الذى لا بد منه.. حتى لا يكون هناك ما يسمى بالتنفير.. . (فقد) ورد فى حديث رواه البخارى ((**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحدًا إلا غلبه ...**)).

(وعن) أبى حمزة أنس بن مالك الأنصارى خادم رسول الله ﷺ .. . رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((**للهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة**[1])) متفق عليه.

(وفى)رواية لمسلم: ((**لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها وقد أيس من راحلته .. . فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها**[2] **ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح**[3])).

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ ، أى يرسل المطر المشار إليه فى هذا النص القرآنى يعتبر من أجل النعم .. . وإذا كنا لا نشعر بنعمته هنا فى الحضر.. إلا أنهم ينتظرونه هناك فى الصحارى. على أحر من الجمر.. . ويوم أن ينزل المطر عليهم فإنهم يكونون فى عيد .. . لأنه مصدر أرزاقهم وأرزاق أنعامهم .. التى تعيش على العشب الذى لا ينبت إلا بسبب مياه الأمطار ..

(ولهذا) كان إذا حدث جدب .. صلى بهم رسول الله ﷺ صلاة الاستسقاء- (وهى) أن يصلى الإمام بالمأمومين ركعتين- من غير أذان ولا إقامة- فى وقت غير وقت الكراهة: يجهر فى الأولى بالفاتحة.. . و ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، والثانية بالغاشية بعد الفاتحة، ثم يخطب خطبة بعد الصلاة أو قبلها، فإذا انتهى من الخطبة حول المصلون جميعًا أرديتهم بأن يجعلوا ما على أيمانهم على شمائلهم ويجعلوا ما على شمائلهم على أيمانهم ويستقبلوا القبلة،

---

(١) وهى الأرض الواسعة التى لا زرع فيها ولا ماء.

(٢) أى زمامها أى قبض على حبل ليف ليحفظها.

(٣) أى تجاوز الأعرابى الصواب من شدة الفرح .. والله تعالى قبل خطأه .

ويدعو الله عز وجل رافعي أيديهم مبالغين في ذلك.

(فعن) ابن عباس رضي الله عنهما قال: (خرج النبي ﷺ متواضعًا، متبذلًا [1]، خاشعًا، مترسلًا [2] متضرعًا، فصلى ركعتين كما يصلى في العيد لم: يخطب خطبتكم هذه . رواه الخمسة وصححه الترمذي وأبو عوانه وابن حبان.

(وعن) عائشة قالت : شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر [3] فأمر بمنبر فوضع له بالمصلى ووعد الناس يومًا: يخرجون فيه، فخرج حين بدا حاجب [4] الشمس، فقعد على المنبر فكبر وحمد الله ثم قال: ((**إنكم شكوتم جدب دياركم وقد أمركم الله أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم**)) ثم قال: ((**الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، لا إله إلا الله يفعل ما يريد: اللهم لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت علينا قوة وبلاغًا إلى حين**)) ثم رفع يديه فلم يزل يدعو حتى رئُى بياض إبطيه ثم حول إلى الناس ظهره وقلب رداءه وهو رافع يديه ، ثم أقبل على الناس ونزل فصلى ركعتين، فأنشأ الله تعالى سحابة فرعدت وبرقت ثم أمطرت بإذن الله تعالى، فلم يأت مسجده حتى سالت السيول، فلما رأى سرعتهم إلى الكنِّ [5] ضحك حتى بدت نواجذه، فقال: ((**أشهد أن الله على كل شيء قدير وأني عبد الله ورسوله**)) رواه الحاكم وصححه وأبو داود وقال: هذا حديث غريب وإسناده جيد [6] ا. هـ.

﴿ **وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ** ﴾ أي سبحانه وتعالى ببركة الاستغفار.. . سيمددكم بالأموال وبالبنين.. . الذين ينبغي أن يكونا معًا.. . لأن الله تعالى يقول: ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** .. ﴾ [الكهف: ٤٦] ، ولأن المال هو عصب الحياة.

---

(١) **متبذلا**: أي لابسًا ثياب العمل .

(٢) **مترسلا**: أي متتاليًا.

(٣) أي احتباسه.

(٤) أي ضوءها.

(٥) **الكن**: أي البيت.

(٦) ارجع إلى فقه السنة ج٢ باب الاستسقاء.. . بتصرف.

(وقد) سئل أحد الحكماء : لماذا تجمع المال وأنت حكيم؟ فقال: (لأؤدى به الفرض، وأصون به العرض، وأستغنى به عن القرض)، وهذا كلام واضح ولا بد أن نتفق عليه .. لأنه لن يستطيع أحدنا - وبالإضافة إلى هذا- أن يكون صاحب كلمة أو من الذين يشار إليهم بالبنان.. إلا إذا كان مستغنيًا عن سؤال الناس بهذا المال الحلال الذى مَنَّ الله عليه به.. (بل) ولن يثبت الأصدقاء بجواره إلا بدوام المال معه.. كما يقول الإمام على كرم الله وجهه:

إن قلَّ مالى فلا خلٌّ يصاحبنى   أو زاد مالى فكلُّ الناس خلاَّنِى

فكم عدوٍّ لبذل المال صاحبنى   وصاحبٍ عند فقد المال خلاَّنِى

(كما) يقول أيضًا أحدهم:

رأيت الناس قد مالوا   إلى من عنده مال

ومن لا عنده مال   فعنه الناس قد مالوا

***

رأيت الناس قد ذهبوا   إلى من عنده ذهبُ

ومن لا عنده ذهب   فعنه الناس قد ذهبوا

***

رأيت الناس منفضة   إلى من عنده فضة

ومن لا عنده فضة   فعنه الناس منفضة

(ولكن) المال هذا لن يأتى وحده.. . وإنما لا بد من الحركة التى تستطيع بها أو عن طريقها أن نحصل عليه.. . (وذلك) لن يكون إلا بطلب الرزق فى مناكب الأرض كما أمرنا الله تعالى بهذا فى قوله: ﴿ **فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥].

(وحسب) الأخ المسلم أن يعلم أن الله تعالى قدم فى آية كريمة- فى ختام سورة المزمل- السعى على الرزق على الجهاد فى سبيل الله تعالى، فقال:

﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ﴾ [المزمل: ٢٠]، وهذا شرف عظيم للعاملين ...

(وأما) عن البنين- ذكورهم وإناثهم - فإنهم قناديل بيوتنا.. وهم أيضًا فلذات أكبادنا.. . كما يشير الشاعر إلى هذا فى قوله:

إنما أطفالنا بيننا ... أكبادنا تمشى على الأرض

لو هبت الريح على بعضهم ... لامتنعت عينى عن الغمض

(وهذا) معناه أننا نحب الأبناء . الذين نسأل الله تعالى أن يرزقنا بهم كما رزقنا بالأموال حتى تكمل سعادتنا .. (وقد) يسأل أحدنا.. وماذا أفعل إذا كان الكثيرون من الأطباء المتخصصين قد أخبرونى أو أخبروا زوجتى .. . بأنه ليس هناك أمل فى الإنجاب بالنسبة لكلينا أو لأحدنا ؟ .. فأقول له أو لهما معًا: إن الله تبارك وتعالى الذى خلقكما قد ذكر فى الآية الكريمة - التى ندور حولها- إن علاجكما فى المداومة على الاستغفار .. (وقد) حدث هذا ورب الكعبة ... كما سمعت هذا من أخوين مسلمين كانا قد استمعا إلى هذا منى فى خطبة جمعة [1] فداوما على الاستغفار وهما يؤمنان بصدق الله تعالى فى كلامه.. . فرزق الله تعالى كل واحد منهما بولد .. . بعد أكثر من عشر سنوات.. . وبعد أن ذهبا إلى أكثر الأطباء المتخصصين.. . والله تعالى على كل شىء قدير.

﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ أى: ويجعل لكم جنات أى حدائق مليئة بالثمار ، ويجعل لكم أنهارًا تسقى هذه البساتين .. فاستغفروا[2] ربكم إنه كان غفارًا. يرسل السماء عليكم مدرارًا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارًا.

والله ولى التوفيق

---

(١) بمسجد الفتح بالمعادى، ومسجد الساحة بعابدين.

(٢) والآية بلفظ (استغفروا ربكم.. .).

(٣٢) خطبة أو درس

حول أسباب السعادة فى الدنيا والآخرة من خلال وصية لقمانية.. ..

الحمد لله القائل : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى ورد عنه أنه كان يقول : ((**الحكمة ضالة المؤمن..**)) .

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغرِّ الميامين .. الذين كانوا يحبون الحكمة ويحرصون على طلبها.. فكانوا لذلك أو بذلك من أولِى الألباب .. وكانوا هُداة مهديين.. وقادة منتصرين.. . وكانوا رجالًا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله:﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ *لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧، ٣٨] .

(أما بعد)؛؛

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه .. (فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تعالى وتوفيقه.. (رأيت) أن يكون لقائى معكم حول أهم أسباب السعادة فى الدنيا والآخرة.. (وذلك) من خلال وصية جامعة من وصايا لقمان الحكيم-عليه السلام-ويقول فيها لولده: (يا بنى: إنى موصيك ثمانية أمور .. إن عملت بها.. كنت سعيدًا فى الدنيا والآخرة:

- احفظ قلبك فى الصلاة .
- واحفظ نظرك فى بيوت الناس .
- واحفظ لسانك فى مجالس الناس .
- واحفظ بطنك من حلقومك .

- واذكر اثنين ، وانس اثنين:

(اذكر الله ، والموت .. وانس إحسانك إلى الناس، وإساءتهم).

(وإذا) كان لى أن أبدأ الآن فى التعليق على كل عنصر من تلك العناصر الثمانية.

(فإننى) أحب أن أذكر الأخ المسلم بملاحظة هامة.. (وهى) أن هذه الوصية تعتبر من الوصايا النادرة التى ينبغى على كل مسلم -ذكر أو أنثى- أن يحفظها، وينفذها ، ويعمل على نشرها .. (بل) وينبغى عليه أن يُحفظها لكل أفراد أسرته .. وأن يكون قدوة لهم فى تنفيذ المراد منها .. . (لأنها) جمعت كل ما احتاج إليه من خير .. ونهتنا عن كل ما نخاف منه من شر .

(وحسب) الأخ المسلم مع كل أفراد أسرته.. أن يجعلوا منها منهجًا قويمًا يسيرون على هداه طوال حياتهم.

(هذا) ، وإذا كان لى أن أبدأ الآن فى التعليق على كل عنصر من تلك العناصر الثمانية الهامة -وبإيجاز مفيد- إن شاء الله ، فإن المراد من قوله:

(احفظ قلبك فى الصلاة): أى احرص كل الحرص على أن يكون القلب حاضرًا وأنت فى الصلاة .. أى لا بد وأن تكون فى الصلاة بقلبك لا بقالبك حتى تكون من الخاشعين الذين ذكرهم الله تعالى فى أول صفة من صفات المؤمنين، فقال: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾ [المؤمنون:١، ٢].

(وقد) أفتى الإمام الغزالى عليه رضوان الله ببطلان الصلاة إذا لم يكن فيها خشوع.. . لأن الخشوع عنده.. ركن من أركان الصلاة.. (ولهذا) فإن الشيطان يحرص كل الحرص على إخراجك من الصلاة ولو بقلبك حتى يفسد عليك صلاتك .. (كما) فعل مع أحد الصالحين.. (وكان) قد وضع الجوالق [1] عند فلان من الناس.. وبعد زمن يسير .. أخذ يفكر مع عبده- المملوك- أين هى.. ولكنهما كانا قد نسيا أين هى.. (فحدث) بعد ذلك وبعد

---

(١) الجُوالق: وعاء بضم الجيم.. . والجمع الجَوالق بفتح الجيم-مختار الصحيح ص ١٠٦.

تفكير طويل أن دخل الرجل الصالح فى الصلاة.. فجاءه الشيطان وهو فى صلاته ووسوس له بأن الجوالق التى يبحث عنها .. عند فلان من الناس.. فأخذ يفكر طوال الصلاة فى هذا الموضوع إلى أن انتهى من الصلاة.. (وبعد) ذلك نادى عبده-الذى كان يفكر معه قبل هذا – وقال له اذهب إلى فلان وأحضر الجوالق من عنده .. فتعجب العبد هذا .. ثم قال : يا سيدى متى تذكرت هذا؟ قال: وأنا فى الصلاة .. . فتعجب العبد –وقد كان من الصالحين – ثم قال له : يا سيدى إذن أنت كنت مع الجوالق .. . لا مع الخالق.

(ففهم) السيد هذا.. أن الشيطان قد أفسد عليه صلاته.. . فقام وأعادها.. ثم أعتق العبد بعد هذا مكافأة له.

(وهكذا) نستطيع أن نلاحظ هذا فى أغلب صلاتنا.

(ولهذا) فإن أكثرنا يخرج من الصلاة وكأنه لم يكن فيها.. . (بدليل) أنك ستراه بعد خروجه من المسجد يجلس فى مكان لهو أو لعب .. . أو يغتاب أحدًا من الناس .. أو يسرق من الميزان.. أو يطفف فى الكيل.. (مع) أن الله تعالى يقول :﴿ **إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** ﴾ [العنكبوت: ٤٥] .. (فبماذا) نجيب إذا سُئلنا عن هذا .. . ؟ (إننا) نقول لسائلينا: صدق الله وكذبت صلاته.. أو صلاتهم.. . قياسًا على موضوع العسل الذى ورد فى نص حديث صحيح جاء فيه أن رجلًا ذهب إلى رسول الله ﷺ وأخبره بأن أخاه عنده استطلاق فى بطنه .. فقال له النبى ﷺ : ((**اسقه عسلًا**)) ، فذهب الأخ إلى أخيه وأخبره بما قاله النبى ﷺ .. فشرب العسل-أى النحل- ولكن بدون اقتناع.. ولهذا لم يذهب الألم – ثلاث مرات – والنبى ﷺ يقول له: ((**اسقه عسلًا**))، وفى آخر مرة قال له: ((**صدق الله وكذب**[1] **بطن أخيك**)) .

(وقد) جاء فى تفسير القرطبى ج ١٣ ص ٣٤٨ (عن) رسول الله ﷺ قال: ((**من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم تزده من الله إلا بُعدًا، ولم يزدد بها من الله إلا مقتًا**)).

---

(١) ولم يقل: (وكذبت) لأن غير العاقل يُذكر ويؤنث.. تقول: طلع الشمس وطلعت الشمس.

(واحفظ نظرك فى بيوت الناس): أى لا تكن من هؤلاء الذين إذا دخلوا بيوت الناس كانوا من المتلصصين الذين لا خلاق لهم.. لأنهم لا يُراعون حُرمة البيوت.. التى تتطلب أن تغض من بصرك حتى لا تجرح عورات البيوت.. (واعلم) أنه ليس من الأدب أن تدخل بيوت الناس إلا مع صاحبه وفى حضوره.. وبعد أن يؤذن لك.. (وأن لا تجلس) إلا بعد أن يُجلسك صاحب البيت فى المكان الذى يختاره هو لا أنت .. بحيث يكون باب الحجرة التى ستجلس فيها خلف ظهرك.. (واحذر) يا صاحب البيت.. أن لا تدخل بيتك غير التقى .. كما أوصاك النبى ﷺ فى قوله: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقى**»[1] .. وذلك لأن الطعام غالبًا لا يؤكل إلا فى البيت.

(أما) غير التقى والعياذ بالله منه .. فإنه شيطان مريد يُخشى على أهل البيت منه .. (وقد) يحدث أن يدخل صاحب البيت بيته .. ومعه شيطان من هذا النوع الخبيث.. ثم يطلب من زوجته التى قد تكون شبه عارية.. . أن تأتى لكى تصافحه .. (وقد) يخرج المُغفل هذا من البيت لكى يعود ببعض المثلجات أو ما شابه هذا.. تاركًا زوجته مع هذا الشيطان الذى قد يتفق مع هذه الزوجة على فعل ما يغضب الله.. لأنها هى أيضًا ليست تقية وليست من السيدات المحافظات.. (فعلى) الأخ المسلم أن يلاحظ هذا حتى يكون غيورًا على أهل بيته كرسول الله ﷺ : (فعن) أم سلمة رضي الله عنها قالت: كنت عند رسول الله ﷺ، وعنده ميمونة ، فأقبل ابن أم مكتوم، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب، فقال النبى ﷺ : «**احتجبا منه**» فقلنا: يا رسول أليس هو أعمى لا يُبصرنا؟ فقال النبى ﷺ : «**أفعمياوان أنتما ألستما تُبصرانه!**» . رواه أبو داود والترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

(واحفظ لسانك فى مجالس الناس)، أى : إذا جلست فى مجالس الناس .. لا تكن من الثرثارين .. الذين يتكلمون كثيرًا بدون داعٍ .. وقد يكون كلامهم

---

(١) رواه أبو داود والترمذى بإسناد لا بأس به.

هذا فى أكل عرض الناس .. أو فى أى كلام رخيص.. . (ينبغى) عليك أن تنزه نفسك عنه.. (وقد) ورد فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت ..**)).

(وقد) قرأت كذلك فى الأربعين النووية (ص ٤٣) أن النبى ﷺ قال: ((**من فقه الرجل قلة كلامه إلا فيما يعنيه**)) ، وقال: ((**العافية فى عشرة أجزاء ؛ تسعة منها فى الصمت إلا عن ذكر الله عز وجل**)) .

(ويقال) : من سكت فسلم كمن قال فغنم.

(وقيل) لبعضهم: لم لزمت السكوت؟ قال: لأنى لم أندم على السكوت قط وقد ندمت على الكلام مرارًا.

(ومما قيل) : جرح اللسان كجرح اليد- (وقيل) : اللسان كلب عقور إن خلىَّ عنه عقر – (وروى) عن على ﷺ أنه قال:

يموت الفتى من عثرةٍ من لسانه ... وليس يموت المرء من عثرة الرِّجْل

فعثرته من فيه[1] ترمى برأسه ... وعثرته بالرجل تبرى على المهل[2]

ولله در من قال:

قد أفلح الساكت الصموت ... كلامه يعد قوتُ

ما كل نُطقٍ له جوابُ ... جواب ما يكره السكوت

واعجبًا لامرئ ظلومٍ ... مستيقن أنه يموتُ

(ومن) أجمل ما قرأت حول هذا أن رجلًا من أصحاب الرسول ﷺ قال لصاحب له: ألا أعلمك طِبًّا يتعايا فيه الأطباء ، وعلمًا يتعايا فيه العلماء، وحكمة تتعايا فيها الحكماء.. ؟ قال: بلى. قال: أما الطب الذى يتعايا فيه الأطباء : فاجلس على المائدة وأنت جائع، وقم عنها وأنت تشتهيه[3].

(١) أى من فمه.
(٢) أى يتم علاج الرجل بدون مشاكل .. أما عثرة الفم .. فإنه قد تكون فى الإطاحة برأسه.
(٣) وهذا المعنى هو ما أشار إليه الرسول ﷺ فى قوله المأثور عنه:« **نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع**».

وأما العلم الذى يتعايا فيه العلماء: فإذا سُئلت عما لا تعلم فقل: الله أعلم؟

وأما الحكمة التى تتعايا فيها الحكماء: فإذا جلست فى نادى قوم فاسكت، فإن أفاضوا فى الخير فافض معهم وإن أفاضوا فى الشر فقم عنهم.

(ولا بد) وأن تنفذ العنصر الأخير – فى هذا القول الأخير – بالذات حتى لا تكون شريكًا للمغتابين فى الإثم .. (فقد) ورد عن على كرم الله وجهه أنه قال: (الراضى بفعل قوم كالداخل فيه معهم، وعلى كل داخل فيه إثمان : إثم العمل به، وإثم الرضى به).

(وقد) ورد كذلك فى الحديث : ((**المغتاب والمستمع شريكان فى الإثم**)).

(ولا تنس) بعد قيامك من المجلس كفارة المجلس، وهى ((**سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك**)).

(واحفظ بطنك من حلقومك)، أى : احذر أن يصل الحرام إلى بطنك عن طريق حلقومك. لأنه قد ورد فى الحديث : ((**كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به**)). (والمطلوب) من الأخ المسلم أن يحذر الحرام دائمًا وأبدًا.. لأن الله تعالى أحل الحلال، وحرم الحرام.. (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((**إن الله تعالى طيبٌ**[1] **لا يقبل إلا طيبًا** [2]، **وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾** [المؤمنون:٥١] **وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾** [البقرة: ١٧٢]، **ثم ذكر الرجل أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرامٌ، ومشربه حرامٌ، وملبسه حرامٌ، وغذى بالحرام، فأنى يستجاب له**)) رواه مسلم. (وهذا) الحديث الصحيح يشير إلى أهم شرط يجب على الأخ المسلم أن ينفذه إذا أراد أن يقبل الله تعالى منه دعاءه..(ألا) وهو أن يأكل حلالًا، ويشرب حلالًا، ويلبس حلالًا، ويغذى جسده بالحلال .. (وقد) قرأت أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يقول: (كنا نترك سبعين بابًا من الحلال، مخافة أن

---

(١) أى منزه عن النقائص ولا يوصف إلا بصفات الكمال.

(٢) أى لا يقبل إلا ما كان خاليًا من الحرام .. بل من الشبهات.

نقع فى باب واحد من الحرام).

(وهذا) من باب الورع الذى لا بد وأن نكون من أهله حتى لا نكون من أهل النار .. (ولا بد) كذلك وأن يكون مصدر أرزاقنا وأرزاق من نعولهم من الحلال..

(وقد) قرأت كذلك أن الأسرة المسلمة فى العصر الأول كانت إذا خرج عائلها لكى يسعى على رزقه وأرزاقهم.. كانت تقف له أمام الباب.. لكى تقول له: اتق الله فينا ولا تعد إلينا إلا بالرزق الحلال .. فإنا نصبر على الجوع والعطش ولا نصبر على عذاب الله – (فيالها) من كلمة أرجو أن يفهم المراد منها جميع الأباء وولاة الأمور .

(واذكر اثنين، وأنس اثنين) :

(اذكر الله) : أى اذكره سبحانه وتعالى ذكرًا صحيحًا .. بعيدًا عن التحريف والتخريف.. . وليكن ذكرك له .. بأفضل الأذكار ، وهو قراءة القرآن الكريم.. . (فقد) ورد فى الحديث : **((من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشرة أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف))**. رواه الترمذى ، وقال حديث حسن صحيح غريب.

(ولتكن) دائم الاستغفار .. . وهو طلب المغفرة من الله تبارك وتعالى : (فعن) أبى سعيد الخدرى ﷺ عن النبى ﷺ قال: ((**قال: إبليس: وعزتك لا أبرح أغوى عبادك ما دامت أرواحهم فى أجسادهم . (فقال) : وعزتى وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى**)) رواه أحمد والحاكم، من طريق دراج، وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

(واعلم) أن كل ما يوصلك إلى الله فهو ذكر، فقراءة القرآن ذكر ، والصلاة على النبى ﷺ ذكر، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ذكر.

(واذكر الموت) بمعنى أن تذكر أنك ستموت .. وأنك بعد أجل معلوم يعلمه الله تعالى وحده.. . ستفارق هذه الدنيا الفانية.. . إلى الآخرة الباقية.. وأنك بعد رحيلك من هذه الدار الفانية ستكون هناك– وابتداءً من اللحظة الأولى التى ستكون فيها داخل قبرك– ستكون فى أشد الحاجة إلى ثمرات

الأعمال الصالحة التى لا بد وأن تكون قد تقربت بها إلى الله تبارك وتعالى فى الحياة الدنيا .. . (وإلا) فإنك فى يوم القيامة.. أى أنك فى موقف الحساب ستكون فى أشد الحاجة إلى تلك الحسنات التى ستكون ثقلًا فى ميزان حسناتك.. قال تعالى:﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ أى بالحسنات﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أى فهو فى أطيب عيش﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ أى : من الحسنات ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ أى أنه سيهوى بأم رأسه فى النار كما يقفز السَّباح فى الماء .. . وقيل:إن النار التى هى الهاوية ستحتضنه كما تحتضن الأم ولدها... ولهذا فقد قال الله تعالى بعد هذا: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ [1] .

(فلنحرص) على اغتنام كل لحظات حياتنا قبل الموت الذى سيأتى بغتة.. والذى لا مفر منه .

(وانس إحسانك إلى الناس)، وذلك حتى لا يضيع ثوابك على هذا الإحسان [2] .. ففى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى.. ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

والمن: أى أن يعتد على من أحسن إليه بإحسانه، ويرى أنه أوجب عليه حقًّا (والأذى) أى: أن يتطاول عليه بسبب ما أسْدى إليه من معروف. وقال تعالى : ﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذى.. ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

- (وانس إساءة الناس إليك)، وأنت تعتقد أن حقك لن يضيع عند الله تعالى .. لأن الله تعالى يُسامح فى حقه ولا يسامح فى حقوق العباد.. (بل) وأنت تنفذ المراد من قول الله تعالى:﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ : أى لا عن ضعف ولا عن ذلة..﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. وأسأل الله تعالى أن ينفعنا بما استمعنا إليه، وأن يجعله حجة لنا.. لا علينا.

اللهم آمين

(١) سورة القارعة: ٦-١١ .

(٢) بالإضافة إلى غيره من الصدقات.. . إلخ .

(٣٣) خطبة أو درس

حول ما كان بين سيدنا موسى وسيدنا الخضر عليهما السلام .. كدرس قرآنى

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا﴾ [الإسراء: من الآية٨٥].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: ((**العلم علمان: علم فى القلب فذلك العلم النافع، وعلم على اللسان فذاك حجة الله على ابن آدم**)) رواه الخطيب فى تاريخه بإسناد حسن، وابن عبد البر فى كتاب العلم مرسلًا بإسناد صحيح.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغُر الميامين الذين تفقهوا فى الدين، وتواضعوا فى طلب العلم النافع، وكانوا من الناشرين له .. فكانوا هداة مهديين ، وقادة منتصرين، وكانوا رجالًا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧، ٣٨].

(أما بعد)؛؛

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه (فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك تعالى وتوفيقه .. (رأيت) أن يكون لقائى معكم حول.. درس من دروس القرآن الكريم .. سنتعلم منه.. أننا لا بد وأن نفوض العلم إلى الله تبارك وتعالى فى جميع الأمور التى غاب عنا أمرها .. وسنتعلم منها كذلك أن طلب العلم النافع يتطلب صبرًا.. وتواضعًا .. وتبجيلًا لمن نتعلم منه .. (وهذا) الدرس هو ما كان بين سيدنا موسى وسيدنا

الخضر عليهما السلام.. (وخلاصة) ما ينبغى علينا أن نقف عليه من أخبار وأسرار .. (هو) أن سيدنا موسى عليه السلام بعد أن نجاه الله تعالى مع قومه من فرعون وجنوده.. كان الله تعالى قد أمره .. بأن يقف خطيبًا أمام بنى إسرائيل.. لكى يذكرهم بأيام الله .. (وفعلًا) وقف سيدنا موسى خطيبًا .. فكان بليغًا جدًّا فى خطبته [1] تلك.. لدرجة أنه أسال الدموع.. ولدرجة أن رجلًا من بنى إسرائيل تعلق بثيابه وقال له: أى نبى الله .. هل هناك من هو أعلم منك؟ فقال له سيدنا موسى : لا .

- وهو عندما يقول: لا، فإنه يفهمها جيدًا.. لأنه نبى الله وكليمه ورسوله ولكن الله تبارك وتعالى أراد أن يلقنه ويلقننا من خلاله درسًا نافعًا لنا فى جميع مراحل حياتنا.. فأرسل سيدنا جبريل لكى يقول له على لسان الله تبارك وتعالى : وما يدريك أين أضع علمى.. (هناك) عبد صالح عند مجمع البحرين وهو ملتقى بحر الروم وبحر فارس مما يلى المشرق أى المكان الجامع لذلك- هو أعلم منك.. فاشتاقت نفس سيدنا موسى للقاء هذا العبد الصالح.. ولكنه لا يعرف الطريق إليه.. فطلب من الله تبارك وتعالى أن ييسر له الوصول إليه.. فأمره الله تعالى بأن يأخذ معه حوتًا فى مكتل [2].. وأخبره بأنه سيجد العبد الصالح فى المكان الذى سيفقد الحوت فيه .. (وفعلًا) أحضر سيدنا موسى الحوت الذى كان مملحًا أو مشويًا كما يقولون .. (ثم) وضعه فى هذا المكتل .. ثم قال لفتاه- وهو يوشع بن نون بن إفرايثم بن يوسف عليه السلام [3] - ﴿**لا أَبْرَحُ**﴾ أى لا أزال أسير ﴿ **حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا** [4] ﴾ أى دهرًا طويلًا فى بلوغه وإن بعد .. (ثم) بعد ذلك كلفه بمهمة ..

---

(١) وكانت تلك الخطبة بعد هلاك القبط ورجوع موسى إلى مصر .

(٢) وهو وسيلة مصنوعة من الخوص.

(٣) وقد قيل : إن الله تعالى أرسله بعد موسى فقاتل الجبارين.. . ورُدَّت له الشمس.

(٤) وقيل: الحقب ثمانون سنة، وقيل: سنة واحدة بلغة قريش، وقيل: سبعون.. ويجمع على أحقاب كعنق وأعناق.

وهى أن يخبره إذا فقد الحوت.. فقال له الفتى : ما كلّفت كبير .. (ثم) بعد ذلك تناوبا حمل الحوت.. أو تعاونا فى حملة .. إلى أن وصلا إلى مجمع البحرين﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ أى نسى يوشع حمله عند الرحيل، أو نسى موسى تذكيره.. (وقيل) إن موسى ويوشع لما وصلا إلى الصخرة التى عندها عين الحياة ناما .. ثم استيقظ يوشع فتوضأ من تلك العين .. فانتضح الماء عليه أى سقطت بعض القطرات من هذا الوضوء[1] على الحوت فانتفض حيًّا ووثب فى الماء.

فدهش الفتى .. ولدهشته نسى أن يخبر سيدنا موسى.. وكان الحوت قد اتخذ ﴿ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ أى اتخذ له طريقًا فى داخل البحر ، وأمسك الله عن هذا الطريق جرى الماء.. فكان مفتوحًا فى داخله.. ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا ﴾ أى ذلك المكان بالسير إلى وقت الغداء من ثانى يوم ﴿ قَالَ﴾ أى موسى ﴿لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ أى تعبًا[2] فتذكر الفتى ما كان من أمر الحوت.. ثم ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ ﴾أى : تنبه ﴿ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ بذلك المكان ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ [3] الْحُوتَ﴾ أى نسيت إخبارك بما شهدته منه ﴿وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ﴾ أى الحوت ﴿ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ أى عجبًا للناس ﴿قَالَ﴾ أى موسى ﴿ ذَلِكَ﴾ أى : فقدنا الحوت ﴿مَا﴾ أى الذى ﴿ كُنَّا نَبْغِ ﴾ أى نطلبه فإنه علامة لنا على وجود من نطلبه ﴿فَارْتَدَّا ﴾ أى رجعا ﴿ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ أى عادا يقُصَّان آثارهما حتى لا يضلا الطريق فأتيا الصخرة ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ أى نبوة.. وقيل: أو ولاية .. وعليه أكثر العلماء ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾ أى من قِبَلنا ﴿عِلْمًا﴾ مفعول ثان أى معلومًا من المغيبات.. (وقد) قيل: إنهما دخلا السرب الذى شقه الحوت.. فوجدا الخضر عليه السلام جالسًا على جزيرة فى البحر ..

---

(١) الوضوء بفتح الواو أى الماء الذى نتوضأ به.. أما الوضوء بضم الواو، فهو التوضؤ.

(٢) وكان التعب هذا بعد المجاوزة. لحصول السفر مع الانتظار والتشوق.

(٣) فقد نسب النسيان إلى نفسه تأدبًا مع أستاذه.. مع أن الآية تقول: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾.

وقيل: وجداه عند الصخرة مغطى بثوب أبيض طرفه تحت رأسه، والآخر تحت رجليه.. فسلم عليه موسى.. فرفع رأسه ، واستوى جالسًا وقال: وعليك السلام يا نبيَّ بنى إسرائيل .. فقال له موسى: ومن أخبرك أنى نبيُّ بنى إسرائيل؟ فقال: الذى أدراك بى ودلك علىَّ .. ثم قال: لقد كان لك فى بنى إسرائيل شغل .. فقال له موسى: إن ربى أرسلنى إليك لأتبعك وأتعلم منك .. والقرآن يحكى هذا فيقول : ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦] أى صوابًا أرشد به.. ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف:٦٧] أى لما ترى من مخالفة شرعك ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف:٦٨] أى لم تخبر حقيقته.. . أو لم تحط به من جهة العلم .. ﴿قَالَ سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِى﴾ أى وغير عاص ﴿لَكَ أَمْرًا﴾ أى ما تأمرنى به.. وقيد بالمشيئة لأنه لم يكن على ثقة بنفسه فيما التزم.. وهذه عادة الأنبياء والأولياء أن لا يتقوا إلى أنفسهم طرفة عين.. ولم يقل الخضر إن شاء الله لأن الله أطلعه على أن موسى لا يصبر على أمر يخالف شرعه فحينئذ جزم بأنه لا يستطيع معه صبرًا .. ثم يواصل الله تعالى ما بعد ذلك فيقول : ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِى فَلا تَسْأَلْنِى عَنْ شَيْءٍ﴾ أى تنكره منى فى علمك، واصبر ﴿حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أى أذكره لك بعلته.. فقبل موسى الشرط رعاية لأدب المتعلم مع العالم .. ثم يقول القرآن: ﴿فَانْطَلَقَا﴾[1] أى يمشيان على ساحل البحر.. أى يطلبان سفينة.. فوجدا سفينة فركباها.. فقال أهلها: هؤلاء لصوص.. لأنهم رأوهم نزلوا من غير زاد ولا متاع.. فقال صاحب السفينة: ما هم بلصوص.. ولكن أرى وجوه الأنبياء.

(وعن) أُبى بن كعب عن النبى ﷺ : مرَّت بهم سفينة فكلموا أهلها أن يحملوهم.. فعرفوا الخضر بعلامة فحملوهم بغير نَوْلٍ .. أى عوض. ثم

---

(١) أى ومعهما يوشع.. وإنما لم يذكر فى الآية لأنه تابع.. والمقصود ذكر موسى والخضر.. وقيل: لم يكن معهما بل رده موسى حين التقى مع الخضر.

يواصل القرآن فيقول: ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾ أى التى مرت بهما ﴿خَرَقَهَا﴾ أى الخضر بأن اقتلع لوحًا أو لوحين منها من جهة البحر بفأس.. لما بلغت اللجج.. أى الماء الغزير .. ف﴿قَالَ﴾ أى موسى ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ بفتح التاء والراء ورفع أهلها ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ أى عظيمًا منكرًا .. وقد روى أن الماء لم يدخلها .. وقيل إن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فجعله فى الخرق.. ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ أى بالأمر الذى غفلت عنه لقيام حمية الشرع بى.. وقيل: أراد بالنسيان الترك .. ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ أى تكلفنى ﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ أى مشقة فى صحبتى إياك.. . أى عاملنى فيها بالعفو واليسر ﴿فَانْطَلَقَا﴾ أى بعد خروجهما من السفينة يمشيان ﴿حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا﴾ أى لم يبلغ الحنث [1] .. وكان يلعب مع الصبيان.. الذين كان هو أحسنهم وجهًا -وكانوا عشرة- ﴿فَقَتَلَهُ﴾ أى الخضر بأن ذبحه بالسكين مضطجعًا، أو اقتلع رأسه بيده ، أو ضرب رأسه بالجدار.. ﴿قَالَ﴾ أى له موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً﴾ أى طاهرة لم تبلغ حدَّ التكليف.. وفى قراءة ﴿زَكِيَّةً﴾ بتشديد الياء بلا ألف ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أى لم تقتل نفسًا ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ أى منكرًا .. ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٥] زاد لك على ما قبله لعدم العذر هنا ، ولهذا: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أى بعد هذه المرة ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ أى لا تتركنى أتبعك ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف:٧٦] أى فى مفارقتك لى ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ وهى أنطاقية .. وكان إتيانهم لها بعد الغروب والليلة باردة ممطرة.. فلما أتياها ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ أى طلبا منهم الطعام بضيافة ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾ .. وروى أنهما طافا فى القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما،

(١) أى لم يبلغ الحلم.

واستضافاهم فلم يضيفوهما.. . فأطعمتهما امرأة من أهل بربرة.. فدعوا لنسائهم ، ولعنا رجالهم.. (وعن) قتادة : شر القرى التى لا تضيف الضيف.. (ومع) هذا فإن القرآن يقول بعد هذا: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ أى الخضر بيده.. وقيل: مسه بها فاستقام، وقيل: أقامه بعمود، وقيل: نقضه وبناه.. بمعاونة سيدنا موسى.. (وهو) أى الجدار: مائة ذراع فى الارتفاع ، وعرضه خمسون، وامتداده على وجه الأرض خمسمائة ذراع ﴿قَالَ﴾ أى قال له موسى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف:٧٧] أى جعلًا حيث لم يضيفونا مع حاجتنا إلى الطعام ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٨] ، (وقد)ذكر فى حاشية الصاوى على الجلالين حول معنى ﴿بِتَأْوِيلِ﴾ أى تفسير هذه الآيات التى وقعت لموسى مع الخضر.. (ثم) قال: وحكمة تخصيص الخضر.. لموسى بتلك الثلاثة (ما ورد) أنه: لما أنكر خرق السفينة نودى: يا موسى أين كان تدبيرك هذا وأنت فى التابوت مطروحًا فى اليم ، فلما أنكر أمر الغلام، قيل له: أين إنكارك هذا من وكزك القبطى [1] وقضائك عليه، فلما أنكر إقامة الجدار، نودى : أين هذا من رفعك حجر البئر لبنتى شعيب دون أجر.

(ثم) بعد ذلك نواصل ما كان بعد ذلك من وفاء ما وعد به الخضر موسى عليهما السلام، وهو قوله لسيدنا موسى : ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ ﴾ أى عشرة ﴿يَعْمَلُونَ فِى الْبَحْرِ﴾ أى مؤجرة للسفينة طلبًا للكسب.. وكانوا إخوة ورثوها عن أبيهم.. خمسة زمنى [2] ، وخمسة يعملون فى البحر، وقيل بكل واحد زمانة ليست بالآخر.. فأما العمال منهم، فأحدهم: مجذوم ، والثانى:

---

(١) **القبطى**: أى المصرى .
(٢) **رجل زمن**: أى مبتلى بيِّن الزمانة.

أعور، والثالث:أعرج، والرابع: آدر[1]، والخامس: محموم لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم.. (والخمسة) الذين لا يطيقون العمل : أعمى، وأصم، وأخرس، ومُقعد، ومجنون.. (وكان) البحر الذى يعملون فيه ما بين فارس إلى الروم ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ أى كافر ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ أى صالحة﴿ غَصْبًا﴾[الكهف:٧٩] وكانوا إذا مروا بالسفينة على هذا الملك الذى كان ورائهم – بمعنى – أمامهم[2] فوجدوا السفينة معيبة تركها.. فإذا جاوزوه أصلحوها وانتفعوا بها ..[3]﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف:٨٠] وكان الله تعالى قد أعلم الخضر بوقوع ذلك من الغلام إن لم يقتله.. فإنه كما ورد فى حديث مسلم: طبع كافرًا ولو عاش لأرهقهما ذلك لمحبتهما له يتبعانه فى ذلك ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً ﴾ أى صلاحًا وتقى﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف:٨١] أى رحمة وبرًّا بوالديه.. فأبدلهما تعالى جارية– أى بنتًا– فولدت نبيًّا فهدى الله تعالى أُمة.. وقيل: ولدت اثنى عشر نبيًّا وقيل: ولدت سبعين نبيًّا.

(وما فعله) الخضر من قتل الغلام ..إنما هو جارٍ على شرعه لا على شرعنا..فإنه لا يجوز قتل الصبيان الكفار إلا أن يقاتلوا بالسلاح فى الحرب..ولو اطلع شخص على ما اطلع عليه الخضر..فلا يجوز له قتل الغلمان.

(وقد) أرسل بعض الخوارج لابن عباس يسأله :كيف قتل الخضر الغلام الصغير وقد نهى النبى ﷺ عن قتل أولاد الكفار فضلًا عن أولاد المؤمنين ؟

(فكتب) إليه على سبيل المجاراة والتسليم لدعواه: إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتلهم .

---

(١) يقال رجل (آدر) أدرًا.. أى انتفخت خصيتاه.. فهو آدر.

(٢) كما يشير إلى هذا قوله الله تعالى : ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ [إبراهيم: ١٦] .

(٣) وكان الملك الكافر هذا هو ملك غسان، ويسمى جليسور.

(وروى) أن موسى لما قال للخضر: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ الآية، غضب الخضر واقتلع كتف الصبى الأيسر، وقشر اللحم عنه، وإذا فيه مكتوب: كافر لا يؤمن بالله أبدًا.

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ..[1]﴾ اسم أحدهما: أصرم، والآخر: صريم.. ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ وهو مال مدفون من ذهب وفضة[2] (وقيل): كان علمًا فى صحفٍ مدفونة..(وقيل): كان لوحًا من ذهب مكتوب فى أحد جانبيه: (بسم الله الرحمن الرحيم: عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب، عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، عجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها.. لا إله إلا الله محمد رسول الله).(وفى) الجانب الآخر مكتوب: (أنا الله لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى؛ خلقت الخير والشر.. فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه، والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه).ا.هـ.

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ فحفظا بصلاحه فى أنفسهما ومالهما..(وقيل): إنه أبوهما مباشرة (وقيل): هو الأب السابع، (وقيل): العاشر..(وكان) يسمى كاشِحًا، واسم أمهما دُنيا..(وفيه) دليل على أن تقوى الأصول تنفع الفروع.

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ أى حتى يبلغا أى يعلم إيناس رشدهما أى قوتهما وكما لهما ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ أى: من تحت الجدار، ولولا فعل ذلك لضاع ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ﴾ أى من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار ﴿عَنْ أَمْرِي﴾ أى اختيارى.. بل أمر إلهام من الله[3] ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ[4] عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ أى ما ذكر من الأجوبة الثلاثة..(ونوعت العبارة):

---

(١) وقوله (فى المدينة) أى المعبر عنها قبل ذلك بالقرية.. تحقيرًا لها.. لكون أهلها لم يضيفوهما.. وعبر عنها بالمدينة تعظيمًا لها من حيث اشتمالها على هذين الغلامين وعلى أبيهما.

(٢) وهذا أحد أقوال فى تفسير الكنز.

(٣) ولم يقل بوحى لعدم الجزم بنبوته.

(٤) يقال: اسطاع واستطاع بمعنى أطاق.. ففى هذا وما قبله جمع بين اللغتين.

أى أن هذا التغاير ،فى :فأردت ،فأردنا ،فأراد ربك ..أبدى حكمة فى اختلاف التعبير،وهى :أن الأولى :لما كان ظاهرها إفسادًا محضًا أضافه لنفسه حيث قال: (فأردت) أدبًا مع الله وإن كان الكل منه ،والثانى :لما كان فيه نوع من إصلاح ونوع من إفساد عبر فيه بقوله :(فأردنا)، والثالث:لما كان إصلاحًا محضًا أضافه لله ،بقوله :(فأراد ربك).

(ثم) بعد ذلك ،قيل :إن الخضر لما أراد أن يفارق موسى قال له موسى : (أوصنى)، قال:(كن بسّامًا ولا تكن ضحاكًا ، ودع اللجاجة، ولا تمش فى غير حاجة،ولا تعب على الخطّائين خطاياهم،وابك على خطيئتك يا بن عمران).

(وهكذا) تنتهى الرحلة الخالدة كما سجلها القرآن الكريم فى (سورة الكهف) من الآية ٦٠- ٨٢. بالإضافة إلى أن التفسير من تفسير الجلالين ، وحاشية الصاوى عليه ...ج٣ ص١٦-١٩ ..بتصرف كبير..(ولا بد) وأن نكون قد فهمنا المراد من هذا الدرس القرآنى الخالد ..حتى نكون من المتواضعين فى طلب العلم ..حتى ولو كنا من كبار العلماء ..(كما كان) من سيدنا موسى ..الذى لازم سيدنا الخضر لكى يتعلم منه بأمر من الله ..مع الفارق الكبير بينهما..(ومع) هذا فقد قال موسى للخضر: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ وكما هو معلوم عن موسى ، فهو:من أولى العزم ونبى ورسول جزمًا ، وأسمعه الله كلامه وأعطاه التوراة ...

أما الخضر عليه السلام فهو ولى من أولياء الله وليس مجزومًا بنبوته ..(وقد) أمر الله موسى بأن يتعلم من الخضر ما اختصه الله به من مزيةٍ ..لأن الزيادة فى العلم مطلوبة .. (وقد) قال الله تعالى لأعلم خلقه محمد صلوات الله وسلامه عليه.. ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْما﴾[طه:١١٤] .

(هذا) مع ملاحظة : أن الخضر سمى بهذا الاسم ،لأنه جلس على الأرض فاخضرت تحته، وقيل:لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله ..(وهو) من نسل نوح ،وكان أبوه من الملوك .(والجمهور) على أنه حى إلى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة ..ويجتمع به خواص الأولياء ويأخذون عنه .قال العارف بالله.. السيد البكرى ..رحمه الله :

بنقيبهم فى كل عصر الخضر أبى الـ عباس مـن أحيـا بـهاء وصـاله

حـى وحقـك لم يقـل بوفاتـه إلا الـذى لم يلـق نـور جمالـه

فعليـه منـى كلـما هـب الصبا أزكـى سـلام طـاب فى إرسـاله

(وقد) اجتمع برسول الله ﷺ وأخذ عنه فهو صحابى ..والله أعلم .

(فلنكن) نحن كذلك من الذين يحرصون على طلب العلم النافع مدى الحياة ..دون يأسٍ أو ملل..مع الاستفادة بكل لفظةٍ وقفنا عليها..

(وذلك) لأن العلم النافع هو النور الذى نسير على هداه ..ولا سيما إذا كان من قصص القرآن الذى أمر الله رسوله المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بأن يقصه علينا ..فقال :﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٦]، وقال :﴿ وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِى هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:١٢٠].

(ثم) إذا كان سيدنا موسى عليه السلام قد طلب من سيدنا الخضر عليه السلام –فى نهاية الرحلة–أن يوصيه مع الفارق الكبير بينهما- (فإنه) ينبغى علينا نحن كذلك أن نطلب الحكمة دائما وأبدًا من الحكماء ..حتى ولو كنا من كبار العلماء ..لأن الحكمة كما ورد فى الحديث:((**ضالة المؤمن**)) ،ولأن الله تعالى يقول :﴿.. وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا..﴾ [البقرة:٢٩٦].

(مع) ضرورة المشاركة فى نشر هذا العلم النافع .

(ففى) الحديث : ((**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**)) .رواه مسلم وغيره عن أبى هريرة .

والله ولى التوفيق

(٣٤) درس أو خطبة

حول: قصة ذى القرنين ..

كدرس قرآنى يتعلق بقصة يأجوج ومأجوج ...

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : ﴿..إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ..﴾ [الكهف: ٩٤].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل : ((**إن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم ، ووراءهم ثلاث أمم ،ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفًا فصاعدًا**))أخرجه الحاكم وابن مردويه .

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ،الذين انتفعوا بدروس القرآن..فكانوا هداة مهديين ،وقادة منتصرين ،وكانوا رجالًا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله :﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ *لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧- ٣٨] .

(أما بعد) ؛

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه ..(فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى وتوفيقه ..(رأيت) أن يكون لقائى معكم حول درس من دروس القرآن الكريم ..يتعلق بما كان من أمر ذى القرنين ..وقصة يأجوج ومأجوج ..التى من الخير لنا أن ننتفع بها ..لأنها من الآيات التى ستحدث قرب القيامة،..(بل) هو من علامات الساعة الكبرى :

فعن حذيفة بن أسيد أن النبى ﷺ قال :((**لن تقوم الساعة حتى يكون عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة ،وخروج يأجوج**

ومأجوج، والدجال، وعيسى ابن مريم، والدخان، وثلاث خسوفٍ: خسف بالمغرب، وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن من قعر عدن[1] تسوق الناس إلى المحشر)) أخرجه السبعة [2] إلا البخارى.

(هـذا)، وإذا كـان لى أن أبـدأ الآن فى الوقـوف معكـم عـلى حقيقـة ذى القرنين.. إلى أن أصل بكم بعد ذلك إلى أبعاد قصة (يأجوج ومأجوج) التى سنعرف من خلالها الكثير من العظات والعبر .. التى لا بد وأن نتعظ بها.. (فإنه) حسبى أولًا أن أقف مع الإخوة المستمعين إلى نص ما جاء فى الجزء الأول من الدين الخالص.. عن (ذى القرنين) ،وهو: أنه كان ملكًا عادلًا ، لا نبيًّا على الصحيح .

قال أبو الطفيل :سئل على رضي الله عنه عن ذى القرنين : أكان نبيّا أم ملكًا ؟ قال: لم يكن نبيًّا ولا ملكًا ولكن كان عبدًا أحب الله وأحبه الله، وناصح الله، فناصحه الله .أخرجه البغوى وسفيان بن عيينة فى جامعه بسند صحيح [3].

(وقد) أثنى الله عليه بالعدل، وأنه بلغ المشارق والمغارب ،وملك الأقاليم ، وسار فى أهلها بالعدالة التامة، والسلطان المؤيد (قال ابن عباس): كان ذو القرنين ملكًا صالحًا أثنى الله عليه فى كتابه .وكان منصورًا ،وكان الخضر وزيره .وذكر الأزرقى وغيره أنه أسلم على يدى إبراهيم الخليل ،وطاف معه الكعبة المكرمة[4].

---

(١) **قعر عدن**: أى أقصى أرضها .انظر تحفة الأحوذى ص٢١٤ ج٣.

(٢) والسبعة هم : أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .

(٣) انظر ص٢٤٠ ج٦ فتح البارى ..(وقد) قرأت فى هامش الدين الخالص ج١ ص٨٤،وبعد نص أبى الطفيل الذى استمعنا إليه : (..بعثه الله إلى قومه فضربوه على قرنه فمات ،ثم أحياه الله لجهادهم وبعثه إلى قومه فضربوه على قرنه الآخر فمات ،فأحياه الله لجهادهم ،فلذلك سمى ذا القرنين .أخرجه ابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه .ص٢٩٩ ج٣ تفسير الشوكانى..وقيل: لقب بذلك لأنه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها ..وقيل :لأنه كان له ذؤابتان حسنتان .

(٤) انظر ص١٠٣ ج٢ البداية والنهاية .

(واختلف) في اسمه، والصحيح أنه اسكندر بن فيلبس بن بطريوس، وهو باني الإسكندرية وسماها باسمه : (وتمام) نسبه :ابن هرمس بن هردوس بن منطون بن رومى بن لطين بن يونان بن يافث.انظر ص١٠٥ج٣ هامش البداية .

(وأما) عن: (يأجوج ومأجوج) ، -فهما بالهمز وعدمه- :اسمان أعجميان لقبيلتين من ولد يافث بن نوح ،فهما من بنى آدم وعلى أشكالهم وصفتهم ، (لحديث) أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: ((**يقول الله :يا آدم ، فيقول :لبيك وسعديك والخير فى يديك ،فيقول :أخرج بعث النار .قال :وما بعث النار ؟قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، فعنده يشيب الصغير** ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾))[الحج:٢] قالوا : يا رسول الله وأينا ذلك الواحد ؟فقال : ((**أبشروا فإن منكم رجلًا ومن يأجوج ومأجوج ألفًا**)) ثم قال : ((**والذى نفسى بيده إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة**)) .فكبرنا .فقال : ((**أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة**)) .فكبرنا . فقال : ((**ما أنتم فى الناس إلا كالشعرة السوداء فى جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء فى جلد ثور أسود**)) أخرجه أحمد والشيخان والنسائى .

(وأما السَّد)، فهو حاجز حصين بناه ذو القرنين بين الصدفين ،وهما جبلان عاليان جدًّا أملسان ،الفتحة بينهما مائة فرسخ[١]، والفرسخ يسار فى ساعة ونصف، فتكون مدة سيرها مائة وخمسين ساعة (أى اثنى عشر يومًا ونصف يوم) وبناه بقطع من الحديد كالصخر[٢]وهى المرادة بقوله تعالى: ﴿آتُونِى زُبَرَ

---

(١) الفرسخ ٣ أميال ،والميل ٤ آلاف ذراع فلكى وهو ٨/ ٣ ٤٦ سنتيًا ،فيكون الميل ١٨٥٥ متر ، والفرسخ ٥٥٦٥ متر ، والمائة فرسخ ٥٥٦٥٠٠ متر أى ٥. ٥٥٦ كيلو متر .

(٢) قال فى البداية والنهاية :وقد ذكر أن الخليفة الواثق بعث رسلًا ليكشفوا له عن خبره وكيف بنى؟ فلما رجعوا أخبروه أنه بناء محكم شاهق منيف جدًا.وأنه فى زاوية الأرض الشرقية الشمالية .انظر ص١١١ج٢.(الدين الخالص ج١ ص٨٦-هامش).

﴿الْحَدِيدِ﴾ وجعل بين القطع المذكورة الحطب والفحم ،ووضع المنافخ والنار حول ذلك وقال: انفخوا ،فنفخوا حتى صار الحديد نارًا، ثم دعا بالنحاس المذاب فافرغه على الحديد، فدخل بين قطعه فصار شيئًا واحدًا .فما استطاع يأجوج ومأجوج أن يظهروه ،أى يصعدوه لارتفاعه وملاسته.وقد كان ارتفاعه مائتى ذراع ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ أى خرقًا لصلابته وعظم سمكه.وهم يعملون على خرقه دائمًا فلم يقدروا .

(روى) أبى هريرة أن النبى ﷺ قال :((**إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس ،قال الذى عليهم** _أى رئيسهم_ **ارجعوا فسنحفره غدًا ،فيعيده الله أشد ما كان ،حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا ،حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس ،قال الذى عليهم :ارجعوا فستحفرونه غدًا إن شاء الله تعالى، واستثنوا فيعودون إليه وهو بهيئته حين تركوه ، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فينشفون الماء**[1]**، وتتحصن الناس منهم فى حصونهم ، فيرمون بسهامهم إلى السماء فيرجع عليها الدم ،فيقولون :قهرنا أهل الأرض ،وعلونا أهل السماء .. فيبعث الله نغفًا فى أقفائهم**[2] **فيقتلهم بها .والذى نفسى بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرًا**[3] **من لحومهم**)) أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه . وقال البوصيرى فى الزوائد : حديث صحيح رجاله ثقات .

(وفى) البخارى :قال رجل للنبى ﷺ : رأيت السد مثل البرد[4] المحبر قال: ((**رأيته**))[5].

---

(١) **فينشفون الماء**: أى يشربونه .

(٢) **والنغف**: بفتحتين: دود فى أنوف الإبل والغنم (والأقفاء): جمع قفا مقصورًا :مؤخر العنق .

(٣) **وتسمن** : إذا كثر لحمه ،و (تشكر) بفتح الكاف : أى تسمن وتمتلئ شحمًا .

(٤) **البرد**: بضم فسكون: نوع الثياب (والمحبر)، بضم ففتح فباء مشددة مفتوحة: أى: ذو خط أبيض.

(٥) **قال رأيته** : أى رأيته حقا .

(وبالسد حجز يأجوج ومأجوج .. حتى إذا جاء وقت خروجهم قرب القيامة، صار دكا (أى مستويًا بالأرض) وخرجوا مسرعين ،قال الله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ أى حتى إذا فتح السد عنهم خرجوا مسرعين من الآكام والتلال).

(وعن) ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : ((**لقيت ليلة أسرى بى إبراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا الساعة ،فبدأوا بإبراهيم فسألوه عنها ،فلم يكن عنده منها علم . ثم سألوا موسى فلم يكن عنده منها علم ، فردَّا الحديث إلى عيسى ابن مريم ،فقال :قد عهد إلىَّ فيما دون وجبتها .فأما وجبتها[1] فلا يعلمها إلا الله ، فذكر خروج الدجال ،وقال :فأنزل فأقتله، فيرجع الناس إلى بلادهم ، فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فلا يمرون بماء إلا شربوه ،ولا بشىء إلا أفسدوه ،فيجأرون إلى[2] الله ،فأدعو الله أن يميتهم ،فتنتن الأرض من ريحهم، فيجأرون إلى الله ،فأدعو الله فيرسل السماء بالماء فيحملهم فيلقيهم فى البحر ، ثم تنسف[3] الجبال وتمد الأرض مد الأديم . فعهد إلى متى كان ذلك كانت[4] .فإن الساعة من الناس كالحامل التى لا يدرى أهلها متى تفجأهم بولادتها**)).أخرجه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد . وكذا ابن ماجه من طريق العوام بن حوشب، وقال :قال العوام:ووجد تصديق ذلك فى كتاب الله تعالى ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ[5] يَنْسِلُونَ﴾ .

(والآن) وبعد تلك الأساسيات التى وقفنا عليها عن (ذى القرنين)وعن (يأجوج ومأجوج) :أريد أن أقف مع الإخوة المستمعين-وبإيجاز- على المعنى

---

(١) وجبتها: أى قيامها .

(٢) أى يرفعون أصواتهم ويستغيثون .

(٣) وتنسف: أى تفتت.

(٤) أى متى خرج يأجوج كانت الساعة .

(٥) (ومن كل حدب): أى : من كل جهة مرتفعة ،(وينسلون)أى: يسرعون .

المراد من الآيات القرآنية التى تحدث الله سبحانه وتعالى فيها عن كل هذا، فى سورة الكهف من الآية ٨٣-٩٩.فيقول سبحانه :﴿ وَيَسْأَلونَكَ ﴾ أى اليهود ﴿ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ ﴾ وهو الإسكندر الذى بنى الإسكندرية وسماها باسمه .. ولم يكن نبيًّا على الصحيح ..وإنما كان وليًّا فقط ..

وما يأتى مما يوهم نبوته فمؤل ومحمول على الإلهام والإلقاء فى القلب وذلك غير مخصوص بالأنبياء ...

﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ وكان قبل المسيح بثلثمائة سنة (وقال) القرطبى .. قال وهب بن منبه: كان ذو القرنين رجلا من الروم بن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره ..وكان اسمه اسكندر ..﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الأَرْضِ﴾ أى بتسهيل السير فيها ..لا ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ أى طريقًا يوصل إلى مراده.. وهو جميع الأرض .. ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾أى سلك طريقًا نحو المغرب ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ﴾ أى موضع غروبها ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ أى ذات حمأة وهى الطين الأسود ..والمعنى :أى حارة ..

﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا﴾ أى العين ﴿قَوْمًا﴾ أى كافرين وكانوا فى مدينة لها اثنا عشر ألف باب ..كانت على ساحل البحر المحيط ..وقوتهم ما يلفظ البحر من السمك.. وكان لباسهم جلود الوحوش ﴿ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾ أى بإلهام ﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾ أى القوم بالقتل .. ﴿وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ أى بالأسر ﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أى نأمره بما يسهل عليه ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أى نحو المشرق ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ أى موضع طلوعها ﴿ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ ﴾ أى الزنج ﴿ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا﴾ أى الشمس ﴿ سِتْرًا ﴾ أى من لباس ولا سقف لأن أرضهم لا تحمل بناء ولهم سروب يغيبون فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند ارتفاعها﴿كَذَلِكَ ﴾ أى الأمر كما قلنا﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ أى عند ذى القرنين من الآلات والجند

وغيرهما (خُبْرًا) أي علمًا ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ أي طريقًا آخر توصله لجهة الشمال.. لأن يأجوج وإن كانوا في وسط الأرض إلا أنهم لجهة الشمال .. لأن أرضهم واسعة جدًّا تنتهي إلى البحر المحيط ... ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ﴾ وهما جبلان عاليان جدًّا أملسان .. آخر بلاد الترك [1] ... ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا﴾ أي أمامهما ﴿ قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي لا يفهمونه إلا بعد بطء ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ ﴾ أي قال مترجمهم [2] ...﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ﴾: أي بالنهب والبغي عند خروجهم إلينا .. من هذه الفتحة .. وكانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم فلا يدعون فيها شيئًا أخضرًا إلا أكلوه ،ولا يابسًا إلا احتملوه وأدخلوه أرضهم ..

﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾ أي جعلًا من المال ﴿ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ أي حاجزًا فلا يصلون إلينا ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾ أي من خرجكم الذي تجعلونه لي فلا حاجة بي إليه .. وأجعل لكم السد تبرعًا ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ أي لما أطلبه منكم ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ أي حاجزًا حصينًا...

﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾ أي قطعه على قدر الحجارة التي يبنى بها .. فبنى بها.. وجعل بينها الحطب والفحم ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ﴾ أي جانبي الجبلين بالبناء ،ووضع المنافخ والنار حول ذلك ﴿ قَالَ انْفُخُوا ﴾ فنفخوه ﴿ حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ ﴾ أي الحديد ﴿ نَارًا ﴾ أي كالنار ﴿ قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ وهو النحاس .. المذاب .. فأفرغ النحاس المذاب على الحديد المحمى فدخل بين زبره فصارا شيئًا واحدًا ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ﴾ أي يعلو ظهره لارتفاعه وملاسته ﴿ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ أي خرقًا لصلابته وسمكه .. كما يشهد له ما روى الشيخان عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ ((**أنهم يحضرونه**

---

(١) وسيكون سد الإسكندرية بينهما .. كما سنعرف بعد .

(٢) وقيل: إن الإسكندر فهم لغتهم .. لأن الله تعالى علمه هذا .

كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذى عليهم : ارجعوا فستحفرونه غدًا.. قال: فيعيده الله كأشد مما كان ،حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم إلى الناس ..قال الذى عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا إن شاء الله ..قال : فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه ..فيخرقونه فيخرجون منه إلى الناس .. فيستسقون المياه ،وتنفر الناس منهم .» إلى آخر ما وقفنا عليه فى الأساسيات الأولى .

(وإذا) كان لى أن أعلق على كل هذا التذكير .

(فإننى) أذكر الإخوة الفضلاء بضرورة الانتفاع الدائم بدروس القرآن الكريم الذى فيه : نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم.. كما قال النبى ﷺ فى حديثه عنه.. وهو الذكر الحكيم الذى سمعه الجن ثم قالوا: ﴿.. إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ..﴾ [الجن :١، ٢] أى يهدى إلى الخير والصواب .

(وحسبنا) أن نكون قد اقتنعنا من خلال ما استمعنا إليه بضرورة أن نقدم مشيئة الله تعالى دائمًا على كل شىء ..تنفيذًا لأمر الله تعالى فى قوله : ﴿ وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ..﴾ [الكهف:٢٣، ٢٤].

والله ولى التوفيق

(٣٥) خطبة أو درس

حول ما وعد الله تعالى به المتقين في القرآن الكريم

الحمد لله القائل ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٣، ٦٤] وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى ورد عنه أنه قال لأبى ذر ﷺ: ((أوصيك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله))(١).

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين.. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣]، فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين، وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قولة: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

أما بعد؛؛

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه .. (فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تعالى وتوفيقه .. رأيت أن يكون لقائى معكم (حول) ما وعد الله تعالى عبادة المتقين فى القرآن الكريم .. (وذلك) حتى نحرص إن شاء الله تعالى كمؤمنين صادقين على أن نكون من المتقين الذين وعدهم الله تعالى فى قرآنه بكل خير وفلاح فى الدنيا والآخرة .. فقد وعدهم سبحانه:

** بالحفظ والحراسة من الأعداء، فقال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

(١) من حديث رواه ابن حبان فى صحيحه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

** ووعدهم سبحانه بالنصر والتأييد، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨] .

** ووعدهم سبحانه بالنجاة من الشدائد والرزق الحلال، فقال تعالى:

*﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾[الطلاق: ٢، ٣].

** ووعدهم سبحانة بإصلاح العمل وغفران الذنوب، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١] .

** ووعدهم سبحانه بنور يمشون به، فقال تعالى:

*﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: ٢٨] .

ووعدهم سبحانه بمحبته، فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦] .

** ووعدهم سبحانه بالإكرام، فقال:

* ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] .

** ووعدهم سبحانه بالبشرى فى الدنيا والآخرة، فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤] .

** ووعدهم سبحانة بالنجاة من النار، فقال:

* ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:٧٢] .

ووعدهم سبحانة بالخلود فى الجنة، فقال:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣] .

** (وقد) يسأل الإخوة المستمعون، ومن هم المتقون؟ فيقول الله تبارك وتعالى بعد هذه الآية مباشرة مجيبًا على هذا التساؤل الهام:

*﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ

جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤: ١٣٦] .

** والمتقون أيضًا، هم الذين تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى آية البر، فقال: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧] .. ﴿والمتقون﴾ هم الذين وصفهم الإمام على -كرم الله وجهه-وكان أحدهم قد قال له : يا أمير المؤمنين، صف لى المتقين حتى كأنى أنظر إليهم ، فقال:

(إن الله تعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم، آمنا من معصيتهم لأنه لا تضره معصية من عصاه، ولا تنفعه طاعة من أطاعه، فقسم بينهم معيشتهم، ووضعهم من الدنيا مواضعهم ..) .

(ثم) يقول: (فالمتقون فيها هم أهل الفضائل، منطقهم الصَّواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم، لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهِّمون، من أعمالهم مشفقون، ومن علامة أحدهم، أنك ترى لهم قوَّة فى دين، وحزمًا فى لين، وإيمانًا فى يقين، وحرصًا فى علم، وعلمًا فى حِلم، وقصدًا فى غني، وخشوعًا فى عبادة ، وتجملًا فى فاقة، وصبرًا فى شدَّة، وطلبًا فى حلال، ونشاطًا فى هدى وتحرجًا عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل يمسى وهمُّه الشكر، ويُصبُح وهمُّه الذكر، يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل، تراه قريبًا أملُه، قليلًا زلَلُه، خاشعًا قلبه قانعة نفسه، مكظومًا غيظه، ميتة شهواته، الخير منه مأمول، والشرُّ فيه مأمون، يعفو عمّن ظلمه، ويعطى من حرمه، ويصل من قطعه، بعيدًا فحشه، ليِّنا قوله، غائبًا منكره حاضرًا معروفه، مقبلًا خيره، مدبرًا شره فى الزلازل وقور، وفى

المكاره صبور، وفى الرخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه، لا يدخل فى الباطل، ولا يخرج من الحق، نفسه منه فى عناء، والناس منه فى راحة، أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه، بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة، ليس تباعده بكبر وعظمة، ولا دنوه بمكر وخدعة).

(هذا) وإذا كان لى أن أعلق على كل هذا الذى وقفنا علية أو استمعنا إليه بالنسبة لما وعد الله تعالى به المتقين فى قرآنه و بالنسبة لمواصفات المتقين وأهمِّ أخلاقهم .. (فإنني) أريد أن أقول للأخ المسلم بعد استماعه إلى كل هذا.. (إن) المتقين إذن هم أهل الفلاح والنجاح فى الدنيا والآخرة.. (ولهذا) فإن الله تعالى قد أوصانا بالتقوى كما أوصى بها الأمم السابقة، فقال: ﴿**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ**﴾[النساء: ١٣١] وذلك لأن التقوى كما قال الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، هى: ((**رأسُ الأمرِ كُله**))، أى أن التقوى بالنسبة للعبادة كالرأس بالنسبة للجسد.. فكما أنه لا حياة للإنسان بدون رأس كذلك لا معنى للعبادة بدون تقوى.

(وقد) يسأل الأخ المسلم كذلك عن المعنى الجامع لكلمة (التقوى)؟ فأذكره- مع الشرح الموجز- بكلام جامع للأمام على - كرم الله وجه- وكان قد سئل عن التقوى، فقال: (التقوى، هي:الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل، والاستعداد ليوم الرحيل، والرضا بالقليل.

فالمراد بقوله: (الخوف من الجليل) أى من الله تبارك وتعالى الذى لا بد وأن تخشاه كما أمرنا الله تعالى بهذا فى قوله : ﴿ **فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ** ﴾[المائدة :٤٤]، وقد ورد فى الحديث القدسي: ((**لا أجمع على عبدى خوفين ولا أمنين، إن أمننى فى الدنيا أخفتة يوم القيامة، وإن خافنى فى الدنيا أمّنتهُ يوم القيامة**))، وقد ورد كذلك فى الحديث الشريف عن رسول الله ﷺأنه كان يقول لأصحابه: ((**إنى لأخوفكم من الله وأشدكم له خشية**)).

(وإذا) كنت أذكِّر بضرورة أن تخشى الله تبارك وتعالى..(فإننى) أيضًا أحذر

من اليأس من رحمة الله..(وأعنى) بهذا أنه لا بد وأن يكون هناك خوف من الله ورجاء فى الله.

فقد ورد: (عن) أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ((**قال الله تعالى: يا بن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالى، يابن آدم: لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك، يابن آدم: إنك لو أتتنى بقراب الأرض[1] خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**)) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

(وفى) القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [يوسف: ٨٧] .

(وأما) عن المراد من قوله فى الصفة الثانية من وصف التقوى: (والعمل بالتنزيل) أى: بالقرآن الكريم.. الذى أنزله الله سبحانه وتعالى لكى يكون دستورًا للأمة الإسلامية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. (والذى) لا بد وأن يكون ﴿**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة: ٢] حتى يكون القرآن هذا حجة لنا لا علينا (وأعنى) بهذا أننا لابد وأن نفهم المراد من نزول هذا القرآن الكريم .. حتى نكون من المهتدين به.. أى: نحلّ حلاله، ونحرم حرامه.. (ويوم) أن نفعل هذا كمؤمنين.. فإننا لن نضل ولن نزلّ.. وسنكون من الذين قال الله تعالى فى شأنهم: ﴿**وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**﴾ [الأنفال: ٢].

(ولا بد) لكى يتأكد الإيمان هذا.. أن يكون هناك حرص على الانتفاع بهذا القرآن.. بمعنى أن لا نكون من هؤلاء الذين يقرؤون القرآن والقرآن يلعنهم.. لأنهم لا يتدبرون فيه.. ولهذا نراهم لا يميزون بين آية النعيم وآية العذاب.

(وأما) عن المعنى المراد من الصفة الثالثة من وصف التقوى، وهى

(١) أى بما يقارب ملء الأرض خطايا .

قولـه:(**والاسـتعداد ليـوم الرحيـل**) أي: ليـوم الرحيـل إلى الله تبـارك وتعـالى.. وهـو أتٍ لا ريـب فيـه.. إن عـاجلًا وإن آجـلًا.. (مـع) ملاحظـة أن المـراد بالاستعداد.. أن تكون مغتنمًا لكل لحظة من لحظات حياتـك.. حتى تسـتفيد منها لصـالح آخرتـك.. التى سـتكون فيهـا هنـاك فى أشـد الحاجـة إلى الثـواب الذى سيكون ثقلا فى ميزان حسناتك .. قال تعالى.. ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُـهُ﴾ أى بالحسنات ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ أى من الحسـنات ﴿فأمه هاوية [1] وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَه نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦ :١١] (ولهـذا) فقـد أوصى الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه صاحبه أبـا ذر رضي الله عنه بـأن يكثـر مـن الزاد.. فقال له: ((**يا أبا ذر أحكم [2] السفينة فإن البحر عميـق، واسـتكثر الـزاد فإن السفر الطويل، وخفف ظهرك [3] فإن العقبـة كـؤود، وأخلـص العمـل فـإن الناقد بصير**))[4].

(ونحن) كذلك كمؤمنين صادقين لا بد وأن نكثـر مـن الـزاد.. قبـل فـوات تلك الفرصة التى لا زلنا إلى تلك اللحظة نستمتع بها .. ألا وهـى تواجدنا فى تلك الحياة الأولى التى هى دار العمل .. أما بعد انتقالنا منها إلى الـدار الآخـرة فإننـا سـنكون فى دار تسـمَّى بـدار الحسـاب التـى لا بـد وأن نعمـل لهـا ألـف حساب .. قبل أن نندم ولات ساعة مندم.

(ولهذا) فإن الله تبارك وتعالى يقـول مخاطبًا إيانـا نحـن المؤمنين- إن شـاء الله

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَـنْ ذِكْـرِ اللَّـهِ وَمَـنْ يَفْعَـلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَـاكُمْ مِـنْ قَبْـلِ أَنْ يَـأْتِيَ أَحَـدَكُمُ الْمَـوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَـنْ يُـؤَخِّرَ اللَّـهُ

(١) أى أنه سيهوى بأم رأسة فى النار كما يقفز السباح فى الماء.

(٢) وفى رواية : جدِّد .

(٣) أى من المظالم .. فإن المرتقى سيكون صعبًا.

(٤) رواه الإمام المقدسي.

نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٩-١١] .

(ولا بد) وأن يلاحظ الأخ المسلم.. أن الحياة الدنيا .. لا دوام لها.. وأن أيامنا فيها تمضى مُسرعة.. وأن كل لحظة تمضى .. فإنما هى من أعمارنا .. كما يقول أبو العتاهية:

أنلهو وأيامنا تذهب — ونلعب والموت لا يلعب؟

عجبت لذى لعب قد لهَا — عجبت ومالى لا أعجب؟

أيلهو ويلعب من نفسه — تموت ومنزله يخرب؟

نرى كل ما ساءنا دائمًا — نرى على كل ما سرنا يغلب؟

نرى الليل يطلبنا والنهار — ولم ندر أيهما أطلب؟

أحاط الجديدان جمعًا بنا — فليس لنا عنهما مهرب؟

وكل له مدة تنقضى — وكل له أثر يكتب؟

**(وقد) ورد كذلك أن الأرض تنادى فى كل يوم بخمس كلمات فتقول:

* يا بن آدم .. تمشى على ظهرى ومصيرك إلى بطنى.
* يا بن آدم .. تضحك على ظهرى فسوف تبكى فى بطنى.
* يا بن آدم .. تفرح على ظهرى فسوف تحزن فى بطنى.
* يا بن آدم .. تأكل الألوان على ظهرى فسوف تأكلك الديدان فى بطنى.
* يا بن آدم .. تذنب على ظهرى فسوف تعذب فى بطنى.

(ولهذا) كما نبهت .. لا بد وأن نستعد للحظة الرحيل إلى الله تبارك وتعالى فى كل لحظة.

(وذلك)بالإكثار من هذا الزاد الحقيقى الذى ستحتاج إلية فى سفرك إلى الله تبارك وتعالى (مع) ملاحظة قول القائل لكل غافل:

أترضى أن تكون رفيق قوم — لهم زاد وأنت بغير زاد

(وإننا) فى رحلة السفر إلى الله تبارك وتعالي.. لن نجد بجوارنا إلا ما قدَّمناه من أعمال صالحة: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧] ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾[الانفطار:١٩] .

(وقد) سئل ابن أدهم ﷺ : لم زهدت فى الدنيا يا إبراهيم؟

فقال لثلاث: رأيت الطريق طويلا وليس معى زاد .

الثانى: رأيت القبر موحشًا وليس معى مؤنس.

الثالث: رأيت الجبار قاضيًا وليس معى حجة ولا من يدافع عنى .

فاتعظ منه وأنذر إنه فى الوعظ غاية

واتخذ ما فيه ذكرى إن فى هذا كفاية

(وأما) عن المعنى المراد من الصفة الرابعة فى وصف التقوي، وهى قوله: (والرضا بالقليل) أى الذى رزقك الله تعالى به.. حتى ولو كان قليلًا.

(مع) ضرورة الأخذ بأسباب التوسعة.. كما يشير الله تعالى إلى هذا فى قوله: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء:١٠٠]

والله سبحانه وتعالى يأمرنا بأن نسعى فى مناكب الأرض طلبًا للرزق حتى فى يوم الجمعة، فيقول فى سورة الجمعة: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:١٠]، (وهذا) معناه أنه ليس فى الإسلام ما يسمى بيوم الإجازة.. وإنما الإسلام يطالبنا بأن نؤدى لكل ذى حق حقه.. ثم بعد ذلك نتحرك طلبًا لهذا الرزق..

(وذلك) لحكمة عظيمة أشار إليها أحد علماء السلف الصالح.. وكان قد سئل: لماذا لم يعطى الله تعالى كل واحد منا رزقه الذى قسمة له بدون سعى أو بدون تعب أو مشقة؟

(فقال) علية رضوان الله: (لو رزق الله العباد من غير كسب لتفرَّغوا للفساد، ولكن شغلهم بالكسب حتى لا يتفرغوا للفساد.. (ثم) تلا قول الله تبارك وتعالى.. ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٢٧] .

(ولقد) كان الإمام الشافعى رضي الله عنه يقول مرغبًا فى السفر طلبًا للرزق الحلال، كما يشير إلى الحكمة من هذه الحركة أثناء السفر المشار إليه:

سافر تجد عوضًا عمن تفارقه ... وانصب فإن لذيذ العيش فى النصب [1]

إنى رأيت وقوف الماء يفسده ... إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب

الأسد[2] لولا فراق الغاب ما افترست ... والسهم لولا فراق القوس لم يصب

والشمس لو وقفت فى الفلك دائمة ... لملها الناس من عجم ومن عرب

والتبر[3] كالترب ملقى فى أماكنه ... والعود فى أرضه نوع من الحطب

فإن تغرب هذا عز مطلبه ... وإن تغرب ذاك عز كالذهب

*(ولقد) كان الإمام على كرم الله وجهه يتباهى بهذه الحركةالشريفة، فيقول:

لحمل الصخر من قمم الجبال ... أحب إلى من منن الرجال

يقول الناس لى فى الكسب عار ... فقلت العار فى ذلِّ السؤال

*(نعم) إنه لا عزة ولا كرامة إلا بالاستغناء عن سؤال الناس.. كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله:

(استغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره) .

*ولله در من قال:

إن الغنى إذا تكلم بالخطا ... قالوا صدقت وما نطقت محالا

أما الفقير إذا تكلم صادقًا ... قالوا كذبت وأبطلوا ما قالا

إن الدراهم فى المواطن كلها ... تكسوا الرجال مهابة وجلالا

---

(١) النصب: أى التعب.

(٢) الأسد: جمع أسد.

(٣) والتبر: هو تراب الذهب.

فهـى اللســان لمـن أراد فصـاحة وهـى السـلاح لمـن أراد قتـالا

(فلننتفـع) بكـل هـذا التـذكير حتـى نكـون إن شـاء الله مـن الآخـذين بكـل أسباب التوسعة.. (مع) الرضا بالقليل.. والشكر على الكثير.. لأن الله تعالى يقول: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[إبراهيم:٧] .

**(ولـنكن) إن شـاء الله تعـالى مـن أهـل التقـوى حتـى نكـون مـن أهـل المغفرة..وحتى نفوز بكل هذا الخير الذى وقفنا عليه.. والذى نسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلا له.. (مع) تنفيذ قول القائل الحكيم:

ولا تمـش إلا مـع رجـال قلـوبهم تحـن إلى التقـوى وترتـاح للـذكر

والله ولى التوفيق

(٣٦) خطبة أو درس

حول الترغيب فى قراءة القرآن والاستماع إليه والتدبر فيه.. وفضل تعلمه وتعليمه

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى ورد عنه أنه قال: ((**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**)) رواه البخارى ومسلم، وأبو داود والترمذى، والنسائى وابن ماجه وغيرهم.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين تعلموا القرآن وعلموه.. فكانوا لهذا من خير الناس.. وكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين.. وكانوا رجالًا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨] .

(أما بعد)؟؟

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه.. (فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى وتوفيقه.. (رأيت) أن يكون لقائى معكم حول فضل قراءة القرآن والاستماع إليه.. وتعلمه وتعليمه.. (وهو) موضوع من أهم المواضيع التى ينبغى علينا كمؤمنين صادقين أن نفوز بثواب المرد منها.. حتى نكون من خير الناس.. كما قال الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: ((**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**))، (وخيركم) فى الحديث أفعل تفضيل بمعنى أخيركم، أى أكثركم نفعًا وأرفعكم منزله.. (**وتعلم**

القرآن) يدخل فيه حفظه وتجويده وإقامة حروفه وإعرابها.. ويدخل فيه كذلك مدارسته وتفهم معانيه، وتدبر آياته، ومعرفة المقاصد الأساسية التى تنزل من أجلها، ومعرفة أحكامه، وحلاله وحرامه.. إلخ.

**(وذلك) لأن القرآن العظيم هو كلام الله الذى نطق به، ثم أنزله وحيًا بواسطة الروح الأمين – وهو جبريل عليه السلام – على قلب عبده ورسوله محمد ﷺ لينذر به من كان حيًّا.. ويحق القول على الكافرين.. وليخرج به الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد.. فلن يتقرب متقرب إلى الله بأحب إليه من قراءة القرآن وتدبره، ومدارسته ثم تعليم ذلك لغيره.. (ولهذا) فإن الحديث الذى وقفنا عليه يحث على تعلم القرآن وتعليمه.

*(وقد) سئل الثورى – رحمه الله – عن الجهاد، وإقراء القرآن.. فرجح الثانى واحتج بهذا الحديث – قاله فى الفتح – (وقال الشرقاوى) : لا ريب أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره، جامع بين النفع القاصر، والنفع المتعدى.

(لا يقال): إن من لازم هذا أفضلية المقرئ على الفقيه.. لأن المخاطبين بذلك كانوا فقهاء الناس إذ كانوا يدرون معانى القرآن بالسليقة أكثر من دراية من بعدهم بالاكتساب.[1]

* (وقد) سمى القرآن كتابًا باعتبار أنه مكتوب بين دفتى المصحف ..وكان النبى ﷺ كلما نزل شىء من القرآن أمر بكتابته.. وهو كذلك مكتوب فى اللوح المحفوظ، وفى صحف السفرة الكرام البررة.

* (واعلم) أن القرآن نزل ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا فى مكان يقال له: بيت العزة على هذا الترتيب الذى نقرؤه فإنه توقيفى.

---

(١) ارجع إلى كل هذا الجزء الثانى من (الترغيب والترهيب) مع الهامش ص ٥٧٥ وما بعدها بتصرف كبير.

ثم نزل على النبى ﷺ فى ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع- والأحداث – لقوله تعالى:﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣] لكن لا على هذا الترتيب، فإنه نزل عليه ثلاثُ وثمانون سورة بمكة، أى قبل الهجرة، وبالمدينة: إحدى وثلاثون على التحقيق .. (فأول) ما نزل بمكة: ﴿اقْرَأْ﴾ وآخر ما نزل بها : قيل (العنكبوت)، وقيل (المؤمنون)، وقيل: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:١] . وأول سورة نزلت بالمدينة: (البقرة)، وآخر سورة نزلت بها (المائدة) .. (وهناك) بعض سور اختلف فيها، منها: (الفاتحة)، ويمكن تكرار نزولها. (وأما) أول آية نزلت على الإطلاق: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ .. وآخر آية على الإطلاق: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] .

** (واعلم) أيضًا: أن القرآن ينقسم إلى أربعة أقسام:

* قسم فيه الناسخ والمنسوخ: وهو خمسة وعشرون سورة،

* وقسم فيه المنسوخ فقط: وهو أربعون سورة،

* وقسم فيه الناسخ فقط : وهو ست سور،

* وقسم لا ناسخ فيه ولا منسوخ: وهو ثلاث وأربعون سورة (وأغلبها) من الربع الأخير.

* (وعدة) حروف القرآن : ألف ألف وخمسة وعشرون ألفًا.. (ودرج) الجنة على قدر ذلك، وبين الدرجتين خمسمائة عام .

* (وعدة) آياته: ستة آلاف وستمائة وستة وستون.

* (ونصفه) بحسب الآيات: قوله تعالى فى سورة الشعراء : ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء:٤٥] .

* (ونصفه) بحسب الحروف: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤] فالنون من النصف الأول والكاف من الثانى.

* (ونصفه). بحسب السور: (الحديد)، (والمجادلة) من النصف الثانى.

* (وعدة) كلماته: سبعة وسبعون ألفًا وأربعمائة وخمسون كلمة.. (وكل)

كلمة لها أربعة علوم: علم بحسب ظاهرها، وعلم بحسب باطنها، وعلم بحسب حدها، وعلم بحسب مقطعها.. (وإن) نظرت إلى تناسبها مع ما قبلها وما بعدها زادت كثيرًا (وترتيب) السور هكذا توقيفى (وأما) وضع أسمائها فى المصاحف وتقسيمها إلى أعشر وأرباع وأثلاث وأجزاء وأحزاب ..(فمن) الحجاج الثقفى بأخذ عن الصحابة فى وضع أسماء السور، باجتهاد منه فى تقسيمه إلى ما ذكر.. ولذلك تجد ابتداء الربع وسط قصة.ا.هـ[1]

** (ومن) أجمل ما قرأت .. عن القرآن الكريم، قول: الدكتور (موريس) الفرنسى فى وصف القرآن:

*(إنه بمثابة ندوة علمية للعلماء، ومعجم لغة للغويين، ومعلم نحو لمن أراد تقويم لسانه، وكتاب عروض لمحب الشعر وتهذيب العواطف، ودائرة معارف للشرائع والقوانين، وكل كتاب سماوى جاء قبله لا يساوى أدنى سورة فى حُسن وانسجام الألفاظ، ومن أجل ذلك نرى رجال الطبقة الراقية فى الأمة الإسلامية يزدادون تمسكًا بهذا الكتاب واقتباسٌ لآياته يزينون بها كلامهم، ويبنون عليها آراءهم، كلما ازدادوا رفعة فى القدر، ونباهة فى الفكر.

ويقول القس (لوازون):

(ليس فى الاكتشافات العلمية الحديثة ولا فى المسائل التى انتهى حلها، والتى تحت الحل ما يغاير الحقائق الإسلامية الوضَّاءة والسهلة المأخذ، ولهذا فإن التوفيق الذى نبذل كل جهدنا معاشر المسيحيين فيه هو سابق موجود فى الديانة الإسلامية).

وواضح أنه يعنى ما هو ثابت فى القرآن من براهين.

** ويقول المؤرخ الإنجليزى الشهير (ولزان):

(إن الديانة الحقة التى وجدتها تسير مع المدنية أنَّى سارت هى الديانة

---

(١) ارجع إلى الجزء الأول من حاشية الصاوى على الجلالين ص٣ بتصرف..

الإسلامية، وإذا أراد إنسان أن يعرف شيئًا عن هذا القرآن فليقرأ القرآن وما فيه من نظريات علمية، وقوانين وأنظمة لربط المجتمع، فهو كتاب علمى، دينى، عملى، اجتماعى، تهذيبى، خُلُقى، تاريخى، أكثر أنظمته وقوانينه تستعمل فى وقتنا الحالى، وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة). (نعم):

هذا هو القرآن نبراس الهدى ... دستورك الأسمى المنير المشرق

آياته نبع العلوم جميعها ... من قال لا فهو الغبى الأخرق

علم الطبيعة والحياة وحكمة الـ ... إيجاد من تبيانه تتدفق

وسياسة الدنيا بأقوم شرعة ... بين الورى بسواه لا تتحقق

فيه القضاء لحل كل قضية ... عن حلها أهل السياسة أخفقوا

**ولهذا، فـ:

نحن نبغى القرآن علمًا وفهمًا ... يخلق الكمال فى الشبان

نحن نبغى القرآن لفظًا ومعنى ... فهو صقل الحجا وصقل اللسان

نحن نبغى القرآن دينًا ودنيا ... يتجلى فى هديه الحسنيان

نحن نبغى القرآن فى معهد الدر ... س وفى كل منزل ومكان

* (فإذا) كان هذا هو القرآن الكريم.. وإذا كانت تلك هى بعض أسراره اللفظية والمعنوية.. (فإنه) من الخير لنا أن نتعلمه، ونعلمَّه.. وأن نكون على صلة به.. بالقراءة، والاستماع.. والتدبر فى كل حرف من حروفه.. حتى نفهم المراد منه.. وحتى نكون إن شاء الله تعالى من المتقين الذين أشار الله تعالى إليهم فى قوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٢-٥].

**(بل) ومن المؤمنين المبشرين فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٩].

**(وقد) ورد فى السنة الشريفة الترغيب فى قراءة القرآن، ومدارسته.. وحفظه.. وتجويده:

*(فعن) عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق له أجران**))

وفى رواية: (**والذى يقرؤه، وهو يشتد عليه**[1] **له أجران**) رواه البخارى ومسلم واللفظ له، وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه.

(قال) النووى: (السفرة جمع سافر ككاتب وكتبة، والسافر الرسول، والسفرة الرسل لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله، وقيل: السفرة الكتبة والبررة المطيعون من البر وهو الطاعة، والماهر الحاذق الكامل الحفظ الذى لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه.

(قال) القاضي: يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أن له فى الآخرة منازل يكون فيها رفيقا للملائكة السفرة لاتصافه بصفتهم من حمل كتاب الله تعالى.

(قال) : ويحتمل أن يراد به أنه عامل بعملهم، وسالك مسلكهم.

(وأما) الذى يتتعتعُ فيه فهو الذى يتردَّد فى تلاوته لضعف حفظه فله أجران أجر بالقراءة، وأجر بتعتعته فى تلاوته ومشقته.

(قال) القاضى وغيره من العلماء: وليس معناه أن الذى تتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به، بل الماهر أفضل وأكثر أجرًا، لأنه مع السفرة وله أجور كثيرة، ولم يذكر هذه المنزلة لغيره. وكيف يلحق به من لم يعتن بكتاب الله تعالى وحفظه وإتقانه وكثرة تلاوته وروايته كاعتنائه حتى مهر فية والله أعلم) ا.هـ[2] .

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**يجىء صاحب القرآن**

(١) أى تثقل عليه القراءة لعدم حفظه وإتقانه، أو لأن لسانه غير عربى.

(٢) هامش الجزء الثانى من (الترغيب والترهيب) ص ٥٨٢. بتصرف .

يوم القيامة، فيقول القرآن: يارِبِّ حلِّه.. فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يارب زده.. فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول يارب ارض عنه، فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارقَ، ويزاد بكل آية حسنة)). رواه الترمذي، وحسنه ابن خزيمة، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

* (وعن) عبد الله بن عمرو بن العاص ﭬ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق، ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها**)). رواه الترمذى، وأبو داود، وابن ماجه، وابن حبان فى صحيحه، وقال الترمذى حسن صحيح.

(وعن) أبى أمامة الباهلى ﭬ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**)) (1) الحديث رواه مسلم.

* (وعن) ابن عمر ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لا حسد (2) إلا فى اثنتين: رجلٍ آتاه الله هذا الكتاب، فقام به آناء الليل وآناء النهار (3)، ورجل أعطاه اللهُ مالًا فتصدق به آناء الليل وآناء النهار (4)**)) .

** (هذا) وإذا كنا إن شاء الله تعالى سنكثر من تلاوة القرآن حتى نفوز بالثواب الذى وقفنا على بعضه.. (فإننى) أذكِّر الأخوة المستمعين ببعض السور القرآنية التى ورد الترغيب فى قراءتها بصفة خاصة ، والتى منها:

سورة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة

* فعن ابن عباس ﭬ قال: بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبى ﷺ سمع نقيضًا من فوقه فرفع رأسه، فقال: ((**هذا باب من السماء فتح لم يفتح قطّ إلا اليوم فنزل منه ملكٌ ، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قطّ إلا**

---

(١) يعنى لأهله الذين يعملون بما فية.

(٢) المراد به الغبطة..

(٣) أى ساعات الليل وساعات النهار.. يعنى أنه واظب على قراءته.

(٤) يعنى أنه كان دائم البذل والإنفاق فى كل ما يحبه الله عن رجل.

اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك: **فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته))** رواه مسلم والنسائى، وقال: صحيح على شرطهما.

** (وكذلك) ورد الترغيب فى:

سورة البقرة وآل عمران

* (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**لا تجعلوا بيوتكم مقابر** (١) **إن الشيطان يفرُّ من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة**)) (٢). رواه مسلم والنسائى والترمذى.

* (وعن) النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: ((**يؤتى بالقرآن يوم القيامة، وأهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا، تقدمه سورة البقرة وآل عمران**))، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: ((**كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شِرْقٌ** (٣) **، أو كأنهما فرقان من طير صوافَّ يحاجَّان عن صاحبهما**)) رواه مسلم والترمذى، وقال: حديث حسن غريب.

* (وعن) ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه مرفوعًا: ((**تعلموا البقرة، وآل عمران فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيابتان، أو فرقان من طير صواف**)) رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

** (كما) ورد الترغيب فى:

(قراءة آية الكرسى)

* (فعن) أُبى بن كعب رضي الله عنه أن أباه أخبره أنه كان لهم جرين (٤) **فيه تمر**، وكان مما يتعاهد (٥) فيجده ينقص فحرسه ذات ليلة، فإذا هو بدابة كهيئة

---

(١) المعنى لا تجعلوا بيوتكم كالأماكن الخربة المهجورة لخلوها من الذكر وقراءة القرآن.

(٢) وفى رواية: ((**فإن البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان**)).

(٣) هو بكسر فسكون: الضوء الذى يدخل من شق الباب.

(٤) هو موضع تجفيف التمر.

(٥) يعنى يتفقده من حين لآخر.

الغلام المحتلم [1] ، قال: فسلم فرد عليه السلام، فقلت: ما أنت، جن أم إنس؟ قال: جن، فقلت ناولنى يدك. فإذا يد كلب، وشعر كلب، فقلت: هذا خلق الجن [2] .

فقال: لقد علمت الجن أن فيهم من هم أشد منى، فقلت: ما يحملك على ما صنعت [3] ؟ قال: بلغنى أنك تحب الصدقه فأحببت أن أصيب من طعامك، فقلت: ما الذى يحرزنا منكم [4] قال: هذه الآية ، أية الكُرسى . قال: فتركتهُ ، وغدا أبى إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال «**صدق الخبيث**»[5] . رواه ابن حبان فى صحيحه وغيره.

* (وعن) أُبى بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم ؟**» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، **قال** : «**يا أبا المنذر** [6] **أى آية من كتاب الله معك أعظم ؟**» [7] قلت : الله لا إله إلا هو الحى القيوم. قال: فضرب فى صدره وقال : «**ليهنك** [8] **العلم أبا المنذر**» رواه مسلم وأبو داود ورواه أحمد وابن أبى شيبة فى كتابه بإسناد مسلم وزاد: «**والذى نفسى بيده: إن لهذه الآية لسانًا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش**»

* (كذلك) ورد الترغيب فى:

---

(١) يقال: احتلم إذا أدرك وبلغ مبلغ الرجال .

(٢) يعنى أهذه خلقة الجن كلهم أم الضعيف منهم.

(٣) يعنى من سرقة التمر.

(٤) يعنى يحفظنا من شركم وأذاكم.

(٥) أى فى جوابه لأبي.

(٦) هى كنية أبى رضي الله عنه .

(٧) وفى رواية: « أى آية فى كتاب الله أعظم» يعنى :أكثر فضلا واشتمالا على المعانى السامية والمقاصد الشريفة، وأكثر ثوابًا لقارئها .

(٨) وهذا علامة الرضا والإعجاب.. وهنأه بما وصل إليه من علم الكتاب .

قراءة سورة الكهف أو عشر من أولها أو عشر من آخرها

* (فعن) أبى الدرداء رضي الله عنه أن نبى الله ﷺ قال: ((من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف [1] **عصم من الدجال** [2])) رواه مسلم واللفظ له، وأبو داود النسائي، وعندهما: ((**عُصم من فتنة الدَّجَّال**))، وهو كذا فى بعض نسخ مسلم.

وفى رواية لمسلم وأبى داود: من آخر سورة الكهف [3] وفى رواية للنسائى: ((**من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف**)).

ورواه الترمذى ولفظه: ((**من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنه الدجال**)).

** قال النووى: (قيل سبب ذلك ما فى أولها من العجائب والآيات .. فمن تدبرها لم يفتن بالدجال.. وكذا فى آخرها قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِى مِنْ دُونِى أَوْلِيَاءَ﴾ [الكهف: ١٠٢] .

* **وعن أبى سعيد الخدرى** رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: ((**من قرأ الكهف كما أنزلت** [4] **كانت له نورًا** [5] **يوم القيامة من مقامه إلى مكة** [6] **ومن قرأ عشر آيات من آخرها، ثم خرج الدجال لم يسلط عليه** [7]، **ومن توضَّأ ثم قال: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك: كُتب فى رقٍّ،** [8] **ثم طبع بطابع، فلم يكسر إلى يوم القيامة**)) رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.

---

(١) أى من قوله تعالى: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ .

(٢) وذلك لما فى أولها من العجائب والآيات.

(٣) أى من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ إلى أخر السورة.

(٤) يعنى بقراءة مع التجويد والتحسين .

(٥) أى يضىء بين يديه فى عرصات الموقف وعلى الصراط.

(٦) يعنى امتداد هذا النور يكون بقدر المسافة بين المكان الذى قرأها فيه وبين مكة.

(٧) أى لم يتمكن من فتنته والتلبيس عليه.

(٨) هو بالفتح أى بفتح الراء: الجلد الذى يكتب فيه.

** (وكذلك) ورد الترغيب فى:

قراءة سورة يس

* (فعن) معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**قلب القرآن يس**[1]، **لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له، اقرءوها على موتاكم**))[2].
رواه أحمد وأبو داود والنسائى واللفظ له، وابن ماجه والحاكم وصححه.

(وعن) جندُب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له**)). رواه مالك، وابن السنىِّ، وابن حبان فى صحيحه.

** (وكذلك) ورد الترغيب، فى:

قراءة سورة تبارك الذى بيده الملك

*(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: ((**إن سورة فى القرآن ثلاثين آية شفعت لرجل حتى غفر له**[3]، **وهى تبارك الذى بيده الملك**[4])) رواه أبو داود والترمذى وحسنه واللفظ له، والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

* (وعن) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: يؤتى الرجل فى قبره فتؤتى رجلاه، فتقول: ليس لكم على ما قبلى سبيل[5]، كان يقرأ سورة الملك[6]، ثم يؤتى من قبل صدرة، أو قال: بطنه، فيقول: ليس لكم على ما قبلى سبيل، كان يقرأ فى سورة الملك، ثم يؤتى من قبل رأسه، فيقول: ليس لكم على ما قبلى

---

(١) أى أنها بمنزلة القلب للحيوان.

(٢) لبس المراد بهم الذين ماتوا بالفعل وقبروا.. ولكن المراد بهم الذين احتضروا.. فإذا قرئت عندهم سورة يس هَوَّن الله بها عليهم سكرات الموت وغمراته.

(٣) يعنى أن هذا الرجل كان يكثر من قراءتها فلما مات شفعت له عند الله أن يمحو عنه ذنوبه وخطاياه، فاستجاب الله شفاعتها فيه وغفر له بسببها.

(٤) يعنى وهى السورة التى أولها: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾.

(٥) يعنى تأتيه الملائكة الموكلون بعذاب أهل القبور.

(٦) أى ليس لكم طريق إلى تعذيب ما هو قبلى أى جهتى وناحيتى.

سبيل، كان يقرأ فى سورة المُلك، فهى المانعة تمنع عذاب القبر، وهى فى التوراة سورة الملك [1]، من قرأها فى ليلة فقد أكثر وأطيب [2]. رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وهو فى النسائى مختصر.

(من قرأ تبارك الذى بيده الملك، كل ليلة منعه الله عز وجل بها من عذاب القبر، وكنا فى عهد رسول الله ﷺ نسميها المانعة، وإنها فى كتاب الله عز وجل سورة من قرأ بها كل ليلة فقد أكثر وأطاب).

** (كما) ورد كذلك الترغيب، فى:

(قراءة إذا الشمس كورت وما يذكر معها)

* (فعن) ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى العين [3] فليقرأ: إذا الشمس كورت [4]، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت**[5]))[6]. رواه الترمذى وغيره.

** (وكذلك) ورد الترغيب في:

(قراءه إذا زلزلت .. وما يذكر معها)

* (فعن) ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إذا زلزلت تعدل نصف القرآن،** [7] **وقل هو الله أحد: تعدل ثلث القرآن** [8]، **وقل يا أيها الكافرون: تعدل ربع القرآن**)) [9] رواه الترمذى والحاكم .. وقال الحاكم

---

(١) يعنى أنها مسماة فى التوراة بهذا الاسم.

(٢) أى فقدم خيرًا كثيرًا طيبًا .

(٣) يعنى كأنه يراه ويشاهده بعينه .

(٤) يعنى جمعت وضم بعضها إلى بعض كما تكور العمامة.

(٥) يعنى انشقت وتصدعت.

(٦) يضيء فليقرأ هذه السور الثلاث التى عنوان لكل سورة منها بأول آية فيها .

(٧) يعنى أن قراءتها تساوى فى الثواب قراءة نصف القرآن.

(٨) وذلك لاشتمالها إجمالًا على عقائد القرآن .

(٩) وذلك لما فيها من البراءة من الكفار وعبادتهم .

صحيح الإسناد.

** (وكذلك) ورد الترغيب، في:

(قراءة ألهاكم التكاثر)

* (فعن) ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((**ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية كل يوم؟ قالوا: ومن يستطيع ذلك ؟ قال: أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر**)) رواه الحاكم..

** (وكذلك) ورد الترغيب ، في:

(قراءة قل هو الله أحد)

* (فعن) أبي هريرة رضي الله عنه قال: أقبلت مع رسول الله ﷺ فسمع رجلًا يقرأ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۞ اللَّهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾. فقال رسول الله ﷺ: ((**وجبت**))، فسألتهُ: ماذا يا رسول الله؟ فقال: ((**الجنة**))، فقال أبو هريرة: فأردت أن أذهب إلى الرجل فأبشره، ثم فرِقت أن يفوتني الغداء [1] مع رسول الله ﷺ، ثم ذهبت إلى الرجل فوجدته قد ذهب. رواه مالك، واللفظ له والترمذي.. وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

* (وعن) عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلا عل سرية [2]، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم: بقل هو الله أحد [3]، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: ((**سلوه لأى شيء يصنع ذلك** [4] **؟ فسألوه**)) فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: ((**أخبروه أن الله يحبه**)) رواه البخاري ومسلم.

---

(١) **فرقت بكسر الراء**: أي خفت.

(٢) وهي القطعة من الجيش أو الجيش الصغير، وتسمى الكتيبة أيضًا.. وهي في العادة نحو ٤٠٠ جندي.

(٣) يعني بعد أن يقرأ السورة يختم القراءة بـ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ .. ثم يركع.

(٤) يعني ما الذي دعاه إلى أن يفعل ذلك.

** (وكذلك) ورد الترغيب، فى:

(قراءة المعوذتين)

* (فعن) عقبة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((**ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن: قل أعوذ**[1] **برب الفلق**[2] **وقل أعوذ برب الناس**)) رواه مسلم والترمذى والنسائى وأبو داود ولفظه: قال:كنت أقود برسول الله ﷺ فى السفر، فقال ((**يا عقبة : ألا أعلمك خير سورتين قرئتا**)) فعلّمنى : قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس.. فذكر الحديث.

وفى رواية لأبى داود، قال :بينا أنا أسيرُ مع رسول الله ﷺ بين الجحفه والأبواء[3] إذ غشيتنا ريح وظلمة شديدة، فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ بأعوذ برب الفلق، وأعوذ برب الناس، ويقول: ((**يا عقبة تعوذ بهما، فما تعوذ متعوذ بمثلهما**)) قال: وسمعته يؤمنا بهما فى الصلاة.

* قال فى (هامش الترغيب والترهيب) ج٢ ص ٦٥٢:

* (وذلك) ولأن هاتين السورتين قد اشتملتا على كل ما يستعاذ بالله منه، مما يتوقع شره وأذاه.

(ففى) السورة الأولى يأمر الله نبيه أن يقول: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، أى ألتجئ إليه وأحتمى به وأتحصن ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أى : من شر كل ما فيه شر من خلقه، فهى جملة عامة تتناول كلَّ شرّ من أى مخلوق، كما فى الحديث: ((**أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته**)) ثم عطف على ذلك بعض الشرور الخاصة من باب عطف الخاص على العام، فقال: ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا

---

(١) **أعوذ** : أى ألتجئ وأتحصن .

(٢) **الفلق**: أى الصبح .

(٣) **الجحفة**: هى ميقات أهل الشام، كانت تسمى مهيعة، وهى بلدة شديدة الوباء، وقد دعا رسول الله ﷺ بنقل حمَّ المدينة إليها.. وأما الأبواء ، فهى قرية بين مكة والمدينة تنسب إلى جبل هناك بهذا الاسم.

وَقَبَ﴾ أى : ومن شر الليل إذا أقبل بظلمته فغطى الأشياء ولا شك أن الليل مسرح لكثير من المؤذيات التى تجدُ فى ظلمته ستارًا تعمل تحته وتصيبُ من تصادفه ففيه تخرج الهوام [1] والسباع واللصوص، وقطاع الطرق، ومردة الجن، و غير هؤلاء، ثم قال: ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ والمراد بهم السحرة الذين يعقدون فى سحرهم عقدًا يتلون عليها رقى وعزائم، ثم ينفثون فيها من ريقهم، والنفاثات جمع نفاثة، وهى صيغة مبالغه كعلامة.. والمراد الكثير النفث، أو المراد بها نفوس السحرة، ثم قال: ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، ولا شك أن الحاسد وقد أكل قلبه الغيظ على المحسود يجتهد ما وسعه الجهد فى إزالة النعمة عنه.

* (وفى) السورة الثانية يأمره سبحانه وتعالى أن يتعوذ برب الناس ومليكهم وإلههم معبودهم من شر كلٍّ وسواس خنَّاس من الجنَّة والناس

(وعلى) الجملة، فهاتان السورتان العظيمتان لم تدعا شيئًا مما ينبغى أن يستعاذ منه إلا ذكرتاه إما تعيينًا وإما دخولا فى العموم ا.هـ.

** (فعلى) الإخوة المستمعين أن ينتفعوا بكل هذا التذكير المتعلق بالقرآن وقراءته.. (وعلى) كل واحد منهم أن يجعل من كل هذا التذكير الذى استمع إليه أخيرًا.. وردًا يوميًّا خاصًّا له حتى يفوز بكل هذا الخير الذى وقف عليه قرين كل ترغيب.. (وعليهم) جميعًا كذلك أن يحسنوا الاستماع إلى القرآن الكريم كالجن الصالح الذين أشار الله تعالى إليهم فى سورة الأحقاف.. فى قوله تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه:

*﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾[الأحقاف: ٢٩] أى : أرسلنا إليك يا محمد جماعة من الجن يستمعون القرآن منك﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾[الأحقاف: ٢٩] أى فحين حضروا مجلسك وأنت تقرأ القرآن قال بعضهم لبعض على سبيل النصح: اسكتوا حتى نسمع بأناة وخشوع﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾

---

(١) الهوام: أى الثعابين والعقارب..إلخ .

[الأحقاف: ٢٩] أى فحين انتهى الرسول ﷺ من قراءته انصرفوا إلى قومهم..
﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى[1] مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ[2] يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣٢] أى : ومن لا يجب داعى الله فلن يستطيع الهرب من عقابه..

* * (فلنكن) جميعًا كهؤلاء الجن الصالح فى حسن الاستماع إلى القرآن..
لأن الله تعالى يأمرنا بهذا فيقول: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤] .

(وقد) ورد كذلك فى الحديث الشريف ((**إن الله يحب الصمت عند ثلاث: عند قراءة القرآن، وعند تشييع الجنازة، وعند الزحف**)).

والله أسأل أن ينفعنا بالقرآن تلاوة، واستماعًا، وتدبُّرًا .. (وأن) يجعله حجَّة لنا لا علينا .. فى الدنيا والآخرة.

اللهم أمين

(١) ولم يقولوا : أنزل من بعد عيسى.. لأنهم كانوا من أتباع موسى.. وقيل: لأن الإنجيل كان مكملًا للتوراة.

(٢) التفسير من التفسير الميسر لفضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر .

(٣٧) خطبة أو درس

حول الترغيب فى التسبيح.. من خلال قصة سيدنا يونس عليه السلام..

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل عن سيدنا يونس عليه السلام: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣، ١٤٤] وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: ((**كلمتان خفيفتان على اللسان** [١] **ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن** [٢]**سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**)) متفق عليه.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المسبحين المهللين والمكبرين الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات.. فى الغدو والآصال [٣] فكانوا هداة مهديين وقادة منتصرين.. وكانوا رجالًا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله:﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)؛؛

فيا جماعة المسلمين، يا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه.. (فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تعالى وتوفيقه.. (رأيت) أن يكون لقائى معكم حول الذكر بصفة عامة وحول التسبيح بصفة خاصة .. (وذلك) من خلال قصة سيدنا يونس عليه السلام الذى قال الله تعالى عنه: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ

---

(١) لسهولة جريانها.

(٢) أى محبوب قائلها، وهن الباقيات الصالحات.

(٣) أى فى أول النهار وآخره.

الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ .. (وإذا) كان لنا أن نبدأ فى شرح المراد من هذه الآية الكريمة .. (فإنه) ينبغى علينا أن نعرف أولًا القصة من أولها إلى آخرها.. حتى نتعظ بها ونتفكر فى أسرارها.. كما يشير الله تعالى إلى هذا فى قوله للحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه:

* ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦] .

(والخلاصة) التى نريد أن نقف عليها.. هى أن سيدنا يونس عليه السلام.. كان الله تبارك وتعالى قد أرسله إلى قومة لكى يبلغهم دعوة الله تبارك وتعالى التى أرسل بها جميع الرسل، وهى المشار إليها فى قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ولكنهم لم يستجيبوا له.. ولم يؤمنوا بدعوته.. بل وأعرضوا عنه إعراضًا كاملًا .. (ففكر) سيدنا يونس فى أن يتركهم ويذهب إلى أى ميدان آخر علَّه: يجد هناك من يستجيب له ويؤمن بدعوته.. (وفعلًا) وبدون تردد فى هذا التفكير.. انطلق إلى الشاطئ وانتظر هناك حتى مرت سفينة.. فنادى قائدها بأعلى صوته، وطلب منه أن يميل إليه بسفينته على الشاطئ حتى يأخذه معه إلى الشاطئ الآخر مقابل أجر فيميل إليه صاحب السفينة بسفينته فيركب سيدنا يونس ويأبى صاحب السفينة أن يأخذ منه أجرًا .. عندما رأى الصلاح متجسمًا على وجهه .. (وتتحرك) السفينة بعد ذلك حتى تكون فى منتصف اليم .. (وهناك) تكاد أن تغرق .. فيلقى من فيها ببعض أمتعتهم فى اليم حتى: يخف الحمل .. (ولكن) السفينة كانت لا تزال مهددة بالغرق.. (فيفكر) من فيها فى حل ينقذهم من هذا الهلاك الذى أوشك أن يكون حقيقة.. (وبعد) تفكير سريع اتفقوا على أن يلقى بأحدهم فى اليم حتى يكون فداء للباقين.. ولو على سبيل القربان لله رب العالمين.. ولكن يفعلوا هذا وبدون ظلم لهذا الذى سيلقى فى اليم استهموا أى اقترعوا كما يقول الله تعالى فى قرآنه [1] .. فكانت القرعة من نصيب سيدنا يونس .. فقالوا: كيف نجود

---

(١) كما تشير الآية رقم ١٤٠ ، ١٤١ من سورة الصافات .

بهذا الرجل الصالح الذى أبينا أن نأخذ منه أجرًا.

(ولهذا) أعادوا الاقتراع مرة أخرى .. بل وثالثة .. فكانت القرعة أيضا من نصيب سيدنا يونس.. وعندما أرادوا بعد ذلك أن يعيدوها مرة رابعة وخامسة.. منعهم من هذا .. وهو يقول لهم: لا تعيدوها فوالله لو أعدتموها ألف مرة لخرجت علىَّ .. (لأنه) قد تبين له من خلال كل هذا الذى حدث أمامه.. أنه هو المقصود بهذا الابتلاء.. لأنه كان ينبغى عليه أن يصبر ويتريث حتى يؤذن له بالهجرة إلى أى ميدان آخر.. ولهذا استسلم لقضاء الله تبارك وتعالى حتى ألقى به فى اليم وكان الله تبارك وتعالى قبل ذلك قد أمر الحوت بأن يتحرك ويسير بجوار السفينة حتى إذا ما ألقى بسيدنا يونس التقمه الحوت برفق وكان الله تعالى قد أوصاه كذلك بأن لا يستعمل معه أسنانه.. (فكان) الحوت فعلًا نعم المكلف.. ولهذا عندما ألقى بسيدنا يونس التقمه الحوت برفق ثم غاص به فى أعماق البحر ثم يطوف .. وسيدنا يونس فى كل أحيانه يسبح الله تبارك وتعالى.. وإلى هذا يشير الله تبارك وتعالى فى قولة: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣، ١٤٤].. (ويظل) سيدنا يونس عليه السلام فى بطن الحوت [١] إلى أن ألهمه الله تعالى بكلمات قالهن كانت سببًا فى نجاته.. بل ونجاة كل من يتشبه به من المؤمنين.. إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. وإلى هذا يشير الله تبارك وتعالى فى قوله: ﴿ وَذَا النُّونِ[٢] إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا[٣] فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ[٤] أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ[٥] سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ[٦] * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ

---

(١) قيل: المدة أربعين يومًا، أو سبعة أيام، أو ثلاثة، أو أربع ساعات. وكان الله تعالى قد أوحى إلى ذلك الحوت لا تأكل له لحمًا ولا تهشم له عظمًا، فإنه ليس رزقًا لك، وإنما جعلتك سجنا له.

(٢) لقب ليونس وجمعه أنوان ونينان وهو أسم للحوت كبيرًا أو صغيرًا

(٣) أى لقومه.. لا لربه.. لأن خروجه باجتهاد منه..

(٤) وهى ظلمة الليل، وظلمة البحر، ظلمة بطن الحوت .

(٥) أى بتلك الكلمات .

(٦) أى من كربهم إذا استغاثوا بنا داعين .

﴿نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧، ٨٨] (وحاصل) ذلك أنه حين غاضب قومه لما ينزل بهم العذاب الذى توعدهم به – وكان قد ظن أنه إن بقى بينهم قتلوه .. لأنهم كانوا يقتلون كل من ظهر عليه كذب– خرج فركب سفينة فسارت قليلًا ثم وقفت فى لجة البحر.. فقال الملاحون هنا عبد آبق – أى هارب – من سيده تظهر القرعه.. فضربوها– أى القرعة– فخرجت على يونس فألقوه فى البحر.. فابتلعه الحوت وهو آت بما يلام عليه من ذهابه للبحر وركوبه إياه، فدعا ربه بالدعاء الذى استمعنا إليه– فألقاه الحوت بأمر الله تعالى بالساحل ضعيفًا.. (وفى) سورة الصافات يشير الله تعالى إلى ما بعد هذا [1] فيقول: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ المرسلين إِذْ أَبَقَ [2] إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُون. فَسَاهَم [3] فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِين فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ [4] فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون﴾[الصافات: ١٣٩، ١٤٤] [5] ﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾ أي: ألقيناه من بطن الحوت ﴿الْعَرَاءِ﴾ بوجه الأرض، أى بالساحل من يومه أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام، أو عشرين أو أربعين يومًا ﴿وَهُوَ سَقِيم﴾أى عليل كالقرع الممعط.. أى المنتوف شعره ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِين﴾ وهى الفرع تظله بساق على خلاف العادة فى الفرع معجزة له [6] .. (وكانت) تأتيه (وعلة) أى غزالة .. صباحًا ومساءً فيشرب من لبنها حتى قوى فرجع إلى قومه فآمنوا به جميعًا .. قال تعالى بعد ذلك: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ﴾ أى بعد ذلك كقبله إلى قوم نينوى من أرض الموصل ﴿إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ أى عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفًا ﴿فَآمَنُوا﴾ أى: عند معاينتهم العذاب الموعودين به ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾ أى أبقيناهم ممتعين. بمالهم ﴿إِلَى

---

(١) بل وما قبل هذا.

(٢) أى هرب.

(٣) أى قارع أهل السفينة.

(٤) أى المغلوبين بالقرعة .

(٥) أى لصار بطن الحوت قبرًا له إلى يوم القيامة.

(٦) وخص بذلك لأنه بارد الظل لين الملمس كبير الورق لا يعلوه الذباب.. (قيل) : كانت شجرة التين ، وقيل : شجرة الموز تغطى بورقه واستظل بأوراقه، وأفطر على ثماره.

حِينٍ﴾[1] أى إلى وقت تنقضى آجالهم فيه .

* (والذي)نريد أن نعود إليه الآن هو الدعاء الذى دعا به سيدنا يونس ربه وهو فى بطن الحوت .

(فقد) ورد أنه دعاء عظيم جدًّا لاشتماله على التهليل والتسبيح والإقرار بالذنب.

(فقد) ورد: (عن) سعد بن أبى وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**دعوة ذى النون**[2] **إذ دعاه وهو فى بطن الحوت**[3]**. لا إله ألا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين**[4] **. فإنه لم يدع بها رجل مسلم**[5] **فى شىء قط إلا استجاب الله له**)) رواه الترمذى واللفظ له، والنسائى والحاكم[6] ،وقال: صحيح الإسناد.

وزاد فى طريق عنده: فقال رجل: يا رسول الله: هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة؟ فقال رسول الله ﷺ: ((**ألا تسمع إلى قول الله عز وجل:** ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾)) [الانبياء: ٨٨] .

* (وأحب) كذلك أن أشير إلى ملاحظة هامة.. وهى أن النبى صلوات الله وسلامه عليه.. كان قد انتفع بهذا الدرس القرآني. (لأنه) فى يوم ما..كان قد فكر فى الهجرة إلى يثرب –بعد أن رأى من أهل مكة ما رأى–فأمره الله تبارك وتعالى بأن يصبر ويتريث حتى يؤذن له بالهجرة..(بل) قال الله تعالى له صراحة: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ...﴾ [القلم: ٤٨] ، وفعلًا صبر لحكم ربه.. كما صبرَ أولوا العزم من الرسل[7] بل وأكثر..إلى أن اتفق الكفار على قتله..

---

(١) التفسير من حاشية الصاوى على الجلالين بتصرف كبير.

(٢) يعنى صاحب النون وهو الحوت.. المراد به يونس عليه السلام.

(٣) أى فى جوفه.

(٤) وهذا أفضل ما يقدمه الداعى بين يدى دعائه.

(٥) أى يجعلها فى مقدمة دعائه.

(٦) وكذلك رواه الإمام أحمد.

(٧) وهم: رسول الله ﷺ ، وسيدنا إبراهيم، وسيدنا موسى، وسيدنا عيسى، وسيدنا نوح عليهم السلام.

(فأنزل) الله تعالى عليه قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠] أى: هم يدبرون، والله تعالى فوق تدبيرهم.. (فكان) إيذانًا لرسول الله ﷺ بالهجرة إلى يثرب- التى سميت بعد ذلك بالمدينة المنورة.. بعد ما نورها الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.. (ونحن) كذلك نريد أن ننتفع بهذا القصص القرآنى الذى أشار الله تعالى إلى الهدف الأساسى منه فقال مخاطبًا حبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:١٢٠].

** (ثم) هناك تذكير آخر لا بد وأن ننتفع به.. ألا وهو:

الترغيب فى ذكر الله تبارك وتعالى بصفة عامة..

** (وذلك) لأن الذكر بصفة عامة..هو طب القلوب ودواؤها، وعافية الأبدان وشفاؤها، ونور الأبصار وضياؤها.. به تطمئن القلوب، وتنفرج الكروب، وتغفر الخطايا والذنوب.. (ولهذا) أمر الله به، وحث عليه، ورغب فيه، ومدح أهله.. فقال تعالى :

* ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] وقال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦] وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠] .

** كما ورد كذلك فى السنة الشريفة ما يرغب فيه :

* (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر: أحب إلى مما طلعت عليه الشمس**[1])) رواه مسلم .

* (وعنه) أن رسول الله ﷺ قال: ((**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمدُ وهو على كل شىء قدير، فى يوم مائه مرة كانت له عدل**

---

(١) كناية عن الدنيا .

عشر رقاب [1] **وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا** [2] **من الشيطان يوكله ذلك حتى يمسى ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر** [3] **منه**))، وقال :((**من قال: سبحان الله وبحمده، فى يوم مائه مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد** [4] **البحر**)) متفق عليه.

* (وعن) أبى ذرﷺ : قال : قال رسول اللهﷺ : ((**ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟ إن أحب الكلام إلى الله : سبحان الله وبحمده**)) رواه مسلم.

* (هذا)، مع ملاحظة، ما ورد: (عن) أبى سعيد الخدرىﷺ قال: خرج معاويةﷺ على حلقة فى المسجد، فقال: ما أجلسكم ؟

قالوا : جلسنا نذكر الله، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟

قالوا: ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم،وما كان أحدٌ بمنزلتى [5] من رسول اللهﷺ أقل عنه حديثًا مني: إن رسول اللهﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: ((**ما أجلسكم؟**)) قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومن به علينا قال: ((**آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟**)) قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: ((**أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله يباهى** [6] **بكم الملائكة..**)) رواه مسلم.

** (فلنكن) نحن كذلك إن شاء الله من الذين يباهى الله بنا ملائكته.. لحرصنا على ذكر الله تعالى وحرصنا على حضور مجالس الذكر.. التى ينبغى أن تكون مجالس ذكر صحيح لا تحريف فيها ولا تخريف ولا رقص ولا طبل

---

(١) أى فى ثواب عتقها.

(٢) أى حصنًا.

(٣) أى زاد على المائة .

(٤) أى رغوته.

(٥) أى بمكانتى وقربي.. لكون أخته أم حبيبة أم المؤمنين ولتآلف النبىﷺ له لما علم فيه من السر الإلهى المصون .

(٦) أى يفاخر ويعاظم .

ولا زمر.. كما يحدث من جانب بعض هؤلاء الذين يزعمون أنهم يذكرون .. وهم فى الحقيقة كما أشرت يرقصون .. ويشوشون ..

(بل) وينبغى أن تكون مجالس الذكر هذه.. مجالس علم نافع.. (فقد) ورد فى حديث رواه مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «.. **ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة،و ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده..**».

والله ولى التوفيق

(٣٨) خطبة أو درس

حول الترغيب فى الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، والترغيب فى التقوى والقول السديد.. وذلك من خلال الآية ٥٦ ، ٧٠ ، ٧١ من سورة الأحزاب

الحمد لله القائل ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: ((**من صلى عليّ صلاةً واحدةً صلى الله عليه عشرًا**)) رواه مسلم ، وأبو داود، والنسائى، والترمذى، وابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين كانوا يكثرون من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ على أساس من الحب الصادق له.. فكانوا هداة مهديين، وقادة منتصرين، وكانوا رجالًا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[النور: ٣٧،٣٨] .

(أما بعد)؛؛

فيا جماعة المسلمين، يا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه.. (فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى وتوفيقه.. (رأيت) أن يكون لقائى معكم حول ثلاث آيات من سورة الأحزاب.. فى الآية الأولى وهى رقم ٥٦ يقول الله تبارك وتعالي: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦] وفى الآيتين الثانية والثالثة، وهما رقم ٧٠ ، ٧١ يقول الله تبارك

وتعالى فيها:

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠،٧١].

** (وقد) يسأل الإخوة المستمعون (عن) العلاقة بين الآية الأولى، والآيتين الأخرتين.. (فأقول لهم): إن العلاقة هذه ستظهر فيما بعد.. بعد أن نقف على تنفيذ الأمر المراد من الآية الأولى.. التى لا بد وأن نفهمها فهمًا جيدًا.. حتى نكون أهلًا لتنفيذ هذا المراد وهو الإكثار من الصلاة والسلام على الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى يقول:

* ((إن أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىَّ صلاةً)) رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه.. عن ابن مسعود ﷺ.

** (وحتى) لا أطيل عليكم فى هذا التقديم إليكم شرح المراد من الآية الأولى:

* (فلقد) قال فى حاشية الصاوى على الجلالين: هذه الآية فيها أعظم دليل على أنه ﷺ مهبط الرحمات وأفضل الخلق على الإطلاق، إذ الصلاة من الله على نبيه رحمته المقرونة بالتعظيم، ومن الله على غير النبى مطلق الرحمة، لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣] وملائكته فانظر الفرق بين الصلاتين والفضل بين المقامين (ثم) إن معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، تقديره أن الله يصلى وملائكته يصلون.. وهذا هو الأتم لتغاير الصلاتين.. والمراد بالملائكة جميعهم.. والصلاة من الملائكة الدعاء للنبى بما يليق به، وهو الرحمة المقرونة بالتعظيم.. وحينئذ فقد وسعت رحمة النبى كل شىء تبعًا لرحمة الله فصار بذلك مهبط الرحمات ومنبع التجليات..(ثم) إذا كان الله تبارك وتعالى يقول بعد ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فإن المراد: أى ادعو له بما يليق به.. (وحكمة) صلاة الملائكة والمؤمنين على النبى تشريفهم بذلك

حيث اقتدوا بالله فى مطلق الصلاة وإظهار تعظيمه ﷺ ، ومكافأةً لبعض حقوقه على الخلق .. لأنه الواسطة العظمى فى كل نعمة وصلت لهم.. وحق على من وصلت له نعمة من شخص أن يكافئه.. فصلاة جميع الخلق عليه مكافأة لبعض ما يجب عليهم من حقوقه .. (وإن) قلت: إن صلاتهم طلب من الله أن تصلى عليه وهو مصلٍّ عليهُ مطلقًا.. طلبوا أولًا.. فما السر فى هذا؟ أجيب بأن الخلق لما كانوا عاجزين عن مكافأته ﷺ طلبوا من الله القادر المالك أن يكافئه.. ولا شك أن الصلاة الواصلة للنبى ﷺ من الله لا تقف عند حدٍّ.. فكلما طلبت من الله زادت على نبيه فهى دائمة بدوام الله..(ثم) إذا كان الله تعالى يقول بعد ذلك : ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]: فإن العلماء اتفقوا على وجوب الصلاة والسلام على النبى ﷺ .. ثم اختلفوا فى تعيين الواجب.. (فعند) مالك: تجب الصلاة والسلام فى العمر مرة.

(وعند) الشافعي: تجب فى التشهد الأخير من كل فرض..

(وعند) غيرهما تجب فى كل مجلس مرة (وقيل) تجب عند ذكره ، (وقيل) يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد.

(وبالجملة): فالصلاة على النبى ﷺ أمرها عظيم وفضلها جسيم (وهى) من أفضل الطاعات، وأجل القربات.. (حتى) قال بعض العارفين: إنها توصل إلى الله تعالى من غير شيخ.. لأن الشيخ والسند فيهما صاحبها لأنها تعرض عليه ويصلى على المصلى بخلاف غيرها من الأذكار.. فلا بد فيها من الشيخ(١) العارف وإلا دخلها الشيطان ولم ينتفع صاحبها بها.. (وإن) المراد من الأمر بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، أن نقول: ((**اللهم صل على محمد وسلم**))، أى أن تجمع بين الصلاة والسلام (وصيغ) الصلاة على النبى ﷺ كثيرة لا تحصى، وأفضلها ما ذكر فيه لفظ الآل والصحب .. فمن تمسك بأى صيغة منها حصل له الخير العظيم..

** (وقد) ورد فى السنة الترغيب فى الإكثار من الصلاة والسلام على

---

(١) أى العالم العامل الذى يواجهه التوجيه الصحيح.

رسول الله ﷺ :

* (فعن) أبى مسعود الأنصارى رضي الله عنه قال : أتانا رسول الله ﷺ ونحن فى مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله فكيف نصلى عليك؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله ﷺ : ((**قولوا : اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم ،وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد،والسلام كما قد علمتم**)) رواه مسلم.

* (وعن) أبى طلحة الأنصارى رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله ﷺ يومًا طيب النفس يرى فى وجهه البشر قالوا: يا رسول الله! أصبحت اليوم طيب النفس يرى فى وجهك البشر؟ قال:أجل: ((**أتانى آت من ربى عز وجل، فقال: من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات ورد عليه مثلها**)) رواه أحمد، والنسائى.

(ومعني): (ورد عليه مثلها): أى كلما صلى عليك صلاة رد الله عليه بمثلها. فقال: وأنت صلى الله عليك.

* (وفي) رواية لأحمد: أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والسرور يرى فى وجهه، فقالوا: يا رسول الله ! إنا لنرى السرور فى وجهك؟ فقال: ((**إنه أتانى الملك، فقال يا محمد أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول إنه لا يصلى عليك أحد من أمتك إلا وصليت عليه عشرًا ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرًا؟ قال: بلى**)) رواه ابن حبان فى صحيحه بنحو هذه، ورواه الطبراني، ولفظه: دخلت على رسول الله ﷺ ، وأسارير وجهه تبرُقُ [1] ،فقلت: يا رسول الله: ما رأيتك أطيب نفسًا، ولا أظهر بشرًا من يومك هذا ؟ قال: ((**وما لى لا تطيب نفسى،ويظهر بشربى؟ وإنما فارقنى جبريل عليه السلام الساعة، فقال: يا محمدًا من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات ورفعه بها عشر درجات، وقال له الملك: مثل ما قال لك. قلت: يا جبريل!**

---

(١) أى تلمع وتتألق.

وما ذاك الملك ؟قال: إن الله عز وجل، وكل ملكًا من لدن خلقك إلى أن يبعثك لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا قال: وأنت صلى الله عليك)) .

* (وعن) ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **((إن لله ملائكة سباحين [1] يبلغونني عن أمتي السلام))** رواه النسائي، وابن حبان في صحيحه. وكذلك رواه الإمام أحمد .

* (وعن) الحسن بن علي رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال ((**حيثما كنتم فصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني))** رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن .

** (وقد) قرأت في (المقامات العلية) للإمام الشيخ محمود خطاب السبكي عليه رحمة الله.. كلامًا طيبًا يشير إلى المعنى المراد من قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] ، فيقول:

طه الذي عم الأنام بفضله ... ساد النبيين الألى من قبله

هو صفوة الباري وخاتم رسله ... يا أيها المستمسكون بحبله

إن تبتغوا أجرًا يكون جزيلًا ... صلوا عليه بكرة وأصيلًا

الله أدناه إليه وقربا ... فعلا مقامًا لم ينله أولو النبا

وله يقول أبشر فأنت المجتبى ... أهلًا وسهلًا بالحبيب ومرحبًا

أنت الذي تستوجب التفضيلا ... صلوا عليه بكرة وأصيلًا

***

ملأت نبوته الوجود وأظهرا ... بحسامه الدين الصحيح فأسفرا

واستبشرت فرحًا ببعثته الورى ... ومحا الضلال كما بذلك خبرا

نص الكتاب مفصلًا تفصيلًا ... صلوا عليه بكرة وأصيلًا

***

والسحب لا تحكي عطاياه فما ... أنداه بحرًا بالسخاء وأكرما

أنعم بمن أسنى الكمال له أنتمى ... مولاه قد صلى عليه وسلما

---

(١) يعني طوافين يسبحون في أقطار الأرض.. ويمرون على الخلق ليبلغوه عليه السلام سلام من يسلم عليه من أمته.

مـن لم يصـلِّ عليـه كـان بخـيلا صـلوا عليــه بكــرة وأصـــيلا

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

* * (وقوله) فى البيت الأخير (من لم يصل عليه كان بخيلًا) : يشير إلى ما ورد فى نـص حـديث شريـف: (عـن) حسـين رضي الله عنه عـن النبـى ﷺ قـال: ((البخيل[1] من ذكرت عنده فلم يصل على)) رواه النسائى، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم وصححه الترمذى، وزاد فى سنده على بن أبى طالب، وقال: حديث حسن صحيح غريب.

* * (هـذا)، وإذا كـان لى بعـد كـل هـذا التـذكير بضرورة أن ننفـذ أمـر الله تبارك وتعالى بالإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

* * فإننى أذكِّر الأخ المسلم بأنه لن يكون منتفعًا بصلاته وسلامه على رسول الله ﷺ إلا إذا كـان مـع هـذا.. ودائـمًا وأبـدًا.. مؤكـدًا حبـه لرسـول الله ﷺ بالتمسك بسنته والتأدب بآدابه والتخلق بأخلاقه.. (إنه) إن كـان مـن أهـل الاتباع كان فعلًا من المؤمنين الصادقين المخاطبين فى هذه الآية الكريمة التى لا بد وأن نكون قد فهمنا المراد منهـا.. (ولهـذا)، فقـد رأيـت أن أشرح بعـدها الآيتين اللتين أشرت إليهما فى أول الخطبة.. (حتى) ندرك تمامًا مدى ارتباطهما بالآية الأولى التى انتهينا من شرحها.. (فقد) أمرنـا الله تبـارك وتعـالى فى الآيـة الأولى منهما: بتقوى الله تبارك وتعالى وبأن نقول قولًا سـديدًا[2] ..إذا أردنـا أن يصلح الله تعالى أعمالنا.. أى يتقبلها منا.. وإذا أردنا أن يغفر الله لنا ذنوبنا-كـما أشار الله سبحانه وتعالى فى الآية الثانية منهما.

* (وذلك) لن يكون إلا إذا أطعنا الله ورسوله.

إننا إن فعلنا هذا إن شاء الله..فإننا سنفوز فوزًا عظيمًا.. فى الجنة إن شاء الله.

(والذى) أريد أن ألفت القلوب إليه.. هو أننا لا بـد كمـؤمنين صـادقين أن نطيع الله ورسوله.. لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّـهَ وَالرَّسُـولَ فَأُولَئِـكَ مَـعَ

---

(١) أى الكامل فى البخل بحيث لا يعد البخيل بالمال شيئًا بجانبه.

(٢) أى صوابًا.

الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩] .

ويقول: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾** [النساء:٥٩] .

** (وأيضًا) يقول تبارك وتعالى مشيرًا إلى أن طاعة الرسول ﷺ تعتبر طاعة لله تعالى.

* **﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾**

[النساء:٨٠]

** (فلنفهم) المراد من تلكم الآيات الثلاث موضوع الخطبة .. حتى نكون إن شاء الله تعالى من المحبين لرسول الله ﷺ حبًّا إيجابيًا.. بل وحتى نكون بسبب هذا الحب الصادق من المتقين المطيعين لله ورسوله.. إلى آخر لحظة فى حياتنا.. ونحن نعتقد اعتقادًا جازمًا بأن الخير كله فى حب الرسول ﷺ الذى ورد عنه أنه قال : رد من أحيا سنتى فقد أحبنى ومن ((**أحبنى كان معى فى الجنة**)) ، ويقول: ((**اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم**)). أخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود.

والله ولى التوفيق

(٣٨) خطبة أو درس

حول الترهيب من التعامل بالربا

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[البقرة: ٢٧٥] وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصيفه من خلقه وخليله القائل: ((**لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه**)) رواه أحمد والترمذى وأبو داود وابن ماجه اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين اتقوا الشبهات واجتنبوا كل تعامل بالربا فكانوا هداة مهديين وقادة منتصرين، وكانوا رجالًا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قولة: : ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨] .

(أما بعد)؛؛

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه.. (فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى وتوفيقه .. (رأيت) أن أدوار معكم حول موضوع من أهم المواضيع التى يسأل عنها كثير من المسلمين والمسلمات لكى يعرفوا حكم الإسلام فيها.. ألا وهو موضوع (الربا) الذى كثر فيه الشطط الذى لم نخرج منه إلا بأقوال لا تزال تناقش إلى الآن.. وإلى آخر الأزمان.. (مع) أنه من السهل جدًّا أن نكتفى فيه بقول الله تبارك وتعالى، وقول رسوله المعصوم صلوات الله وسلامه عليه الذى لا ينطق عن الهوى.. (فحسبنا) مثلا أن نفهم المراد من قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٨، ٢٧٩] .

(فقد) قرأت حول تفسير هاتين الآيتين[1]: أن عثمان بن عفان والعباس ﷺ كانا أسلما رجلًا فى قدر من التمر، فلما حل الأجل طالباه فقال لهما: إن أعطيتكما الحق بتمامه لم يبق شيء للعيال، وإنما أعطيكما الآن نصفه، والنصف الآخر أخرانى به وأزيدكما مثله، فتراضيا معه على ذلك قبل التحريم، ثم حل الأجل فطالباه بذلك فنزلت الآية.

(وإن) قلت: كيف يطالبانه بالربا مع علمهما بالنص السابق قبل التحريم ؟ أجيب بأنهما تأولا ذلك حيث ظنا أنه لا حرمة إلا على من جدد عقدا بعد التحريم..

(ومعني) قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ أى ما أمرتم به ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ﴾ أي: حرب الكفار إن استحله، أو البغاة إن لم يستحله.. ﴿مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وهذا تهديد شديد لهم.. ولما نزلت قالوا.. لا طاقة ولا قدرة لنا على محاربته.. وهذا كناية عن كونهم امتثلوا ما أمروا به.. لورود هذا الوعيد العظيم فيه.. ومن ذلك قول عمر ﷺ وكان قد صعد المنبر فقال: (أيها الناس إن آية الربا أخر ما نزل على نبيكم ولو عاش لبين لكم وجوهًا كثيرة لا تعلمونها، فاتقوا الربا والريبة) ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ﴾ أى رجعتم عنه ﴿فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ أي: أصول ﴿لا تَظْلِمُونَ﴾ أى بزيادة ﴿وَلا تُظْلَمُونَ﴾ أي: بنقص (ومن) الزيادة: مهاداة المدين لرب[2] الدين، فهو حرام وربًا.. إن لم تكن عادته الهدية قبل شغل الذمة.. (وقد) قرأت أن أبا حنيفة النعمان ﷺ كان إذا أقرض إنسانًا مالا لا يجلس فى ظل جدار داره.. حتى لا يقع فى شبهة الربا.

(وكذلك) إذا أقرضت إنسانًا مالًا .. فإنه من الربا أن تزوره كثيرًا لكى تأكل طعامًا، أو تشرب شايًا مثلًا.. إلا إذا كنت من أقربائه.. وكنت معتادًا هذا.. قبل إقراضه.. (وهذا) كله من باب الورع .. (وكان) أبو بكر الصديق ﷺ يقول :

---

(١) كما جاء فى حاشية الصاوى على الجلالين ج١ ص ١٠٧ وما بعدها .

(٢) وينبغى أن لا يحدث هذا اتقاء للشبهات.

كنا نترك سبعين بابًا من الحلال مخافة أن نقع فى باب واحد من الحرام..

** (وقد) أعلن الرسول ﷺ الحرب على الربا والمرابين، وبين خطره على المجتمع، فقال: ((**إذا ظهر الربا والزنا فى قرية فقد أحلُّوا بأنفسهم عذاب الله**)) رواه الحاكم وروى نحوه أبو يعلى بإسناد جيد.

* ولم يكن الإسلام فى ذلك بدعًا فى الأديان السماوية، ففى الديانة اليهودية جاء فى العهد القديم : (**إذا افتقر أخوك فاحمله ولا تطلب منه ربحا ولا منفعة..**) آية ٢٤ فصل ٢٢ سفر الخروج .

وفى النصرانية جاء فى إنجيل لوقا: (**افعلوا الخيرات، وأقرضوا غير منتظرين عائدتها وإذًا يكون ثوابكم جزيلًا**) ٢٤-٢٥ فصل ٦ .

وإن كان الذى يؤسف له أن يد التحريف قد وصلت إلى العهد القديم فجعلت مفهوم كلمة (أخوك) السالفة، خاصًا باليهودي، وجاء فى سفر تثنية الاشتراع: (**للأجنبى تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربًا**) ٢٣ -١٩ .

(وقد) أشار الله تعالى فى القرآن الكريم إلى تحريم الربا فى جميع الشرائع لأنه من أكبر الكبائر، فقال تعالى: ﴿**وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ**﴾ [النساء: ١٦١]أى فى الكتب السماوية.. (ولم) يؤذن الله تعالى فى كتابه بالحرب سوى على آكل الربا.. (ولذا) قيل: إنه يدل على سوء الخاتمة والعياذ بالله.

** (وقد) يسأل الأخ المسلم عن المعنى المراد من كلمة (ربًا)؟ فأجيبه بأن الربا فى اللغة: الزيادة، يقال: ربا الشىء إذا زاد، ومنه قوله تعالى:﴿**اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ**﴾ [الحج: ٥] . وشرعًا: الزيادة على رأس المال، قال تعالى :﴿**وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ**﴾ وهو حرام بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

(مع) ملاحظة: أن الربا لا يحرم إلا فى الذهب، وفى الفضة، والمطعومات، لقوله ﷺ : ((**لا تبيعوا الذهب بالذهب، ولا الورق بالورق** - الورق بكسر الراء: أى الفضة- **ولا البر بالبر**- البر بضم الباء وتشديد الراء، أى حب القمح- **ولا الشعير بالشعير، ولا التمر بالتمر، ولا الملح بالملح إلا سواء بسواء عينًا بعين،يدًا بيد،ولكن بيعوا الذهب بالورق**- أى الفضة- **والورق**

بالذهب،والبر بالشعير، والشعير بالبر ،والتمر بالملح، والملح بالتمر كيف شئتم، فمن زاد أو استزاد فقد أربى)) رواه الشافعى، (وقد) دل الحديث على حرمة بيع الذهب بالذهب، والفضة بالفضة وبيع المتماثلات من الأطعمة إلا بشروط ثلاثة التماثل، والحلول، والقبض فى المجلس.

(هذا) إذا اتحدا الجنس، فإذا اختلف كالذهب بالفضة، والبر بالشعير جاز التفاضل بزيادة أحدهما عن الآخر، لقولهﷺ : ((**إذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدًا بيد**)) رواه مسلم.

(فلا) يشترط إلا شرطان: الحلول، والتقابض. (أما) التفاضل فإنه يجوز، وإذا اختلف الجنس والعلة كالفضة، والبر، والنحاس، والقماش مثلا فلا تشترط هذه الأمور.. فيصحُ البيع حالًا، ومؤجلًا ، ومتماثلًا، ومتفاضلًا. (ثم) المماثلة تعتبر فى الكيل كيلًا، وفى الموزون وزنًا، لقولهﷺ : ((**لا تبيعوا الذهب بالذهب، ولا الورق بالورق إلا وزنا بوزن**)) رواه مسلم، وقولهﷺ : ((**ما وزن مثل بمثل إذا كان نوعًا واحدًا، وما كيل فمثل ذلك، فإذا اختلف النوعان فلا بأس**)) رواه الدارقطنى.

* * (ثم) بعد ذلك يقول (فى الفقه الميسَّر) تحت عنوان:

(أقسام الربا)

ينقسم الربا إلى أربعة أقسام:

(الأول): ربا الفضل، وهو بيع الربوى بجلسة مع زيادة فى أحد العوضين.

(الثاني) فى ربا اليد، وهو بيع الربويين ولو مختلفى الجنس مع تأخير القبض للعوضين أو لأحدهما عن الآخر.

(الثالث): ربا النسيئة، وهو بيع الربويين لأجل ولو لحظة.

(الرابع): ربا القرض، وهو كل قرض جرَّ نفعًا للمقترض. ومنه بيع الغارقة المعروفة، وهو أن يبيع شخص لآخر سلعة لمدة سنة مثلا ثم ينتفع بها المشتري، فإن جاء البائع بالثمن ردها إليه، وإلا صارت ملكا للمشترى.

** كما يقول، تحت عنوان:

أثار الربا [1]

من الآثار السيئة فى تعاطى الربا أن الله تعالى يمحقه ولا يبقى عليه، ولا تبارك فيه لقوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا﴾ [البقرة: ٢٧٦] [2]، ومن آثاره الطرد من رحمة الله تعالى، ففى الحديث ((**لعن الله آكل الربا**))، ومن آثاره، أن آكله يقوم يوم القيامة مجنونًا كمن أصابه الشيطان بجنون.

** (هذا) وإذا كان لنا بعد هذا التمهيد أن نقف على أهم ما يتعلق بهذا الموضوع، فهو:

(العلة فى تحريم الربا)

** (فقد) ذكر العلماء، فى علة تحريم الربا وجوها:

* (أحدها): أن الربا يقتضى أخذ مال الإنسان من غير عوض لأن من يبيع الدرهم بدرهمين نقدًا أو نسيئة يحصل له زيادة درهم من غير مقابل، ومال الإنسان له حرمة كحرمة الدم، يقول ﷺ: ((**حرمة مال الإنسان كحرمة دمه**)) فوجب أن يكون أخذ ماله من غير عوض محرمًا.

* (الوجه الثانى): أن الربا يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب، وذلك يؤدى إلى انقطاع منافع الخلق، ومن المعلوم أن مصالح العباد لا تنتظم إلا بالكسب من التجارة، والصناعة والزراعة .. والربا يعطل ذلك كله.

* (الثالث): أن الربا يؤدى إلى انقطاع المعروف بين الناس، فلا يقرض أحدٌ أحدًا إلا بالربا، ولا يواسى أحد أحدًا إلا بالربا، وفى ذلك ما فيه من التدابر وانقطاع المواساة، والمعروف، والإحسان إلى المحتاجين وأرباب الحاجات، فيحملهم ذلك إلى القرض بالربا.

* (الرابع): أن المقرض فى الغالب يكون غنيًا، والمستقرض يكون فقيرًا، وجواز الربا تمكين للغنى من الفقر فيستذله ويستضعفه ويصير أسير الحاجة

(١) وأيضا جاء هذا فى كتاب (الحلال والحرام فى الإسلام).

(٢) تفسير الفخر الرازى ج٧ ص ٤.

وهذا غير جائز برحمة الرحيم.

* (الخامس) أن حرمة الربا قد ثبتت بالنص فوجب القطع بحرمته.

** (وقد) أشار كذلك فى (الحلال والحرام فى الإسلام) إلى (عله أخرى)، فقال:

* (ومعنى) هذا أن الربا فيه اعتصار الضعيف لمصلحة القوي، ونتيجته أن يزداد الغنى غنى والفقير فقرًا ، مما يقضى إلى تضخم طبقة من المجتمع على حساب طبقة أو طبقات أُخرى مما يخلق الأحقاد والضَّغائن، ويورث نار الصراع بين المجتمع بعضه مع بعض، ويؤدى إلى الثورات المتطرِّفة والمبادئ الهدَّامة. كما أثبت التاريخ القريب خطر الربا والمرابين على السياسة والحكم والأمن المحلى والدولى جميعًا.

** (ثم) يقول، تحت عنوان:

(مؤكل الربا وكاتبه)

آكل الربا هو الدائن صاحب المال الذى يعطيه للمستدين فيسترده بفائدة تزيد على أصله.

(وهذا) ملعون عند الله وعند الناس بلا ريب ولكن الإسلام – على سنته فى التحريم – لم يقصر الجريمة على آكل الربا وحده، بل أشرك معه فى الإثم مؤكل الربا– أى المستدين الذى يعطى الفائدة – وكاتب عقد الربا، وشاهديه.. وفى الحديث:

((**لعن الله آكل الربا، ومؤكله، وشاهديه وكاتبه**)) . رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى وصححه، والنسائى وابن ماجه.

* (ثم) يقول : وإذا كانت هناك ضرورة ملحة اقتضت معطى الفائدة أن يلجأ إلى هذا الأمر، فإن الإثم فى هذه الحال يكون على آخذ الربا (الفائدة) وحده.

** (ثم يقول):

١- (وهذا) بشرط أن تكون هناك ضرورة حقيقة لا مجرد توسع فى

الحاجيات أو الكماليات. فالضرورة ما لا يمكنه الاستغناء عنه إلا إذا تعرَّض للهلاك كالقوت والملبس الواقى والعلاج الذى لا بد منه.

٢- ثم أن يكون هذا الترخيص بقدر ما يفى بالحاجة دون أن تزيد، فمتى يكفيه تسعة جنيهات مثلا، فلا يحل له أن يستقرض عشرة.

٣- ومن ناحية أخرى عليه أن يستنفذ كل طريقة للخروج من مأزقه المادي، وعلى إخوانه المسلمين أن يعينوه على ذلك، فإن لم يجد وسيلة إلا هذا، فأقدم عليه غير باغٍ ولا عادٍ فإن الله غفور رحيم.

٤- وأن يفعل ذلك إن فعله وهو له كاره وعليه ساخط، حتى يجعل الله له مخرجًا.

**(وأقول): بل، وعليه أن يكثر من هذا الدعاء[1] : ((اللهم إنى أعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال)) رواه أبو داود - مع الأخذ بأسباب التوسعة بالسعى على الرزق فى مناكب الأرض.. كما أمرنا الله تعالى فى قرآنه .. (ومع) الاعتدال فى المعيشة وعدم الإسراف.. لأن الله تعالى يقول: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[الأعراف: ٣١] ويقول: ﴿وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾[الإسراء:٢٦، ٢٧].

**(هذا) وإذا كان هناك تعليق على كل هذا، فإنه حسبى أن أذكر الأخ المسلم ببعض الأحاديث الشريفة التى قرأتها فى (الترغيب والترهيب) ج٣، تحت عنوان:

(الترهيب من الربا)

*(فعن) سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **((رأيت الليلة رجلين[2] أتيانى، فأخرجانى إلى أرض مقدسة، فانطلقا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم، وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذى فى النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فردَّه حيث كان فجعل**

(١) الوارد عن رسول الله ﷺ.

(٢) يعنى ملكين فى صورة رجلين .

كلما جاء رمى فى فيه [1] بحجر فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا الذى رأيتة فى النهر؟ قال: آكل الربا» رواه البخارى فى البيوع مختصرًا .

(وعن) عبد الله، يعنى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**الربا ثلاث وسبعون بابًا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه**» رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط البخارى ومسلم ، ورواه البيهقى من طريق الحاكم ، ثم قال: هذا إسناد صحيح.

(يعنى) أن طرق التعامل بالربا كثيرة جدًّا فمنها ما هو صريح لا يشك فيه، ومنها ما يتحايل فيه الناس بأنواع من الحيل لكي: يخفوا وجهه الكريه، ويصوره بصورة البيع المشروع لا سيما فى هذا الزمان الذى فشا فيه الربا حتى دخل فى كل وجوه التعامل تقريبًا.

(ومعنى) أن أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمَّه أى : أن هذه الأبواب وأخفها يساوى فى القبح والشناعة أو فى الإثم والعقوبة نكاح الرجل أمه.. وتمام الحديث: «**وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم**».

(وعن) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**ما أكثر أحد من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلّة [2]**» رواه بن ماجه والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وفى لفظ له قال: «**الربا وإن كثر، فإن عاقبته إلى قل**» [3] وقال فيه أيضًا: صحيح الإسناد.

(وروى) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**والذى نفسى بيده ليبيتنَّ أناس من أُمتى على أشر [4] وبطر، ولعب، ولهو [5] فيصبحوا**

---

(١) أى فى فمه .

(٢) أى إلى فقر وعيلة .

(٣) بمعنى القليل .

(٤) الأشر: هو البطر، وقيل: أشد البطر، والبطر: الطغيان عند النعمة وطول الغنى .

(٥) اللعب يكون بالجوارح، واللهو يكون بالقلب.. قال تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ.﴾ [الأنبياء : ٣، ٤] .

قردة وخنازير[1] **باستحلالهم المحارم، واتخاذهم القينات**[2] **، وشربهم الخمر، وأكلهم الربا، ولبسهم الحرير))** رواه عبد الله ابن الإمام أحمد فى زوائده.

** (فعلى) الإخوة المستمعين أن يلاحظوا كل هذا حتى لا يكونوا من أهل الربا، وعليهم أن يجتنبوا كل أنواع الربا.. حتى ولو كان هناك قول يجيز بعضه.. (ولو) على سبيل الاحتياط- والاحتياط فى الدين واجب- أو على سبيل اتقاء الشبهات .. (ففى) حديث رواه البخارى ومسلم (عن) أبى عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **((إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهنَّ كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حِمى، ألا وإن حِمى الله محارمه، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب))**.

** (فمعنى) قوله صلى الله عليه وسلم : **((فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه))**: أى طلب البراءة فى دينه، وسلم من الشبهة، وأمَّا براءة العرض، فإنه إذا لم يتركها تطاول إليه السُّفهاء بالغيبة ونسبوه إلى أكل الحرام فيكون مدعاة لوقوعهم فى الإثم، (وقد) ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: **((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم))** .

و(عن) على رضي الله عنه قال: إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره، فربَّ سامع نكرًا، لا يستطيع أن تسمعه عذرًا.

(ومعنى) قوله صلى الله عليه وسلم : **((فمن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام))**:

يحتمل أمرين:

أحدهما : أن يقع فى الحرام وهو يظن أنه ليس بحرام.

والثانى: أن يكون المعنى قد قارب أن يقع فى الحرام، كما يقال: المعاصى

---

(١) يعنى يمسخهم الله عز وجل على صورة القردة والخنازير.

(٢) جمع قنية، وهى الجارية المغنية.

يريد الكفر.. (لأن) النفس إذا وقعت فى المخالفة تدرجت من مفسدة إلى أخرى أكبر منها.. (قيل): وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢] يريد أنهم تدرجوا بالمعاصى إلى قتل الأنبياء ز

(وفى) الحديث: ((**لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده**)) أى يتدرج من البيضة والحبل إلى نصاب السرقة.. إلخ.

(والحمى) ما يحميه الغير من الحشيش فى الأرض المباحة، فمن رعى حول الحمى يقرب أن تقع فيه ماشيته، فيرعى فيما حماه الغير.. بخلاف ما إذا رعى إبله بعيدًا عن الحمى .. (ثم) يقول الإمام النووى بعد ذلك فى شرح الحديث السادس من الأربعين النووية:

* (واعلم) أن كل محرم له حمى يحيط به .. فالفرج محرم وحماه الفخذان لأنهما جعلا حريمًا للمحرم، وكذلك الخلوة بالأجنبية حمى للمحرم .. فيجب على الشخص أن يجتنب الحريم والمحرم .. فالمحرم حرام لعينه، والحريم محرم لأنه يتدرج به إلى المحرم .. ا.هـ.

** أسأل الله سبحانه وتعالى أن يغنيا بحلاله عن الحرام، وبفضله عمن سواه.. وأن يجعلنا من الراضين بالحلال حتى ولو كان قليلًا.

(مع) ملاحظة أن البركة ليست فى الكثرة.. وإنما البركة إذا جعلت فى قليل جعلته كثيرًا، وإذا نزعت من الكثير جعلته قليلًا .. والله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، فلنكن أهلًا لبركات الله.

والله ولى التوفيق

خطبة أو درس

حول الترهيب من أن يقتل الإنسان نفسه

الحمد لله القائل: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات:٥٥] . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل : ((**الذى يخنق نفسه** [١] **يخنقها فى النار، والذى يطعن نفسه يطعن نفسه فى النار**[٢]**، والذى يقتحم** [٣] **يُقتحم فى النار**)) رواه البخارى عن أبى هريرة .

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين كانوا من الصابرين الراضين الشاكرين.. فكانوا هداة مهديين وقادة منتصرين، وكانوا رجالًا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ*لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور:٣٧، ٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه.. (فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى وتوفيقه.. رأيت أن يكون لقائى معكم حول موضوع من أخطر المواضيع التى ينبغى علينا نحن الوعاظ أن نحذر من حدوثه من جانب المسلمين – ذكورهم وإناثهم ألا وهو الانتحار.. أو قتل الإنسان نفسه- والعياذ بالله- وذلك من خلال حديث شريف ورد:

(عن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((**من تردى من جبل**

---

(١) أى يضغط على عنقه بحبل ونحوه مما يمنع دخول النفس وخروجه حتى يموت.

(٢) أى يكون الذى قتل نفسه به هوعذابه الدائم فى النار.

(٣) أى يلقى نفسه من مكان مرتفع.

فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردَّ فيها خالدا مخلدا فيها أبدًا، ومن تحسى سمًا فقتل نفسه؛ فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته فى يده يتوجأ بها فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا)). رواه البخارى ومسلم والترمذى بتقديم وتأخير، والنسائى. ولأبى داود: ((**من حسا سمًّا فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم**)) .

فمعنى قوله ﷺ: ((**تردَّى**)) أى ألقى بنفسه من الجبل أو غيره متعمدًا فهلك ومعنى قوله: ((**خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**)) ؛ أى أن الله يعذبه فى النار بنفس ما قتل به نفسه، فلا يزال يتردَّى من جبل فى النار مرة بعد مرة إلى آخر الأبد.

ومعنى قوله: ((**تحسى سُمًا**)) أى: شربه شيئًا بعد شيء. ((**ويتحساه فى نار جهنم ..**)) أى فى النار يعطى كأس السم فى يده .. ويظل يتحساه كما تحساه فى الدنيا ومعنى: ((**يتوجأ بها**)) أى: يضرب بها نفسه قال فى الفتح: (**وأولى ما حمل عليه هذا الحديث ونحوه من أحاديث الوعيد أن المعنى المذكور جزاء فاعل ذلك إلا أن يتجاوز الله عنه**) .

** (هذا)، وإذا كان المراد من هذا الحديث هو .. أن المذكور فى كل تلك الصور الانتحارية.. قد قتل نفسه .. فإن هذا معناه أنه قد كفر .. لأن التعبير بالخلود فى النار يشير إلى هذا ويؤكده.. لأن المؤمن لا يخلد فى النار.. وإنما الذى سيخلد هو الكافر – والعياذ بالله – قال تعالى فى سورة [البينة: ٦-٨] .

﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾ [البينة:٦-٨].

(وإن) هذا معناه كذلك أن الكافر هذا الذى قتل نفسه.. قد يئس من رحمة الله تعالى.. واليأس من رحمة الله كفر.. قال تعالى فى سورة يوسف: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ [1] اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [يوسف: ٨٧] ولو لم يكن هناك يأس من

(١) أى من رحمة الله .

رحمة الله تعالى من جانب هذا الذى قتل نفسه لما فعل بنفسه هذا المشار إليه فى نص الحديث ولكان على عكس هذا من الراضين عن الله الشاكرين له سبحانه على السراء والضراء.. ولكان كذلك من الآخذين بأسباب السعادة الحقيقية التى لن تتحقق إلا بالرضا والابتسامة التى أشار إليها الشاعر فى قوله:

قال السماء كئيبةً وتجهم — قلت ابتسم يكفى التّجهم فى السما

قال الليالى جرَّعتنى علقمًا — قلت ابتسم ولئن جرعت العلقم

قال العِدى حولى علت صيحاتهم — أأُسَرُ والأعداء حولى فى الحمى

قلت ابتسم لن يطلبوك بذمهم — ما لم تكن منهم أجلّ وأعظم

**(نعم إن الابتسامة للحياة هى سر الفلاح، وأساس النجاح.. أما التشاؤم .. فإنه أساس القنوط وعدم الرضا. (ولهذا) فقد ورد فى الأثر:

(أيام وتنقضى .. ولا يغلب الأيام إلا من رضى) .

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: ((**ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس**))متفق عليه. و(العرض) بفتح العين والراء هو المال.

(وعن) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((**قد أفلح**[1] **من أسلم ورزق كفافًا**[2] **وقنعه الله بما آتاه**)) رواه مسلم.

**(وإذا) كنت فى ضيق أو كرب.. (فإنه) حسبك أن تستعين بالله تعالى على إخراجك من هذا الذى أنت فيه.

(وذلك) بالدعاء.. والأخذ بأسباب التوسعة..

(فقد) ورد فى حديث رواه أبو داود أن النبى ﷺ دخل المسجد ذات يوم فرأى أبا أمامة الأنصارى جالسًا فى المسجد فى غير وقت صلاة.. فسأله: ((**يا أبا أمامة.. ما لى أراك جالسًا فى المسجد فى غير وقت صلاة؟**)) فقال : هموم

---

(١) أى فاز وظفر بنجاته من النار.

(٢) أى ما كف عن السؤال مع القناعة لا يزيد على قدر الحاجة.

لزمتنى وديون يا رسول الله.. فقال له النبى : ((**أفلا أعلمك كلامًا إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك.. قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال**)) يقول أبو أمامة ففعلت ذلك فأذهب الله همى وقضى عنى دينى..

(لأنه) نفذ الدعاء هذا تنفيذًا عمليًّا.. أى أخذ بالأسباب التى أمر الله تعالى بها فى قوله:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة:١٠].

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحد فيعطيه أو يمنعه**)) متفق عليه.

* (وعن) المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: ((**ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يديه وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده**)) رواه البخارى.

(وعليه) بعد ذلك قلَّ الرزق أم كثر أن يلاحظ أمرًا هامًّا وهو أن البركة ليست فى الكثرة.. وإنما البركة إذا جعلت فى قليل جعلته كثيرًا، وإذا نزعت من كثير جعلته قليلًا.. (وهذا) يتطلب منه أن يكون أهلًا لبركات الله المشار إليها فى قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [الأعراف:٩٦].

(وحتى) يشكر الله تعالى على ما أعطاه.. إليه هذا الحديث الذى ورد:

(عن) عبيد الله بن محصن الأنصارى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من أصبح منكم آمنا فى سربه – أى فى نفسه**[1] **– معافى فى جسده – أى سليما من الأمراض – عنده قوتُ يومه: فكأنما حيزت – أى جمعت – له الدنيا بحذافيرها**)) رواه الترمذى، وقال: حديث حسن. (وليذكر) كذلك الحديث الذى ورد:

(١) أو فى قومه.

* (عن) ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاءً [1] وكان أكثر خبزهم خبز الشعير) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

(وعن) عائشة رضي الله عنها قالت: ((توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى فى ثلاثين صاعًا من شعير)) متفق عليه .

* (وعن) عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان فراش رسول الله ﷺ من أدم - أى من جلد- حشوه ليف)) رواه البخارى .

(وعن) أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال ((أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساء وإزارًا [2] غليظًا [3] قالت: قُبض [4] رسول الله ﷺ فى هذين)) متفق عليه.

** (فانظر) أين أنت من كل هذا حتى تشكر الله تعالى الذى يقول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

** (وحتى) لا تكون من الذين ينظرون إلى من هم فوقهم فى الرزق.. إليك كذلك هذه الوصية المحمدية:

* (عن) أبى ذر رضي الله عنه قال: أوصانى خليلى رسول الله ﷺ بخصال من الخير: أوصانى أن لا أنظر إلى من هو فوقى [5] وأنظر إلى من هو دونى [6]، وأوصانى بحب المساكين، والدنو منهم، وأوصانى أن أصل رحمى، وإن أدبرت. [7] الحديث رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه.

* (وعن) أبى عبد الرحمن الحبلى قال: ((سمعت عبد الله بن عمرو بن العاصى، وسأله رجل فقال: ألست من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله:

---

(١) أى طعامًا يتعشى به .

(٢) ثوب يستر أسافل البدن.

(٣) أى ثخينا .

(٤) أى مات .

(٥) أى أكثر منى مالًا وأوفر حظا من متاع الدنيا وحطامها.

(٦) أى أقل منى مالًا وحظًا.

(٧) أى ابتعد عنه أهله.. وقطعوه .

ألك امرأة تأوى إليها؟ قال: نعم، قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم: قال:فأنت من الأغنياء قال: فإن لى خادمًا؟ قال: فأنت من الملوك)) رواه مسلم موقوفًا [1].

** (ثم) إذا كان بعد كل هذا التذكير يريد أن يكون من الذين يُقتلون – يضم الياء لا بفتحها فإنه حسبه أن يبيع نفسه لله تبارك وتعالى.. كما يشير إلى هذا رب العزة فى قوله:

* ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١]. أى أن الله تبارك وتعالى قد أخذ من المجاهدين أنفسهم وأموالهم التى بذلوها فى سبيله وأعطاهم فى مقابل ذلك الجنة (وقد) رغب النبى ﷺ فى الجهاد فى سبيل الله، فقال فى حديث ورد:

* (عن) أبى ذر رضي الله عنه قال: قلت : يا رسول الله أى العمل أفضل؟ قال: ((**الإيمان بالله والجهاد فى سبيله**)) متفق عليه.

* (وعن) أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**لغدوة** [2] **فى سبيل الله أو روحة** [3] **خير من الدنيا وما فيها**)) متفق عليه.

** (فإذا) كان الأخ المخاطب بهذا التذكير سيجاهد فى سبيل الله بنيته الصادقة حتى يفوز بإحدى الحسنيين ؛ النصر أو الاستشهاد، وإذا كان سيفوز بطعنة فى سبيل الله.. أثناء قتاله لأعداء الله.. (فإنني) أحذره من استعجال إخراج روحه قبل أن تخرج بطبيعتها لأنه إن فعل ذلك- والعياذ بالله- لن يفوز بالشهادة وإنما سيكون قد مات كافرًا.

* (فعن) الحسن البصرى رضي الله عنه قال: حدثنا جندب بن عبد الله فى هذا

---

(١) لأنه من كلام عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٢) **الغدوة**: أى السير فى أول النهار.

(٣) **الروحة**: أى السير فى آخر النهار.

المسجد- وهو مسجد البصرة- فما نسينا منه حديثًا، وما نخاف أن يكون جندب كذب على رسول الله ﷺ [١] ، قال كان برجل جراح[٢] ، فقتل نفسه[٣] فقال الله: بدرنى عبدى بنفسه [٤] ، فحرمت عليه الجنة [٥] .

* (وفى) رواية: كان فيمن قبلكم رجل به جرح فجزع [٦] فأخذ سكينا فحز بها يده [٧] ، فما رقأ الدم [٨] حتى مات، فقال الله: بادرنى عبدى بنفسه. (الحديث) رواه البخارى ومسلم، ولفظة قال: ((**إن رجلا كان ممن كان قبلكم خرجت بوجهه قرحة فلما آذته- أى آلمته- انتزع سهما من كنانته**- وهى بكسر الكاف: جعبة من جلد أو خشب تجعل فيها السهام- **فنكأها**- أى نخسها قبل أن تبرأ- **فلم يرقأ الدم حتى مات قال ربكم: قد حرمت عليه الجنة**)) .

* (وعن) جابر بن سمرة رضي الله عنه أن رجلا كانت به جراحة فأتى قرنا[٩] له، فأخذ مشقصًا[١٠] فذبح به نفسه، فلم يصل عليه النبى ﷺ [١١]. رواه ابن حبان فى صحيحه .

* (وعن) سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره، ومال الآخرون إلى

---

(١) وهذا تأكيد من الحسن رحمه الله لصحة الحديث من جهتين أنهم لم يزالوا ذاكرين، وأن جندبًا بعيد عن تهمة الكذب على رسول الله ﷺ .

(٢) وكانت جراحه تؤلمه.

(٣) أى تعجل الموت لكى يتخلص من آلامه .

(٤) يقال: بدره إلى الشيء وبادره عاجله وسبقه.

(٥) أى منعته من دخولها لسخطه على قضائى وقنوطه من رحمتي.

(٦) أى لم يصبر عليه وأظهر الحزن والكدر .

(٧) يعنى قطعها.

(٨) **فما رقأ الدم**: أى ما جف وانقطع.

(٩) **القرن بفتح القاف**: جعبة السهام.

(١٠) **المشقص**: بكسر الميم: سهم فيه نصل عريض.

(١١) وذلك لإقدامه على تلك الجريمة الشنعاء التى تنم عن جزعه وقلة صبره وسخطه على قضاء ربه وعدم احتسابه أجر ألمه عند الله.

عسكرهم[1]، وفى أصحاب رسول الله ﷺ رجل[2] لا يدع لهم شاذة[3] ولا فاذة إلا اتبعها[4] يضربها بسيفه، فقالوا : ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ[5] فلان، فقال رسول الله ﷺ :((**أما إنه من أهل النار**))[6] .

(وفى) رواية، فقالوا: أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار؟! فقال رجل من القوم: أنا صاحبه أبدًا [7]، قال: فخرج معه كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه. قال: فجرح الرجل- أى قزمان- جرحًا شديدًا، فاستعجل الموت، فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل - أى الذى كان يراقبه - إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله. قال: ((**وما ذاك؟**)) قال: الرجل الذى ذكرت آنفًا إنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك - أى عدوه شيئًا عظيمًا -،فقلت: أنا لكم به، فخرجت فى طلبه حتى جرح جرحًا شديدًا، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه[8] بين ثدييه، ثم تحامل عليه[9]، فقتل نفسه. فقال رسول الله ﷺ : ((**إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة**)) رواه البخارى ومسلم.

** (فلننتفع) جميعًا بكل هذا الخير الذى استمعنا إليه.. ونحن نسأل الله تعالى حسن الخاتمة.

اللهم آمين

---

(١) يعنى انحجز كل من الفريقين عن الآخر.

(٢) وكان اسمه قزمان وهو أحد المنافقين.

(٣) يعنى ندر عنهم وانفرد.. وفاذة بمعناها.

(٤) يعنى إلا أدركها وقتلها.

(٥) أى لم يبل أحد فى هذه الموقعة بلاه ولم يغن غناءه.

(٦) وإخباره بذلك كان بوحى من الله تعالى.

(٧) أى سأصحبه وألازمه حتى أرى ما يكون من أمره.

(٨) يعنى طرفه الذى يضرب به.

(٩) **تحامل على سيفه**: أى ألقى بثقله عليه.

خطبة أو درس

حول الترهيب من قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق.. والدعوة إلى الجهاد فى سبيل الله.

الحمد لله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل فى وصف عباده الذين يستحقون رحمته: ﴿وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إلا بِالْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨] وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: ((**لزوال الدنيا أهون على الله**[١] **من قتل مؤمن بغير حق** [٢])) رواه ابن ماجه بإسناد حسن ورواه البيهقى والأصبهانى.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغرّ الميامين الذين كانوا. ﴿لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، فكانوا لذلك من عباد الرحمن الذين يستحقون رحمته، وكانوا هداة مهديين وقادة منتصرين، وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧،٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه.. (فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى وتوفيقه (رأيت) أن يكون لقائى معكم حول الترهيب من قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق..) أى بدون سبب من الأسباب الثلاثة المشار إليها فى الحديث الذى ورد.

(عن) ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) أى لخراب الدنيا وفنائها كلها ... أى أيسر على الله.

(٢) أى بغير إحدى الثلاث، وهى: (الثيب الزانى، والنفس بالنفس، والتارك لدينه..) من حديث رواه البخارى ومسلم.

((**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزانى، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**)) رواه البخارى ومسلم.

**(وذلك) من خلال حديث شريف رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى.

* (عن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**اجتنبوا السبع الموبقات- أى المهلكات- قيل يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك [1] بالله، والسحر [2]، وقتل النفس [3] التى حرم الله إلا بالحق، وأكل مال [4] اليتيم، وأكل الربا [5]، والتولى يوم الزحف [6]، وقذف المحصنات [7] الغافلات المؤمنات**)).

** (هذا) وإذا كان شاهدنا فى هذا الحديث هو قول الرسول ﷺ فى العنصر الثالث: (**وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق**)، فإننى أحب أن نعلم جميعًا أن قتل النفس هو أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة.

(فعن) ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ: ((**أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء**)) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه.

* وللنسائى أيضًا: ((**أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة، وأول ما يقضى بين الناس فى الدماء**)).

* (قال) فى الفتح: ((أى أول القضاء يوم القيامة فى الدماء، أى فى الأمر

---

(١) وهو عدم إفراد الله تعالى بالعبادة.

(٢) وهو عبارة عن رقى وعزائم يتلوها الساحر مع القيام ببعض الأعمال كالنفث فى العقد وكتابة بعض الحروف على ورقة وإطلاق بخور.

(٣) وفى الحديث (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزانى،والنفس بالنفس،والتارك لدينه المفارق للجماعة).

(٤) وهو من الكبائر.

(٥) وهو حرام بجميع أنواعه.

(٦) أى عند التقاء الصفين من الكفار والمسلمين.

(٧) أى قذف الحرائر العفيفات.

المتعلق بالقضاء، وفيه عظم أمر القتل لأن الابتداء إنما يقع بالأهم).

*(وقال) العينى: (أى فى القضاء بها، لأنها أعظم المظالم فيما يرجع إلى العباد، ففيه وعيد شديد من حيث يُبتدأ به فى الحساب).

*(هذا) ولما كانت جريمة قتل قابيل لأخيه هابيل هى أول جريمة قتل حدثت على وجه الأرض.

*(فقد) رأيت كذلك أن أذكر الإخوة المسلمين بأهم ما يتعلق بهذا الموضوع من إشارات وتشبيهات.. (ولهذا) فقد أمر الله تعالى رسوله المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، بقوله:

* ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِم﴾ أى: على قومك من اليهود أو النصارى أو المشركين ﴿نَبَأَ﴾ أى خبر ﴿ابْنَى آدَمَ﴾ أى هابيل وقابيل ﴿بِالْحَقِّ﴾ أى حال كونك متلبسًا بالحق أى الصدق ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانا﴾ أى إلى الله تبارك وتعالى.. (وهو) أى القربان: كبش لهابيل، وزرع لقابيل.. (وسبب ذلك) أنه كان فى شرع آدم إذا كبر أولاده، زوج ذكر هذه البطن لأنثى بطن أخرى..فأمره الله تعالى أن يزوج قابيل أخت هابيل - وكانت دميمة- وأن يزوج هابيل أخت قابيل - وكانت جميلة - فرضى هابيل وأبى قابيل، وقال لأبيه آدم: إنك تأمرنا برأيك لا من عند الله.. فقال له ولأخيه [1] :قربا قربانًا، فأيكما تقبل منه فهو أحق بالجميلة.. فذهب هابيل وأخذ كبشًا من أحسن غنمه وقربه، وذهب قابيل لصبرة قمح من أردإ ما عنده، وقيل: قت ردىء [2] حتى إنه وجد سنبلة جيدة ففركها وأكلها.. وكان علامة قبول القربان نزول نار من السماء تحرقه، فنزلت على كبش هابيل فأحرقته.. وقيل: رفع إلى السماء حتى نزل فداءً للذبيح إسماعيل عليه السلام..ولم يتقبل من قابيل.. وإلى هذا يشير الله تعالى بعد ذلك فى قوله: ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ وهو هابيل ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ﴾ وهو قابيل.. الذى غضب بسبب هذا وأضمر الحسد فى نفسه.. ثم ﴿قَالَ﴾

---

(١) بأمر من الله تبارك وتعالى.

(٢) أى حزمة قمح رديئة.

أى لأخيه: ﴿لأَقْتُلَنَّكَ﴾ قال: لم؟ قال: لتقبل قربانك دونى ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِى إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة:٢٨]. أى فى قتلك ﴿إِنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِى﴾ أى ترجع بإثم قتلى ﴿وَإِثْمِكَ﴾ أى الذى ارتكبته من قبل.. كالحسد ومخالفة أمر أبيك ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ ﴿وَذَلِكَ﴾ أى المذكور وهو النار ﴿جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾، ثم يقول الله سبحانه وتعالى بعد ذلك ﴿فَطَوَّعَتْ﴾ أى فزينت ﴿لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ﴾ أى فصار مِنَ ﴿الْخَاسِرِينَ﴾ والسؤال الذى نريد أن نقف على إجابته بعد هذا، هو وكيف قتل قابيل أخاه هابيل؟ فأقول كما جاء فى (حاشية الصاوى على الجلالين) بتصرف كبير:

* إنه – قيل – لما قصد قتله.. لم يدر كيف يقتله.. فتمثل له إبليس.. وقد أخذ طيرًا فوضع رأسه على حجر ثم رضخه –أى كسره– بحجر آخر.. وقابيل ينظر.. فتعلم القتل، فوضع قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو صابر.. ثم قتله بنفس الصورة التى تعلمها من أستاذه اللعين إبليس – وكان هذا فى غياب سيدنا آدم.. فقد قيل أنه كان قد أمر بأن يحج إلى البيت الحرام [1] (ثم) بعد ذلك.. لم يدر ما يصنع به لأنه أول ميت على وجه الأرض من بنى آدم.. فحمله على ظهره فى جراب.. قيل أربعين يومًا، وقيل: سنة..

(وروى) أنه لما قتل ابن آدم– قابيل–أخاه–هابيل– رجفت الأرض بمن عليها سبعة أيام، وشربت الأرض دم– هابيل– المقتول، كما تشرب الماء.. فناداه الله: يا قابيل أين أخوك هابيل؟ فقال: ما أدرى.. ما كنت عليه رقيبًا.. فقال الله له: إن دم أخيك ليناديني من الأرض، فلم قتلت أخاك؟ فقال: فأين دمه إن كنت قتلته.. فحرَّم الله على الأرض من يومئذ أن تشرب دمًا بعده أبدًا..

*(ويروى) أنه لما قتل قابيل هابيل كان آدم بمكة فاشتاك الشجر، أى ظهر

---

(١) كما جاء فى تفسير الجلالين. (وقد) اختلف فى موضع قتله فقيل على عقبة حراء، وقيل بالبصرة عند مسجدها الأعظم.

له شوك، وتغيرت الأطعمة، وحمضت الفواكه، واغبرت الأرض.. فقال آدم قد حدث فى الأرض حادث.. فلما رجع آدم سأل قابيل عن أخيه .. فقال: ما كنت عليه وكيلًا.. فقال بل قتلته.. ولذلك أسود جلدك.. فغضب عليه.. فذهب قابيل مطرودًا.. فأخذ أخته وهرب بها إلى (عدن)، فأتاه إبليس وقال له إنما أكلت النار قربان هابيل، لأنه كان يعبد النار فانصب أنت نارًا تكون لك ولعقبك..فبنى بيت النار.. فهو أول من عبد النار.. وكان قابيل لا يمر به أحد إلا رماه بالحجارة فأقبل ابن لقابيل أعمى ومعه ابنه فقال ابن الأعمى لأبيه: هذا أبوك قابيل فرماه بحجارة فقتله.. فقال ابن الأعمى لأبيه: قتلت أباك قابيل .. فرفع الأعمى يده ولطم ابنه فمات.. فقال الأعمى: ويل لى قتلت أبى برميتى، وابنى بلطمتى.. واستمرت ذرية قابيل يفسدون فى الأرض إلى أن جاء طوفان نوح فأغرقهم جميعًا فلم يبق منهم أحد ولله الحمد وأبقى الله ذرية شيث إلى يوم القيامة.. وما مات آدم حتى رأى من ذريته أربعين ألفا.. والله أعلم [1] .

* (وأحب) أن أشير هنا كذلك وقبل أن أواصل معكم ما كان بعد أن قتل قابيل أخاه هابيل.. (فقد) قرأت كذلك: أن قابيل هو أول أولاد أبينا آدم عليه السلام وأن هابيل بعده بسنه.. وأن كليهما ولدا بعد هبوط أبوينا إلى الأرض بمائة سنة.. (وقيل): إن قابيل هو وأخته ولدًا فى الجنة.. ولم تر حواء لهما وحما ولا وصبًا، ولا دم نفاس .. وأما بقية أولاده فبالأرض.. لذا كان يفتخر قابيل على هابيل ويقول له: إنى ابن الجنة وأنت ابن الأرض.. فأنا خير منك.. (وحاصل) ذلك.. أن حواء ولدت لآدم عشرين بطنًا فى كل بطن ذكرًا وأنثى.. فصار الذكور عشرين والإناث كذلك.. فلما قتل قابيل هابيل نقصت الذكور عن الإناث.. فرزقه الله بشيث.. ومعناه هبة الله.. فتماثل الذكور مع الإناث.. والله أعلم.

* (ثم) أعود بعد ذلك إلى ما كان بعد أن حمل القاتل أخاه هابيل على ظهره فى جراب.. وهو لا يدرى ما يفعل بعد ذلك: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى

(١) ارجع إلى حاشية الصاوى على الجلالين ج١ ص ٢٢٥ بتصرف .

الأَرْض﴾ أى ينبش التراب بمنقاره وبرجليه ويثيره على غراب ميت معه حتى واراه.. أى فى الحفرة التى نبشها.. ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِى﴾ أى يستر ﴿سَوْءَةَ﴾ أى جيفة ﴿أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ﴾ أى عن ﴿أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِى سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ أى على حمله.. وحفر له وواراه.. وليس هذا ندم توبة تقتضى أنه تاب فلا يخلد فى النار..

(وليس) هذا فحسب. (وإنما) هو أول من سن سنة القتل.. ولذا فقد ورد فى الحديث: ((**من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**)) فقابيل بهذا النص النبوى عليه وزر كل من وقع منه القتل من بنى آدم لتسببه فى ذلك.. فإنه أول من وقع منه القتل.. (ولهذا) فقد قال الله تعالى بعد ذكر قصة بنى آدم: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ أى من أجل هذا الذى فعله قابيل من الفساد ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ﴾ أى الشأن ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أى قتلها ﴿أَوْ﴾ بغير ﴿فَسَادٍ فِى الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (هذا) ملاحظة أن الله تعالى قد خص بنى إسرائيل بالذكر - وإن كان القصاص فى كل ملة - لأن اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة أقدموا على قتل الأنبياء والأولياء وذلك يدل على قسوة قلوبهم.

** (وعلى) هذا، فإنه ينبغى علينا نحن المسلمين.. أن نستفيد بهذا الدرس القرآنى حتى لا نكون من المفسدين فى الأرض.. وحتى لا نرتكب جريمة القتل..

* (فعن) البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**لزوال الدنيا**(١) **أهون على الله**(٢) **من قتل مؤمن بغير حق**)) رواه ابن ماجه بإسناد حسن، ورواه البيهقى والأصبهانى. وزاد فيه ((**ولو أن أهل سماواته وأهل أرضه اشتركوا فى دم مؤمن لأدخلهم الله النار**)) .

وفى رواية للبيهقى، قال: قال رسول الله ﷺ : ((**لزوال الدنيا جميعا أهون**

---

(١) أى لخراب الدنيا وفناؤها كلها.

(٢) يعنى أسر وأخف.

على الله من دمٍ سفك بغير حق)).

**(قال) ابن العربي : (ثبت النهى عن قتل البهيمة بغير حق، والوعيد فى ذلك .. فكيف بقتل الآدمى ، فكيف بالمسلم ، فكيف بالتقى الصالح) .

*(وقال) العزيزى فى شرح الجامع الصغير: (فهو - أى القتل - أكبر الكبائر بعد الإشراك بالله..) وقال الحفنى: (فمن قتل مسلما يُعذّب عذابا أشد ممن أزال الدنيا بأسرها لو فُرض ذلك).

*وعن أبى الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت مشركا، أو يقتل مؤمنًا متعمدًا**)) رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

*(وقد) ورد كذلك فى حديث رواه ابن حبان فى صحيحه (عن) أبى موسى ﷺ عن النبى ﷺ قال: ((**إذا أصبح إبليس بث جنوده [1] فيقول: من أخذل اليوم مسلما ألبسته التاج. قال: فيجىء هذا فيقول: لم أزل به حتى طلق امرأته، فيقول : يوشك أن يتزوج [2] ويجىء هذا فيقول: لم أزل به حتى عق والديه [3]،فيقول: يوشك أن يبرهما، ويجىء هذا فيقول: لم أزل به حتى أشرك [4] ،فيقول: أنت أنت، ويجىء هذا فيقول: لم أزل به حتى قتل [5] ، فيقول أنت أنت [6] ،ويلبسه التاج**)) رواه ابن حبان فى صحيحه.

*(وحسبى) فى ختام هذا التذكير النافع إن شاء الله أن أذكر الإخوة المسلمين المستمعين.. بحديث شريف أرجو أن يذكروه على الدوام حتى لا يكونوا - والعياذ بالله - من الذين يقتلون الأنفس بغير حق [7] ، فقد ورد:

---

(١) أى فرقهم ونشرهم فى أنحاء الأرض.
(٢) أى يكاد أو يقرب أن يتزوج من أخرى.
(٣) أى آذاهما وأساء إليهما.
(٤) أى وقع فى أعمال الشرك وفارق التوحيد.
(٥) أى سفك دمًا حرامًا.
(٦) يعنى أنت الذى فعلت ما تستحق عليه التكريم والتقريب.
(٧) مع ملاحظة أن القتل هذا ليس من سلطته.. وإنما هو من سلطة الحاكم.

* (عن) أبى سعيد رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: ((**يخرج عُنق من النار**[1] **يتكلم يقول: وكلت اليوم بثلاثة: بكلِّ جبار عنيد، ومن جعل مع الله إلهًا آخر، ومن قتل نفسًا بغير حق فينطوى عليهم**[2] **فيقذفهم فى حمراء جهنم**[3])) رواه أحمد والبزار، ولفظه:

* ((**تخرج عنق من النار تتكلم بلسان طلق ذلق**[4] **لها عينان تبصر بهما، ولها لسان تتكلم به فتقول: إنى أمرت بمن جعل مع الله إلهًا آخر، وبكل جبار عنيد، وبمن قتل نفسًا بغير نفس، فتنطلق بهم قبل سائر الناس بخمسمائة عام**)) وفى إسناديهما عطية العوفى، ورواه الطبرانى بإسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح.

* (وفى) الختام إليكم هاتين الآيتين الكريمتين من سورة النساء.. لما فيهما من الأحكام المتعلقة بالقتل الخطأ، والقتل العمد.. قال تعالى: **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إلا خَطًَا وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطًَا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ**[5] **وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ**[6] **إلا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ**[7] **فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا*وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾** [النساء:٩٢، ٩٣].

** (هذا) مع ملاحظة قول الله تبارك وتعالى فى سورة الفرقان:

﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إلا بِالْحَقِّ

---

(١) يعنى لسان منها.. وعنق كل شىء أوله.
(٢) أى يلتف حولهم ويشتمل عليهم.
(٣) وفى رواية فى جمر جهنم.
(٤) بكسر اللام فيهما: أى فصيح بليغ.
(٥) أى فعتق رقبة مؤمنة.
(٦) أى: وأن تدفع أموال معينة إلى أهل المقتول إلا إذا تنازلوا عنها.
(٧) أى بينكم وبينهم عهد بعدم القتال.

وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (١) * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٢) * إلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨:٧٠] .

** (ثم) بعد ذلك يقول سبحانه وتعالى فى الآية٧١:

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان:٧١] .

** (وهذا) معناه أن التوبة الصادقة هى التى تكون مقترنة بالأعمال الصالحة المؤكدة لها..

** (فعلى) جميع العصاة أن يلاحظوا كل هذا.. وينفذوا المراد منه.. بالنسبة للحقوق المطلوبة منهم.. وعليهم بعد ذلك أن يستبشروا بقبول توبتهم المؤكدة بالأعمال الصالحة.. التى هى السبيل إلى مغفرة الله تعالى وعفوه.. والله تعالى غفور رحيم، وهو سبحانه، ولى التوفيق.

---

(١) أى: ومن يفعل هذه الفواحش يلق عقابًا شديدًا.

(٢) أى ذليلًا محتقرا.

(٤٣) خطبة أو درس

حول ترهيب المرأة أن تسأل زوجها الطلاق .. من غير ما يأس ..

الحمد لله القائل ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل : ((**لا يفرك – أي: لا يتعض– مؤمن مؤمنة، إن سخط منها خلقًا رضى منها غيره**)) **رواه مسلم**.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يقتدون به صلوات الله وسلامه عليه فى حبه لأمهات المؤمنين، وحسن معاشرته لهن، وعطفه عليهن.. فكانوا هداة مهديين وقادة منتصرين، وكانوا رجالًا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ*لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧، ٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه..(فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى وتوفيقه (رأيت) أن يكون لقائى معكم حول حديث شريف –يتعلق بقضية– شغل بها كثير من الناس على المستوى العام والخاص.. ألا وهى قضية (الخلع) الذى أثار جدلًا كبيرًا.. مع أنه ليس جديدًا على الذين درسوا سنة رسول الله ﷺ وعرفوا من خلال دراستها أساس موضوع (الخلع) هذا.. ولسوف أناقش معكم هذا.. ولكن بعد أن نستمع إلى نص الحديث المشار إليه سابقًا.. والذى ورد:

* (عن) ثوبان ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ((**أيما امرأة**[1] **سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس، فحرام عليها رائحة الجنة**)). رواه أبو داود والترمذى وحسنه، وابن ماجه، وابن حبان فى صحيحه، والبيهقى[2] فى حديث قال: ((**وإن المختلعات، هن المنافقات، وما من امرأة تسأل زوجها الطلاق من غير بأس فتجد ريح الجنة، أو قال: رائحة الجنة**)) .

** (وقد) قرأت فى (هامش الترغيب والترهيب[3]) شرحًا هامًا حول المعنى المراد من قول الرسول ﷺ :

* ((**سألت زوجها طلاقها**)) أى: طلبت منه أن يطلقها ويفصم عرى الزوجية.

* و((**من غير ما بأس**)): بزيادة ما للتأكيد، أى: من غير شدة حاجة إلى ذلك، كضعف الرجل عن القيام بحقوق الزوجية –أى المعاشرة– أو شدة بخله، أو دمامته،، أو نحو ذلك.. فتخاف أن تقيم حدود الله فيما يجب عليها من حسن الصحبة، وجميل العشرة لكراهتها له.

* وقوله: ((**فحرام عليها رائحة الجنة**))، أى: ممنوع عليها أن تجد رائحة الجنة، وهو كناية عن عدم دخولها.

* (قال) ابن رسلان: فيه زجر عظيم، ووعيد كبير فى سؤال المرأة طلاقها من غير ضرورة، ولا بد فيه من تأويل، إمّا أن يحمل على من استحلت إيذاء زوجها بسؤال الطلاق مع علمها بتحريمه، فهى كافرة لا تدخل الجنة أصلًا، ولا تشم ريحها، وإما أن يحمل على أن جزائها أن لا تشم رائحة الجنة إذا شم الفائزون ريحها، بل يؤخر شمها بعدهم حتى تجازى، وقد يعفى عنها فتدخلها أولًا، وإنما احتجنا إلى تأويله لأن مذهب أهل الحق أن من مات على التوحيد مصرًا على الكبائر، فأمره إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه فأدخله الجنة،

---

(١) يعنى أى امرأة، فما زائدة، وأى اسم شرط تفيد العموم.
(٢) وكذلك رواه أحمد رحمه الله وقال شارح الجامع (وهو حديث صحيح).
(٣) ج٣ ص١٥١ وما بعدها.

وإن شاء عاقبه ثم أدخله الجنة.ا.هـ.

* وقوله: ((**وإن المختلعات**)) أى: جمع مختلعة، وهى المرأة التى تطلب الخلع والطلاق من زوجها بغير عذر.. يقال: خلع امرأته خلعًا، وخالعها مخالعة، واختلعت هى منه فهى خالع، وأصله من خلع الثوب. (والخلع): أن يطلق زوجته على عوض تبذله له، وفائدته إبطال الرجعة إلا بعقد جديد. (واختلف) فيه، هل هو فسخ أو طلاق، وقد يسمى الخلع طلاقًا.

* وقوله: ((**هن المنافقات**)) أى المتذبذبات فى الدين الواهنات الإيمان المتذبذبات بين الرجال اللاتى لا يثبتن على زوج، بل كلما وجدت فى رجل شيئًا لا يعجبها اختلعت نفسها منه.

* (وهناك) حديث شريف أرى كذلك ضرورة أن نقف عليه قبل أن نواصل موضوعنا الأصلى.. لأننا سنحتاج إليه بعد ذلك، فقد ورد:

* (عن) ابن عمر رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: ((**أبغض الحلال إلى الله الطلاق**)) رواه أبو داود وغيره.

** (وذلك) لأنه قطع لرابطة الزوجية، وهدم لكيان الأسرة، وتضييع للأولاد..

(ومعنى) كونه أبغض الحلال.. أن الله لا يرضاه، وإن كان لم يحرمه، والمراد أن لا يلجأ إليه الرجل إلا مضطرًا، وذلك عند تعذر الحياة الزوجية واستحالة دوامها.

** (وقد) يكون السبب فى هذا الطلاق.. هو إفساد المرأة على زوجها، أو إفساد الزوج على زوجته.. بوشاية مثلًا من إحدى الحاقدات التى لا تريد استقرارًا زوجيًا فى هذا البيت، لهدف شيطانى.. وكذلك من جانب رجل يريد فشلًا فى حياة هذين الزوجين لحاجة شيطانية يريد الوصول إليها..إلخ.

* (فعن) بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((**ليس منا** (1) **من حلف**

---

(1) أى ليس على هدينا وطريقنا، ويحتمل أن المراد ليس على ملتنا فيكون للتغليظ.

بالأمانة، ومن خبَّب على امرئ زوجته أو مملوكه فليس منا)) رواه أحمد بإسناد صحيح، واللفظ له، والبزار، وابن حبان فى صحيحه [1] .

* (ومعنى) خبَّب بفتح الخاء المعجمة، وتشديد الباء الموحدة الأولى معناه: خدع وأفسد.

* (ومعنى) قوله: ((**من حلف بالأمانة**)) أى: جعل الأمانة محلوفًا بها بدلًا من الحلف بالله جل شأنه.. ولا شك أن الحلف بغير الله شرك كما صرحت به الأحاديث، ولكنه شرك أصغر لا يقتضى الخروج من الملة، وإن كان إثمه كبيرًا، وقد يفضى إلى الوقوع فى الشرك الأكبر والعياذ بالله.

* (ومعنى) قوله: ((**ومن خبَّب على امرئ زوجته...**)) كأن يقول للزوجة مثلًا: كيف ترضين بمعاشرة هذا الرجل الكبير السن، أو القليل المال، أو الدميم الخلقة..ثم يعدها إن طلقت منه أن يتزوجها.. (وقد) نص العلماء على أن من أفسد امرأة على زوجها لا يحل له التزوج منها [2] ..

* (وقد) يكون الإفساد هذا بين الزوجين من فعل الشيطان الجنى.. فقد ورد:

* (عن) جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((**إن إبليس يضع عرشه على الماء** [3]**، ثم يبعث سراياه** [4] **، فأدناهم منه منزلة** [5] **أعظمهم فتنة** [6] **،يجىء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئًا، ثم يجىء أحدهم**

---

(١) وكذلك رواه الحاكم، وقال شارح الجامع: إسناده صحيح.

(٢) ارجع إلى هامش (الترغيب والترهيب) ج٣ ص١٤٩ وما بعدها.. شرح الشيخ خليل الهراس.. عليه رحمة الله.

(٣) كأن الخبيث لما أنظره الله جل شأنه ومكنه من التسلط على بنى آدم بالإضلال والإغواء اتخذ لنفسه عرشًا ووضعه على الماء يحاكى بذلك عرش الرب سبحانه وتعالى.. ومن هناك يبث جنوده للفتنة والإغواء.

(٤) جمع سرية وهى القطعة الصغيرة من الجيش تغير ثم يرجع إليه.

(٥) أى أرفعهم عنده درجة وأقربهم إلى قلبه.

(٦) أى أشدهم إغواء وإفسادًا.

فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، فيدنيه[1] منه ويقول: نعم أنت فيلتزمه[2])) رواه مسلم وغيره.

**(فعلى) الزوجين المسلمين العاقلين.. أن يلاحظا كل هذا.. حتى لا يمكنا منهما شياطين الإنس والجن المشار إليهما فى قوله تعالى:

﴿شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] ..(مع) ملاحظة أن الله تعالى فى هذه الآية الكريمة قدم شياطين الإنس على شياطين الجن.. (وذلك) لأن شياطين الإنس أخطر من شياطين الجن.. (وأعنى) بهذا كذلك أنك تستطيع بآية الكرسى - مثلًا- أو بالمعوذتين.. مع الاستعانة بالله تبارك وتعالى أن تحرق أى شيطان جنى سيقترب منك.. (وأما) شيطان الإنس فإنك إذا لم تكن أقوى منه إيمانًا، فإنه سيقودك إلى الهاوية، وسيكون سببًا فى ضياعك، وخراب بيتك..

*(وأعنى) بهذا كذلك أن تفهم الأخت المسلمة أن سعادتها وتعاستها.. فى يدها.

(فهى) مثلًا كزوجة صالحة تستطيع أن تقترب من زوجها بالصورة الشرعية التى تجعله هو أيضًا يحب معاشرتها.. ويحرص على إرضائها..

**(وذلك) بتنفيذ ما ورد فى السنة:

*(عن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**لا يحل لامرأة أن تصوم - أى صيام التطوع - وزوجها شاهد - أى حاضر - إلا بإذنه[3] ، ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه[4]**)) رواه البخارى، واللفظ له، ومسلم وغيرهما.

*(وإنما) عليها الصوم - الذى ليس فرضًا ولا نذرًا- مع حضور زوجها،

---

(١) أى يقربه منه.

(٢) أى يعانقه.

(٣) أى إلا أذن هو لها فى صيام التطوع، وأما صوم الفرض أو النذر فلا يحتاج إلى الإذن؛ لأنه واجب حتم فلا يتوقف على إذن أحد.

(٤) أى بدخول أحد من الناس فيه إذا كانت تعلم أن زوجها يكرهه.

لأنه ربما تاقت نفسه إليها فدعاها إلى نفسه فوجدها صائمة [1] ، ولا شك أن أداء حق الزوج أهم من صوم التطوع.

* (وعن) معاذ بن جبل ﷺ عن النبى ﷺ قال: ((**لا يحل لامرأة تؤمن بالله [2] أن تأذن فى بيت زوجها وهو كاره [3] ولا تخرج وهو كاره [4] ،ولا تطيع فيه أحدًا [5] ، ولا تعزل فراشه [6] ، ولا تضربه، فإن كان هو أظلم [7] فلتأته حتى ترضيه، فإن قبل منها فبها ونعمت. وقبل الله عذرها وأفلج حجتها [8] ، ولا إثم عليها. وإن هو لم يرض، فقد أبلغت عند الله عذرها**)) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد كذا قال. ولعله من كلام معاذ نفسه والله أعلم.

** (وعلى) الأخ الزوج كذلك أن ينفذ المراد من الأحاديث الآتية لصالح نفسه ولصالح زوجه وجميع أفراد أسرته:

* (عن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أكمل المؤمنين إيمانًا[9] أحسنهم خلقًا [10] ، وخياركم خياركم لنسائهم [11]**)) رواه الترمذى، وابن حبان فى صحيحه، وقال الترمذى حديث حسن صحيح.

* (وعن) عائشة ﷺ، قالت: قال رسول الله ﷺ : ((**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى**)) رواه ابن حبان فى صحيحه.

---

(١) وقد قيل إنه يجوز له أن يفسد صيامها التطوع إذا كان مضطرًا إلى هذا.. وعليها أن تطيعه ولها الثواب على هذا.. إن شاء الله تعالى.. وإن كان من الأفضل أن ينتظر الليل.

(٢) لأن هذه الأحكام كلها فرع الإيمان.

(٣) أى فى حال علمها بكراهته لذلك الإذن.

(٤) أى لا تخرج من بيتها إلا بموافقته ورضاه.

(٥) يعنى إذا أغراها أحد بعصيانه ومخالفته أو بغضه إليها لم تطع ولم تسمع لقوله.

(٦) أى تبعده وتنحيه عن فراشها.

(٧) أى أكثر ظلمًا لها بأن كان هو الذى بدأها.

(٨) يعنى أظهرها وجعلها غالبة.

(٩) أى أكملهم عملًا بمقتضى الإيمان.

(١٠) أى أكثرهم برًا ولطفًا .. وجميل عشرة.

(١١) إشارة إلى صلة الرحم والحث عليها.

* (وعن) سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إن المرأة خلقت من ضلع** [1] **، فإن أقمتها كسرتها** [2] **، فدارها** [3] **تعش بها**)) رواه ابن حبان فى صحيحه.

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((**استوصوا بالنساء**[4]**، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه** [5] **،فإن ذهبت تقيمه كسرته** [6] **،وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء** [7])) رواه البخارى، ومسلم وغيره.

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((**لا يفرك** [8] **مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا رضى منها آخر** [9]**، وقال: غيره**)) رواه مسلم.

** (بل) وعليهما معًا.. أن يؤدى كل واحد منهما للآخر حقه عليه.. (وذلك) لأن أغلب الخلافات التى تحدث بين الزوجين أساسها الجهل بهذه الحقوق..وعدم الاهتمام بها من الجانبين.. حتى وصل الأمر إلى تلك المشاكل التى أدت إلى طلب الطلاق من جانب الزوجة.. أو طلب (الخلع) من جانب الزوجة كذلك.. (وقد) يكون الزوج كذلك فى غم وهم بسبب تلك المشاكل.. (وهو) لا يستطيع طلاقها بسبب مؤخر الصداق الكبير.. أو بسبب قائمة الجهاز.. أو بسبب النفقة التى قد لا يستطيع الالتزام بها بعد ذلك.. بالإضافة إلى ضياع الأبناء بينهما..من جميع الوجوه.. (ولهذا) فقد رأيت أن أذكر الأخوين الزوجين، بما ورد.

(١) قال ابن كثير: (خلقت من ضلعه الأيسر من خلفه وهو نائم فاستيقظ فرآها فأعجبته فأنس إليها وأنست إليه) يعنى آدم وحواء عليهما السلام.

(٢) يعنى إن حاولت أن تعدل اعوجاجها.. لم تقدر على ذلك إلا بكسرها.

(٣) أى فعاملها بالمداراة والملاطفة وحسن السياسة.

(٤) أى ليوص بعضكم بعضًا بحسن معاملة النساء والرفق بهن.

(٥) إشارة إلى أنها خلقت من أعوج أجزاء الضلع.

(٦) الضمير للضلع ويحتمل أن يكون للمرأة.

(٧) تأكيد للجملة الأولى فى الحديث.

(٨) أى لا يبغض.

(٩) أى رضى منها خلقًا آخر.

(عن) معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله: ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت [1]، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه [2]، ولا تقبح [3]، ولا تهجر [4] إلا فى البيت» رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه، إلا أنه قال: أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ: ما حق المرأة على الزوج، فذكره.

(وعن) عمرو بن الأحوص الجشمى رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع يقول: بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وذكّر ووعظ، ثم قال: «**ألا [5] واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنما هن عوان [6] عندكم [7]، ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك [8] إلا أن يأتين بفاحشة مبينة [9] فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع [10]، واضربوهن ضربًا غير مبرح [11]، فإن أطعنكم [12]. فلا تبغوا عليهن سبيلًا [13]، ألا وإن لكم على نسائكم حقًا، ولنسائكم عليكم حقًا، فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون [14]، ولا يأذن فى بيوتكم لمن**

---

(1) يعنى أن تطعمها من طعامك الذى تأكل منه.. فليس المراد أنه لا يجوز أن يأكل حتى تأكل معه.. بل المراد الحث على إطعامها وكسوتها كما يفعل ذلك عادة فى شأن نفسه.

(2) أى اجتنب الوجه إذا احتجت إلى ضربها للنشوز، أو لتركها بعض الفرائض.

(3) أى لا تقبح صورتها.. ولا تقل لها: قبح الله وجهك.

(4) أى لا تهجرها إلا فى المضجع.

(5) ألا، أداة تنبيه يراد بها الاهتمام بما يلقى بعدها.

(6) **عوان**: أى أسيرات.

(7) **عندكم**: أى فى بيوتكم.. والمراد تشبيه المرأة بالأسير فى لزومها البيت.. فلا تخرج منه إلا بإذن زوجها.. وغير ذلك.

(8) أى غير ما جعل لكم الشرع من حق عليهن فى الطاعة ولزوم البيت ونحو ذلك.

(9) الاستثناء هنا من عموم الأحوال أو الأوقات أى لا تملكون منهن غير ذلك فى وقت من الأوقات إلا وقت إتيانهن بفاحشة مبينة، أى ظاهرة فحشًا وقبحًا.. والمراد النشوز وشكاسة الخلق وإيذاء الزوج والأهل باللسان واليد.. وليس المراد بها الزنا.

(10) بأن يوليها ظهره على الفراش.

(11) أى غير شديد.

(12) أى فى ترك النشوز.

(13) أى لا تتلمسوا الأسباب لأذيتهن وتوبيخهن، بل اتركوا التعرض لهن، واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن.

(14) قال ابن جرير: معناه: أن لا يمكّن من أنفسهن أحدًا سواكم.

تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن[1])) رواه ابن ماجه والترمذى، وقال:

** (هذا) بالإضافة إلى البشرى التى أبشر بها الأخت الزوجة، فقد ورد:

* (عن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إذا صلت المرأة خمسها**[2]**، وحصنت فرجها**[3]**، وأطاعت بعلها**[4]**: دخلت من أى أبواب الجنة شاءت**[5])) رواه ابن حبان فى صحيحه.

** (فليكن) كل هذا التذكير النافع سببًا من أهم أسباب استمرار العلاقة الزوجية بينهما.. (حتى) يخلعا من أفكارهما ما يسمى بـ (الخلع) .. الذى نسأل الله تعالى أن يعافى جميع الأزواج منه.. واستقرارًا واطمئنانًا على مستقبل الأولاد بينهما برعاية الله تعالى وتوفيقه.

فهو سبحانه، ولى التوفيق،..

(١) أى: فيما يلزمهن من كسوة وطعام بالمعروف.
(٢) أى الصلوات الخمس التى كتبهن الله عليها فى اليوم والليلة.
(٣) أى حفظته من الزنا.
(٤) يعنى زوجها.
(٥) يعنى فتحت لها سائر أبواب الجنة لتدخل من أيها أرادت.

(٤٣) خطبة أو درس

حول: الترهيب من الزنا سيّما بحليلة الجار ..والترغيب فى حفظ الفروج..

الحمد لله القائل : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات:٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّى الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[الأعراف: ٣٣].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل : ((إذا ظهر الزنا والربا فى قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله)) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.(١)

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغرِّ الميامين..الذين كانوا كما وصفهم الله تعالى فى قرآنه: ﴿لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، فكانوا هداه مهديين وقادة منتصرين ..وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧، ٣٨].

(أما بعد)،

فيا جماعة المسلمين ، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه ..(فى)هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى وتوفيقه..(رأيت) أن يكون لقائى معكم حول الترهيب من الزنا..ولا سيما بحليلة الجار..والمغيبة التى غاب عنها زوجها بالإضافة إلى الترغيب فى حفظ الفروج..(وإذا) كان لى أن أبدأ معكم الآن فى توضيح هذا الأمر الخطير والتركيز عليه.

(فإننى) أحب أولًا..(أن) أبدأ بحديث شريف يشير فيه النبى ﷺ إلى خطورة هذا الفعل المشين الذى يحل إراقة دم فاعله..(فعن) عبد الله بن

(١) وكذلك رواه الطبرانى وقال شارح الجامع: (وهو حديث صحيح).

مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إلـه إلا الله وأنـي رسـول الله إلا بإحـدى ثـلاث: الثيـب الزانـي، والـنفس بالنفس**[1]**، والتارك لدينه المفارق للجماعة**))[2] رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

(وقد) قرأت في هامش (الترغيب والترهيب) ج ٣ ص ٤٥٦ حول توضيح أهم ما جاء في هذا الحديث: (أن) قوله ﷺ : ((**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث**)) : أن قوله: (إلا بإحدى ثلاث): استثناء مقدر ..أي لا يحل دم امرئ مسلم بخصلة من الخصال إلا بإحدى خصال ثلاث ..(فيحل) لكن الحل للإمام[3] بالنظر للخصلة الأولى والثالثة، وأما في الثانية وهي : (النفس بالنفس)_فلوليّ الدم فقط ، فلو غيره لزمه القصاص .. ثم يقول: (وإنما) حل القتل بإحدى هذه الثلاث لما فيها من المصلحة العامة ، وهي حفظ النفوس ، والأنساب ، والأديان ، ولكن طريق القتل فيها مختلف..(فبالنسبة) للزاني خصوص الرجم بالحجر ، والقاتل بما قتل به إن أمكن ، وإلا فالسيف (وللتارك) لدينه خصوص ضرب عنقه بالسيف...

(ثم) يقول: والحصر في الحديث إضافي لا حقيقي، إذا قد بقي ذو البدعة المجاهر بها ، والممتنع من إقامة حق عليه، وقاطع الطريق ، والصائل، والباغي ومن امتنع من إظهار شعار الجماعة في الفرائض..(فكل) هؤلاء يحل دماؤهم بمقاتلتهم .

(هذا)، وإذا كان موضوعنا في الحديث الثيب - وهو المحصن - فإن المراد به في هذا الباب: الحر البالغ العاقل الواطئ أو الموطوءة في (القبل) في نكاح صحيح..(وقدّم) الثيب على الزاني - أي في الحديث - لأن الثيوبة هي السبب في حلِّ الدم ..(واحترز) بالثيب عن البكر ..فإنه يجلد مائة جلدة ،

---

(١) أي قتل النفس الجانية بالنفس المجني عليها بشروطه المعروفة.

(٢) وهو المرتد عن الإسلام.

(٣) أي لا يحل إراقة دم هذا الذي فصل الخصلة الأولى والثالثة إلا للإمام ..لأنه هو المسئول عن إقامة الحدود .

ويغرّب عامًا إن كان حرًا ، وإلا فعلى النصف من ذلك [1] ..(ثم) يقول: والزانى هو من أولج - أى أدخل - أو أولج فيه - أى أدخل فيه - حشفة آدمى - وهى رأس الذكر - أو قدرها فى (قبل)حرام لعينه مشتهى طبعًا خالٍ من شبهة الفاعل والمحل والطريق...

(وعن) عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إلا فى إحدى ثلاث** [2]**: زنا بعد إحصان**[3] **فإنه يرجم** - أى يقذف بالحجارة حتى يموت ولا يجوز قتله بغير ذلك إجماعا ، **ورجل خرج محاربا لله ولرسوله** - وهم البغاة وقطاع الطرق: **فإنه يقتل أو يصلب، أو ينفى من الأرض، أو يقتل نفسا فيقتل بها**» رواه أبو داود والنسائى.

(وقد) قال الله تعالى عن الذين يحاربون الله ورسوله...﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَو يُصَلَّبُوا أَو تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَو يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ..﴾ [المائدة: ٣٣] .. (وأما) عن الزانى الغير محصن - ذكرًا كان أم أنثى - فقد قال الله تعالى عنهما فى سورة النور [4]: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ أى : غير المحصنين لرجمها بالسنة _ كما سمعنا من قبل هذا _ وقدمت المرأة فى حد الزنا وأخرت فى آية حد السرقة .. لأن شهوة الزنا فى المرأة أقوى وأكثر، والسرقة ناشئة من الجسارة والقوة وهى فى الرجل أقوى وأكثر ﴿ فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ أى بسوط لين له رأس واحدة، ويجرد الرجل من ثيابه، والمرأة مما يقيها ألم الضرب، وتوضع فى قُفَّة فيها تراب للستر (ويزاد) على ذلك تغريب عام ..وأما الرقيق - أى العبيد - فعلى النصف مما ذكر (وهذا) مذهب الشافعى وقال مالك: لا يغرب إلا الذكر الحر ، وأما المرأة والرقيق فلا يغرَّبان ﴿ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ

---

(١) إذا كان عبدا...

(٢) أى إلا بسبب إحدى خصال ثلاث ..(ففى) هنا بمعنى باء السببية.

(٣) أى بعد تزوج بزواج صحيح : (قال) النووى فى شرح الأربعين النوويه : وإن لم يكن متزوجا فى حالة الزنا لا نصافة بالإحصان.

(٤) الآية : ٢، ٣ .

اللَّـهِ﴾ أى بـأن تتركـوا شيئًا مـن أحـدهما .. ﴿ إِنْ كُنْـتُمْ تُؤْمِنُـونَ بِاللَّـهِ وَالْيَـوْمِ الآخِرِ﴾، وهذا تحريض على ما قبل الشرط وهو قوله تعالى: ﴿جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَـا رَأْفَـةٌ﴾ لأن إقامة الحدود فيها رضا الله.. لما ورد أن إقامة الحدود فى الأرض خير من أن تمطروا أربعين صباحًا..(ولهذا) فإن الواجب هو الغضب لله واستيفاء الحدود اقتداء برسول الله ﷺ الذى ورد عنه أنه قال: ((**والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يديها**)) . ﴿ وَلْيَشْـهَدْ عَـذَابَهُمَا﴾ أى الجلد ﴿طَائِفَةٌ [1] مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل ثلاثة، وقيل أربعة عدد شهود الزنا .. والقولان للشافعى ، وعند مالك أقل ذلك أربعة.

..(ثم) بعد ذلك يقول سبحانه وتعالى مواصلا أهم الأحكام المتعلقة بالزانى والزانية ﴿ الزَّانِـى لا يَـنْكِحُ﴾ أى لا يتزوج ﴿ إِلا زَانِيَـةً أَوْ مُشْـرِكَةً وَالزَّانِيَـةُ لا يَنْكِحُهَا إِلا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ أى: أن الزانى يرغب فى نكاح الزانية أو المشركة، والزانية ترغب فى نكاح الزانى أو المشرك ..﴿ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أى لما فيه من المفاسد كالطعن فى النسب، والتعرض للتهم، والتشبه بالفساق..(فالواجب) التزوج بالعفيفات ..لما ورد فى الحديث ((**تخيروا لنطفكم فإن العرق دسَّاس**)) .(وقد) ورد أن الآية هذه نزلت لما هم فقراء المهاجرين أن تزوجوا بغايا المشركين وهنَّ موسرات لينفقن عليهم .. (فقيل) التحريم خاص بهم ، وقيل : عام ، ونسخ بقوله تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ ﴾ [النور: ٣٢]، والأيامى جمع أيم ، وهى من ليس لها زوج.. بكرًا أو ثيبًا.. ومن ليس له زوجة .. وهو يشمل الزانى والزانية وغيرهما.. فغاية الأمر أن نكاح الفاسق والفاسقة مكروه ...(ثم) بعد ذلك يقول سبحانه وتعالى مبينا جزاء الذين يرمون المحصنات ..أى العفيفات بالزنا. ﴿ وَالَّـذِينَ يَرْمُـونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ أى: على زناهن برؤيتهم..﴿فَاجْلِدُوهُمْ ﴾ أى كل واحد منهم ﴿ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً﴾ أى: فى شىء ﴿أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أى: لإتيانهم كبيرة ..والمعنى لا تقبلوا لهم توبة ما داموا مصرين على عدم التوبة بدليل الاستثناء - بعد ذلك- وعلى هذا درج مالك

(١) والطائفة أى الفرقة التى من الممكن أن تكون حلقه .

والشافعي ، وقال أبو حنيفة : لا تقبل شهادتهم ولو تابوا. ﴿إلا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور:٥] أي : إلا الذين تابوا بعد ذلك القذف ، وأصلحوا عملهم ..فإن الله تعالى سيغفر لهم .. (وهذا) الاستثناء متصل ؛ لأن المستثنى منه الذين يرمون ، والتائبون من جملتهم .

(ثم) بعد ذلك يقول سبحانه وتعالى مشيرًا إلى موضوع الملاعنة الذى ينبغى علينا أن نكون على علم به كذلك حتى نحذر التورط فيه.. ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ أي بالزنا ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ﴾ [١] أي عليه ﴿إلا أَنْفُسُهُمْ﴾ وقد وقع ذلك لجماعة من الصحابة..وهم هلال بن أمية، وعويمر العجلاني، وعاصم بن عدي ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾ مبتدأ ﴿ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ﴾نصب على المصدر [٢] ﴿ باللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي : فيما رمى به زوجته من الزنا [٣] ﴿ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النور:٧] أى فى ذلك ﴿وَيَدْرَأُ﴾ [النور: من الآية٨] أي يدفع ﴿ عَنْهَا الْعَذَاب ﴾ أى حد الزنا الذى ثبت بشهادته ﴿ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ باللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: فيما رماها به من الزنا ﴿ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [النور:٩] فى ذلك، أي : فيما رماها به .(وقد) قال بعد ذلك فى حاشية الصاوى على الجلالين:

(فائدة): ويترتب على لعانه دفع الحد عنه، وقطع نسب الولد منه ، وإيجاب الحد عليها..(ويترتب) على لعانها : دفع الحد عنها، وتأبيد تحريمها وفسخ نكاحها.

..(ثم) بعد ذلك يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ [النور: ١٠] أي : بالستر فى ذلك ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ أي بقبوله التوبة فى ذلك وغيره ﴿حَكِيمٌ﴾ أى فيما حكم به فى ذلك وغيره ليبين الحق فى ذلك وعاجل العقوبة من يستحقها [٤] .. ا.هـ .

---

(١) مفهومه لو كان له بينة فلا لعان بينهما عند مالك، وقال الشافعي: له ترك البينة ويلاعن، وأجاب عن الآية بأنها خرجت على سبب النزول فإنه لم يكن لهم بينة .

(٢) أي والعامل شهادة، وفي قراءة سبعية أيضا بالرفع خبرًا لمبتدأ .

(٣) أي : أو نفى الحمل، لأن اللعان كما يكون فى فى رؤية الزنا يكون فى نفى الحمل .

(٤) سورة النور: من الآية ٢، ١٠والتفسير بتصرف.. من حاشية الصاوى على الجلالين ج٣ ص٩٧، ٩٨.

(وهذا) وإذا كان لى أن أعود بعد ذلك إلى الموضوع الأساسى ..(فإنني) أنصح كل مسلم ومسلمة بقراءة ودراسة سورة النور ..لأن فيها ذكر أحكام العفاف والستر وغيرها من الأحكام الدينية المفصلة- كما سمعنا -(ولهذا) فقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أهل الكوفة، بقوله: (**علموا نساءكم سورة النور**)، وقالت عائشة رضى الله عنها: ((**لا تنزلوا النساء فى الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن سورة النور والغزل**)) ، وحسبنا جميعاً أن نقرأ قول الله تعالى فى أول السورة: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [النور:١] أى: واضحات الدلالات ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أى: تتعظون.(وقد)كرر الله تعالى كلمة : ﴿ وَأَنْزَلْنَا﴾ فيها لكمال الاعتناء بشأنها..وقوله تعالى : ﴿ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ أى: دلائل على وحدانية الله تعالى ..(وقد) ذكرت فى أول السورة أنواع من الأحكام والحدود وفى آخرها دلائل التوحيد..(فقوله): ﴿ وَفَرَضْنَاهَا ﴾ : إشارة إلى الأحكام،وقوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا فِيهَا ﴾ : إشارة إلى الأدلة ..(فاقرأ) كل هذا أخا الإسلام وادرسه بإمعان .. حتى تكون دائما وأبدا على صلة بهذا النور فى سورة النور ..والله ولى التوفيق .

..(وأما) عن الترهيب الزنا بحليلة الجار أو المغيبة .. أى التى غاب عنها زوجها ...(فقد) ورد فى هذا :

(عن) المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال : رسول الله ﷺ لأصحابه : ((**ما تقولون فى الزنا** ؟ قالوا: حرام حرمه الله عز وجل ورسوله ، فهو حرام إلى يوم القيامة: فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: ((**لأن يزنى الرجل بعشر نسوة أيسر من أن يزنى بامرأة جاره**)) [1]رواه أحمد ، ورواته ثقات : والطبرانى فى الكبير والأوسط.

(وعن) ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أى الذنب أعظم عند الله[2]؟ قال: ((**أن تجعل لله ندًّا**[3]**، وهو خلقك**)) ، قلت : إن ذلك لعظيم ،

---

(١) تمام الحديث : ((**فما تقولون فى السرقه ؟قالو: حرام حرمها الله ورسوله ، قال لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره**)) .

(٢) أى أشد إثما وعقوبة .

(٣) أى مساويا فى استحقاق العبادة.

ثم أى ؟ قال: ((**أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**)) [1] قلت: ثم أي؟ قال: ((**أن تزانى حليلة جارك**)) [2] رواه البخارى ومسلم، ورواه الترمذى والنسائى.

وفى رواية لهما : وتلا هذه الآية : ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً** ﴾[الفرقان :٦٩] .

(وروى) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ((**الزانى بحليلة جاره لا ينظر الله إليه يوم القيامة، ولا يزكيه ، ويقول ادخل النار مع الداخلين**)). رواه ابن أبى الدنيا والخرائطى وغيرهما .

* (وعن) أبى قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((**من قعد على فراش مغيبة** [3] **فيض الله له ثعبانا يوم القيامة**)) رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير من رواية ابن تميم. [4]

* (وعن) عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، رفع الحديث ، قال : مثل الذى يجلس على فراش المغيبة مثل الذى ينهشه [5] أسود من أساود يوم القيامة . رواه الطبرانى ، ورواته ثقات .

والأساود : أى الحيات ، واحدها: أسود .

** (وعلى) هذا ، فإننى أوجه كلمة من فوق هذا المنبر إلى الزناة - بحليلة الجار ، أو من غاب عنها زوجها - بصفة خاصة - أن يتقوا الله فى أعراض المسلمين .. وأن يذكروا دائما وأبدًا ما قاله الإمام الشافعى رضي الله عنه :

عِفُّوا تعف نساؤكم فى المحرم ... وتجنبوا ما لا يليق بمسلم

إن الزنا دين فإن أقرضته ... كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

---

(١) أى خوفا من أن يشاركك طعامك .

(٢) أى إن تزنى بزوجة جارك .

(٣) المغيبة: بضم الميم وكسر الغين وبسكونها أيضا مع كسر الياء : هى التى غاب عنها زوجها.

(٤) وهو حديث ضعيف .

(٥) أى يلدغه.

مـن يزنـى بـامرأة بـألفى درهـم	فى بيتـه يزنـى بغـير الـدرهم
مـن يزنـى يـزن بـه ولـو بجـداره	إن كنـت يـا هـذا لبيبًـا فـافهم
يـا هاتـك حـرم الرجـال وكاشـفًا	سـتر الحرائـر عشـت غـير مكـرِّم
لـو كنـت حـرا مـن سـلالة طـاهر	مـا كنـت هتاكـا لحرمـة مسـلم

(وأيضًا) أقول لهم : توبوا إلى الله تبارك وتعالى توبة سريعة وصادقة لأن الله تبارك وتعالى قد استثنى التائبين فقال بعد الآية رقم ٦٩ من سورة الفرقان : ﴿إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان : ٧٠] .

** وعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا كذلك – كزوجين – ما جاء فى المشاهد التى رآها النبى ﷺ فى ليلة الإسراء والمعراج .. ((فقد)) ورد أنه مر على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر ، ولحم نيىء خبيث فى قدرٍ، فجعلوا يأكلون من النيئ الخبيث ويدعون النضيج (فقال)لجبريل عليه السلام : ((**ما هذا يا أخى يا جبريل؟**)) فقال : هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة حلالاً طيباً فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً، فتأتى رجلا خبيثاً فتبيت عنده حتى تصبح).

* (وعلى) كل واحد منهما كمسلمين أو كمؤمنين أن يقتنع بالآخر ..وأن يتزين له .. حتى يكون راغبا فيه ..ومنشغلاً به عن الحرام...(مع) ملاحظة أنه من المفروض أن يكون كل منهما حصانة للآخر من الحرام .. الذى أسأل الله تعالى أن يعافينا جميعا منه .

** (ثم) هناك كلمة أوجها إلى الأخت المسلمة بصفة خاصة ..(وهي) أنها لا بد وأن تلاحظ .. أنها قد تكون – كمتبرجة – هى السبب فى وقوع أكثر الرجال فى ارتكاب جريمة الزنا ..

* (فقد) ورد فى الحديث: ((**ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء**))، وكذلك ورد: (عن) أبى موسى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : ((**كل عين زانية ، والمرأة إذا استعطرت _أى وضعت عطرا على بدنها وثيابها_ ،**

فمرَّت بالمجلس كذا وكذا ،يعنى زانية)) لأنها وجهت إليها الأنظار وحركت إليها شهوة الرجال _ والحديث رواه أبو داود ، والترمذى ، وابن خزيمة، وابن حبان فى صحيحيهم ، ولفظهم : قال النبى ﷺ : **((أيما امرأة استعطرت؛ فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية ، وكل عين زانية))** رواه الحاكم أيضًا ، وقال : صحيح الإسناد .

* (فعلى) الأخت المسلمة أن تتقى الله فى الرجال ، وعلى الرجال أن يتقوا الله فيها .. حتى لا يكون هناك وقوع فى جريمة الزنا – والعياذ بالله – من الجانبين.. مع ضرورة الالتزام بالشرع .. والاستعانة بالله تعالى على تحقيق هذا الالتزام والمجاهدة..

والله ولى التوفيق....

(٤٤) خطبه أو درس

حول التحذير من شرب الدخان وجميع الممنوعات والاتجار فيها وكذلك جميع المسكرات والمفترات

الحمد لله القائل : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات:٥٥] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ [النساء : ٢٩] .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى ورد عنه أنه نهى عن كل مسكر ومفتِّر (١).. رواه أحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه بسند صحيح .عن أم سلمه رضي الله عنها .

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغرِّ الميامين الذين كانوا يجتنبون كل مسكر ومفتِّر .. حفاظاً على صحتهم ، وصيانة لعقولهم من الاختلال .. تنفيذاً لأمر الله تعالى فى قوله : ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة :١٥٩].. فكانوا أقوياء أصحاء وعقلاء .. وكانوا رجالاً كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله : ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور : ٣٧، ٣٨].

(أما بعد) ،

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه .. (فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى وتوفيقه .. رأيت أن أدور معكم حول موضوع من أهم المواضيع التحذيرية التى لا بد وأن نركز عليها ، ونحذر منها على الدوام ..(ألا) وهو التحذير من جميع المسكرات والمفترات والممنوعات .. ومن شرب الدخان بصفة عامة ..(وقد) علمنا أن النبى ﷺ نهى عن كل مسكر ومفتر .. أى مضعف للجسد ومخدر له .. (وإذا كان) لى أن أبدأ الآن فى التحذير من كل مسكر .. (فإن) المراد بالمسكر : أى الخمر

---

(١) والمفتِّر: أى المضعف للقوى..يقال : يفتر : فتورًا ، أى لان بعد شدة ، أو سكن بعد حِدَّة ونشاط.

الذى حرمه الله تبارك وتعالى فى قرآنه ، وعلى لسان نبيه صلوات الله وسلامه عليه .. فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (١) [المائدة ٩٠، ٩١].

* (وقد) روى الشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى ((**كل مسكر خمر وكل مسكر حرام**)) وأبو داود : ((**وكل مسكر خمر وكل خمر حرام**)) .

* (وروى) أبو داود : ((**لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها** (٢) **وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمول إليه**)) رواه ابن ماجه وزاد: ((**وآكل ثمنها**)) وروى الحاكم : ((**من زنى وشرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه**))

** (هذا) مع ملاحظة ما ورد: (عن) جابر رضي الله عنه أن رجلاً قدم من جيشان ، وجيشان من اليمن فسأل رسول الله ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة ، يقال له (المذد) فقال رسول الله ﷺ : ((**أو مسكر هو؟**)) قال: نعم قال رسول الله ﷺ : ((**كل مسكر حرام وإن عند الله عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال**)) قالو: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: ((**عرق أهل النار - أو عصارة أهل النار**)) رواه مسلم والنسائى.

** (وعلى هذا) فإننا نستطيع أن نتفق على شراب (البيرة) من الخمر .. أى المسكر المحرم الذى لا بد وأن : يجتنبه كذلك كل أخ مؤمن كالخمر تماماً..(وكذلك) الحكم بالنسبة لكل مسكر تحت أى اسم من الأسماء..(وقد) أعلن عمر رضي الله عنه من فوق منبر الرسول ﷺ : ((**الخمر ما خامر** (٣) **العقل**)) رواه مسلم .

(بل) وورد كذلك فى حديث رواه أحمد وأبو داود والترمذى أن رسول الله

---

(١) أى قذر من عمل الشيطان أى من تسلطه عليكم وفي الآية بيان لحكمة تحريم الخمر والميسر .

(٢) أى مشتريها ومعتصرها أى طالب عصرها .

(٣) وهذا هو السبب فى تسميه الخمر بهذا الاسم .. لأنها تخامر العقل .أى تجعل صاحبه شبه مجنون..والعياذ بالله.

عليه وسلم قال : ((**ما أسكر كثيره فقليله حرام**)) وقال : : ((**ما أسكر الفرق**[1] **منه فملء الكف منه حرام**)) رواه أحمد وأبو داود والترمذى .

(وقد) قرأت كذلك فى كتاب (الحلال الحرام فى الإسلام[2] تحت عنوان:

الاتجار بالخمر

أن النبى ﷺ لم يكتف بتحريم شرب الخمر قليلها وكثيرها ، بل حرم الاتجار بها ، ولو مع غير المسلمين ، فلا يحل لمسلم أن يَعْمَل مستورداً أو مصدراً للخمر ، أو صاحب محل بيع الخمر، أو عاملاً فى هذا المحل . (ومن) أجل ذلك : ((**لعن النبى ﷺ فى الخمر عشرة : عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشترى لها، والمشتراة له**)) رواه الترمذى وابن ماجه ورواته ثقات ..(ولما) نزلت آية المائدة التى وقفنا عليها ص رقم ٩٠ .

قال النبى ﷺ : ((**إن الله حرم الخمر فمن أدركته هذه الآية ، وعنده منها شىء ، فلا يشرب ولا يبيع**)) قال راوى الحديث : فاستقبل الناس بها كان عندهم منها طرق المدينة فسفكوها . رواه مسلم.

(وعلى) طريقة الإسلام فى سدّ الذرائع إلى الحرام ، حرام على المسلم أن يبيع العنب لمن يعرف أنه سيعصره خمراً. وفى الحديث : ((**من حبس العنب أيام القطاف ، حتى يبيعه من يهودى – أى ليهودى – أو نصرانى ، أو ممن يتخذه خمرًا – أى : ولو كان مسلمًا – فقد تقحَّم النار على بصيرة**)) .رواه الطبرانى فى الأوسط وحسنه الحافظ فى (بلوغ المرام) .

** (ثم) يقول فى (**الحلال والحرام فى الإسلام**) تحت عنوان :

المسلم لا يهدِى خمراً

وإذا كان بيع الخمر وأكل ثمنها حراماً على المسلم فإن إهداءها بغير عوض، ولغير مسلم من يهودى أو نصرانى أو غيره حرام أيضاً ، فما ينبغى للمسلم أن تكون هدية منه ، ولا هدية إليه ، فهو طيب لا يهدى إلا طيبا ولا يقبل إلا طيبا .

---

(١) **الفرق** : مكيال يسع ستة عشر رطلاً.

(٢) للأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى .. أكرمه الله.

(وقد) روى أن رجلاً أراد أن يهدى للنبى عليه الصلاة والسلام راوية الخمر.. فأخبره النبى ﷺ أن الله حرمها، فقال الرجل: أفلا أبيعها؟ فقال النبى: «**إن الذى حرم شربها حرم بيعها**»، قال الرجل: أفلا أكارم بها اليهود؟ فقال النبى: «**إن الذى حرمها حرم أن يكارم بها اليهود**» فقال الرجل فكيف أصنع بها؟ فقال النبى ﷺ: «**شنها على البطحاء**»[1] رواه الحميدى فى مسنده..

(ثم) يقول: (وعلى) هذه السنة أُمِر المسلم أن يقاطع مجالس الخمر، ومجالسة شاربها (فعن) عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة تدار عليها الخمر**» رواه أحمد، ومعناه عند الترمذى.

*(وقد) روى عن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز أنه كان يجلد شاربى الخمر ومن شهد مجلسهم، وإن لم يشرب معهم ...وروى أنه رفع إليه قوم شربوا الخمر، فأمر بجلدهم، فقيل له: إن فلاناً، وقد كان صائماً: به ابدأوا أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

**(ثم) يقول تحت العنوان:

(الخمر داء وليس دواء)

بكل هذه النصوص الواضحة كان الإسلام حاسماً كل الحسم فى محاربة الخمر وإبعاد المسلم عنها، وإقامة الحواجز بينه وبينها، فلم يفتح أى منفذ – وإن ضاق وصغر – لتناولها أو ملابستها. لم يبح للمسلم شرابها، ولو القليل منها، ولا ملابستها. ببيع أو شراء، أو إهداء أو صنعها، ولا إدخالها فى متجرة أو فى بيته، ولا إحضارها فى حفلات الأفراح وغير الأفراح، ولا تقديمها لضيف غير مسلم، ولا أن تدخل فى أى طعام أو شراب.

*(ثم) يقول: بقى هنا جانب قد يسأل عنه بعض الناس وهو استعمال الخمر كدواء. (وهذا) ما أجاب الرسول عليه الصلاة والسلام عنه، فقد سأله رجل عن الخمر، فقال الرجل: إنما أصنعها للدواء. فقال ﷺ: «**إنه ليس بدواء ولكنه داء**». رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى. (وقال)

---

(١) البطحاء والأبطح: مسيل واسع فيه دقائق الحصى.

ﷺ : ((**إن الله أنـزل الـداء والـدواء ، وجعـل لكـل داء دواء ، فتـداووا ولا تتداووا بحرام**)). رواه أبو داود .

(وقال) ابن مسعود رضي الله عنه فى شأن المسكر : ((**إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم**)) رواه البخارى تعليقا .

** (قد) يسأل الإخوة المستمعون عن السر فى هذا التركيز على موضوع الخمر بصفة خاصة ...؟

فأجيبهم بأن السر فى هذا هو أن الخمر هى أم الخبائث وهى كنية الخمر- (فعن) عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**اجتنبوا أم الخبائث فإنه كان رجل ممن كان قبلكم يتعبد ، ويعتزل الناس ، فعلقته امرأة**[1]**، فأرسلت إليه خادما : إنا ندعوك لشهادة ، فدخل ، فطفقت**[2]**كلما يدخل بابا أغلقته دونه حتى إذا أفضى** [3] **إلى امرأة وضيئة** [4] **جالسة ، وعندها غلام وباطية**[5]**فيها خمر ، فقالت : إنا لم ندعك لشهادة ولكن دعوتك لقتل هذا الغلام أو تقع على ، أو تشرب كأسا من الخمر ، فإن أبيت صحت بك وفضحتك . قال : فلما رأى أنه لا بد له** [6]**من ذلك ، قال : اسقنى كأسا من الخمر ، فسقيته كأسا من الخمر فقال: زيدينى ، فلم تزل حتى وقع عليها** [7]**، وقتل النفس : فاجتنبوا الخمر فإنه والله لا يجتمع إيمان وإدمان الخمر فى صدر رجل أبدا** [8]**وليوشكنّ** [9]**أحدهما : يخرج صاحبه**)) رواه ابن حبان فى صحيحه واللفظ له ، والبيهقى مرفوعا مثله ، وموقوفا وذكر أنه المحفوظ ... (قال)

---

(١) أى أحبته وتعلق قلبها به .
(٢) أى شرعت.
(٣) أى وصل وانتهى .
(٤) من الوضاءة وهى الحسن والجمال.
(٥) إناء من الزجاج يملأ من الشراب والجمع بواط .
(٦) أى لا مندوحة ولا مهرب له.
(٧) أى غشيها وجامعها.
(٨) فإذا أوجده أحدهما فارقه الآخر.
(٩) أى لا يقربن.

ابن كثير : وهذا إسناد صحيح [1].

** (وهى) أيضا : مفتاح كل شر .. (فعن) ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ((**اجتنبوا الخمر** [2]: **فإنها مفتاح كل شر**)) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

* (وذلك) : لأنها تهيئ شاربها للوقوع فى جميع الآثام والمنكرات من قتل وزنا ونحوهما .. فإنه إذا زال العقل لم يتق ما : يحجزه عن شىء من ذلك .

** (وأما) عن :

(المخدرات)

فهى أيضا كالخمر .. بل هى من الخمر .. كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه (فلقد) قال - كما سمعنا قبل هذا - من فوق منبر الرسول ﷺ : ((**الخمر ما خامر العقل**)) ، أى أن كل ما لابس العقل وأخرجه عن طبيعته المميزة المدركة الحاكمة ، فهو خمر حرام حرمه الله ورسوله إلى يوم القيامة .

(ومن) ذلك تلك المواد المفترة التى تعرف باسم (المخدرات) مثل الحشيش ، والكوكايين ، والأفيون ونحوها، مما عرف أثرها عند تعاطيها أنها تؤثر فى حكم العقل على الأشياء والأحداث ، فيرى البعيد قريبًا والقريب بعيدًا ، ويذهل عن الواقع ، ويتخيل ما ليس بواقع ، ويسبح فى بحر من الأحلام والأوهام وهذا ما يسعى إليه متناولوها حتى ينسون أنفسهم ودينهم ودنياهم ويهيموا فى أودية الخيال ...

* (إلى) أن يقول بعد ذلك فى الحلال والحرام فى الإسلام .. ما خلاصته : (وهذا) غير ما تحدثه من فتور فى الجسد ، وخدر فى الأعصاب ، وهبوط فى الصحة وفوق ذلك ما تحدثه من خور النفس ، وتميع الخلق وتحلل الإرادة وضعف الشعور بالواجب مما يجعل هؤلاء المدمنين لتلك السموم أعضاء غير صالحة فى جسم المجتمع (فضلا) عما وراء ذلك كله من إتلاف المال ،

---

(١) انظر الترغيب والترهيب مع الهاء من جـ٣ صـ ٤٤٠ .
(٢) أى اجتنبوا تعاطيها شربا وغيره.

وخراب للبيوت ، بما ينفق على تلك المواد من أموال طائلة ، ربما دفعها المدمن من قوت أولاده ، وربما انحراف إلى طريق غير شريف يجلب منه ثمنها .

(ثم) يقول : وإذا ذكرنا إن (التحريم يتبع الخبيث والضرر) تبين لنا أن حرمة هذه الخبائث التى تبث ضررها الصحى والنفسى والخلقى والاجتماعى والاقتصادى مما لا شك فيه .

(وعلى) هذه الحرمة أجمع فقهاء الإسلام الذين ظهرت فى أزمنتهم هذه الخبائث : (وفى) طليعتهم شيخ الإسلام ابن تيمية الذى قال : هذه الحشيشة الصلبة حرام سكر منها أم لم يسكر ... وإنما يتناولها الفجار لما فيها من النشوة والطرب .. فهى تجمع شراب المسكر فى ذلك ، والخمر توجب الحركة والخصومة ، وهذه توجب الفتور والذلة، وفيها مع ذلك من فساد المزاج والعقل ، وفتح باب الشهوة، وما توجبه من الدياثة [1] - وهى فقدان الغيرة - ما هو شر من الشراب المسكر . وإنما حدثت فى الناس بحدوث التتار. وعلى تناول القليل والكثير منها حد الشرب - ثمانون سوطا أو أربعون .. (ثم) يقول : (ومن) ظهر منه أكل الحشيش فهو بمنزلة من ظهر منه شرب الخمر وشر منه من بعض الوجوه ، ويعاقب على ذلك كما يعاقب هذا .

قال : (وقاعدة الشرعية أن ما تشتهيه النفوس من المحرمات كالخمر والزنا ففيه الحد ، وما لا تشتهيه كالميتة ففيه التعزير[2]، والحشيشة مما يشتهيها آكلوها، ويمتنعون عن تركها، ونصوص التحريم فى الكتاب والسنة على من يتناولها كما يتناول غير ذلك) [3].

** (ثم) يقول ، فى (الحلال والحرام فى الإسلام) تحت عنوان ..

كل ما يضر فى أكله وشربه حرام

(هنا) قاعدة عامة متكررة فى شريعة الإسلام ، وهى أنه لا يحل للمسلم أن

---

(١) يعني أن البعيد سيكون ديوث وهو الذى يقر الخبث في أهله تحقيقا لرغباته الشيطانية عن طريق المخدرات .

(٢) إن كان حرا جلد ثمانين جلدة ... وإن كان عبدا جلد أربعين جلدة.

(٣) فتاوى ابن تيمية جـ٤ صـ ٢٦٢ وما بعدها ، وراجع (السياسة الشرعية) له أيضًا .

يتناول من الأطعمة أو الأشربة شيئا يقتله بسرعة أو ببطء _ كالسم بأنواعه – أو يضره ويؤذيه ، والآن يكثر من طعام أو شراب يمرض الإكثار منه ، فإنه المسلم ليس ملك نفسه ، وإنما هو ملك دينه وأمته . وحياته وصحته وماله ، ونعم الله كلها وديعة عنده ، ولا يحل له التفريط فيها . قال تعالى : ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] .

* ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال ﷺ : ((لا ضرر ولا ضرار)) . رواه أحمد وابن ماجه .

** (ثم) يقول بعد ذلك ، عن :

شرب الدخان

(ووفقا) لهذا المبدأ نقول : إن تناول التبغ ، وهو (الدخان) ما دام قد ثبت أنه يضر بتناوله فهو : (حرام) ، وخاصة إذا قرر ذلك طبيب مختص بالنسبة لشخص معين . ولو لم يثبت ضرره الصحى لكان إضاعة للمال فيما لا ينتفع به فى الدين أو الدنيا وقد ((نهى النبى ﷺ عن إضاعة المال)) رواه البخارى _ وتأكيد النهى إذا كان محتاجا إلى ما ينفقه من مال لنفسه أو عياله . ا . هـ.

(هذا) وإذا كان لى أن أعلق على هذا الذى استمعنا إليه .. (فإننى) أولا أقول للسكارى ... اتقوا الله فى أنفسكم .. وتوبوا سريعًا إلى الله تبارك وتعالى بالإقلاع عن جميع المسكرات : (وحسبكم) بالإضافة إلى كل ما استمتعتم إليه أن تستمعوا إلى هذا الحديث الشريف الذى رواه الإمام أحمد بسند رجاله رجال الصحيح ، عن رسول الله ﷺ قال : ((**مدمن الخمر إن مات – أى من غير توبة– لقى الله كعابد وثن**)) (1) .

** وروى أحمد واللفظ له والنسائى والبزار والحاكم وصححه : (ثلاثة قد حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة : مدمن الخمر ، والعاق ، والديوث الذى يقر فى أهله (الخبث) .

** (وأقول) ثانيا : لآكلى – أو شاربى – الحشيش والأفيون وجميع المخدرات .. اتقوا الله فى أنفسكم ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ

---

(1) أى صنم .

اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] ، ﴿وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ [النساء: من الآية٢]
(وعليهم) أن يقلعوا عن المتاجرة فى جميع أنواع المخدرات وما كان على شاكلتها .. مثل (الهيروين) الذى هو الآن من أكبر المدمرات لخلايا المخ وكذلك ما كان على شاكلته مثل (الكُلَّة) ، (التنر)، (البانجو) وإن كل هذا.. وأشباهه .. لا بد وأن يضرب على أيدى شاربيه أو مستنشقيه أو المتاجرين فيه.. بيد من حديد حتى لا يكون هناك تدمير لتلك القوى البشرية التى هى عصب هذه الأمة .. التى لا بد وأن نحمى كل فرد فيها من كل معتد أثيم .. (وعليهم) كذلك أن يلاحظوا شيئا هاما وهو أنه لا حياه للشعوب إلا بسواعد أبنائها الذين يحافظون على قواهم الصحية والمالية والاجتماعية .. بل والدينية التى لن تكون حقيقية إلا بالمحافظة على كيانها الأخلاقى .

** (وثالثًا) أقول لشاربى الدخان بجميع أنواعه ومشتقاته .. مثل (المعسل) ، (التمباك).....إلخ :

(اتقوا الله فينا) وفى أنفسكم .. لأنكم بشرب هذا الدخان تلوثون أجواءنا.. وتعرضون كل فرد فينا لتلك الأخطار الجسيمة التى تنتج غالبا عن طريق هذا التدخين الذى هو كذلك من أكبر المحرمات ..لأنه مضر بالصحة ومتلف لها..(وقد سمعت طبيبا كبيرا[1] يقول: إن السيجارة الواحدة فيها نيكوتين .. لو وضع فى حقنة وأعطيت لجمل لقتلته .. وقال : إن شرب الدخان يضر الجنين فى بطن أمه ، وقد سمعت أحد العلماء العاملين[2] يقول: إن شارب الدخان يعتبر منتحرًا.. لأنه يقتل نفسه قتلا بطيئاً .. ثم قال .. فإذا مات ثم تبين أنه قد مات بسبب شرب الدخان.. فإنه سيكون قد مات كافرًا والعياذ بالله..(وكذلك) أقول لبائعى الدخان .. إن بيع الدخان حرام .. وكذلك العمل فى مصنعه ..أو نقله إلى بائع.. (ولهذا) فإننى أقول له طهر حانوتك من هذا الخبث – الحسى والمعنوي– وإلا فإن وجوده ضمن تجارتك سيكون سبباً فى خراب بيتك وضياع كل أموالك.. كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله :

---

(١) وهو الدكتور حمدى السيد – نقيب الأطباء – وقتئذ .

(٢) وهو الدكتور: محمد السيد سعيد– رئيس الجمعيات الشرعية بالمحلة الكبرى – عليه رحمة الله.

(وعلى) الذى يعمل فى مصانع الدخان ....أن يبحث له عن عمل حلال آخر .. (وإلا) فإن مرتبه .. بل ومعاشه ومعاش أولاده بعد ذلك سيكون حراماً.. (وقد) ورد فى الحديث : ((**كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به**))

(وإننى) أيضا أطالب من فوق هذا المنبر بضرورة أن تتحول مصانع الدخان هذه إلى مصانع للأغذية .. حفاظًا على عافيتنا .. وتنقيه لأجوائنا من هذا التلوث الذى يشكل خطرا كبيرا علينا .. وعلى أبنائنا ، وأموالنا .. وكما يقولون : (الوقاية خير من العلاج) .

والله المستعان .. وهو سبحانه ولى التوفيق .

(٤٥) خطبة أو درس
حول حق المسلم على المسلم

الحمد لله القائل : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٧١] .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: ((**عودوا المريض ، وأطعموا الجائع ، وفكوا العانى** (١))) رواه البخارى .

اللهم صلّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، المتحابين المتعاطفين الذين كانوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .. فكانوا هداة مهديين ، وقادة منتصرين ، وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه عنهم فى قوله : ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

(أما بعد)؟؟

فيا جماعة المسلمين ، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه .. (فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى وتوفيقه.. (رأيت) أن يكون لقائى معكم حول حق من أهم الحقوق الإسلامية التى ينبغى علينا - نحن المؤمنين - أن نذكرها وننفذ المراد منها على الدوام ..ألا وهو :

حق المسلم على المسلم

الذى ورد فيه : (عن) أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((**حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض، واتباع الجنازة ،**

(١) أى الذى أسره الكفار أو لدين عليه أداؤه فى الإسلام.

وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس)) رواه البخارى ومسلم .

وروى مسلم : ((حق المسلم على المسلم ست)) : قيل : وما هى يا رسول الله ؟ قال: ((**إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه**)) رواه الترمذى والنسائى .

** (وهذه الحقوق الخمس أو الست .. من أهم الواجبات التى أمرنا رسول الله ﷺ بتنفيذها ..

* (فعن) البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : أمرنا رسول الله ﷺ : بعيادة المريض ، واتباع الجنازة ، وتشميت العاطس ، وإبرار المقسم،ونصر المظلوم ، وإجابة الداعى ، وإفشاء السلام. متفق عيه.

** (وذلك) لأن تنفيذ هذه الأوامر أو الحقوق الواجبة، سيربط بين قلوب المسلمين ، وسيجعل العلاقات الإيمانية الوطيدة مستمرة بينهم بتلك الصورة التى وردت على لسان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان الصديق رضي الله عنه - قد أمره - بعد أن أصبح خليفة لرسول الله ﷺ : بأن يتعاون معه فى فض الخصومات الداخلية بين المسلمين .. وذلك بالجلوس فى مجلس القضاء لمدة يوم أو يومين من كل أُسبوع بالإضافة إلى شئون الخلافة الأخرى .. ويمتثل عمر لأمر الخلافة .. ثم يجلس فى مجلس القضاء - الذى كان فى المسجد - لمدة عام كامل .. فى انتظار الشاكى الذى يقول له : إن فلانًا ظلمنى ، أو ضربنى ، أو أكل مالى .. ولكن كل هذا لم يحدث .. (فذهب) إلى الخليفة الصديق رضي الله عنه وعنه .. وقال له أمام جُلسائِه : أعفنى من مهمة القضاء .. فقال الصديق : أمن مشقة القضاء جئت تطلب الإعفاء يا عمر ؟!. فقال : لا يا خليفة رسول الله .. ولكن لا حاجة لى بين قوم مؤمنين - أى يصلح كل واحد منهم أن يكون قاضياً - ثم قال واصفاً لهم :. (عرف كل منهم ماله من حق فلم يطلب أكثر منه ، وما عليه من واجبٍ فلم يقصِّر فى أدائه ، أُحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه، إذا غاب أحدهم تفقَّدوه ، وإذا مرض عادوه ، وإذا افتقر أعانوه ، وإذا احتاج ساعدوه ، وإذا أحسب واسوه ، دينهم النصيحة ، وخُلقهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : ففيم : يختصمون يا خليفة رسول الله) ؟؟

** (فلكى) تستمر الصورة المشرفة هذه ..(لا بد) وأن ينفذ كل مسلم حقوق أخيه المسلم عليه .. وله الثواب من الله تعالى على هذا .. (فقد) ورد على سبيل المثال : (عن) ثوبان رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : ((**إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل فى خرفة الجنة حتى يرجع**)) قيل: يا رسول الله وما خرفة الجنة ؟ قال : ((**جناها**[1])) . رواه مسلم .

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((**إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا بن ادم مرضت فلم تعدنى ! قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال: أما علمت أن عبدى فلاناً مرض فلم تعده ! أما علمت أنك لو عُدته لوجدتني**[2] **عنده ؟ يا بن آدم استطعمتك فلم تطعمنى ! قال : يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ! أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى**[3]**؟ يا بن آدم استسقيتك**[4] **فلم تسقنى! قال : يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ! أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى**[5] **؟**)) رواه مسلم .

** (هذا) ، وإذا كان الموضوع يحتاج إلى شيء من التفصيل .. (فإنه) حسبنا الآن .. وبعد هذا التمهيد الهام .. أن نبدأ _ وبإيجاز _ فى شرح المراد من تلك الحقوق .. التى وقفنا عليها فى الروايتين .. والتى :

** أولها : (ردُّ السلام) ، فإن معناها .. أن تَرُدَّ السلام على من ألقى السلام عليك ، وكما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وإذا حُيّيتم بتحيَّة فحيُّوا بأحسن منها أو ردُّوها﴾ . وقال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ[6] * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [الذاريات:٢٥] . (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: ((**لما خلق الله آدم عليه السلام قال:**

---

(١) أى ما يجنى من الثمر.

(٢) وجوديًا معنويا ، قال تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ .

(٣) أى عندى ثوابه المضاعف .

(٤) أى طلبت منك السقيا بلسان عبدى .

(٥) أى عندى ثوابه .

(٦) كانوا اثنى عشر ملكا – أو جبريل وميكائيل وإسرافيل . وسماهم ضيفًا لأنهم فى صورة إنسان .

اذهب فسلم على أولئك - نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: رحمة الله». متفق عليه.

** (وقد) ورد كذلك فى صيغ السلام وردِّه: .(عن) عمران بن الحصين رضي الله عنهما قال: (جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه ثم جلس، فقال النبى ﷺ «**عشر**» ثم جاء آخر فقال: (السلام عليكم ورحمة الله) فرد عليه فجلس، فقال: «**عشرون**» ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، فرد عليه فجلس، فقال: «**ثلاثون**». رواه أبو داود، والترمذى وقال: حديث حسن.

* (وعن) معاذ بن أنس عن النبى ﷺ بمعناه وزاد: ثم أتى آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته)، فقال: «**أربعون**». وقال: «**هكذا تكون الفضائل**». رواه أبو داود.

** (ثم) إليكم أيها الإخوة المسلمون الأحاديث الآتية التى أرجو أن تنتفعوا بها .. وتنفذوا المراد منها:

* (فعن) أبى أمامه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أولى الناس بالله من بدأ بالسلام**» رواه أحمد والترمذى وأبو داود.

* (وعن) جرير رضي الله عنه أن النبى ﷺ مَرَّ على نسوة فسلَّم عليهن [1]. رواه أحمد.

* (وعن) على بن أبى طالب رضي الله عنه قال: يجزئ عن الجماعة إذا مَرَّوا أن يسلم أحدهم، ويجزئ عن الجلوس أن يردَّ أحدهم. رواه البيهقى فى شعب الإيمان مرفوعًا. وروى أبو داود وقال رفعه الحسن بن على. وهو شيخ أبى داود. (ومعنى) هذا بالنسبة للجلوس .وأنه إذا مَرَّ أحد من المسلمين عليهم فألقى السلام .. فإنه يجزئ عنهم أن يرد أحدهم عليه .. لأن هذا سيكون فرض كفاية .. أما إذا كان الجالس واحدًا .. فإن ردَّ السلام يعتبر فرض عين بالنسبة له.

---

(١) أى بالكلام .. دون مصافحة .. لأنه لم يصافح النساء .. أبدًا.

* (وعن) عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس منا من تشبَّه بغيرنا ، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى ، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع ، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف**» . رواه الترمذى وقال : إسناده ضعيف .

.(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إذا لقى أحدكم أخاه فليسلم عليه ، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه**» . رواه أبو داود .

(وعن) أنس رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**يا بنى ، إذا دخلت على أهلك فسلم ، يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك**» . رواه الترمذى .

(فلاحظ) كل هذا أخا الإسلام ..حتى تكون مشاركًا لنا فى تحقيق أهم أسباب الإيمان ..فقد ورد : (عن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ. «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم** » رواه مسلم .

(وعن) أبى يوسف عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**يا أيها الناس: أفشوا السلام**[1] ، **وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلُّوا**[2] **والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام**» رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح .

(وأما) عن الحق الثانى ، وهو (عيادة المريض) ، (فإن) المراد بها أن تزوره لكى تنفس عنه ، وتدعو له بالشفاء .. (فقد) ورد :

(عن) على رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم يعود مسلمًا غُدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى ، وإن عاده عشيَّةً إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ، وكان له خريف**[3] **فى الجنة**» رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(وقد) ورد من الأدعية الصحيحة :

---

(١) أى أشيعوا وانشروه .

(٢) أى تهجدوا .

(٣) **الخريف** : الثمر المخذوف : أى المجتنى .

(عن) عائشة رضي الله عنها ، **أن النبى ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشىء منه** أو كانت به قرحة أو جرح قال النبى ﷺ بإصبعه هكذا ووضع سفيان بن عيينة الراوى سبابته بالأرض ثم رفعها وقال: ((**بسم الله**)) ، تربة أرضنا ، بريقة بعضنا [1]، يشفى به سقيمنا بإذن ربنا [2]»متفق عليه .

(وعنها) أن النبى ﷺ كان يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول : ((**اللهم رب الناس ، أذهب الباس ، واشف أنت الشافى ، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقما**)) متفق عليه.

(وعن) أبى عبد الله عثمان بن أبى العاص رضي الله عنه أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعا يجده فى جسده ، فقال له رسول الله ﷺ : ((**ضع يدك على الذى يألم من جسدك وقل : بسم الله - ثلاثا - وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شرِّ ما أجد وأحاذر**)) رواه مسلم .

(وعن) ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال : ((**من عاد مريضا لم يحضر أجله[3] فقال عنده سبع مرات : أسأل الله العظيم أن يشفيك : إلا عافاه من ذلك المرض**)) . رواه أبو داود والترمذى وقال: حديث حسن ، وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط البخارى.

(وعن) أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن جبريل أتى النبى ﷺ فقال: يا محمد اشتكيت ؟ قال : ((**نعم**)) قال: بسم الله أرقيك من كل شيءٍ يؤذيك . ومن شر كل نفس [4] أو عين حاسد ، الله يشفيك بسم الله أرقيك. رواه مسلم .

(هذا) وأحب أن يُذكِّر الأخ العائد أخاه المسلم المريض .. بالحديث الشريف الذى ورد :

(عن) أبى سعيد وأبى هريرة رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: ((**ما يصب المؤمن من نصب [5]، ولا وصب [6]، ولا هم ولا حزن ، ولا أذى ، ولا غم، حتى**

---

(١) أى ممزوجه معها .

(٢) أى بأمره عز شأنه .

(٣) أى بأمره عز شأنه .

(٤) أى خبيثة أمارة بالسوء.

(٥) النصب : أى التعب .

(٦) والوصب : أى المرض .

الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه[1]) رواه البخارى ومسلم ولفظة: ((**ما يصيب المؤمن من وصب ، ولا نَصب ، ولا سقم ، ولا حُزن حتى الهمِّ لا يهمه إلا كِفِّر بها سيئاته**)) رواه ابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة وحده .

(وفى) رواية له: ((**ما من مؤمن يشاك بشوكه فى الدنيا يحتسبها**[2]، **إلا قُصَّ**[3] **بها من خطاياه يوم القيامة**)) .

(ثم) وفى الختام أذكر الأخ المسلم العائد لأخيه .

بالحديث الذى ورد (عن) عمر وأبى هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ((**من رأى صاحب بلاءٍ**[4] **فقال : الحمد لله الذى عافاني**[5] **مما ابتلاك به ، وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلاً، لم يصبه ذلك البلاء**)) رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب ، وورواه ابن ماجه من حديث ابن عمر ....إلخ .

(مع) ملاحظة أن يقول هذا سرًّا..

(وأما) عن الحق الثالث من حقوق المسلم ، وهو : (اتباع الجنازة) ، فإن المراد منه ، أن تسير خلف جنازة أخيك المسلم ، وأن تصلى عليه ، وتحضر دفنه ...

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال : رسول الله ﷺ : ((**من شهد الجنازة حتى يُصِّلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان**)) قيل : وما القيراطان ؟ قال : ((**مثل الجبلين العظيمين**)). متفق عليه .

(وعنه) أن رسول الله ﷺ قال : ((**من أتبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا وكان معه حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين مثل أحد من صلى ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط**)) رواه البخارى .

(وعن) أم عطية رضي الله عنها قالت : نُهينا[6] عن اتباع الجنائز . ولم يُعزم علينا) متفق عليه . (ومعناه) أنه لم يتشدد فى النهى عن اتباع الجنائز بالنسبة للنساء

---

(١) أى جعلها كفاره بعض زنوبه .
(٢) أى يدخر ثوابها عند الله .
(٣) أى حط بقدرها من ذنوبه .
(٤) كجذام وبرص ونحوها .
(٥) يعنى سلمنى ونجانى .. وليكن هذا سرًا .
(٦) أى نهى رسول الله ﷺ جماعة النساء من اتباع الجنائز ولم يؤكد فى المنع .

(وهذا) معناه أنه يكره اتباعهن لها .. ولا يحرم ..(والأفضل) أن لا تخرج المرأة خلف الجنازة تحاشيًا للكراهة .. وخروجاً من الخلاف[1].

.. (وأما) عن الحق الرابع: من (حقوق المسلم على المسلم) وهو : (إجابة الدعوة) الشرعية التى لا إثم فيها ، ولا رقص ولا اختلاط بين الرجال والنساء ، ولا شبهة فى طعام أو شراب ... أو كان الطعام هذا الذى يدعى إليه على سبيل المباهاة .. (فقد) ورد (عن) عكرمة أن ابن عباس نهى عن طعام المتباريين - أى المتباريين المتباهين - أن يؤكل[2] . رواه أبو داود، وقال أكثر من رواه جرير لا يذكر فيه، ابن عباس يريد أن أكثر الرواة أرسلوه ..

(فإذا) كانت الدعوة خالية من كل هذا .. (فإنه) ينبغى على الأخ المسلم أن يلبى دعوة أخيه .. - سواء كانت لوليمة أو غيرها - (فقد) ورد (عن) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ((**إذا دعى أحدكم إلى الوليمة**[3] **فليأتها**)) رواه البخارى ومسلم وأبو داود .

(وعنه) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((**إذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرساً كان ، أو نحوه**)) - أى سواء كانت الوليمة عرس أو مثله كختان أو قدوم غائب .. إلخ - والحديث رواه مسلم وأبو داود .

(وقد) ورد كذلك فى السنة الترهيب من دعوة الأغنياء دون المساكين .. وكذلك الترهيب من عدم تلبية الدعوة .. (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول : شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء ، وتترك المساكين ، ومن لم يأت الدعوة [4]، فقد عصى الله ورسوله .رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه موقوفًا على أبى هريرة.

(والمراد) أنها تكون شر الطعام إذا خص الأغنياء وترك الفقراء ، ولهذا قال ابن مسعود : إذا خُصَّ الغنى وتُرك الفقير أمرنا أن لا نجيب . (وقال) ابن بطال : وإذا ميز الداعى بين الأغنياء والفقراء فأطعم كلاً على حده لم يكن به

---

(١) ارجع إلى فقه السنة والدين الخافض .. ورياض الصالحين.

(٢) أن وما دخلت عليه فى تقدير مصدر مجرور على البدلية من (طعام) .

(٣) وهى كل طعام يتخذ لجمع أو لدعوة والجمع ولائم .

(٤) أى يجبها ولم يعتذر عنها بعذر مقبول .

بأس وقد فعله ابن عمر [1].

(ورواه) مسلم أيضا مرفوعًا إلى النبى ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **«شر الطعام طعام الوليمة يمنعها من يأتيها - أى من المساكين - ويدعى إليها من يأباها - أى من الأغنياء لأنه غير محتاج إليها - ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله»**.

..(وأما) عن الحق الخامس :من (حقوق المسلم على المسلم) وهو :

تشميت العاطس

أى إذا عطس أخوه فقال الحمد لله .. قال له : يرحمكم الله .. فيجيبه العاطس بقوله : يهديكم الله ويصلح بالكم .

(فقد) ورد (عن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **إن الله يحب** [2] **العاطس ويكره التثاؤب ، فإذا عطس أحدكم وحمد الله تعالى كان حقا على كل مسلم سمعه أن يقول له : يرحمكم الله : وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما أستطاع** [3]**، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك** [4] **منه الشيطان**» رواه البخارى .

(وعنه) عن النبى ﷺ قال : « **إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله ، وليقل أخوه أو صاحبه** [5]**: يرحمكم الله . فإذا قال : يرحمكم الله ، فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم** [6]» . رواه البخارى.

(وعن) أبى موسى رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **وإذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه ، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه**» رواه مسلم .

(وحتى) تعرف معنى التشميت بالنسبة للعاطسين .. إليكم هذه المعلومة..(فقد) قال فى النهاية: التشميت بالشين والسين : الدعاء بالخير

(١) انظر هامش الترغيب والترهيب ج٣ ص٢٦٣ . (مع) ملاحظة أنه إذا كان هذا على سبيل التأليف فإنه لا بأس به والله أعلم.

(٢) أى يرضى .

(٣) أى قدر طاقته البشرية بإطباق فيه: أى فمه .

(٤) أى فرحًا بذلك .

(٥) أى العاطس .

(٦) أى حالكم .ويرشد بالإيصال إلى مرضاته .

والبركة والمعجمة أعلاهما ، يقال: شمت فلانا ، وشمت عليه وتشميتا فهو مشِّمت ، واشتقاقه من الشوامت ، وهى القوائم .. كأنه دعا للعاطس بالثبات على طاعة الله تعالى قيل : معناه : أبعدك الله عن الشماتة وجنبك ما يشمت به عليك) ا.هـ .

(وأيضًا) إليكم هذين الحديثين الشريفين – إتمامًا للفائدة :

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ ((**إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه**[1] **وخفض – أو غض – بها صوته – شك الراوى**)). رواه أبو داود ، والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(وعن) أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((**إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه**[2] **فإن الشيطان يدخل**)) . رواه مسلم .

** (وأما) عن الحق السادس: من (حقوق المسلم على المسلم) وهو :

(**وإذا استنصحك فانصح له**) ، فإنه الدين الذى لا بد وأن نكون أهلا له .

* (فعن) أبى رقية تميم بن أوس الدارى رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : ((**الدين النصيحة**)) .

قلنا : لمن ؟ قال : ((**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**)) . رواه المسلم .

(وإذا) كان المراد هنا هو تقديم النصيحة للأخ المسلم إذا ما طلبها من أخيه المسلم .. (فإن) الخلاصة هى : (كما) قال فى شرح الأربعين النووية معلقا على حديث فى صحيح البخارى وهو : ((**إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له**)) ، فلقد قال: أى ابن بطال رحمه الله تعالى : وهو يدل على تعليق الوجوب بالاستنصاح لا مطلقا ، ومفهوم الشرط حجة فى تخصيص عموم المنطوق ، فجوابه أنه يمكن حمل ذلك على الأمور الدنيوية كنكاح امرأة ومعاملة رجل ونحو ذلك .. والأول يحمل بعمومه فى الأمور الدينية التى هى واجبة على كل مسلم .. والله تعالى أعلم .

---

(١) أى على فمه لئلا يخرج بصاق أو مخاط يؤذى جليسه .

(٢) أى عند انفتاح فمه حال التثاؤب .

** (ولقد) قال : كذلك : إن النصيحة تسمى دينا وإسلاما ، وإن الدين يقع على العمل كما يقع على القول .. قال : والنصيحة فرض يجزئ فيه من قال به ويسقط عن الباقين .. ثم يقول – عن النصيحة بصفة عامة – والنصيحة واجبة على قدر الطاعة إذا علم أن يُقبل نصحة ، ويُطاع أمره ، وأمن على نفسه المكروه ، فإن خشى أذى فهو فى سعة والله تعالى أعلم [1].

** (فلنحرص) جميعا على تنفيذ كل تلك الحقوق الإسلامية حتى نكون من المسلمين حقًا .

والله ولى التوفيق ..

(١) ارجع إلى شرح هذا الحديث فى الأربعين النووية الحديث السابع ص ٢٧ .

٤٦) خطبة أودرس

حول حق الطريق فى الإسلام

الحمد لله القائل : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[الإسراء: ٣٦] .

وأشهد أن سيدنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل : **((كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محاله (٣) : العينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطا ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه))** متفق عليه .

هذا لفظ مسلم ، ورواية البخارى مختصرة عن أبى هريرة .

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين كانوا يؤدون للطريق حقه أو حقوقه .. من غض للأبصار ، وكف للأذى ، وردٍّ للسلام ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ... فكانوا هداة مهديين وقادة منتصرين ، وكانوا رجالًا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله : ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧، ٣٨] .

(أما بعد)؛؛

فيا جماعه المسلمين ، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه..(فى) هذا اللقاء المبارك رأيت بمشيئه الله تبارك وتعالى وتوفيقه ..(أن) يكون لقائى معكم حول حق من أهم الحقوق الإسلامية والأخلاقية التى لا بد وأن نذكر بها ، ونراقب تنفيذها على الدوام .

(ألا) وهو حق الطريق فى الإسلام .. الذى ورد فى نص حديث شريف متفق عليه :

* (عـن) أبـى سـعيد الخـدرى رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قـال: ((**إيـاكم والجلوس فى الطرقات !**)) قالوا : يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بـد : نتحدث فيها :فقال رسول الله ﷺ : ((**فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه**)) قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: ((**غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر**)) [1] .

** (وأمـا) عـن إماطـة الأذى عـن طريـق – الـذى ينبغـى أن يضـاف إلى حقوق الطريق فى التنفيذ .. فقد ورد :

* (عن) أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((**الإيمان بضع** [2] **وستون أو سبعون شعبة** [3] **أدناها** [4] **إماطة الأذى عن الطريق** [5] ، **وأرفعها قول: لا إله إلا الله**)) . رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

* (وإماطة) الشىء عن الطريق : أى نحَّاه وأزاله ، والمراد بالأذى كل ما يؤذى المارَّ .. أو المارَّة كالحجر والشوكة والعظم ، ونحو ذلك .

* (وعن) أبى ذر رضي الله عنه قال : قال النبى ﷺ : ((**عرضت على أعمال أمتى حسنها وسيئها** [6] ، **فوجدت فى محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق ، ووجدت فى مساوئ أعمالها النخامة** [7] **تكون فى المسجد لا تدفن**)) رواه مسلم وابن ماجه .

* (وعـن) أبى برزة رضي الله عنه قال : قلت : يا نبى الله إنى لا أدرى نفسى تمضى [8] أو أبقى بعدك فزودنى شيئا ينفعنى الله به ، فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) أى لا بد منه لكونه قدر عليه .
(٢) البضع بكسر فسكون من الثلاثة إلى التسعة .
(٣) الشعبة بضم فسكون (الطائفة من الشىء والقطعة منه).
(٤) أى أقلها شأنا .
(٥) أى إزاحته وإزالته .
(٦) أى شريفها وقبيحها .
(٧) **النخامة** : هى البضعة التى تخرج من أقصى الحلق .
(٨) أى تذهب وتموت .

«**افعل كذا، افعل كذا، وأمرّ الأذى عن الطريق**[1]».

(وفى) رواية قال أبو برزة : قلت : يا نبى الله علمنى شيئًا أنتفع به، قال ﷺ: « **اعزل الأذى عن طريق المسلمين** » . رواه مسلم وابن ماجه .

* (وعن) أبى شيبة الهروىّ قال : كان معاذ يمشى، ورجل معه، فرفع حجرا من الطريق، فقال : ما هذا ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**من رفع حجرا**[2] **من الطريق كتب له حسنة، ومن كانت له حسنة دخل الجنة** » رواه الطبرانى فى الكبير ورواته ثقات ورواه فى الأوسط من حديث أبى الدرداء إلا أنه قال : « **من أخرج من طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له به حسنة، ومن كتب له عنده حسنة أدخله الجنة** ».

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **بينما رجل يمشى بطريق وجد غصن شوك فأخره**[3]**، فشكر الله له**[4]**، فغفر**[5] **الله له** » رواه البخارى ومسلم

(وفى) رواية لمسلم قال:« **لقد رأيت رجلا يتقلب فى الجنة**[6] **فى شجرة قطعها من ظهر الطريق**[7]**كانت تؤذى المسلمين** » .

* (هذا) وإذا كان لى - بعد هذا التمهيد الهام - أن أبدأ فى شرح المراد من حق الطريق أو حقوقه التى لا بد وأن نكون من المؤدين لها. كمؤمنين صادقين .. (فإننى) أحب أن أشير أولًا إلى أن الحق معناه الواجب .. الذى يثاب الإنسان على فعله ويعاقب على تركه .. (لأن) الرسول ﷺ قد أمر به .. والله تعالى يأمرنا بطاعة الرسول ﷺ فيقول : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧] ويقول : ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤] ، ويقول: ﴿مَنْ

---

(١) أى أذهبه وأبعده .
(٢) أو ما فى حكمه من كل ما يؤذى المارة.
(٣) أى أبعده عن الطريق .
(٤) أى رضى عمله هذا وقبله منه.
(٥) أى حط عنه ذنوبه وخطايا ه.
(٦) أى يتمتع فى نعيمها.
(٧) يعنى فى وسطه .

يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّـهَ﴾[النساء: ٨٠]، وذلك لأن الرسول ﷺ يبلغ عن الله تبارك وتعالى. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال : ((**كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى**)) . قالوا : يارسول الله ومن يأبى ؟ قال : ((**من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى**)) رواه البخارى :

** (وقد) بدأ النبى ﷺ حديثه الذى يأمرنا ..فيه بأن نعطى للطريق حقه ..بقوله ((**إياكم والجلوس فى الطرقات**)) ، وهذا تحذير من الرسول ﷺ .. مضمونه أنه من الخير لنا أن لا نجلس فى الطرقات .. لأن فيها ما فيها من المخلفات والمنكرات التى قد تبدأ بصغيرة ..ثم تنقلب بعد ذلك إلى كبيرة بل وكبائر .. بسبب النظرات الخبيثه .. التى هى أهم مفتايح الشر .. والزنا بصفه خاصه .. كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله :

كل الحوادث مبدأها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

* (ولكن) الأصحاب الذين حذرهم من الجلوس فى الطرقات .. قالوا له : ما لنا من مجالسنا بد ، نتحدث فيها .

* (وعن) أبى طلحة زيد بن سهل رضي الله عنه قال : كنا قعودا بالأفنية[1] نتحدث فيها، فجاء رسول ﷺ فقام علينا فقال : ((**ما لكم ولمجالس الصعدات**))[2] فقلنا إنما قعدنا لغير ما بأس : قعدنا نتذاكر ونتحدث . قال : ((**إما لا فأدوا حقها :غض البصر ، ورد السلام ، وحسن الكلم**)) رواه مسلم .

(ففى) الحديث الأول - موضوع الخطبة - وفى الحديث الأخير .. وبعد أن أخبر الأصحاب الرسول ﷺ بأنهم لا يمكنهم الاستغناء عن الجلوس فى الطرقات .. قال لهم : ((**فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه**)) فقالوا له: وما حق الطريق يا رسول الله فقال:

** (غض البصر) : أى منعه عمّا لا يجوز النظر إليه .. كالنظر إلى المرأة الأجنبية عنه ..(إنه) من المفروض على الأخ المؤمن أن يصرف بصره عنها .. فقد ورد:

---

(١) جمع فناء : أى المتسع أمام البيت .
(٢) الصعدات: أى الطرقات .

* (عن) جرير رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة [1]؟ فقال : ((اصرف بصرك)) رواه مسلم .

** (وهذا) أيضًا بالنسبة للأخت المسلمة .. فقد ورد :

* (عن) أم سلمة رضي الله عنها قالت : كنت عند رسول الله ﷺ ، وعنده ميمونة ، فأقبل ابن أم مكتوم [2]. وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب ، فقال النبى ﷺ : ((احتجبا منه)) ، فقلنا : يا رسول الله أليس هو أعمى : لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال النبى ﷺ : (**أفعمياوان أنتما، ألستما تبصرانه**) رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

** (وفى) القرآن الكريم يأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين والمؤمنات بالغض من أبصارهم وأبصارهن ، فيقول تبارك وتعالى مخاطبًا حبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه :

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُون وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلا لِبُعُولَتِهِنَّ أو آبَائِهِنَّ أو آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أو أَبْنَائِهِنَّ أو أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أو إِخْوَانِهِنَّ أو بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أو بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أو نِسَائِهِنَّ أو مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أو التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَال أو الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إلى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣٠،٣١] .

(فعلى) الأخ المؤمن والأخت المؤمنة أن ينفذ أمر الله تعالى فى الآيتين .. ولا سيما إذا كانا فى الطريق حتى لا يتورطا فى فعل معصية بسبب نظره خبيثة ..

(وقد) ورد فى حديث شريف رواه الطبرانى والحاكم من حديث حذيفة وقال: صحيح الإسناد : عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله

---

(١) أى البغتة من غير قصد لها .

(٢) أى عبد الله بن أم مكتوم أعمى البصر .. لا أعمى القلب .

ﷺ ، يعنى عن ربه عز وجل ((**النظرة**[١] **سهم مسموم من سهام إبليس ،من تركها من مخافتى** [٢] **أبدلته إيمانا يجد حلاوته فى قلبه** [٣])) : (وذلك) لأن الناظر إلى المرأة بشهوة لا يلبث أن تقوم فى نفسه الرغبة فى الاتصال بها فيحاول ذلك بكل الطرق وبكل وسائل الإغراء حتى تقع فريسة بين يديه وكانت النظرة هى السهم الأول الذى أرسله إبليس عليه لعنة الله .. إلى تلك الفريسة .التى لا بد وأن نحميها منه ومن سهامه المسمومة .. بغض البصر عن الأجنبيات عنه ، أو عنها .. كما أمر الله تعالى فى سورة النور فى نص الآيتين .

** (وأما) عن الحق الثانى: من حقوق الطريق ، وهو : .(كف الأذى) ، أى : منع الأذى قولاً أو فعلاً .. هذا بالإضافة إلى فعل عكس هذا .. كإغاثة اللهفان ، وتشميت العاطس ، وإهداء الحائر .. إلى آخر تلك الأعمال الخيرية التى ينبغى عليه كمؤمن أن يسارع إلى المشاركه فيها .. أو القيام بها وحده إذا لم يحتج الأمر إلى أكثر من واحد ..وفى حدود استطاعته .. فقد ورد :

* (عن) أبى موسى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: ((**على كل مسلم صدقه**)) قال: أرأيت إن لم يجد ؟ قال ((**يعمل بيديه فينفع**[٤] **نفسه ويتصدق**)) قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال:((**يعين ذى الحاجة الملهوف**)) قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال :((**يأمر بالمعروف أو الخير**)) قال: أرأيت إن لم يفعل ؟ قال: ((**يمسك عن الشر**[٥] **فإنها صدقة**)) متفق عليه .

* (وعن) أبى ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال : ((**الإيمان بالله والجهاد فى سبيله**)).قلت: أى الرقاب[٦] أفضل ؟ قال:((**أنفسها**[٧] **عند أهلها وأكثرها ثمنًا**)) .

---

(١) يعنى إلى محاسن النساء الأجنبيات .
(٢) من هنا تعليليه أى تركها لأجل خوفه من عقابى.
(٣) يعنى عوضته عما يجده من اللذه فى النظر إليها إيمانًا وسكينه يشعر بلذتها فى نفسه .
(٤) **بعمله** : أى بثمنه أو بأجره أو بثمره .
(٥) أى الأذى ليسلم من الهلاك .
(٦) أى أكثر ثوابًا لمن أعتقها .
(٧) أى أرفعها وأجودها .

قلت : فإن لم أفعل ؟ قال : ((**تعين صانعًا أو تصنع لأخرق**[1])) قلت : يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن العمل ؟ قال : ((**تكف شرَّك عن الناس فإنها صدقه منك على نفسك**)) متفق عليه .

** (فعلى الأخ المسلم الجالس فى الطريق - أى فى جانب منه - أن يلاحظ كل هذا.. (مع) الحذر من الجلوس فى عرض الطريق .. حتى لا يعوق المارين .. وكذلك لا يجلس على الأرصفة حتى لا يضطر المار إلى النزول فى بحر الطريق فيتعرض للاصطدام بسيارة أو ما شابه هذا ..(وهذا) بلا شك من الإيذاء الذى يجب عليه أن يكفه عن الناس ...

** (وأما) عن الحق الثالث من حقوق الطريق ، وهو : (رد السلام) ، أى أنه إذا مر عليه أخ مسلم وألقى السلام عليه فإنه يجب عليه أن يرد السلام عليه .. تنفيذًا لأمر الله تعالى فى قوله : ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَو رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً**﴾ [النساء:٨٦] .

(وقد) ورد فى الحديث : (عن) عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : أى الإسلام خير[2]؟ قال: ((**تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**)) متفق عليه.

** (وقد) قرأت فى كتاب (رياض الصالحين) تحت عنوان :

(كيفية السلام)

أنه : يستحب أن يقول المبتدئ بالسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فيأتى بضمير الجمع وإن كان المسلم عليه واحدًا ، ويقول المجيب : وعليكم السلام ورحمته وبركاته ، فيأت بواو العطف فى قوله: (وعليكم) .

* (فعن) عمران بن الحصين رضي الله عنه قال : جاء رجل النبى الله ﷺ فقال: السلام عليكم فرد عليه[3] ، ثم جلس، فقال النبى ﷺ : ((عشر))[4] ثم جاء

(١) الأخرق : أى الذى لا يتقن ما يحاول فعله .
(٢) أى أكثر ثوابًا عند الله تعالى.
(٣) أى رد الرسول ﷺ عليه .
(٤) أى عشر حسنات .

آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه فجلس ، فقال : ((**عشرون**)) ثم جاء آخر فقال : (السلام عليكم ورحمه الله وبركاته) فرد عليه فجلس ، فقال : ((**ثلاثون**)) . رواه أبو داود ، والترمذى وقال : حديث حسن .

** كما يقول أيضًا فى (رياض الصالحين) تحت عنوان :

(باب آداب السلام)

* (عن) أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**يسلم الراكب على الماشى ، والماشى على القاعد ، والقليل على الكثير**)) متفق عليه . وفى رواية البخارى : ((**والصغير على الكبير**)) .

* (وعن) أبى أمامة صُدَىّ بن عجلان الباهلى ﷺ قال : قال : رسول الله ﷺ : ((**إن أولى الناس** [1] **بالله من بدأهم بالسلام**)) رواه أبو داود بإسناد جيد، ورواه الترمذى عن أبى أمامة ﷺ ، قيل : يا رسول الله ، الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام ؟ قال: ((**أولاهما بالله تعالى**)) قال الترمذى: حديث حسن .

** (وقد) ورد كذلك أنه يستحب سلام قام من المجلس ، وفارق جلساءه جليسه :

* (فعن) أبى هريرة ﷺ قال : قال: رسول الله ﷺ ((**انتهى أحدكم المجلس فليسلم ، فإذا أراد أن يقوم - أى من ذلك المجلس - فليسلم ، فليست الأولى بأحق من الآخرة**)) رواه أبو داود ، والترمذى وقال حديث حسن .

** (وأيضاً) بالنسبه لرد السلام على أهل الكتاب فقد ورد :

* (عن) أنس ﷺ قال : قال : رسول الله ﷺ : ((**وإذا سلم عليكم أهل الكتاب** [2] **فقولوا** [3]**:وعليكم**)) رواه مسلم .

---

(١) أى أحق بالقرب منه بالطاعة وذكره عز وجل .

(٢) ويشمل أيضًا الذمى والحربى .

(٣) وجوبًا ... لأنه أمر .

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((**لاتبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام** [1]**، فإذا لقيتم أحدهم فى طريق فاضطروه إلى أضيقه** [2])) رواه مسلم .

** (هذا) مع ملاحظة : أن إلقاء السلام سنه ، ورد السلام فرض .. أى : فرض كفايه :أى إذا أداه البعض سقط عن الباقين .. أما إذا لم يرد على المسلم أحد .. فإن الكل سيكون آثما [3]..

** (وأما) عن الحق الرابع من حقوق الطريق ، وهو: ((الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)) ، فإن المراد من هذا الحق هو تنفيذ المشار إليه فى قول الله تبارك وتعالى :﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤] .

* (وإلا) فإننا – والعياذ بالله – سنكون كالآخرين المشار إليهم فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِى إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٩] .

** (وقد) يقول أحدنا أو بعضنا إن الله تبارك وتعالى يقول فى قرآنه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذا اهْتَدَيْتُمْ إلى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة : ١٠٥] .

فأذكره بحديث حسن صحيح ، ورد :

* (عن) أبى بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآيه﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ ، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((**وإن الناس رأوا الظالم فلم يأخذو على يديه**

---

(١) النهى للتحريم .

(٢) أى فالجئوه بالتضيق عليه بحيث لا يقع فى وهدة ولا يصدمه نحو جدار.

(٣) ذلك كحكم صلاة الجنازة .

أوشك [1] **أن يعمهم الله بعقاب من عنده** » رواه أبو داود والترمذى وقال: حسن صحيح ، وروى الحاكم وصححه : « **إذا رأيت أمتى تهاب أن تقول للظالم: ياظالم فقد تودع منهم** » .

** (فلا بد) إذن من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (وإلا) هلكنا مع الظالمين قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٢٥] .

* (وعن) النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبى ﷺ : « **مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا** [2] **على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا : لو أن خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادو هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا** [3] **على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا** » . رواه البخارى والترمذى .

** (ولا بد) كذلك ، وأن يكون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. بالحكمة والموعظة الحسنة كما يقول الله تعالى آمرًا بهذا فى قرآنه : ﴿ادْعُ إلى سَبيل رَبِّكَ بالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بالَّتِى هِى أَحْسَنُ إنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل : ١٢٥] .

** (ففى) هذه الآيه الكريمة يشير الله تبارك وتعالى إلى أهم آداب الدعوة إلى الله تبارك .. ألا وهى التزام الحكمة فيها .. (وإلا) فإن نتائج الدعوة ستكون عكسية .. (ولهذا) فقد قال الله تبارك وتعالى لسيدنا موسى وأخيه هارون عليهما السلام : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بآيَاتِى وَلا تَنِيَا فِى ذِكْرِي [4] اذْهَبَا إلى فِرْعَوْنَ إنَّهُ طَغَى فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أو يَخْشَى﴾ [طه :٤٤] كما قال الله تبارك وتعالى لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .. ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

---

(١) أى قاربوا .
(٢) أى اقترعوا .
(٣) من أخذت على يديه منعته عما يريد فعله كانك أمسكت .
(٤) أى لا تتراخيا فى تسبيحى وتعظيمى .

** (وقد) ورد كذلك فى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((**جربت اللين والسيف فوجدت اللين أقطع**)) (وإلى) هذا يشير أحدهم فى قوله لأبنائه:

ابنى إن البر شىء هين … وجه طليق وكلام لين

** (فعلى) المسلمين أن يدرسوا دائما وأبدًا كل تلك الحقوق المتعلقة بالطريق حتى لا يكون هناك خلل فى الطريق العام الذى يجمعنا جميعًا ذكورًا وإناثًا من جانب هؤلاء العابثين من الشباب الذين لا خلاق لهم بسبب سوء تربيتهم من جانب هؤلاء العاطلين بالوراثه الذين يجلسون ليلاً ونهاراً على أرصفة الطرق أمام المقاهى وهم يرفعون أصواتهم بالألفاظ البذيئة التى لا يمكن أبدًا أن تصدر إلا عن السفلة المجرمين الذين لا يعرفون عن الإسلام إلا اسمه ، ولا عن القرآن إلا اسمه ولله درٌّ من قال :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت … فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم … فأقم عليهم مأتما وعويلاً

** (ولهذا) ، فإننى أطالب من فوق هذا المنبر بضرورة ردع هؤلاء العابثين الذين لا حاجة لوجودهم على قارعة الطريق حتى يتم تطهير المجتمع ويعود الأمن والأمان إلى كل شبر فيه .

والله ولى التوفيق



(٤٧) خطبة أو درس

حول الأسباب العشرة التى كانت ولا تزال سببًا فى عدم استجابة الله تعالى لدعاء أكثرنا ..

الحمد لله القائل:﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: «**الدعاء هو العبادة**» رواه أبو داود ، والترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى أله وأصحابه الغر الميامين الذين كانوا يدعون الله تعالى : ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥] وكما تعلموا من رسول الله ﷺ الذى (كان يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك)[1] فكانوا هداة مهدين، وقادة منتصرين ، وكانوا رجالًا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله : ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧، ٣٨].

(أما بعد)؛

فيا جماعة المسلمين ، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه .. (فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى وتوفيقه (رأيت) أن أدور معكم حول نص من النصوص الهامة التى أحفظها عن رجل صالح .. من علماء السلف الصالح .. وهو إبراهيم بن أدهم رحمه الله .. أنه مر ذات يوم بسوق البصرة .. فاجتمع الناس حوله ثم سألوه : يا أبا إسحاق .. ما لنا ندعو الله تعالى فلا يستجيب لدعائنا .. ؟ فكان جوابه عليه رضوان الله .. هو :

** (لأن) قلوبكم ماتت بعشرة أشياء :

---

(١) كما جاء فى حديث رواه أبو داود بإسناد جيد .

* عرفتم الله فلم تؤدُّوا حقوقه .

* زعمتم أنكم تحبون رسول الله ﷺ وتركتم سنته.

* قرأتم من القرآن ولم تعملوا به.

* أكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها .

* قلتم إن الشيطان عدوكم ولم تخالفوه.

* قلتم إن الجنة حق ولم تعملوا لها.

* قلتم إن النار حق ولم تهربوا منها.

* قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له .

* انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم .

* دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم ..

فأنَّى يستجاب لكم ..

** (كان) هذا هو النص الذى أجاب به ابن آدهم على التساؤل الذى وجه إليه : (والذى) رأيت كما أشرت أن أذكركم ونفسى بأهم ما يتعلق به من إيجابيات[1] لا بد وأن نقف عليها .. حتى نراجع أنفسنا .. إذا كنا من المشار إليهم فيها أم لا ؟ .. قال تعالى : ﴿بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة:١٤] (ولكن) قبل أن ندور مع تلك الإيجابيات أو السلبيات .. التى فى النهاية لا بد وأن نقف عليها .

حتى نصحح ما نحن فيه من اعوجاج .. (فإننى) أحب أن أشير إلى ملاحظة : هامة : وهى أنه إذا كان ابن أدهم قد قال فى أول إجابته (لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء) ، فإنه يعنى بهذا .. ما كان فى زمانه ... (لأنه) لو كان من أهل زماننا .. ورأى ما نراه .. أو بعض ما نراه من فساد وإفساد ، وانحطاط فى الأخلاق .. وسرقة من الميزان .. أو تطفيف فى الكيل .. لقال

---

(١) أو سلبيات.

بآلاف الأشياء ..(ثم) قال بعد ذلك مبينًا الأسباب العشرة التى كانت ولا تزال من أهم أسباب انقطاع الاتصال الذى كان بيننا وبين الله تبارك وتعالى. حتى أصبحنا ندعو الله تبارك وتعالى ليلًا ونهارًا .. ولكنه سبحانه لا يستجيب لدعائنا .

**(وأول) تلك الأسباب التى ذكرها هو قوله :

*(عرفتم الله فلم تؤدوا حقوقه)؛ أى: عرفتم ، أن الله تعالى حق ، وأنه موجود وأنه الخالق والرازق والنافع والضار والمحيى والمميت .. ولكنكم مع هذا الاعتراف لم تؤدوا حقوق الله تبارك وتعالى التى أوجبها عليكم .. والتى أهمها .. أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا .. وأن تنفذوا أوامره وتجتنبوا نواهيه .. التى أمركم بها ، ونهاكم عن فعل عكسها من المعاصى والمخالفات .. فى قرآنه وعلى لسان نبيه صلوات الله وسلامه عليه كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى .. ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[الحشر: ٧] .

*(مع) ملاحظة أننا لن نكون صادقين فى ادعاء محبتنا له سبحانه وتعالى إلا إذا نفذنا أوامره ، واجتنبنا نواهيه .. كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله :

تعصى الإله وأنت تُظهر حبه هذا لعمرى فى القياس بديع

لو كنت حقًّا صادق لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

*(وأيضًا) مع ملاحظة أن الله تعالى غنى عن عبادتنا له .. فهو القائل سبحانه: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِى عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] .

*(وعلى) هذا ، فإنه ينبغى على الأخ المسلم الذى فرط فى جنب الله .. أن يعود وسريعًا إلى الله تبارك وتعالى بالتوبة الصادقة المؤكدة بتنفيذ الأوامر واجتناب المنهيات .. والله تعالى غفور رحيم .. أحن على عبده من الوالدة على ولدها .

(ثم) يقول فى السبب الثانى :

*(زعمتم أنكم تحبون رسول الله ﷺوتركتم سنته) ، وهذا هو الواقع فعلًا .. فكم من هؤلاء الذين يزعمون أنهم : يحبون رسول الله ﷺوهم فى

نفس الوقت من كبار المخالفين له ولهديه، (بل) وهم من أوائل الداعين إلى البدع والمخالفات التى هى عكس السنة ... بتلك الصورة التى انتشرت على المستوى العام والخاص حتى أصبحنا نشك فى انتماء هؤلاء إلى أمة النبى ﷺ التى جعلها الله تعالى خير أمة أخرجت للناس . لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .. (وقد يكون) هذا واضحا وجليا بين المبتعدين الذين أشار إليهم الرسول ﷺ فى قوله: « **من رغب عن سنتى فليس منى** » رواه مسلم.

(ففى) هذا الحديث وعيد شديد للمعرضين عن سنة رسول الله ﷺ بعد علمهم بها وتراهم مع هذا يحرصون على ما أخذوه عن شيوخهم ولا يجرؤون على مخالفتهم .. فلا عجب إن برئت من هؤلاء ذمة رسول الله ﷺ قطع كل سبب بينهم وبينه .

(فعلى) هؤلاء المخالفين لهدى رسول الله ﷺ أن يعودوا وسريعًا إلى هدى رسول الله ﷺ الذى يقول: « **من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** » رواه البخارى ومسلم وأبو داود ولفظه « **من صنع أمرًا على غير أمرنا فهو ردٌّ** » وابن ماجه وفى رواية لمسلم « **من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد** » أى مردود على صاحبه لا يقبل الله منه شيئًا؛ لأنه شرع ما لم يأذن به الله ، والله عز وجل لا يعبد إلا بما شرع ولا يُعبد بالأهواء والبدع . فكل عبادة لم يأمر بها الله ولا رسوله فهى بدعة ضلالة لايثاب عليها فاعلها بل يعاقب على ابتداعها.

(ثم) بعد ذلك يقول فى السبب الثالث :

(قرأتم القرآن ولم تعملوا به) وهذا أيضًا هو الواضح والظاهر الجلى من جانب هؤلاء الذين يزعمون أنهم يقرؤون القرآن ويسمعونه (أنهم) كما شاهدنا كثيرًا فى مجالس القراء [1] لا ينصتون كما أمرهم الله تعالى فى قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤] (أن) أكثرهم

---

(١) ومجالس القراء المشار إليها وبتلك الصورة التى نعرفها من البدع المنكرة وهى أساسا لا تنفع الميت بشىء .. وهى أيضا من أموال اليتامى (ونحن) الوعاظ عند ما نذهب إليها فإننا نقوى بهذا الذهاب الوعظ والإرشاد لأن أكثر المعزين قد لا يتواجدون إلا فى مثل هذا المجامع من أجل المجاملات .

كما نشاهد كذلك لا يميزون بين آية النعيم وآية العذاب (فإذا) قرأ القارئ مثلًا قوله تعالى ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠،٣١] نراهم يصحيون ويقولون .. الله .. (بل) ويطلبون من القارئ الذى يستحسن هذا منهم أن يعيد تلاوة الآية مره أخرى وهكذا (يستمر الصياح إلى آخر التلاوة (وقد) نسوا أو تناسوا الآية التى استمعنا إليها بل والحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول غ « **إن الله يحب الصمت عند ثلاث :عند تلاوة القرآن وعند تشيع الجنازة وعند الزحف**» (إن هذا القرآن) إما أن يكون حجة لنا أو علينا (أعنى) أننا إذا استمعنا إليه ونفذنا المراد منه كان حجة لنا ..

وإذا استمعنا ولم ننفذ هذا المراد .. كان حجة علينا .. (بل) وورد فى الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**رب تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه**» فعلى الإخوة المسلمين أن يلاحظوا هذا حتى لا يكونوا كهؤلاء المهرجين فى مجالس القرآن وعليهم كذلك إذا استمعوا إلى آية فيها نعيم أن يسألوا الله تعالى فى السر وأن يجعلهم من أهل هذا النعيم .

وكذلك إذا استمعوا إلى آية فيها عذاب أن يسألوا الله تعالى أن يعيذهم من هذا العذاب (حتى) لا يكونوا كهؤلاء الذين لا يميزون بين آية النعيم وآية العذاب .

(ثم) بعد ذلك يقول فى السبب الرابع :

(أكلتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها) وهذا معناه أن أكثرنا وللأسف الشديد ـ يستمتع بنعم الله تبارك وتعالى من مأكولات ومشروبات وملبوسات – فضلًا عن غيرها– من النعم التى لا تحصى ولا تعد والتى من أجلها نعمة الإيمان والإسلام والأمن والآمان والاستقرار مع الأهل والأولاد وكثرة الأموال دون أن نشكر الله تبارك وتعالى عليها. (وهذا) هو الكفران بالنعم المشار إليها فى قوله تبارك وتعالى: ﴿فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِى وَلا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢] وقوله تبارك وتعالى ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

(هذا) مع ملاحظه أن المراد بالشكر لله تبارك وتعالى .. أن يكون الشاكر

منا – نحن المؤمنين بصفة خاصة – حريصًا على المشاركة فى أعمال الخير ، وأن يكون بارًّا بوالديه ، ووصولا لرحمه .. (وأن)يشكر كذلك من أجرى الله تعالى الخير على يديه .. (فقد) ورد فى الحديث القدسى عن رب العزة سبحانه وتعالى أنه قال : «**عبدى إذا لم تشكر من أجريت الخير على يديه لم تشكرنى** ».

(ومعنى) أن تشكره : أى أن تدعو له بالتوفيق والسداد وأن تكون عونًا له على الإكثار من فعل هذا الخير .. لا أن تسبط عزيمته .. (فعلى) الإخوة المستمعين أن يلاحظوا هذا وينفذوه حتى يكونوا إن شاء الله تعالى من الشاكرين .. (وقد) قرأت أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع رجلا يقول: اللهم اجعلنى من أهل القليل .. فتعجب سيدنا عمر ثم سأله ..لماذا يدعو الله بهذا الدعاء ..؟ فقال الرجل : أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣] !! فبعد ذلك قال سيدنا عمر مخاطبًا نفسه : كل الناس أعلم منك يا عمر ..

(وأيضا) مع ملاحظة أنه إذا كان بعض الناس يُقبل يده اليمنى ظهرًا وباطنًا تعبيرا عن شكره لله تبارك وتعالى .. وهو: من أبخل البخلاء..!!

(فإننى) أذكره بأن فعله هذا لا صلة له بالشكر الإيجابى .. وإنما هو شكر سلبى .. إن دل على شىء فإنما يدل على قصور تفكيره .. وعدم إدراكه . (فحذار) أن تكون مثله .. (فما فى النار للظمآن ماء) كما يقول الإمام الشافعى رضي الله عنه .

..(ثم) بعد ذلك يقول فى السبب الخامس:

(قلتم: إن الشيطان عدوكم ولم تخالفوه)، وهذا من العجب العجاب .. لأنه كان من المفروض علينا كعقلاء أن نحذر عدونا اللدود الذى حذرنا الله تبارك وتعالى منه ومن مكائده فى كثير من آياته القرآنيه التى منها :﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦] ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٨] ، (والشيطان) هو : كل متمرد

على طاعة الله تعالى من الجن والإنس ..

(مع) ملاحظة أن شيطان الإنس أخطر من شيطان الجن .. كما أشار الله تعالى إلى هذا فى قوله : ﴿ شَيَاطِينَ الأِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾[الأنعام: ١١٢] (ولهذا)كان لا بد وان نجاهد جميع شياطين الإنس والجن ..وأن نستعين بالله تعالى عليهم ..لأنه كما يقول الشاعر:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجنى عليه اجتهاده

والله تعالى يقول :﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩] .(وأيضًا) مع ملاحظة أن أعظم سلاح نستطيع أن نحارب به جميع الشياطين هو ذكر الله تبارك وتعالى ..كما يشير إلى هذا رب العزة فى قوله : ﴿وَمَنْ يَعْشُ [١] عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦] .

(وقد)ورد فى نص حديث صحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال :« **ورأيت رجلًا من أمتى قد احتوشته[٢] الشياطين فجاءه ذكر الله فطير الشياطين عنه** ».

(فعلى) الإخوة المستمعين أن يلاحظوا كل هذا وينفذوه تنفيذاً عمليًا حتى ينتصروا إن شاء الله تعالى على جميع الشياطين ..

مع ملاحظة قول الله : ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦] .

(وقد) ورد أنه كان إذا سلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجًا يسلك الشيطان فجًا آخر.. والله ولى التوفيق .

.. ثم يقول بعد ذلك فى السبب السادس :

(**قلتم إن الجنة حق ولم تعملوا لها**) ، وهذا أيضًا من العجب العجاب .. لأنه كان من المفروض علينا كمؤمنين .. أن نجد ونجتهد فى طلب الجنه التى أعد الله تعالى فيها لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ..(وأيضا) وعد الله بها المتقين .. كما يشير إلى هذا قول الله

(١) أى ومن يغفل .
(٢) أى ضربت حوله حصارًا من كل اتجاه .

تبارك وتعالى : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٦] .

(فعلى الإخوة المسلمين أن يكونوا إن شاء الله من عباده الصالحين ، ومن المتقين المشار إليهم فى النص القرآنى الأخير .. حتى يكونوا من أهل الجنة بالأعمال لا بالأقوال ..(وحسبهم) إن فعلوا هذا أن يلاحظوا قول الله تبارك وتعالى : ﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر:٢٠] .

(ثم) يقول بعد ذلك فى السبب السابع :

(**قلتم: إن النار حق ولم تهربوا منها**) ، وهذا معناه كذلك أن هؤلاء المشار إليهم فى هذا السبب السابع من الغافلين الذين :﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩] ، وأعنى بهذا أنهم لو كانوا فعلا من المنتبهين لكانوا من الحريصين كل الحرص على الهروب من جميع الأسباب الموصلة إلى النار.. إنقاذ لأنفسهم وأهليهم .. كما أمرهم الله تعالى بهذا فى قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ [(١)] وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم: ٦] (فعلى) الإخوة المستمعين أن ينفذوا المراد من هذا التذكير حتى يكونوا فى النهاية .. إن شاء الله – من أهل الجنة لا من أهل النار التى.. ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، بل والطاغين الذين آثروا الحياة الدنيا على الآخرة .. كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى:﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فإن الجحيم هى المأوى [(٢)] وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات:٣٧-٤١] والله ولى التوفيق .

---

(١) قوا أنفسكم : أى صونوا أنفسكم .
(٢) هى المأوى: أى هى المسكن .

(ثم)يقول بعد ذلك فى السبب الثامن :

(**قلتم: أن الموت حق ولم تستعدوا له**)،وهذا تذكير واضح تمام الوضوح لأننا جميعًا نشاهده بأعيننا ..ولكن يبدوا أن المراد بهؤلاء الذين يؤمنون بالموت..ولايستعدون له ولما بعده..هم الذين طمس الشيطان على أعينهم بتلك الصورة المشار إليها فى قول الله تبارك وتعالى :﴿**فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ**﴾ [يس:٩] (ولهذا) كان لابد وأن نذكر الموت وما بعده .. حتى نكون من الذين أدركوا أن الحياة الدنيا لا دوام لها وأنهم بعد أجل معلوم – يعلمه الله سبحانه وتعالى وحده – سينتقلون حتمًا من دار الفناء إلى دار البقاء .. التى لا استقرار إلا فيها ..قال تعالى :﴿**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّ هَذَا لَفِى الصُّحُفِ الأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾ [الأعلى:١٦-١٩] .

(وقد) قرأت أن الله تبارك وتعالى قال مخاطبًا الدنيا – كما جاء فى صحف إبراهيم وموسى : (**يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تزينت لهم، إنى قذفت فى قلوبهم بغضك والصبر عنك ما خلقت خلقًا أهون على منك إنى قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لأحد، ولا يدوم لك أحد**).

(فعلى) الإخوة المستمعين أن يلاحظوا هذا وينفذوا المراد منه قبل فوات الأوان .. وقبل أن ياتى أحدهم الموت فيقول :﴿**رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِى إلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إذا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [المنافقون:١١] . والله ولى التوفيق .

..(ثم) بعد ذلك يقول فى السبب التاسع :

(**انتبهتم من النوم فانشغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم**) . وهذا هو الحادث فعلًا ، فإن أكثرهم كما نشاهد جميعًا لا يتقى الله تبارك وتعالى فى أعراض الآخرين من الناس .

(بل) إن بعضهم يخرج من المسجد بعد صلاة الصبح _كما شاهدت أنا شخصيًا _ ثم نراه يتحدث مع صاحب له عن فلان من الناس وعن عيوبه... وعن كذا وعن كذا ...(وهذا) معناه أنه قد فَقَدَ كل ما خرج به من ثواب بعد

صلاة الصبح أو غيرها من الصلوات .. (لأنه) من المفروض أن الصلاة ﴿تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] بل وقد ورد فى الحديث الشريف: « **من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له** » (وكان) من المفروض عليه أن ينشغل بعيوبه هو؛ بدل أن ينشغل بعيوب الناس .

(وقد) جاء فى خطبة من خطب الرسول ﷺ قوله : « **طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس**» [(١)] أخرجه أبو نعيم .

(وقد) روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : « **أتدرون أربى الربا عند الله؟**» قالوا : الله ورسوله أعلم ؟ قال « **فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم**» ثم قرأ رسول الله :﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨] . والحديث رواه أبو يعلى .

(وقد) ورد كذلك عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من ذكر امرأً بشىء ليس فيه، ليعيب به ، حبسه الله فى نار جهنم حتى يأتى بنفاد ما قال فيه** » رواه الطبرانى، وفى رواية : « **أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو برىء منها، يشينه بها فى الدنيا كان حقًّا على الله أن يذيبه يوم القيامة فى النار، حتى يأتى يوم القيامة بنفاد ما قال** » .

(وعن) أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا الله ورسوله أعلم قال : «**ذكرك أخاك بما يكره**» قيل : أرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال : «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته** [(٢)]» رواه مسلم .

(وقد) كان النبى ﷺ ينهى أن يُبلغ عن أصحابه ما يسوءه ، قال : « **لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيئًا ، فإنى أحب أن أخرج إليكم**

---

(١) كما جاء فى الجزء الرابع من الدين الخالص .
(٢) أى افتريت عليه كذبًا .

وأنا سليم الصدر » . رواه أبو داود [1] .

(فعلى) الإخوة المستمعين أن ينتفعوا بهذا التذكير حتى لا يكونوا من هؤلاء المشار إليهم فى السبب التاسع .. وإذا كانوا قد أساءوا إلى فلان أو فلانة بغيبة أو نميمة أن يقلعوا فورًا عن هذه المعصية (فقد) ورد فى الحديث الذى رواه مسلم: « **إن النميمة والحقد فى النار ، لا يجتمعان فى قلب مسلم** » . وفى حديث رواه البخارى : « **لا يدخل الجنة نمام** » وفى روايه « **قتات** » . قال العلماء : هما بمعنى واحد وقيل: النمام : الذى يكون مع جماعة يتحدثون فينقل عنهم ، والقتات : الذى يتسمع عليهم من حيث لا يشعرون ثم ينم .

(وعلى) الواقع فى هذا الإثم الكبير أن يتوب إلى رحمه الله تعالى، والله تعالى غفور رحيم .

(ثم) بعد ذلك فى السبب العاشر والأخير يقول :

(**دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم**) ، وهذا السبب كذلك على الوضوح من جانب هؤلاء الغافلين المشيعين للجنائز .. (إن) أكثرهم كم يشاهد أكثرنا نراهم وهم خلف الجنازة يتهامسون حول ما ترك فلان هذا ..الذين يسيرون فى جنازته .. من مال ، أو أرض ، أو عقارات ...إلخ .. كما يتهامسون حول ما سيرثه فلان أو فلانة من الميراث الدنيوى ..كما أشار النبى ﷺ إلى هذا فى نص خطبته قال فيها : « **كأن الموت فيها على غيرنا قد كُتب ،وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب ، وكأن الذى نشيِّع من الأموات قوم سفرٌ عما قليلٍ إلينا راجعون ، نبوئهم أجداثهم** – أى مقابرهم – **ونأكل من تراثهم** [2] **كأنا مخلدون بعدهم ، ونسينا كل واعظة ، وأمنا كلّ** [3] **جائحة ..** » [4]

(فعلى) الإخوة المستمعين أن يلاحظوا كل هذا حتى لا يكونوا من هؤلاء الغافلين المشار إليهم فى السبب العاشر .. (وعليهم) كذلك أن يلاحظوا ما

---

(١) ارجع إلى كل هذه الأحاديث في كتاب خلق المسلم للشيخ محمد الغزالى عليه رحمة الله .

(٢) أى ما تركوه من المتاع الدنيوى .

(٣) **الجائحة** : أى الآفة المهلكة .

(٤) أخرجه أبو نعيم ... وقد ورد بألفاظ متقاربة .

ورد فى نص حديث شريف يقول فيه صلوات الله وسلامه عليه : « **إن الله يحب الصمت عند ثلاث : عند تلاوة القرآن ، وعند تشيع الجنازة ، وعند الزحف**» وعليهم كذلك أن يعودوا بعد تشيع الجنازة وإتمام الدفن .. بأكبر موعظة وهم يتصورون أنفسهم مكان هذا الذى ووري جثمانه تحت التراب .. أو أغلق القبر عليه ... والله ولى التوفيق .

(ثم) إذا كان ابن أدهم رحمه الله .. قد قال بعد ذلك لهؤلاء الذين التفوا حوله بعد أن عرض عليهم الأسباب العشرة :

« **فأنىَّ يستجاب لكم** » ، أى : فكيف يستجيب الله تعالى لكم الدعاء الذى تتضرعون به إليه كما أمرنا سبحانه وتعالى به فى قوله :﴿**ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: ٦٠] (إننا) كذلك نريد أن نسأل أنفسنا هذا السؤال .. الذى لا بد وأن نجد له جوابًا . كهذا الذى أجاب به أحدهم فى قوله الذى يتعجب فيه :

كيف ندعوا الإله فى كل كرب ... ثم ننساه عند كشف الكروب ؟؟
كيف نرجو إجابة لدعاء ... قد سددنا طريقها بذنوب ؟؟

(إننا) لا بد وأن نطهر طريق الدعوة إلى الله تبارك وتعالى من المعاصى والمخالفات إذا أردنا أن تصل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ..

(ونحن) نسأله سبحانه وتعالى القبول لها .. والله ولى التوفيق .

(٤٨) خُـطبة أو درس

حول وصية من وصايا لقمان الحكيم عليه السلام لولده

الحمد لله القائل : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشـهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريـك لـه القائـل : ﴿وَلَقَـدْ آتَيْنَـا لُقْمَـانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾[لقمان: ١٢] وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله الذى ورد عنه أنه قال : « الحكمة ضالة المؤمن .» .

اللهـم صـلِّ وسـلم عليـه وعـلى آلـه وأصـحابه الغـرِّ الميـامين الـذين كـانوا ينشدون الحكمة فى كل أقوالهم وأفعالهم .. في بيوتهم وفي كل موقع من مواقع أعمالهم فكانوا بسبب هذا هداة مهدين ، وقادة منتصرين ، وكـانوا رجـالًا كـما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله : ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْـعٌ عَـنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّـلاةِ وَإِيتَـاءِ الزَّكَـاةِ يَخَـافُونَ يَوْمًـا تَتَقَلَّـبُ فِيـهِ الْقُلُـوبُ وَالْأَبْصَـارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّـهُ أَحْسَـنَ مَـا عَمِلُـوا وَيَزِيـدَهُمْ مِـنْ فَضْـلِهِ وَاللَّـهُ يَـرْزُقُ مَـنْ يَشَـاءُ بِغَيْـرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧، ٣٨].

(أما بعد) ؟؟

فيا جماعة المسلمين ، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه .. (فى) هـذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى وتوفيقـه .. (رأيـت) أن أدور معكـم _ وبإيجاز _ حول وصية عظيمة من وصايا لقمان الحكيم لولده .. وفيهـا يقـول : (يا بنى لا تجالس الفجار ولا تماشيهم .. اتق أن ينزل عليهم عذاب من السـماء فيصيبك معهم .. وجالس العلماء والفضـلاء .. فـإن الله تعـالى يحيى القلـوب الميتة بالفضيلة والعلم كما يحيى الأرض بوابل المطر).

(وقبـل) أن أعـيش مـع الإخـوة المستمعين حـول هـذا القـول الحكـيم .. (فـإننى) أرى أن أقـف مـع الإخـوة الفضـلاء عـلى بعـض الإشـارات المتعلقـة بسيدنا لقمان الحكيم .. (فقد) قرأت حول قول الله تعـالى : ﴿وَلَقَـدْ آتَيْنَـا لُقْمَـانَ الْحِكْمَةَ﴾ فى حاشية الصاوى على الجلالين .. (أن) العلماء اختلفوا فى (لقمان)،

فقيل : اسم أعجمى ممنوع من الصَّرف للعلمية والعجمة وقيل : عربى ، ومنع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون (واختلف) فيه (فقيل) : هو لقمان بن ناخور بن ناخور بن تارخ وهو آزر (فعلى) هذا، فهو ابن أخى إبراهيم عليه السلام (وقيل) : كان ابن أخت أيوب (وقيل) : كان ابن خالته (ويقال) أنه عاش ألف سنة حتى أدرك داود عليه السلام .. (واتفق) العلماء على أنه كان حكيمًا ولم يكن نبيًّا .. إلا عكرمة والشعبى فقالا بنبوته .. (وقيل) خُير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة .. (وروى) أنه كان نائمًا فى وسط النهار ، فنودى : يا لقمان .. هل لك أن يجعلك _ الله _ خليفة فى الأرض فتحكم بين الناس بالحق .. (فأجاب) الصوت فقال : إن خَيّرنى ربى قبلت العافية ولم أقبل البلاء .. (وإن) عزم علىَّ فسمعًا وطاعة .. (فإنى) أعلم أن الله تعالى إن فعل بى ذلك أعاننى وعصمنى .. (فقالت) الملائكة بصوت لا يراهم : لمَ يا لقمان ؟ قال: إن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاة المظلوم من كل مكان .. (فإن) عدل نجا ، وإن أخطأ الطريق أخطأ الطريق إلى الجنة .. ومن يكن فى الدنيا ذليلًا خير من أن يكون شريفًا .. ومن يختر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة (فعجبت) الملائكة من حسن منطقه .. (فنام) نومة فأعطى الحكمة .. فانتبه وهو يتكلم بها .. (ثم) نودى بها داود بعده فقبلها (وكان) لقمان يؤازر داود لحكمته .. (وقيل) : كان خياطًا.. (وقيل) كان راعى غنم .. (فروى) أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال: ألست فلانا الراعى ؟ قال : بلى . قال : فبم بلغت ما بلغت ؟ قال : بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وترك ما لا يعنين. (وقد) قيل أيضا فى تفسير المعنى المراد من كلمة (حكمة) : أنها العلم والديانة والإصابة فى القول.. أى: فالحكمة هى العلم والعمل .. ولا يسمى الرجل حكيمًا حتى: يجمعها (وقيل): الحكمة هى : المعرفة والأمانة.. (وقيل) : هى نور القلب يُدرك به الأشياء كما تدرك بالبصر. (وحكمه) كثيرة .. (قال) وهب : تكلم لقمان باثنى عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس فى كلامهم .. (وقد قيل) فى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ﴾ [لقمان: ١٣] أن ابنه هذا، هو ثاران، (وقيل) : مشكم ، (وقيل) : أنعم (وقيل): كان ابنه وامرأته كافرين فما زال

يعظهما حتى أسلما. (وقيل): وضع لقمان جرابًا من خردل إلى جنبه وجعل يعظ ابنه موعظة موعظة ويخرج خردلة خردلة .. فنفذ الخردل فقال : يا بنى وعظتك موعظة لو وعظتها لجبل لتفطَّر .. فتفطر ابنه ومات .. (وقد) قيل فى معنى ﴿ أن اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان: ١٢]: أى على ما أعطاك من الحكمة .. فهى نعمة يجب الشكر عليها بصرفها فى مصارفها ...﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [لقمان: ١٢] تعليل للأمر بالشكر .. لأن ثواب شكره له .

﴿وَمَنْ كَفَرَ ﴾ أى النعمة ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِى﴾ أى عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ أى محمود فى صنعه .. أى فهو حقيق بأن يحمد من دون المخلوقات .

(فعلى) الإخوة المسلمين أن يلاحظوا كل هذا وهم يسألون الله تعالى أن يجعلهم من أهل الحكمة ..لأن الله تعالى يقول : ﴿يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِى خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إلا أُولُو الألْبَابِ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

(ثم) إذا كان لى بعد ذلك أن أعود إلى نص الوصية اللقمانية التى استمعنا إليها فى أول الخطبة .. (فإننى) أريد أن أنبه الإخوة الفضلاء .. بأن الوصية هذه بدأت بأهم توجيه ينبغى علينا نحن المسلمون بصفه خاصة أن ننفذ المراد منه .. (وهو) المشار إليه فى قوله : (يا بنى لا تجالس الفجار[1] ولا تماشهم ..) وذلك لأن مجالسة الفجار .. يعتبر مشاركة لهم فى الآثام التى يرتكبونها _ حتى ولو كان يجلس معهم فقط بدون مشاركة فعلية _ فإنه أيضًا يعتبر مشاركًا لهم وراضيًا عن أفعالهم المشينة .. (وقد) قال الإمام على كرم الله وجهه : (الراضى بفعل قوم كالداخل فيه معهم ، وعلى كل داخل فيه إثمان : إثم العمل به ، وإثم الرضى به): (وقد) قرأت كذلك أن أحد الأصحاب عليهم جميعا رضوان الله قال لصاحب له ألا أعلمك طبّا يتعايا فيه الأطباء ، وعلمًا يتعايا فيه العلماء ، وحكمة تتعايا فيها الحكماء ؟ قال : بلى .

قال : أما الطب الذى يتعايا فيه الأطباء : فاجلس على المائدة وأنت جائع وقم عنها وأنت تشتهيه (وأما) العلم الذى يتعايا فيه العلماء : فإذا سُئلت عما لا تعلم فقل : الله أعلم .

---

(١) فجر : أى فسق .. أو كذب .

** (وأما) الحكمة التى يتعايا فيها الحكماء : فإذا جلست فى نادى قوم فاسكت ، فإن أفاضوا فى الخير فأفض معهم ، وإن أفاضوا فى الشر فقم عنهم)، (وكان) هذا القول الأخير هو المطلوب من الأخ الحكيم .. إذا لم يستطع تغير هذا المنكر بأى وسيلة من وسائل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. فارق المجلس هذا .. وهو يسأل الله تعالى أن يغير هذا المنكر .. بل وأن يهدى فاعليه .. (مع) ضرورة أن يقرأ بعد قيامه دعاء كفارة المجلس .. وهو : « **سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله الا أنت أستغفرك وأتوب إليك** » وهو حديث صحيح . (إنه) إذا لم يفعل ذلك .. (فإن) عذاب الله تعالى سيصيبه مع أهل هذا المنكر : كما أشار لقمان الحكيم إلى هذا فى قوله : (اتق أن ينزل عليهم عذاب من السماء فيصيبك معهم).

(وقد) يكون هذا هو المشار إليه فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً**﴾[الأنفال: من الآية٢٥] ، وأيضًا يقول الله تعالى: ﴿**وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾ [هود: ١١٣] .

(ثم) عليه بعد ذلك أن ينفذ ما جاء بعد ذلك فى نص الوصية، وهو : (وجالس العلماء والفضلاء) (وذلك) لأن العلماء هم مصابيح الهدى .. (وهم) أيضًا : أشجار الوقار ومنابع الأخبار .. إن رأوك على قبيح صدوك ، وإن رأوك على جميل أمدوك ، لا يطيش لهم سهم ، ولا يسقط لهم وهم .. كما وصفهم الحسن البصرى عليه رحمه الله _ (ولهذا) فقد رغبنا الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فى مجالستهم والتعلم منهم العلم النافع الذى هو النور الذى نسير على هداه .. والذى به نعرف الحلال من الحرام :

فلولا العلم ما سعدت نفوس ... ولا عرف الحلال من الحرام

(فعن) أبى الدرداء ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من سلك طريق يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة ، وإن الملائكة .. تضع**

أجنحتها[1] لطالب العلم رضًا بما يصنع ، وإن العلم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء . وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر » رواه أبو داود ، وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى ... (وورد) كذلك فى حديث رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما .. (أن) رسول الله ﷺ وقال : « .. **من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم .. إلا حفَّتهم الملائكة ، ونزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله فيمن عنده ..** » .

(وأما) عن مجالسة الفضلاء .. (وذلك) لأن أولى الفضل .. هم الذين من النادر أن تجد منهم شرًا .. أما غيرهم فإنهم من النادر أن تجد منهم خيرًا .. (وهم) الجلساء الصالحون الذين عناهم الرسول ﷺ فى الحديث المتفق عليه الذى ورد : (عن) أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير[2] ، فحامل المسك إما أن يحذيك[3] ، وإما أن تبتاع[4] منه ، وإما أن تجد منه ريحًا طيبًا ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحًا منتنةً** » .

(وهم) المؤمنون الذين أوصانا النبى ﷺ بمجالستهم فقال _ فى حديث رواه أبو داود ، والترمذى بإسناد لا بأس به (عن) أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقى**» . (وذلك) لأن المؤمن – كما ورد فى الحديث الشريف -« **كله منفعة .. إن شاورته نفعك ، وإن شاركته نفعك ، وإن ماشيته نفعك .. فأمره كله منفعة**». وهو أيضًا كما ورد فى الحديث : « **قليل الكلام كثير العمل .. والمنافق كثير الكلام قليل العمل** » . (ولهذا) فقد قال أحدهم موصيًا فى مصاحبته :

---

(١) أى تخفضها تواضعًا ومحبة.
(٢) أى الذى ينفخ الحداد به لإشعال النار وتوهجها .
(٣) **يحذيك** : أى يعطيك .
(٤) أى تطلب البيع منه .

(هذا) بالإضافة إلى أننا إذا أحببناهم وجالسناهم .. فإننا سنحشر معهم إن شاء الله تعالى يوم القيامة .

(فعن) أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: « **الرجل على دين خليله**[1] **فلينظر أحدكم من يخالل** » رواه أبو داود ، والترمذى ، والترمذى بإسناد صحيح وقال : حديث حسن .

(وعن) أبى موسى الأشعرى ﷺ أن النبى ﷺ قال : «**المرء مع من أحب**» متفق عليه وفى رواية قال : قيل للنبى ﷺ : الرجل يحب القوم[2] ولم يلحق بهم ؟ قال :«**المرء مع من أحب**[3]».

(وعن) أنس ﷺ أن أعرابيًا قال لرسول الله ﷺ متى الساعة : قال رسول ﷺ : « **ما أعددت لها** » ؟ قال : حبَّ الله ورسوله قال : « **أنت مع من أحببت** » متفق عليه . وهذا لفظ مسلم وفى رواية لها : ما أعدت لها من كثير صوم ولا صلاة ولا صدقة ولكنى أحبُّ الله ورسوله .

.. (فعلى) الإخوة المسلمين المستمعين أن ينتفعوا بكل هذا التذكير النافع الذى علقت به – وبإيجاز – على نص الوصية اللقمانية الجامعة .. التى إن نفذنها بهذا المفهوم الصحيح الذى وقفنا علية .. كنا فعلًا من الفطناء الذين عرفوا الله تعالى فأطاعوا ، وعرفوا رسول الله ﷺ فتبعوا ، وعرفوا الدنيا فرفضوها ، وعرفوا الأخرة فطلبوها ، وعرفوا النار فهربوا منها، وعرفوا الجنة فعملوا من أجلها . (وكنا) كذلك من الأبرار الذين أعد الله تعالى لهم فى الجنة (نجد ما لا عين رأت ، وما لا أذن سمعت وخطر على قلب بشر .. ﴿ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩][4] .

والله ولى التوفيق .

---

(١) أى صديقه .. لأنه لا يغير فى صحبة من لا يرى لك مثل ما تراه له .

(٢) أى أهل الصلاح .

(٣) وهذا عام .. فمن أحب رسول الله ﷺ أو أحدًا من المؤمنين كان معه فى الجنة . بحسب النية .

(٤) أى فى أى زمن تقوم فيه الساعة .. وهى القيامة .

(٤٩) خطبة أو درس

حول علامات حب الله تعالى العبد والحث على التحليق بها والسعى فى تحصيلها

الحمد لله القائل ..﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحدة لا شريك له القائل ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل : « **إذا أحب الله تعالى العبد نادى جبريل: إن الله تعالى يحب فلان فأحببه فيحبه جبريل فينادى فى أهل السماء : إن الله يحب فلان فأحبُّوه فيحبُّه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض** » متفق عليه .

اللهم صلِّ وسلم عليه وآله وأصحابه الغرِّ الميامين الذين سيناديهم رب العزة سبحانه وتعالى يوم القيامة بقوله : « **أين المتحابون بجلالى ، اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى** » رواة مسلم . فكانوا بسبب هذا الحب الصادق الذى بشروا به على لسان الحبيب المصطفى صلواة الله وسلامة علية عن رب العزة سبحانه : هداة مهتدين ، وقادة منتصرين وكانوا رجالًا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧، ٣٨] .

(أما بعد) ؟؟

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه .. (فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى وتوفيقه .. رأيت أن أذكِّركم ونفسى بأهم العلامات أو المبشرات بنتائج حب الله تعالى للعبد الصادق فى حبه له سبحانه .. (وذلك) حتى نحرص على تحقيق تلك البشريات من خلال ما أخبرنا به الحبيب صلوات الله وسلامه عليه فى أحاديثه الشريفه.

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تعالى قال : من عادى لى وليًا فقد أذنته بالحرب ، وما يتقرَّب إلىَّ عبدى بشىءٍ أحب إلىَّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبَّه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها**[1] **وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه** » رواه البخارى . وقوله : (استعاذنى) روى بالباء وروى النون .

(وقد) قرأت فى شرح الأربعين النووية للحديث ٣٨ ص ٨٧ . شرحًا لبعض أو أهم ما جاء فى هذا الحديث القدسى وهى : (أن) قوله تعالى : «**وما تقرب إلى عبدى بشىءٍ أحبَّ إلىَّ مما افترضت عليه**» : فيه دليل على أن فعل الفريضة أفضل من النوافل .. وجاء فى الحديث أن ثواب الفريضة يفضل على ثواب النافلة بسبعين مرة .

(وأن) قوله تعالى: «**ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبَّه**» : أن العلماء قد ضربوا على ذلك مثلًا فقالوا : مثل الذى يأتى بالنوافل مع الفرائض ومثل غيره، كمثل رجل أعطى لأحد عبديه درهمًا ليشترى به فاكهة وأعطى آخر درهما ليشترى به فاكهة (فذهب) أحد العبدين فشترى فاكهة فوضعها فى قوصرة [2] وطرح عليها ريحانًا ومشمومًا من عنده ثم جاء فوضعها بين يدى السيد .

(وذهب) الآخر واشترى الفاكهة فى حجره ثم جاء فوضعها بين يدى السيد على الأرض : (فكل) واحد من العبدين قد امتثل .. (لكنَّ) أحدهما زاد من عنده القوصرة والمشموم .. فيصير أحب إلى السيد [3] .

(ثم) يقول الإمام النووى عليه رضوان الله : (فمن) صلَّى النوافل مع الفرائض يصير أحب إلى الله .. والمحبة من الله إرادة الخير .. (فإذا) أحبَّ

---

(١) أى كنت حافظه بسمع ما يحل سماعه والنظر إليه ، وما يحل بطشه ومشيه، فتقلع جوارحه عن الشهوات ويستغرق فى طاعة الخالق سبحانه وتعالى ، وأنصره وأؤيده.

(٢) قد يكون المراد بها السلة الجميلة .. أو طبق الفاكهة الغالى.

(٣) ولله المثل الأعلى .

عبده شغله بذكره وطاعته وحفظه من الشيطان ، واستعمل أعضاءه فى الطاعة ، وحبب إليه سماع القرآن والذكر ، وكَرَّه إليه سماع الغناء وآلات اللهو . وصار من الذين قال الله تعالى فى حقِّهم : ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾[القصص: ٥٥] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾[الفرقان: ٦٣] فإذا سمعوا منهم كلامًا فاحشًا أضربوا عنه وقالوا قولًا يسلمون فيه، وحفظ بصره عن المحارم فلا ينظر إلى ما لا يحل له، وصار نظره فكر واعتبار، فلا يرى شيئًا من المصنوعات إلا استدل به على خالقه (وقال) على ﷺ : (ما رأيت شيئًا إلا ورأيتُ الله تعالى قبله) ومعنى الاعتبار : العُبور بالفكر فى المخلوقات إلى قدرة الخالق فيسبِّح عند ذلك ويقدِّس ويعظِّم وتسير حركاته واليدين والرجلين كلها لله تعالى ولا يمشى فيما لا يعينه ولا يفعل بيدة شيئًا عبثًا بل تكون حركاته وسكناته لله تعالى.. فيثاب على ذلك فى حركاته وسكناته لله تعالى .. وفى سائر أفعاله: و .. (أن) قوله تعالى :« كنت سمعه..» يحتمل كنت الحافظ لسمعه ، ولبصره ولبطش يده ورجله من الشيطان ، (ويحتمل) : كنت فى قلبه عند سمعه وبصره وبطشه .. (فإذا) ذكرنى كفَّ عن العمل لغيرى .. ا.هـ.

(وعن) أبى هريرة ﷺ كما فى رواية مسلم [1] أن رسول الله ﷺ قال : «**إن الله تعالى إذا أحب عبدًا دعا جبريل ، فقال : إنى أحب فلانًا فأحبه .. فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى السماء فيقول : إن الله يحب فلانًا فأحبُّوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض . وإذا أبغض الله عبدًا دعا جبريل، فيقول : إنى أبغض فلانًا فأبغضه ، فيبغضه جبريل ، ثم ينادى فى أهل السماء : إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه ،ثم توضع له البغضاء فى الأرض**».

(فإن) معنى هذا الحديث إجمالًا : أن الله تعالى إذا أحب عبدًا لصلاحه وتقواه ..وحبه لفعل الخيرات، وتركه للمنكرات..كان هذا الحب الإلهى سببًا فى حب أهل السماء والأرض لهذا العبد الموفق .. وكان وضع القبول له فى الأرض دليلًا على هذا .. كعلامة يستطيع العبد الصالح أن يستبشر بها .

---

(١) وهى غير رواية البخارى التى وقعنا عليها فى مقدمة الخطبة.

(وقد) ورد كذلك أن سيدنا داود عليه السلام قال ذات يوم مخاطبًا ربه : يا رب أى العباد أحب إليك ؟ فقال الله تعالى : (**يا داود : أحبُّ عبادى إلى : نقى القلب نقى الكفين ، لا يأتى لأحد بسوء، ولا يمشى بين الناس بالنميمة.. تزول الجبال ولا يزول .. أحبَّنى وأحبَّ من يحبَّنى وحبَّبنى إلى عبادى .. قال داود: يا رب .. وكيف يحببك إلى عبادك ؟ قال : يذكرهم بنعمى وآلائى .. يا داود ما من عبد يعين مظلومًا أو يمشى معه فى مظلمته إلا ثبتٌ قدميه على الصراط يوم تزلُّ الأقدام**).

(وهذا) معناه أن كل عمل أو خُلُق فاضل من تلك الأعمال الصالحة أو الأخلاق الكريمة فضلا عن مجموعها كان وسيكون سببًا مباشرًا فى حب الله تبارك وتعالى لهؤلاء العباد الموفقين الذين فازوا وسيفوزون بحب الله تعالى لهم .

(وقد) قرأت كذلك فى نص حديث قدسى عن رب العزة سبحانه وتعالى قوله [1]: ((**أحبُّ ثلاثًا وحبى لثلاثٍ أشد ..: أحب أهل السخاء وحبى للفقير السّخىَ أشد ، وأحب المتواضعين وحبى للغنى المتواضع أشد، وأحب التائبين وحب للشاب التائب أشد . وأبغض ثلاثًا وبغضى لثلاثٍ أشد ..: أبغض البخلاء وبغضى للغنى البخيل أشد ، وأبغض المتكبرين وبغضى للفقير المتكبر أشد ، وأبغض الفساق وبغضى للشيخ[2] الفاسق أشد**)).

(وأيضًا) من علامات حب الله تعالى للعبد .. :

(أن) يكون متبعًا للحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : (ففى) القرآن الكريم يقول الله تبارك وتعالى للحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] .

(وفى) حديث شريف أخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود ، يقول

---

(١) كما جاء فى كتاب (هداية المرشدين) للشيخ على محفوظ عليه رحمة الله .

(٢) الشيخ الكبير المسن .

حبيبنا المصطفى صلوات الله عليه وسلامه عليه منفذًا أمر الله تعالى فى الآية السابقة : «**اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم**».. (ومعنا) كفيتم : أى أن النبى ﷺ لم يفارق الدنيا إلا بعد أن أنزل الله تعالى قوله : ﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] (وهذا) معناه كذلك أن اتباع الرسول ﷺ هو السبيل إلى الهداية الحقيقية كما يشير الله تعالى إلى هذا فى قوله : ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .. (ولذلك) فقد قال أيضًا تبارك وتعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] .

(وقد) اتفق العلماء العاملون على أن الخير كُلَّه فى الاتباع ، وأن الشر كلّه فى الابتداع.

(وقد) ورد كذلك فى حديث صحيح رواه مسلم .. ما يفيد بأن عدم الاتباع سيكون من أهم أسباب طرد المبتدعين بعيدًا عن حوض الرسول ﷺ يوم القيامة .

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة [١] فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم عن قريب لاحقون ، ووددتُ لو أنّا قد رأينا إخواننا**» قالوا : ألسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال : «**أنتم أصحابى وإخواننا الذين لم يأتوا بعد**» .

قالوا : كيف تعرف من لم يأتى بعدُ من أمتك يا رسول الله ؟ قال: «**أرأيت لو أن رجلا له خيلًا غرٌّ محجلة [٢] بين ظهرى خيل دهم [٣] بهم ألا يعرف خيله؟**» قالوا ..بلى يا رسول الله ، قال:

« **فإنهم يأتون غرًّا محجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم [٤] على الحوض ، ألا ليذادّن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضالُّ أناديهم: ألاَ هلمَّ ،فيقال: إنهم**

(١) **الغرة**: عبارة عن علامة فى جبين الفرس .. والتحجيل عبارة عن بياض فى يدى الفرس ورجليه.
(٢) **والدهم البهم** : أى السوداء التى لا علامة فيها.
(٣) **وفرطهم على الحوض** : أى أتقدمهم .
(٤) **ألا هلمَّ** : أى تعالوا .

بدَّلوا بعدك، فأقول: سحقًا سحقًا» : أى بعدًا لهم .

(فعلى) الإخوة المسلمين المستمعين . (أن) يلاحظوا كل هذا وينفذوه .. لأنه لا خير إلا فيه - باستثناء الابتداع - وحسبهم أنهم بكل هذا الخير فضلا عن غيره .. سيكونون من الذين يحبهم الله تبارك وتعالى .. وسيكونون أيضًا إن شاء الله تعالى من أهل القبول فى الأرض .. وكذلك سيحبهم قبل ذلك أهل السماء ، بعد جبريل عليه السلام .

والله ولى التوفيق .

(٥٠) خطبة أو درس

حول الترغيب فى أن نساهم كمؤمنين فى بنك المحبة .. بالحب فى الله ..ولله .

الحمد لله القائل : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥].

واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: « **ثلاث من كنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان :إن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ،وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، أن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار** » متفق عليه . عن أنس ﷺ . اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين المتحابين المتعاطفين المتراحمين المتوادّين .الذين كانوا هداة مهديين ،وقادة منتصرين ، وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله :﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور٣٧، ٣٨] (أما بعد) ،فيا جماعه المسلمين، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه ..(لقد) رأيت فى هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى وتوفيقه ..(أن) أُرغبكم ونفسى فى المساهمة فى بنك المحبة..وهو: (بنك خزائنه فى القلوب، وسبائكه من نور، شيكاته ابتسامات وعملته السَّهلة الصفاء ،سنداته الإخلاص وضماناته المعروف، وهو يتسع لكافة المعاملات .. لا تصدمك أرقامه ، ولا يفزعك تقلب أسعاره . يدوم دوام المحبة .. والمحبة زهرة إن زبلت يومًا عاش عطرها أبدًا .. لا يفرق بين الناس وفقًا لوضعهم المادّى .. بل إن أولاهم بثقته من عظمت تضحيته ، وأوفرهم رصيدًا من شف قلبه حنانًا ، ورقت روحه سلامًا .. يجمع القلوب ولا يجمع الأرقام ..يحصى الخير ويطرح السيئات .. ولا يبالى إلا بالكلمة الطيبة .. لو تعامل الناس مع هذا البنك لتناسوا أحقادهم ، وارتفع رصيد إنسانية كلٍّ منهم إلى ما فوق الغنى .. وغنى

النفوس لا يقدر بمال .. بل هو كنز موعود لأصحاب القلوب البيضاء).

نعم ، هذا هو البنك المبارك الذى بنى على الحب الصادق، والذى ساهم فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه .. بالكثير والكثير من الحب الصادق..لأصحابه الفضلاء .. الذين بادلوه بنفس الحب الذى كان دليلًا صادقا على صدق حبهم لله ورسوله ..(وكان) النبى ﷺ يخبرهم بهذا.(فعن) معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال : « **يا معاذ والله إنى لأحبك ثم أوصيك ، يا معاذ لا تدعنَّ فى دبر كل صلاة** [1] **تقول : اللهم أعنِّى على ذكرك ، وشكرك ، وحسن عبادتك** » حديث صحيح ، رواه أبو داود والنسائى بإسناد صحيح .

(وكان) صلوات الله وسلامه عليه يقول لأصحابه : «**إذا أحبَّ الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه** » رواه أبو داود والترمذى وقال: حديث صحيح عن المقداد بن معد بكر رضي الله عنه .

(وعن) أنس رضي الله عنه أن رجلًا كان عند النبى ﷺ فمر رجل به ، فقال : يا رسول الله إنى لأحبُ هذا. فقال النبى ﷺ: «**أأعلمته ؟**» قال : لا ، قال: « **أعلمه**» **فلحقه، فقال: إنى أحبك فى الله. فقال: أحبك الله الذى أحببتنى له.** رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(وذلك) لأن النبى ﷺ كان يحب أن يؤلف بين قلوب أصحابه .. (وقد) زكى الله تعالى هذا فقال مخاطبا حبيبه صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ **لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [الأنفال:٦٣] فكانوا بسبب هذا التآلف الإيمانى.. «**كالبنيان يشد بعضه بعضًا** [2]» ، وكان مثلهم : « **كمثل الجسد الواحد إذا أشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**[3]» ، وكانوا تنمية لهذا الحب الصادق ينفذون توجيهات الرسول ﷺ المشار إليه فى قوله لهم : « **والذى نفسى بيده لا**

---

(١) أى عقب كل صلاة. فى ختام الصلاة.

(٢) رواه مسلم عن أبى موسى رضي الله عنه .

(٣) الحديث رواه مسلم بنحوه .

تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا . أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » رواه مسلم .

(وذلك) لأن إفشاء السلام هذا سيكون سببًا مباشرًا فى إزالة ما فى القلوب من رواسب شيطانية .. ربما كانت سببًا كبيرًا فى تنمية البغضاء والشحناء بينهم .. كما أشار النبى ﷺ إلى هذا فى قوله : « **إن الشيطان قد يأس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم**[1]» .

(ولهذا) فقد أغلق الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الباب الشيطانى هذا (وذلك) بتحريم هجر المسلم أخاه المسلم فوق ثلاثة[2] بغير سبب شرعى ، وهى مكروهة فى الثلاثة وفيما زاد فهو حرام إلا لضرورة..(وحكى) أن رجلًا هجر أخاه فوق ثلاثة أيام فكتب إليه هذه الأبيات ، فقال :

يا سيدى عندك لى مظلمة	**فاستفت فيها أبى خيثمة**
فإنه يروى لنا عن جده	**ما قد روى الضَّحاك عن عكرمة**
عن ابن عباس عن المصطفى	**نبينا المبعوث بالمرحمة**
إن صدود الإلف عن إلفه	**فوق ثلاث ربنا حرمه**

(بل) وورد – فى حديث رواه أبو داود – أنه صلوات الله وسلامه عليه كان ينهى أن يبلغ عن أصحابه ما يسوءه ، فقال: «**لا يبلغنى أحدٌ منكم عن أحد من أصحابى شيئًا، فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**[3]» .

(ولكى) يغلق النبى ﷺ هذا الباب، بالنسبة له ، وبالنسبة لجميع الأصحاب .. (فقد) ورد فى حديث رواه مسلم :

(عن) أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **أتدرون ما الغيبة ؟** »قالوا : الله ورسوله أعلم قال: « **ذكر أخاك بما يكره** ». قيل:أرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال : «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، إن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتّه**[4]» .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) أى فوق ثلاثة أيام .
(٣) رواه أبو دواد.
(٤) البهتان: أى الكذب .

(وكذلك) كان صلوات الله وسلامه عليه كان ينهى ويرهب عن النميمة فيقول فى حديث رواه الطبرانى: «**إن النميمة والحقد فى النار، لا يجتمعان فى قلب مسلم**» ويقول: (**لا يدخل الجنة نمام**) رواه البخارى وفى رواية (قَّتات). (وذلك) لأن من لوازم الحقد سوء الظن، وتتبع العورات، واللمز، وتعيير الناس بعاهاتهم ،أو خصائصهم البدنية والنفسية ... (وكل) هذا لا شك يتنافى مع الحب الصادق الذى لا بد وأن تعمل على تنميته فى (بنك المحبة) .

(وحتى) تتضح الصورة لنا .. (فإننى) أرى أن أذكِّر الإخوة المسلمين المستمعين .. بحديث ورد : (عن) أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند النبى ﷺ فقال : «**يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة**»، فطلع رجل من الأنصار ، تنطف لحيته من وضوئه [1]، قد علق نعليه بيده الشمال .. فلما كان الغد قال النبى ﷺ مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان اليوم الثالث ، قال النبى مثل مقالته أيضًا ،فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى . (فلما) قام النبى تبعه عبد الله بن عمرو _ أى تبع الرجل _ فقال : إنى ناحيت أبى، فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثًا الليالى . فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضى فعلت: قال: نعم قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الثلاثاَ، فلم يره يقوم من الليل شيئًا ، غير أنه لا إذا تعارَّ _ أى تقلب فى فراشه -ذكر الله عز و جل حتى ينهض لصلاة الفجر ..قال عبد الله: غير أنِّى لم أسمعه يقول إلا خيرًا . فلما مضت الليالى الثلاث وكدت أحتقر عمله ، قلت : يا عبد الله : لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجرة . ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لك - ثلاث مرات :«**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**» فطلعت أنت الثلاث مرات ، فأردت أن آوى إليك. فأنظر ما عملك فأقتدى بك . فلم أرك عملت كثير عمل !! فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ قال : ما هو إلا ما رأيت ، غير أنى لا أجد فى نفسى لأحدٍ من المسلمين غشّا، ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه . فقال عبد الله :

---

(١) أى تتساقط من لحيته قطرات الوضوء .. والوضوء بفتح الواو أى الماء الذى يتوضأ به .

هذه التى بلغت بك !!» رواه أحمد .

وفى رواية أخرى : «ما هو إلا ما رأيت يا بن أخى، إلا أنِّى لم أبت ضاغنًا على مسلم» أخرجه البزار .

فهذه هى الخلاصة الجامعة التى إن نفذنا المراد منها واستثمرناه .. كنا من المساهمين فى (بنك المحبة) اقتداء برسول الله ﷺ وأصحابه الفضلاء الذين كانوا على قلب رجل واحد .. والذين شبههم الرسول ﷺ كما ورد عنه بالنجوم .. ثم قال : «**بأيهم اقتديتم اهتديتم**» .

والله ولى التوفيق

(٥١) خطبة أو درس
حول الترغيب في الباقيات الصالحات من خلال شرح المراد من الآية رقم ٤٦ من سورة الكهف ..

الحمد لله القائل : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:١٠] وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله القائل: «**لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس**» رواه مسلم.اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغرِّ الميامين، المسبحين،المهللين، الحامدين، المكبرين.. الذين عرفوا الله تعالى فعرفهم ، وذكروا الله تعالى فذكرهم ، ونصروا الله تعالى فنصرهم ..فكانوا هداة مهديين ، وقادة منتصرين، وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله : ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨] .

(أما بعد) ،

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه ..(فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى وتوفيقه .. رأيت أن يكون لقائى معكم حول الترغيب فى الباقيات الصالحات .. وذلك من خلال شرح المراد من الآية القرآنية السادس والأربعين من سورة الكهف ، وهى التى يقول الله تبارك وتعالى فيها : ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلا﴾ [الكهف:٤٦] .

(وإذا) كان لى أن أبدأ – وبدون مقدمات – فى شرح المراد من هذه الآية الكريمة ..(فإننى)أحب إن أشير أولا إلى ملاحظة هامة ..(وهى) الحكمة فى تقديم المال على البنين فى صدر الآية .

(فإن) الحكمة فى هذا التقديم .. هى أن المال هو عصب الحياة.. وهو اللسان لمن أراد فصاحة ، وهو السلاح لمن أراد قتالا ، كما يقول أحد الشعراء الحكماء.. (ولهذا) فإنه ليس من الذهد الحقيقى .. أن تكون غير غنى بالمال، وإنما المعنى الحقيقى له .. أن تكون زاهدًا فيه وهو فى يدك .

(وقد) قال العلماء .. توضيحًا لهذا المعنى .. (ليس الزهد من لا مال عنده .. وإنما الزاهد من لم يشغل المال قلبه وإن أوتى مثل ما أوتى قارون)، أى : أنه لا مانع من أن يكون معك مال كما ل قارون .. ولكن على شريطة أن يكون هذا المال حلالا .. وأن يكون فى يدك لا فى قلبك .. لأنه إذا كان فى يدك استطعت أن تستغله فى طاعة الله تعالى .. أما إذا كان متربعًا فى قلب العبد فإنه سيكون مطية له .. بمعنى أن المال هو الذى يتصرف فيه كيف يشاء ..

(وقد) سئل أحد الحكماء : لماذا تجمع المال وأنت حكيم ؟ فقال : (لأؤدى به الفرض، وأصون به العرض ، وأستغنى به عن القرض).

(وهذا) معناه .. أن المال هذا قد يكون نعمة وقد يكون نقمة..(فيكون)نعمة إذا كان قد جمع من المصادر الحلالية المشروعة .. من التجارة، والزراعة ، والصناعة .. والوظائف الإدارية التى لا شبهة فيها..(وكان) المال هذا .. تؤدى زكاته .. وينفق منه فى أبواب الخير المشروعة.. بدون منٍّ أو أذى .. (ويكون) نقمة إذا كان العكس هو الصحيح.. وكان مالكه .. من الذين لا يؤدون زكاته .. كثعلبة بن حاطب[1] الذى كان من الفقراء جدًّا فذهب إلى رسول الله ﷺ وطلب منه أن يدعو له بأن يرزقه الله مالا كثيرًا ورزقًا وفيرًا .. فيقول له النبى ﷺ (مرتين) :

(يا ثعلبة): **(قليل يكفيك خير من كثير يطغيك)** ، **(يا ثعلبة)** : **(ما قل وكفى خير مما كثر وألهى)** ، فيقول لرسول الله ﷺ وهو يلح فى طلب الدعاء: ادع الله لى يا رسول الله .. ولئن دعوت الله لى ورزقنى الله .. لأتصدقنَّ ولأكوننَّ من الصالحين .. أى : أنه وعد النبى ﷺ بأنه إن رزقه الله

---

(١) وهو غير البدرى الذى جاهد مع رسول الله ﷺ فى غزوة بدر الكبرى .

بالمال الكثير والرزق الوفير .. سيكون مساهمًا فى جميع أبواب الخير – فلما سمع منه النبى ﷺ هذا أو مثل هذا .. قال : « **اللهم بارك لثعلبة** » ، وفعلا استجاب الله تبارك وتعالى لدعوة حبيبه صلوات الله وسلامه عليه .. فأقبلت الدنيا على تعليمه .. الذى ازدحمت الصحراء بإبله وبقره وجاموسه وغنمه .. بعد أن كان لا يملك شيئًا من حطامها .. (فماذا) حدث بعد هذا .. (إن) الذى حدث منه .. هو أنه كان لا يحافظ على حضور الجماعات خلف رسول الله ﷺ كما كان يفعل قبل هذا .. (حتى) قالوا إنه كان لا يحضر بعد ذلك غير صلاة الجمعة ... (لأن) الدنيا كما يقولون .. (إذا حَلَت أَوْحَلَتْ ، وإذا جلت أوجلت ، وإذا كست أوكست، وإذا دنت أودنت ..)

(ثم) حدث بعد ذلك .. وبعد أن أقبلت الدنيا عليه أكثر من ذى قبل .. أن أصبح لا يحضر صلاة الجمعة .

(ثم) بعد عام كامل .. أرسل النبى ﷺ وفدًا من أصحابه لكى يجمعوا الزكاة من أغنياء المسلمين .. لكى يعطيها لفقرائهم .. (وقال) لهم : مروا فى طريقكم على (ثعلبة) ... وخذوا منه زكاة إبله، وبقره، وغنمه، وجاموسه... (فمروا) عليه وأخبروه بما كلَّفهم به رسول الله ﷺ .. فقال لهم : هذه جزية يفرضها علينا محمد .. وأنا لن أدفعها .. (وكان) النبى ﷺ – فى هذا الوقت يجلس مع بعض أصحابه فى المدينة فسمعوه يقول : ‹‹**يا ويح ثعلبة .. لقد هلك ثعلبة** ›› فلما سمعوه يقول هذا تعجبوا ثم سألوه عن السبب؟ فتلا عليهم ما أنزله الله عليهم فى شأن ثعلبة : وهو :

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧] (وكان) هناك فى مجلس الرسول ﷺ بعض أقارب ثعلبة.. فلما سمعوا ما أنزله الله تعالى فى شأن ثعلبة أسرعوا إليه .. وأخبروه بما أنزله الله تعالى فى شأنه من فوق سبع سماوات: ثم قالوا له .. سارع بزكاة إبلك، وبقرك وغنمك،.. إلى رسول الله ﷺ .. (فأخذ) يجمع الرؤوس المعيبة – أى التى فيها جرب، أو عور ، أو

كسح ، أو عرج – (ثم) ذهب بكل هذا إلى رسول الله ﷺ .. فرفض أن يأخذها منه .. لأن الله تعالى قد حكم عليه بالنفاق .. ولأنه تعالى يقول : ﴿وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧] وظل الرسول ﷺ يرفض منه زكاته .. طوال حياته .. (وفى) خلافة الصديق ، وخلافة عمر رضي الله عنهما .. أبيا أن يأخذا منه شيء من زكاته .

(وكذلك) فى خلافة عثمان رضي الله عنه أبى أن يأخذ منه شيئًا .. إلى أن مات (ثعلبة) على النفاق فى خلافة عثمان عليه رضوان الله .. (كل) هذا السبب فتنة المال .. وصدق الله تعالى فهو القائل: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] .. (فقد) يشغل الإنسان منا بأموالهم عن الصلاة .. وقد يرتكب بسبب هذا المال أبشع الجرائم الخلقية.. ولا سيما إذا كان شابا فى مقتبل العمر:

إن الشباب والفراغ والجدة [1] مفسدة للمرء أى مفسدة

(وأما) عن البنين .. (فهم) فلذات أكبادنا الذين أن أحسنَّا تربيتهم على أساس دينى صحيح كانوا عونًا لنا فى حياتنا الدنيوية .. وكانوا بعد رحيلنا إلى الدار الآخرة .. من المنفذين لأمر الله تعالى فى قوله : ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤] وفى الحديث الشريف : « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقه جارية أو علم ينتفع الناس به ، أو ولد صالح يدعو له** » .

(فلنكن) إن شاء الله تعالى من الحريصين على الانتفاع بأموالنا وأولادنا انتفاعًا إيجابيا لا سلبيًا حتى لا يكون فتنة لنا .. بتلك الصوره التى قد تؤدى إلى الخسران المبين .. فى الدنيا والآخرة.

(وحسبنا) أن نفهم من قول الله تبارك وتعالى :﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ

---

(١) الجدة : أى المال .

مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٤-١٧].

(وأما) عن :

(الباقيات الصالحات)

فهي [١] (سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر) - وزاد بعضهم - (ولا حول ولا قوة إلا بالله) .

وهي : غراس الجنة .. كما ورد في أحاديث الإسراء والمعراج .. التي جاء فيها أن النبي ﷺ ..

لما عرج به إلى السماء السابعة .. رأى هناك سيدنا إبراهيم الخليل .. عليه السلام مسندًا ظهره إلى البيت المعمور - وهو في السماء السابعة فوق الكعبة مباشرة.. لو سقط منه حجر لسقط في وسط الكعبة .. يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يتعبدون فيه .. ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة - عندما رأى النبي ﷺ سيدنا إبراهيم الخليل مسندًا ظهره إلى البيت المعمور سلم عليه فرحب به ورد السلام وأقر بنبوته .. وقال له: مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ودعا له بخير .. ثم حمله أمانة لنا .. قال فيها : (أقرئ أمتك مني السلام) - فعليه منا جميعًا السلام .. لأن الله تعالى يقول : ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦] - ثم قال له : (وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنهارها قيعان، وأن غراسها سبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر [٢]) . أي أنك بكل واحدة من هذه الكلمات تغرس لك شجرة في الجنة .. فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين .

(وقيل) : إن المراد بها : الصلوات الخمس .. لأنها تجمع من أولها إلى آخرها .. كل الباقيات الصالحات بالإضافة إلى سورة الفاتحة وما يتبعها من آيات بينات .. إلى الشهادتين ..

---

(١) كما جاء في كتب التفسير .

(٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن .

قبل الخروج منها بالسلام الذى هو اسم من أسماء الله تعالى ..

(وقيل) ، هى : أركان الإسلام الخمس .. لأنها كذلك تدور حول ذكر الله تبارك وتعالى بصفة عامَّة .. وحول الباقيات الصالحات .. بصفة خاصة .

(وقيل) ، هى : كل ما يثاب عليه العبد فى الدار الآخرة .. وهو الأتم والأشمل .

(وعلى) هذا ، فإنه ينبغى على الأخوة المستمعين أن ينفذوا المراد من كل هذا التذكير الذى وقفوا عليه ..و لا سيَّما بالنسبة للباقيات الصالحات التى ورد الترغيب فيها من القرآن والسنة :

(ففى) القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾ [الأحزاب:٤٢]. أى : أول النهار وآخره .

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥] وبالغدو والآصال ، أى : أول النهار وآخره .

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيما﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

وقد ورد كذلك فى السنه الشريفة :

(عن) أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم** » متفق عليه.

(وعنه) رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لأن أقول : سبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، أحب إلى مما طلعت عليه الشمس**[1] » رواه مسلم .

(وعنه) أن رسول الله ﷺ قال : « **من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، فى يوم مائة مرَّة كانت له**

---

(١) كناية عن الدنيا .

عدل عشرة رقاب[1] ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزًا من[2] الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه » .

وقال :«من قال : سبحان الله وبحمده ، فى يوم مائة مرَّة حطَّت خطاياه وإن كانت مثل زَبَد البحر» متفق عليه .

(وعن) أبى ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله ؟ إن أحب الكلام إلى الله : سبحان الله وبحمده » . رواه مسلم.

.. وأستطيع الآن أن أذكر الإخوة المستمعين بالهدية التى أهدى بها الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه عمه العباس رضي الله عنه ، وهى :

(صلاة التسابيح)

(فعن) عكرمة ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب :

« يا عباس يا عماه ، ألا أُعطيك ، ألا أمنحك ، ألا أحبوك [3]، ألا أفعل بك عشر خصال [4]، إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك : أوله وآخره ، وقديمه وحديثه ، وخطأه وعمده ، وصغيره وكبيره ، وسِّره وعلانيته ، عشر خصال :

أن تصلى أربع ركعاتٍ، تقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة[5]، فإذا فرغت من القراءة فى أول كل ركعة فقل وأنت قائم: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، خمس عشرة، ثم تركع فتقول وأنت راكع عشرًا [6]، ثم ترفع رأسك من الركوع ، فتقولها عشرًا، ثم تهوى ساجدًا فتقول وأنت

(١) أى فى ثواب عتقها.
(٢) أى حصنًا .
(٣) أى أخصك .
(٤) أى أعلمك ما يكفر عشر أنواع من ذنوبك .
(٥) أى سورة تقييد .
(٦) أى بعد ذكر الركوع .. وكذلك بالنسبة للسجود .. وفى الركعة الثانية ، والرابعة بعد التشهد .. وقبل السلام .

ساجد عشرًا ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرًا ، ثم تسجد فتقولها عشرًا ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرًا[1] .

فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة ، تفعل ذلك فى أربع ركعات . وإن استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل، فإن لم تستطيع ففى كل جمعة مرة ، فإن لم تفعل ففى كل سنة مرة ، فإن لم تفعل ففى عمرك مرة »[2].

(فهذه) الصلاة - كما يقول ابن المبارك رحمه الله تعالى : مُرَغَّب فيها ، يستحب أن يعتادها - المسلم[3] - فى كل حين ولا يتغافل عنها ..

(لأنه) بها وعن طريق المواظبة عليها سيفوز بثواب التسبيح ، والتحميد والتهليل ، والتكبير .. الذى هو غِراس الجنة كما علمنا قبل هذا :

(وهو) أيضًا من أعظم صيغ الذكر .. ولا سيما بالنسبة للتسبيح بصفة خاصة .. (وقد) قرأت فى الآثار .. أن سيدنا سليمان عليه السلام .. كان يركب البساط الذى كانت تحمله الرياح .. وكان فوقه معه عدد كبير من وزرائه وحاشية من الجن والإنس ... (فمرَّ) بموكبه هذا فوق حقل فلاح يحرس أرضه ..(فلما) رأى الفلاح الموكب هذا فوق حقله . (قال) سبحان من أعطاكم مُلكًا يا آل داود !! فنقل الريح الكلمة هذه ووضعها فى أُذُنَىّ سليمان عليه السلام .. فأمر الريح بأن يتوقف وينزل بالبساط .. فى حقل هذا الفلاح .. الذى فوجئ بعد ذلك بالموكب فى حقله .. فارتعدت فرائصُه .. ولا سيما عند ما ناداه سيدنا سليمان قائلا له .. أقبل يا رجل .. فأقبل ووقف بين يدى سليمان .. فسأله : ماذا قلت ؟ فقال ما قلت إلا خيرًا .. فقال له أسمعنى إياه مرة أخرى.. فقال: قلت: سبحان من أعطاكم مُلكًا يا آل داود!! فقال له سيدنا سليمان : أعلمت يا هذا أن تسبيحة منك خير من مُلك داود .

---

(١) أى قبل القيام للركعة الثانية ، أو من الثانية إلى الرابعة .

(٢) رواه أبو داود ، وابن ماجه ، وابن خزيمة فى صحيحه ، والطبرانى ، قال الحافظ : وقد روى هذا الحديث من طرق كثيرة ، عن جماعة من الصحابة . وأمثلها حديث عكرمة هذا .. ارجع إلى (فقه السنة) .

(٣) ذكرًا كان أم أنثى .

والذى أُريد أن أعلق به على هذا الأثر .. هو أن سيدنا سليمان عليه السلام لم يقل هذا من فراغ .. وإنما قاله بعد لقنته النملة درسًا.. وكان هذا يوم أن خرج بجنوده متجهًا إلى ميدان من ميادين الجهاد فى سبيل الله لمواجهة أعداء الله .. (وعلى) بعد ثلاثة أميال من وادى النمل سمع النملة تقول لبنى جنسها : ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ۞ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل:١٨، ١٩].

ثم أمر الجند بأن يعسكروا بعيدًا عن وادى النمل حتى يدخل النمل مساكنه .. (وفعلا) فعل الجند هذا .. (وبعد) ذلك ذهبت النملة إلى سليمان لكى تشكره [1] .. (فعاتبها) سيدنا سليمان قائلا لها : لم حذرت النمل .. أخفت من ظلمى .. أما علمت أنى نبى عدل ..؟ فقالت له : أما سمعت قولى: (وهم لا يشعرون) ، ثم قالت : مع أنى لم أرد حطم النفوس .. وإنما أردت حطم القلوب ..خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت ويفتتن بالدنيا .. وينشغلن بالنظر إليك عن التسبيح والذكر .. ا.هـ. بتصرف كبير .

* (فلنتعظ) بكل هذا حتى لا نشغل عن التسبيح والذكر بأى شغل دنيوى.

* (ولنكن) دائما وأبدًا ، من أولى الألباب ﴿ .. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١] .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعا منهم ... وأن يحشرنا معهم اللهم آمين .

---

(١) وقد قرأت أنها كانت عرجا وبجناحين .. فحملتها الرياح تيسيرا لمهمتها ثم ألقتها بين يدى سليمان عليه السلام ..(ارجع إلى حاشية الصاوى على الجلالين) .



(٥٣) خطبة أو درس

حول الترغيب فى فعل أسباب الكفارات ورفع الدرجات ..وذلك من خلال شرح حديث اختصام الملأ الأعلى

الحمد لله القائل : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه القائل : «عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، ومقربة لكم إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم ، ومطردة للداء عن الجسد » اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الذين « أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، ووصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام »[1] فكانوا من أهل الكفارات والدرجات .. وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله : ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧، ٣٨] .

(أما بعد) ، فيا جماعة المسلمين ، ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه.. (فى) هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى وتوفيقه .. (رأيت) أن يكون لقائى معكم فى هذا اليوم المبارك .. (حول) حديث اختصام الملأ الأعلى ... الذى أخرجه الإمام أحمد رحمه الله تعالى من حديث معاذ بن جبل ﷺ قال : « احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة فى صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس – أى حتى كادت الشمس أن تشرق – فخرج رسول الله ﷺ سريعا فثوب بالصلاة – أى طلب إقامتها – وصلى وتجاوز فى

---

(١) كما جاء فى نص حديث رواه الحاكم وابن ماجه ، والترمذى وقال: حديث حسن صحيح . عن عبد الله بن سلام .. بنحو من أجل السياق (وختامه) : تدخلوا الجنة بسلام .

صلاته – أى لم يطل فيها كعادته – فلما سلم قال : كما أنتم على مصافكم ، ثم أقبل إلينا فقال : «**إنى سأحدثكم ما حبسنى عندكم الغداة** – أى سأخبركم بالسبب الذى أخرنى عنكم – **إنى قمت من الليل فصليت ما قدر لى فنعست فى صلاتى** [1] **حتى استثقلت** – أى فغلبنى النوم وأنا فى الصلاة – **فإذا أنا بربى عز وجل فى أحسن صورة**» – ولا بد وأن يكون الله تبارك وتعالى فى أحسن صورةٌ لأن الله تعالى لا يوصف إلا بصفات الجمال والكمال .. (مع) ملاحظة أن الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وأن كل ما فى بالك ، فإن الله تعالى بخلاف ذلك .

* (ولهذا) كان من المستحيل فى حق الله تعالى : الموت وما فى معناه كالنوم والإغماء . قال الله تعالى ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ [2] وَلا نَوْمٌ﴾ .

(ومنه) : الجهل وما فى معناه كالظن ، والشك ، والوهم ، والغفلة ، والذهول ، والنسيان .

(ومنه) : وجود شيء من الحوادث بلا إرادته تعالى بأن يكون بطريق الطبع أو العلة. فلا يقع فى الملك والملكوت قليل أو كثير، صغير، أو كبير ،خير، أو شر .. إلا بقضائه وقدره . (ومنه) : العجز عن ممكن ما ، والصمم وما فى معناه كسمعه الجهر دون السر ، وكاختصاصه بالأصوات دون الذوات وسائر الموجودات (ومنه) : العمى وما فى معناه كالعشا – بفتحتين مقصورا – وهو عدم الإبصار ليلًا – والجهر – بفتحتين : وهو عدم الإبصار نهارًا.

(ومنه) : البكم : وهو الخرس وما فى معناه كالفهاهة ، والعى ، والسكوت وكون كلامه تعالى بحروف وأصوات : (ثم) يقول فى الدين الخالص : (هذا) ما دلت على استحالته فى حق الله تعالى الأدلة التفصيلية،

---

(١) النعاس : أى الوسن : أى : أخذته سنة من النوم .. حتى غلبه النوم .. (وقد ثبت أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم . ولذا لا ينتقض وضوءهم بالنوم على أى حال.. (الدين الخالص) ج١ ص ٢٥١ .

(٢) (الوسن) ، (السنة) ، أى النعاس .

وهى أدلة الواجب التفصيلى ..ويجب على كل مكلف أن يعتقد بعد ذلك أن الله تعالى منزه عن كل نقص كما أنه متصف بكل كمال . ا هـ .

(ثم) بعد ذلك – وبعد قوله ﷺ – ((**فإذا أنا بربى عز وجل فى أحسن صورة**)) – يقول:

((**فقال : يا محمد (أتدرى) فيم يختصم**[1] **الملأ الأعلى ؟** – والملأ الأعلى أى الملائكة – **قلت : لا أدرى ربِّ، فرأيته وضع كفه بين كتفى حتى وجدت برد أنامله فى صدرى وتجلى**[2] **لى كل شىء وعرفت ، فقال : يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : فى الكفارات والدرجات ، قال : وما الكفارات ؟ قلت : نقل الأقدام إلى الجُماعات**))– وفى رواية للإمام أحمد والترمذى: ((**إلى الجماعات – والجلوس فى المساجد بعد الصلوات ، وإسباغ الوضوء**[3] **عند الكريهات. قال : وما الدرجات ؟ قلت : إطعام الطعام ، ولين الكلام ، والصلاة والناس نيام**)) وقبل أن أواصل مع الإخوة المسلمين المستمعين الاستماع إلى تمام الحديث .. (فإننى) أرى أن نتوقف هنا قليلًا حتى نفهم المراد من الكفارات .. والدرجات ..

** (فأما) عن :

الكفارات

فإن المراد بها مكفرات الذنوب الصغائر .. أى التى تكون سببا فى محو تلك الذنوب الصغائر .. على شريطة أن يكون المسلم مجتنبا للكبائر[4] كما يشير إلى هذا قول الله تعالى : ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ[5] وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١].

---

(١) يختصمون: أى يتحاورون.

(٢) أى ظهر لى كل شىء وعرفت كل شىء .

(٣) إسباغ الوضوء : أى إتقانه حتى ولو كان هناك ما يكره استعمال الماء معه كبرد أو غيره.

(٤) وهى المشدد عليها فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة والتى منها : الزنا ، والسرقة ، والقتل ، والربا ، والسحر، وأكل أموال اليتامى.

(٥) أى الصغائر ..

(وأما) الكبائر .. التى منها : الزنا ، والسرقة ، وقتل النفس بغير حق ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ، وأكل أموال اليتامى ، وأكل الربا .. الخ : فإنه لا بد فيها من التوبة الصادقة .. إلى الله تبارك وتعالى الغفور الرحيم الذى يغفر الذنوب جميعا .

(وأما) الصغائر – المشار إليها أعلاه – (فقد) ورد فى السنة الشريفة الكثير من الأحاديث التى منها ، ما ورد :

* (عن) أبو عبد الله الصنابحى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا توضأ العبد فمضمض خرجت الخطايا من فيه [1] ، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه ، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه ، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظافر يديه، فإذا مسح برأسه، خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه ، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظافر رجليه. ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة له** » أخرجه مالك وأحمد والنسائى والحاكم وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين .

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه ، خرجت من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطرة الماء ، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيًّا من الذنوب** » أخرجه مالك وأحمد ومسلم والترمذى وقال: حسن صحيح .

* (وعن) أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطايا ويزيد به فى الحسنات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله : قال : إسباغ الوضوء على المكارة ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة** » أخرجه أحمد وابن حبان.

---

(١) أى من فمه.

* (وعن) عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « **من توضأ فأسبغ الوضوء ثم مشى إلى صلاة مكتوبة فصلاها ، غفر له ذنبه** » أخرجه أحمد ومسلم وابن خزيمة .

** (وأما) عن الصلاة ، فقد قال الله تعالى عنها فى قرآنه ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود:١١٤] والمراد بالحسنات –هنا– الصلوات الخمس.

والمراد بالسيئات : الصغائر . (بدليل) قوله صلى الله عليه وسلم : «**الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، كفارة لما بينهما ، ما لم تُغْش الكبائر**[1] » رواه مسلم.

* (وقد) روى البخارى ومسلم (عن) رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه ذات يوم: « **أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم ، يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه**[2] **شىء؟**» قالوا : **لا يبقى من درنه شىء !!** قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بهن الخطايا** ».

* (وروى) مسلم فى صحيحه (عن) عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « **ما من امرئ تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوئها، وخشوعها ، وركوعها . إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ، ما لم تؤت كبيرة ، وذلك الدهر كله** » .

* (وروى) الطبرانى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **تحترقون**[3] **تحترقون ، فإذا صليتم الصبح غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون ، فإذا صليتم الظهر غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون ، فإذا صليتم العصر غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون ، فإذا صليتم المغرب غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون ، فإذا صليتم العشاء غسلتها ، ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا**» .

---

(١) أى : ما لم تركب الكبائر .

(٢) والدرن : أى الوسخ .

(٣) أى تفعلون من الذنوب ما يوجب احتراقكم فى النار .. وكرر كلمة تحترقون للتأكيد ، وفى هذا التأكيد إشارة إلى كثرة ما يقع من الذنوب .. والله أعلم .

(ومعنى) قوله : «.. **فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا** » أى : أنه إذا حدث إن تقلب الإنسان على فراشه وقال كلمة بذيئة .. فإن الكلمة هذه لا تحسب عليه .

(ولكن) إذا قال كلمة طيبة .. فإنها تُسجل لحسابه فى صحيفة حسناته .. (وهذا) من فضل الله تعالى علينا ..

(هذا) بالإضافة ، إلى الكفارات التى ذكرها النبى ﷺ فى نص الحديث الذى ندور حوله .. وهى :

** (نقل الأقدام إلى الجُمعات) أو (إلى الجماعات) ، (وقد) ورد فى هذا (عن) أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **صلاة الرجل فى جماعة تضعف على صلاته فى بيته وسوقه خمسًا وعشرين ضعفا ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة ، فإذا صلى لم تزل الملائكة.. تصلِّ عليه ما دام فى مصلاه ما لم يحدث : اللهم صَّل عليه اللهم ارحمه . ولا يزال فى صلاته ما انتظر الصلاة** » متفق عليه ، وهذا لفظ البخارى .

* (وبالطبع) كلما بعدت المسافات. وكثرت الخطوات ..كلما محت السيئات، ورفعت الدرجات .

* (والجلوس فى المساجد بعد الصلوات) .. أى : للاستماع – مثلا – إلى درس علم .. إذا كان وقته يسمح بهذا .

* (أما) إذا كان وقته لا يسمح بهذا .. (فإنه) ينبغى عليه بمجرد أن ينتهى من أداء الصلاة .. أن يعود إلى عمله .. أو تجارته .. كما أمرنا الله تعالى بهذا فى قرآنه فقال : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِى الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:١٠] ، فقد أمر الله تعالى بهذا بعد صلاة الجمعة – (أعنى) فى يوم الجمعة الذى يتخذه أكثرنا أجازة – فما بالكم

بالصلوات الأخرى فى الأيام الأخرى .. (وقد) يكون المراد هو أن المؤمن يتعلق قلبه بالمسجد بعد خروجه منه .. أى أنه يتمنى أن يظل حيا حتى يعود إلى المسجد عندما سيحين الوقت الذى يليه .. كما أشار النبى ﷺ إلى هذا فى الحديث الصحيح الذى يقول فى أوله : « **سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل إلا ظله** » إلى أن يقول : « **ورجل قلبه معلق بالمساجد** » .

* (فلنفهم) المراد من كل هذا .. حتى لا نكون من المتواكلين الذين يجلسون فى المساجد ويتركون أعمالهم .. لأن هذا ليس من الإسلام .. (فعن) المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يديه وإن نبى الله داود** ﷺ **كان يأكل من عمل يديه**».. رواه البخارى .

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **كان زكريا عليه السلام نجارا** » رواه مسلم . (وهذا) معناه أن الاكتساب هو عين التوكل على الله وهو الأخذ بالأسباب مع تفويض الأمر إلى الله تبارك وتعالى .

«وإسباغ الوضوء عند الكريهات**»**:أى: إتمامه على المكاره ،أى على الرغم من وجود ما يكره معه استعمال الماء كالبرد وغيره .

* (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه ،أن رسول الله ﷺ قال : « **ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟**» قالوا : بلى يا رسول الله قال : «**إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة . فذلكم الرباط فذلكم الرباط** » رواه الترمذى ومسلم . (ومعنى) ذلك أن المواظبة على الطهارة - المسبغة - وانتظار الصلاة بعد الصلاة يعدل الجهاد فى سبيل الله .. (لأن) الرباط معناه المرابطة للجهاد فى سبيل الله .

**(وأما) عن .

(الدرجات)

فإن المراد بها الأعمال الصالحة التى بها أو بسببها درجات المؤمنين عند الله تبارك وتعالى .. كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى فى سورة الأنفال :

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٢-٤] .

** (وهـذا) بالإضـافة إلى الأسـباب التـى ذكرهـا النبـى ﷺ فى نـص الحديث – الذى ندور حوله – وهى :

** (إطعام الطعام) أى للفقراء والمحتاجين ، كما أشار الله تعالى إليه فى وصف المؤمنين المطعمين – بصفة عامة – : ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:٨] إلى آخر الآيات .

** (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال :جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال :(إنى مجهود[1] فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى، فقالت مثل ذلك ، حتى قلن كلهن مثل ذلك :لا والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء .فقال النبى ﷺ : «**من يضيف هذا الليلة ؟**» فقال رجل من الأنصار [2]: أنا يا رسول الله .. فانطلق به إلى رحله [3] فقال لامرأته :أكرمى ضيف رسول الله ﷺ .

وفى رواية قال لامرأته: هل عندك شىء ؟ قالت :لا، إلا قوت صبيانى . قال: فعلليهم بشىء وإذا أرادوا العشاء فنوميهم ، إذا دخل ضيفنا فأطفئى السراج وأريه أنا نأكل فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين[4]، فلما أصبح غدا[5] على النبى ﷺ ، فقال: « **لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة** » متفق عليه.

(وهـذا) المشار إليه فى الحديث هو الإيثار المشار إليه فى قوله تعالى ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ [6]﴾ [الحشر:٩] (ولين الكلام) أى

(١) أى أصابنى جهد ومشقة وجوع.
(٢) وهو أبو طلحة رضي الله عنه .
(٣) أى مأواه فى الحضر.
(٤) أى جائعين.
(٥) أى جاء صباحا.
(٦) **خصاصة** : أى حاجة.

عدم الغلظة فى القول.. كما أشار الله تعالى إلى هذا فى قوله لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وفى قوله لموسى وهارون عليهم السلام عندما أرسلهما لفرعون : ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه:٤٤] .

* (وعن) ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ألا أخبركم بمن يحرم على النار ؟ - أو بمن تحرم عليهم النار ؟ - تحرم على كل قرين هين لين سهل** » رواه الترمذى وقال: حديث حسن .

(وقد) ورد فى الحديث الشريف : «**جربت اللين والسيف فوجدت اللين أقطع** ».

والله در من قال لأبنائه : أبَنَىَّ إن البر شيء هين : وجه طليق وكلام لين .

(والصلاة الناس نيام) : وهى : قيام الليل . التى أمر الله بها نبيه فقال : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] .

وهذا الأمر وإن كان خاصًا برسول الله ﷺ إلا أن عامة المسلمين يدخلون فيه بحكم أنهم مطالبون بالاقتداء به صلوات الله وسلامه عليه .

* (وقد) ورد فى حديث رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ بن جبل ﷺ : « **ألا أدلك على أبواب الخير : الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، وصلاة رجل فى جوف الليل ، ثم تلا** ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ » [السجدة:١٦، ١٧] .

**(ولهذا) فقد بين سبحانه وتعالى أن المحافظين على قيام الليل هم المحسنون المستحقون خيره ورحمته، فقال تعالى : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات:١٥-١٨] .

* كما مدحهم سبحانه وتعالى وأثنى عليهم ونظمهم فى جملة عباده الأبرار الذين يستحقون رحمته ، فقال : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣، ٦٤] .

** كما ورد فى السنة الشريفة الترغيب فى صلاة الليل :

*(فعن) عبد الله بن سلام ﷺ أنه قال : أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه [١] ، فكنت ممن جاءه ، فلما تأملت وجهه واستبنتهُ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، قال فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال : « **أيها الناس : أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام** » رواه الحاكم وابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن صحيح.

** فلنحرص على قيام الليل –بأى عدد ولو بركعتين [٢] – فى الثلث الأخير من الليل ، (فقد) قال أبو مسلم لأبى ذر : أى قيام الليل أفضل ؟ : قال سألت رسول الله ﷺ كما سألتنى : فقال : « **جوف الليل الغابر** [٣] **وقليل فاعله** » رواه أحمد بإسناد جيد .

** (هذا) وإذا كان الله تبارك وتعالى قد قال لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه . بعد إجابته عن الكفارات والدرجات – سل فكان دعاء النبى ﷺ بعد ذلك هو: « **اللهم إنى أسالك فعل الخيرات ، وترك المنكرات، وحب المساكين ، وأن تغفر لى وترحمنى ، وإذا أردت فتنه فى قوم فتوفنى غير مفتون وأسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل يقربنى إلى حبك** » .

فإنه ينبغى علينا كمؤمنين صادقين ..أن نكثر أولًا من تلك الكفارات ، والدرجات .. وأن نكون ثانيًا من المكثرين من هذا الدعاء الذى جمع كل

---

(١) أى أسرع الناس إليه .
(٢) وذلك لأنه ليس لصلاة الليل عدد مخصوص ولا حد معين فهى تتحقق ولو بركعة الوتر بعد صلاة العشاء .
(٣) الغابر : أى الباقى أو نصف الليل .

أسباب السعادة فى الدنيا والآخرة ..كما جمع أهم ما ينبغى أن نستعين بالله تعالى على تحقيقه وهو فعل خيرات وترك المنكرات .. وسؤال الله تعالى أن يجنبنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن ولو بالانتقال إليه .. وأن يحبب إلينا كل عمل صالح يقربنا إليه .

(مع) ملاحظة ما قال الرسول ﷺ بعد ذلك فى ختام الحديث وهو : « **إنها حق فادرسوها وتعلموها** »[1].

والله ولى التوفيق

---

(١) وهذا الحديث أخرجه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح، قال: وسألت محمد بن إسماعيل البخارى عن هذا ؟ فقال: هذا حديث حسن صحيح .

(٥٣) خطبة أو درس

حول الشفاعة في الدنيا والشفاعة في الآخرة كما جاء في القرآن والسنة

الحمد لله القائل : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ [النساء: ٨٥] بأن جلب لمسلم بها نفعا أو دفع عنه بها سوء ابتغاء وجه الله تعالى .

وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله ﷺ الذى ورد عنه أنه كان إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال : « **اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ما أحب** »[١] – أى ما أراد مما سبق فى علمه الأزلى سبحانه وتعالى . متفق عليه عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه .

اللهم صّل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المؤمنين الصادقين الذين كانوا يحرصون على طلب الشفاعة للمسىء حتى يتجاوز صاحب الحق عن حقه ويعفو عن المسىء[٢] فكانوا هداة مهتدين وقادة منتصرين ، وكانوا رجالا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله : ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٧، ٣٨] .

(أما بعد).،

فيا جماعة المسلمين ويا أتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه ..فى هذا اللقاء المبارك بمشيئة الله تبارك وتعالى وتوفيقه .. رأيت أن يكون لقائى معكم حول المراد من الشفاعة فى الدنيا والآخرة (وذلك) حتى نكون أهلا للشفاعة الأولى والثانية .. وإليك بيان كل منهما وبإيجاز :

---

(١) وفى رواية : ما يشاء.

(٢) باستثناء الشفاعة فى الحدود .

* (فأما) عن الشفاعة فى الدنيا .. فإن المراد بها أن يتدخل الإنسان المصلح فى إنهاء خصومة أو نزاع بين متخاصمين .. حتى يزول هذا النزاع وتعود الأمور إلى مجاريها بدون ظلم لأحدهما وبدون ضغط عليه .. (وقد) ورد هذا فى حديث رواه البخارى .. (عن) ابن عباس رضي الله عنهما فى قصة بريرة وزوجها . قال : قال لها النبى ﷺ : « لو راجعته ؟» قالت : يا رسول الله أتامرنى – أى أتأمرنى بمراجعته ؟ أم تشفع يا رسول الله ؟ – قال : « **إنما أشفع** » قالت : لا حاجة لى فيه) أى : لا غرض ولا صلاح فى استرجاعه .

**(هذا) ولما كانت الشفاعة الأولى هذه من باب الإصلاح بين الناس .

(فإننى) أحب أن أذكر الأخوة المستمعين ببعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة المتعلقة بهذا الموضوع الحيوى الذى ينبغى علينا جميعًا أن نكون من أهله .. والداعين إليه .. (ففى) القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى: ﴿لا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُم [1] إلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ[2] أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] .

ويقول ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ[3]﴾ [النساء: ١٢٨] ، ويقول ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ[4] بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١] ، ويقول : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] .

** (وفى) السنة الشريفة ، ورد .

* (عن) أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل[5] بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة [6]** ،

---

(١) أى ما يناجون ويتحدثون به.
(٢) **المعروف** : أى عمل البر.
(٣) أى خير من الفرقة والنشوز.
(٤) أى حقيقة ما بينكم وترك النزاع .
(٥) أى تصلح بينهما بالعدل.
(٦) متاعه أى ما ينتفع به .

والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة[1] ، وتميط[2] الأذى عن الطريق صدقة » متفق عليه.

(وعن) أم كلثوم بنت عقبه بن أبى معيط رضي الله عنها قالت :سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس [3] فينمى[4] خيرا أو يقول خيرا** » متفق عليه، وفى رواية مسلم زيادة ، قالت : ولم أسمعه يرخص[5] فى شىء مما يقوله الناس إلا فى ثلاث : تعنى الحرب[6] ، والإصلاح بين الناس، وحيث الرجل امرأته[7] وحديث المرأة زوجها» .

* (وعن) عائشة رضي الله عنها قالت : سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما إذا أحدهم يستوضع[8] الآخر ويسترفقه[9] فى شىء وهو يقول : والله لا أفعل[10] ، فخرج عليهما رسول الله ﷺ فقال : «**أين المتألى[11] على الله لا يفعل المعروف ؟**» فقال : أنا يا رسول الله ، فله أى ذلك أحب . متفق عليه .

** (ففى) هذا الحديث الأخير نستطيع أن نعرف نتيجة هذه الشفاعة المحمدية .. (لقد) قال الرجل لرسول الله ﷺ كما سمعنا (فله أى ذلك أحب) ، أى للرجل ما شاء يا رسول الله .. (وبالطبع) ما كان هذا إلا ببركة تدخل رسول الله ﷺ لصالح هذا الرجل المتألى عليه .. (وإننا) نستطيع بمثل هذا أن نشفع لصالح المستشفعين فى مثل هذه الأمور التى تطلب تدخلا

---

(١) أى أداء العبادة وطلب العلم وصله الأرحام وزيادة الإخوان.
(٢) أى تزيل ما يؤذى المارة من حجر وشواء ونحوهما.
(٣) أى ليس الكذاب الذى ينوى الإصلاح بين المتباغضين .
(٤) أى الذى يبلغ خيرًا على وجه الإصلاح .. كأن يقول للأعداء : مات كبيركم أو جيشنا كبير.
(٥) أى يبيح ضد الحظر.
(٦) أى ما فيه تقوية جيشه ونفعهم.
(٧) كأن يقول لها : لا أحد أحب إلىّ منك ..
(٨) أى يطلب منه الوضيعة أى الحطيطة من الدين .
(٩) أى يطلب منه الرفق .
(١٠) أى لا أضع شيئا .
(١١) المتألى : أى الحالف .

حكيما .. ويكون سببا فى إنهاء تلك المنازعات .. وفض تلك الخصومات حتى يعود السلام والوئام ..كما فعل الرسول عليه الصلاة والسلام .

* (أما) بالنسبة للحدود الشرعية فإنه لا تجوز الشفاعة فيها .. (بل) إن مثل هذه الشفاعة فى الحدود يعتبر جرما كبيرا .. (فعن) عائشة رضي الله عنها ، أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد ، حب [1] رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ : **«أتشفع فى حد من حدود الله تعالى ؟»** ثم قام فختطب ، ثم قال : **« إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف ، أقاموا عليه الحد ، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »** متفق عليه .

وفى رواية : فتلون[2] وجه رسول الله ﷺ فقال: **« أتشفع فى حد من حدود الله تعالى ؟»** قال أسامة : استغفر لى يا رسول الله قال : ثم أمر بتلك المرأة ، فقطعت يدها .

* (وقد) ورد فى حديث رواه النسائى وأحمد عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«حد يقام فى الأرض خير للناس من أن يمطروا أربعين صباحا »** .

* (وفى نفس) الوقت ، روى الترمذى والبيهقى عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فإن وجدتم للسلم مخرجا فخلوا سبيله فإن الإمام لأن يخطئ فى العفو خير له من أن يخطئ فى العقوبة»**.

* (وعن) ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى [3]، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه[4] المفارق للجماعة »** رواه البخارى ومسلم .

---

(١) حب رسول الله (بكسر الحاء وتشديد الباء) أى محبوبه ﷺ، واختطب أى خطب كما فى الرواية البخارى.

(٢) فتلون : أى تغير غيظا.

(٣) أى من تزوج ووطئ فى نكاح صحيح ثم زنى بعد ذلك .

(٤) وهو المرتد عن الإسلام .. ارجع إلى الحديث الرابع عشر فى الأربعين النووية مع الشرح .

**(وأما) عن :

(الشفاعة فى يوم القيامة)

* (فهى) لغة : الوسيلة والطلب ، وعرفا : سؤال الخير للغير ، وهى تكون من الأنبياء والعلماء العاملين والشهداء والصالحين .

** (وقد) جاء فى الجزء الأول من الدين الخالص ص ١ .. وما بعدها ما نصه الذى يعتبر كافيا وشافيا لكل من يريد الإفادة والاستفادة دون شطط أو هوس .. لا فائدة منه ..

* (عن) عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء** » أخرجه ابن ماجه.

يشفع كل لأهل الكبائر على قدر منزلته عند الله تعالى[1] ولا يلهم أحد ممن ذكر الشفاعة فى إخراج أحد من النار إلا بعد انقضاء المدة المحتمة عند الله تعالى (ثم) يقول هذا ، (واعلم) أن النبى ﷺ هو أول فاتح لباب الشفاعة. يفتحه بالشفاعة فى فصل القضاء . وهى الشفاعة العظمى المختصة به ، التى يغبطه بها الأولون والآخرون : وهى المقام المحمود المشار إليه بقوله تعالى : ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال : سئل النبى ﷺ عن المقام المحمود فى الآية . فقال : « هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى » أخرجه أحمد والترمذى والبيهقى فى الدلائل .

* (وعن) ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن ، فبينما هم كذلك ، استغاثوا بآدم فيقول : لست بصاحب ذلك ، ثم موسى فيقول كذلك ، ثم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم . فليشفع ليقضى بين الخلق ، فيمشى حتى يأخذ حلقة باب الجنة . فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودًا يحمده أهل الجمع كلهم** » أخرجه البخارى وابن جرير .

---

(١) وأما حديث : « لا تنال شفاعتى أهل الكبائر من أمتى » فموضوع .

* (وعن) أبى بن كعب أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا كان يوم القيامة كنت إمام الأنبياء وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر » أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذى وقال: حسن صحيح .

*(وعن) أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **لكل نبى دعوة مستجابة يدعو بها ، وأريد أن أختبىء دعوتى شفاعة لأمتى فى الآخرة** » . أخرجه مالك والبخارى واللفظ له ، ومسلم وزاد : «**فهى نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئًا**» .

* (وعن) جابر ﷺ أن النبى ﷺ قال : «**شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى**» أخرجه أحمد والنسائى وابن حبان وأبو داود والترمذى وزاد : قال جابر : (من لم يكن من أهل الكبائر فماله وللشفاعة » قال الترمذى : هذا حديث غريب .

* (وعن) أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: « **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة هل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد فينظرهم الناظر ، ويسمعهم الداعى ، وتدنو منهم الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيعون ولا يحتملون فيقول الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعضهم لبعض: عليكم بآدم ، فيأتونه فيقولون له : أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه[1] ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك الجنة . اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى إلى ما نحن فيه وما بلغنا ؟ فيقول آدم عليه السلام : إن ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله[2] . وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته[3] ، نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد**

---

(١) (من روحه) الإضافة لتعظيم المضاف ، أى أن الله تعالى نفخ فى آدم روحا خلقها بلا أب أو أم .

(٢) والمراد بغضب الله تعالى لازمه وهو إيصال العقوبة إلى المستحق .

(٣) وهذا قد وقع منه قبل النبوة سهوا ﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ وهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين .. (وهو) صورى لا حقيقى.

سماك الله عبدا شكورا ، اشفع لنا إلى ربك[1]، ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول : إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنى قد كانت لى دعوة دعوتها على قومى[2]، نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى إبراهيم عليه السلام ، فيأتون إبراهيم عليه السلام ، فيقولون : أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنى قد كنت كذبت ثلاث كذبات[3] فذكرها ، نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى عليه السلام فيقولون : أنت رسول الله ، فضلك برسالته وبكلامه على الناس[4]. اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟فيقول : إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنى قتلت نفسا[5]، لم أومر بقتلها ، نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى عيسى – عليه السلام – فيأتون عيسى فيقولون : أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح[6] منه ، وكلمت الناس فى المهد ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول إن ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله (ولم يذكر ذنبا)[7]نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيأتون فيقولون : أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فانطلق إلى تحت العرش فأقع ساجدًا لربى ، ثم يفتح الله على من

---

(١) قال تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ .

(٢) وذلك بقوله : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ أى أحدا .

(٣) أى فى الصورة لا فى الحقيقة لتنزههم عن الكذب والمخالفات ، وذلك قوله ﷺ : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ وقوله ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ وقوله فى شأن سارة : هى أختى ، وهى من المعاريض .

(٤) أى أهل زمانه.

(٥) وهو ما يشير إليه قول الله تعالى: ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ ومثله لا يقدح فى العصمة لأنه خطأ.. وقد استعظمه لأنه لم يؤمر به .

(٦) وقد سمى روحا لأنه حدث عن نفخه جبريل فى درع مريم بأمر الله تعالى .

(٧) وفى رواية أحمد والنسائى : إنى اتخذت إلها من دون الله .

محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلى ، ثم يقال : يا محمد أرفع رأسك وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأقول : أمتى [1] يا رب ، أمتى يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة . وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال . والذى نفسى بيده إن ما بين المصرعين من مصارع الجنة كما بين مكة وهجر . أو كما بين مكة وبصرى [2]» أخرجه أحمد والشيخان والترمذى .

** (ثم) بعد ذلك يقول فى (الدين الخالص) كلاما هامًا لا بد وأن نفهم المراد منه .. حتى نرده على المشوشين ، أو المشككين فى تلك الأحاديث الشريفة الصحيحة المتعلقة بالشفاعة العظمى وشفاعته لأمته بصفه خاصة :

** (فعلى) المكلف أن يعتقد أن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم شافع مقبول الشفاعة ، وأنه أول شافع وأول من يقضى بين أمته . وأول من يجوز على الصراط لأمته .

** (روى) أبو سعيد أن النبى ﷺ قال : « **أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر ، ولواء الحمد بيدى يوم القيامة ولا فخر** » أخرجه ابن ماجه .

* (وعن) أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع** » أخرجه مسلم وأبو داود.

---

(١) (إن) قيل : إن الحديث فى الشفاعة العظمى وهى عامة فكيف يخصها بقوله : « أمتى »؟ (فالجواب) أن فيه حذفًا تقديره أنه أذن له فى الشفاعة العظمى فشفع ، ثم خص أمته بشفاعة أخرى . يدل عليه ما فى حديث حذيفة وأبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « **يجمع الله الناس** » (الحديث) وفيه : «**فيأتون محمدا ﷺ فيقوم فيؤذن له** (يعنى فى الشفاعة) **وترسل الأمانة والرحم** (العظم أمرهما تصوران مشخصتين كما يريد الله) **فتقومان جنبى** (بفتحات : أى جانبى) **الصراط يمينا وشمالا فيمر أولهم كالبرق ، ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير، وشد الرجال** - بالجيم: جمع رجل. وفى رواية بالحاء المهملة : جمع رجل . وشدها جريها البالغ - **تجرى بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم** » (الحديث) أخرجه مسلم ص ٧٠ ج ٣ نووى . وبهذا يتصل الحديث لأن الشفاعة التى لجأ إليه الناس فيها هى الشفاعة العظمى ثم حلت الشفاعة فى أمته فقال ﷺ : « **أمتى أمتى** » .

(٢) المراد تقرير اتساع ما بين جانبى أبواب الجنة لا تقديره على التحقيق .

** (ثم) يقول فى الدين الخالص : (وللنبى) صلى الله عليه وآله وسلم شفاعات أخرى : (منها) : إدخال قوم من أمته الجنة بغير حساب ، (ومنها): أنه يشفع فى أقوام قد أمر بهم إلى النار فيردن عنها. (ومنها) : إخراج الموحدين من النار . (ويشفع) لقوم فى رفع درجاتهم ، (ولمن) مات بالحرمين مؤمنا ، (ولمن) سأل له الوسيلة بعد إجابة المؤذن ، (ولعمه) أبى طالب فى إخراجه من غمرات النار إلى ضحضاح يصل إلى كعبيه[1] ، وغير ذلك .

* (وروى) بريدة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **إنى لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر** » أخرجه أحمد والبيهقى .

* (وعن) عمران بن حصين أن النبى ﷺ قال : « **يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيدخلون الجنة ، يسمون الجهنميين** » أخرجه أحمد والبخارى وأبو داود والترمذى وابن ماجه .

** (وقد) سمعوا بذلك استذكارا لما كانوا فيه ليزدادوا فرحا على فرح .

** (فعلى) الإخوة المسلمين المستمعين أن يلاحظوا كل هذا ويذكروه ويذكِّروا به وهم يحرصون كل الحرص على أن يكونوا أهلًا لشفاعة الرسول ﷺ . والله ولى التوفيق .

** (وهذا) وإذا كان لى أن أختم هذه الخطبة الجوهرية - الثلاثة والخمسين - التى أكرمنى الله تعالى بالكتابة فيها (فإننى) أرى أن أختمها فى بأول خطبة خطبها النبى ﷺ بالمدينة : حتى تكون مسكا للختام ، وتبركا بهدى خير الأنام صلوات الله وسلامه عليه فإليك :

(١) كما ورد فى حديث أخرجه مسلم .

(٥٤) أول خطبة خطبها النبى ﷺ بالمدينة المنورة ..

قال ابن إسحاق: لما قدم عليه الصلاة والسلام المدينة أقام بقباء[١] فى بنى عمرو بنى عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة فأدركته الجمعة فى بنى سالم بن عمرو بن عوف فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة وذلك قبل تأسيس مسجده ، وخطب فقال : « **الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأومن به ولا أكفره وأعادى من يكفره . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة[٢] من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل . من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيدا ، وأوصيكم بتقوى الله فإن خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله ، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، فإن تقوى الله لمن عمل بها على وَجَلٍ مخافة من ربه عون وصدق على ما تتبعون من أمر الآخرة ، ومن يصلح الذى بينه وبين الله من أمر السر والعلانية – لا ينوى به إلا وجه الله – يكن له ذكرًا فى عاجل أمره وذخرًا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم ، وما كان مما سوى ذلك يودُّ لو أن بينه وبينه أمدًا بعيدًا و: يحذركم الله نفسه[٣] والله رؤوف بالعباد ، هو الذى صدق قوله وانجز وعده لا خُلْف لذلك ، فإنه يقول : ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق:٢٩] فاتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله فى السر والعلانية ، فإنه من يتقى الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا ، ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما ، وإن تقوى الله توقى مقته وتوقى عقوبته وسخطه ، وإن تقوى الله تبيض الوجه وترضى**

---

(١) (قباء) : بالضم والقصر وقد يمد : قرية جنوب المدينة على ميلين منها .

(٢) (فترة) : بفتح فسكون : أى على انقطاع بعثهم ودروس أعلام دينهم .

(٣) النفس : أى العقوبة .

الرب وترفع الدرجة فخذوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب الله فقد علمكم كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله اليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا فى الله حق جهاده[1] هو أجتباكم وسماكم المسلمين ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت ، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » [2].

** (فعلى) الأخ الواعظ بصفة خاصة أن ينتفع بهذه الخطبة الجامعة ، وأن يجعلها بالنسبة له نموذجا يحتذى به فى خطبه ومواعظه لأن النبى ﷺ هو الواعظ الأول والأخير الذى أوتى جوامع الكلم .. وهو مثلنا الأعلى الذى يصيب ولا يخطئ .. أما غيره فإنه يخطئ ويصيب .. (ولهذا) فإنه حسبنا أن نتعلم منه كل خير .. وأن نكون دائما وأبدا – نحن الوعاظ بصفة خاصة – على صلة بأقواله وأفعاله وتقريراته أنه حتى نتعلم منه ونعلم غيرنا من المسترشدين الذين يريدون أن يتعلموا من علم رسول الله ﷺ .. الذى لن ينفذ أبدا .. والله ولى التوفيق .

** (ثم) إذا كان لى بعد ذلك أن أزودك بزاد ينفعك شخصيًّا ... وينتفع به كل من يحضر خطبك ومجالس علمك ... (فإننى) أقدم إليك (ثلاثين) فتوى من :

---

(١) **حق الجهاد** : أى الإخلاص فى النية والعمل . وقال ابن المبارك: هو مجاهدة النفس والهوى .
(٢) أنظر رقم ٢ ص ٢٣٨ ج ٤ (الدين الخالص) .

(فتاوى الرسول ﷺ)

وهى كما سترى أحاديث مختارة .. أجاب فيها الرسول ﷺ على أسئلة وجهت إليه صلوات الله عليه وسلامه ... (وهو) كما تعلم وكما تؤمن خير من يفتينا جميعا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْى يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم:٣-٥] .

* وإن رسول الله ﷺ ما ترك خيرًا إلا وأمرنا به ، وما ترك شرًّا إلا وقد نهانا عنه .

(ولم) يفارق الدنيا إلا بعد أن تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

(ولهذا) فإنه حسب الأخ المؤمن إذا أراد أن يقف على بعض الإجابات الهامة والعامة ..أن يقرأ فى سنة الرسول ﷺ .. (إنه) سيجد فيها جميع ما يبحث عنه من الإجابات المحمدية الكافية والشافية .

* (لقد) أكرمنى الله تبارك وتعالى واستطعت أن أعثر على أكثر من (ثلاثمائة) فتوى من فتاوى الرسول ﷺ ... علقت عليها فى جزءين كبيرين قامت دار الرشاد [1] بنشرها .. وهذه نماذج منها فإليك :

(فتاوى الرسول ﷺ)

١) كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: « **السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، وددنا لو أنا قد رأينا إخواننا قالوا : أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال : أنتم أصحابى ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد قالوا : كيف تعرف مَنْ لم يأت بعدُ من أمتك يا رسول الله ؟ قال :**

---

(١) دار الرشاد : ١٤ شارع عبد الجواد حسنى – باب اللوق – القاهرة .

أرأيتم لـو أن رجـلا لـه خيـلٌ غُـرٌّ[1] مُحَجَّلة[2] بين ظَهْرَىْ خَيْـلٍ دُهْـم[3] بُهـم ألا يعرف خَيْله ؟ قالوا : بلى يـا رسـول الله . قـال : فإنهم يـأتون غُـرًّا محجلين مـن الوضوء، وأنا فَـرَطُهم[4] عـلى الحـوض[5]، ألا ليُـذادَنَّ رجـالا عـن حـوضى كـما يـزاد[6] البعـير الضـال ، وأنـاديهم : ألا هلـم[7]. فيقـال :إنهـم بـدلوا بعـدك[8]. فأقول: سحقا سحقا[9] » رواه مسلم .....

وإذا أردنا – بتوفيق مـن الله تبـارك وتعـالى – أن نـدور حـول هـذا الحـديث الصحيح (فإنه) حسبنا أولا أن نتفق على المعنـى المـراد مـن زيـارة النبـى ﷺ للمقابر ، وقوله هناك عندها:

« **السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإن شاء الله بكم لاحقون** » ثم قوله بعد ذلك « **وددنا لو أنا قد رأينا إخواننا** » .

**إن أهم درس : يجب علينا أن نتعلمه من هـذا الـنص بالـذات ، هـو أن نتعلم كيفية الزيارة[10]، وهـى أنـه يسـن أن يخـرج الزائـر متواضـعا ، مراقبـا الله تعالى ، معتبرا ، بمن تقدمه مـن المـوتى ، قاصـدا وجـه الله تعـالى ، ونفـع الميت بالسلام عليه والدعاء له ، فإذا وصل القبر قام مُسلِّمًا داعيا مُستَقْبِلَ القبلة عـلى المشهور عند الحنفيين بلا تمسح بـالقبر، ولا طـواف حولـه، ولا دعـاء صـاحبه (وقيل) يستقبل وجه الميت، وهو قول الشافعي. وكذا الكـلام فى زيـارة النبـى ﷺ (قال) أبو الليث: لا يُعرف وضع اليد على القبر سنة ولا مستحبا، بل هو

---

(١) **الغرة** : بياض فى وجه الفرس .
(٢) **والتحجيل** : بياض فى رجليه ، وهو نور فى وجه المؤمن وقدميه من باب التشبيه .
(٣) **والدهم البهم** : الشديدة السود .
(٤) أى سابقهم .
(٥) وهو حوض النبى ﷺ الذى يصب فيه من الكوثر .
(٦) **يزاد** : أى يُدفع .
(٧) يعنى أقبلوا .
(٨) أى أحدثوا بعدك ..ابتدعوا بعدك .
(٩) **سحقا سحقا** : أى بُعدا لهم .
(١٠) كما جاء فى الدين الخالص ج٨ ص٦٦ وما بعدها .

بدعة مُنكرة من عادة أهل الكتاب[1] .

(ويستحب) للزائر أن يدنو من قبر المزور بقدر ما كان يدنو من صاحبه لو كان حيًّا وزاره، وهو بالخيار إن شاء زار قائمًا، وإن شاء قعد كما يزور الرجل أخاه فى الحياة، ولا يستلم القبر بيده ولا يقبله.

*** (ويستحب) للزائر التسليم على أهل القبور والدعاء لهم بالعافية والرحمة والمغفرة - وليكن السلام والدعاء بالوارد عن النبى ﷺ، والذى منه :

* (حديث) سليمان بن بريدة عن أبيه قال : كان النبى ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم : « **السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، أنتم فَرَطُنا ونحن لكم تَبَع ، ونسأل الله لنا ولكم العافية** » أخرجه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه والبيهقى .

* (وحديث) ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ مَرَّ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال : « **السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم ، أنتم سلفنا ونحن بالأثر** » أخرجه الترمذى وحسنه .

* (وحديث) عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى ﷺ كلما كان ليلتها يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول : « **السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون ، غدًا مؤجَّلون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهُمَّ اغفر لأهل بَقِيع[2] الغَرْقَد[3]** » . أخرجه ابن ماجة.

*** وزيارة القبور ، مستحبة للرجال ، وقد ورد فى هذا أحاديث ، منها :

* (حديث) عبد الله بن بريدة بن الخصيب الأسلمى عن أبيه أن النبى ﷺ قال: « **كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة. وفى رواية : فإن فى زيارتها تذكرة** » أخرجه أحمد ومسلم والأربعة وابن حبان والحاكم والبيهقى .

---

(١) انظر ص٤٠١ مُنية المصلى .

(٢) البقيع الباء الموحدة: مدفن أهل المدينة.

(٣) الغرقد : بفتح فسكون : شجر له شوك ، سمى بقيع الغرقد، لغرقدٍ كان فيه .

(وكان) النبى ﷺ قد نهاهم عن زيارة القبور أولًا لقرب عهدهم بالجاهلية، فربما تكلموا بما اعتيد حينئذ من فحش القول . فلما انتشر الإسلام واطمأنوا به ، وعرفت أحكامه ، واشتهرت تعاليمه : أمرهم النبى ﷺ بالزيارة مع مراعاة الآداب الشرعية كما فى (حديث) أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هُجْرًا** [1] » أخرجه الشافعى وأحمد ، وأخرجه الحاكم بلفظ : « **نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عِبْرة** » وقال :حديث صحيح على شرط مسلم .

(وهذه) الأحاديث بالإضافة إلى غيرها ، قالت الأئمة الأربعة والجمهور : يُسن للرجال زيارة القبور على الوجه المشروع حملًا للأمر على الندب (وقال) ابن حزم : زيارة القبور واجبة ولو مرة فى العمر حملًا للأمر على الوجوب .

** وأما عن زيارة النساء (فقد) قرأت فى الدين الخالص : ما نصه : يحرم على النساء زيارة القبور إن ارتكبن فى زيارتها ما يغضب الواحد الغيور، وعليه تحمل الأحاديث الواردة ، فى لعن زائرات القبور ، ومنها :

* (حديث) ابن عباس قال : « لَعَنَ رسول الله ﷺ زائرات القبور » الحديث أخرجه أحمد والأربعة [2] والبزار وابن حبان والحاكم وحسنه الترمذي.

* (وحديث) أبى هريرة رضي الله عنه : (**أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور**) أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذى وصححه ابن حبان .

(أى) : دعا عليهن بالطرد عن رحمة الله تعالى لما يقع منهن حال الزيارة من الجزَع وشَقِّ الجيوب ولَطْم الخدود والتَّبرُج (قال الطبرى): هذا اللعن إنما هو للمكثرات من الزيارة ، لما تقتضيه الصِّيغة من المبالغة. ولعل السبب ما يفضى إليه ذلك من تضييع حق الزوج وما ينشأ منهن من الصياح ونحوه (فقد) يقال : إذا أُمِن جميع ذلك فلا مانع من الإذن – لهن – لأن تذكر الموت

---

(١) الهجر : بضم فسكون : القول السوء .

(٢) وهم أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه.

يحتاج إليه الرجال والنساء (فإذا) كانت زيارتهن للاعتبار بلا تَعْديد ولا نَوْح فهى مكروهة تحريمًا[1] عند بعض الحنفية والمالكية والشافعية لظاهر الأحاديث. (وقال) بعض الحنفية وأكثر الشافعية والحنبلية : تكره زيارتهن تنزيهًا[2] . والصارف للأحاديث عن التحريم قول أم عطية : (**نهينا أن نتبع الجنائز ولم يعزم علينا**) أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجه والبيهقى. (والقول) الذى أستريح إليه، هو قول صاحب (الدين الخالص) بعد أن ذكر كل هذا وغيره : (ويجمع) بين الأدلة بأن الإذن فى الزيارة - للنساء - لمن خرجت متسترة خاشعة متذكرة الآخرة، معتبرة بما صار إليه أهل القبور ، تاركة النياحة وضرب الخدود وشق الجيوب ، وسوء القول. وبأن المنع لمن فعلت شيئًا مما ذكر، كما من كثير من نساء زماننا ولا سيما نساء مصر، ومعلوم أن أمن الفتنة فى زماننا معدوم بل مستحيل عادةً ، إذ المرأة لو خرجت إلى زيارة القبور لا تسلم من ارتكاب الفجور ، وعبث الفساق، وأهل الشرور. فيطلب طلبًا أكيدًا عدم خروج النساء لزيارة القبور لا ليلًا ولا نهارًا، لا فرق فى ذلك بين شابة وغيرها إذ لكل ساقطة لاقطة، ولا سيما ما هو فاشٍ من غالب أهل الزمان من الفساد والإفساد .

(ثم) يقول : ومن القواعد المقررة ، أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح . (ومن ثم[3] فقد ذهب شيخ الإسلام تقى الدين بن تيمية وغيره إلى عدم جواز الزيارة للنساء . والله الهادى إلى سواء السبيل .

** (فعلى) الأخت المسلمة : أن تلاحظ كل هذا، حتى لا تكون آثمة، أو سببًا فى تعذيب الميت إذا ما بكت عند قبره، أو قالت كلامًا جاهليًا، (مثل: يا جملي، أو يا غزالى) إن الملك حينئذ سيضربه على رأسه ، وهو يقول له : هل أنت جملها .. وهل أنت غزالها ...إلخ .. اللهم إلا إذا كان الميت قبل موته قد

---

(١) أى إلى الحرام أقرب .
(٢) أى إلى الحلال أقرب .
(٣) أى ومن أجل ذلك .

تبرأ من كل تلك المخالفات وأمثالها [4]..ولا سيما إذا كتب وصية شرعية يعلن فيها براءته من كل فعل يخالف الشرع الحنيف إنه إن فعل هذا لن يعذب بسبب هذا إن شاء الله. (وعلى) الأخت المسلمة إذا أرادت أن توزع شيئًا من الصدقات باسم هذا المتوفى ..أن توزع ما تريد من المال والطعام على أبناء الحى الفقراء ، أو على الأقربين منهم وهم أَوْلَى .. (بل) وربما كان أبناء المتوفى فى أشد الحاجة إلى هذا المال، أو هذا الطعام. (أما) أن توزع كل هذا على المحترفين الذين يبيعون القرآن عند المقابر بثمن بخس فإن هذا سيكون إساءة إلى القرآن وأهله .. ولن تأخذ ثوابًا عليه. (وعلى) الأخ الرجل أن يسارع بالأعمال الصالحة التى من أهمها أن ينقذ نفسه وأهله من تلك البدع التى لا تمتُّ إلى الدين بصلة . والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦] .

* * (ولتكن) زيارته للقبور عظة واعتبارًا حتى لا ينسى أنه سيموت وأنه فى لحظة من اللحظات سيكون من سكان تلك القبور إلى اليوم الذى يقول الله تبارك وتعالى مشيرًا إليه : ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار:١٩] ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين:٦] .

** وأما عن المعنى المراد من قول الرسول ﷺ :« **وددنا لو أنا قد رأينا إخواننا** » : فإن المعنى الذى لا بد وأن نكون قد فهمناه، ووقفنا على أبعاده ، وهو : أن النبى ﷺ يحبنا ويتمنى رؤيتنا ..وهذا تشريف لنا .. ولا بد أن نعمل على أن نكون أهلًا له .. وذلك لن يكون إلا بالحب الصادق لهذا النبى المصطفى صلوات الله وسلامه عليه (وأعنى) بهذا أن نكون من المتمسكين بسنته والمتأدبين بآدابه بتلك الصورة الإيجابية التى كان عليها أصحابه الفضلاء عليهم رضوان الله ..وهم الذين ورد أن النبى ﷺ شبههم بالنجوم، فقال : « **أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم** » .

---

(٤) أى قبل وفاته .

* (وحسبى) هنا حتى تتضح الصورة لنا أن أذكر بهذا المضمون الذى جاء فيه : أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعد أن أصبح خليفة لرسول الله ﷺ طلب من عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يتعاون معه فى فصل القضاء بين المتخاصمين من المسلمين .. وفعلا امتثل عمر لأمر الخليفة ثم جلس فى مجلس القضاء لمدة عام كامل فى انتظار الشاكى الذى يقول له : إن فلان ظلمنى أو ضربنى أو أكل مالى ... ولكن كل هذا لم يحدث . فذهب عمر إلى الخليفة الصديق ، وقال له أمام جلسائه : أعفنى من مهمة القضاء فيسأله الصديق : أمن مشقة القضاء جئت تطلب الإعفاء يا عمر ؟ فيقول عمر : لا يا خليفة رسول الله، ولكن لا حاجة بى عند قوم مؤمنين . عرف كل منهم ما له من حق فلم يطلب أكثر منه، وما عليه من واجب فلم يقصر فى أدائه ، أحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه ... إذا غاب أحدهم تفقدوه ، وإذا مرض عادوه ، وإذا افتقر أعانوه ، وإذا احتاج ساعدوه ، وإذا أصيب واسوه ... دينهم النصيحة وخلقهم الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ... ففيم يختصمون يا خليفة رسول الله.

فهكذا كانت أخلاقهم التى أخذوها وتعلموها من أستاذهم وحبيبهم المصطفى ﷺ .

(ولهذا) أعزهم الله ... فدانت لهم الأمم ، وخضعت لسلطانهم الرقاب ، وكان فضل الله عليهم عظيما .(فيوم) أن تتشبه بهؤلاء المؤمنين الصادقين ... فإننا سنكون أهلا لأن نكون إخوانا لرسول الله ﷺ (بل) وسنكون أهلا لأن يفرح بنا النبى ﷺ يوم القيامة عندما سيتعرف علينا من خلال تلك العلامات التى ستكون نورا فى وجوهنا وأيدينا وأرجلنا ... وهى المشار إليها فى إجابته صلوات الله وسلامه عليه ، عندما سئل : وكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟ فكان يقول: « **فإنهم يأتون غرًّا محجلين من الوضوء** » .

(وهذا) معناه ،أنه ينبغى لكى يتحقق هذا ، أن يطيل المؤمن الذى يتوضأ غُرَّته ، بمعنى : أن يغسل فوق الحد الطولى للوجه – أى فوق المكان المعتاد أن ينبت الشعر منه – وأن يغسل فوق المرفقين لا إلى المرفقين فقط وان يغسل

كذلك فوق الكعبين .. (وهذا) العمل هو المختص بهذه الأمة دون غيرها (لحديث) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **إن أمتي يأتون يوم القيامة غُرًّا محجلين من آثار الوضوء ، فمن استطاع أن يطيل غُرَّته فليفعل** » أخرجه الشيخان .

مع ملاحظة أن الفعل هذا من سنن الوضوء .

** وإذا كان النبى ﷺ قد قال بعد ذلك: « **وأنا فرطهم على الحوض** »

فإن الحوض هذا ، هو حوض النبى ﷺ ، (قال) فى الدين الخالص : يجب الإيمان بأن لكل رسول حوضا يرده الطائعون من أمته، وأن حوض النبى ﷺ أكبرها وأعظمها طوله مسيرة شهر، ومربع الشكل، وله ميزابان يصبان فيه من الكوثر، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل ، كيزانه أكثر من نجوم السماء ، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا ظمأ ألم، ولو دخل النار يعذب بغير العطش، ويكون شربه منه أو من غيره كالتسنيم [1] بعد ذلك لمجرد اللذة، يَرِدُه الأخيار، وهم المؤمنون بالنبى ﷺ، الآخذون بسنته وسنه الخلفاء الراشدين المهديين ، ويُطْرَدُ عنه الكفار والمبتدعة الآخذون بالتحسين والتقبيح العقليين، وكل من تعامل بالربا أو جار في الأحكام أو أعان ظالما ، أو جاوز حدًّا من حدود الله تعالى .. ثم يقول : وما ذكر ثابت بأحاديث مشهورة تفيد التواتر المعنوى منها :

* (حديث) سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **إن لكل نبى حوضا ، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإنى أرجو أن أكون أكثرهم واردة** » أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن غريب ، وفيه سعيد بن بشير ضعيف .

* (وحديث) ثوبان رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **إني لبِعُقْر [2] حَوْضى أزود الناس عنه لأهل اليمن، أضرب بعصاى حتى يرفضّ [3] عليهم**. فسئل عن

(١) قال تعالى: ﴿ **ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون** ﴾ [المطففين: ٢٧، ٢٨] .

(٢) العقر : بضم العين وسكون القاف : المؤخر .

(٣) ويرفض بتشديد الضاد المعجمة : أى يسيل .

عرضه ؟ فقال : من مقامى إلى عمان[1]، وسئل عن شرابه ؟ فقال: **أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل ، يغت [2]فيه ميزابان يمدانه من الجنة : أحدهما من ذهب والآخر من وَرِق[3]** » أخرجه أحمد ومسلم والبغوى وفيه : « **حتى يرفضوا [4] عنه** »

* (وحديث) ابن عمرو رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « **حوضى مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من يشرب منه لا يظمأ أبدًا** » أخرجه الشيخان .

** (هذا) وإذا كان النبى ﷺ قد قال بعد قوله : « **وأنا فرطهم على الحوض** » ، « **ألا ليذادن رجال عن حوضى كما يزاد البعير الضال ، أناديهم : ألا هلم : فيقال : إنهم بدلوا بعدك ، فأقول : سُحْقًا سُحْقًا** » : (فقد) أشار النبى ﷺ أيضا إلى هذا المعنى فى الحديث، ورد . (عن) أنس رضي الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ فى المسجد ، إذ أغفى إغفاءة[5] ثم رفع رأسه ضاحكا . فقيل : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : « **نزلت على سورة آنفا:** ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر:١] **حتى ختمها ، قال : أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم، قال : إنه نهر وعدنيه ربى عز وجل عليه خير كثير . وهو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة ، آنيته عدد نجوم السماء ، فيختلج[6] العبد منهم فأقول : ربى إنه من أمتى . فيقول : ما تدرى ما أحدث بعدك** » أخرجه الشيخان .

** فعلى الأخ المسلم : أن يلاحظ كل هذا ، حتى يكون إن شاء الله تعالى من أهل الاتباع لا من أهل الابتداع .. وحتى لا يطرد بعيدا عن حوض النبى ﷺ الذى ينبغى عليه أن يحرص كل الحرص على أن يكون من أهل السنة

---

(١) **عمان** : كغراب : موضع باليمن وبفتح فشد : عاصمة شرق الأردن بالشام.

(٢) **نعت** : بضم الغين المعجمة والتاء المثناة المشدة أى يجريان جريًا له صوت .

(٣) **بالورق** : بكسر الراء أى الفضة .

(٤) أى يتوقوا .

(٥) أى أنام نومة . ولا يقال: غفا .

(٦) **فيختلج** : أى : يطرد بعيدا عن الحوض .

الصادقين المحبين الذين سيشربون من حوضه صلوات الله وسلامه عليه (ولو شربة لا يظمأ بعدها أبدا) والله ولى التوفيق .

٣) كيف تطهر إحدانا ثوبها من دم الحيض يا رسول الله ؟

عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضي الله عنهما : قالت : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ وقالت : إحدانا يصيب ثوبها من دم الحيض فكيف تصنع ؟

قال « **تَحُتُّه** – أى تَحُكُّه – **ثم تَقْرصه بالماء** – أى تدلكه به – **ثم تصلى فيه** » رواه مسلم والبخاري.

** وهذا معناه ، أنه إن أصاب الثوب نجاسة وكان لها جرم مثل الدم والغائط فإنها تحك وتدلك بالأصابع ، وتغسل بالماء .

وقد جاء فى رواية أخرى أن النبى ﷺ أمر الحائض أن تبالغ فى تطهير دم الحيض بخصوصه فتحكه بحجر ونحوه وتغسله بماء وسدر[1] لإزالة رائحته من الثوب .

(فعن) أم قيس بنت أم محصن أنها سألت النبى ﷺ عن دم الحيض يصيب الثوب؟ فقال : « **حكيه بصلع** – أى حجر – **واغسليه بماء سدر** » أخرجه أحمد وابن خزيمة وابن حبان.

* أما النجاسة التى لا جرم لها ، وهى التى لا ترى بعد الجفاف كالبول : فإنها تغسل بالماء مع الدلك والعصر مرتين أو ثلاث حتى يغلب على الظن أنها قد زالت .

** وقد أشار فى الفقه الواضح [2] .. إلى مسألة هامة قال فيها : (قد) يزيل الدلك والغسل عين النجاسة ويبقى لونها أو ريحها . فهل بقاء اللون أو الريح يضر ؟ ثم يقول : (المشهور) أنه لا يضر بقاء اللون ولا بقاء الريح ، إذا بذل فى الغسل الثوب جهده وتعسرت إزالته ، والدين سمح ويسر .

---

(١) السدرة : نبت طيب الرائحة.

(٢) ج١ ص١٥٣ وما بعدها .

(أما) لو بقى طعم النجاسة فإنه يعاد غسله حتى يزول الطعم ، لأن بقاء الطعم يدل على بقائها .

** ثم يقول بعد ذلك مشيرا إلى حكم آخر ينبغى على الأخت المسلمة بصفة خاصة أن تقف عليه وهو أنه يكتفى فى تطهير الثوب من بول الصبى الذى لم يأكل الطعام وبرش الماء عليه .

(أما) بول البنت[1] فإنه يغسل كسائر النجاسات. (لحديث) أم قيس بنت محصن أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام إلى النبى ﷺ فأجلسه على حجره، فبال على ثوبه ، فنضحه[2] ولم يغسله. أخرجه النسائى وأحمد .

* وعن على بن أبى طالب – كرم الله وجهه – أن النبى ﷺ قال : «**بول الغلام الرضيع : يُنْضَح ، وبول الجارية يُغسل** » أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

وعن أبى السمح خادم رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «**يغسل من بول الجارية ويُرَشُّ من بول الغلام** » أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم .

** والحكمة فى هذا التفريق بين بول الغلام وبول الأنثى : هو أن بول الأنثى أخبث وأنتن[3] فعلى الأخت المسلمة .. بصفة خاصة أن تلاحظ كل هذا .. وتنفذه .... والله ولى التوفيق .

٣) يا رسول الله ... هل تصلى المرأة فى دِرْعٍ وخِمار وعليها إزار ؟

عن أم سلمة رضي الله عنها أنها سألت النبى ﷺ : أتصلى المرأة فى درع وخمار ، وعليها إزار[4] ؟ فقال « **نعم ، إذا كان الدِّرع سابِغا يغطى ظهور قدميها** » رواه أبو داود والحاكم والبيهقى .

** وروى الطبرانى فى الأوسط عن أبى قتادة أن النبى ﷺ قال : « لا

---

(١) أى التى لم تأكل أيضا طعاما.
(٢) أى رشه بالماء.
(٣) راجع كتاب إعلام الموقعين لابن القيم ج ٢ ص ٢٨٨ .
(٤) الدرع : هو القميص، والخمار : هو ما يسمى بالطرحة ، والإزار : هو ما يسترها ستر‌ًا كاملا .

يقبل الله من امرأة صلاة حتى توارى زينتها، ولا من جارية [1]بلغت المحيض حتى تختمر ».

** ولكى نفهم المراد من هذين الحديثين الشريفين فإنه ينبغى علينا أولاً أن نعرف حد العورة بالنسبة للرجل ، وبالنسبة للمرأة ... وذلك حتى يستر كل من الرجل والمرأة عورته ، ولا سيما فى الصلاة ... لأن ستر العورة فى الصلاة شرط فى صحتها - باتفاق العلماء - مع القُدرة والذِّكر، ولابد أن يكون الساتر كثيفا ، لا يظهر لون البشرة ... قال الله تعالى : ﴿يَا بَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] ، فالمراد بالزينة الثوب الساتر للعورة، والمراد بالمسجد الصلاة .

** والخلاصة التى أستريح إليها ... هى ما ذكرها صاحب (الفقه الواضح) ، حول تحديد العورة بالنسبة للرجل والمرأة - داخل الصلاة وخارجها - حيث يقول [2]تحت عنوان : حد العورة ..

** لكل من الرجل والمرأة عورتان : عورة مغلظة وعورة مخففة .

** أما عورة الرجل المغلظة فهى قُبُله ، ودُبُره ، وأنثياه [3]، وما حولهما ... ثم يقول : فإن صلى مكشوف القُبل ، أو الدُّبر كلا أو بعضا : بطلت صلاته .

** وأما عورته المخففة : فما سوى ذلك من سائر بدنه .. ثم يقول : فإن صلى مكشوف السرة، أو الفخذين، أو الظهر، أو البطن : فصلاته صحيحة على الأصح مع الكراهة .

** وأما عورة المرأة المغلظة : فهى ما بين سرتها وركبتيها .

** وأما عورتها المخففة : فجميع بدنها إلا وجهها وكفيها .. ثم يقول : فعلى المرأة إذا أرادت الصلاة ، أن تستر جميع بدنها من رأسها حتى ظاهر

---

(١) والجارية : أى الفتاة .

(٢) فى ج٢ ص ٥٧ وما بعدها

(٣) أى خصيتاه

قدميها [1]، إلا وجهها وكفيها، حتى لو كانت تصلى وحدها فى حجرة مظلمة .

** فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة أن يلاحظا كل هذا حتى يسترا عورتيهما داخل الصلاة بصفة خاصة .. وإلا بطلت الصلاة .. ما دامت هناك قدرة على هذا ... (أما) من لم يجد ما يستر به عورته ولو بإعارة .... (فقد) قال فى الدين الخالص [2]: صلى عريانا وصحت صلاته .... (والأفضل) عند الحنفية والحنابلة أن يصلى قاعدا مادًّا رِجليه إلى القبلة مضمومتين مومئا بالركوع والسجود (لحديث) أنس أن قوما من الصحابة : انكسرت بهم السفينة فخرجوا عراة فصلوا قعودا يومِئون بالركوع والسجود إيماء ... رواه الخلَّال ..

(ويليه) فى الفضل : صلاته قائما مومئًا بالركوع والسجود ، (ودونهما) : صلاته قائما يركع ويسجد .

* ولو كان عريانا ووعده صاحبه أن يعطيه الثوب إذا صلى : لزمه انتظاره ما لم يخف فَوْت الوقت على الراجح عند الحنفية .

* ومن وجد ثوبا ربعه طاهر ولم يجد ما يطهره به : لزمه الصلاة فيه ، فلا تصح صلاته عريانا خلافا للشافعية. (وكذا) إن كان كله نجسا ، أو طهر أقل من ربعه عند المالكية والحنابلة ولا يعيد. وعند الحنفية يخير بين الصلاة فيه والصلاة عريانا ، والأفضل الصلاة فيه ، لما فيه من الإتيان بالركوع والسجود مع ستر العورة .

** وحتى يسترا عورتيهما - بصفة عامة - فى الصلاة وخارجها .. فإننى أذكرهما بهذين الحديثين الشريفين .

* عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا المرأة إلى عورة المرأة ، ولا يُفْضى الرجل إلى الرجل فى**

---

(١) القدمان عورة داخل الصلاة وخارجها فى الأصح، وقيل: إنهما عورة خارج الصلاة فقط. والراجح الأول لحديث أم سلمة الذى ندور حوله ...... والأفضل ولو على سبيل الاحتياط سترهما داخل الصلاة وخارجها ... والله أعلم انظر الدين الخالص ج ٢ ص ٩٩ .

(٢) ج ٢ ص ١٠٣ وما بعدها .

الثوب الواحد ، ولا تفضى المرأة إلى المرأة فى الثوب الواحد » أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وحسنه.

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « **إياكم والتعرى ، فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط ، وحين يُفْضى[1] الرجل إلى أهله ، فاستحيوهم وأكرموهم** » أخرجه الترمذى وقال: غريب .

أسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعا من أهل الحياء .... اللهم آمين ....

٤) يا رسول الله إنى أحب الصلاة معك؟

عن أم حميد الساعدية أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إنى أحب الصلاة معك ؟ فقال ﷺ : « **قد عَلِمْتُ، وصلاتُك فى حُجرتك خير لك من صلاتك فى مسجد قومك، وصلاتك فى مسجد قومك خير لك من صلاتك فى مسجد الجماعة** » رواه أحمد والطبرانى .

** وهذا الذى أجاب به الرسول صلوات الله وسلامه عليه هو الفضل الذى ينبغى على الأخت المسلمة أن تكتفى به ..وإن كان بعض العلماء قد أفتى بأنه يجوز للنساء الخروج إلى المساجد وشهود الجماعة بشرط أن يتجنبن ما يثير الشهوة ويدعو إلى الفتنة من الزينة والطيب ... وذلك استنادا إلى بعض الأحاديث الشريفة التى منها[2]: فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال: « **لا تمنعوا النساء أن يخرجن إلى المساجد وبيوتهن خير لهن** » رواه أحمد وأبو داود .

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **لا تمنعوا إماء الله[3] مساجد الله ، وليخرجن تَفِلات[4]** » رواه أحمد وأبو داود .

* وعنه أيضا أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أيما امرأة أصابت بخورا فلا**

---

(١) **يفضى**: بضم أوله يقال : أفضيت إلى الشيء وصلت إليه .
(٢) كما جاء فى فقه السنة ج ٢ ص ١٠٤ ، ١٠٥ .
(٣) **إماء الله** : جمع أمة .
(٤) **تفلات** : أى غير متطيبات .

تشهد معنا العشاء الآخرة » رواه مسلم وأبو داود والنسائى بإسناد حسن .

** فعلى الأخت المسلمة أن تلاحظ هذا إذا أرادت أن لا تحرم من ثواب صلاة الجماعة فى مسجد قومها ، ولا سيما إذا كان هناك درس علم ستستمع إليه بعد صلاة المغرب[1] ..... فهذا لا شك خير لها من الجلوس أمام آلة من آلات اللهو، أو مع جارة لا أخلاق لها .

* وتلك هى الخلاصة التى نذكر بها الأخت المسلمة ...كما قال صاحب كتاب (الفقه الواضح)[2] وهو أنه لا بأس من حضور المرأة إلى المساجد وصلاتها خلف الرجال إذا كانت محتشمة، ولا يخشى منها الفتنة .... فقد كانت النساء على عهد رسول الله ﷺ يحضرن الجماعات، ويصلين خلف الرجال ... ولكن صلاتها فى بيتها أولى من صلاتها فى المسجد حتى أن الله عز وجل لم يفرض عليها الجمعة مثل الرجال ... ثم بعد ذلك أذكّر الأخت المسلمة بأنه قد ورد كذلك أن السيدة عائشة رضي الله عنها قد أنكرت خروج النساء إلى المساجد لما رأتهن يخرجن، وعليهن بعض الزينة، أو على غير الهيئة التى كُنَّ يخرجن عليها فى عهد رسول ﷺ ، ثم قالت رضي الله عنها : (لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء بعده لمنعهن المسجد ، كما مُنِعَه نساء بنى إسرائيل) رواه البخارى ومسلم.

ثم بعد ذلك يقول صاحب (الفقه الواضح) : أقول : فما بالها رضي الله عنها لو رأتهن اليوم ؟

** نسأل الله تعالى أن يهدى نساء المسلمين حتى لا يخرجن من بيوتهن بتلك الصورة المبتذلة بصفة عامة ، فضلا عن الذهاب إلى المساجد .

* فعن أبى موسى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **كُلُّ عَينٍ زانية**[3]**، والمرأة إذا استعطرت**[4]**، فمرت بالمجلس كذا وكذا ، يعنى زانية**[5] » رواه أبو داود،

---

(١) كما يحدث فى بعض المساجد مع أخوات مسلمات . وبشرط أن يأذن لها ولى أمرها بهذا ، وإلا فلا.

(٢) الجزء الثانى لصاحب الفضيلة : الدكتور محمد بكر إسماعيل . أكرمه الله .

(٣) يعنى كل عين نظرت إلى أجنبية قصدا، والمراد أنها كالزانية فى الإثم .

(٤) أى وضعت العطر على بدنها وثيابها .

(٥) لأنها وجهت إليها الأنظار وحركت إليها شهوة الرجال .

والترمذى وقال: حديث حسن صحيح. ورواه النسائى ، وابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحهم، ولفظهم : قال رسول الله ﷺ : « **أيما امرأة استعطرت، فمرت على قوم ليجدوا ريحها** [1]**، فهى زانية**[2]**، وكل عين زانية** » رواه الحاكم أيضا ، وقال: صحيح الإسناد .

** فليكن هذا التذكير أيضا سببا فى التزام الأخت المسلمة حتى لا تكون من الهالكات – والعياذ بالله – بل وحتى لا تكون سببا فى فتنة الشباب الذى لا يملك الباءة التى بها يستطيع أن يتزوج غضًّا لبصره وتحصينا لفرجه ... مع ملاحظة أنها إذا كانت سببا فى ضياعه وارتكابه لجريمة الزنا – والعياذ بالله – فإنها ستعذب بسببه يوم القيامة ... وعليها أن تكون دائما وأبدا على صلة بالله تبارك وتعالى عن طريق التوبة الصادقة والاستغفار ... والمحافظة على الصلوات الخمس فى أوقاتها فضلا عن طاعتها لزوجها ما دام يأمرها بطاعة الله ..... والله ولى التوفيق .

٥) يا رسول الله ... إن نساءً أَسْعَدْنَنا فى الجاهلية أفنُسْعِدهُن فى الإسلام ؟

عن أنس رضي الله عنه قال : أخذ النبى ﷺ على النساء حين بايعهن ألا يَنُحْنَ[3] ، فَقُلْنَ : يا رسول الله إن نساءً أسعدننا فى الجاهلية أفنسعدهن فى الإسلام ؟ فقال : « **لا إسعاد فى الإسلام** » أخرجه أحمد والنسائي[4].

** (والإسعاد) معناه : المساعدة فى النياحة، تقوم المرأة فتقوم معها أخرى من جاراتها فتساعدها على النياحة.... (وهذا) حرام .. لأنه ورد النهى عنه .. بل إن النبى ﷺ لَعَن من فعلنه .. لأنه يتضمن عدم الرضا بالقضاء .. (وعلى) هذا فإن من استحله مع العلم بالتحريم أو فعله سُخطا من القضاء

---

(١) يعنى أنها قصدت بالمرور عليهم أن يشموا ريحها .. فاللام للتعليل .
(٢) وذلك لتعمدها جذب قلوب الرجال وتحريك رغباتهم نحوها .
(٣) أى على الميت .
(٤) انظر ص ٢٦٢ ج ١ مجتبى (النياحة على الميت) ومعنى (بايعهن) أى عاهدهن ، وكن ٤٥٧ امرأة ... بايعهن يوم الفتح عند الصفا بعد أن بايع الرجال ..... ولم يصافح واحدة منهن ..

كَفَر والعياذ بالله[1] .

(فعن) أَسِيد بن أَسِيد عن امرأة من المبايعات ، قالت : (كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ – فى المعروف الذى علينا ألا نعصيه فيه – ألا نَخْمِش وَجْها ، ولا نَدْعو وَيْلا، ولا نَشُقّ جَيْبًا، ولا نَنْشُرَ شعرا) أخرجه أبو داود والبيهقى[2] .

** (فالمعنى) : أن النبى ﷺ ... كان فى العهد الذى أخذه علينا ... أننا لا نعصيه فيما عُرف شرعا من فعل الطاعات، وترك المخالفات، ومنه (ألا نخمش وجها) أى : لا نخدش وجوهنا بأظفارنا، (ولا ندعو ويلا) أى : لا ندعو بالويل والهلاك والمشقة، كأن يقول الشخص : يا ويلى يا هلاكى ويا عذابي، (ولا ننشر شعرا) أى : لا نفرقه .. وكان ما ذكر من عادات الجاهلية التى كانت تُرتَكب عند المصيبة ... فنهاهن عنه صلوات الله وسلامه عليه .

* وعن أبى أمامة أن النبى ﷺ لعن الخامشة وجهها والشاقة ثوبها ، والداعية بالويل والثبور أخرجه ابن ماجه وابن حبان بسند صحيح[3]

* (قال) فى الدين الخالص : بعد ذكر الحديث الأول الذى ندور حوله، والذى يتعلق بموضوع المساعدة فى النياحة .

* (وأما حديث) أم عطية رضي الله عنها قالت : لما نزلت هذه الآية: ﴿يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ باللَّهِ شَيْئًا﴾ إلى قوله : ﴿وَلا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوف﴾ [الممتحنة: ١٢] كان منه النياحَة ، فقلت : يا رسول الله إلا آل فلان ، وأنهم قد كانوا أسعدونى فى الجاهلية ، فلا بد لى من أن أسعدهم . فقال رسول الله ﷺ : «**إلا آل فلان**» أخرجه أحمد ومسلم والنسائى والبيهقى[4] .

(فيجاب) عنه بأنه كان قبل مبايعة أم عطية على التوحيد وغيره مما ذكر فى

(١) انظر فى ١٠٦ ج ٣ فتح البارى (ليس منا من شق الجيوب) .

(٢) انظر ص ٢٦٨ ج ٨ المنهل العذب (النوح) وص ٦٤ ج ٤ .

(٣) انظر ٢٤٧ ج ١ ابن ماجه (النهى عن ضرب الخدود) والويل والثبور : أى الهلاك .

(٤) انظر ص ١٠٩ ج ٧ الفتح الربانى (ما لا يجوز من البكاء) وص ٤٥ ج ٨ فتح البارى وص ١٨٣ ج٢ مجتبي (بيعة النساء).

الآية (فقد) قالت أم عطية : بايعنا النبى ﷺ وأخذ علينا فيما أخذ أن لا ننوح، فقالت امرأة من الأنصار : إن آل فلان أسعدونى فى الجاهلية وفيهم مأتم ، فلا أبايعك حتى أسعدهم كما أسعدوني، فذهبت فأسعدتهم ثم رجعت فبايعت النبى ﷺ (الحديث) أخرجه أحمد وكذا البخارى والنسائى بنحوه. (ثم بعد ذلك) يذكر أن بعض المالكية قالوا : النياحة ليست بحرام بهذا الحديث وقصة نساء جعفر، إنما المحرَّم ما كان معه شىء من أفعال الجاهلية كشق الجيوب، وخمش الخدود، ودعوى الجاهلية. (والصواب) ما ذكرناه ، وهو أن النياحة حرام مطلقا وهو مذهب العلماء كافة وليس لما قاله هذا القائل دليل صحيح .

إلى أن يقول (بعد ذلك) : وعلى هذا اتفقت كلمة جمهور العلماء ودلت الأحاديث على التغليظ فى أمر النائحة إذا لم تتب قبل موتها ، وأنها مطرودة عن رحمة الله تعالى ، وكذا المستمع لها ، وعليها مثل أوزار من اقتدى بها وعمل بعملها أو استمع لها .. وعلى ولى أمرها منعها من ذلك بكل طريق ممكن وإلا كان شريكها فى الإثم .. نسأل الله تعالى السلامة والهداية .

** فعلى الأخ المسلم ... والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا حتى لا يفعلاه ... بل وحتى لا يوافقا عليه ... ولا يسمحا به ... مع ملاحظة (حديث) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **ليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود ودعا بدعوى الجاهلية** » أخرجه البيهقى والسبعة إلا أبا داود[1] نسأل الله أن يعافينا من كل هذا .. وأن يجعلنا من الراضين بقضائه وقدره .. اللهم آمين ...

٦) هل يحل للمرأة أن تسافر وحدها بغير محرم يا رسول الله ؟

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يحل لامرأة**

---

(١) انظر ص ١٠٥ ج ٧ الفتح الربانى (ما لا يجوز من البكاء على الميت) وص ١٠٦ ج ٣ فتح البارى ، ص ١٠٩ ج ٢ نووي، وص ١٣٤ ج ٢ تحفة الأحوذى وص ١٩٠٢٤٧ ابن ماجه وص ٦٣ ج ٤ بيهقى، وص ٢٣٦ ج ١ المجتبي.

تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفرا[1] **يكون ثلاثة أيام فصاعدا**[2] **إلا ومعها أبوها ، أو زوجها ، أو ابنها ، أو ذو محرم منها** » رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه.

** وفى رواية للبخارى ومسلم : « **لا تسافر المرأة يومين من الدهر**[3] **إلا ومعها ذو محرم منها أو زوجها** ».

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال: « **لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر ثلاثا إلا ومعها ذو محرم منها**[4] » رواه البخارى ومسلم وأبو داود .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر**[5] **تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذى محرم عليها** ».

* وفى رواية : « **مسيرة يوم** ، وفى أخرى : **مسيرة ليلة إلا ومعها رجل ذو محرم منها** » رواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه ... وفى رواية لأبى داود وابن خزيمة[6] « **أن تسافر بريدا** ».

** فقوله ﷺ فى الحديث الأول: « **لا يحل** ..» يقتضى الحرمة، وهو عام بالنسبة لكل امرأة شابة كانت أو عجوزًا .... وقد خصه بعضهم بالشابة وهو خلاف الظاهر ...(والجملة) فى قوله : « **تؤمن بالله واليوم الآخر** » : صفة لامرأة .. والمراد منها التنبيه على أن هذا أمر يقتضيه الإيمان .

* وقوله : « **أو ذو محرم منها** » تعميم بعد تخصيص .قال فى الفتح: (وضابط المحرم عند العلماء من حرم عليه نكاحها على التأيد بسبب مباح

---

(١) أى سَفَر سواء كان لحج أو غيره .

(٢) أى فما زاد على الثلاث .

(٣) يعنى سفرا يقطع فى يومين من الزمان .

(٤) وفى لفظ « لا تسافر المرأة إلا ومعها ذو محرم » .

(٥) وفى رواية : (لا يحل لامرأة أن تسافر) بدون زيادة .

(٦) وكذلك أخرجها الحاكم والبيهقى.

لحرمتها، فخرج (بالتأبيد) زوج الأخت والعمة . (وبالمباح) أم الموطوءة بشبهة وبنتها و(بحرمتها) لملاعَنة واستثنى أحمد رحمه الله الأب الكافر، فقال: لا يكون محرما لابنته المسلمة لأنه لا يؤمن أن يفتنها عن دينها ، ومقتضى هذا إلحاق سائر القرابة الكفار بالأب لوجود العلة .

* وقال فى النهاية : (ذو محرم من لا يحل له نكاحها من الأقارب كالأب والأخ والعم ومن يجرى مجراهما).

** وحول قوله ﷺ –فى الرواية الأخيرة – « **مسيرة يوم** » أو « **مسيرة ليلة** » قال النووى : (ليس المراد من التحديد ظاهره، بل كل ما يسمى سفرا، فالمرأة منهية عنه إلا بالمحرم ، وإنما وقع التحديد عن أمر وقع فلا يعمل بمفهومه) .

* وقال ابن التين: (وقع الاختلاف فى مواطن بحسب السائلين) .

* وقال المنذرى: (يحتمل أن يقال: اليوم المفرد والليلة المفردة بمعنى اليوم والليلة ، يعنى : فمن أطلق يوما أراد بليلته أو ليلة أراد بيومها .(ويحتمل) أن يكون ذكر الثلاث قبل ذكرا ما دونها ، فيؤخذ بأقل ما دون ذلك ، وأقله الرواية التى فيها ذكر البريد [1] كما فى رواية أبى هريرة المذكورة فى الباب).

* وقال الشوكانى : وهذا هو الظاهر، أعنى الأخذ بأقل ما ورد لأن ما فوقه منهى عنه بالأولى، والتنصيص على ما فوقه كالتنصيص على الثلاث ، واليوم والليلة واليومين والليلتين لا ينافيه .. لأن الأقل موجود فى ضمن الأكثر. (وغاية) الأمر أن النهى عن الأكثر يدل بمفهومه على أن ما دونه غير منهى عنه ، والنهى عن الأقل منطوق وهو أرجح من المفهوم .

(وقالت الحنفية) : إن المنع مقيد بالثلاث لأنه متحقق وما عداه مشكوك فيه .. فيؤخذ بالمتيقن، ونوقض بأن الرواية المطلقة شاملة لكل سفر، فينبغى الأخذ بها وطرح ما سواها، فإنه مشكوك فيه ... والأولى أن يقال : إن الرواية المطلقة مقيدة بأقل ما ورد وهى رواية الثلاثة الأميال إن صحت ، وإلا فرواية

(١) وهو اثنا عشر ميلا .. (مختار الصحاح) ص ٤٧.

البريد (قال سفيان) : يعتبر المحرم فى المسافة البعيدة لا القريبة) ا.هـ.

** وعلى هذا .. فإنه ينبغى على الأخت المسلمة أن تلاحظ كل هذا الترهيب الوارد فى كل هذه الأحاديث السابقة حتى لا تقع فى هذا المحظور الذى لا يحل لها أن تفعله .. تحاشيا لما لا يحمد عقباه وحذرا من المخالفة الشرعية ... ولا سيما إذا كانت تؤمن بالله واليوم الآخر.

مع ملاحظة أنه إذا لم تجد المرأة زوجا ولا محرما يحج معها .. فإنه يجوز أن تحج مع رفقة مأمونة مكونة من رجال ونساء إذا كان السفر إلى مكة لا يزيد عن يوم وليلة – كما قال المالكية – لأن الأمن سيكون متوفرا لها مع وجود الرفقة المأمونة .(وجوز) لها الشافعية أن تحج مع نساء مأمونات ليس معهن رجل قَرُبَت المسافة أم بعدت إذا تحقق الأمن .. ثم بعد ذلك يقول :[1]

* هذا ويستحب للمرأة أن تستأذن زوجها فى الخروج إلى الحج أو إلى سفر فى طاعة ، ويستحب له أن يأذن لها فى ذلك .

* لكن هل يجوز له منعها من الخروج إلى حجة الإسلام ؟

قيل : يجوز له أن يمنعها بناء على أن الحج واجب على التراخي والأصح أنه لا يجوز له أن يمنعها من الحج المفروض، فإن لم يأذن لها خرجت بلا إذنه ، لأن الحج واجب وترك الواجب معصية، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.... ثم يقول :

* هذا وإذا وجدت المحرم الذى تسافر معه وتحقق لها أمن الطريق، وكان حجها من مالها الخاص لا من مال زوجها ، ولم يكن زوجها فى حاجة إليها [2]، فإن لم يكن لها مال تحج منه، وأبى زوجها أن يعطيها نفقة الحج : فلا يجب عليها الحج ، لأنها غير مستطيعة، والزوج ليس مكلفا إلا بإطعامها وكسوتها وسكنها وعلاجها إذا مرضت، ونحو ذلك من ضروريات الحياة.

* كذلك لو كان زوجها فى حاجة إليها بأن كان مريضا أو ذا عيال لا يستطيع أن يعولهم أثناء تغيبها عنه ولا يجد من يسد مسدها فى ذلك ... فإنها

---

(١) أى الأستاذ الدكتور محمد بكر إسماعيل فى الجزء الخامس من كتابه (الفقه الواضح) ص ٢٩ .
(٢) لأسباب صحية مثلا.

لا يجب عليها الحج حتى يستغنى زوجها عنها لأنها تعتبر فى حكم العاجز عنه... والحج) واجب على التراخى عند أكثر الفقهاء فإذا فاتها الحج فى هذا العام مثلا ، فقد تتمكن من أدائه فى العام الذى بعده .. وهكذا ...

* وهناك ملاحظة أخرى .. لا بد وأن تقف الأخت المسلمة عليها ... إذا أرادت أن تسافر لأداء فريضة الحج .. (وهى) أنه يشترط[1] أن لا تكون معتدة من زوج عدة طلاق، أو عدة وفاة .

* فالمرأة إذا طلقت فى أشهر الحج أو مات زوجها : لا ينبغى لها أن تخرج فى عامها هذا إلى الحج .. لأن الله تبارك وتعالى قد أوجب عليها المُكْث فى بيتها إلى أن تنقضى عدتها لا تخرج منه إلا لقضاء حاجة ضرورية لا تستغرق إلا وقتا قصيرا .

* فإذا خرجت المرأة إلى الحج وهى معتدة صح حجها وعليها الإثم العظيم وإذا خرجت المرأة مع زوجها، ومات زوجها فى الطريق: وجب عليها أن ترجع إلى بلدها إن كانت المسافة قريبة .. (فإن) كانت قد ابتعدت عن البلد: (فلها) أن تمضى إلى الحج مع رفقة مأمونة، ولها أن تعتد فى بلد تأمن على نفسها فيه ... والله ولى التوفيق.

٧) يا رسول الله إنى ضرير .. فماذا أفعل لكى يعافينى الله تبارك وتعالى ؟

عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضريرا أتى النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، فقال : ادع الله أن يعافينى ؟ قال : « **إن شئتَ دعوت ، وإن شئت صبرت : فهو خير لك ؟** » قال : فادعه فأمره أن يتوضأ فيحسنَ وضوءه ، ويدعوَ بهذا الدعاء « **اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة** صلى الله عليه وآله وسلم ، **يا محمد إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى . اللهم فشفعه فى** » أخرجه أحمد وابن خزيمة وابن ماجه والنسائي، وزاد فى بعض طرقه : (فتوضأ ثم صلى ركعتين) ، والحاكم وزاد فيه : (فدعا بهذا الدعاء ، فقام وقد أبصر) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين،

(١) كما جاء أيضا فى نفس المرجع السابق ص ٢٩ ،٣٠ .

والترمذى وقال : حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، من حديث أبى جعفر وهو غير الخطمى. ا . هـ .

(قال) الشوكانى فى تحفة الذاكرين : والحديث صحيح، وصححه أيضا ابن خزيمة، وقد تفرد النسائى بذكر الصلاة ، ووافقه الطبرانى فى بعض الطرق التى رواها ، وفى الحديث دليل على (جواز) التوسل برسول الله ﷺ إلى الله عز وجل مع اعتقاد أن الفاعل هو الله تعالى ، وأنه المعطى المانع ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ا.هـ .

** (فهذا) الحديث كما هو واضح من نصه .. يدور حول موضوع التوسل .. وهو من الأمور التى لا بد أن يقف الأخ المسلم على أبعادها ... وحكم الإسلام فيها .. (لهذا) فقد رأيت أن أقف مع الأخ المسلم على ما جاء فى هامش (الدين الخالص) : حول هذا الموضوع المتعلق بهذا الحديث .... حيث يقول :

(١) التوسل لغة : التقرب بالعمل ، ويطلق شرعا ، على معان ثلاثة :

(أ) التقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة .

(وهذا) جائز شرعًا اتفاقا. بل منه الواجب الذى لا يكمل الإيمان إلا به. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] ، وقال :﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

فقد (اتفق) المفسرون على أن الوسيلة فى الآيتين هى التقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وسائر العبادات (وقد) ورد فى ذلك آيات وأحاديث :

* قال الله تعالى :﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

* وقال فى وصف عباده المتقين :﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٦] .

* وقال فى وصف أولى الألباب السليمة : ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا [1] يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ [آل عمران: ١٩٣-١٩٥] .

* (و عن) عبد الله بن بريدة عن أبيه أن النبى ﷺ سمع رجلا[2] ، يقول : اللهم إنى أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذى لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد فقال : « **لقد سأل الله باسمه الأعظم الذى إذا سُئِل به أعطى، وإذا دُعِيَ به أجاب** » أخرجه أحمد ، وأبو داود، والترمذى، والنسائي، وابن ماجه.

* وقال تعالى : ﴿وَذَا النُّونِ [3] إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا [4] فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ [5] فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ[6] أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ[7] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ [8] وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧، ٨٨] .

(وهذا) دعاء عظيم جدًّا ، لاشتماله على التهليل والتسبيح والإقرار بالذنب.

(وقد) ورد : أنه ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء، إلا استجيب له (فعن) سعد ابن معاذ رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **دعوة ذى النون إذ دعا وهو فى بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين : فإنه لم يدع بها رجل مسلم فى شيء قط، إلا استجاب الله له**». أخرجه الترمذى والنسائى فى اليوم والليلة .

* (وعن) ابن عمر رضي الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **انطلق**

---

(١) هو الرسول الله ﷺ .
(٢) هو أبو موسى الأشعرى، كما فى رواية أحمد .
(٣) أى صاحب الحوت، وهو سيدنا يونس عليه السلام .
(٤) أى : قومه .
(٥) أى نُضَيّق عليه .
(٦) أى : ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت .
(٧) أى : بذهابى من بين قومى بلا إذن .
(٨) أى أخرجناه من بطن الحوت وتلك الظلمات .

ثلاثة نَفَر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غارٍ فدخلوا فيه ، فانْحَدَرت صخرةٌ من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: أنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ، فقال أحدهم : أنه كان لى أبوان شيخان كبيران ، وكنت أرعى عليهما ، ولا أَغبْق قبلهما[1] أهلا ولا مالا، وإنه نأى بى طلب الشجر فلم أَرُح عليهما[2] حتى ناما، فحلبت لهما غَبُوقهما فوجدتهما قد ناما، فكرهتُ أن أعبق قبلهما أهلا ومالا ، وكرهت أن أوقظهما، والصبية يتضاغَوْن[3] عند قَدَمي، والقَدَحُ على يَدى انتظر استيقاظهما حتى بَرِق الفجر، اللهمَّ إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء لوجهك، ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه ، وقال الآخر : اللهم إنه كانت لى ابنةُ عمٍّ هى من أحب الناس إلى، فَأَرَدْتُها على نَفْسِها[4]، فامتنعت مِنِّى، حتى أَلمت بها سَنة من السنين[5]، فجاءتني، فأعطيتها مائة وعشرون دينارا على أن تخلى بينى وبين نفسها[6]، ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت: لا يحل لك أن تَفُضَّ الخاتم إلا بحقه[7]، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها، وهى أحب الناس إلى، وتركتُ الذَّهَب[8]، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج، فقال الثالث : اللهم إنى كنت استأجرت أُجَراء، فأعطيتهم أَجْرهم غير رجل واحد ترك أجره وذهب، فثمرته له، حتى كثرت منه الأموال، فجاءنى بعد حين ، فقال : يا عبد الله أَدِّ إلَيَّ أجرى فقلت:

---

(١) من باب ضرب ونصر : من الغبوق، وهو الشرب آخر النهار .

(٢) من الإراحة ، وهى رد الإبل إلى مراحها .

(٣) أى يضجون ويصيحون من الجوع .

(٤) أى طلب منها أن تمكنه من نفسها .

(٥) أى جاعت واحتاجت .

(٦) أى : على أن تمكننى من نفسها

(٧) تريد أن تقول له : لا تفض بكارتى إلا بالزواج المشروع .

(٨) أى ترك لها الذهب الذى كان قد أعطاها إياه .

كل ما ترى من البقر، والغنم، والإبل، والرقيق أجرك اذهب فاسْتَقْه[1]. فقال : يا عبد الله لا تستهزئ بي. فقلت : إنى لا أستهزئ بك، اذهب فاستقه ، فأخذه كُلَّه[2] اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون » أخرجه الشيخان ، وأبو داود .

* * (فهذا) الحديث صريح فى أنه يجوز للعبد أن يتوسل بعمله الصالح إلى الله تعالى ، وأنه ينفعه عند الشدة (وفى) الحديث : « **احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة** » .

أخرجه أحمد ، وعبد بن حميد عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(ب) التوسل إلى الله مستشفعا بأحد من خلقه فيما يطلبه العبد من ربه ، وهو جائز اتفاقا، (فقد) ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس رضي الله عنه، وقال : (اللهم إنا كنا إذا أجدبنا[3] نتوسل إليك بنبينا فتسقينا. وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، فَيُسْقَون). أخرجه البخارى .

* (واستسقى) معاوية بن أبى سفيان بالأسود بن يزيد من كبار التابعين ، وقد كان توسلهم بمن ذكر أن يدعو المتوسل به ، ويدعوا معه ، فهو شفيع لهم، وسائِلٌ لا مَسْئُول .

(جـ) التوسل إلى الله تعالى بالإقسام عليه بأحد من خلقه، وهو ممنوع عند الجمهور، لأنه لم يقع من الصحابة رضي الله عنهم فى الاستسقاء ونحوه، لا فى حال حياة النبى صلى الله عليه وسلم ولا بعد موته، ولم يثبت فى دعاء من الأدعية الصحيحة .

(وأفتى) العز بن عبد السلام بمنعه إلا فى حق النبى صلى الله عليه وسلم مستند لا بحديث الباب (أى حديث الضرير)، وتبعه الشوكانى وغيره وعليه الجمهور، قالوا : قوله : (أسألك وأتوجه إليك بنبيك) سؤال بالذات وقسم.

(ومنعه) ابن تيمية وغيره من الحنابلة مطلقا ، وقالوا : الباء فى قوله :

---

(١) أى فاستقه أمامك لأنه حقك .

(٢) أى : ولم يترك منه شيئا .

(٣) أجدبنا: أى أصابنا الجدب وهو ضد الخصب.

(أتوجه إليك بنبيك) للسببية لا للقسم والمعنى : أسألك وأتوجه إليك بسبب محمد ﷺ ، فيرجع إلى الحالة الثانية ، وهى التوسل بمعنى الشفاعة .. ثم يقول فى هامش الدين الخالص :

(ومما تقدم) تعلم أن التوسل المشروع بالاتفاق هو التوسل بالعمل الصالح ، وبالغير على أنه شفيع وسائل لا مسئول ، بل المسئول والمقصود هو الله تعالى، لأنه هو النافع الضار المعطى المانع الفعال لما يريد .

**(وهذا) هو القول الفصل الذى لا بد وأن نتفق عليه جميعا كمؤمنين صادقين .. وهذا هو ما ينبغى علينا أن نلتزم به حتى نكون من أهل التوحيد الخالص .. وحتى لا نكون كهؤلاء :

﴿ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٣ ، ١٠٤] .

(هذا) مع ملاحظة ، أنه : يستحب لمن همه أمر أو كانت له حاجة إلى الحق سبحانه وتعالى، أو إلى الخلق يريد قضاءها : أن يتطهَّر ويصلى ركعتين ، ثم يدعو بدعاء الكرب أو غيره .. وإليك هذين الحديثين الشريفين اللذين من الممكن أن يكتفى بهما :

* عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب : « **لا إله إلا الله العظيم الحليم لا اله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم** [1] » أخرجه البخارى ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه – وفى رواية لمسلم : أن النبى ﷺ كان إذا حَزَبه [2] أمر قال ذلك .

* وعن أبى الدرداء رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **من توضأ فأسبغ الوضوء، ثم صلى ركعتين يُتِمُّهما : أعطاه الله ما سأل مُعجلا أو مؤخرا** » أخرجه أحمد

(١) العظيم والكريم بالجر صفة للعرش . وهو الثابت فى رواية الجمهور . وبالرفع صفه للرب ، أو خبر لمبتدأ محذوف ، فهو نعت للعرش قطع للمدح .
(٢) حزبه: أى شغله وأهمه.

بسند حسن صحيح وأخرجه الطبراني في الكبير بسند حسن عن أبى الدرداء أن النبى ﷺ قال : « **من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قام فصلى ركعتين ، أو أربعا مكتوبة أو غير مكتوبة يحسن فيها الركوع والسجود ، ثم استغفر الله ، غفر له** » .

** فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا مع الأخت المسلمة ... وعليهما أن يلتزما بما جاء فى هذا البحث الذى لا بد وأن ينتفعا به حتى يكونا إن شاء الله تعالى من أصحاب الوسيلة الصحيحة التى هى العمل الصالح الخالص لوجه الله تعالى ... والله ولى التوفيق .

٨- متى الساعة .. ومتى أنتظرها .. يا رسول الله .. ؟

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : بينما النبى ﷺ يحدث القوم جاءه أعرابى فقال : متى الساعة ؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال بعض القوم : سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم : بل لم يسمع ، حتى إذا قضى حديثه، قال: « **أين السائل عن الساعة ؟** » قال: ها أنا يا رسول الله، قال: « **إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة** » ، قال: وكيف إضاعتها ؟ قال : « **إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة** » رواه البخاري.

(ففي) هذا الحديث الشريف الصحيح .. وفى اللحظة التى كان النبى ﷺ يحدث فيها القوم .. أى يعظهم ويذكرهم .. حدث أن جاء أعرابى وسأله صلوات الله وسلامه عليه عن الساعة ؟

فلم يجبه وإنما مضى يحدث. إلى أن قضى حديثه[1] وكأنه صلوات الله وسلامه عليه يريد أن ينبهه وينبهنا من خلاله تعلُّم أدب الحديث ، وعدم مقاطعة المحدِّث - ثم قال صلوات الله وسلامه عليه : « **أين السائل عن الساعة ؟** » أى : أين السائل عن يوم القيامة الذى سُمِّى بالساعة لأنها تأتى كلمح البصر فى مدة قصيرة كما يشير إلى هذا قول الله تعالى : ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

---

(٣) أى إلى أن انتهى من حديثه .

* فقال الأعرابى : (أنا يا رسول الله) ، فقال النبى ﷺ : « **إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة** » أى : إذا ضيعت التكاليف الشرعية والواجبات الدينية .. فقال الأعرابى مستوضحًا هذا المعنى: (وكيف إضاعتها ؟) قال : « **إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة** » أى : إذا أسند الأمر إلى غير أهله، ووُكِّل إلى من لا يصلح له، كتسليم الجاهل أمور التعليم، وتولية الخائن وظائف الدولة، وإسناد الشئون العامة إلى من لا يحسن التدبير من الذكور أو الإناث.. بصفة خاصة .

فعلى الأخ المسلم الانتفاع بما فى هذا الحديث - موضوع الفتوى - من الإشارات والتنبيهات .. والله ولى التوفيق .

٩- أخبرنا يا رسول الله .. بدرجة أفضل من الصلاة والصيام والصدقة .. ؟

عن أبى الدرداء رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **ألا أنبئكم بدرجة أفضل من الصلاة والصيام والصدقة** » ؟ قالوا : بلى، قال : « **إصلاح ذات البَيْنِ** [١]، **وفسادُ ذاتِ البَيْن هى الحالِقة** [٢] ». أخرجه أبو داود فى الأدب ، والترمذى فى الزهد كلاهما عن أبى معاوية، وزاد الترمذى ويُرْوَى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **لا أقول تحلق الشعر لكن تحلق الدين** » ص ٧٤ ج ٢ وكذا عند أحمد وبن حبان (إتحاف) ...

*(ففى) هذا الحديث الشريف - موضوع الفتوى - يشير النبى ﷺ من خلال إجابته .. إلى أن درجة (إصلاح ذات البين) : أفضل من الصلاة والصيام والصدقة . أى أنها أفضل من فضل مجموعها. لأن ظاهر الواو للجمع، وهو أبلغ فى مقام الترغيب - ويحتمل أن يكون بمعنى أو، والمراد بهذه المذكورات النوافل دون الفرائض .. (وقال) الملاّ على القارى : والله أعلم بالمراد إذ قد يتصور الإصلاح فى فساد يتفرع عليه سفك الدماء، ونهب

(١) قال : (صلاح ذات البين) زاد الترمذى بينهما (فإن) .
(٢) من حلق الشعر إذا استأصلته بالحديد، أى يهلك الدين .

الأموال، وهَتْك الحُرَم ، وهو أفضل من فرائض هذه العبادات القاصرة مع إمكان قضائها إن لم تؤدَّ على وقتها، فإذا كان كذلك فيصح أن يقال : هذا الجنس من العمل أفضل من هذا الجنس فتكون أفراده أفضل، كالبشر خير من الملك، والرجل خير من المرأة. (ثم) إن معنى (ذات البين) أى بمضمراتها .. والمعنى : إصلاح الأحوال التى تجرى بينكم حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق .. فهى درجة فوق درجة من اشتغل . بخويصة نفسه، بالصيام والصلاة فرضًا ونفلا .. (والبين) أى الخصلة التى تكون وصلة بين القوم من قرابة ومودة، (وقيل) المراد بذات البين : المخاصمة والمهاجرة بين اثنين بحيث يحصل بينهما أى فرقة .

* (وفى) اللمعات : و(بَيْن) من الظروف قد تجيء اسما للحالة التى بين اثنين، فهى صفة لمحذوف، أى حالات لها ملابسة وتعلق بالبين، وهذه الملابسة هى ذات البين أى صفة ثابتة ثانية بينكم. (ثم) إذا كان النبى ﷺ يقول فى ختام الحديث : « **وفساد ذات البين هى الحالقة** » : فذلك لأنها تحلق الدين أى تستأصله ..ولا أقل أن يزيل الخيرات لأن شؤم فساد ذات البين يمنع تحصيل الطاعات .

* (فعن) أبى هريرة ؓ عن النبى ﷺ قال : « **والذى نفسى بيده ! لا تدخلوا الجنة حتى تسلموا، ولا تسلموا حتى تحابوا. وأفشوا السلام تحابوا، وإياكم والبغضة، فإنها هى الحالقة، لا أقول لكم تحلق الشعر، لكن تحلق الدين** [١]» .

** (فعلى) الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا وينفذ المراد منه حتى يكون من أهل الإصلاح لا من أهل الفساد .... والله ولى التوفيق .

١٠) أى الجهاد أفضل .... يا رسول الله ؟

* عن أبى أمامة ؓ قال : عرض لرسول الله ﷺ رجل عند الجمرة

(١) أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه فى الأدب (ذخائر المواريث) .. انظر (الأدب المفرد) ج ١ ص ٣٥٩ ، ٤٨٢ باختصار وتصرف .

الأولى، فقال : يا رسول الله، أى الجهاد أفضل ؟ فسكت عنه، فلما رمى الجمرة الثانية سأل فسكت عنه فلما رمى جمرة العقبة وضع رجله فى الغرز [1] ليركب، قال : « **أين السائل** » ؟ قال : أنا يا رسول الله، قال : « **كلمة حق تقال عند ذى سلطان جائر** » رواه ابن ماجه بإسناد صحيح .

* وعن أبى عبد الله طارق بن شهاب البَجلىّ الأحْمَسِىّ أن رجلا سأل النبى ﷺ ، وقد وضع رجله فى الغرز : أى الجهاد أفضل ؟ قال : « **كلمة حق عند سلطان جائر** » رواه النسائى بإسناد صحيح .

** (ففي) هذين الحديثين الشريفين يجيب النبى ﷺ على سؤال واحد – عن أفضل الجهاد – بأنه كلمة حق [2] عند سلطان أو أمير جائر – أى ظالم – (وقد) قال العلماء : وإنما كان ذلك أفضل الجهاد : لأن من جاهد العدو فهو متردد بين رجاء وخوف، وبين أن يكون الغلبة له أو للعدو، (وهاهنا) الغالب : الهلاك والتلف، وغضب السلطان .. فصار أفضل، وأيضا : لا يجد من ينصره من الناس، بل يتفقون على تخطئته إرضاء للسلطان وتَزَلُّفا إليه، وقلَّ من يقف إلى جانبه ويساعده . بخلاف من يقاتل الكفار .

(ولا سيما) فى هذا الزمان الذى كَثُر المنافقون فيه .. بتلك الصورة التى لا تخفى على أحد .. والتى كانت ولا تزال سببا فى تدهور أحوال المسلمين وتمزيق وحدتهم... (بل) وسببا فى توزيع دولهم على أعداء الإسلام ... فقد ورد :

* (عن) ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ :« **يوشك الأمم أن تداعَى عليكم كما تداعى الأَكَلة إلى قَصْعتها** » فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال: « **بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غُثاء كغثاء السيل، ولينزِعَنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذِفَنَّ فى قلوبكم الوهن** » قال قائل : يا رسول الله، وما الوهن ؟ قال :« **حب الدنيا وكراهية الموت** ». رواه أبو داود والبيهقى فى دلائل النبوة .

---

(١) **الغرز** : هو ركاب الرحل من جلد أو خشب.
(٢) وعند ابن ماجه (كلمة عدل).

** (فلاحظ) كل هذا أخا الإسلام حتى تكون شجاعا .. وإياك إياك أن تكون جبانا أو منافقا .. وحسبك أنك بكلمة حق عند سلطان جائر ستفوز بإحدى الحسنيين .. إعلاء كلمة الله أو الاستشهاد .. فقد ورد :

* عن جابر رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجلٌ قام إلى إمام جائر فأمَرَه ونهاه [1]، فقتله** » رواه الترمذى والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

* (وعن) ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **ما من نبى بعثه الله فى أُمةٍ قبلى إلا كان له من أمته حواريون [2] وأصحاب يأخذون بسنته [3]، ويقتدون بأمره، [4] ثم إنها تخلُف من بعدهم خُلُوف [5] يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدَهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل [6]** » رواه مسلم. (ثم) إذا كنت أهلًا للجهاد بالكلمة .. فإنه ينبغى عليك أن تنفذ ما ورد : (عن) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : «**إذا تخوف أحدكم السلطان [7] فليقل: اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم كن لى جارًا من شر فلان ابن فلان - يعنى الذى يريده - وشر الجن والإنس وأتباعهم أن يَفْرُط عَلَىَّ أحدٌ منهم، عَزَّ جارك، وجَلَّ ثناؤك، ولا إله غيرك** » رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح إلا جنادة بن سلم ، وقد وثق ، ورواه الأصبهانى، وغيره موقوفًا على عبد الله لم يرفعوه [8].والله الحافظ والمستعان على مواجهة الظالمين فى كل مكان وزمان .. إعلاء لكلمة الله ..

---

(١) يعنى أمره بالمعروف ونهاه عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة .

(٢) الحواري: هو الناصر للرجل، والمختص به، والمعين. وكان الزبير بن العوام حوارى رسول الله ﷺ.

(٣) أى يتبعونها ويتمسكون بها .

(٤) أى يهتدون بهديه ويجرون على طريقته .

(٥) جمع خَلَف : كل من يجيء بعد من مضى.

(٦) وهى مَثَل فى الصغر والحقارة ..أى من ترك جهادهم بأحد هذه الثلاثة فقد خلا من الإيمان .

(٧) أى: خاف من ظلمه وغشمه وتسلطه .

(٨) انظر (الترغيب والترهيب) ج ٣ص ٣٣٦بتصرف .

وتثبيتًا لدعائم الحق المبين .

١١) أي النـاس أشد بـلاء .. يا رسول الله ..؟

عن مصعب بن سعد عن أبيه ﷺ قال : قلت : يا رسول الله أى الناس أشد بلاء ؟ قال : « **الأنبياء ثم الأَمْثَل فالأمثل، يُبْتَلى الرجل على حَسب دينُه فإن كان دينه صُلْبًا اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه، فما يَبْرَحُ البلاء بالعبد حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة** » رواه ابن ماجه وابن أبى الدنيا والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

** (ففي) هذا الحديث الشريف – موضوع الفتوى – يجيب النبى ﷺ على هذا التساؤل الهام الذى نريد جميعا أن نقف على إجابته. وهو : « **أى الناس أشد بلاء ؟** » أى أعظمهم امتحانا بالشدائد والكروب .. فكان جوابه صلوات الله وسلامه عليه هو : « **الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل** » : أى الأنبياء أولًا وهم أعظم الناس بلاء ثم الأفضل فالأفضل وهو المقارب لهم فى الفضل والطاعة والإيمان ... ثم يقول الرسول ﷺ : « **يبتلى الرجل** » أى يختبر الرجل ويمتحن « **على حسب دينه** » أى على قدر دينه فى الشدة والضعف « **فإن كان دينه صلبا** » أى قويًا ثابتا غير مهتز ولا ضعيف « **اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقة** » أى ضعف ووهن « **ابتلاه الله على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة** » أى ما يزال البلاء يتتابه المرة بعد المرة حتى ينقيه من ذنوبه كلها فيمشى على الأرض لا يحمل ذنبا .

* (ولابن) حبان فى صحيحه من رواية العلاء بن المسيِّب عن أبيه عن سعد قال : سئل رسول الله ﷺ : أى الناس أشد بلاء ؟ قال : « **الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبْتَلَى الناس على حسب دينهم ، فمن ثَخُن (١) دينه اشتد بلاؤه ، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه ، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى فى الناس ما عليه خطيئة** » .

** (فعلى) الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا ما جاء فى هاتين

---

(١) أى غلظ وعظم والثَّخين ضد الرقيق.

الروايتين حتى يكونا أهلا لابتلاء الله تعالى لهما ... وحتى يكونا إن شاء الله من الذين سيمشون على الأرض بدون خطيئة كما أخبر الرسول ﷺ ... والله ولى التوفيق .

١٣) متى الساعة، وكيف أعد نفسي لها .. يا رسول الله ؟

عن أنس رضي الله عنه أن رجلا سأل رسول الله ﷺ : متى الساعة (١)؟ قال: « **وما أعددت لها** (٢)؟ » قال:لا شيء إلا أنى أحب الله ورسوله . قال: « **أنت مع من أحببت**» قال أنس : فما فرحنا بشيء فرحنا (٣) بقول النبى ﷺ : «**أنت مع من أحببت**».

قال أنس : فأنا أحب النبى ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبى إياهم. رواه البخارى ومسلم.

** (ففي) هذا الحديث الشريف المتفق عليه يجيب النبى ﷺ على السؤال الذى وجهه إليه الرجل عن الساعة ؟ بسؤال أهم منه ، وهو : « **وما أعددت لها** ؟ » أى : وأى شيء من الأعمال الصالحة قدمته استعدادا لها .. فكان جواب الرجل هو (لا شيء إلا أنى أحب الله ورسوله) أى : لم أقدم لها كثير صلاة ولا صيام إلا ما فرض الله علىّ .. ولكنى أعددت لها حبًّا لله ولرسوله ﷺ : فقال له النبى ﷺ : « **أنت مع من أحببت** » أى فى الجنة بحسب نيته من غير زيادة عمل .. لأن محبته لهم كطاعتهم والمحبة من أفعال القلوب ، فأُثيب على معتقده لأن النية الأصل والعمل تابع لها . كما قال القسطلانى.

ولا شك أن هذا القول المحمدى كان بشارة عظيمة لهؤلاء الذين صدقوا فى حبهم لله ورسوله والصالحين من سلف هذه الأمة وإن لم يبلغوا مبلغهم فى العمل ... كما ورد أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ كان قد مرض ونحل جسمه وبدا عليه الهم والاكتئاب ، فسأله رسول الله ﷺ عن سبب ذلك ؟ فقال له : يا رسول الله ذكرتُ أنك فى الجنة تكون فى الدرجات العُلَى ونحن أسفل منك فلا نراك ونحن لا نصبر عن فراقك هنا لحظة. (فنزل) قول الله تعالى : ﴿وَمَنْ

---

(١) أى فى أى زمان تقوم الساعة وهى يوم القيامة.
(٢) يعنى وأى شيءٍ من الأعمال الصالحة قدمته استعدادا لها .
(٣) أى كفرحنا بما قاله النبى ﷺ .

يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩].

(ولهذا) فقد فرح الأصحاب جميعا بهذه البشارة العظيمة .. (قال) أنس : فما فرحنا بشىء فرحنا بقول النبى ﷺ : « **أنت مع من أحببت** » قال أنس : فأنا أحب النبى ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبى إياهم.

* (وفى) رواية للبخارى : أن رجلا من أهل البادية[١] أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله : متى الساعة قائمة ؟ قال : « **ويلك ، وما أعددت لها ؟** » قال : ما أعددت لها إلا أنى أحب الله ورسوله . قال: « **إنك مع من أحببت** » قال : ونحن كذلك ؟ قال : « **نعم** » ففرحنا يومئذ فرحا شديدا .

** (فعلى) الأخ المسلم والأخت المسلمة أن ينتفعا بهذه الفتوى.. اقتداءً بأنس بن مالك وجميع أصحاب الرسول ﷺ والتابعين لهم بإحسان، وجميع سلف هذه الأمة، وأئمتها الهادين المهتدين رضي الله عنهم أجمعين .

(مع) ملاحظة أن الحُبَّ الصادق لله ورسوله لا بد وأن يكون عملا وتطبيقا ... وإلا كان كذبا وادِّعاءً ... والله الموفق للصواب[٢] .

١٣) ماذا قال الرسول ﷺ لأسامة بن زيد بعد أن كلّمه فى أمر المرأة المخزومية التى سرقت .... ؟

عن عائشة رضي الله عنها أن قريشا أهَمّهُم[٣] شأن المرأة المخزومية[٤] التى سرقت ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟! فقالوا : ومن يتجرئُ عليه إلا أسامة ابن زيد، حِبُّ رسول الله ﷺ ؟ فكلمه أُسامة. فقال رسول الله ﷺ : « **أتشفع فى حَدٍّ من حدود الله تعالى ؟** » ثم قام فاختطب، ثم قال : : « **إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق**

(١) وهم سكان الخيام .
(٢) ارجع إلى (الترغيب والترهيب) ج ٤ ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ مع الهامش .
(٣) أى جلب لهم الهم والقلق ، لأن هذه المرأة كانت من الأشراف فخاف أهلها وعشيرتها أن يقطع الرسول ﷺ يدها فبحثوا لها عن طريق الخلاص .
(٤) نسبه إلى بنى مخزوم - وهى قبيلة من قبائل قريش وإليها ينتسب خالد بن الوليد رضي الله عنه .

فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأَيْمُ [1] الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها » متفق عليه .

ففى الحديث الشريف ومن خلال هذه الفتوى .. يضع النبى ﷺ الأُسس القوية فى بناء عدالة الإسلام الذى لم يفرق بين غني وفقير ، أو أعجمى أو عربى إلا بالتقوى. (ولهذا) فإن كلمة الرسول ﷺ التى قالها لأسامة بن زيد: « **أتشفع فى حد من حدود الله تعالى ؟** »ستظل تدوى فى عالم الوجود ... لكى تُعلِمَ الناس بأنه لا مجاملة لأحد على حساب شرع الله الذى فرضه (وكذلك) كلمته صلوات الله وسلامه عليه فى خطبته التى قال فيها بعد ذلك واضعا النقط على الحروف فى ميزان العدل الإسلامى فى أسمى معانيه : « **والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها** » : أنه صلوات الله وسلامه عليه يضرب أروع مثل فى تطبيق مبدأ العدالة والمساواة دون تفريق أو تمييز . (وحاشا) للسيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ التى تربت فى بيت النبوة أن تسرق أو أن يقع منها ما يُوجِب عليها الحد [2].

** فعلى جميع المسلمين والقضاة بصفة خاصة أن يلاحظوا هذا ... حتى يكونوا من أهل العدل ... لأن العدل أساس الملك .. ولأن العدل إن دام عمَّر، والظلم إن دام دمَّر ... والله ولى التوفيق .

١٤) أيُحشَرُ الكافر على وجهه يا رسول الله ؟

عن أنس رضي الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله ، قال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان: ٣٤] أيحشر الكافر على وجهه [3]؟ قال رسول الله ﷺ : « **أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه؟** » قال قتادة حين بلغه: بلَىَ وعزة ربنا رواه البخارى ومسلم .

وتمام الآية التى كانت سببا فى السؤال هى : ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلا﴾ [الفرقان: ٣٤] أى يسحبون على وجوههم إلى النار كما قال تعالى: ﴿ إِذِ الأَغْلالُ فِي

(١) قسم بالذات المقدسة معناه قسم الله .

(٢) كما جاء فى كتاب (من كنوز السنة) للأستاذ محمد على الصابونى ص ٥٩ .

(٣) يعنى أيمشى الكافر إلى المحشر على وجهه وكيف يتأتى له ذلك .

أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر:٧٢] .

** وفى رواية : « **إن الذى أمشاه على رجليه قادرٌ على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة** » وقد خلق الله الزواحف فى الدنيا تمشى على بطونها كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ [النور: ٤٥] .

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق[١] : راغبين وراهبين ، واثنان على بعير ، وثلاثة على بعير ، وعشرة على بعير، وأربعة على بعير، ويحشُر بقيتَهم النارُ تَقِيلُ[٢] معهم حيث قالوا، وتَبيت معهم حيث باتوا ، وتُصبح معهم حيث أصبحوا، وتُمسى معهم حيث أمسوا** » رواه البخارى ومسلم.

*(وعنه) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب فى الأرض عَرَقُهم سبعين ذراعا، وإنه يلجمهم[٣] حتى يبلغ آذانهم** » رواه البخارى ومسلم .

*(وعن) ابن عمر رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال : ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال : «**يقوم أحدهم فى رشحه[٤] إلى أنصاف أذنيه** »[٥] رواه البخارى ومسلم واللفظ له، ورواه الترمذى مرفوعا وموقوفا وصحح المرفوع.

** فاذكر كل هذا أخا الإسلام واعمل له ألف حساب حتى تكون إن شاء الله تعالى من المؤمنين الذين سيحشرون ركبانا ... مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا اللهم آمين .

---

(١) طرائق جمع طريقة : وهى الحالة .
(٢) أى تنام معهم فى وقت القيلولة .
(٣) يعنى أنه يغمرهم حتى يصل إلى أفواههم فلا يقدرون على النطق .
(٤) أى فى عرقه وذلك حين تدنو الشمس من رؤوسهم ويشتد بهم الحر والكرب .
(٥) أى إلى صماخ الأذن فوق الشحمة .

١٥) ما قولك فى العزل ... يا رسول الله .... ؟

عن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل عن العزل ، فقال : «**أَوَ إنَّكم تفعلون ذلك ؟ لا عليكم أن لا تفعلوا ذلك، فإنها لَيْسَتْ نَسَمة كَتَبَ الله أن تخرج إلا وهى خارجة** » أخرجه البخارى ومسلم، وابن ماجه[١].

* وعن وائلة بن الأسقع ﷺ قال : أتى النبى ﷺ نفر من بنى سليم فقالوا : يا رسول الله، إنا نصيب نساءنا وإنا لنعزل عنهن ؟ قال : « **وإنكم لتفعلون ؟** » قالوا : نعم. قال : « **ما من نسمة أراد الله أن تخرج من صُلْبِ رَجُلٍ إلا وهى خارجة إن شاء وإن أبى فلا عليكم ألا تفعلوا** » رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

** ففى هذين الحديثين الشريفين يجيب النبى ﷺ على هذا التساؤل الهام ألا هو المتعلق بموضوع (العزل) الذى هو (قذف النطفة خارج الرحم عند الإحساس بنزولها)، وقد جاء فى الصحيحين عن جابر ﷺ قال : (كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل) وفى صحيح مسلم قال : (كنا نعزل على عهد رسول الله فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فلم ينهنا)، وجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ! إن لى جارية وأنا أعزل عنها، وأنى أكره أن تحمل وأنا أريد ما يريد الرجال، وإن اليهود تحدث : أن العزل الموؤدة الصغرى !! فقال عليه الصلاة السلام : « **كذبت اليهود . ولو أراد الله أن يخلقه ما استطعت أن تصرفه** » أخرجه أصحاب السنن .

(ومراد) النبى ﷺ : أن الزوج – مع العزل – قد تفلت منه قطرة تكون سببا فى الحمل وهو لا يدرى .

* (وفى) مجلس عمر بن الخطاب ﷺ : تذاكروا العزل ، فقال رجل : إنهم يزعمون أنه الموؤدة الصغرى فقال على ﷺ : لا تكون موؤدة حتى تمر عليها الأطوار السبعة ، حتى تكون سلالة من طين ، ثم تكون نطفة ، ثم علقة، ثم

(١) انظر نيل الأوطار للشوكانى ج ٦ ص ١٦٧ كتاب النكاح (باب : ما جاء فى العزل) ففيه أحاديث كثيرة .

مضغة ، ثم عظاما ، ثم تكسى لحما ، ثم تكون خلقا آخر . فقال عمر : صدقت أطال الله بقاءك.

** (والأطوار السبعة) هى المشار إليها فى قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٢-١٤] .

** (تلك) هى الخلاصة التى ينبغى علينا أن نكتفى بها غير أنه ينبغى علينا كذلك أن نقف على مسوغات هذا العزل ، أو تنظيم النسل التى ذكرها صاحب كتاب (الحلال والحرام فى الإسلام) تحت عنوان :

مسوغات لتنظيم النسل

حيث يقول : من أول هذه الضرورات .

* الخشية على حياة الأم أو صحتها من الحمل أو الوضع ، إذا عرف بتجربة أو إخبار طبيب ثقة ، قال تعالى : ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] وقال : ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

* ومنها الخشية فى وقوع حرج دنيوى قد يفضى به إلى حرج فى دينه ، فيقبل الحرام ، ويرتكب المحظور من أجل الأولاد ، قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، وقال : ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [المائدة: ٦].

* ومن ذلك الخشية على الأولاد أن تَسُوء صحتهم أو تضطرب تربيتهم . وفى (صحيح مسلم) عن أسامة بن زيد أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ، إنى أعزل عن امرأتى فقال له رسول الله ﷺ : « **لم تفعل ذلك ؟** » فقال الرجل : أُشْفِقُ على ولدها – أو قال – على أولادها . فقال

رسول الله ﷺ : « **لو كان ضارًا ضَرَّ فارس والروم** »[1] وكأنه عليه الصلاة والسلام رأى أن هذه الحالات الفردية لا تضر الأمة فى مجموعها بدليل أنها لم تضر فارس والروم – وهما أقوى دول الأرض حينذاك.

* ومن الضرورات المعتبرة شرعا : الخشية على الرضيع من حمل جديد ، ووليد جديد ، وقد سمى النبي ﷺ الوطء فى حالة الرضاع وطء الغِيلة أو الغَيْل لما يترتب عليه من حَمْلٍ يُفْسد اللبن ويُضْعِف الولد، وإنما سماه غَيْلا أو غِيلة، لأنه جناية خفية على الرضيع فأشبه القتل سرًّا .. ثم يقول .

** (وكان) عليه الصلاة والسلام يجتهد لأمته فيأمر بما يُصْلِحُها، وينهاها عما يضرَّها. (وكان) من اجتهاده لأمته أن قال : « **لا تقتلوا أولادكم سرًّا فإن الغَيْل يُدِرك الفارسَ فَيُدَعْثِرَه** »[2]. ولكنه صلوات الله وسلامه عليه لم يؤكد النهى إلى درجة التحريم ... (ذلك) لأنه نظر إلى الأمم القوية فى عصره فوجدها تصنع هذا الصنيع ولا يضرهم – فالضرر إذًا غير مطرد – هذا مع خشيته العنت على الأزواج لو جزم بالنهى عن وطء المرضعات ومدة الرضاع قد تمتد إلى حَوْلَين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة . لذلك كله قال : « **لقد هَمَمْتُ أن أنهى عن الغيلة ثم رأيت فارس والروم يفعلونه ولا يضر أولادهم شيئا** »[3]. ثم يقول : قال ابن القيم رحمه الله فى بيان الصلة بين هذا الحديث والحديث السابق – لا تقتلوا أولادكم سرًّا – (أخبر النبى ﷺ فى أحد الجانبين أنه – أى الغيل – يفعل فى الوليد مثل ما يفعل من يصرع الفارس عن فرسه كأنه يُدَعْثِرَه ويصرعه، وذلك يوجب نوع أذى ولكنه ليس بقتلٍ للولد وإهلاكٍ له، وإن كان قد يترتب عليه نوع أذى للطفل، فأرشدهم إلى تركه ولكنه لم ينه عنه – أى نهى تحريم – ثم عزم على النهى سدًّا لذريعة الأذى الذى ينال الرضيع فرأى أن سدَّ هذه الذريعة لا يقاوِم المفسدة التى تترتب على الإمساك عن وطء النساء مدة الرضاع، ولا سيما من الشباب وأرباب الشهوة التى لا

(١) أخرجه مسلم .
(٢) أخرجه أبو داود .
(٣) أخرجه مسلم .

يكسرها إلا مواقعة نسائهم، فرأى أن هذه المصلحة أرجح من مفسدة سد الذريعة ، فنظر ورأى الأمّتين – اللتين هما من أكثر الأمم وأشدها بأسا – يفعلونه ولا يتقونه مع قوتهم وشدتهم فأمسك عن النهى عنه)[1] .

** إلى آخر ما ذكر صاحب كتاب (الحلال والحرام ..) أكرمه الله .. ثم أشار بعد ذلك إلى موضوع هام قال فيه ، تحت عنوان :

إسقاط الحمل

وإذا كان الإسلام قد أباح للمسلم أن يمنع الحمل – بالعزل ، أو بأية وسيلة من الوسائل تمنع الحمل – لضرورات تقتضى ذلك فلم يُبِح له أن يجنى على هذا الحمل بعد أن يوجد فعلا .. ثم يقول :

واتفق الفقهاء على أن إسقاط الحمل بعد نفخ الروح فيه : حرام وجريمة، ولا يحل للمسلم أن يفعله لأنه جناية على حَيٍّ، مُتكامِلِ الخَلْق، ظاهر الحياة، قالوا : لذلك وجبت فى إسقاطِهِ الدية إذا نزل حيًّا ثم مات، وعقوبة مالية أقل منها إن نزل ميتا ...(ولكنهم) قالوا: إذا ثبت عن طريق موثوق به أن بقاءه – بعد تحقُّقِ حياته هكذا – يؤدى لا محالة إلى موت الأم، فإن الشريعة بقواعدها العامة تأمر بارتكاب أخف الضررين .. فإذا كان فى بقائه موت الأم، وكان لا منفذ لها سوى إسقاطه، كان إسقاطه فى تلك الحالة متعينا، ولا يضحَّى بها فى سبيل إنقاذه، لأنها أصله وقد استقرت حياتها، ولها حظٌّ مستقل فى الحياة، ولها حقوق وعليها حقوق، وهى بعد هذا وذاك عماد الأسرة، وليس من المعقول أن نضحى بها فى سبيل الحياة لجنين لم تستقل حياته، ولم يحصل على شىء من الحقوق والواجبات[2] ... إلى أن يقول بعد ذلك : وقال الإمام الغزالى يفرق بين منع الحمل وإسقاطه : (ليس هذا – أى : منع الحمل – كالإجهاض والوأد، لأن ذلك جناية على موجود حاصل. والوجود له مراتب. وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة فى الرحم وتختلط بماء المرأة، وتستعد لقبول

(١) (مفتاح دار السعادة) لابن القيم ص ٦٢٠ ، وانظر (زاد المعاد) ج ٤ ص ١٦ وما بعدها (ط) صبيح .
(٢) الفتاوى للشيخ شلتوت ص ٤٦٤ .

الحياة وإفساد ذلك جناية، فإن صارت نطفة فعلقة، كانت الجناية أفحش، وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقة، ازدادت الجناية تفاحشا، ومنتهى التفاحش فى الجناية هى بعد الانفصال حيًا)[1].

** فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل تلك الأحكام والحقائق المتعلقة بتنظيم النسل ... وإسقاط الحمل – والعياذ بالله – مع ملاحظة : أن تحديد النسل – بمعنى الاكتفاء بولد أو ولدين – حرام ... لأنه يتعارض مع أول أغراض الزواج وهو بقاء النوع الإنسانى الذى به ستحقق الخلافة فى الأرض ... لكى يكون هناك البناء والتعمير والزرع والحصد ... ومسايرة كل أنواع الحضارة الإنسانية التى تؤكد وجود هذا الإنسان الذى سخر الله له كل شىء فى هذا الوجود تيسيرًا لرسالته فى عالم الحياة المستقرة ... إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ... (وقد) حثت الشريعة الإسلامية[2] على مبادئ القوة ، واتساع العمران ، وكثرة الأيدى العاملة، وعلى تهيئة ما تعمل فيه تلك الأيدى ، وحثت على الزواج وامتن الله على الناس بنعمة البنين والحفدة كأثر من آثار الزواج ، وطمأن النفوس على الرزق فقال : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل:٧٢] .

** أسأل الله تبارك وتعالى ... أن ينفعنا بكل هذا وأن يجعله حُجَّة لنا لا علينا ... اللهم آمين .

١٦) ما هو البر ... ما هو الإثم ...... يا رسول الله ؟

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال : « **البر حسن الخلق، والإثم ما حاك فى صَدْرِك، وكرهتَ أن يَطَّلِع عليه الناس** » رواه مسلم والترمذى.

** ففى هذا الحديث الشريف الصحيح يجيب النبى ﷺ على سؤال من

---

(١) الإحياء، ربع العادات ... كتاب النكاح : ٤٧ .

(٢) كما جاء فى الفتاوى للشيخ شلتوت – رحمه الله تعالى – ص ٢٩٦ .

أهم الأسئلة الدينية التى ينبغى على كل مسلم أن يعرف الإجابة عليه [1]... وهو (عن البر والإثم) وقبل أن ندور حول هذا المعنى المراد من (البر والإثم) ، فإنه لا بد وأن يلاحظ أن (البر) اسم جامع لكل الخير، وأن (الإثم) اسم جامع لكل شر. وقد قيل : إن البر[2] اسم جامع لخصال الخير، وكل فعل مَرضِيٍّ ...

(وإن) الإثم هو الخطيئة وفعل ما لا يحل .. ويقال : تأثَّم من كذا أى : كَفَّ عنه وتحرج من فعله ..

** (هذا)، وإذا كان المراد من هذه الفتوى هو إجابة الرسول ﷺ التى يقول فيها : « **البِّر حسن الخلق** » : فقد قيل فى توضيح هذا : إن أُرِيدَ بحسن الخُلُق التخلق بالأخلاق الشرعية والتأدب بآداب الله التى شرعها لعباده من امتثال أمره ،واجتناب نهيه : كان الحصر فى الجملة حقيقيّا .

(وإن) أريد به طلاقةُ الوجه، وكَفُّ الأذى، وبذلُ النَّدى ... وأن يحب للناس ما يحب لنفسه : كان الحصر إضافيّا .. بمعنى أنه بالغ فى حُسْن الخُلُق.. فجعله كل البر ، وإن كان البر مشتملا على غيره من الخصال الحميدة (قالوا) ويظهر أن جعله حقيقيّا أولى لأنه الموافق لظاهر حال النواس من سؤاله عن سائر أنواع البر .. (وأقول) : إن البر هو الجامع لكل هذا .. (حقيقيا وإضافيا) كما أشار الله تعالى على هذا فى آية البر التى يقول سبحانه وتعالى فيها : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧] .

فهذه الآية الكريمة – على إيجازها – صورت جميع مكارم الأخلاق ..

---

(١) أو عليها بالنسبة للأسئلة الدينية الهامة كلها .

(٢) وأما البر بفتح الباء، فهو اسم من الأسماء الحسنى ويقال: بَرَّ فلان ربه بمعنى أطاعه، ويقال: بَرَّ حجُّك بمعنى قُبِل .. وَبَرَّتْ يمينُك أى : صدقت .

(فقد) جمعت بين الإيمان والعمل ، وبين حقوق الله وحقوق العباد ، وبين جهاد النفوس وجهاد الأعداء ، وبين صلاح الأفراد والجماعات .

(ولهذا) فإنه حسبنا إذا أردنا أن نكون من أهل البر : أن نكون من المتخلقين بأخلاقهم المشار إليها فى نص هذه الآية الكريمة .. التى ختمها الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] .

** وقد ورد فى السنة الشريفة كذلك ما يرغب فى حسن الخلق الذى هو كمال الإيمان وجماله :

* فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : لم يكن رسول الله ﷺ فاحشا ولا متفحشا، وكان يقول: « **إن مِنْ خِيارِكم أَحْسنُكم أخلاقا** »[1] رواه البخارى ومسلم والترمذى.

* وعن أبى الدرداء رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « **ما من شىءٍ أَثْقَلُ فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلُق حَسَنٍ**[2] ، **وإن الله يُبغِضُ الفاحش البذىء**[3] » رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه وقال الترمذى : حديث حسن صحيح، وزاد فى رواية له : « **وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به دَرَجةَ صاحب الصوم والصلاة** [4] » ورواه بهذه الزيادة البزار بإسناد جيد ، لم يذكر فيه : (الفاحش البذىء) : ورواه أبو داود مختصرا قال : « **ما مِنْ شىء أثقل فى الميزان من حُسْن الخلق** [5] » .

** وأما عن المراد من قول الرسول ﷺ : « **الإثم ما حاك فى صدرك** » أو « **فى نفسك** » كما فى رواية أخرى ، أى : أَثَّر فيها نُفْرةً وحرارة ، والمراد أن ما يُعَدُّ عند الناس من القبائح ولم يعلم حكمه من الشرع ، فأثر فى النفس نفرة وكره صاحبه أن يطلع الناس عليه : يكون إثما .. (وإنما) أحال ﷺ السائل

(١) يعنى أكثركم حظًّا من الخلق الحسن .
(٢) وهو كما تقدم بشاشة الوجه ، ولين الكلام ، وكف الأذى وبذل الندى ... إلخ .
(٣) **البذىء** : هو المتكلم بالفحش ، ورديء الكلام .
(٤) يعنى انه : بحسن خلقه إلى درجة من يصوم النهار ويقوم الليل .
(٥) وفى رواية : « **أثقل ما يوضع فى الميزان خلق حسن** » .

على هذا الإدراك القلبى لما أَنِسَهُ فيه من جودة الفهم، واستنارة القلب، وإلا فهو لا يناسب غليظ الطبع بليد الفهم ... بل هذا لا بد أن نفصل له الأوامر والنواهى الشرعية .

** ومعنى قوله ﷺ بعد ذلك عن الإثم : « **وكرهت أن يَطَّلعَ عليه الناس** » : فإن وجه كون كراهة اطلاع الناس على الشىء يدل على أنه إثم؛ أَنَّ النفسَ بطبعها تُحب اطلاع الناس على خيرها وبرها، وتكره ضد ذلك .. (فبكراهتها) اطلاع الناس على فعلها يُعلم أنه إثم .. وقد استفيد من السياق.. أن للإثم علامتين لكنهما مُتلازِمتان .. لأن نفرة النفس من الشىء تستلزم كراهة اطلاع الناس عليه، وبالعكس. قيل : إن كُلًا منهما علامة مستقلة .. فالفعل إن وجد فيه الأمران كالزنا فهو إثم قطعا، وإن انتفيا عنه كالعبادة والأكل فَبِرٌّ قَطْعًا .. وإن وُجِدَ فيه أحدهما احتمل البر والإثم .. فيكون من المشتبه كما فى حديث الحلال والحرام . والوجه الأول أولى وأظهر... والله أعلم .

** فعلى الأخ المسلم ... والأخت المسلمة ... أن يفهما المراد من كل هذا وينفذاه بالنسبة للبر الذى هو جماع كل خير ... والذى هو حُسْن الخلق كما قال صلوات الله وسلامه عليه .. وعليهما أن يحذرا الوقوع فى شباك الآثام التى يصطاد الشيطان الرجيم بها الذين لا خَلاق لهم .. من الغافلين اللاهين اللاعبين ... الذين لا بد وأن ينتبهوا قبل فوات الأوان ... وأن يجاهدوا شياطين الإنس والجن حتى ينتصروا عليهم .... وأن يعودوا إلى الله تعالى سريعا بالتوبة الصادقة ... مع اعتقادهم الجازم بأن الله تعالى غفور رحيم .... وأنه سبحانه وتعالى أَحَنُّ على عبده من الوالدة على ولدها .. نسأله سبحانه وتعالى أن يقبل توبتنا أجمعين ... اللهم آمين .

١٧) يا رسول الله هذا لك ولأهل بيتك خاصة ؟

عن عمران بن حصين رضي الله عنه : أن النبى ﷺ قال : « **يا فاطمة قومى**

فاشهدى أُضْحَيَتك[1] **فإنه يغفر لك عند أول قطرة من دمها، كُلَّ ذنب عَمِلتِيه، وقولى:** ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاى وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ﴿لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ[2] الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣] . قال عمران : يا رسول الله هذا لك ولأهل بيتك خاصة – فأهلُ ذلك أنتم – أو للمسلمين عامة ؟ قال : « **بل للمسلمين عامة** » أخرجه الطبرانى فى الكبير والحاكم .

** ففى هذا الحديث يرغب النبى ﷺ فى أن يحضر المُضَحِّى الذبح بنفسه حتى ولو أناب غيره بالذبح إذا كان لا يحسنه – ولو بالأجرة[3] – وإن كان من المستحب – إذا كان بحسن الذبح أن يذبح أضحيته بنفسه، كما فعل رسول الله ﷺ : فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبى ﷺ (ضحى بكبشين أملحين أقرنين، ذبحهما بيده، وسمى وكَبَّر ورفع رجلَه على صِفاحِهما[4]) أخرجه البخارى ومسلم .

* ويستحب – كذلك – فى الأضحية أن تكون أكثر لحمًا، أو أجوده – خلافا للفقهاء فى ذلك – فقد قال المالكية : المستحب فيها جودة اللحم. وقال غيرهم: المستحب فيها كثرة اللحم .

* ويستحب للمضحى إذا أراد أن يذبح أضحيته بنفسه أن يُحِدَّ شَفْرته – أى سِكِّينه – ويُرِحَ ذبيحته.

* فعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله كتب**

(١) أى احضرى ذبحها لترى دمها وهو يسقط على الأرض .

(٢) استبدل اللفظ (بمن) ليناسب صيغة الدعاء فقط.. ثم قل بعد ذلك: اللهم تقبل منى كما تقبلت من إبراهيم خليلك ومحمد حبيبك: ثم قل عند الذبح: بسم الله والله أكبر اللهم إن هذا منك وإليك فتقبل من عبدك القائم بين يديك.

** ويستحب بعد الذبح أن تتصدق بالأفضل، وتهدى الوسط، وتأخذ أنت الأقل.. حتى لا تحرم من الثواب إن شاء الله.

(٣) على أن لا يعطيه أجره من لحم الأضحية .. بل عليه أن يعطيه أجره المتفق عليها أولا .. ثم بعد ذلك إن رأى أنه فعلا من الفقراء أعطاه قطعة من اللحم كصدقة .

(٤) **الأملح** : الأبيض الخالص، والأقرن: أى الذى له قرنان معتدلان. وعلى (صفاحهما) أى على جانب عنق كل واحد منهما.

الإحسان[1] على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة[2]، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة [3]، وليحدَّ أحدُكم شَفْرته [4]، ولْيُرِح ذبحته [5]» رواه مسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائي، وابن ماجه [6]وقد ورد كذلك فى السنة حول المعنى المراد من قول الرسول الرحيم ﷺ : « **ولْيُرِحْ ذبحته** » :

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : **مرَّ رسول الله ﷺ على رجلٍ واضع رِجلَه على صَفْحة شاةٍ [7]، وهو يُحِدُّ شَفْرته[8]، وهى تَلْحَظُ إليه ببصرها [9]- أفلا قبل هذا[10]؟ أو تريد أن تميتها موتتين** [11] رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح ورواه الحاكم إلا أنه قال : « **أتريد أن تميتها موتات[12]، هلا أَحْدَدْتَ شفرتك قبل أن تضجعها[13]** » وقال: صحيح على شرط البخارى كما ورد كذلك فى السنة التحذير من قتل العصفور ونحو ذلك تَلَهِّيًا ولَعِبًا :

* فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **ما من إنسان يقتل**

---

(١) **الإحسان**: هو إتقان العمل وإجادته ، ومعنى كتابته أن الله أمر به أمرًا مؤكدا فى كل ما تقومون به من أعمال كما فى الحديث الآخر : ((**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يحسنه**)) .

(٢) القِتلة : بكسر فسكون هى الحالة والهيئة التى عليها القتيل .

(٣) الذِّبحة بكسر الذال وبالهاء كالقتلة وهى الهيئة الحاصلة .

(٤) يُقال: أحدَّ السكين وحددها واستحدها يعنى شحذها.

(٥) أن يضجعها للذبح - على الجانب الأيسر - برفق وسهولة.

(٦) يعنى رواه الجماعة إلا البخاري.

(٧) أى على جانبها بعد ما أضجعها.

(٨) أى يشحذ شفرته قبل الذبح .. والمطلوب منه أن يفعل هذا قبل أن يضجعها .. حتى لا يعذبها .

(٩) **اللحظ** : النظر بمؤخر العين عن يمين ويسار .

(١٠) يعنى أفلا شحذت شفرتك قبل أن تضجع ذبيحتك حتى لا تشق عليها بالنظر إلى السكين .

(١١) أى أو تريد أن تجعلها تموت من الرعب قبل أن تموت بالسكين .

(١٢) وذلك لأن كل لحظة تمر عليها وهى تنظر إلى الشفرة فى يده موتة فيكون قد حصل عليها موتات كثيرة .

(١٣) إنه يلومه على أنه لم يحد شفرته قبل إضجاع ذبيحته .

عصفورا، فما فوقها(١) **بغير حقها** (٢)**إلا يسأله الله عز وجل عنها**». **قيل**: يا رسول الله وما حقها؟ **قال**: «**أن يذبحها فيأكلها**(٣)، **ولا يقطع رأسها، ويرمى بها**». رواه النسائى والحاكم وصححه.

* وعن الشريك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من قتل عصفورا عبثا عَجَّ**(٤) **إلى الله يوم القيامة يقول: يا رب إن فلانا قتلنى عبثا ولم يقتلنى منفعة**(٥) » رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه.

*ويجب على كل مَنْ هَمّ بالذبح، أن يسمى الله عز وجل، ويكبره، فيقول عند وضع السكين على الرقبة: باسم الله والله أكبر (٦).

وذلك لقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾ [الحج: ٣٦] (٧) فإن نسى التسمية فلا شىء عليه، وإن تعمد تركها لا تؤكل ذبيحته (٨).

* وينبغى للمضحى أن يبتغى بأضحيته وجه الله عز وجل حتى ينال رضوانه، وعظيم ثوابه:

فقد روى عن حُسَين بن على ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ضحى طيبة بها** (٩) **نفسه، محتسبا لأضحيته**(١٠) **كانت له حجابا من النار** (١١) » رواه

(٤) أى أكبر منها حجما مثل الحمامة ونحوها.
(٢) يعنى لم يدخله لقصد صحيح وهو أن ينتفع بأكله ولكنه يفعل ذلك تلهيا ولعبا.
(٣) فإنه حينئذٍ سيكون قد قتلها بحقها.. لأنها أساسا ما خُلقت إلا لمنفعة المسلمين.
(٤) العَجّ: رفع الصوت بالتلبية.
(٥) أى بقصد الانتفاع بلحمه أو بغيره.
(٦) لأن الله تعالى يقول: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، وفى الصحيحين أنه ﷺ حين ذبح أضحيته قال: «باسم الله». ولو لم يسم حلت لأن الله تعالى أباح ذبائح أهل الكتاب وهم لا يسمون غالبا.
(٧) وهذه الآية تشير إلى أنه من السنة نحر الإبل قائمة معقولة يدها اليسرى... ثم تطعن بالحربة (السكين) فى الوهدة التى بين أصل الصدر والعنق.
(٨) والله أعلم.
(٩) أى حال كون نفسه راضية بذلك ومنبسطة له.
(١٠) أى طالبا ثوابها من الله عز وجل... ولا يقصد بها الرياء ولا مجرد اللحم كما يفعل كثير من جهلة المسلمين.
(١١) يعنى أنها تقيه وتمنعه من دخول النار.

الطبرانى فى الكبير .

* ويستحب للمسلم أن يأكل من أضحيته وأن يطعم منها أهله، وجيرانه، وأصدقائه، والفقراء، والمساكين ومن المسلمين .. بل ومن غير المسلمين أيضا عند كثير من الفقهاء [١].

واستحب بعض الفقهاء أن يقسمها ثلاثة أثلاث : ثلث لأهله [٢]، وثلث لجيران وأصدقائه، حتى ولو كانوا من الأغنياء على سبيل الهدية، وثلث للفقراء والمساكين . قال فى (الفقه الواضح [٣] : وليس شرطا أن يكون الذى أطعمه أهله فى حدود الثلث، بل لو أطعم أهله النصف، أو الثلثين، جاز .. لأنه لا يوجد فى الكتاب ولا فى السنة حد معين، وكل ما هنالك أن الله تعالى أمر بالأكل منها، وإطعام القانع والمعتر فقال تعالى فى سورة الحج : ﴿وَالْبُدْنَ [٤] جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ [٥] فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا [٦] فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ [٧] وَالْمُعْتَرَّ [٨]﴾ [الحج: ٣٦] والرسول ﷺ كان يأكل من أضحيته، دون أن يُحِدَّ لذلك حَدًّا، فربما أكل الثلث، وربما زاد ، أو نقص .

** هذا ، وأُحِبُّ أن أُذَكِّر الأخ المسلم بأن الأضحية اسم لما يذبح فى أيام عيد الأضحى .. وأنها سنة مؤكدة فى حق القادر، عند جمهور الفقهاء [٩] .

---

(١) تأليفا للقلوب وترغيبا فى الإسلام .
(٢) والأفضل أن يأكل النصف ويتصدق بالنصف لقوله تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾، وقيل: وهو الأصح بأكل الثلث ويهدى الثلث ويتصدق بالثلث لقوله تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ﴾ القانع والمعتر، والقانع أى: الجالس فى بيته، والمعتر. أى السائل .
(٣) الجزء الخامس ص ٨٣ .
(٤) وهى الإبل .
(٥) وذلك لأن الإبل لا ينتحر إلا قائمة بعد أن تعقل يدها اليسرى .
(٦) أى سقطت على الأرض .
(٧) قيل : هو الفقير الذى يقنع بالقليل، وقيل : الغنى غير المحتاج، وقيل: هو السائل.
(٨) قيل : الفقير : وقيل : الغنى الذى لا يقنع بالقليل، وقيل : هو الذى يتعرض لك ولا يسألك وقيل فى القانع والمعتر غير ذلك.
(٩) وهى واجبة عند الحنفية : على الشخص الذى يملك نصاب الزكاة . أى أنه يجب عليه فعلها وإن لم يفعلها كان آثما. (وهى) سنة مؤكدة عند الأئمة الثلاثة على من ملك ثمنها زائدًا عن حاجته =

** ويشترط فى صحة الأضحية خمسة شروط[1]: الشرط الأول : النية لأن الأضحية قربة إلى الله عز وجل، وكل قربة تحتاج فى صحتها وقبولها إلى النية : لقوله ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى** » رواه البخارى ومسلم والنية تكون عند الذبح ، ولو نوى قبل الذبح أجزأه على المشهور من أقوال الفقهاء. الشرط الثاني: أن تكون من الإبل، أو البقر، أو الضأن، أو المَعْز[2]...فلا : يجزئ غير هذه الأصناف الأربعة على المشهور فى مذاهب الفقهاء الأربعة[3].. الشرط الثالث : أن تكون الأضحية سليمة من عيب ينقص اللحم أو الشحم، فلا يجزئ فيها المعيب بما ذكر : فعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **أربع لا يَجُزْنَ فى الأضاحى : العوراء البين عورها، والمريضة البيِّن مرضها، والعرجاء البين ظلعها**[4]**، والكسيرة**[5]**التى لا تتقى** » أخرجه مالك وفى الحديث دلالة على أن العيب الخفيف لا يضر[6].

ثم يتساءل صاحب (الفقه الواضح) بعد ذلك قائلًا: لكن ما الحكم فى الأضحية إذا أعيبت بعدما اشتراها صاحبها .. هل تجزيه ؟ثم يجيب على هذا بقوله : قال أكثر الفقهاء : لو كان موسرًا ، لزم أن يأتى بغيرها .. ولو كان

=(وحاجة من يعول يوم العيد وأيام التشريق _ وهى اليوم الحادى عشر. والثانى عشر والثالث عشر للعيد من ذى الحجة – كما يشترطون الحرية فلا تسن للعبد، وزاد بعض الأئمة، وأن يكون مقيما، وزاد بعضهم كذلك ألا يكون حاجًا وقد أجاز الإمام أحمد ابن حنبل أن يستدين لشراء الأضحية إذا كان يرى. أنه سيستطيع سداد هذا الدين .. (وقد) شرعت الأضحية فى السنة الثانية من الهجرة.

(١) كما جاء فى (الفقه الواضح).

(٢) فيدخل فى البقر الجاموس، وفى الغنم الماعز .قال تعالى : ليذكروا اسم الله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الأنعام وهى الإبل والبقر والغنم ..(ويرى) بعض المذاهب : أن الأفضل الإبل ثم البقر ثم الغنم .. ويرى البعض الآخر : أن الضأن أفضل، ولكلٍّ دليله .. ويجزئ من الضأن ما أتم الحول ، وقيل ثمانية أشهر، وقيل ستة أشهر ومن المعز ما دخل فى السنة الثانية، ومن البقر ما دخل فى الثالثة، ومن الإبل ما دخل فى السادسة .

(٣) أى أنه لا يجوز أن يضحى أحدهم بديك كما يقولون ... ولكن إن ذبح أى شيء آخر فى يوم عيد النحر غير لأصناف المذكورة .. فإنه سيكون على سبيل التوسعة ..

(٤) أى مرضها ..أو عرجها .

(٥) الواضح عجزها .

(٦) والقاعدة العامة فى هذا ألا تكون معيبة بعوقها عن السعى للأجل أو ينقص من لحمها وشحمها، قال تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون.

فقيرًا أجزأته .

* الشرط الرابع : أن تنحر الأضحيه ، أو تذبح فى يوم العيد ، أو فى اليومين اللذين بعده عند أبى حنيفة وأحمد ابن حنبل .. وجوز الشافعية النحر، أو الذبح، فى أيام العيد الأربعة، مستدلين بقوله ﷺ: « **وكل فجاح منى - أى طرقها - منحر وكل أيام التشريق ذبح** » أخرجه أحمد والبزار. وأيام التشريق هى يوم الحادى عشر ، والثانى عشر ، والثالث عشر من ذى الحجة .. أو هى الأيام الثلاثة التى بعد يوم عيد الأضحى المبارك [1].

* الشرط الخامس : أن يكون النحر [2]، أو الذبح ، بعد صلاة العيد بإجماع المسلمين .. لقوله تعالى : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢] [3]، فمن ذبح أو نحر قبل صلاة العيد فهو لحم قربه لأهله، أو صدقة تصدق بها، ولا يكون قد أصاب السنة، وعليه أن يذبح، أو ينحر غيرها :

فعن البرء بن عازب رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ يوم الأضحى بعد الصلاة فقال : « **من صلى صلاتنا ، ونسك نسكنا ، فقد أصاب النسك، ومن نسك قبل الصلاة ، فتلك شاة لحم** [4]» أخرجه البخارى ومسلم .

وروى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه « **من ذبح قبل الصلاة فإنما ذبح لنفسه، ومن ذبح بعد الصلاة، فقد تم نسكه، وأصاب سنة المسلمين** » .

** واعلم كذلك : أنه لا يجوز بيع شىء من الأضحية عند أكثر الفقهاء .. ولكن يجوز الانتفاع بجلدها ، وصوفها ، وقرنها ، وغير ذلك والتصدق به أفضل .. والله أعلم .

* ولا يجوز اشتراك أهل البيت الواحد فى الأضحية إذا كانت من الغنم أو

---

(١) أى أنه قد أجاز الشافعية أن يكون النحر إلى عصر آخر يوم من أيام التشريق .

(٢) النحر يكون للإبل، وهى الجمال وإناثها ، والذبح يكون لغيرها .

(٣) كما يفعل كثير من المسلمين فى ليلة العيد .

(٤) وكما ورد فى حديث آخر : « **إنما هو لحم قدمَّه لأهله وليس من النسك فى شىء** » .

الماعز ... أما فى غير البيت الواحد فإن الجمهور من الفقهاء جوزوا الاشتراك فى الأضحية إذا كانت من الإبل ، أو البقر، دون الغنم .. والبدنه تُجْزِىء عن سبعة فأقل[1] .. قال جابر بن عبد الله ﷺ :

(نحرنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية البدنة عن سبعة ، والبقرة عن سبعة) أخرجه مسلم وغيره .

** فلاحظ كل هذا أخا الإسلام حتى تكون إن شاء الله تعالى من الذين يتقربون إلى الله تعالى بالأضحية كشكرٍ لله تبارك وتعالى على نعمه التى لا تحصى ولا تعد .. وحتى تكون بذلك قد أحييت سنة أبينا إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم .. وحتى تكون أيضا مواسيا لإخوانك الفقراء والمساكين فى تلك الأيام المباركات .. وليكن كل هذا يا أخى فى الله على أساسٍ من الفقه الذى وقفت عليه حتى يكون العمل مقبولا إن شاء الله . والله ولى التوفيق .

(١٨) ما حق المساجد .. يا رسول الله ؟

عن أبى قتادة ﷺ أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **إذا جاء أحدكم المسجد فليُصَلِّ سجدتين من قبل**[2] **أن يجلس** » أخرجه السبعة[3] والبيهقى، وكذا الأثرم فى سننه بلفظ :

* « **وأعطوا المساجد حقها.** قالوا : وما حقها ؟ **قال : تصلوا ركعتين قبل أن تجلسوا** » وأخرجه ابن ماجه عن أبى هريرة بلفظ :

* « **إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يُصلى ركعتين** ». وأخرجه البيهقى فى السنن وابن عدى فى الكامل والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة بلفظ :

---

(١) سواء أرادوا جميعهم الأضحية أو أراد بعضهم اللحم ولكن على شريطة أن يكون الذبح بعد صلاة عيد النحر إلى عصر آخر يوم من أيام التشريق مع ملاحظة : أنه من السنة أن نعرض الماء على الذبيحة أولا وأن لا نذبحها أمام أخواتها إذا كنت تذبح أكثر من واحدة .

(٢) سجدتين : يعنى ركعتين .

(٣) وهم: أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه.

*« **إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين ، وإذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين** » . وأخرج ابن أبى شيبة فى مصنفه عن أبى قتادة أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال :

* « **أعطوا المساجد حقها، ركعتان قبل أن تجلسوا** ». (والعدد) لا مفهوم له. قال فى (الدين الخالص [1]): وهذه الأحاديث تشير إلى أنه يطلب ممن دخل المسجد غير المسجد الحرام [2] ألا يجلس حتى يصلى ركعتين تحية للمسجد. مع ملاحظة أنه (الظاهر) الأمر- فى هذه الأحاديث .

قالت الظاهرية: بوجوب تحية المسجد على كل من دخله فى وقت تجوز فيه الصلاة ، وقال بعضهم : تجب فى كل وقت ، لأن فعل الخير لا يمنع إلا بدليل. (وقال) الجمهور : الأمر للندب فهى سنة (لحديث) ضمام بن ثعلبة أنه جاء يسأل عن الإسلام فقال النبى ﷺ : « **خمس صلوات فى اليوم والليلة** ». قال : هل عَلِيَّ غيرهن ؟ **قال** : « **لا، إلا أن تطوع** » أخرجه أحمد والشيخان والنسائى وأبو داود . (ولقول) زيد بن أسلم : كان أصحاب النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدخلون المسجد ثم يخرجون ولا يصلون . أخرجه ابن أبى شيبة . (ولقول) عبد الله بن بسر : كنت جالسًا إلى جنب النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم الجمعة ، فجاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **اجلس فقد آذيت وآنيت** » أخرجه أحمد والطحاوى وأبو داود والنسائى وابن حبان والحاكم والبيهقى. فأمره بالجلوس ولم يأمره بالصلاة . (ولهذا) فقد قال البدر العينى : لو قلنا بوجوب تحية المسجد لحرم على المحدث الحدث الأصغر دخول المسجد حتى يتوضأ ولا قائل به . فإذا جاز دخول المسجد على غير وضوء ، لزم منه أنه لا يجب عليه صلاة تحية المسجد عند دخوله ا هـ بتصرف.

** (ولهذا) فقد قال بعد ذلك فى (الدين الخالص) : (وهذه) الأحاديث تدل على مشروعية تحية المسجد فى كل وقت حتى وقت خطبة

---

(١) ج ٣ص٢٨٣ وما بعدها .
(٢) لأن تحية المسجد الحرام هى الطواف ..كما سنعرف بعد ذلك إن شاء الله .

الجمعة ، وبه قال الشافعية ، وابن عيينة ، وابن المنذر ، وداود وإسحاق بن راهوية ، والحسن البصرى : لعموم هذه الأحاديث ، (ولحديث) جابر بن عبد الله قال : جاء سليك الغطفانى يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخطب ، فجلس فقال له : «**يا سليك قم فاركع ركعتين وتجوز فيهما ، ثم قال : إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين ويتجوز فيهما** » أخرجه الشيخان وكذا الطبرانى فى الكبير ، بلفظ : «**صل ركعتين وتجوز فيهما . وإذا جاء أحدكم والإمام : يخطب يوم الجمعة فليصل ركعتين وليخففهما** » .

(وأما) أحاديث النهى عن الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس ، وبعد العصر حتى تغرب الشمس، : (فمحمولة) على ما لاسبب له من الصلوات (لحديث) أم سلمة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ينهى عنهما _ أى عن الركعتين بعد العصر _ ثم رأيته يصليهما (الحديث) أخرجه الشيخان ، وأبو داود مطولًا بلفظ جاء فى باب تحت قضاء الرواتب . وقد جاء فى (الهدى) : أن النبى ﷺ كان من (هديه) أن الداخل إلى المسجد يبتدئ بركعتين تحية للمسجد ثم يسلم على القوم فتكون تحية المسجد قبل تحية أهله ، فإن تلك حق الله تعالى ، والسلام على الخلق حق لهم وحق الله تعالى فى مثل هذا أحق بالتقديم ، بخلاف الحقوق المالية فإن فيها نزاعًا معروفًا عند الفقهاء ، وكانت عادة القوم معه صلى الله عليه وعلى آله وسلم هكذا يدخل أحدهم المسجد فيصلى ركعتين ثم يسلم على النبى ﷺ (ففى) حديث رفاعة ابن رافع أن النبى ﷺ بينما هو جالس فى المسجد يومًا ونحن معه إذا جاء رجل كالبدوى فصلى فأخف صلاته ، ثم انصرف فسلم على النبى ﷺ . فقال النبى ﷺ : « **وعليك السلام ارجع فصل فإنك لم تصل**» (الحديث) أخرجه الجماعة .

(فأنكر) ﷺ صلاته ولم ينكر عليه تأخير السلام عليه بعد الصلاة (وعلى هذا) : فليسن لداخل المسجد إذا كان فيه جماعة ثلاث تحيات مرتبة : أن يقول عند دخوله باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ،ثم يصلى ركعتين تحية

للمسجد، ثم يسلم على القوم . ا. هـ. بتصرف .

** فلاحظ كل هذا أخا الإسلام حتى تنفذه على هذا الأساس الذى وقفت عليه .. (مع) ملاحظة كذلك :

أن ما تقدم من طلب صلاة تحية المسجد إنما هو فى غير المسجد الحرام ، أما هو فتحيته الطواف ، إلا لمن أراد الجلوس قبل الطواف فإنه يشرع له أن يصلى التحية .

كما أنه يسن للقادم من سفر أن يبدأ بالمسجد فيصلى فيه ركعتين (لقول) كعب بن مالك :كان النبى ﷺ إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين. أخرجه الشيخان.

ولقول جابر: كنت مع النبى ﷺ فى غزاة واشترى منى جملًا بأوقية ثم قدم قبلى وقدمت بالغداة فوجدته على باب المسجد قال «**الآن قدمت ؟**» قلت : نعم. قال : « **فادخل فصل ركعتين** » . أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائى. وكذلك : ينبغى لمن يدخل المسجد لصلاة أو غيرها أن ينوى الاعتكاف [1]. مدة لبثه فى المسجد لاسيما ،إن كان صائمًا ، والله ولى التوفيق .

١٩) يا رسول الله لماذا تكثر من صيام يومى الاثنين والخميس ؟

عن أبى هريرة أن النبى ﷺ كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس فقيل له[2] فقال : « **إن الأعمال تعرض كُلَّ اثنين وخميس فيغفر الله لكل مسلم، أو لكل مؤمن إلا المتهاجِرَيْنِ فيقول : أَخِّرْهُما** » رواه أحمد بسند صحيح.

** وفى صحيح مسلم أنه ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين؟ فقال : « **ذاك يوم ولدت فيه، وأُنزل عَلَىَّ فيه** » . ففى هذين الحديثين الشريفين الصحيحين ومن خلال إجابته صلوات الله وسلامه عليه يشير إلى بعض الموضوعات الهامة التى ينبغى علينا أن نقف عندها وقفة تأملية حتى نفهم المراد منها حتى ننفذه على أساس فقهى سليم ... ألا وهى: أولًا : عرض الأعمال على الله تبارك وتعالى كل

---

(١) أى الجزئى ..كلما دخلت المسجد للصلاة أو لسماع موعظة .
(٢) أى سئل عن الحكمة فى هذا صلوات الله وسلامه عليه.

اثنين وخميس ..(فقد) قرأت توضيحًا لهذا وتقريبًا لمعناه أن النبى ﷺ كان يكثر كذلك من الصيام فى شهر شعبان أكثر من الصيام فى غيره من الشهور العربية الأخرى ، فقال له أسامة بن زيد رضي الله عنهما: يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال : «**ذاك شهر يَغْفُل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، فأحبُّ أن يُرفع عَمَلِى وأنا صائم** » أخرجه أحمد والنسائى وابن خزيمة وصححه (وقد) جاء فى هامش (الدين الخالص) [1] تعليقًا على هذا ، أنه لا ينافى فى هذا عرض الأعمال كل اثنين وخميس - كما جاء فى الحديث الأول الذى ندور حوله - وأن هذا لجواز رفع أعمال الأسبوع مفصلة فى هذين اليومين، ورفع أعمال العام مجملة فى شعبان .. (وإن) كان هناك رأى يقول : إن الأعمال ترفع إلى الله فى كل يوم : يرفع عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ولا ينتظر بها حتى يأتى شعبان من كل عام... (وهذا) يدعونا إلى الوقوف على تفسير الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر: ١٠] (فقد) قال ابن عباس رضي الله عنهما[2]: الكلام الطيب : ذكر الله، والعمل الصالح أداء فرائضه، فمن ذكر الله وأدى فرائضه صعد به إلى الله، ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله ، هذا ما رجحه الطبرى ، وقال غيره : معنى الآية العمل الصالح يتقبله الله تعالى ويثيب صاحبه عليه ، فمن قال وأحسن العمل قبل الله منه عمله .

(وقد) جاء أيضا فى تفسير الجلالين وحاشية الصاوى عليه : أن معنى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ أى :

يعلمه ، وهو لا إله إلا الله ونحوها ، أى الأذكار والتسبيح وقراءة القرآن ، وأن معنى ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ أى يقبله ، وهو كالصلاة والزكاة والصوم وغير ذلك من الطاعات التى نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبلها منا جميعًا .. وأن يجعلها خاتمة خير بالنسبة لنا إن شاء الله .. فقد ورد فى الحديث الشريف : « **إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله** » ، قيل: وكيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: « **يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه** » الأمر الثانى : موضوع

---

(١) ج ٨ص ٣٤٠.

(٢)وهذا معناه أن الحديث فيه نظر . والله أعلم.

المغفرة بالنسبة لكل مسلم أو مؤمن ... باستثناء المتهاجرين [1]، والمراد هنا العداوة والبغضاء ، وعند ابن ماجه : إلا (مهتجرين) أى متقاطعين لأمر لا يقتضى ذلك وإلا فالتقاطع للدين ولتأديب الأهل جائز وفى روايه لمسلم : «**إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: (أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظرو هذين حتى يصطلحا، أنظرو هذين حتى يصطلحا**»: كررها للتأكيد ، وكأن خطاب للملائكة .. وقوله فى حديث الباب : أخرهما كأنه خطاب لرئيس الملائكة ، أى لا تعرض عملهما حتى يصطلحا (ولفظ) الحديث عند مسلم : عن أبى هريرة مرفوعًا : (تعرض الأعمال فى كل يوم خميس واثنين فيغفر الله عز وجل فى ذلك اليوم لكل امرىء لايشرك بالله شيئًا إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فيقال : اتركوا - بهمزة وصل أى أخروا - هذين حتى يصطلحا . اتركوا هذين حتى يصطلحا [2] » وقد قرأت أن هجرة المسلم أخاه فوق ثلاثة بغير سبب شرعى..(مكروهة) فى الثلاثة ، وفيما زاد حرام إلا لضرورة .. وحكى أن رجلًا هجر أخاه فوق ثلاثة أيام فكتب إليه هذه الأبيات :

يــا سـيدى عنــدك لى مَظْلَمَــة	فاسـتفت فيهـا ابـن أبـى خيثمـة
فإنّـــه روى لنــا عـــن جـــده	ما قد روى الضّحاك عن عكرمة
عـن ابـن عبـاس عـن المصطفى	نبينـــا المبعـــوث بالمرحمـــة
إن صـــدودَ الإلـــفِ عن إلفه	فـــوق ثـــلاثٍ ربنا حرّمه

فعن أبى هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: « **لايحل لمؤمن أن يهجر مؤمنًا فوق ثلاث فإن مرت به ثلاث فليلقه وليسلم عليه ، فإن رد عليه السلام فقد اشتركا فى الأجر وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم وخرج المسلم من الهجرة** » رواه أبو داود بإسناد حسن ، قال أبو داود : إذا كانت الهجرة لله تعالى فليس من هذا فى شيء. وعن أبى هريرة ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث [3] فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار** »

(١) من الهجر وهو ضد الوصل .
(٢) انظر ص : ١٢١ج١٦نووى : (النهى عن الشحناء) .
(٣) أى ثلاث أيام.

رواه أبو داود بإسناد على شرط البخارى ومسلم . وعن أبى أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام** » متفق عليه. وحتى نكون إن شاء الله تعالى من المتحابين فى الله – على عكس ما سبق – إليك كذلك هذا الحديث الشريف : عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « **والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم** » رواه مسلم .

* الأمر الثالث : وهو الإشارة إلى عظَم يوم الاثنين الذى أكرمنا الله تبارك وتعالى فيه – كمؤمنين – بمولد وبعثة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فيه بل وكما جاء فى حديث رواه مسلم – وأنزل عليه فيه .. وتلك نعمة من أعظم النعم التى امتن الله تعالى علينا بها بل هى النعمة الوحيدة التى امتن الله تعالى علينا بها فى قرآنه فقال : ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلال مُبِين** ﴾ [آل عمران:١٦٤] . لأنه لولا مولده وبعثته – صلوات الله وسلامه عليه – ولولا نزول القرآن عليه – فى يوم الاثنين – لظل العالم أجمع إلى يومنا هذا ، بل إلى لحظتنا هذه يتخبط فى ظلمات الجهل وينقاد إلى الخرافات والأوهام كما كان الحال قبل مولده وبعثته ونزول القرآن عليه صلوات الله وسلامه عليه .

وقدت قرأت فى (سبل السلام[1]) ما نصه : وقد عَلَّل ﷺ شرعية صوم يوم الاثنين بأنه ولد فيه أو بعث فيه وأنزل عليه فيه .. وقد اتفق أنه ﷺ ولد فيه وبعث فيه .. وفيه دلالة على أنه ينبغى تعظيم اليوم الذى أحدث الله فيه على عبده نعمه : بصومه والتقرب – إلى الله – فيه .

** ولهذا كان من الخير لنا كذلك أن نعظم هذا اليوم الذى ولد فيه حبيبنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .. وذلك بصيام يوم الاثنين – خاصة – وكذلك صيام يوم الخميس كما جاء فى نص الحديث الذى ندور حوله .. اقتداء بمَثَلنا الأعلى وعملا بسُنته صلوات الله وسلامه عليه الذى يقول : «مَنْ

---

(١)ج ٢ص ٦٧٠ ، ٦٧١ بتصرف يسير .

رغب عن سنتى فليس منى[1]» رواه مسلم .

** هذا بالإضافة إلى جميع أنواع الصيام التطوع الذى كان النبى ﷺ يواظب عليه ويرغب فيه . وهو - بالإضافة إلى صيام يوم الاثنين والخميس اللذين وقفنا على فضل صيامهما .

* صيام ستة أيام من شوال : فقد روى الجماعة إلا البخارى والنسائى عن أبى أيوب الأنصارى أن النبى ﷺ قال : « **من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال[2] فكأنما صام الدهر** [3]» وعند أحمد أنها تؤدى متتابعة وغير متتابعة ولا فضل لأحدهما على الآخر ، وعند الحنفية والشافعية الأفضل صومها متتابعة عقب العيد .

* صوم التسع الأول من ذى الحجة وبالأخص يوم عرفة لغير الحاج : فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام** » يعنى أيام العشر ، قالوا : يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله ؟قال: « **ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع بشىء من ذلك** » رواه البخارى .

* وعن أبى قتادة رضي الله عنه قال : سئُل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة قال: « **يكفر السَّنة الماضية والباقية** » رواه مسلم .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة بعرفات [4]» رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه .

وعن أم الفضل أنهم شكوا فى صوم رسول الله ﷺ يوم عرفة فأرسلت إليه بلبن فتشرب وهو يخطب الناس بعرفة . متفق عليه .

---

(١) وفى هذا الحديث وعيد شديد للمُعرِضين عن سنة رسول الله ﷺ بعد علمهم بها.
(٢) أى بعد يوم العيد .. لأن الصيام فى يوم العيد حرام .
(٣) هذا لمن صام رمضان ، كل سنة ، قال العلماء : الحسنة بعشر أمثالها ، ورمضان بعشرة شهور والأيام الستة بشهرين .
(٤) وذلك لما فى ذلك من المشقة بسبب الازدحام الشديد فضلا عن الحر .

*** صوم يوم عاشوراء وتاسوعاء :**

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ صام يوم عاشوراء فقال : « **يكفر السنة الماضية** » رواه مسلم .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع** » رواه مسلم . وقد ذكر العلماء أن صيام يوم عاشوراء على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى : صوم ثلاثة أيام : التاسع، والعاشر ، والحادى عشر. المرتبة الثانية : صوم التاسع والعاشر. المرتبة الثالثة : صوم العاشر وحده .

والأفضل مخالفة اليهود : فقد ورد عن ابن عباس قال : قدم النبى ﷺ فرأى اليهود تصوم عاشوراء فقال : « **ما هذا ؟** » قالوا: يومٌ صالح نَجَّى الله فيه موسى وبنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى ، فقال : « **أنا أحق بموسى منكم** » فصامه وأمر بصيامه متفق عليه .

وعن ابن عباس قال : لما صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله : إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى .. فقال : « **إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع** » قال : فلم يأت العام المقبل حتى تُوفِّى رسول الله ﷺ . رواه مسلم وأبو داود .

وقد ورد الترغيب فى التوسعة يوم عاشوراء .فعن جابر أن رسول الله ﷺ قال : « **من وسَّع على نفسه وأهله يوم عاشوراء وسَّع الله عليه سائر سنته** » رواه البيهقى فى الشعب وابن عبد البر. وللحديث طرق أخرى كلها ضعيفة، ولكن إذا ضُمَّ بعضها إلى بعض ازدادت قوة كما قال السخاوى .

* صيام أكثر شعبان : كما كان يفعل رسول الله ﷺ : قالت عائشة رضي الله عنها : (ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيامَ شهرٍ قط إلا شهر رمضان، وما رأيته فى شهر أكثر منه صيامًا فى شعبان) رواه البخارى ومسلم .

* وعن أُسامة قال : قلت: يا رسول الله لم أَرَكَ تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال : « **ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب**

ورمضان، وهو شهر تُرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم » رواه أبو داود والنسائي، وصححه ابن خزيمة. مع ملاحظة أن تخصيص يوم النصف منه بالصيام ظنا أن له فضيلة على غيره : لم يأتِ به دليل صحيح.

* الصوم فى الأشهر الحرم، وهى : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب. فقد ورد أنه يستحب الإكثار من الصيام فيها : فعن رجل من باهلة أنه أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله أنا الرجل الذى جئتك عام الأول، فقال : « **فما غيَّرك وقد كنتَ حَسَن الهيئة ؟** » قال : ما أكلت طعامًا إلا بليل منذ فارقتُك، فقال رسول الله ﷺ : « **لِمَ عذبتَ نفسك ؟** » ثم قال : « **صُم شهر الصبر ويومًا من كل شهر** »، قال : زدنى فإن بى قوة . قال : « صم يومين. قال » : زدني. قال : « **صُم من الحُرُم واترك صم من الحرم واترك صم من الحرم واترك** ». وقال بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها[1] رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والبيهقى بسند جيد. وأما عن الصيام فى شهر رجب فليس له فضل زائد على غيره من الشهور إلا أنه من الأشهر الحُرم .. قال ابن حجر: (لم يرد فى فضله، ولا فى صيامه، ولا فى صيام شىء منه مُعَيَّن، ولا فى قيام ليلة مخصوصة منه حديث صحيح يصلح للحُجَّة).

* صيام ثلاثة أيام من كل شهر عربى : قال أبو ذر رضي الله عنه : (**أمرنا رسول الله ﷺ أن نصوم من الشهر ثلاثة أيام البيض : ثلاث عشرة ، وأربع عشرة ، وخمس عشرة . وقال : « هى كصوم الدهر »** رواه النسائى وصححه ابن حبان . وجاء عنه ﷺ أنه كان يصوم من شهر السبت والأحد والاثنين ، ومن الشهر الآخر الثلاثاء والأربعاء والخميس ، وأنه كان يصوم من غرة كل هلال ثلاثة أيام . وأنه كان يصوم الخميس من أول الشهر والاثنين الذى يليه والاثنين الذى يليه[2].

* صيام يوم وفطر يوم : فعن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن

---

(١) أشار إليه بصيام ثلاثة أيام وفطر ثلاثة أخرى .

(٢) فقه السنة .

عمرو قال : قال لى رسول الله ﷺ : « **لقد أخبرت أنك تقوم الليل ، وتصوم النهار** » . قال : قلت : يا رسول الله نعم ، قال : « **فصم وأفطر ، وصل ونم . فإن لجسدك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا ، وإن لزورك**[1] **عليك حقا، وإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام** » قال : فشددت فشدد على . قال: فقلت: يا رسول الله إنى أجد قوة، قال: « **فصم من كل جمعة ثلاثة أيام** » قال: فشددت فشدد على ، قال : فقلت : يا رسول الله إنى أجد قوة ، قال : « **صُم صوم نبى الله داود ولا تزد عليه** » . قلت : يا رسول الله وما كان صيام داود عليه الصلاة والسلام ؟ : « **كان يصوم يومًا ويفطر يومًا** » رواه أحمد وغيره. وعن ابن عمرو أن النبى ﷺ قال :« **أفضل الصيام صيام داود عليه السلام : كان يصوم يومًا ويفطر يومًا** » أخرجه البخارى والنسائى وهذا لفظه .

** فكن أخا الإسلام منتفعًا بكل هذا التذكير الذى وقفت عليه[2] حتى تكون إن شاء الله تعالى من الفائزين بثواب الصيام التطوع ولا سيما إذا كنت شابًا لا تملك الباءة التى بها تستطيع أن تتزوج .. فقد ورد فى الحديث الشريف أن النبى ﷺ قال مُوصيًا الشباب[3]: « **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة**[4] **فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** » وعن أبى أُمامة قال : أتيت رسول الله ﷺ فقلت : مُرنى بعمل يدخلنى الجنة ، قال : « **عليك بالصوم فإنه لا عدل** »[5] له ، ثم أتيته الثانية فقال : « **عليك بالصيام** » رواه أحمد والنسائى والحكم وصححه . وعن أبى سعيد أن النبى ﷺ قال : « **لا يصوم عبد يومًا فى سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم النار عن وجهه سبعين خريفًا**[6] » رواه الجماعة إلا أبا داود. والله ولى التوفيق .

---

(١) أى ضيفك .
(٢) والذى أرجوا أن تعود إليه بإطناب فى كتب الفقه المطولة .
(٣) ذكورهم وإناثهم .
(٤) أى القدرة على الزواج حسيًا ومعنويًا .
(٥) لا عدل له بكسر العين أى لا مثل له .
(٦) والخريف أى السنة .

٣٠) هل يُعذب الميت بالنياحة عليه .. يا رسول الله ؟

عن عمر ﷺ أن النبى ﷺ قال : « **الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه** » أخرجه أحمد والشيخان والنسائى وابن ماجه والبيهقى [١] .

وعن ابن عمر ﷺ أن النبى ﷺ قال : « **من نيح عليه فإنه يعذب بما نيح عليه يوم القيامة** » أخرجه أحمد [٢].

*وعن أنس أن عمر بن الخطاب ﷺ لما عولت عليه حفصة، قال: يا حفصة أما سمعتى النبى ﷺ قال : « **المعوّل عليه يعذب** » ؟ وعول صهيبًا، فقال عمر : يا صهيب أما علمت أن المعول عليه يعذب ؟ أخرجه أحمد ومسلم والنسائى والبيهقى [٣]. و(عوّلت) بشد الواو، أى : بكت رافعة صوتها .

**(فظاهر) هذه الأحاديث يُشير : إلى أن الميت يعذب بالبكاء عليه بصوت ونوح مطلقًا . وبه قال عمر وابنه والمغيرة بن شعبة وأبو موسى الأشعرى وغيرهم .

(وقال) جماعة من الشافعية، منهم أبو حامد[٤]: إن الميت لا يعذب ببكاء الغير عليه مطلقًا لقوله تعالى: ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[الأنعام: ١٦٤][٥]. (وروى) عن أبى هريرة ﷺ وعائشة ﷺ. وروى هشام بن عروة عن أبيه أن ابن عمر ﷺ قال : رسول الله ﷺ : « **إن الميت ليعذب ببكاء أهله** » فذكر ذلك لعائشة، فقالت : وَهِل[٦] (تعنى ابن عمر) - إنما مر النبى ﷺ على قبر فقال : « **إن صاحب هذا يعذب وأهله يبكون عليه** » أخرجه البيهقى

---

(١) أنظر ص ١١٩ ج ٧ الفتح الرباني، وص ١٠٥ ج ٣ فتح الباري، وص ٢٢٩ ج ٦ نووي، وص ٢٦٢ ح ١ مجتبي، وص ٢٤٩ ج١ ابن ماجه . وص ٧١ ج٤ بيهقى .

(٢) انظر ص ١٧ ج٧ الفتح الربانى .

(٣) انظر ص ١١٩ ج٧ الفتح الربانى وص ٢٣٠ ج٦ نووى ، وص ٧٢ ج٤ بيهقى .

(٤) أى أبو حامد الغزالى .

(٥) أى لا تحمل نفس مذنبة إثم نفس أخرى، وكذا غير المذنبة لا تحمل ذنب أخرى. فلا مفهوم لقوله: وازرة .

(٦) (وهل) بفتح الهاء أى ذهب وهمه إلى ما قال ، ويجوز أن يكون من باب تعب بمعنى غلط .

والسبعة إلا البخارى وابن ماجه[1].

** إلى أن يقول فى الدين الخالص [2]: (وهذا) ويحتمل أن يجمع بين هذه التوجيهات فينزل على اختلاف الأشخاص بأن يقال مثلا : مَنْ كانت طريقته النَّوْحُ فمشى أهله على طريقته أو بالغ وأوصاهم بذلك عذب بصنعه ، ومن كان ظالما فندب بأفعاله الجائرة عذب بها ندب به. ومن كان يعرف من أهله النياحة فأهمل نهيهم عنها، فإن كان راضيا بذلك التحق بالأول. وإن كان غير راض عذب بالتوبيخ _ من الملائكة _ كيف أهمل النهى . ومن سلم من ذلك كله واحتاط فنهى أهله عن المعصية ثم خالفوه وفعلوا ذلك كان تعذيبه تألمه بما يراه منهم من مخالفة أمره وإقدامهم على معصية ربهم . وحكى الكرمانى تفسيرا آخر وهو التفرقة بين حال البرزخ [3] وحال يوم القيامة فيحمل قوله تعالى : ﴿ وَلا تَـزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْـرَى ﴾ على يوم القيامة . وأحاديث تعذيب الميت بنواح أهله عليه على البرزخ ... والله أعلم .

** فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن ينتفعا بكل هذا .. حتى يحتاطا على الأقل .. وحتى يتركا وصية يتبرأ فيها من كل فعل ويخالف الشرع القويم بعد موتهما .. حتى لا يعذبا بسبب أى مخالفة لهذا من جانب أى قريب أو بعيد .. والله الموفق للصواب.

٣١) هل عذاب القبر حق .. يا رسول الله ؟

عن عائشة رضي الله عنها ، أن يهودية دخلت عليها[4] فذكرت عذاب القبر[5]، فقالت لها [6]: أعاذك الله من عذاب القبر[7]. قالت عائشة : فسألت رسول الله ﷺ عن عذاب القبر ؟ فقال : ((**نعم عذاب القبر حق**)) قالت : (فما رأيت

(١)انظر ص ١١٥ ج ٧ الفتح الربانى (**الميت يعذب ببكاء أهله عليه**) .
(٢)ج٧ ص ٢١٨ وما بعدها بتصرف واختصار .
(٣) البرزخ : هو حياة القبر .. التى تؤمن بها دون أن تسأل عن كيفيتها .
(٤) ولعل ذلك كان قبل إخراج اليهود من المدينة
(٥) الإضافة هنا على معنى (فى) أى العذاب الذى يقع فى القبر للكفار والعصاة .
(٦) أى قالت اليهودية لعائشة رضى الله عنها.
(٧) أى حماك الله وأجارك من ذلك .

رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة[1] إلا تعوذ من عذاب القبر) . رواه البخارى ومسلم .

** (ومعنى) أن (عذاب القبر حق) ، أى : ثابت واقع لا شك فيه ، وقد دل عليه من القرآن قوله تعالى فى شأن فرعون وقومه : ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا** ﴾ [غافر: ٤٦] فإن هذا العرض قبل قيام الساعة ، وقوله تعالى فى شأن قوم نوح عليه الصلاة والسلام : ﴿ **مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا** ﴾ [نوح: ٢٥] ، فأخبر عن دخولهم النار عقيب الإغراق مباشرة ، وقد قيل إن قوله تعالى : ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ *حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ** ﴾ [التكاثر: ١، ٢] : نزلت فى عذاب القبر .

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إن الموتى ليعذبون فى قبورهم ، حتى إن البهائم لتسمع أصواتهم** » رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد حسن. (يعنى) صراخهم عند نزول العذاب بهم وإنما حجب ذلك عن الناس حتى يكون إيمانهم بذلك إيمانًا بالغيب اختيارًا لا على سبيل القسر والإلجاء .

* وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر** ». رواه مسلم. (يعنى) لولا خوفى أن لا تقوموا بدفن من مات منكم لدعوت الله أن يسمعكم صوت المعذَّبين فى قبورهم لكى يحملكم على البعد عن الأعمال الموجبة لعذاب القبر. (وكذلك) روى الإمام أحمد رحمه الله الحديث السابق إلا أنه قال : « **لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع** » قال العلقمى : (اعلم أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر خلافا للخوارج ولمعظم المعتزلة وبعض المرجئة فإنهم نفوا ذلك .

* ثم إن المعذب عند أهل السنة الجسد بعينه أو بعضه بعد إعادة الروح إليه، أو إلى جزء منه. (فإن) قيل : فنحن نشاهد الميت على حاله فى قبره

---

(١) أى مكتوبة .

فكيف يُسأل ويقعد ويضرب بمطارق من حديد ولا يظهر له أثر ؟ فالجواب أن ذلك غير ممتنع بل له نظير فى العادة وهو النائم، فإنه يجد لذة وآلاما لا نحس نحن بشيء منها، وكذلك يجد اليقظان لذة وألما لما يسمعه أو يتفكر فيه، ولا يشاهد ذلك جليسه منه، وكل هذا ظاهر جليٌّ[1] .ا. هـ

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى[2]، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة** » رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وأبو داود دون قوله: (فيقال) إلى آخره .

** فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا ويؤمنا به.. حتى يعملا إن شاء الله على أن يكونا من المنعمين فى القبر لا من المعذبين فيه .. مع مواظبتهما على هذا الدعاء الذى كان النبى ﷺ يواظب عليه[3] بعد التشهد فى كل صلاة مكتوبة - كما جاء فى الصحيح - : « **إذا تشهد أحدكم فليتعوذ من أربع ، ليقل : اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ، ومن عذاب جهنم، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال** » وظاهر لأمر الوجوب ... فاللهم آمين، اللهم آمين اللهم آمين .

(٢٣) من هم أشد الناس عذاباً يوم القيامة .. وما حكم الصور والمصورين .. يا رسول الله ...؟

*عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :« **إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصوِّرون** » رواه البخارى ومسلم .

** قال النووي: (قال العلماء : تصوير الحيوان حرام شديد التحريم ، وهو من الكبائر ، وسواء صنعه لمن يمتهن أم لغيره ،سواء كان فى ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس أو إناء أو حائط أو غيرها .. وأما تصوير ما

(١) (الترغيب والترهيب) للمنذرى حـ٤ ص١٦٩. بتصرف.
(٢) أى فى أول النهار وآخره .
(٣) كما جاء فى نص الحديث الأول موضوع الفتوى .

ليس فيه صورة حيوان فليس بحرام) وقال القسطلانى : (أورد البخارى عن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ لم يكن يترك شيئًا فى بيته فيه تصاليب إلا نقضه. أى تصاوير إلا كسره وغير صورته .. وفى دخول البيت الذى فيه الصورة وجهان .. الأكثرون على الكراهة .. وقال أبو محمد بالتحريم .. فلو كانت الصورة فى ممر الدار لا داخلها كما فى ظاهر الحمامات ودهاليزها لا يمنع دخولها لأن الصورة فى الممر ممتهنة، وفى المجلس مكرمة.

والحاصل مما سبق كراهة صورة حيوان منقوشة على سقف أو جدار أو وسادة منصوبة أو ستر معلق أو ثوب ملبوس . وأنه يجوز ما على الأرض وبساط يداس ، ومخدة يتكأ عليها ، ومقطوع الرأس ، وصورة شجر . ويحرم تصوير حيوان على الحيطان والسقوف والأرض ونسج الثوب ..ومن اتخذ هذه الصور عوقب بحرمان دخول ملائكة الرحمة بيته فلا تصلى عليه ولا تستغفر له) ا . هـ .

* وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الذين يصنعون هذه الصور**[1] **يعذَّبون يوم القيامة، يقال لهم : أَحْيُوا ما خلقتم** » رواه البخارى ومسلم .

* وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قدم رسول الله ﷺ من سفرٍ وقد سترت سَهوة لى بقِرام فيه تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ تلون وجهه وقال : « **يا عائشة : أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله** » قالت : فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين.

* وفى رواية قالت: دخل على رسول الله ﷺ وفى البيت قرام فيه صور فتلون وجهه ،ثم تناول الستر فهتكه[2]، وقال : « **إن من أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور** » .

* وفى أخرى أنها اشترت نُمرقة فيها تصاوير[3]، فلما رآها رسول الله ﷺ

(١) يعنى يشكلونها من الجبس وغيره على هيئة شيء من الحيوانات أو الطيور .
(٢) يعنى جذبه ونزعه .
(٣) جمع تصويرة وهى التمثال .

قام على الباب فلم يدخل ، فعرفت فى وجهه الكراهية [١]، قالت :فقلت : يا رسول الله أتوب إلى الله ورسوله[٢]، ماذا أذنبت[٣]؟ فقال رسول الله ﷺ : « **ما بال هذه النُّمرقة**[٤]**؟**» فقلت : اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسَّدها [٥]، فقال رسول الله ﷺ : «**إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة. فيقال لهم: أحيوا ما خلقتم** [٦]» وقال : « **إن البيت الذى فيه الصور لا تدخله الملائكة** » رواه البخارى ومسلم .

** وأما عن تصوير الشجر وما لا نفس له ، فقد ورد فيه :

* عن سعيد بن أبى الحسن ﷺ قال : جاء رجل إلى ابن عباس ﷺ فقال : إنى رجل أصوِّر هذه الصُّور[٧]، فأفتنى فيها [٨]، فقال له : ادن منى[٩]. فدنا، ثم قال : ادن منى، فدنا، حتى وضع يده على رأسه وقال : أنبئك بما سمعت من رسول الله ﷺ ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **كُلُّ مصور فى النار يجعل له بكل صورة صورها نفسًا، فيعذبه فى جهنم** [١٠]» قال ابن عباس : (فإن كنت لا بدَّ فاعلا[١١] فاصنع الشجر وما لا نفس له [١٢] رواه البخارى ومسلم .

وقد يسأل الأخ المسلم .. عن حكم الصور الفوتوغرافية..فأجيبه بما جاء تحت هذا العنوان فى كتاب (الحلال والحرام فى الإسلام) للدكتور يوسف القرضاوى - أكرمه الله - حيث يقول : ومما لا خفاء فيه أن كل ما ورد فى

---

(١) يعنى وجدته عابسًا متغيرًا .
(٢) يعنى أحست كأنها ارتكبت ذنبًا فبادرت إلى إعلان توبتها قبل أن تعرف ما ذنبها.
(٣) يعنى أى ذنب ارتكبت حتى تغيرت منى وغضبت على .
(٤) يعنى ما شأنها ولماذا اشتريتها وفيها هذه الصور، والنمرقة هى المخدة .
(٥) أى تتوسدها فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا.
(٦) أى يكلفون إحياءها ونفخ الروح فيها .
(٧) يعنى أصنعها وأبيعها فهى حرفتى التى أتعيش منها.
(٨) أى بين لى حكمها حلال هى أم حرام .
(٩) لأنه أراد أن يعظه سرًا فيما بينه وبينه حتى لا يخجله .
(١٠) أى بعدد تلك النفوس التى جعلت له بعدد الصور التى صورها.
(١١) يعنى إن أبيت إلا التصوير لأنه وسيلتك إلى التكسب.
(١٢) فذلك لا بأس ولا حرمة فيه .

التصوير والصُّور إنما يعنى الصور التى تنحت أو ترسم على حسب ما ذكرنا.. أما الصور الشمسية - التى تؤخذ بآلة الفوتوغرافيا - فهى شئ مستحدث لم يكن فى عصر الرسول ﷺ ولا سلف المسلمين ، فهل ينطبق عليه ما ورد فى التصوير والمصورين ؟أما الذين يقصرون التحريم على التماثيل المجسمة .. فلا يرون شيئًا فى هذه الصور ، وخصوصًا إذا لم تكن كاملة. وأما على رأى الآخرين فهل تقاس هذه الصور، الشمسية على تلك التى تبدعها ريشة الرسام ؟ أم أن العلة التى نصت عليها بعض الأحاديث فى عذاب المصورين - وهى أنهم يضاهون خلق الله - لا تتحقق هنا فى الصورة الفوتوغرافية ؟ وحيث عدمت العلة عدم المعلول كما يقول الأصوليون ثم بعد ذلك يقول : إن الواضح هنا ما أفتى به المغفور له الشيخ محمد بخيت _ مفتى مصر _ أن أخذ الصور بالفوتوغرافيا _ الذى هو عبارة عن حبس الظل بالوسائط المعلومة لأرباب هذه الصناعة _ ليس من التصوير المنهى عنه فى شيء لأن التصوير المنهى عنه هو إيجاد صورة وصنع صورة لم تكن موجودة ولا مصنوعة من قبل، يُضاهِى بها حيوانًا خلقه الله تعالى، وليس هذا المعنى موجودًا فى أخذ الصورة بتلك الآلة. ثم بعد ذلك يقول صاحب كتاب الحلال والحرام هذا وإن كان هناك من يجنح إلى التشدد فى الصور كلها فلا شك أن يرخص فيما توجبه الضرورة أو تقتضيه الحاجة والمصلحة منها، كصور البطاقات الشخصية، وجوازات السفر، وصور المشبوهين، والصور تتخذ وسيلة للإيضاح ونحوها، مما لا تتحقق فيه شبهة القصد إلى التعظيم أو الخوف على العقيدة، فإن الحاجة إلى اتخاذ هذه الصور أشد وأهم من الحاجة إلى اتخاذ (النقش) فى الثياب الذى استثناه النبى ﷺ .

ثم بعد ذلك يقول - كلامًا هامًّا - تحت عنوان :

موضوع الصورة

هذا ومن المقرر أن لموضوع الصورة أثرًا فى الحكم بالحرمة أو غيرها، ولا يخالف مسلم فى تحريم الصورة إذا كان موضوعها مخالفًا لعقائد الإسلام، أو شرائعه وآدابه، فتصوير النساء عاريات، أو شبه عاريات، وإبراز مواضع

الأنوثة، والفتنة منهن، ورسمهن أو تصويرهن فى أوضاع مثيرة للشهوات، موقظة للغرائز الدنيا، كما نرى ذلك واضحًا فى بعض المجلات والصحف، ودور السينما، كل ذلك مما لا شك فى حرمة تصويره، وحرمة نشره على الناس، وحرمة اقتنائه واتخاذه فى البيوت أو المكاتب والمجلات، وتعليقه على الجدران، وحرمة القصد إلى رؤيته ومشاهدته .... إلى أن يقول تحت عنوان :

خلاصة لأحكام الصور والمصورين

ونستطيع أن نجمل أحكام الصور والمصورين فى الخلاصة الآتية :

(أ) أشد أنواع الصور فى الحرمة والإثم صور ما يعبد من دون الله ، فهذه تؤدى مصورها إلى الكفر إن كان عارفًا بذلك قاصدًا له. والمجسَّم فى هذه الصور أشد إثمًا ونكرًا، وكل من روج هذه الصور أو عظمها بوجه من الوجوه داخل فى هذا الإثم بقدر مشاركته.

(ب) ويليه فى الإثم مَنْ صوَّر ما لا يُعبد، ولكنه قصد مضاهاة خلق الله أى ادعى أنه يبدع ويخلق كما يخلق الله، فهو بهذا الكفر [1].

وهذا أمر يتعلق بنية المصوِّر وحده .

(جـ) ودون ذلك الصور المجسمة لما لا يعبد، ولكنها مما يعظم كصور الملوك والقادة والزعماء وغيرهم ممن يزعمون تخليدهم بإقامة التماثيل لهم، ونصبها فى الميادين ونحوها، ويستوى فى ذلك أن يكون التمثال كاملًا أو نصفيًّا.

(د) ودونها الصور المجسمة لكل ذى روح مما لا يقدس ولا يعظم، فإنه متفق على حرمته يستثنى من ذلك ما يمتهن، كلعب الأطفال، ومثلها ما يؤكل من تماثيل الحلوى .

(هـ) وبعدها الصور غير المجسمة - اللوحات الفنية - التى يُعظَّم أصحابها، كصور الحكام والزعماء وغيرهم، وخاصة إذا نُصِبَت وعُلِّقت، وتتأكد الحرمة إذا كان هؤلاء من الظلمة أو الفاسقين والملحدين، فإن

---

(١) أى أنه قد فعل ما يؤدى به إلى . ر والعياذ بالله.

تعظيمهم هدم للإسلام.

(و) ودون ذلك أن تكون الصورة غير المجسمة لذى روح لا يُعظم ، ولكن تعد من مظاهر الترف ، والتنعيم كأن تستر بها الجدر ونحوها ، فهذا من المكروهات فحسب .

(ز) أما صور غير ذى الروح من الشجر والنخيل والبحار والسفن والجبال ونحوها من المناظر الطبيعية، فلا جناح على من صورها أو اقتناها، ما لم تشغل عن طاعة، أو تؤَدْ إلى ترفٍ فتكره.

(ح) وأما الصورة الشمسية (الفوتوغرافية) فالأصل فيها الإباحة، ما لم يشتمل موضوع الصورة على محرم ، كتقديس صاحبها تقديسًا دينيًّا، أو تعظيمه تعظيمًا دنيويّا، وخاصة إذا كان المعظم من أهل الكفر والفساق كالوثنيين والشيوعيين والفنانين المنحرفين.

(ط) وأخيرًا .. إن التماثيل والصور المحرمة إذا شوهت أو امتهنت، انتقلت من دائرة الحرمة إلى دائرة الحل، كصور البُسُط التى تدوسها الأقدام والنعال ونحوها .

فعلى الأخ المسلم ..والأخت المسلمة ..أن يلاحظا كل هذا ..حتى لا يقعا فى هذا المحظور المنهى عنه فى كل ما سبق .. والله الموفق للصواب .

٢٣) من أكيس الناس وأحزم الناس... يا رسول الله ؟

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أتيت النبى ﷺ عاشر عشرة فقام رجل من الأنصار، فقال : يا نبى الله مَنْ أَكْيسُ الناس وأحزم الناس ؟ قال : « **أكثرهم ذكرًا للموت وأكثرهم استعدادًا للموت ،أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة** » أخرجه الطبرانى فى الصغير والحاكم وأبو نعيم فى الحلية بسند حسن .

وهذا، معناه [1] أنه يُطلب من العاقل [2] الإكثار من تذكر الموت لأنه يزهد فى الدنيا .. وأن يستعد له بالتحلى بالأعمال الصالحة التى تقربه من ربه، والتخلى عن الأعمال السيئة التى تبعده عن رحمة ربه حتى إذا فجأه الموت كان فى عمل صالح، فيحب لقاء الله، والله يحب لقاءه، ويبعث على ما مات عليه. (وقد) ورد فى هذا أحاديث (منها) حديث محمد بن عمر بن عمر بن أبى سلمة عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « **أكثروا مِن ذكر هاذم اللذات الموت** » أخرجه أحمد والأربعة [3] .. إلا أبا داود بأسانيد صحيحة وابن حبان وزاد : « **فإنه ما ذكره أحد فى ضيق إلا وسعه، ولا ذكره فى سعة إلا ضيقها عليه** » وصححه ابن حبان والحاكم وأعله الدارقطنى بالإرسال فإن ابن أبى سلمة لم يسمع من أبى هريرة .. [4]

(وقد) دل الحديث على أنه ينبغى للإنسان أن لا يغفل عن ذكر أعظم المواعظ وهو الموت . وفى رواية للديلمى عن أبى هريرة : « **أكثروا ذكر الموت فما من عبد أكثر ذكره إلا أحيا الله قلبه وهون عليه الموت** »، وفى حديث أنس فى مكارم الأخلاق : « **أكثروا ذكر الموت فإن ذكره تمحيص للذنوب وتزهيد فى الدنيا** » [5] .

وعن البراء بن عازب قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذا بصر بجماعة فقال : « **علام اجتمع هؤلاء ؟** » قيل : على قبر : يحفرونه، ففزع النبى ﷺ فبدر بين يدى أصحابه مسرعًا حتى انتهى إلى القبر فجثا عليه فبكى حتى بلَّ الثرى من دموعه ثم أقبل علينا فقال : « **أى إخوانى لمثل اليوم فأعدوا** »

---

(١) كما جاء فى (الدين الخالص) ج ٧ ص ١٦٣ وما بعدها ..بتصرف .
(٢) وهو الكيس المشار إليه فى الحديث .
(٣) الأربعة هم : أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .
(٤) انظر ص ٣٢ ج ٧ الفتح الربانى : (ذكر الموت والاستعداد له) وص ٢٥٨ ج٣ تحفة الأحوذى (ذكر الموت) و(هاذم) بالذال المعجمة أى قاطع ومفرق . والمراد بالإرسال إسقاط راوٍ .
(٥) انظر ص ١٢٥ ج ٢ سبل السلام (الجنائز) .

أخرجه أحمد بسند حسن [1].

** فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. وينفذاه حتى يكونا من أكيس الناس .. وأحزم الناس إن شاء الله .. والله ولى التوفيق .

٣٤) يا رسول الله أى العمل أحب إلى الله تعالى ؟

* عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سئل أى العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال : « **أدومه وإن قل** » رواه البخارى ومسلم .

* وروى مسلم عنها قالت : (كان عمل رسول الله ﷺ ديمةً، وكان إذا عمل عملًا أثبته).

* وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل** » رواه البخارى ومسلم.

* وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ذُكر عند النبى ﷺ رجل نام حتى أصبح[2] ، قال : « **ذاك رجل بال الشيطان فى أذنيه ، أو قال . فى أذنه** » .

* وروى عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه - عليهم رضوان الله - أن النبى ﷺ قال لأبيه: « **نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل** » قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلًا .

** فكل هذه الأحاديث الشريفة فى جملتها تشير إلى أنه ينبغى على المسلم الصادق الذى تذوّق حلاوة قيام الليل أن يواظب على قيام الليل ولا يتركه إلا لضرورة .. على شريطة أن لا يشق على نفسه .. وإنما يقوم من الليل بقدر ما تتسع له طاقته .. وذلك لأن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُم** ﴾ [التغابن: ١٦] ويقول : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة:٢٨٦] وعن

---

(١) انظر ص ٣٣ ج ٧ الفتح الربانى (ذكر الموت والاستعداد له) و(بصُر) بضم الصاد وتكسر، يقال: بصرت بالشىء بصرًا (وبفتحتين) علمت ، (وبدر) أى مشى . (وجثا) أى جلس، وكأن القبر لم يدفن فيه أحد . ولذا جلس عليه. أما بعد الدفن فلا يجوز الجلوس على القبر . (والثرى) كالحصى : أى التراب الندى .

(١) يعنى حتى أدركه الصبح وطلع عليه الفجر .

عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **خذوا من الأعمال ما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا** [(١)] » رواه البخاري ومسلم .

** بل : إذا غلبه النعاس عليه أن يترك الصلاة ويرقد حتى يذهب عنه النوم : فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « **إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه** [(٢)] **فلم يَدْرِ ما يقول فليضطجع** [(٣)] » رواه مسلم [(٤)].

وقال أنس رضي الله عنه : دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال: « **ما هذا ؟** » قالوا: لزينب تصلي إذا كَسُلت أو فَتَرتْ أمسكت به. فقال: « **حُلُّوه، ليصل أحدكم نشاطه فإذا كسل أو فتر فليرقد** » متفق عليه .

** هذا وإذا كان لي بعد هذا التقديم الهام الذي أردت أن أعلق به على الحديث الأول قبل أن أذَّكر الأخ المسلم والأخت المسلمة بأهمية وفضل قيام الليل حتى يحرصا على قيام الليل على هذا الأساس الذي وقفا عليه وحتى لا يكون هناك ملل إن شاء الله .

** إذا كان لي بعد كل هذا أن أقول شيئًا فإنني أرى أن أُذكِّرهما أولًا ببعض الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة المرغبة في قيام الليل [(٥)] ، والتي منها :

** أن الله تبارك وتعالى قد أمر نبيه محمدًا صلوات الله وسلامه عليه بقيام الليل، فقال: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ [الإسراء:٧٩] : وهذا الأمر وإن كان خاصًا به صلوات الله وسلامه عليه إلا أن عامة المسلمين يدخلون فيه بحكم أنهم مطالبون بالاقتداء به ﷺ.

** كما بين سبحانه وتعالى أن المحافظين على قيام الليل هم المحسنون المستحقون لخيره ورحمته فقال :

---

(١) معنى هذا الحديث : أن الله تعالى لا يقطع الثواب حتى تقطعوا العبادة .
(٢) يعني ثقلت عليه القراءة كما تثقل على الأعجمي بسبب لكنته.
(٣) قال المناوي : الأمر بالاضطجاع هنا للندب إن خف النوم بحيث يعقل ما يقول، وللوجوب إن غلبه بحيث يفضي إلى الإخلال بواجب، وقال العلقمي : لئلا يغير كلام الله ويبدله .
(٤) ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه رحمهم الله تعالى .
(٥) كما جاء في (فقه السنة)، (الترغيب والترهيب) .

* ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ[1] وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٥-١٨] .

** وأيضًا مدحهم سبحانه وتعالى وأثنى عليهم ونظمهم فى جملة عباده الأبرار الذين يستحقون رحمته فقال : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا[2] وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا[3] وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣، ٦٤] .

* وأما عن السنة الشريفة، فقد جاء فيها :

* عن عبد الله بن سلام ﷺ قال : أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنجفل[4] الناس إليه، فكنت ممن جاءه، فلما تأملت وجهه واستبنته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. قال : فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال : «**أيها الناس : أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصَلُّوا بالليل والناسُ نِيام : تدخلوا الجنة بسلام**» رواه الحاكم وابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

* وقال سهل بن سعد ﷺ : جاء جبريل - عليه السلام - إلى النبى ﷺ فقال : « **يا مُحمَّد عِشْ ما شئت فإنك مَيِّت، واعمل ما شئت فإنك مجزى به، واحْبِبْ من شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرفَ المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس** [5]» عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث**[6] **عقد يضرب على**

(١) يهجعون : أى ينامون .
(٢) هونا : أى فى سكينة ووقار .
(٣) أى قالوا قولا يسلمون به من شرهم .
(٤) أى أسرعوا إليه.
(٥) رواه الطبرانى فى الأوسط وإسناده حسن .
(٦) قيل إن الكلام هنا على حقيقته، وأنها عقد حقيقية يعقدها الشيطان على قافية الرأس أى مؤخر العنق أو وسط الرأس ... وقال بعضهم : هو على المجاز كأنه شبه فعل الشيطان بالنائم بفعل السحر بالمسحور ، وقيل : هو من عقد القلب وتصميمه ، فكأنه يوسوس له بأن عليك ليلا طويلا فيتأخر عن القيام بالليل . وقال صاحب النهاية : المراد تثقيله فى النوم وإطالته ، فكأنه قد سد عليه سدًا وعقد عليه عقدًا والصحيح الأول .

كل عقدة [١]: **عليك ليل طويل فارقد**[٢] **فإن استيقظ وذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة كلها فأصبح نشيطًا طيب النفس**[٣]**، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان** [٤] رواه مالك والبخارى ومسلم ، وأبو داود النسائى وابن ماجه وقال : « **فيصبح نشيطًا طيب النفس قد أصاب خيرًا، وإن لم يفعل أصبح كسلًا خبيث النفس لم يصب خيرًا** » رواه ابن خزيمة فى صحيحه نحوه، وزاد فى آخر: « **فحلوا عقد الشيطان ولو بركعتين** ».

* وعن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل** » رواه مسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائي، وابن خزيمة فى صحيحه.

* وعن عبد الله بن عمرو ﷺ عن النبى ﷺ قال : « **فى الجنة غرفة** [٥] ، **يُرى ظاهرها من باطِنُها، وباطُنها من ظاهرها**» [٦] فقال أبو مالك الأشعرى : لمن هى [٧] يا رسول الله ؟ قال : لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائمًا [٨] والناس نيام » رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد حسن، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **أحب الصلاة** [٩] **إلى الله صلاة داود ،وأحب الصيام** [١٠] **إلى الله صيام داود كان ينام**

---

(١) قيل معناه : يمر بيده عليها ويضغط على حباله الداعية إلى الكسل والخمول .. وقيل يضرب بالرقاد كقوله تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ ومعناه حجب الحس عن النائم حتى لا يستيقظ .

(٢) مقول محذوف أى قائلًا عند كل ضربة هذا القول أى أمامك ليل طويل فنم واهدأ .

(٣) أى خفيف البدن مستريح النفس شاعرًا بقوة ونشاط

(٤) أى بليدًا مسترخيًا متعب النفس شاعر بسآمة وضجر وفتور همة.

(٥) الغرفة هى البناء العالى قال تعالى : ﴿ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾.

(٦) يعنى أنها رقيقة شفافة فمن كان داخلها يرى ما هو خارجها وبالعكس .

(٧) يعنى لمن أعدت هذه الغرف وما العمل الذى يوصل إليها.

(٨) أى يقظانا يصلى ويتهجد .

(٩) يعنى صلاة الليل، ومعنى أحب أى أشد محبوبية .

(١٠) أى صوم التطوع بعد الفريضة .

نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه [1]، ويصوم يومًا ، ويفطر يومًا » رواه البخارى ومسلم وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وذكر الترمذي منه الصوم فقط .

* وعن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن فى الليل لساعة [2] لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه، وذلك كل ليله** » رواه مسلم .

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « رحم الله [3] رجلًا قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته، [4] فإن أبت نضح فى وجهها الماء [5] ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت فى وجهه الماء » رواه أبوا داود ، وهذا لفظه ، والنسائى ، وابن ماجه ، وابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحيها، والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم، وعند بعضهم: رش، ورشت بدل نضح ونضحت ، وهو بمعناه .

* وعن أبى مالك الأشعرى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من رجل يستيقظ من الليل فيوقظ امرأته، فإن غلبها النوم نضح فى وجهها الماء، فيقومان فى بيتهما فيذكران الله [6] عز وجل ساعة من الليل إلا غفر لهما** » رواه الطبرانى فى الكبير

---

(١) هذا بيان لكيفية قيام داود عليه السلام وهو فى غاية القصد والاعتدال فإن نوم أول الليل إلى نصفه يكسب الجسم راحة ونشاطا يعينه على القيام، ثم نومه سدس الليل بعد قيام الثلث فيه راحة من تعب القيام، ولهذا كان أحب القيام إلى الله تعالى لأنه أخذ بالرفق على النفوس حتى لا يتسرب إليها الملل الذى يؤدى إلى الانقطاع بالكلية ...

(٢) أى جزءًا من الزمان قليلًا وإنما أبهمها لكى يجتهد الإنسان فى إحياء الليل رجاء أن يصادفها وذلك كما أبهم ليلة القدر وساعة الإجابة يوم الجمعة. قال النووى : (فيه إثبات ساعة الإجابة فى كل ليلة ويتضمن الحث على الدعاء فى جميع ساعة الليل رجاء مصادفتها) .

(٣) هذه جملة دعائية جاءت فى صورة الخبر كما تقول لمريض شفاك الله ويحتمل أن تكون خبرية.

(٤) يعنى أن هذا الفضل : يحصل كذلك للمرأة إذا استيقظت وأيقظت زوجها . لكى تنال معه فضيلة قيام الليل وهو من باب التعاون على البر والتقوى .. والمراد إيقاظها بالنداء عليها.

(٥) أى رش على وجهها قليلا من الماء لتنتبه وتستيقظ.

(٦) المراد بالساعة هنا مطلق الوقت والذكر يشمل الصلاة وقراءة القرآن والاستغفار ونحو ذلك .

** هذا، وأحب أن أذكر كذلك بأهم الآداب التى ينبغى أن يلاحظها كل من يريد قيام الليل بتوفيق من الله تبارك وتعالى، وهى أنه :

** يُسن له أن ينوى عند نومه قيام الليل :

* فعن أبى الدرداء رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم فيصلى من الليل فغلبته عينه حتى يصبح كُتب له ما نوى، وكان نومه صدقة عليه من ربه** » رواه النسائي، وابن ماجه بسند صحيح .

** ويسن أن يمسح النوم عن وجهه عند الاستيقاظ ويتسوك وينظر فى السماء ثم يدعو بما جاء عن رسول الله ﷺ فيقول : « **لا إله إلا أنت سبحانك، أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللهم زدنى علمًا ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتنى وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور** » ، ثم يقرأ الآيات العشر من أواخر سورة آل عمران: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لأَيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ** ﴾ [آل عمران:١٩٠] إلى آخر السورة (١)، ثم يقول « **اللهم لك الحمد ، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد، أنت قيّمُ السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، والساعة حق، . اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت الله لا إله إلا أنت** » .

** ويسن أن يفتتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين ثم يصلى بعدها ما شاء:

* فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يصلى افتتح صلاته بركعتين خفيفتين .

* وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « **إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين** » رواهما مسلم. إلى آخر السنن التى وقفت عليها :

---

(١) من الآية : ١٩٠-٢٠٠.

من إيقاظ الأهل والرقود إذا غلبك النعاس حتى يذهب عنك النوم ، وأن تكون مواظبًا على صلاة الليل بقدر ما تتسع له طاقتك..مع ملاحظة : أن صلاة الليل تجوز فى أول الليل ووسطه وآخره ما دامت الصلاة بعد صلاة العشاء. قال أنس ﷺ فى وصف صلاة رسول الله ﷺ : ما كنا نشاء أن نراه من الليل مصليًا إلا رأيناه، وما كنا أن نراه نائمًا إلا رأيناه، وكان يصوم من الشهر حتى نقول : لا يفطر منه شيئًا، ويفطر حتى نقول : لا يفطر منه شيئًا، رواه أحمد والبخاري، والنسائى قال الحافظ : لم يكن لتهجده ﷺ وقت معين بل بحسب ما يتيسر له القيام . ولكن الأفضل تأخيرها إلى الثلث الأخير : فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **ينزل ربنا عز وجل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول : من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه، من يستغفرنى فأغفر له** » رواه الجماعة . وعن عمرو بن عبسة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أقرب ما يكون العبد من الرب فى جوف الليل الأخير، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله فى تلك الساعة فكن** ». رواه الحاكم وقال : على شرط مسلم، والترمذى وقال : حسن صحيح، ورواه أيضًا النسائى وابن خزيمة. وقال أبو مسلم لأبى ذر : أى قيام الليل أفضل ؟ قال : سألت رسول الله ﷺ كما سألتنى فقال: «**جوف الليل الغابر** (١) **وقليلٌ فاعله**» رواه أحمد بإسناد جيد. وكذلك ليس لصلاة الليل عدد مخصوص ولا حد معين، فهى تتحقق ولو بركعة بعد صلاة العشاء .. وقبل صلاة الوتر : فعن سمرة بن جندب ﷺ قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن نصلى من الليل ما قل أو كثر ونجعل آخر ذلك وترًا .رواه الطبرنى والبزار. ولا مانع إذا استيقظت بعد ذلك أن تصلى ما شئت من الركعات دون أن تصلى وترًا آخر ، لما رواه أبو داود والنسائى والترمذى وحسنه عن على قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا وتر فى ليلة** » . وأما عن قضاء الليل، فقد ورد فيه : عن عائشة ﷺ أن النبى ﷺ (كان إذا فاتته الصلاة من الليل مِن وجع أو غيره : صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة) رواه مسلم. وروى الجماعة إلا البخارى عن عمر ﷺ أن النبى ﷺ قال : « **من نام عن حِزْبه أو عن**

(١) **الغابر** : الباقى أو نصف الليل .

شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتب كأنما قرأه من الليل ».

وذلك لأن قيام الليل كما ورد فى الحديث الذى رواه سلمان الفارسى رضي الله عنه : «**دَأْبُ**[1] **الصالحين قبلكم ، ومقربة لكم إلى ربكم**[2] **ومكفرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم**[3]**، ومطردة للداء عن الجسد**[4]» . رواه الطبرنى فى الكبير ، ورواه الترمذى فى الدعوات.

** فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة .. وعلى الزوجين المؤمنين بصفة خاصة أن يلاحظا كل هذا وينفذاه - إن شاء الله - حتى يفوزا بكل هذا الخير الذى وقفا عليه والذى نحن جميعًا كمؤمنين - إن شاء الله - فى أشد الحاجة إليه .. حتى نكون من المُشار إليهم فى قوله تبارك وتعالى : ﴿ **إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ**[5] **عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [السجدة : ١٥ - ١٧] أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا منهم حتى نُحشَر معهم .. اللهم آمين .

٣٥- من هو الديوث يا رسول الله..ومن الرَّجُلة من النساء يا رسول الله

عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدًا**[6]**: الديوث، والرجلة من النساء ومدمن الخمر**». قال : أما مدمن الخمر فقد عرفناه فما الديوث ؟ قال : « **الذى لا يبالى بمن دخل على أهله** ». قالوا : فما الرَّجُلة ؟ قال : « **التى تتشبه بالرجال** ». أخرجه البيهقى فى الشعب، والطبرانى بإسناد حسن. قال المنذرى : ورواته لا أعلم فيهم مجروحًا ا هـ.

*وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «**ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه، والديوث، ورجُلة النساء**» أخرجه الحاكم والبزار والبيهقى

---

(١) أى عادتهم وديدنهم يقال: دأب على كذا إذا استمر عليه .

(٢) يعنى أنه سبب للقرب من الله عز وجل لما فيه من هجر لذة النوم والوقوف بين يدى الله فى هدأة الليل يناجيه ويتلو آياته فى الصلاة .

(٣) أى ينهى صاحبه ويزجره عن ارتكاب المعاصى .

(٤) ولعل هذه خصوصية لقيام الليل أن الله يزيل به عن العبد ما ألم به من الأمراض.

(٥) أى تتنحى جنوب هولاء عن مضاجعهم في الليل لا ينامون إلا قليلا

(٦) التقييد هنا بأبدًا محمول على المستحيل لهذا المشار إليه فى الحديث .

بسند صحيح .

**(ففى) هذين الحديثين الشريفين يشير النبى ﷺ إلى قضية أخلاقية من أسوأ قضايا العصر الذى شاء الله تعالى لنا أن نكون من أهله ليرى سبحانه وتعالى _ وهو أعلم _ إذا كنا سنستطيع بها أوتينا من علم أن نقوم تلك الأخلاقيات المعوجة [1] أم لا ؟ ..(ألا وهو) ما ذكره النبى ﷺ فى الحديثين - بالإضافة إلى غيرهما - من إدمان للخمر، وعقوق الوالدين ، وإقرار الرجل الفاحشة فى أهله وهو يعلم ، وتشبه النساء بالرجال فى الزى والهيئة .

** (وإذا) كان لى أن أدور حول كل هذا ، من زاوية إجابة الرسول ﷺ ، على ما جاء فى الحديثين ... فإننى أحب أولًا أن أقف وقفة إيجابية عند قوله ﷺ :

«**ثلاثة لا يدخلون الجنة ..**» فإن هذا معناه - بصرف النظر عن تحديد العدد أن الجنة ليست لهؤلاء أو مثل هؤلاء ..وإنما هى للمؤمنين الصادقين: ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ* إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ* أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون:٢-١١].

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**خلق الله جَنَّة عَدْنٍ بيده، ودلَّى فيها ثمارها** [2] **، وشق فيها أنهارًا ، ثم نظر إليها فقال لها : تكلمى ، فقالت : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾** [المؤمنون:١] **. فقال : لا يجاورنى فيك بخيل**» رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط بإسنادين أحدهما جيد، ورواه ابن أبى الدنيا من حديث أنس أطول منه، ولفظه قال رسول الله ﷺ : «**خلق الله جنة عدن بيده، لبنة من دُرَّة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء، ولبنة من زبرجدة خضراء،**

(١) فى نفوسنا وفى نفوس غيرنا .

(٢) أى جعل ثمارها قريبة الجنى .

وملاطها مسك، حشيشها الزعفران، حصباؤها اللؤلؤ، ترابها العنبر، ثم قال لها : انطقى، قالت : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ فقال الله عز وجل : وعزتى وجلالى لا يجاورنى فيك بخيل»، ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩]. أى الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل.

* وعن أبى يوسف عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام ، وصَلُّوا والناس نيام :تدخلوا الجنة بسلام » رواه الترمذى وقال: حديث صحيح.

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم» رواه مسلم.

** (وإن) هذا معناه، أن العبد الذى ليس متخلقًا بأخلاق المؤمنين التى هى أخلاق الجنة .

(سيكون) والعياذ بالله من أهل النار : التى هى دار العذاب .. والتى فيها الزقوم، وهى شجرة من أخبث الشجر المر تنبت فى أصل الجحيم [1].. وفيها (الغسلين) وهو صديد أهل النار، أو شجر فيها وفيها (المهل) وهو ماء عكر كدردى الزيت الأسود يغلى فى البطون، كغلى الحميم، وقيل : هو النحاس المذاب .. قال تعالى : ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ١٩، ٢٠] .

(والحميم) والعياذ بالله، هو الماء البالغ نهاية الحرارة، يذاب به أحشاؤهم وشحومهم (فعن) أبى هريرة مرفوعًا : « إن الحميم ليصب على رءوسهم، فينفُذُ الحميم حتى يخلصوا إلى جوفه حتى يمرُق من قدميه وهو الصَّهْر، ثم يعاد كما كان » أخرجه ابن جرير والترمذى وقال: حسن صحيح غريب.

---

(١) قال تعالى : ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٤، ٦٥] .

(والمقامع) : سياط من حديد .

*(عن) أبو سعيد أن النبى ﷺ قال : « **لو أن مقمعًا من حديد وضع فى الأرض فاجتمع له الثقلان**[1] **ما أقلوه من الأرض** » أخرجه أحمد والبغوى.

*(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **ناركم هذه التى توقدون جزء واحد من سبعين جزءًا من حرِّ جهنم** »، قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله. قال : « **فإنها فُضِّلت بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرها** » أخرجه أحمد والشيخان والترمذى وقال: حسن صحيح .

(فحسب) الأخ القارئ أن يلاحظ كل هذا حتى يدرك ما ينتظر المجرمين فى جهنم والعياذ بالله . (بل) وحتى لا يكون منهم .. لأن الله تعالى يقول : ﴿**لا يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾[الحشر:٢٠] كما يقول تبارك وتعالى : ﴿**فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**﴾[آل عمران: ١٨٥](ولهذا) فإن الله تعالى يقول : ﴿**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾[الحديد:٢١] أسأل الله تعالى أن يجعلنا بفضله وكرمه .. من أهل هذا الفضل العظيم .. اللهم آمين .

**(هذا) وإذا كان لى بعد هذا التمهيد الهام الذى كان لا بد أن ننتفع به .. (إذا) كان لى بعد هذا .. أن أقول شيئًا حول ما جاء بعد ذلك فى نص الحديث اللذين ندور حولها .. فإننى أحذر أولًا من : إدمان الخمر وبيعها وشرائها وحملها وأكل ثمنها .

**قال الشوكانى فى (نيل الأوطار) : (اعلم أن الخمر يطلق على عصير العنب المشتد إطلاقًا حقيقيًّا إجماعًا، واختلفوا : هل يُطلق على غيره حقيقة أو مجازًا ، وعلى الثانى : هل مجاز لغة كما جزم به صاحب المحكم، أو من باب القياس على الخمر الحقيقية عند من يثبت التسمية بالقياس، وقد صرح

---

(١) وهما الجن والإنس ، كما يشير الله تعالى إلى هذا فى سورة الرحمن : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] .

الراغب : أن الخمر عند البعض : اسم لكل مسكر، وعند البعض : للمتخذ من العنب والتمر ، وعند بعضهم : لغير المطبوخ، ورجح أن كل شيء يستر العقل يسمى خمرًا، لأنها سميت بذلك لمخامرتها العقل وسترها له، وكذا قال جماعة من أهل اللغة، منهم الجوهرى، وأبو نصر القشيرى، والدنيورى، وصاحب القاموس ، ويؤيد ذلك أنها حرمت بالمدينة ، وما كان شرابهم يومئذ إلا نبيذ البسر [1] والتمر.

قال الخطابى : زعم قوم أن العرب لا تعرف الخمر إلا من العنب، فيقال لهم : إن الصحابة الذين سموا غيرا المتخذ من العنب خمرًا، عرب فصحاء، فلو لم يكن هذا الاسم صحيحًا لما أطلقوه ا .هـ باختصار.

** (وحسبى) بعد هذا التقديم الذى من الممكن أن نكتفى به ..أن أُذكِّر الأخ القارئ ببعض الأحاديث الشريفة التى سنجد فيها إن شاء الله الإجابة المطلوبة فى هذا الموضوع : فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها، وهو مؤمن** » رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائي، وزاد مسلم: وفى رواية: لأبى دواد بعد قوله: « **ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن : ولكن التوبة معروضة بعد** »: (يعنى): أنه لا يزاول ذلك فى حال إيمانه، بل يفارق الإيمان قلبه .. قالوا : إنه يصير على رأسه مثل الظُّلة، فإن تاب عاد إليه، والمراد أن ظلمة الزنا ...... إلخ لا تجامع نور الإيمان فى القلب، فمن وقع فى كل هذا - والعياذ بالله - فارق الإيمان قلبه. (والحديث) يدل على شناعة هذه الخصال، وأنها منافية لكمال الإيمان، وأن من شأن المؤمن الحريص على إيمانه أن يحذرها حتى يبقى له إيمانه .

* وفى رواية النسائى، قال : « **لا يزنى الزانى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن، وذكر رابعة فنسيتُها، فإذا فعل ذلك : فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، فإن تاب تاب الله عليه** » .

(١) قال فى (مختار الصحاح) : (البسر) : أوله طلع ، ثم خلال بالفتح ، ثم بلح بفتحتين ، ثم بسر ، ثم رطب ، ثم تمر الواحدة (بسرة) و(بسرة) والجمع (بسرات) و(بسر) بضم السين فى الثلاثة .

(وظاهره) أن من فعل ذلك – والعياذ بالله – سيكون قد فارق الإسلام كُلِّيَّةً. (والربقة) بكسر الراء وسكون الموحدة : عروة الجبل .

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **لعن الله الخمر، وشاربها، وساقيها، ومبتاعها**[1]**، وبائعها، وعاصرها، ومعتصرها**[2]**، وحاملها**[3]**، والمحمولة إليه**[4] ». رواه أبو داود واللفظ له، وابن ماجة، وزادوا: « **وآكل ثمرها** » :

(والمراد) أن رسول الله ﷺ : دعا باللعنة ، وهى الهلاك والطرد من رحمة الله على كل من يتصل بالخمر من قريب أو بعيد ، أو أنه أخبر عن لعن الله تعالى لهؤلاء جميعا .

* (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **اجتنبوا الخمر**[5] **فإنها مفتاح كل شر** » رواه الحاكم ، وقال: صحيح الإسناد . وكذلك قال العزيزى فى شرح الجامع الصغير : إنه حديث صحيح .

(والمعنى) أنها تهيِّىء شاربها للوقوع فى جميع الآثام والمنكرات ، مِنْ قَتْل وزنا.. ونحوهما .. فإنه إذا زال القفل لم يبق ما يحجزه عن شئ من ذلك .

(وتوضيحا لهذا) إليك كذلك الحديث الشريف الذى ورد :

* عن سالم بن عبد الله عن أبيه[6] أن أبا بكرٍ وعُمر، وناسا جلسوا بعد وفاة النبى ﷺ ، فذكروا أعظم الكبائر، فلم يكن عندهم فيها علم، فأرسلونى إلى عبد الله بن عمرو أسأله ، فأخبرنى أن أعظم الكبائر شرب الخمر، فأتيتهم

---

(١) أى مشتريها .. فالخادم الذى يكلفه سيده بشراء الخمر ينبغى أن لا يطيعه فى هذا .

(٢) أى الذى يطلب من غيره أن يعصرها له .

(٣) أى الذى ينقلها من مكان إلى مكان .

(٤) من تاجر أو شارب .

(٥) أى اجتنبوا تعاطيها شربا وغيره، والمراد بها كل ما أسكر عند الأكثر ، وقال أبو حنيفة : هى المتخذة من ماء العنب .

(٦) وهو عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

فأخبرتهم ، فأكثروا ذلك [1]، ووثبوا إليه[2] جميعا حتى أتوه فى داره ، فأخبرهم أن رسول الله ﷺ قال : « **إن مَلِكًا من ملوك بنى إسرائيل أخذ رجلا فخيره بين أن يشرب خمرا، أو يقتل نفسًا، أو يزنى، أو يأكل لحم خنزير، أو يقتلوه ؟ فاختار الخمر، وإنه لما شرب الخمر لم يمتنع من شىء أرادوه منه** » وأن رسول الله ﷺ قال : « **ما من أحد يشربها فتقبل له صلاة أربعين ليلة، ولا يموت وفى مثانته[3] منه شئ إلا حرمت بها عليه الجنة، فإن مات فى أربعين ليلة مات ميتة جاهلية [4]** » رواه الطبرانى بإسناد صحيح، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

* وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **اجتنبوا أم الخبائث[5]، فإنه كان رجل ممن كان قبلكم يتعبد، ويعتزل الناس، فَعَلِقته امرأة[6]، فأرسلت إليه خادما : إنا ندعوك لشهادة، فدخل، فطفقت[7] كلما دخل من بابا أغلقته دونه، حتى إذا أفضى[8] إلى امرأة وضيئة [9]جالسة ، وعندها غلام وباطية فيها خمر [10]، فقالت : إنا لم ندعوك لشهادة ولكن دعوتك لقتل هذا الغلام، أو تقع علىَّ، أو تشرب كأسا من الخمر، فإذا أبيت صحت بك وفضحتك. قال: فلما رأى أنه لابد له[11] من ذلك قال: اسقنى كأسا من الخمر، فسقته كأسا من الخمر، فقال: زيديني، فلم تزل حتى وقع عليها [12]، وقتل النفس: فاجتنبوا الخمر، فإنه والله لا يجتمع إيمان وإدمان الخمر فى صدر رجل**

---

(١) أى استكبروه واستعظموه.

(٢) يعنى نهضوا وخفوا إليه.

(٣) المثانة مستقر البول وموضعه من الإنسان والحيوان .

(٤) أى مفارقا لأعمال أهل الإسلام .

(٥) وهى كُنية الخمر .

(٦) أى أحبته وتعلق قلبها به.

(٧) أى شرعت.

(٨) أى وصل وانتهى.

(٩) من الوضاءة والحسن والجمال.

(١٠) إناء من الزجاج يُملأ من الشراب والجمع بواط.

(١١) أى لا مندوحة ولا مهرب منه.

(١٢) أى غشيها وجامعها.

أبـدا[1]**، وليوشـكن**[2] **أحـدهما يُخـرج صـاحبه** » رواه ابـن حبـان فى صـحيحه واللفظ له، والبيهقى مرفوعا مثله، وموقوفا وذكر أنه المحفوظ.

**وأما عن :

عقوق الوالدين

فإنه لا يقل جريمة عن شرب الخمر.

ولهذا فهو محرم ، وهو من الكبائر بل من أكبر الكبائر.

فعن المغيرة بن شعبة ﷺعن النبى ﷺقال: «**إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعًا وهات، وكره لكم: قيل وقال: وكثرة السؤال وإضاعة المال**» رواه البخارى وغيره.

وقد خص النبى ﷺالأمهات لقبح أذاهن، وشدة عقاب العاق لهن والعقوق مأخوذ من العق وهو الشق والقطع.

وعن أبى بكرة ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**[3]**، ثلاثا** » قلنا: بلى يا رسول الله، قال: « **الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس**[4] ، **فقال : ألا وقول الزور وشهادة الزور**» فمازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. رواه البخارى ومسلم والترمذى .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺعن النبى ﷺقال: «**الكبائر : الإشراك بالله، وعقوق الوالدين وقتل النفس، واليمين الغموس**» رواه البخارى.

(ولهذا) كان من الخير للإنسان أن يكون عكس هذا بالنسبة لوالديه وأعنى بهذا أن يكون بارًا بهما كما رغبه الله ورسوله، ففى القرآن الكريم يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ**﴾أى: حكم ربك وأمر ألا

---

(١) أى إذا وجد فيه أحدهما فارقه الآخر .

(٢) أى ليقربن.

(٣) أى أعظمها جرما وأشدها إثما عن غيرها والاستفهام للتشويق والاهتمام.

(٤) أى اعتدل فى جلسته اهتماما بما سيقوله.

تعبدوا إلا الله، ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أى: وأمركم أن تحسنوا إلى الوالدين إحسانا وأن تبروهما، ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا﴾ أى: إن أدركا سن الشيخوخة والكبر أو صار أحدهما عاجزا أو هرما، ﴿ فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ أى: فلا تغلظ لهما القول فتقول :أف تقذرهما ، ولكن اصبر على ذلك منهما واحتسب الأجر كما صبرا عليك فى صغرك،﴿ وَلا تَنْهَرْهُمَا﴾ أى: ولا تزجرهما، ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣] أى: وقل لهما قولا جميلا حسنا، ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أى: كن لهما ذليلا رحمة بهما ، ولا تخالفهما فيما أحبا ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٤] أى: ادع لهما بالرحمة وقل رب ارحمهما وتعطف عليهما كما رحمانى فى صغرى وربيانى صغيرا حتى استغنيت عنهما. ا.هـ[1]

وقال مجاهد حول قوله تعالى: ﴿ فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ أى: حين ترى الأذى منهما، وتميط الأذى عنهما من الخلاء والبول كما كانا يميطانه عنك صغيرا.

وقال ابن كثير : لا تسمعهما قولا سيئا حتى ولا التأفف الذى هو أدنى مراتب القول السيىء، وهذا أبلغ أنواع التحذير، فإذا نهى الإنسان عن التأفف فكيف بالضرب والشتم واللعن !! والعياذ بالله.

وفى السنة المطهرة ورد الترغيب فى البر بالوالدين ، وصلتهما وتأكيد طاعتهما والإحسان إليهما وبر أصدقائهما من بعدهما..

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أى العمل احب إلى الله ، **قال:** « **الصلاة على وقتها**» قلت: ثم أى، قال: « **بر الوالدين** » قلت: ثم أى ، قال: « **الجهاد فى سبيل الله**» . رواه البخارى ومسلم.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا يجزى ولد والده**[2] **إلا أن يجده مملوكا**[3] **فيشتريه فيعتقه**» رواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه.

(١) الأيتان من سورة الإسراء من ٢٣، ٢٤ والتفسير من مختصر تفسير الطبرى.
(٢) أى لا يكافئه بما له عليه من حق .
(٣) أى عبدا مملوك الرقبة.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : جاء رجل إلى نبى الله ﷺ فى الجهاد[1] فقال: «**أحى والداك؟**» قال: نعم، قال: «**فيهما فجاهد**[2]» رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى. وفى رواية لمسلم: أقبل رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله[3]. قال: «**فهل من والديك أحد حىٌّ؟**» قال: نعم بل كلاهما حىٌّ . قال: «**فتبتغى الأجر من الله ؟**» قال : نعم . قال : «**فارجع إلى والديك ، فأحسن صحبتهما**» .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**من سره أن يمد له فى عمره ويزاد فى رزقه : فليبر والديه، وليصل رحمه**» رواه أحمد، ورواته محتج بهم فى الصحيح، وهو فى الصحيح باختصار ذكر البر.

وعن أبى أسيد مالك بن ربيعة الساعدى رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بنى سلمة ، فقال: يا رسول الله هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال: «**نعم الصلاة عليهما**[4] **والاستغفار لهما**[5] **، وانفاذ عهدهما**[6] **من بعدهما ، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما**» رواه ابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه ، وزاد فى آخره قال :الرجل : ما أكثر هذا يا رسول الله وأطيبه . قال :«**فاعمل به**» .

(وأما) عن:

الديوث

وهو الذى يقر الخبث فى أهله[7] كما قال رسول ﷺ (فهو) من المجرمين الذين لا بد وأن يطهر الوجود منهم .. (بل) ولا بد من كشف عيوبهم حتى

---

(١) أى فى الخروج معه للجهاد فى سبيل الله.
(٢) وذلك بقضاء حوائجهما والسهر على خدمتهما وإكرام صحبتهما.
(٣) أى اطلب ثواب ذلك منه. والجملة حال.
(٤) والمراد بالصلاة هنا: الدعاء لهما بالرحمة.
(٥) أى: طلب المغفرة لذنوبهما من الله عز وجل.
(٦) أى إنجازه والوفاء به.
(٧) وألحق بعضهم بالزوجة المحارم والإماء.

لا يتعامل الأخيار معهم، ولا يحتكون بهم لا من قريب ولا من بعيد لأنهم خبث نسأل الله تبارك وتعالى أن يطهرنا ويطهر أمتنا منهم .. حتى لا نرى تسيبًا ولا انحلالًا بتلك الصورة التى ما كانت إلا بسبب انحطاط الأخلاق :

وإذا أصيبَ القومُ فى أخْلاقِهم فأقـم عليهم مأتمًا وعويلا

(وإذا) كنت أقول هذا، فإننى أعنى به أن مثل هذا الديوث الذى يقر الخبث فى أهله لا يمكن أن يكون رجلا [1] لأنه لو كان رجلا لكان يغار على أهله ولكان لا يسمح لفاسق أو فاجر أن يكون مختلطا بهم... حتى ولو كان من أقرب الناس إليه أو إلى أهله ما دام يعلم أن فلانا هذا لا أخلاق له.

(ولهذا) فقد قال النبى ﷺ فى وصية من وصاياه:

* « **لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى**» رواه أبو داود والترمذى بإسناد لا بأس به.

(وهذا) معناه أن النبى ﷺ يحذرك من أن تدخل فى بيتك غير التقى .. لأن من سيدخل بيتك إذا لم يكن تقيًّا .. فإنه سيكون سببا فى هدم هذا البيت وخرابه.

* وعن أبى سعيد الخدرى ؓ قال: قال رسول الله ﷺ : «**ما من صباح إلا وملكان يناديان ويل للرجال من النساء، وويل للنساء من الرجال**» رواه ابن ماجه والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

فإذا أراد الديوث هذا أن يثوب إلى رشده ويطهر نفسه وبيته فإنه ينبغى عليه أولا أن يتوب إلى الله تبارك وتعالى توبة صادقة على أن يكون مؤكدا لتلك التوبة بأمر أهله بأن ينفذن أوامر الله ، ويجتنبن نواهيه... وأن يكن من الصالحات حتى يكن من أهل الجنة لا من أهل النار ... وعلى الزوج التائب هذا أن يذكر أهله دائما وأبدا بأنه لا خير إلا فى طاعة الله تبارك وتعالى .. وأنه من طاعة الله أن تكون الأسرة المسلمة بعيدة عن الخبث وأهله .. حتى لا

---

(١) أى بالمعنى الصحيح.

يكون هناك إن شاء الله غير الطهر والعفاف الذى به ستكون الأسرة طاهرة إن شاء الله .... (وذلك) لن يكون إلا بغيرة كل من الزوجين على الآخر بدون تهور أو تشنجات قد تؤدى إلى ما لا يحمد عقباه والعياذ بالله.

وأما عن :

الرجُلَة من النساء

(فهى) الملعونة على لسان الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه (لقول) عائشة رضي الله عنها : لعن رسول الله ﷺ الرجلة من النساء. أخرجه أبو داود.

** (وقد) قال فى الدين الخالص تحت عنوان:

تشبه الرجال بالنساء وعكسه:

(لا يحل) للرجل التشبه بالمرأة ولا للمرأة أن تتشبه بالرجل فى اللباس وغيره، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ أنه لعن المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء، وقال:« **أخرجوهم من بيوتكم**» أخرجه أحمد والبخارى وأبو داود الطيالسى ، وأبو داود والترمذى وابن ماجه.

وقال ابن التين : المراد باللعن فى هذا الحديث من تشبه من الرجال بالنساء فى الزى ، ومن تشبه من النساء بالرجال كذلك. فأما من انتهى فى التشبه بالنساء من الرجال إلى أن يؤتى فى دبره ، وبالرجال من النساء إلى أن تتعاطى السحق بغيرها من النساء، فإن لهذين الصنفين من الذنب والعقوبة أشد مما لم يصل إلى ذلك . وإنما أمر ﷺ بإخراج من تعاطى ذلك من البيوت ، لئلا يفضى الأمر بالتشبه إلى تعاطى ذلك الأمر المنكر ا. هـ.

* (وحديث) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ : لعن الرجل يلبس لبس المرأة والمرأة تلبس لبس الرجل . أخرجه أحمد وأبو داود والنسائى ، والحاكم بسند صحيح.

(وعن) ابن عباس رضي الله عنهما قال : لعن النبى ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ، **وقال** : «**أخرجوهم من بيوتكم**» فأخرج النبى ﷺ

فلانا، وأخرج عمر فلانا. أخرجه البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **لعن الله مخنثى الرجال الذين يتشبهون بالنساء والمترجلات من النساء المتشبهات بالرجال، والمتبتلين الذين يقولون: لا نتزوج، والمتبتلات اللاتى يقلن ذلك، وراكب الفلاة وحده، والبائت وحده** » أخرجه أحمد وعبد الرزاق .

(والأحاديث) فى هذا كثيرة.

(ولهذه) الأحاديث قال جمهور العلماء : يحرم تشبه الرجال بالنساء وعكسه، وهو مشهور مذهب الشافعية.

(وقال) النووى فى المجموع : المشهور فى المذهب أنه يحرم على الرجل أن يتشبه بالمرأة فى اللباس وغيره .

ويحرم على المرأة أن تتشبه بالرجل فى ذلك، وقد رددنا دعوى من قال : إنه مكروه وليس بحرام .

(ومما يدل) للتحريم (حديث) ابن عباس رضي الله عنهما قال : لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال. رواه البخاري.

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة، تلبس لبسة الرجل. رواه أبو داود بإسناد وصحيح.

** ثم بعد ذلك يقول فى (الدين الخالص) : (هذا) : وفى هذه الأحاديث دلالة على :

(أ)حرمة تشبه الرجال بالنساء وعكسه؛ لأنه إذا حرم فى اللباس ففى الحركات والسكنات والتصنع بالأعضاء والأصوات أولى بالذم والقبح. قاله النووي.

(ب) وأنه يلزم حجب النساء عمن يفطن لمحاسنهن من الرجال، وإبعاد

من يُستراب[1] منه فى أمر من الأمور.

(ج) وتعزير من يتشبه بالنساء بالإخراج من البيوت، والنفى من البلد إذا تعين ذلك طريقًا لردعه .

(قال) فى الفتح : وظاهر الحديث وجوب ذلك، وتشبه النساء بالرجال، والرجال بالنساء مِنْ قاصِدٍ مُختارٍ، حرام اتفاقا.

** فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا كل هذا حتى لا يكونا من مدمنى الخمر، أو العاقين لآبائهم وأمهاتهم .. وحتى لا يكون الرجل (ديوثًا) والعياذ بالله .. بل وحتى لا يتشبه كل واحد منهما بالآخر فى الزى والهيئة .. وأما التشبه فى العِلم والرأى والأعمال الصالحة : فمَحْمودٌ ... (ولهذا) فقد قال أحدهم مرغبا فى التشبه بالرجال الصالحين فى طاعة الله تبارك وتعالى، والتقرب إليه بفعل الخيرات وترك المنكرات :

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

* (وعلى) الأخت المسلمة : أن تتشبه بأمهات المؤمنين ، والأخوات الصالحات ... (مع) تحذيرها من التشبه المتفرنجات اللاتى خلعن نقاب الحياء بتلك الصور المشينة التى يندى لها الجبين .

* (وعلى) الأخ المسلم أن يغار على أهل بيته .. لأنه من لا غيرة له لا دين له .. ولأن غيرته على أهله ستحميه وتحميهن من الانحطاط الأخلاقى .. الذى نسأل الله تبارك وتعالى أن يعافينا جميعا منه .. اللهم آمين.

٣٦) ما حقُّ زوجة أحدنا عليه ؟ وما حق أحدنا على زوجته .. يا رسول الله .. ؟

عن معاوية بن حيدة ﷺ قال : قلت : يا رسول الله : ما حق زوجة أحدنا

(١) أى يشك فيه .

عليه ؟ قال : « **أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تُقَبِّح، ولا تَهْجر إلا فى البيت** » رواه أبو داود، وابن حبان فى صحيحه، إلا أنه قال : (إن رجلًا سأل رسول الله ﷺ ما حق المرأة على الزوج ..) فذكره .

*وعن عمرو بن الأحوص الجُشَمِى رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ فى حِجة الوداع يقول : بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، وذكَّرَ ووعظ. ثم قال : « **ألا واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنما هن عوان**[1] **عندكم، ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشةٍ مبينة، فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع، واضربوهن ضربًا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، ألا إن لكم على نسائكم حقًا، ولنسائكم عليكم حقًا، فحقكم عليهن : أن لا يوطئن فُرُشَكم مَنْ تكرهون، ولا يأذَنَّ فى بيوتكم لمن تكرهون ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن** » رواه ابن ماجه، والترمذي، وقال حديث حسن صحيح .

**ففى هذين الحديثين الشريفين يعلمنا الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه كيف نتعامل مع أزواجنا أعنى كيف يتعامل الزوج مع زوجته، وتتعامل الزوجة مع زوجها من خلال تلك الحقوق الهامة التى لن تستقر الحياة الزوجية إلا بها .. (بل) ولن يتحقق الهدف من هذا الزواج المشروع إلا على أساسها .

(وحتى) يتضح لنا هذا ..فإنه حسبنا الآن وبإيجاز أن نقف على المراد من تلك الحقوق ..حسب الترتيب الوارد فى الحديثين .. فقد قال النبى ﷺ مشيرًا إلى حق زوجة أحدنا عليه : « **أن تطعمها إذا طعمت** » : أى أن تطعمها من طعامك الذى تأكل منه ..أى من نفس الطعام .. لا أن تأكل أنت طعامًا شهيًا .. وتطعمها هى طعامًا غير شهى .

(اللهم) إلا إذا كان هذا الطعام الذى تأكله، أو الطعام الذى من المفروض

---

(١) أى أسيرات في أيديكم .

أن لا تأكله هى : بتوصيات طبية مثلًا. وليس المراد أنه لا يجوز أن يأكل حتى تأكل معه، بل المراد الحث على المبادرة إلى إطعامها وكسوتها كما يفعل ذلك عادة فى شأن نفسه .. وبدون أنانية ..حتى يتحقق السكن المشار إليه فى قول الله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١] .

«**وتكسوها إذا اكتسيت**» :أى وأن توفر لها الكسوة - الشرعية - اللائقة بمثلها كما تقوم بكسوة نفسك ..وهذا هو العدل الذى ينبغى أن يكون سائدًا بين المسلمين والمسلمات .. ولا سيما بين الزوجين ..حتى لا تكيد الزوجة له بسبب بُخله عليها أو عدم اهتمامه بها ..أو بأهم شئونها ..«**ولا تضرب الوجه**» : أى اجتنب الوجه إذا احتجت إلى ضربها للنشوز ، أو لتركها بعض الفرائض .. مع ملاحظة أن لا يكون هذا إلا بعد الوعظ والإرشاد .. والهجر فى الفراش .. فربما كان هذا مغنيًا عن هذا الضرب على الوجه الذى أبدع الله صورته .. (بل) ربما كان مغنيًا عن أى ضرب آخر .

« **ولا تقبح** » : أى : لا تقبح صورتها بضرب الوجه، ولا تنسب شيئًا من أقوالها وأفعالها إلى القبح الذى لا دخل لها فيه. ولا تقل لها قبح الله وجهك.

«**ولا تهجر إلا فى البيت**» : أى لا تهجرها إلا فى المضجع، ولا تتحول عنها، ولا تحولها إلى دار أخرى .. (قال بعضهم) : (ولعل ذلك فيما يعتاد وقوعه من الهجر بين الزوج والزوجة، وإلا فيجوز هجرهن إذا عصين فى بيت كإيلاء النبى ﷺ منهن شهرًا واعتزاله فى المشربة) .. هذا، وإذا كان النبى ﷺ قد قال فى الحديث الثانى : « **استوصوا بالنساء خيرًا فإنما هُنَّ عَوانٍ عندكم ..**» أى أن النبى ﷺ يوصينا (بعد أداة التنبيه، وهى : **ألا**) بأن يوصى بعضنا بعضًا خيرًا بأهله ..حتى يحسن عشرتها، ويؤدى إليها حقوقها «**فإنما هن عوان عندكم** » أى أسيرات فى بيوتكم والمراد تشبيه المرأة بالأسير فى لزومها بيت الزوجية فلا تخرج منه إلا بإذن زوجها ..إلا للضرورة القصوى كإنقاذ نفسها أو ولدها من مرض مفاجئ..أو حريق طارئ إلى غير ذلك - والعياذ بالله - وكان هذا فى غياب الزوج - مثلًا -«**ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك** » أى :

غير ما جعل لكم الشرع من حق عليهن فى الطاعة ولزوم البيت ونحو ذلك من الحقوق الواردة فى كتب السنة..والمتعلقة بحقوق الزوجية « **إلا أن يأتين بفاحشة مبينة** » : والاستثناء هنا من عموم الأحوال أو الأوقات :أى لا تملكون منهن غير ذلك فى وقت من الأوقات إلا وقت إتيانهن بفاحشة مبينة، أى ظاهرة فحشًا وقبحًا، والمراد النشوز وشكاسة الخلق، وإيذاء الزوج وأهله باللسان واليد ..وليس المراد بها الزنا .

« **فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع** » : أى فى الفراش .. قال ابن عباس: (الهجر هو أن لا يجامعها ويضاجعها [1] على فراشها، يوليها ظهره، ولا يكلمها مع ذلك ولا يحدثها)، وقال قتادة : الهجر هو أن لا يضاجعها . «**واضربوهن ضربًا غير مُبَرِّح**[2]» : قال الحسن البصرى : أى غير مؤثر، فلا يكسر فيها عضوًا ولا يحدث فيها شيئًا.

لأن هذا ليس مشروعًا..«**فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا** » أى : فإن أطعنكم فى ترك النشوز ..فلا تتلمسوا الأسباب لأذِيَتِّهنَّ وتوبيخِهِنَّ، بل اتركوا التعرض لهن واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن ، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ..كما ورد عن الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .

ثم بعد ذلك يقول النبى ﷺ مشيرًا إلى أهم حقوق الزوج على زوجته والزوجة على زوجها : «ألا إن لكم على نسائكم حقًا ، ونسائكم عليكم حقًا**» .« **فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون**» : قال ابن جرير : (معناه أن لا يمكِّنَّ من أنفسهن أحدًا سواكم)، ورُد هذا بأنه لا معنى حينئذ لاشتراط الكراهة لأن الزنا حرام على الوجوه كلها، وأجاب بعضهم عن هذا الاعتراض بأن الكراهية فى جماعهن تشمل عادةً الكلِّ سوى الزوج.

وقال الخطابى : (معناه أن لا يأذن لأحدٍ من الرجال فيتحدث إليهن .. وكان الحديث من الرجال إلى النساء من عادات العرب لا يرون ذلك عيبًا

---

(١) أى ينام بجوارها على فراشها بدون جماع.
(٢) بتشديد الراء المكسورة، والمبرح هو الشديد الشاق.

ولا يعدونه ريبة .. فلما نزلت آية الحجاب وصارت النساء مقصورات ..نهى عن محادثتهن والقعود إليهن)، وقيل : المختار منعهن عن إذن أحد فى الدخول والجلوس فى المنازل حتى ولو كان مَحْرمًا أو امرأة إلا برضا الزوج.

« **ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون** » : لأن هذا سيكون معناه الاعتداء على حقوق الزوج وعدم مراعاة حرمة البيت فى غياب صاحبه ..« **ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن** » :أى فيما يلزمهن من كسوة وطعام بالمعروف ..حتى تتحقق الولاية والرياسة والقوامة المشار إليها فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِم﴾ [النساء: ٣٤].

*** وقد قرأت فى كتاب (ذخيرة الواعظ) كلامًا مفيدًا، تحت عنوان (حقوق الزوجة) جاء فيه ما خلاصته : أنه ينبغى على الزوج : أن ينفق على زوجته من غير إسراف ولا تبذير لقوله تعالى :

﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلاَّ مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧] وأن يكسوها :لقوله تعالى : ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

* وأن يوفر لها المسكن الشرعى : لقوله تعالى : ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦] وأن يعدل بينها وبين الزوجات الأخريات فى حالة التعدد المَشروع : فقد صح حديث الرسول ﷺ :« **من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما، جاء يوم القيامة وشقه مائل** » رواه الترمذي عن أبى هريرة. (والعدل) إنما يكون فى النفقة والمبيت وتوابعهما، (أما الحب) فهو لا يملكه الإنسان، كما قال تعالى : ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩] والآية واردة فى الحب .ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول : «**اللهم هذا قَسْمى فيما أملك ، فلا تَلُمْنِى فيما تملك ولا أملك** » يعنى القلب . رواه أبو داود .فإن لم يستطيع فواحدة .. حتى لايكون ظالمًا لزوجته .

* وأن يرشد زوجته إلى طريق الحق ،ويبعدها عن طريق الشر ، لقوله تعالى: ﴿ **قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ﴾ [التحريم: ٦].

* وأن يعاشرها بالمعروف ، لقوله تعالى :

﴿**فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ [البقرة: ٢٣١] .

* (وجاء) فى خطبة الوداع أنه ﷺ قال : «**الله الله فى النساء فإنهن عوان ، أخذتموهن بأمانة الله ،واستحللتم فروجهن بكلمة الله**» (وفى) البخارى وغيره أنه ﷺ قال : «**استوصوا بالنساء خيرًا، فإن المرأة خُلقت من ضِلَع أَعوَجَ، وإن أعوجَ شيءٍ فى الضِّلَع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيرًا**» وقال ﷺ : «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم** » رواه ابن عساكر عن على. وأجمع آية فى هذا المعنى قوله تعالى : ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [البقرة: ٢٢٨].

* ومن حسن معاشرة الزوج لزوجته أن يكون باشًا فى وجهها، فلا يُقَطِّب وجهه عند ملاقاتها، بل يداعبها مداعبة لا تسقط هيبته عندها، فإن ذلك أطيب لقلبها وأدعى إلى حبها وإخلاصها. قال عمر رضي الله عنه : ينبغى للرجل أن يكون مع أهله مثل الصبي. (وما) أحسن وصف أعربية لزوجها : كان ضحوكًا إذا وَلَج[1]، سِكّيتًا إذا خرج، آكلًا ما وجد، غير سائل عما فَقَد.

وأن لا يفشي سرها، لقوله ﷺ : « **إن مِنْ شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يُفْضِى إلى امرأته، وتفضى إليه، ثم ينشر أحدهما سر صاحبه** » رواه مسلم وغيره. وأن يغار عليها، حماية لها، وحفظًا لكرامتها.

والغيرة من علامة الإيمان، ومن لا غيرة له لا إيمان له، ومن الغيرة ألا يصرح لها بالخلو لأجنبى وإن كان أخًا له، وألا تخرج من البيت لغير الضرورة. قال (على) كرم الله وجهه : ألا تستحيون ألا تغارون، يترك

---

(١) أى إذا دخل .

أحدكم امرأته تخرج بين الرجال ، تنظر إليهم وينظرون إليها . (وقالت) فاطمة رضي الله عنها : خير للمرأة ألا ترى رجلًا ولا يراها رجل .

* وأن يعمل - بأية وسيلة - على تعليمها حقوق الزوجية، والعفة، والأمانة، وتدبير المنزل، والعقائد الدينية والعبادات والمعاملات .. حتى تكون بسبب كل هذا .. رَبَّة بيت بالمعنى الصحيح. بل وحتى تكون قدوة صالحة لأبنائها .. وبناتها بصفة خاصة .

* وأن يتحمل أذاها .. فقد كانت أزواج النبى ﷺ يراجعنه الكلام، وتهجره الواحدة منهن اليوم والليلة، حتى صح أنه آلى منهن شهرًا كاملًا : (والإيلاء) أن يحلف الرجل بالله ألا يطأ زوجته وهو جائز للتأديب إن كانت مدته أقل من أربعه أشهر[1] .

ثم بعد ذلك يشير - وباختصار - إلى أهم (حقوق الزوج)فيقول :

* إنه ينبغى على الزوجة أن تفهم أن الزوج هو المسئول عنها من يوم أن دخلت بيته .. وأنه صاحب الدرجة المشار إليها فى قول الله تعالى : ﴿**وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وهذه الدرجة تقضى الرياسة لأنها حياة اجتماعية ، وكل حياة اجتماعية تحتاج إلى رياسة ، والرجل أجدر بالرياسة، لأنه أبعد نظرًا عن المرأة، وأقوى إرادة منها، وأعلم بالمصلحة وأملك لعواطفه، وأقدر على التنفيذ - منها - بقوته وماله .. (ولهذا) :

* فأنه ينبغى عليها أن تطيعه فيما يطلب، مما لا معصية فيه، ومن حقه أن لا تخرج إلا بإذنه، ومن حقه إذا أرادها ولو كانت على ظهر بعير، أو أمام التنور، لا تمنعه، ومن حقه ألا تعطى شيئًا من بيته إلا بأذنه إلا الأشياء اليسيرة .. فيجوز لها إذا غلب على ظنها إرضاءه، كذلك من حقه عليها ألا تصوم تطوعًا إلا بإذنه، أما الفرض - وهو صيام شهر رمضان - فإنها تصوم بدون إذنه، حتى ولو أدى هذا إلى غضبه. لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ..

---

(١) ثم لها إلزامه على وطئها أو طلاقها ، فإن امتنع طلق عليه الحاكم .. (مختصر الأحكام الفقهية) تأليف على بن فريد الكشجنورى الهندى (دار الاعتصام) .

* وألا تكلف زوجها ما لا يطيقه .. بل ينبغى لها إذا نزلت به نازلة أن تواسيه بها لها، قال تعالى: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ [النساء: ٤].

* وأن لا تدخل أحدًا يكرهه زوجها إلى بيته إلا بإذنه .. حفاظا على كرامته وعِرضه[١].

* وأن تظهر البِشر له، فتقابله فرحة مسرورة، ملازمة لما يرضيه، لقوله ﷺ : « **خير النساء من إذا نظرت إليها سرَّتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالك** ».

* وأن تصون نفسها وتستر عورتها، لقوله تعالى : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِى قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

* فعلى الأخ المسلم ..والأخت المسلمة .. كزوجين صالحين. أن يلاحظا كل هذا وينفذاه على أساس سليم ..حتى تدوم المودة بينهما .. بدون خلاف أو مشاحنات.

والله ولى التوفيق.

(٢٧) إن شرائع الإسلام قد كثرت علىّ .. فأخبرنى بشيء أتشبث به يا رسول الله ؟

عن عبيد الله بن بسر ﷺ : أن رجلًا قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت فأخبرنى بشيء أتشبث به[٢] ؟ قال : « **لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله**[٣] » رواه الترمذى وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم وقال : صحيح الإسناد.

ففى هذا الحديث الشريف يشير النبى ﷺ .. إلى أهمية الذكر الذى هو ما

---

(١) وقد وقفنا على هذا سابقًا.

(٢) أى أتمسك به.

(٣) أى لا يزال يلهج به ويُردِّده حتى يجرى مع ريقه.

يجرى على اللسان والقلب ، من تسبيح الله تعالى وتنزيهه وحمده والثناء عليه ووصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال والجمال .. (والحديث) يشير كذلك إلى أن الذكر هو رأس الأعمال الصالحة .. ولهذا :

(فقد) أمر الله تعالى بالإكثار منه ، فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾ [الأحزاب:٤١، ٤٢] .

* كما أخبر فى قرآنه بأنه يذكر من يذكره ، فقال : ﴿فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِى وَلا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢]، وقال فى الحديث القدسى الذى رواه البخارى ومسلم : « **أنا عند ظن عبدى بي،**[1] **أنا معه حين يذكرني، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسي، وإن ذكرنى فى ملإٍ ذكرته فى ملإٍ خير منه، وإن اقترب إلى شبرًا تقربت إليه ذراعًا وإن أقترب إلى ذراعًا اقتربت إليه باعًا، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة**[2] » .

* وقد ورد فى الحديث أن الله تعالى قد اختص أهل الذكر بالتفرد والذكر (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسير فى طريق مكة، فمر على جبل يقال له جمدان[3]، فقال : « **سيروا هذا جمدان سبق المفردون** » قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : « **الذاكرون الله كثيرًا** [4]» رواه مسلم واللفظ له .

كما ورد كذلك فى الحديث الشريف أن أهل الذكر هم الأحياء على الحقيقة: (فعن) أبى موسى رضي الله عنه، قال : قال النبى ﷺ : « **مثل الذى يذكر ربه، والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت** » رواه البخارى ومسلم ، إلا أنه قال : « **مثل البيت الذى يذكر الله فيه ..** »[5] .

** فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا حتى يكثرا من ذكر الله تبارك وتعالى .. وحسبهما ترغيبا فى هذا بالإضافة إلى ما

---

(١) أى إن ظن أنّ الله يقبل دعاءه وهو يدعوه قبله، ومن استغفره وظن أن الله يغفر له .. وهكذا .
(٢) أى أنه كلما زاد إقبال العبد على ربه كان الله له بكل خير أسرع .
(٣) قال فى القاموس : (جبل بطريق مكة بين ينبع والعيص).
(٤) وفى رواية لمسلم : « **والذاكرات** ».
(٥) انظر صـ٦٥٥ ، ٦٦٦ الترغيب والترهيب .١٩٦ ومابعدها من فقه السنة ج٤ بتصرف كبير .

وقفنا عليه .. قول الله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

والله ولى التوفيق .

(٣٨) يا رسول الله .. كيف يعيد الله الخلق . وما آية ذلك؟

فعن أبى رزين العُقيلى قال : قلت : يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق وما آية ذلك ؟ قال: «**أما مَرَرْتَ بوادى قومك جَدْبًا، ثم مررت به يَهْتَزُّ خَضِرًا ؟**». قلت : نعم. قال : «**فتلك آية الله فى خلقه، كذلك يحيى الله الموتى**» أخرجه أحمد وأبو الحسن رزين بن معاوية والطبرانى.

والمعنى : أما مررت بوادى قومك حال خُلُوِّه من النبات ثم مررت به بعد أن اخضر بالنبات ؟ كذلك يحيى الله الموتى يوم القيامة .

* (وعن) كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **إنما نَسَمة المؤمن[1] طير يعلُق فى شجر الجنة حتى يُرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه** » أخرجه مالك وأحمد والنسائى وابن ماجه والبيهقى بسند صحيح .

** وفى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى : ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ، ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]. أى هين .. ويقول :

* ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِى خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِى الْعِظَامَ وَهِى رَمِيمٌ﴾ [يس:٧٨- ٨٩] .

** (وقد) قرأت فى (حاشية الصاوى على الجلالين) حول تفسير قول الله تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ[2] مَنْ فِى السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ[3] ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨] : أنه بعد أربعين[4] سنة

---

(١) النسمة : الروح والنفس .. ويعلق : بضم اللام أى ما يأكل.

(٢) أى مات.

(٣) أى من الحور والولدان .. وغيرهما أى كجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت فإنهم لا يموتون بالنفخة الأولى وإنما سيموتون بين النفختين.

(٤) وهى المدة التى بين النفختين على الصحيح .

على الصحيح من النفخة الأولى وقرب نفخة القيام تأتى سحابة من تحت العرش فتمطر ماء خائرا كالمنى فتنبت أجسام الخلائق كما ينبت البقل فتتكامل أجسامهم، وكل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب[1] فإنه يبقى مثل عين الجرادة لا يدركه الطرف [2]فتُرَكَّب عليه أجزاؤه ، فإذا تم وتكامل نفخ فيه الروح ثم انشق عنه القبر ، ثم قام خلقا سويًّا، وفى النفخة الثانية يقول : أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، والأعضاء المتمزقة، والشعور المتنثرة .. إن الله المصور الخالق يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء، فيجتمعن، ثم ينادى : قوموا للعرض على الجبار .. فيقومون .. كما قال الله تعالى : ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ[3] كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧].

** فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا ويؤمن به لأنه من مشتملات اليوم الآخر[4] الذى لا بد وأن يؤمن به وبكل مشتملاته : من بعث، وحشر، وحساب، وميزان، وصراط، وحوض، وكوثر، وشفاعة، ونار، وجنة، ورؤية الله تعالى التى نسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الفائزين بها كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢، ٢٣]، أى : وجوه المؤمنين يوم القيامة حسنة مضيئة ناظرة إلى ربها بلا جهة ولا كيفية ، أسأل الله تعالى أن ينفعنا بما جاء فى هذه الفتوى المحمدية التى لا بد أن نكون من المؤمنين بها حتى نعمل لما بعد البعث ألف حساب .والله ولى التوفيق .

(٣٩) ما هو مثل الجليس الصالح ، وجليس السوء .. يا رسول الله ؟

عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : ((إنما[5] مَثَل[6] الجليس

(١) العجب بالفتح : أصل الذنب (مختار الصحاح) ص ٤١٣.
(٢) أى النظر.
(٣) **الأجداث** : أى المقابر.
(٤) وهو يوم القيامة الذى أوله من الموت .. بالنسبة لكل واحد منا .. ففى الحديث : ((**القبر أول منزل من منازل الآخرة** ..)) من حديث أخرجه الترمذى.
(٥) **إنما** : أداة حصر.
(٦) والمثل بفتحتين : الشأن العجيب والأمر الغريب ويستعمل فى تقريب البعيد . وتوضيح الغامض.

الصالح وجليس السوء : كحامل المسك ونافخ الكير[1]**، فحامل المسك إما أن يُحذِيك**[2]**، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا منتنة** »رواه البخاري ومسلم .

** (ففى) هذا الحديث الشريف الصحيح ومن خلال هذين المثلين الواضحين يشير النبى ﷺ إلى الفارق الكبير بين الجليس الصالح وجليس السوء .. فيشبه الأول ببائع المسك الذى قد يمنحك من مسكه - وهذا هو ما يحدث غالبا - وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة.

(وهذا) هو مثل المؤمن الذى يوصينا النبى ﷺ بمصاحبته فيقول : « **لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقى**»، وقد ورد كذلك فى الحديث: « **المؤمن كله منفعة : إن شاورته نفعك، وإن شاركته نفعك، وإن ماشيته نفعك ، فأمره كله منفعة** ».

* (وأما) غير المؤمن الذى ينبغى علينا أن لا نجالسه أو نتعامل معه : (فمثله) كمثل نافخ الكير الذى قد يحرق ثيابك بسبب الشرر الذى يتطاير من النار .. وإما أن تجد منه ريحًا منتنة .. (وهذا مثل واضح معناه أنه من الخير لنا أن لا نجالس غير الصالحين .

* ولله درُّ مَنْ قال :

وحدةُ الإنسانِ خيرٌ ... مِن جليس السّوء عنده
وجليس الخير خيرٌ ... من جلوس المرءَ وحْده

* (وكان) لقمان الحكيم يقول لولده فى وصاياه : (يا بنى لا تجالس الفجار ولا تماشيهم، اتق أن ينزل عليهم عذاب من السماء فيصيبك معهم، وجالس العلماء والفضلاء، فإن الله تعالى يحيى القلوب الميتة بالفضيلة والعلم كما يحيى الأرض بوابل المطر).

---

(١) الكير : هو جانوت الحداد، وأما نافخ الكير فالمراد به الحداد الذى ينفخ النار على الحديد حتى يحمر فيستعمله .

(٢) أى ينفحك بعطره .

* فعلى الأخ المسلم أن ينفذ المراد من هذا الحديث الصحيح .. وعلى أساس من هذا التوضيح المبين حتى يفوز بكل خير إن شاء الله.

والله ولى التوفيق .

(٣٠) ما حكم الجلوس على القبر .. وكسر عظم الميت يا رسول الله ..؟

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لأن يجلس أحدكم على جمرة[1] فتحرق ثيابه فتخلص إلى جسده [2] خير له من أن يجلس على قبر** » رواه مسلم . وأبو داود والنسائى وابن ماجه.

** فقد قال بعضهم : إن هذا الوعيد فى حق من يجلس عليه للإحداد والحزن وهو أن يلازمه فلا يقوم عنه . (وقال) المنَّاوى : هذا مفسر بالجلوس للبول والغائط .. فالجلوس والوطء عليه لغير ذلك مكروه لا حرام عند الجمهور ..(والحق) أن النهى فى الحديث مطلق وهو يدل على كراهة ذلك جدًا، ووجوب التنزه عنه لما فيه من امتهان القبر والاستخفاف بحرمته .

* (وعن) عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لأن أمشى على جمرة أو سيف[3] أو أخصف نعلى برجلى [4]أحبُّ إلى من أن أمشى على قبرٍ** » رواه ابن ماجه بإسناد جيد.

** وأما عن حكم كسر عظم الميت ، فقد ورد فيه (عن) عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **كسر عظم الميت كَكَسْرِه حيّا** » . رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه.

(يعنى) أن الاعتداء عليه بعد موته بكسر شيءٍ من عظمه ونحو ذلك مثل الاعتداء عليه فى حياته فإن حرمة المؤمن ميتا كحرمته حيًّا.

---

(١) أى : والله لجلوس أحدكم على جمرة من نار . لأن اللام هنا موطئة للقسم.
(٢) أى فتصل إلى جلده.
(٣) أى : على حد سيف.
(٤) أى أن أخيط نعلى بجلد مقطوع من رجل.

* (وقد) ذكر السيوطى فى سبب هذا الحديث عن جابر قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة فجلس النبى ﷺ على شفير القبر وجلسنا معه فأخرج الحفار عظاما .. ساقا أو عضدا فذهب ليكسره ، فقال النبى ﷺ : «**لا تكسرها فإن كَسْرَكَ إياها ميتا ككسرك إياها حيًّا، ولكن دُسَّه فى جانب القبر**». فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا وينفذ المراد منه مراعاة لحرمة الميت ... الذى أرجو أن يتصور نفسه مكانه .. **والله الموفق للصواب** .

** (ثم) إليك بعد ذلك .. أيها الأخ الواعظ الكريم .. بعض خطب ومواعظ والدى السيد عبد الله العفيفى .. الذى كان هو الخطيب الأول للجمعيات الشرعية فى عهد الإمامين محمود محمد خطاب السبكى وأمين محمود السبكى .. عليه وعليهما رحمة الله تعالى وأسكنهم وأسكن جميع أئمة أهل السنة فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

** (هذا) مع ملاحظة أن السيد الوالد عليه رحمة الله كان من الأشراف الذين يفخرون بانتسابهم إلى آل بيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فهو[1] أى السيد عبد الله، بن الشريف عبد الله، بن الشريف على بن الشريف عبد الله بن الشريف على العفيفى شقيق الإمام القطب عبد الوهاب العفيفى بن الشريف عبد السلام، بن الشريف أحمد، بن الشريف حجازى، ابن الشريف عبد القادر، بن الشريف أبى العباس، بن الشريف مدين، بن الشريف أبى عباس ، بن الشريف عبد القادر، بن الشريف أبى العباس، بن الشريف شعيب، بن الشريف محمد، بن القطب سيدى عمر المرزوقى العفيفى، بن سيدى مرزوق الكفافى، بن الشريف أحمد، بن الشريف عيسى، ابن الشريف يحيى، بن الشريف محمد، بن الشريف داود، بن الشريف موسى، ابن الشريف يحيى، بن الشريف عبد الله، بن الشريف موسى الجونى، بن الشريف عبد الله المحض، بن الشريف حسن المثنى، بن الإمام الحسن السَّبط،

---

(١) كما جاء فى شهادة نسبى من نقابة الأشراف بجمهورية مصر العربية .. حسب ما هو مدون بسجل أنساب الأشراف بالنقابة برقم ١٥٣٢٠ بتاريخ ٨/ ٩/ ١٩٩٦ م.

ابن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه، والسيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت سيدنا محمد رسول الله ﷺ .

*(ولقد) كان عليه رحمة الله إذا ذكر هذا أو تحدث به فإنه يذكره تحدثا بنعمة الله عليه وعلينا [1].

وهو يُرَدِّد قول القائل الحكيم الذى وضع النقط على الحروف :

إنــا وإن كَــرُمَتْ أوائلنــا لســنا علــى الأحســاب نَتَكِــلُ
نبنى كما كانت أوائلنا تبــنى ونفــعل مــثلما فــعلوا

* (ولهذا) كان عليه رحمة الله دائم الجهاد فى سبيل نشر السنة ..ومحاربة البدعة . (كما) كان كثيرا ما يشارك فى أعمال الخير .. (وفى) بناء المساجد الشرعية بصفة خاصة .. (وقد) أسس فى الأربعينيات - فى ناحية باب الخلق..درب الغوطى المتفرع من غيط العِدَّة .. بعابدين - مسجدًا صار بعدُ فرعا من فروع الجمعية الشرعية المركزية .. وقد أعيد بناؤه فى أوائل الستينيات على أحدث طراز. (وجارى) الآن تنشيط الدعوة فيه ببركة الأخ المبارك الحاج شحاتة إبراهيم- رئيس الجمعية الآن [2] ومع وجود جميع الأخوة الصالحين الذين نحن مع الإخوة الأشقاء منهم .. إن شاء الله . ومنهم الأخ الفاضل / محمد محيى .. سكرتير الجمعية .

*(وقد) أسس فى أوائل الثلاثينيات مسجدًا كبيرا للجمعية الشرعية ببلدته ميت عفيف مركز الباجور منوفية ... على مساحة ثلاثمائة وخمسين مترا... (وقد) أكرمنى الله تبارك وتعالى بعد ذلك بإعادة بنائه [3] على ضعف المساحة المذكورة وعلى ارتفاع أربع طوابق .... وبتكلفة تزيد على المليون جنيه لأنه يجمع جميع الخدمات الطبية والثقافية والاجتماعية .

---

(١) نحن أسرته من الأبناء والأحفاد .

(٢) وهو من الذين رباهم الوالد عليه رحمة الله وكان يحبه ويثنى عليه .

(٣) وكان هذا ابتداء من يوم الجمعة ١٤ محرم ١٤٠٩ هـ - ٢٦ أغسطس ١٩٨٨ . ولا زال العمل جاريا حتى الآن .. على أكمل وجه إن شاء الله .

* (ولقد) كان عليه رحمة الله من كبار المجاهدين فى أداء رسالته الوعظية والإرشادية بتكليف من شيخه وإمامه الأكبر الذى كان يحبه حُبًّا جَمًّا ... كما كان يقدمه على غيره من الأئمة والوعاظ ... (فمن) كلامه المشهور عنه ، أنه كان يقول: (من أراد أن ينتفع فليجالس عبد الله فإنه قد عرف وانتفع) ، وكان يقول (ما دام عبد الله موجودا لا يقدم عليه أحد) .

* (وبالطبع) كان هناك بعض الحاقدين والحاسدين الذين حاولوا أن يوقعوا بينه وبين إمامه الأمين عليه رحمة الله .. ولكن الله نصره عليهم ... بالحق المبين .

* (وأذكر) أننى فى أعقاب هذه الفتنة – التى لم يعد لها أثر والحمد لله – ذهبت مع والدى عليه رحمة الله – وكنت فى سن العاشرة أو أكثر بقليل – من باب الخلق حيث المنزل والمسجد .. إلى المسجد الكبير بالخيامية ... حيث كان فضيلة الإمام الأمين يجلس فى المكان الذى كان الإمام الأكبر يجلس فيه مع إخوانه وتلاميذه ... فلما رأى والدى هَشَّ له وبشَّ واستقبله استقبالا كريما .. (فقال) له الوالد بالحرف الواحد الذى أحفظه من يومها : (أنت شيخى وابن شيخى .. وأنا قد جئتك مخافة أن يقول الناس : لو كانوا على الحق ما اختلفوا) ، ففرح الإمام الأمين رحمة الله عليه فرحا كبيرا بهذا وتعانقا على أثره ثم جلسا يتناجيان فى ود وصفاء .. بعد أن طلب الإمام من (أبو زيد) شرباتا.

* (وفى) يوم وفاة والدنا عليه رحمة الله [1] حضر فضيلة الإمام الأمين .. وأشرف بنفسه على غسله .. ثم صلى عليه .. ثم سار فى جنازته مع جمع غفير من أهل السنة الذين وفدوا من كل مكان وهناك وبعد ثم أن دفنه فى اللحد الذى كان قد أعده لنفسه قبل وفاته .. وقف الإمام الأمين، وقال :

(١) فى مساء الأحد ٥ من ذى الحجة ١٣٦٩ هـ الموافق ١٧ سبتمبر ١٩٥٠م بعد أن عاش ثلاثة وسبعين عامًا .

(ماتت العلماء) ووقف بعد ذلك عدد من الأئمة يتبادلون الدعاء له بالرحمة والمغفرة .. وأذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر .. فضيلة الشيخ درويش الجعبرى، والشيخ على حلوة، والشيخ القلقيلى ... عليهم جميعا رحمة الله.

* (ومن) يوم وفاة والدنا السيد عبد الله العفيفى .. وأنا أعمل مع جميع أشقائى – أحمد، ونصر الدين ، وعبد الرحمن – فى خدمة الدعوة من خلال مسجد الجمعية الشرعية – الذى أسسه والدنا – بعابدين ولسان حال كل واحد منا يقول :

ليس الفتى من يقول كان أبى بل الفتى من يقول ها أنذا

* (ولسوف) يستمر أبناؤنا جميعا [1] فى حياتنا وبعد مماتنا – إن شاء الله – فى ذلك الخير الذى نشأنا عليه وتدربنا عليه حتى يكونوا معنا أهلا لهذا الشرف الذى لن يكون حقيقة إلا بمثل هذا الخلق الكريم الذى كان عليه جدهم الأكبر صلوات الله عليه وسلامه الذى ورد عنه أنه قال : « **أنا جدُّ كل تقى** »، وقال: « **سلمان منا آل البيت** » ، كما ورد كذلك أنه قال لجدتهم الزهراء رضي الله عنها : « **يا فاطمة اعملى فإنى لا أغنى عنك من الله شيئا**» .

* (وذلك) لأنه فى يوم القيامة .. لن ينجو أى إنسان من النار إلا إذا كان مطيعا لله ورسوله .. ومؤديا ومنفذا لما أمر الله تعالى به ، ومجتنبا لما نهى الله عنه ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] ﴿مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩] .

* (وفى) القرآن الكريم – كذلك – يخبرنا الله تبارك وتعالى ... بأنه فى يوم القيامة لن يكون هناك اعتراف بتلك الأنساب إلا إذا كانت هناك حسنات فى موازين أعمالنا .. فقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١،١٠٢] .

---

(١) بل وأحفادنا إن شاء الله.

* (وهذا) معناه أن الله ما خلق الجنة وما أعدها إلا لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيًّا، وما خلق النار وما أعدها إلا لمن عصاه ولو كان شريفا قرشيًّا.

** (وعلى) هذا فإنه ينبغى علينا جميعا أن نلاحظ كل هذا ... حتى لا نتكل على أنسابنا .. (بل) وحتى نقدم لأنفسنا خيرا ينفعنا هناك ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤٠] وحتى نترك لنا أثارا صالحة نذكر بها بعد مماتنا .. إننا إن فعلنا ذلك سنكون من الأحياء الحقيقيين الذين أشار إليهم أمير الشعراء – شوقى – فى قوله :

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياةَ دقائق وثوانِ

فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها ... فالذكرُ للإنسان عمرٌ ثانِ

**(فلننتفع) جميعا بهذا التذكير النافع الذى أوجهه أولا إلى نفسى وإلى جميع أسرتى وأبنائى وأحفادى بصفة خاصة .. ثم إلى جميع الناس بصفة عامة.. (ثم) أقدم إلى الأخ الواعظ :

من خطب ومواعظ
السيد عبد الله العفيفي

المتوفى في مساء الأحد ٥ من ذى الحجة

١٣٦٩ هـ - الموافق ١٧ سبتمبر ١٩٥٠ م

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته

اللهم آمين ....

(١) خطبة

فى الحث على طلب العلم وفضل أهله العاملين به

الحمد لله الذى هدانا لدينه الحنيف الإسلام ، وبين لنا شرائعه وأوضح لنا الأحكام ، وأمرنا بالمحافظة عليها لنكون من المفلحين .

وأشهد أن لا إله إلا الله فَقَّه فى ديننا خيارنا ونصبهم لتعليمنا وألان جانبهم لنا لئلا نحتج بالجهل إذا جئنا بها يفسد الدين .

وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله بين لنا الرشد من الغى بوحى عن ربه غاية التبيين ، وما ترك شيئا فيه خير لنا يقربنا إلى الله تعالى إلا وقد أمرنا به كما أخبر وهو الصادق الأمين ، ولا شيئا فيه شر لنا إلا وقد نهانا عنه وهو الحريص على نفعنا دنيا وأُخرى الرءوف الرحيم بالمؤمنين .

وبهذا أكمل الله لنا ديننا على يديه وأتم نعمته علينا كما أخبر تعالى فى كتابه المبين .

اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد وآله ومن اقتفى أثره فى العلم والعمل والمحبة والصدق والإخلاص واليقين إلى يوم الدين .

أما بعد : فيا عباد الله اعلموا أن الله تعالى قد حملكم فرائض أشفقن من حملها السموات والأرض والجبال، وأوجب عليكم أن تتعلموها وتُعلِّموها الجُهال لئلا يدخلها فساد، ولتأتوا بها على الوجه الصحيح المشروع المقبول كما أمركم رب العالمين، ولكن لا وقوف لكم على حقائقها ودقائقها وأسرارها وحكمها إلا بتوقيف من العلماء، إذ المرء لم يولد عالما بما فرضه عليه رب الأرض والسموات. وإلا لما كان هناك داع لبعثة النبيين والمرسلين، بل كانت بعثتهم إذ ذاك عبثا، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. فقد فطر الله الناس على الجهل والغفلة والذهول وعَلِمَ ما هم عليه من الميل للبغى والعدوان : ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠] .

لذا أرسل إليهم تفضلا منه تعالى رسلا منهم مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد بعثة الرسل إليهم إذا آخذهم دنيا وأخرى بما

اكتسبوا من الضلال والإضلال ولتمام قطع الحجة من الكل أورث العلماءَ الأنبياءَ وأرشدهم لتعليم الجهال ، قال تعالى: ﴿فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] أى الهدى من الضلال والحرام من الحلال ، قل فَلله الحجة البالغة على جميع العالمين.

فاتقوا الله عباد الله واطلبوا العلم ولو من أقصى البلاد ، فطلبه فريضة على كل مسلم وهو خير ونور ولا تطمئن قلوب بالجهل فالجهل إثم كبير، فهو عار يجر صاحبه إلى الفسوق والغرور. ولو علم الله فى الجهال خيرا لأعلمهم بما به يكونون على هُدًى من ربهم، ألا وإن الجاهل قد يفعل المُجْمَع على تحريمه معتقده طاعةً فيخرج بالكلية من الإسلام والعياذ بالله، ويعيش حليف الخسران والتفريط والإضاعة. وإن أصابته فتنة ومصيبة انقلب على وجهه فخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

وكيف ترغبون أيها العقلاء عن طلب العلم وصحبة أهله العلماء العاملين، وقد قال رسول الله السيد الماجد: « **العالم أشد على الشيطان من ألف عابد** »[1] وقال : « **من يُرِد الله به خيرا يفقهه فى الدين** »[2] وقال أيضا عليه وعلى آله الصلاة والسلام وعلى جميع أحبابه الصادقين والأتباع :« **أنه لا خير فى العيش إلا لعالم ناطق أو سامع واع** »[3] وكيف لا .. والعلماء هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر الحافظون لحدود الله الذين هم بهم يعم النفع والانتفاع والذين لولاهم لرفعت الخيرات والرحمات والبركات من الأرض وتعاظم التغابن والتقاطع بين المسلمين فى جميع البلاد والبقاع ... إذًا المواعظ تنادينا كل يوم وأكثرنا فى ضلال وإضلال مبين فكيف لو رفع العلم النافع من الأرض والعياذ بالله وذُهِب بأهله ؟

تالله لاغتال المسلم إذ ذاك أخاه المسلم وتساهل بقتله فضلا عما هو أدنى من ذلك من حقوق الخلق والخالق كما هو الغالب فى عادة الجاهلين ولسبق

(١) رواه الترمذى وابن ماجه والبيهقى .
(٢) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه وغيرهم .
(٣) أثر .

القضاء بذلك من الله تعالى حثنا على المبادرة بالتعليم نبينا المشفع حيث قال ﷺ : « **تعلموا العلم قبل أن يرفع** »[1] . وقد أخبر فى حديث آخر بأن رفعه من الأرض يكون بموت أهله العلماء العاملين وورثة هذا النبى المتبع إلى أن يتخذ الناس من بعدهم أئمة مضلين ورؤساء متكبرين علماء سوء ودنيا وفتنة وشيطان، علماءَ ألسنةٍ جهلاءَ قلوبٍ بالله ورسوله وفضلِ أتباعه فى كل واقع ومتوقَّع. فيفتون إذا سئلوا بغير علم صحيح، ويَضِلُّواْ فى أنفسهم ويضلوا غيرهم من المسلمين، ويصدوهم عن اتباع نبيهم فيما أُنزل إليهم من ربهم وشُرِع ويسيروا أمامهم فى طريق أتباع البدع والأهواء والآراء والضلالات زاعمين فى ذلك لهم وللأمة حفظ المستقبل وبلوغ الأمل، وقد ظهر كل ذلك أجمع . غير أن الله تعالى قد حفظ دينه وأحياه وجدده، وهو الإله الحفيظ المعبود وحده بما شرع لا بالبدع. وذلكم بما أظهر فينا من علماء الآخرة والخير والرحمة والبركة علماء الله وخلفائه فى خلقه .. مصابيح الأرض وورثة النبى والنبيين الذين فيهم الخير كله قد جُمِع. بما أظهر معهم أيضا من أتباعهم غرباء الدين المؤمنين المتقين الصادقين الذين هم بهم نور السنة المحمدية قد سطع إنجازا لوعده تعالى، وتحقيقا لكل ما أخبر به على لسان نبيه سيد المرسلين.

وبالجملة فالعلم هو السبب الوحيد لمن عمل عليه وخشى ربه وتلقاه فى نيل سعادة الدارين مُيَسِّرٌ مُنَوِّرٌ سُبل الوصول كلها والفتوح. والجهل قطيعة ورذيلة حرام. حرام، قُبح مقبوح، والعبادة معه فاسدة مردودة باطلة. جسد بلا روح. ولذا كان المتعلم المتكاسل أفضل من العابد المجتهد لأنه على علم بعبادته فضله كفضل السموات على الأراضين، فأفيقوا عباد الله من الغفلة وجدوا فى طلب العلم وتعليمه رعاياكم وأتباعكم على قدر الاستطاعة ولا يمنعكم من التفقه فى دينكم ومعرفة أحكامه كونكم منشغلين بنحو تجارة أو حرث أو زراعة ولو بدفع أجرة للمعلمين إن امتنعوا ولم يتعين عليهم لوجود غيرهم من المعلمين المتطوعين. ولا عذر لكم بالجهل والعلماء العاملون بينكم كنجوم السماء فى غالب الأحيان وفى كل حين. ولا يعجبكم مطلقا حال

---

(١) أثر .

الجاهلين ولا تظنوهم على خير منعما عليهم من ربهم لما لديهم من زائل الملك والمال والبنين علمتم من أن رضاهم بالجهل فسق عظيم وفتنة فى الأرض وفساد كبير. وأنهم لا خير فيهم بنص نبيكم الصادق الأمين، وما أكثر الله لهم الأموال والعيال والوظائف على جهل وظلم منهم لأنفسهم إلا استدراجا لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين. ألا إنه لا عيش إلا عيش الآخرة.

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص:٦٠] .

(٢) خطبة

حول شهر رجب وفضله وما أحدث فيه من البدع والمخالفات

الحمد لله الذى رجب القلوب بأنوار الأهلة وصب على أفئدة الطائعين فريد الخيرات فكانوا سادة أجلة. وحرم الفلاح على المخالفين ولا سيما أصحاب البدع الدجاجلة. فهم على الدوام سابحون فى مراحيض الخزى والخذلان والشقاء والعَطَب.

وأشهد أن لا إله إلا الله الذى جعل بعض الأشهر الحُرُم فريدا . وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله الذى من لم يرض بسنته يكون كافرا بالإجماع عن رحمة الله طريدا.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى من وضع فى منهج أصحاب البدع والمخالفات سهام الغضب.

أما بعد : فإن شهر رجب هذا مشهور فضله بين الأنام. إذ هو من الأشهر الحرم المعظمة فى الجاهلية والإسلام. فستبقى فيه زيادة الإقبال على خالص طاعة الله تعالى والتمسك بسنة إمام العجم والعرب. ولكن كثيرا من الناس الذين لا عقل لهم ولا شرف ولا دين. الذين خلقهم من لا يُسأل عما يفعل وهو أحكم الحاكمين، إلا منبعا لكل شر وفساد ومعصية وبدعة وآفة، وضياعا للدين وفتنة للعالمين، ليكونوا هم وكل من تبعهم وأحبهم ووالاهم ورضى عنهم وحسن حالهم وقود النار الجحيم مع مردة الشياطين. فسحقا

فسحقا لهم جميعا وبئس الوقود وشر الحطب. قد أحدثوا فى هذا الشهر الشريف بدعا محرمة بالإجماع منكرة شنيعة. تنادى عليهم بأنهم خاسرون هالكون سابحون فى مهاوى الحرمان والقطيعة. وأن إبليس اللعين بخيله ورجله عليهم جلب. حيث سلبوا الرجولية والشهامة والمروءة والحرية والغيرة التى منشأها الإيمان كما أخبر النبى الطاهر. واتبعوا أهواء النساء حبائل الشيطان ورضوا بخروجهن ليلا ونهارا إلى زيارة الأضرحة والمقابر. فيقع منهن فى جمع هذا الشهر بالإنكار بعدد لا يحصى من كبير الفواحش وفظيع الكبائر. بسبب اجتماعهن مع الأجانب الذين لا يتقون الله ربهم ولا يخافون فى أى فضيحة لهم وللإسلام وأهله الإله العليم القادر. بل يعدون وقوعهم فى الزنا من أكبر المآثر لهم والمحامد والمفاخر خصوصا فسقة القراء الذين أجدهم فى الفساد والإفساد أسرع من أبيه أبى لهب وأمه ذات لهب وأكثر فسقة القراء هؤلاء الأغبياء الأسافل يقرأ لهن القرآن الكريم فى المواضع التى لا تليق وعند من لا يحترمه من أهل الباطل، كل ذلك ليشترى بآيات الله ثمنا قليلا وتعطيه قرينته شيئا من تافه الطعام أو الفلوس أو نحو ذلك من خسيس الحطام الزائل . والغالب كما تعلمون أنه يكون من مال الأيتام الذى يأكلونه فى بطونهم نارا فيقطع أمعاءهم ويفقرهم جميعا فى العاجل والآجل وكذا كل من أقرأهم أو تسبب فى قراءتهم أو قدر على منعهم ولم يمنعهم من حكيم أو عالم أو جاهل .... هداهم الله جميعا وأراحهم من هذا الشقاء الأكبر ورحمهم بالتوفيق والهداية لاتباع سيد الأواخر والأوائل، فوالله كأنهم ما لهم رب رازق، وكأن ما عليهم شيء حرم ولا شيء وجب مع أن قراءة القرآن على القبور غير ما خص بالزائر من الرجال والنساء ولو خلت من تلك الموانع وغيرها كانت خالصة لوجه الله الكريم. وبغير أجر على ما يجب للقرآن العظيم من فائق الأدب والاحترام والتعظيم. بدعة ضلالة سيئة ولا ثواب ولا نفع ولا رحمة للأحياء ولا للأموات فيها بإجماع كل مؤمن تقى عليم. بل على أصحابها الأحياء كالأموات إن لم يتبرأوا وينتهوا وينهوا عنها قبل موتهم العقاب والغضب من الله شديد البطش العزيز الحكيم حيث تركها النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مع قيام المقتضى وهو الحاجةُ

الشديدة وهو التشريع والتعليم وبيان ما فيه الرحمة ولا سيما للأموات وهو الحريص عليكم وعلى نفعكم بالمؤمنين أحياء وأمواتا رؤوف رحيم . فلو كان فى قراءة القرآن على القبور بهذه الكيفية المعلومة المتبعة اليوم خير ورحمة لما تركها النبى ذو القدر الفخيم . ولا تركها أصحابه بعده ولا الأئمة المجتهدون ولا السلف الصالح خير الأمة بعد أصحابه بنصه عليه وعلى آله وعليهم جميعا أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وأما ما ورد : « **اقرأوا على موتاكم ياسين** »[1] فهو عند الاحتضار أى الوفاة كما نص عليه العلماء العاملون ذوو القلب السليم ومن أبقى الحديث منهم على عمومه فقد خصه بالزائر من الرجال كما مر التنبيه عليه بلا جلوس ولا إلقاء سرج ولا تأجير ولا غير ذلكم من فعلهم المعلوم الذميم. فلتتقوا الله ولتنزجروا وتوبوا أيها العقلاء جميعا عن ارتكاب تلك الجرائم وهذا الصنع الوخيم. ولينزجر ويتب أيضا حملة القرآن الشريف وليحفظوا كلام الله تعالى من الإهانة وهو عز وجل يرزقهم كما يرزق الطير والبهيم. وليتأملوا قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

فلعلكم من هذا تعلمون يقينا أيها المسلمون أن غالب أهل زمانكم قد فسدوا وجهلوا الفرق بين السنن والبدع فوقعوا فى الضيق والحرج وضلوا وأضلوا وهم يحسبون أنهم مهتدون ، وأن غالب المنسوبين منهم إلى العلم كغيرهم يعتقدون البدع سننا ولا يكادون يفقهون ما أجمع عليه أئمة الهدى العلماء العاملون والأئمة المجتهدون ومقلدوهم التابعون لهم الصادقون من أن العمومات والأدلة المطلقة. لا يصح إبقاؤها على عمومها وإطلاقها أى لا يجوز الأخذ والاستدلال بها من غير نظر إلى فعل وترك سيد العجم والعرب .. ألم تر كيف اتخذوا قراءة القرآن على القبور وفى المآتم سنة متبعة عليها جميعا يحافظون ، وبها نفائس الأموال الحلال والحرام يبذلون، من تركها منهم كان كأنما خرق الإجماع عندهم ولم يرحم أمواته ويُفْضَح بينهم ويعاب عليه من

---

(١) من حديث رواه أحمد وأبو داود والنسائى واللفظ له وابن ماجه والحاكم وصححه .

الكلِّ الذين يعلمون والذين لا يعلمون ولم يفقهوا أن تلك بدعة منكرة ضلالة قد أدت إلى جملة من الكبائر والمنكرات، أفلا تبصرون إهانة كلام الله تعالى كما هو شأن التساهل فى ارتكاب البدع وترك سنن النبى الصادق المأمون. ألم تر كيف بنوا القبور أحواشًا محجرة ، فى تشييدها وزخرفتها نفائس الأموال الحلال والحرام، ينفقون ويتنافسون ويتباهون سيما فى قرافة مصر هذه التى هى وقف لدفن أموات المسلمين، ومن ثم نص العلماء أرباب المذاهب السابقون واللاحقون على أنه يجب هدم جميع تلك الأحواش منها وأن إبقاءها بها ظلم وغصب لأرض الوقف حرام حرام بإجماع من يؤمنون، خصوصا وقد اتخذوا بعضها الآن بيوتا ومساكن وأصبحت مأوى للمفاسد كما تعلمون وصارت للبيات على القبور وإيذاء الأموات أكبر داع وأقوى سبب. والطامة الكبرى اعتقادهم جميعًا لا فرق بين منسوب إلى العلم وغيره إلا من رحم ربك من النادر الذى لا يُعثر عليه إلا بتوفيق من الله رب الكائنات. إنهم بتلك البدع والجرائم التى تغضب الله ورسوله والمؤمنين والمؤمنات قد تسببوا فى نفع أموات الأحياء فسقة القراء ، وإيذاء الأموات . مع أنهم حقت عليهم جميعا وكل من أحبهم وتبعهم أو رضى عنهم وحسن حالهم ووالاهم أو قدر على منعهم ولم يمنعهم كلمة العذاب وأحيلوا على النيران من قبل المهات وتمت لهم عند ربهم موجبات السخط والغضب فتمسكوا بالسنن وأقلعوا عن جميع البدع سيما قراءة القرآن على القبور وفى عموم مآتمكم أيها المسلمون حتى يعلم أنها من البدع ولم تشرع فى مثل تلك المواضع بتلك الكيفية المتقدم بيانها حيث تركها النبى وأصحابه وخلفاؤه الراشدون. وإلا فمن بقى منكم يفعلها أو يقر من يفعلها أو يواليه أو يعضده خصوصا إذا كان ممن يقتدى به الجاهلون فعليه وزره ومثل أوزار من يقتدون به ويصنعون مثل صنعه هذا إلى يوم القيامة بنص حديث سيد العالمين شريف الأصل والنسب واتقوا الله وقوا أنفسكم وأهليكم نارا ، وامنعوا نساءكم وبناتكم من هذا الخروج وهذا التفرنج والتبرج والتهتك ولا تخشوا فى الله الملامة ، سيما خروجهن خصوصا بهذه الحالة السيئة إلى زيارة الأضرحة

والقبور واسلكوا بهن جميعا طريق السلامة وتأملوا قوله تعالى مخاطبا لنبيكم محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم صاحب العلامة : ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٥] وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « **لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والموقدين عليها السرج** »[١] وقوله : « **هلكت الرجال حين أطاعت النساء** »[٢] وقوله أيضا عليه وعلى آله الصلاة والسلام : « **ما ترك رجل امرأة فى هواها إلا أدخله الله النار** »[٣] . أن فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ورام إن يخلد فى جنة عالية مع قوم متقين لا يمسهم فيها نصب[٤].

٣) خطبة عيد الفطر المبارك

التى ألقاها صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل السيد عبد الله العفيفى فى حفل جامع بمصلى العيد بالعباسية

الله اكبر (تسعا) . الحمد لله الذى أوجب الفطر بعد رفعه وجوب الصيام . وبسط عوائد عيد المسرات للأنام . وقال : ها هى رياض برى فتمتعوا وقولوا: الله أكبر .

وأشهد أن لا إله إلا الله القائل :﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧] وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله الذى يقول يوم الشفاعة العظمى : « **أنا لها أنا لها** » صلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد ، وعلى من جاهد أصحاب البدع جهادًا أكبر .

(أما بعد) فاعلموا يا إخوان الوفا، أن الله عز وجل قد أتحفكم فى هذا اليوم بضيافة الصفا، ونادى منادى الأنس هنيئا لمن صام رمضان وفى هذا اليوم أفطر. هنيئا لمن خالف نفسه وشيطانه فترك المخالفات والشحناء وسامح إخوانه ، وواساهم وتواضع لهم ولم يتكبر، هنيئا لمن خاف مولاه وترك العناد،

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وغيرهما.
(٢) أثر.
(٣) أثر .
(٤) النصب بفتح الصاد أى التعب.

ووصل رحمه وأدى حقوق العباد، وألان جانبه ولم يتجبر. هنيئا لمن تمسك بسنة إمام المرسلين، وأبغض البدع وأهلها إخوان الشياطين، وحذر من ارتكابها وأنذر. هنيئا لمن أحيا عيده بسامى خالص العبادة وشمر عن ساعد الجد فى تحصيل أسباب السعادة وتجمل بمكارم الأخلاق وبالكمال تعطر .

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، ومن القبيح التجمل بحسن الثياب، والأعمال تغضب رب الأرباب، والقلوب فيها الغش والحقد والحسد والمكر، والبغض والرياء والعناد والكبر والغدر وغير ذلك مما شرحه يطول .. والهلاك الأكبر كراهة العمل بسنة الرسول. فإن كراهتها كفر بإجماع البشر.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، فاتقوا الله يا جماعة المسلمين، وتوبوا من كل ما لا يرضى رب العالمين. وابذلوا الجهد فى صلاح ما بطن منكم وما ظهر . واعلموا أن من جملة المحرمات والضلال الهائل، مصافحة النساء الأجنبيات من غير حائل خصوصا فى هذا اليوم الأزهر. فما يفعله بعض الناس من وضع أيديهم فى أيدى النساء ويقولون: نُعيِّدُ عليهنَّ حرام بإجماع العقلاء، والنظر إلى محاسنهن أدهى وأمر. وكيف لا ووضع الرجل يده فى يد المرأة بدون حجاب. شأنه حصول اللذة ولا سيما من الشباب فى هذا الزمان الذى عم فيه طوفان الفساد والضرر، وبسبب اختلاط الرجال والنساء فى الأعياد والأفراح والموالد ونحو ذلك، وقع الفساد والزنا واختلاط الأنساب ومهول المهالك، وبلغ إبليس اللعين من غواية الناس وإضلالهم حظه الأوفر. وقد ثبت أن النبى ﷺ حين بايع النساء على طاعة الحى القيوم. لم يضع يده فى يد امرأة منهن مع أنه ﷺ معصوم . وما ترك ذلك ﷺ إلا ليقتدى به من آمن وتبصر. ومع ذلك ما تبصرنا، ولا عن الغفلة تحولنا ، بل عكفنا على الطريق الأضر، فأفيقوا يا أهل الإيمان من الجهالة، واعملوا بما كان عليه النبى ﷺ صاحب الرسالة الذى من لم يرض بسنته كفر. وأخرجوا زكاة الفطر فإنها من واجبات الدين وصومكم موقوف رفعه على أدائها للمستحقين، فقد قال رسول الله ﷺ : « **شهر رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر** »[1] واعلموا أن

(١) حديث غريب جيد الإسناد .

العيد لا يكون عيد فلاح وسرور إلا على من أطاع مولاه وأحب إخوانه وترك الهذيان والفجور وتمسك بسنة رسول الله ﷺ فى كل أمر والويل كل الويل لمن ارتكب البدع اقتداء بأسلافه وخالف سنة المختار، فله فى الدنيا دائم الخزى والمقت وفى الآخرة عذاب النار ، فقد قال ﷺ : « **ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل حذوا النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان فى أمتى من يصنع ذلك، وإن بنى إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار إلا من كان على ما أنا عليه وأصحابى** »[1] فتأملوا ذلك واعملوا عليه يا أولى النظر .

(٤) خطبة جليلة

ألقاها حضرة صاحب الفضيلة السيد عبد الله العفيفى بمسجد الجمعية الشرعية

الحمد لله الذى خص الطائعين بالسعادة والشرف الأعلى والحسنى وزيادة، والمخالفين بالشقاء والخزى والوبال .

وأشهد أن لا إله إلا الله الآمر بالاستقامة. وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله الناهى عن المخالفة ولو خفنا عليها الملامة . اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى كل من عمل بسنته فى الأقوال والأفعال.

(أما بعد) فإن الطاعة شعار المفلحين الطيبين. والمعصية عادة إخوان الشياطين الخبيثين. الذين باعوا الشرف بالخسَّة، والرضوان بشديد النكال، ولذا قال العارفون إرشادًا للأنام : يطلب من الشخص أن ينزل السنة منزلة الواجب، والمكروه منزلة الحرام ، وإلاَّ رُبَّمَا هوى فى غيابات الخزى والوبال، وسقط فى مراحيض الشقاء والضلال ، وقالوا : اجتناب المنهيات أوكد من فعل الطاعات. أخذًا من قول النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فى كل حال : « **ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم فإنما**

---

(١) حديث صحيح ومشهور : أخرجه الترمذى فى كتاب أبواب الإيمان برسول الله : (باب) افتراق هذه الأمة وحسنه.

أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم »[1] وذلك أن النهى إذا ورد بتناول المحرم والمكروه، كما أن الأمر بتناول الواجب والمندوب كما قرروه. ومن ثم قالوا : يطلب من الشخص التوبة من المكروه كأنه حرام . ومن ترك السنة كأنها واجب تعظيما لأوامر ونواهى ذى الجلال فترى النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يقيد المنهى عنه بالاستطاعة. كما قيد المأمور به. لأن اجتناب المنهى عنه أوكد من فعل الطاعة. وأن المكروه لا يليق وقوعه ممن عرف اليمين من الشمال، وأن التساهل فى ترك السنن وارتكاب المكروهات ناشئ عن الغفلة والسقوط فى مهالك الظلمات. والغباوة والطمس والجهل بأقوال وأفعال الرسول صلى الله تعالى وسلم عليه والآل، فما أعمى هؤلاء المتساهلين بارتكاب المكروه وترك السنن عن سبيل ذوى الفلاح. الذين هم لحرصهم على السنن والفضائل ومكارم الأخلاق وسبل النجاح. يستغفرون الله تعالى من فعل الشهوات وارتكاب المباح. خوفا من أن يجرهم ذلك إلى ارتكاب المكروه وإمتثالًا لنواهى الكبير المتعال. وما أبعدهم عن الخير وما أغفلهم عن قول العارفين الأكابر : ارتكاب الكبائر أهون من الاستصغار بالصغائر. لأن مرتكب الكبيرة يرجى له أن يتوب لخوفه من بطش وعذاب علام الغيوب. بخلاف مرتكب الصغيرة خصوصًا مع التهاون بها فإنها عنده ليست على بال ، فيا أيها الناس اتقوا الله واتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تطيعوا الأخسرين. بل أطيعوا مولاكم ، ولا تخالفوه ولو بفعل المكروه له لأنه عنه نهاكم ، وعليكم بالعمل بسنة المصطفى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يمنحكم فضله ذو الجمال، ولا تغتروا بوسوسة الأسافل اللئام المذبذبين الأخبثين. الذين يدعون أنهم مارسوا العلوم وصاروا عارفين. مع أنهم ما ازدادوا إلا مركب الجهل بعد أن كانوا فقط من الجهال، حيث يسهلون لكم ارتكاب المكروهات بل والمحرمات، ويُثبطونكم عن اتباع نبيكم بل ويبغضونكم فى اتباعه وصحبة أتباعه الأفاضل السادات. لكونهم يرتكبون المكروه بل والمحرم فى غالب الأحوال. فيرغبون أن تكونوا معهم فى ذلك الشقاء والخزى والخذلان والسقوط

(١) حديث صحيح متفق عليه .

والفضيحة والمعَرَّة والعذاب مشتركين لعلمهم بأنهم لو انفردوا بها ذكر دونكم وتركوكم سعداء مهتدين ربما تكونوا عليهم منكرين مشنعين ، أعمالهم مقبحين، منهم محذرين منفرين كل العاقلين، والغالب أنه لا إنكار ولا تشنيع ولا تقبيح ولا تحذير ولا تنفير إذا وقع الكل فى الخبال، وكيف يتساهل عاقل بارتكاب المكروه أو مخالفة السنة وهى مخالفة لذى العظمة رب الإنس والجنَّة. التى تتزلزل منها لهيبته تعالى الجبال، ولذا قال العلماء العاملون السادة العارفون الأكابر. الذنوب كلها كبائر. نظرًا لمن عصى بها سبحانه وتعالى الواحد الفعَّال، الذى أوجد العالم من العدم. وربَّاهم على موائد الكرم. وإليه المرجع للجزاء على الأعمال، فيا أيها العقلاء اتقوا الله واحذروا المفسدين أهل التدليس. المتساهلين بارتكابهم للمكروه وترك السنن وجاهدوهم جهاد النفس وإبليس بل وقد علمتم أنهم يتساهلون أيضًا بارتكاب الكبائر والمحرم فى أنفسهم وأهليهم على غش وتدليس. وربما كان منهم من انتسب زورًا إلى العلم وتصدَّر ظلما وعدوانًا للإمامة والبيان والتعليم والتدريس. فكان أسرع فى إفساد الدين وإضلال أهله المسلمين من أبى جهل ونحوه من معدن الإضلال وذلك أن أبا جهل ونحوه كأبى لهب معلوم أنهم من الكفار. فإذا وسوسوا لأحد فى أن يترك السنة كان منهم فى نفار. لأنه يعلم أنهم أعداء الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. فلا يغتر منه بزخرفة الأقوال، بخلاف من ينسب إلى الإسلام خصوصًا مع العلم يا ذوى الأحلام. وبترك السنة ويفعل المكروه أو الحرام. فإنه للدين سريع الاغتيال إذا الجاهل يغتر به لظنه أنه من المسلمين وأنه له من المحبين الناصحين. وهذا هو الطريق الذى ضاعت به السنن، وفشت البدع وعم الفسق والفجور فاحذروه إذ هو داء عضال ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم : « **لأنا من غير الدجال أخوف عليهم من الدجال ، فقيل : وما هو يا رسول الله ؟ فقال : علماء السوء** »[1] وفى ذلكم شديد التحذير لنا منهم ما لا يخفى على عاقل مؤمن بتذكر ويخفى على عاقل مؤمن يتذكر ويخشى الوقوع فى الضلال .

---

(١) حديث مشهور وهو صحيح المعنى المراد .

(٥) خطبة حول التذكير بالآخرة

لفضيلة السيد عبد الله العفيفى - رحمة الله عليه

الحمد لله نحمده على إظهار شمس الهداية للأنام، وينادى مناديه هلموا عباد الله إلى رياض الاغتنام، فمنهم من تيقظ فأجاب الداعى فبلغ نهاية المرام، ومنهم من غفل ففاته الخير كأنه من الأصنام، وسيكون الجزاء يوم ينظر المرء ما قدمت يداه.

وأشهد أن لا إله إلا الله القائل: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ ﴾ [السجدة:١٨] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله المنزل عليه : ﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ [الزخرف:٧٨].

اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد الذى قال الله فى شأنه : ﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٨] . وعلى الذين بسنته فى الحركات والسكنات يعملون ، والذين بذلوا الجهد فى محق البدع وكيد الشيطان والنفس وما تهواه .

(أما بعد) فيا عبيد الرب القدير : ألم تعلموا أن الله تعالى بين لنا الرشد من الغى على لسان البشير النذير. وأعلمنا بفناء الدنيا وأننا سنقف بين يدى الجبار السميع البصير. فمن أطاع فله الجنة، ومن عصى فله عذاب السعير. ونحن فى غفلة عن هذا فلا حول ولا قوة إلا بالله، قد اشتغلنا بدار الغرور، وغرنا بالله الغرور فأعرضنا عن التجارة التى لن تبور، ونسينا الوقوف بين يدى الغيور، يوم اشتداد الأهوال على من عصى مولاه. فما أغفلنا عن بديهى الدلائل ؛ التى تنادينا بأن كل ما سوى الله زائل، وأن الموت عما قليل ينزل بنا كما نزل بالأوائل. ولا يخفى ما فى الموت من الكرب الهائل. فما أشقى المفرط فما أشقاه ؟؟

ألم نعتبر بمرور الليل والنهار ؟

ألم نعتبر بصحو السماء ونزول الأمطار ؟

ألم نعتبر بالصحة والمرض وموت الأبرار والفجار ؟

ألم نعتبر بهلاك من ملك الدنيا فأصبح مسجونا فى قبره بما جناه ؟ أين قارون وفرعون وهامان ؟ أين كسرى وقيصر وباقى ملوك الزمان ؟

أين من كان معنا بالأمس من الإخوان ؟

أين الأنبياء ورئيسهم المصطفى ﷺ حبيب الرحمن ؟

صاروا فى القبور بعد القصور بحكم الإله. وهكذا من عجيب العبر التى ينشق لها الحجر فضلًا عمن عقل من البشر ، الذى خلق الله تعالى له السمع والبصر ليتنبه لطاعة ربه ويخشاه، فاتقوا الله يا جماعة المسلمين وقلبوا النظر فى هذه الحكم التى أهداها لكم رب العالمين، واجعلوها غذاء أرواحكم فى كل لحظة وحين، فإذا علمتم على ذلك تكونوا إن شاء الله من الفائزين يوم ينتهى المخلصون إلى الرحيق المختوم ورضوان من لا يدوم سواه.

(تعليق)

** وتعليقى على هذه الخطبة العظيمة ، هو :

* أنه ينبغى على المسلم العاقل أن يذكر دائما وأبدًا أنه على سفر إلى الله تبارك وتعالى ، كما أشار إلى هذا سبحانه وتعالى فى قوله : ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ﴾ [غافر: ٤٣] وقوله للحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠] .

** ولله درَّ أبى العتاهية فلقد قال أيضًا مشيرا إلى هذا :

سيصير المرءُ يوما	جسدا ما فيه روح
بين عينى كل حيٍّ	علم الموت يلوح
كلنا فى غفلة	والموت يغدو ويروح
نح على نفسك يا مسـ	ـكين إن كنت تنوح
لتموتنَّ وإن عمِّـ	ـرت ما عمر نوح

** فلنذكر جميعا كل هذا حتى نصل إلى الله تعالى بسلام غير خزايا ولا مفتونين، إن شاء الله، والله ولى التوفيق .

(٦) عظة بالغة

حول الأفراح وما يحدث فيها من البدع والمخالفات

لصاحب الفضيلة الأستاذ الجليل السيد عبد الله العفيفي

ألقاها في حفل جامع بجهة تل ناصر

قال حفظه الله تعالى بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

أما بعد فقد ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« **تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فعليك بذات الدين تربت يداك** »[١] إن الزواج هو من أهم أركان الحياة الاجتماعية التي لأجلها خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون ووضع له الشرائع والقوانين إذا أنه هو السبب الأعظم في بقاء النوع الإنساني على أحسن وجه وأكمل نظام، والوسيلة الشريفة لتكوين الأسر، وسبيل التآلف والتعاون بين أفراد الأمم. ولا يخفاكم أن صلة الزواج هي أقوى صلة بين أهل الزوجين حتى يكون الكل رابطة واحدة ويتعاونون جميعا على درء المضار وجلب المنافع ، قال تعالى :﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] كما أنه موجب للعفة وحصن للنفس من الوقوع في المناهي. وقد رأينا كثيرًا من الناس في هذا الزمان نسوا هذا الحديث الشريف أو أتناسوه ، فترى ، الرجل يسعى وراء ذات المال أو الحسب أو الجمال ولا يسأل عن ذات الدين ، وها أنتم ترون ما نحن فيه من المتاعب والآلام بسبب تركنا لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وها هي المحاكم الشرعية ملآى برودها من طلاب الطلاق والنفقة وما إلى ذلك ، وما ذلك إلا لأننا لم ننتصح بنصح رسول الله ﷺ ولم نحسن الإختيار : وقد قال رسول الله ﷺ : « **تخيَّروا لنطفكم فإن العرق دسَّاس** »[٢] . ثم انتقل فضيلته إلى ما يحدث في ليالي الأفراح في هذا الزمان من اتخاذهم الملاهي وآلات الطرب

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

(٢) أخرجه ابن ماجه والحاكم بنحوه . وقد ذكره الغزالي في الإحياء .

ورقص النساء وشرب الخمور ، فقال : لا شك أن من الفضائح والمخزيات والمنكرات التى توجب البلاء وغضب رب السماء ما يحدث فى غالب أفراح هذا الزمان من اجتماع الرجال الأجانب بالنساء الأجنبيات وهن متبرجات ونصف عاريات وبينهن العروس التى اتخذوها حجة لأغراضهم الدنيئة السافلة، وقد علمنا أنه يوجد فى بعض الجهات ما هو أشد إثما وأكبر عارا من هذا وهو أن تقف العروس على محل مرتفع ويكشف وجهها وصدرها وبعض بطنها ويضع الشبان الدراهم على وجهها وصدرها ويتمتعون بمحاسنها بمشهد من المسلم والمسيحى وينشرح بذلك ذووها وباقى المغفلين الجهلاء ، ألا تصدقون أن فى مثل تلك الساعة يغضب الرب القدير ويعم البلاء والغضب جميع الحاضرين ولولا رأفة الله لخسف بنا الأرض ، أو أطبق السماء على الأرض ، أو لفعل بنا ما فعله بقوم لوط ، وفى مثل تلك الساعة ينظر الرجال الأجانب إلى محاسن النساء الأجنبيات وقد ترتكب جريمة الزنا، وهى كما تعلمون من أكبر الجرائم المحرمات، وإن لم ترتكب بالفعل فترتكب جريمة الإتفاق عليها، ولا يخفاكم جميعا ما يحدث من شرب الخمور فى أمثال تلك الليالى كأن هؤلاء المجرمين المغفلين يشكرون الله على نعمه بعصيانه كما لا يخفاكم تلك الجريمة المنتشرة فى المدن والقرى وهى جريمة كشف عورة العروس وأخذ عرضها بأصبع من يسمونها البلانه أو الداية وإظهار دمها إلى القريب والغريب، ولا شك أن أخذ عرض الزوجة بيد الزوج جريمة، فما بالكم إذا كانت بيد غيره . ثم انتقل فضيلته إلى خروج النساء متبرجات، فقال: فى صحيح مسلم عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا** »[1] ثم شرح فضيلته الحديث ، فقال : «**كاسيات**» تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهار لجمالها ونحوه أو تلبس ثوبا رقيقا شفافا يصف لونها ، «**مائلات** » أى : يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن . وقيل:

(١) حديث صحيح رواه مسلم .

مائلات يمتشطن المشطة الميلاء وهى مشطة البغايا ، «**ومميلات**» يمشطن غيرهن تلك المشطة كأسنمة البخت أى يعظمنها بلف عصابة أو لبس القبعة التى أصبحت (موضة) شائعة بين نسائنا « **لم أرهما** » أى لم يرهما فى حياته صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا الحديث معجزة له صلى الله عليه وآله وسلم فقد وجد الصنفان فى زماننا هذا بالمشاهدة . ولا يخفاكم أن الرجل الذى يبيح ذلك لزوجته أو لأخته أو لمن له ولاية عليها هو شريكها فى تلك الجريمة الممقوتة ، وبذلك يكون مستحقا لمقت الله وغضبه أعاذنا الله من فتنة الدنيا والآخرة .

ثم انتقل فضيلته إلى الحث على التمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: قال الله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤] وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] وقال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾[الأحزاب: ٢١] وقال تعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **دعونى ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم** » متفق عليه.

وقال أبو نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم موعظة وجلت منها القلوب وزرفت منها العيون، فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال : « **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشى، وإن من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضو عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة** » رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **كل أمتى يدخلون**

الجنة إلا من أبى » . قيل : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال: « **من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى** » رواه البخارى.

فعلينا جميعا أن نتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حركاتنا وسكناتنا ومأكلنا ومشربنا وأفراحنا ومآتمنا لكى نفوز بالسعادة فى الدنيا والآخرة.

ثم دعى للعروسين بالتوفيق [1]، ثم سأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق الجميع للعمل بكتاب الله تعال وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

(٧) موعظة بالغة

ألقاها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل السيد عبد الله العفيفى فى حفل جامع بالجيزة

قال حفظه الله تعالى بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] [2] وقال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ [البقرة: ٤٥] .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شىء . قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا** » متفق عليه .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **مثل الصلوات الخمس**

---

(١) وليكن الدعاء للعروسين الوارد عن رسول الله ﷺ ، وهو : « **بارك الله فيكما ، وبارك عليكما ، وجمع بينكما فى الخير** » وليكن هذا بعد العقد مباشرة ، عملاً بسنة الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى يقول : « **من أحيا سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة** » والله ولى التوفيق .
(٢) العنكبوت : ٤٥ .

كمثل نهر غمر[1] **جار على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات** » رواه مسلم . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ أى الأعمال أفضل ؟ قال : « **الصلاة على وقتها** » قلت : ثم أى ؟ قال: « **بر الوالدين** » قلت : ثم أى ؟ قال : « **الجهاد فى سبيل الله** » متفق عليه .

وعن معاذ رضي الله عنه قال : بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن فقال : « **إنك تأتى قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب** » متفق عليه.

وعن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن بين الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة** » رواه مسلم .

وعن بريدة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر** » رواه الترمذى. وقال: حديث حسن صحيح.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شىء قال الرب عز وجل: انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم تكون سائر أعماله على هذا** » رواه الترمذى وقال: حديث حسن.

فانظروا يرحمكم الله إلى الصلاة إنها دين عليكم لربكم سبحانه وتعالى وقد أخبر النبى ﷺ أن تارك الصلاة يحشر مع فرعون وهامان وقارون وأبى بن خلف فى الدرك الأسفل من النار »[2] . فعليكم بتأدية الصلاة فى أوقاتها واعلموا أن انتظار الصلاة من خير الأعمال ، وقد أخبر نبيكم ﷺ : أن

---

(١) الغمر الفتح الغين المعجمة : الكثير .

(٢) من حديث رواه الإمام أحمد. وعلق عليه .

الملائكة تصلى على العبد ما دام فى مصلاه ، وتقول : (اللهم اغفر له اللهم ارحمه) وعليكم بإتباع الجماعة فى كل الأوقات فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة** » متفق عليه.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **والذى نفسى بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم** » متفق عليه .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (من سره أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ولم يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف) رواه مسلم.

والآيات والأحاديث الحاثة على تأدية الصلاة فى أوقاتها وذم تارك الصلاة أو مؤخرها عن وقتها أو ناقرها كنقر الغراب كثيرة معلومة .

واعلموا أنه ليس للإنسان من صلاته إلا ما وعى، وأن الإنسان إذا ما وقف بين يدى الله عز وجل يجب عليه أن يتفرغ من كل مشاغل الدنيا؛ لأنه فى تلك الساعة يخاطب أحكم الحاكمين الملك العظيم القادر الذى أنعم عليه بنعمه العظمى التى لا تعد ولا تحصى.

واعلموا أن الحكمة فى ابتداء الصلاة بالتكبير أن الإنسان قد ترك الدنيا وما فيها ووقف بين يدى الملك الكبير المطلق التصرف الغنى المغنى المعطى المانع الضار النافع الذى لو اجتمع الإنس والجن على أن ينفعوك بشىء لم يقدره هو لك لم يقدروا على ذلك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يقدره عليك لم

يقدروا على ذلك لأنه سبحانه وتعالى قد تفرد بالعطاء والمنع والضر والنفع لا شريك له فى ملكه ولا منازع.

وإن الحكمة فى ختام الصلاة بالسلام : أن الإنسان كان غائبا عن الوجود وحضر ، فهو لذلك يسلم .. فما أسمى هذا المعنى .

واعلموا أن الصلاة فى أول الوقت رضوان الله ، وفى وسط الوقت رحمه الله ، وفى آخر الوقت عفو الله فسارعوا إلى رضوان الله تكونوا من الفائزين فى الدنيا والآخرة . واعلموا : أن نبيكم ﷺ كان إذا همه أمر من الأمور قام إلى الصلاة .[1] واعلموا : أن الدنيا مزرعة الآخرة فازرعوا طيبا كى تحصدوا طيبا، وحاسبوا أنفسكم من قبل أن تحاسبوا .

واعلموا أن اليوم عمل بلا حساب ، وغدا حساب بلا عمل أسأل الله لى ولكم الهداية والتوفيق .

٨) عظة بالغة فى حلمية الزيتون

ألقاها صاحب الفضيلة : الأستاذ الجليل السيد عبد الله العفيفى

قال فضيلته بعد حمد الله والصلاة والسلام على نبيه المحبوب ﷺ : قال تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥] .

وعد الله سبحانه وتعالى المؤمنين الصادقين الذين جمعوا بين الإيمان وصالح العمل ومنه نصر دين الله تعالى : أن يجعلهم خلفاء فى الأرض يتصرفون فيها كما يتصرف الملوك فى ممالكهم، كما استخلف بنى إسرائيل فى مصر والشام بعد إهلاك فرعون وغيره من الجبابرة وأن يجعلهم أعزاء غير أذلاء يرجعون إلى دينهم فى كل مشكلة عويصة فيجدون حل تلك المشكلة ظاهرًا جليًا ما داموا متمسكين بدينهم الذى ارتضاه لهم رب الأرباب يرجعون إليه فيما يأتون وما

---

(١) كما ورد فى حديث شريف مشهور .

يذرون، وقد أنجز الله تعالى وعده للمهاجرين وأظهرهم على الناس جميعا وفتح لهم مشارق الأرض ومغاربها وصاروا إلى حال يخافهم كل من عاداهم.

أما نحن فقد هوينا إلى حضيض الحضيض ، وما سبب ذلك إلا تفريطنا فى ديننا ، فقد تركنا ديننا واتبعنا الفرنجة الكاذبة ، فتركنا لنسائنا وبناتنا الحبل على الغارب فخرجن متهتكات عاريات لا يعرفن طريق الخير ، أما طريق الملاهى والمساخر فهى معروفة إليهن مشهودة لهن ... فالبارات مزدحمة بفاطمة وخديجة وعائشة وزينب يرقصون الرقصة الأفرنكية مع الرجال والصدور على الصدور وعلى مرأى ومسمع من أقاربهن الكلاب .. وإن قلت: الكلاب فلعلى أصفهم بأحسن مما هم فيه ، فإن الكلب يغير على وليفته.. وأما هؤلاء فلا غيرة عندهم ، وإذا ذهبت إلى دور السينما والتياترات أو مررت بشارع عماد الطين [١] أو إلى روض الفرج ... فإنك تجد سوقها رائجة .. أما الدين فقد أصبح فى ضياع وأصبحت الأرض والسموات تستغيث من تلك الأفعال القبيحة ومع ذلك نقول : ما بال الإسلام أصبح فى انكسار ودين الكفر أصبح فى انتصار ، ولا أدرى أجهل هذا السؤال أم تجاهل.. وقد سمعنا الجواب عليه منذ ثلاثة عشر قرنا ونصف [٢] من سيد الخلائق أجمعين حيث قال : « **لازلتم منصورين على أعدائكم ما دمتم متمسكين بالعمل بسنتى ، فإذا بدلتم العمل بسنتى سلط الله عليكم من أعدائكم من يخيفكم فلا تنتصرون عليهم حتى تعودوا إلى العمل بسنتى** » [٣] فيا قوم إن كنتم تريدون النصر والعز والتأييد والتمكين فعليكم بسنة نبيكم ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى ، واخشوا ربكم فى السر والعلانية ، واعلموا أنكم تحشرون إلى الله سبحانه وتعالى ومجزيون بأعمالكم قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الغَرُور ﴾ [فاطر: ٥] وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا

(١) أى الذى يسمى للأسف عماد الدين .
(٢) بل وأكثر من هذا .. إلى تاريخنا الهجرى اليوم .
(٣) حديث شريف لابد وأن ننفذ المراد منه .

﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[الحج : ١، ٢] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها** » رواه مسلم .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**﴾ [الزلزلة : ٤] ثم قال : « **أتدرون ما أخبارها ؟** » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « **أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمه** [1] **بما عمل على ظهرها تقول : عملت كذا وكذا فهذه أخبارها** » رواه الترمذى .

فيا قوم هل بعد أن علمتم أن أيديكم وأرجلكم وألسنتكم والأرض التى تمشون عليها ستشهد عليكم تعصون جبار السموات والأرض وتعكفون على الفسق والفجور وشهادة الزور وشرب الدخان وشرب الخمور وتبيحون لنسائكم وبناتكم السير فى الطرقات عاريات متهتكات ألا تعلمون أنكم شركاء لهن فى تلك الجرائم الممقوتة .

أتشكون فى وعد الله وهو يقول : ﴿**يا أيها الناس إن وعد الله حق**﴾ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال : « **يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلا** » [2] ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾[الأنبياء :١٠٤] ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم صلى الله عليه وسلم، ألا وأنه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابى . فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك . فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ **وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[المائدة :١١٧، ١١٨] فيقال لى : « **إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم** » متفق عليه .

---

(١) أى الأنثى .

(٢) **غرلا** : أى غير مختونين .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا فجعل الجنادب**[1] **والفراش يقعن فيها وهو يَذُبُّهن عنها وأنا آخذ بحجزكم**[2] **عن النار وأنتم تفلتون من يدى** » رواه مسلم فيا قوم راقبوا رب الأرباب واعملوا بسنة نبيكم ﷺ تفوزوا وتسعدوا وتنالوا خيرى الدنيا والآخرة .

وقد وعدكم ربكم سبحانه وتعالى بقبول التوبة حيث قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر :٥٣] .

(٩) عظة بالغة (ببلدة أوسيم)

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير السيد عبد الله العفيفى

كان يوم الجمعة الماضى ببلدة أوسيم يوما حافلا بالغبطة والسرور إذا افتتح فيه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير السيد عبد الله العفيفى مسجدًا لأهل السنة يضاف إلى مساجدها الكثيرة ، وكلها والحمد لله تقام فيها الصلوات الخمس كما كانت تقام فى عهد الرسول الأعظم ﷺ وخلفائه العاملين بسنته . وفيما يلى ننشر نص تلك العظة القيمة التى ألقاها فضيلته بعد أداء فريضة الجمعة فى حشد من المصلين .

قال فضيلته بعد الحمد لله تعالى والصلاة والسلام على رسوله الأعظم ﷺ: قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة :٣] وقال تعالى : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء :٦٥] وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُول إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [النساء :٥٩] وقال رسول الله ﷺ : «**اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم**» أخبرنا المولى القدير الرؤوف الرحيم العالم بمصلحة عباده أنه أكمل لنا ديننا وأتم علينا النعمة العظمى وهى نعمة التوفيق لهذا الدين العظيم فوجب علينا شكره تعالى باتباع ما أمرنا به ، قال تعالى مخاطبا لنبيه ﷺ :

(١) الجنادب : نحو الجراد .

(٢) الحجزة معقد الإزار والسراويل .

﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء : ٦٥] : أقسم تعالى بذاته العلية أن القوم لا يؤمنون حتى يحكموه ﷺ فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضى به ﷺ وقال تعالى : ﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله ورسوله﴾ أى إلى الكتاب والسنة .

فما بال قوم منا تركوا دينهم وبدَّلوا سنن نبيهم ﷺ مع أنه ﷺ لم يترك شىء يقربنا من الله تعالى إلا وأمرنا به ، ولم يترك شيئا يبعدنا عن الله تعالى إلا ونهانا عنه . وقال « **اتبعوا ولا تبتدعوا ..** » الحديث [1] ولكن من الناس من استحوذ عليه إبليس اللعين الخناس فاختار الجحيم على النعيم ، ورضا المجرمين على رضا الرب الرحيم والعمل بالبدع التى هى غياهب الأزلام على أنوار سعادة العمل بسنة خير الأنام . والأدهى والأمر من ذلك أن هذا الغبى الشقى الجاهل يدَّعى أنه من العلماء الأعلام فهذا الصنف يجب البعد عنه على الدوام وإفشاء خبائثه ومضاره ليحترس من الأنام وتحذير الناس من الاجتماع عليه ولا سيما ضعفة العوام فإنه أضر على الدين والناس من الأعور المسيح الدجال كما نص على ذلك النبى الأعظم ﷺ فقد قال ﷺ : « **لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال**» فقيل : وما ذلك ؟فقال:« **من الأئمة المضلين** »[2] لان الدجال يعرف المسلمون أنه من الكافرين فلا يغترون بزخارفه وإضلاله المبين ، بخلاف العالم المضل فإنه جعل نفسه من المسلمين ، فبالضرورة يغتر بتحسنيه الفاسد أغبياء الجهلة المغفلون ويقولون قال أو فعل فلان كذا وكذا من البدع وهو من العالمين ، وكما قلت لشخص من هؤلاء الجهلة الأغبياء : اتبع الشرع الوارد عن إمام الأنبياء والمرسلين واترك البدع فإنها وبال وخسران وظلمات وبغية الشيطان .. قابلك بقوله هى بدع مستحسنه بدليل فعل العلماء لها وهم أئمة الدين ، وإذا سئل أحد هؤلاء المتمشيخين أئمة السوء الضالين المضلين عن حكم ما يرتكبه من السيئات كلبس الحرير وشرب الدخان وحلق اللحية والفواحش التى تعمل فى أفراحه

(١) ورد عن ابن مسعود .. انظر الجزء الأول من الدين الخالص .. وهو أثر . وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد [١ / ١٨] وقال رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله رجال الصحيح .
(٢) أثر مشهور .. فى التحذير من أهل البدع .

وأحزانه أو ما أحدث في الصلاة والأذان والمساجد وغير ذلك مما شاع بين الناس من المفاسد والمهالك، فالغالب أن يُفتى بأن فعل هذه المذكورات مباح أو مندوب أو خلاف الأولى أو من الواجبات ويمنعه من قول الحق شيطانه أو جهله الحالك أو العناد لمن سبقه إلى الخير ونهى الناس عن ارتكاب تلك الموبقات والمهالك، أو دفع اللوم عليه من العوام بقولهم له: لم تفعله أنت حيث أنه حرام، ولشدة غضب الله عليه وعمى بصيرته لا يشعر بأن ذلك زيادة وبال وبلاء وعذاب عليه في دنياه وآخرته فيكون عليه من العقاب قدر عذاب كل من تبعه فوق جريمته ويتبرأ منه النبى محمد ﷺ يوم القيامة ويقول : « **سحقا سحقا لمن خالف سنتى** » لقد أنعم الله سبحانه وتعالى علينا بأعظم رسول فأنزل عليه أجلَّ كتاب وهو القرآن الكريم الذى جمع سعادة الدارين . وفيه يخاطب نبيه ﷺ : ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ**﴾ [النساء: ١٠٥] ولم يقل جل شأنه وتعالت قدرته : لتحكم بين الناس بما ترى . وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [المائدة: ٤٤] وقال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ [آل عمران: ١٢٨] ومن إلى غير ذلك من الآيات الناطقة بأن الأمر والنهى والتحليل والتحريم ونحو ذلك لا يكون إلا من الله عز وجل ، وأن النبى ﷺ إنما هو مبين عن مولاه لا من عند نفسه قال تعالى : ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ [النجم:٣، ٤] . لقد أكرمنا الله سبحانه وتعالى غاية الإكرام حيث كلفنا بالعمل بالشرع الوارد ولم يهملنا كالأنعام ، وشرفنا تبارك وتعالى غاية التشريف حيث جعلنا من أمة المصطفى ﷺ وأنزل تعالى على نبينا ﷺ كتابا نقرؤه ونعمل به لا يضاهى ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وقد خصَّنا عز وجل بهديتين لا نظير لهما فى الكونين رسول فريد إمام كل إمام وقرآن عربى أفضل الكلام . فلذا علونا كل الأنام ، وكنا شهداء على الأمم يوم الزحام ، وأعلمنا تعالى أننا لا نصل إلى هذا المجد الذى لغيرنا لا يرام إلا إذا كنا عاملين بكتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ ، وإذا خالفناهما لحقنا المقت والعذاب .. فهل بعد ذلك يليق بنا يا معشر المؤمنين أن نترك العمل بالكتاب والسنة ونعكف على بدع الجاهلين فى أفراحنا وأحزاننا وصلاتنا وصيامنا

ومآكلنا وملبسنا وغير ذلك مما شرحه يطول ، لا شك إن فعلنا ذلك نخسر الدنيا والآخرة ونسقط عن درجة الإنسانية ونهوى فى موبقات المهالك .. وقد أخبرنا نبينا الصادق الأمين عن ذلك بقوله : « **لا زلتم منصورين على أعدائكم ما دمتم متمسكين بسنتى ، فإذا بدَّلتم العمل بسنتى سلَّط الله عليكم من أعدائكم من يخيفكم فلا تنتصرون عليهم حتى تعودوا إلى العمل بسنتى** »:

فيا عباد الله توبوا إلى ربكم واعلموا أنه تعالى صادق الوعد وسيجزى المحسن على إحسانه والمسئ على إساءته : ﴿ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء : ٨٨، ٨٩] . فيجب علينا أن نستعد لهذا اليوم ونعبد الله مخلصين لا نشركُ معه تعالى فى العبادة أحدًا ، أما وقد أصاب الناس ضعف فى الإيمان وزعزعة فى العقيدة .. فمنهم من عَبد المال ، ومنهم من عبد الهوى ، ومنهم من عبد النساء ، ومنهم من استعبده الكبر ناسيا أن الكبرياء لله وحده لا شريك له والمعبودات كثيرة وكلهم يدعون أنهم يعبدون الله :

لك ألفُ معبودٍ مطاع أمره غير الإله وتدّعى التّوحيد

فخبرونى بربكم : هل من عكف على حب المال وجمعه ولا يبالى أنه من حرام أم من حلال وترك فى سبيل ذلك عبادة الملك الرازق الغنى الحميد الذى لو شاء لخسف به وبماله الأرض . أهذا عبد الله ؟ أمن ترك ما شرع الله على لسان نبيه المحبوب الصادق الأمين ﷺ واتبع هواه أهذا عبد الله ؟ أمن ترك الخشوع والتواضع ولين الجانب لإخوانه المسلمين ، وتكبر وتجبر على عباد الله أهذا عبد جبار السموات والأرض ؟ أمن عكف على حب الغانيات يقضى معهن الليل والنهار فى فسق وفجور وشرب الخمور ناسيا أو متناسيًا غضب الجبار وعذاب النار أهذا عبد الله ؟ لقد عكف كثيرا من الشعراء على كلمة معبودتى أو مليكة قلبى ، وهذا كفر واضح بين .. إذا المعبود هو الله وحده لا شريك له فى ملكه بلا منازع والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء بقدرته وعظمته وجبروته .

وفى الختام دعا فضيلته لجميع المسلمين بالهداية والتوفيق، وأخذ على الحاضرين عهد الله وميثاقه على العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله المحبوب ﷺ .

وتعليقى على هذه العظة البالغة : هو أن لا فلاح ولا نجاح إلا باتباع الرسول ﷺ الذى ما ترك خير إلا وأمرنا به وما ترك شرًّا إلا وقد نهانا عنه ، حتى تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

(فلنكن) من أهل الفلاح والنجاح المشار إليه والله ولى التوفيق .

(١٠) عظة بالغة

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير السيد عبد الله العفيفى

بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على رسول الله ﷺ افتتح كلامه بشرح حديث رسول الله ﷺ : « **العلماء مصابيح الأرض وخلفاء الله فى خلقه وورثتى وورثة النبيين** » .

ثم قال حذرنا الله تعالى من مخالفته ﷺ بقوله فى كتابه العزيز : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] وبقوله : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وبشرنا تعالى بقوله خطابًا لنبيه ﷺ : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] .

نقول ذلك تمهيدًا للرد على مفترٍ كذاب أعمى الله بصيرته فأراد أن يظهر الله اسمه على حساب الدين ولكن الله سبحانه وتعالى قد خيب سعيه ورد كيده فى نحره . قال هذا الدعى الكذاب : إنى أؤمن بالقرآن الكريم ولا أؤمن بأحاديث سيد المرسلين .. فأين إيمانك بالقرآن أيها المفتر الكذاب مع ما تقدم من قول الله تعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النور: ٦٣] الآية ونحوها من الآيات البينات..أم أنت ممن قال الله فيهم :﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥] .

وفى الحديث :«**من فرق بين ثلاث فرق الله بينه وبين رحمته يوم القيامة : من قال أطيع الله :ولا أطيع الرسول . والله يقول : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾**

[التغابن: ١٢] **ومن قال : أقيم الصلاة ولا آت الزكاة . والله يقول:** ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النور: ٥٦] .

ومن قال : أشكر الله ولا أشكر والدى . والله يقول : ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] .

قد أنكر ذلك المدعى ملك الموت وعذاب القبر وقد قال تعالى : ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة:١١] .

قل لى بربك أيها المدعى: من الذى بين لك الصلوات الخمس وأوقاتها وعدد ركعاتها .. ومن الذى بين لك الزكاة وقيمتها ..؟ أجاء بها القرآن مفصلًا أم بينها الصادق الأمين ﷺ بأمر من ربه تعالى وبتعليم من أمين الوحى جبريل عليه السلام،قال تعالى:﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:٣، ٤].

وها نحن نذكر لك نبذة من عذاب القبر لعلك تثوب إلى رشدك وترجع عن غيك إن كنت حاضرًا فى هذا المكان . أما إن لم تكن حاضرًا فلعلك تقرؤه فتنتفع به وينتفع به أمثالك .. وإننا نسأل الله تعالى أن يرشد قلبك إلى الحق فتتبعه وإلى الباطل فتصد عنه إنه على ما يشاء قدير :روى الإمام أحمد عن البراء بن عازب رضي الله عنه(١) ، قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولم يلحد بعد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وبيده عود ينكت به الأرض ،فرفع رأسه وقال : «**استعيذوا بالله من فتنة القبر ومن عذابه ،مرتين أو ثلاثا،ثم قال :إن العبد المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه ملائكة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة فيجلسون منه مد البصر، ثم يجىء ملك الموت فيجلس عند رأسه ويقول: أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان**» .

قال :«**فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء،فإذا أخذها لم يدعوها**

---

(١) ورواه أبو داود وابن خزيمة .

فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفخة مسك وجدت على وجه الأرض .قال :فيصعدون بها فلا يمرون على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون فيفتح لهم فيتبعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقهم وفيها أخرجهم تارة أخرى .قال : فتعاد روحه إلى جسده فيأتيه ملكان[1] فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله ، فيقولان له : وما دينك ؟فيقول أعيدهم دينى الإسلام. فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ . فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله تعالى فآمنت به وصدقت.فينادى مناد من السماء : أن صدق عبدى فافرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة ز قال : فيأتيه من روحها[2] وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول له : من أنت فوجهك الوجه يجئ بالخير ؟فيقول : أنا عملك الصالح . فيقول : رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى » .

قال :« وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح[3] فيجلسون منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود[4]من الصوف المبلول فيأخذها ،فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى ذلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه

(١) وهما منكر ونكير ، وبالنسبة للمؤمن : هما : مبشر وبشير .

(٢) الروح بفتح الراء وسكون الواو أى الرحمة .

(٣) المسوح : جمع مسح كحمل وحمول : الثوب الخشن.

(٤) السفود : بوزن القنور- الحديدة التى يشوى بها اللحم .

الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأخبث أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتحون فلا يفتح لهم ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ[1] ﴾[الأعراف: ٤٠] . فيقول الله : اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى ، فتطرح روحه طرحًا ثم قرأ : ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[الحج: ٣١] فتعاد روحه إلى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له ما ربك؟ فيقول : هاه هاه لا أدرى . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدرى . فيقول له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول :هاه هاه لا أدرى . فينادى مناد من السماء أ، كذب فافر شواله من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب نتن الريح فيقول : أبشر بالذى يسوءك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول : من أنت فوجهك الوجه الذى : يجئ بالشر ؟فيقول : أنا عملك الخبيث . فيقول رب لا تقم الساعة ». وقال رسول الله ﷺ : « سكرات الموت أشد من ألف ضربة بالسيف وان بعده سبعين هولًا كل هول أشد من الموت بسبعين ضعفًا » . من حديث رواه الترمذى .

ثم قال فضيلته : ولا نريد أن نطيل الكلام فى هذا المقام وفيما سقناه الكفاية وزيادة . أسأل الله لى ولكم الهداية والتوفيق .

(تعليق)

وتعليقى على هذه الموعظة البالغة، ولاسيما بالنسبة لموضوع سؤال القبر بالذات، هو أنه ينبغى علينا أن نسأل الله تعالى أن يثبتها عند السؤال .. ولكى يتحقق هذا بالنسبة لنا فإننا لابد وأن نعمل على أن نكون من المؤمنين ، لأن الله تعالى يقول :

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي

(١) وسم الخياط : أى ثقب الإبرة .

الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] والقبر كما ورد فى الحديث أول منزل من منازل الآخرة .

والله ولى التوفيق .

١١) موعظة الأسبوع

ألقاها صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل السيد عبد الله العفيفى فى جمع حافل بمسجد الجمعية الشرعية فى ٢٥شوال ١٣٥٤هـ

قال حفظه الله تعالى بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ :

(أما بعد) فيجب علينا يا عباد الله أن نشكر الله كثيرًا ونذكره بكرة وأصيلا حيث هدانا لمتابعة النبى ﷺ من أهل الإسلام ووفقنا إلى ما جاءنا به خير الأنام عليه الصلاة والسلام ، نعمة كبرى فمن حافظ عليها نال السعادة دنيا وأخرى ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيما﴾ [الأحزاب: ٧١].

تلك هى نعمة الهداية والتوفيق، نعمة الإيمان بالله وعدم الوقوع فى الكفر. من الله بها على عباده المؤمنين ورضى عنهم وأرضاهم وأسعدهم دنيا وأخرى .

سمعتم يا عباد الله فى الخطبة قول أبى الحسن ﵁ : (ما ثَمَّ كرامة بعد كرامة الإيمان والتقوى فمن أعطيهما وجعل يشتاق إلى غيرهما فهو مفتر كذاب).

المؤمن هو الذى يعرف نعمة الإيمان ويعادى فيها أهله وأقاربه ولو كان من أشد الناس قرابة إليه،قال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِى اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢] .

فمن قدم حبهم على حب الله ورسوله كان من الضالين الفاسقين ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِ

فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

فمن أعطى التقوى والإيمان وجعل يشتاق إلى غيرهما فهو دليل على خبثه ودليل على أنه خسر الدنيا والآخرة لأنه لم يكفه الواحد الأحد الفرد الصمد ، ولم يكفه متابعة النبى ﷺ .

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لست تاركًا شيئًا كان ﷺ يعمل به إلا عملت به،إنى أخشى إن تركت شيئًا من سنته أن أزيغ .

طريق النبى ﷺ طريق واضح جلى لا عوج فيه ،قال تعالى : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨] وقال تعالى :﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

فمتى كنت وراءه ﷺ كنت على نور وكنت فى حصن حصين .وكنت على هدى.وكنت على صلاح وتقوى﴿ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨]، قال فضيلته : ننصحكم ونحثكم على متابعته صلى الله عليه وسلم فى كل شىء لأنه إمام المرسلين وسيد الأولين والآخرين..ولكن للنفاق الكامن قلوبكم،وعدم الإيمان بما جاء به نبيكم،والجهل المستحكم فيكم: تذهبون إلى من أضله الله على علم تستوضحونه صحة ما نقوله لكم فيغشونكم بما فتح الشيطان عليهم من زائغ العقيدة ويقولون لكم: دين الله يسر.﴿ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج:٧٨]. من شدد شدد عليه. إلى غير ذلك من أقوال الحق التى يراد بها باطل. ﴿بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦] فتنصرفون من عندهم وقد تحيرتم حتى تقولوا:لا ندرى الحق مع من. من أين تأتى الحيرة يا عباد الله وقد وضح الحق لذى عينين. لا تأتى الحيرة إلا من النفاق . من عمى البصيرة ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ [المجادلة:١٩] .فالمؤمن لم يتركه الله غنيمة للشيطان ، لم يتركه يتسلط عليه ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر:٤٢] أخرجه من الظلمات إلى النور وهداه إلى صراط العزيز الحميد ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧]. ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩٦]

وهو يتولى الصالحين.﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ باللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١] . ووعد الله حق لأنه مالك الملك إذا وعد لا يخلف الميعاد ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١].

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] .﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلا﴾ [النساء: ١٢٢].

ومع كل هذا اتبعتم الإفرنج فى كل شىء . فى أقوالكم وأفعالكم .فى سرائكم وضرائكم. فى أفراحكم ومآتمكم . فى أخلاقكم وعاداتكم حتى لو دخلوا جحر ضَبٍّ لدخلتموه .

ويا ليتكم ساويتم هذا بسنة نبيكم..بل قدمتموه عليها ولا تحبون من يحبها وتبغضون من يعمل بها ويتمسك بدينه وتعيبون عليه ، فكنتم كمن قال الله فى حقهم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين:٢٩]. أصبحتم آفة لدين الله وعقبة كؤودًا فى سبيل الخير. تقولون: الحرية، حب الوطن.الاستقلال .كلمات محببة إلى النفس ولا تعملون على تحقيقها ، فالله يقول: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠].

فانصروا الله بإقامة شرعه والتمسك بسنة نبيه . كونوا إخوة متحابين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. كونوا مؤمنين صادقين ولا تهولنكم الشدائد ولا تزعزعكم الزعازع ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩] . ولا كالذى قال الله فى حقه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بالإثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة:٢٠٦] .

فانصروا من وفقه الله للخير ،﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة :٢] ، ولا تجعلوا أعمالكم تنادى عليكم بالويل والثبور وعظائم الأمور ، فإن الدنيا ساعة فاجعلوها طاعة، واعلموا أنما إلهكم واحد. مالكم من إله غيره. فعمروا قلوبكم بالإيمان الكامل والتوحيد الخالص.فالمؤمن لا يخشى إلا الله ، ولا يفرح إلا لله.المؤمن لو أعطوه الدنيا.

بحذافيرها ما ترك الدين من أجلها ولا يرضى بمتاعبة النبى بديلًا . انظروا إلى أهل زمانكم تجدوهم غيروا وبدلوا . قد تركوا سماع العلم بسماع الأغانى والهذيان، والنظر فى بديع السموات والأرض بالنظر للسينما والتمثيل ، ومشاهدة العلماء العاملين بمشاهدة المراقص ودور الفسق والفجور، هل هذا هو علامة الإيمان وشعار الإسلام . الرجل يضرب أباه وأمه من أجل إرضاء زوجته ولا يخشى من عقاب الله وعذابه . يقع مثل هذا أمام أعينكم فلم تستغربوه وتعودتم مشاهدته فألفتموه واستحسنتموه ، ولكن الغريب عندكم من عمل بهدى الرسول وطاعة الجليل تنظرون إليه بعين الاحتقار وتهينونه بالذل والاستصغار واتبعتم فى ذلك شياطين الإنس وعلماء السوء الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا ، قال ﷺ :« **العالم من تذكركم بالله رؤيته** ».حديث معناه صحيح .

فعليكم إذا أردتم الخير لأنفسكم أن تتمسكوا بسنة نبيكم وتعملوا على إحيائها ، قال ﷺ : «**من تمسك بسنتى عند فساد أمتى كان له أجر مائة شهيد**»[1] رواه الطبرانى والبيهقى.فمن عمل ذلك كان من عباد الله الصالحين ومن أولياء الله المتقين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.فالبشرى كل البشرى كل البشرى لمن انتسب إلى محمد ﷺ وعمل على مقتضى شرعه الشريف،قال تعالى:﴿ **وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ [الزمر:٣٣] .

فيا عباد الله اصبروا على ما أصابكم من فتن الدنيا ومصائبها ، فالعاقبة للمتقين ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران:١٤٢] ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ**﴾ [العنكبوت:٢] .

كان الرجل فى العهد السابق عهد السلف الصالح رضوان الله عليهم إذا مسه الضر وانتابته المصائب والمحن صبر لها صبرًا جميلًا ولا يتزحزح عن عقيدته ولو قطعوا من لحمه إربًا لأن الإيمان قد خالط بشاشة قلبه.

زن أعمالك أيها المؤمن على الكتاب والسنة ،فإن وجدتها موافقة لهما فاعلم أنك من أهل الإيمان ،وإلا فأنت من أهل الفسوق والعصيان .

المؤمن من يعتقد أن الأشياء كلها بيد الله وأنه هو الضار النافع المعز المذل يعطى من يشاء ويمنع من يشاء بيده الخير وهو على كل شىء قدير وأنه إذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له. إن الله سبحانه وتعالى خلق لنا بمحض فضله الأنعام وسخرها لنا نعمة ومتاعًا إلى حين ، قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس :٧١ - ٧٣] .

فعليكم يا عباد الله بواجب الشكر على جزيل نعمه وكثير عطائه . ولا تتبعوا الهوى فيضلكم عن سبيل الله ولا تكونوا كالذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله .واتقوا الله الذى إليه تحشرون .

واعلموا أن تقوى الله من أجل النعم ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ [سورة الطلاق:٢ ،٣].

﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٣] .

ولما وصل فضيلته إلى هنا أخذ على الحاضرين عهد الله وميثاقه على طاعة الله وطاعة الرسول والبعد عن المعاصى والمخالفات .

نسأله تعالى أن يهدينا إلى سواء السبيل.

(تعليق)

وتعليقى على هذه الموعظة البالغة، هو أن نعلم جميعًا بأنه لا خير إلا فى طاعة الله ورسوله، وذلك لكى نكون أهلا لأن نكون إن شاء الله تعالى: ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩] بل وحسبنا كذلك أن نعلم أن الخير كله فى الاتباع، والشر كله فى الابتداع، وحسبنا أن نذكر كذلك تحذير الرسول ﷺ الذى يقول فيه: «**وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار** »من حديث حسن صحيح. والله ولى التوفيق.

١٣) عظة بالغة

ألقاها حضرة صاحب الفضيلة السيد عبد الله العفيفي في بلدة سمان

قال فضيلته بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [لقمان:٣٣] .

يأمرنا الله سبحانه وتعالى بالتقوى ويحذرنا من أهوال يوم القيامة بقوله : ﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾.

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أهوال هذا اليوم حين سألته السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها قائلة : يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ فقال : « **يا عائشة أما عند ثلاث فلا :عند الميزان حتى يثقل أو يخف، وعند تطاير الكتب إما يعطى بيمينه وإما يعطى بشماله ، وحين يخرج عنق من النار فينطوى عليهم ويتغيظ عليهم ويقول :وكلت بثلاثة وكلت بثلاثة وكلت بثلاثة : وكلت بمن ادعى مع الله إلها آخر، ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب ، ووكلت بكل جبار عنيد . قال: فينطوى عليهم ويرميهم فى غمرات جهنم، ولجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف ، عليه كلاليب وحسك يأخذان من شاء الله والناس عليه كالبرق وكالطرف وكالريح وكأجاويد الخيل ،والركاب والملائكة يقولون : يا رب سلم سلم ،فناج مسلم، ومخدوش مسلم ، ومكور فى النار على وجهه**» رواه الإمام أحمد.

نعلم ذلك ولا نعمل له . نعلم أن الموت حق وأن الجنة حق وأن النار حق ثم نجرى وراء الدنيا وزخرفها وكأن الله سبحانه وتعالى لم يقل: ﴿ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

الله سبحانه وتعالى يحذرنا من الدنيا دار الغرور،دار الغناء ، ولكننا نجرى خلفها . ومنا من يقتل أمه وأباه وأخاه طمعًا فى المال وحب الدنيا.

وهل لو ملك الإنسان الأرض وما عليها أيغنيه ذلك من الله شيئًا أيخفف عنه العذاب ؟كلا والله وألف كلا ،فقد قال الله تعالى فى حق أبى لهب : ﴿تَبَّتْ[1] يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ١-٣] . وسأضرب لكم مثلًا:رجل توفى وترك أموالًا طائلة وخدمًا وحشمًا وغير ذلك من زينة الدنيا .. هل هو لا يدفن فى التراب؟

وهل لو وضعت أمواله وخدمه معه فى القبر أيمنعونه من العذاب ؟ أيمنعون الملائكة من حسابه ؟ أيمنعون الدود من نهشه؟ كلا لا يفيده ذلك كله ولا يغنى عنه شيئا.

ورجل توفى وترك أموالًا وضياعًا وأوصى قبل وفاته أن يتصرف وارثه فى أمواله بكذا وكذا ولم ينفذ الوارث تلك الوصية .. فهل يعتبر وارثًا شرعيًا؟كلا لا يعتب وارثًا شرعيًا حتى ينفذ الوصية .

وإذا كان الأمر كذلك فكيف يعتبر العلماء المتباعدون عن سنة خير النبيين صلى الله عليه وآله وسلم المجندون للبدع والمنكرات ورثة له ﷺ مع أنه يقول: «**من أخذ بسنتى فهو منى ومن رغب عن سنتى فليس منى** ». ويقول : « **من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» .ويقول : « **من أحيا سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة**»رواه الترمذى وهو حديث حسن.

فكيف يكونون ورثة خير الأنبياء وخاتم المرسلين وهم يناهضون العاملين على تنفيذ وصيته ﷺ .

وهم مع ذلك يرون البدع والمنكرات يبيحون لنسائهم التبرج والسير فى الطرقات والذهاب إلى المسارح والملاهى وقد اقتدت بهم العوام فصاروا قوادًا إلى جهنم حتى إذا أردت نصح أحدهم وردعه عن مخالفة ارتكبها أجابك على الفور : لقد رأيت فلانًا العالم الذى يتقاضى مرتبا قدره كذا وكذا يفعل ذلك أو يفعل ذلك بحضرته ولم ينه عنه .

وكأن العلماء أصبحوا حجة على الله تعالى ، أو كأننا لم نسمع قوله تعالى :

---

(١) أى ألزمه الله هلاكًا وخسرانًا.

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] .

والأدهى من ذلك وأمر أن يقول بعضهم: بدعة حسنة ، كأن الله سبحانه وتعالى لم يقل : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] ،أو كأن رسول الله ﷺ لم يقل: **«شر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار»**.

وقال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١] .وقال تعالى :﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وقال تعالى : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

قال العلماء ، أي : (ردوه إلى الكتاب والسنة)، الله تعالى يقول ذلك ونحن نقول: بدعة حسنة ، ومن هو الذى حسنها ؟ أ أرسل رسولًا بعد محمد ﷺ ، أم ترك محمد الدين ناقصًا وأمر هؤلاء الأغبياء بإتمامه ، لقد نسينا قول الله تعالى أو تناسينا ، حيث يقول : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] . ويقول الإمام مالك رضى الله تعالى عنه: من استحسن بدعة فى الإسلام فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة لأن الله تعالى يقول : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية .

فما لم يكن دينًا لم يكن دينًا اليوم، وعن جابر ط قال : قال رسول الله ﷺ : **«مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها ، وآنا آخذ بحجزكم عن النار وأنت تفلتون من يدى »** رواه مسلم.

ما أكرم هذا الرسول الكريم الحريص على سعادة الكل الذى وصفه ربه بالرأفة والرحمة يريد لنا السعادة ولا نرضى لأنفسنا غير الشفاء .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال : **« يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلًا كما بدأنا أنا أول خلق نعيده وعدًا علينًا إنا كنا فاعلين . ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم ﷺ . ألا وإنه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال ،**

فأقول : يا رب أصحابى .فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك . فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٧،١١٨] . **فيقال لى : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم »** متفق عليه .

فهل بعد ذلك نسير خلف أناس يدعون العلم ، والعلم منهم براء ، يناهضون السنة ويستحسنون البدعة ،يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة على لسان أنبيائه وورثتهم من العلماء العاملين . وفى علماء السوء يقول بعضهم :

فعالم بعلمه لن يعملن ... معذّب من قَبْل عُبّاد الوثن

ثم قال فضيلته:

هنيئًا لمن عرف الله واستغنى بمعرفته عن الخلق.

من عرف الله فلم تغنه ... معرفة الله فذاك الشقى

ما يصنع العبد بعز الغنى ... والعز كل العز للمتقى

ومما يحكى أن فرنسا احتلت بلدًا من البلاد الإسلامية ، وكان بها عالم عامل قال له تلميذه : إن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا﴾ [النساء: ١٤١] ويقول : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] .

فأين ما وعدنا الله به ؟ فقال له : وأين المؤمنون حقًّا يا بنى ائتنى بمؤمنين وخذ ملأ الأرض نصرًا .

ألم يقل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم : «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** »[1].

ثم قال فضيلته : « **والإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[2].

---

(١) رواه البخارى .

(٢) متفق عليه.

وبين هذا وذاك صلاة وصيام وحج وصدقة وما إلى غير ذلك .

فهل آن لنا أن نؤمن بالله ونعمل على تنفيذ أوامره ونترك نواهيه .

والله لو آمنا بالله تعالى واتقيناه حق تقاته لوضعنا قدمًا فى المشرق والآخر فى المغرب .

لقد انشغلنا بطاعة المخلوق وتركنا طاعة الخالق ظنًّا منا أنه ينفع ويضر والله سبحانه وتعالى يقول فى حديث قدسى : « **يا عبادى إن قلوب الملوك بيدى فإن أطعتمونى حولت قلوبهم عليكم بالود والرحمة ، وإن أنتم عصيتمونى سلطتهم عليكم ..**» الحديث . وقد قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام : «**من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع عليه شمله وأتته الدنيا وهى راغمة . ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وشتت عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له ، وما أقبل عبد بقلبه على الله إلا حول الله إليه قلوب المؤمنين بالود والرحمة** » رواه الترمذى .

ثم دعا فضيلته لجميع المسلمين بالهداية والتوفيق ، وأخذ عليهم عهد الله وميثاقه على أن يعملوا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

(تعليق)

وتعليقى على هذه الموعظة البالغة ، هو أنه ينبغى علينا أن نكون كمؤمنين على صلة دائمة بالله ورسوله وذلك عن طريق الكتاب والسنة حتى لا تضل أو يزل .. والله ولى التوفيق.

١٣) عظة بالغة

ألقاها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ السيد عبد الله العفيفى فى مساء الاثنين الموافق أول جمادى الأولى ١٣٥٥هـ

بناحية وراق العرب

قال فضيلته بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على رسوله المحبوب صلى الله عليه وآله وسلم :

قال تعالى : ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧] . يأمرنا الله سبحانه وتعالى الكريم المتعال أن نتزود ليوم الرحيل . ليوم سفر بعيد ، ويخبرنا أن خير الزاد التقوى : ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨ ، ٨٩] وقد كان النبى ﷺ يقول :

«**اللهم إنى أسالك الهدى والتقى والعفاف والغنى** » رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن أبى جندب بن جنادة وأبى عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : «**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن** »رواه الترمذى وقال: حديث حسن .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف النبى ﷺ يومًا فقال : «**يا غلام إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف**».رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

فيجب علينا أن نتقى الله حق تقاته وأن لا نخشى فى الله لومة لائم ، وأن نعلم أنه لا يصيبنا إلا ما قدر لنا وأن نستعد ليوم الرحيل ، وأن نخشى الله سبحانه وتعالى ، ونعلم أنه قاهر جبار شديد البطش ، قال تعالى : ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج:١٢]. وقال :﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلا لأَجَلٍ مَعْدُودٍ يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود:١٠٢-١٠٦] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس:٣٤- ٣٧] . وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج:١، ٢] .

يحذرنا الله سبحانه وتعالى من العذاب الشديد . عذاب يوم القيامة .

يحذرنا سبحانه وتعالى من عذاب جهنم الذى أخبر عنه رسول الله ﷺ بقوله: «**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**» رواه مسلم .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال :سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لرجل يوضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابًا ،وأنه لأهونهم عذابا** » متفق عليه .

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه إلى حجزته ، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته** »رواه مسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:«**يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه** (١) **إلى أنصاف أذنيه** » متفق عليه . وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعًا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم** » متفق عليه.

فسارعوا يا عباد الله إلى التوبة قبل فوات الوقت واطلبوا من الله المغفرة والرضوان ، واعلموا أن وعد الله حق ، واعملوا بسنة نبيكم ﷺ الذى يقول يوم القيامة : أنا لها أنا لها فى وقت لا يكون دعاء الأنبياء أو الملائكة إلا يا رب سلم سلم ، واعلموا أن نبيكم ﷺ قال: «**من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة** »رواه الترمذى وقال: حديث حسن .

فسارعوا يا عباد الله إلى طاعة ربكم سبحانه وتعالى بطاعة نبيه ﷺ ، واعلموا أن ربكم سبحانه وتعالى وعدكم بالقبول بقوله تعالى : ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[الزمر:٥٣] .

وعن أبى ذر رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ : «**يقول الله عز وجل من جاء**

(١) أى فى عرقه.

بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا[1] ، ومن تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ،ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة » رواه مسلم .

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه جل وعلا قال: «**أذنب عبد ذنبا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي ، فقال الله تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب ، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي فقال تعالى :أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، وقد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء[2]**» متفق عليه .

ولا تظنوا أن معنى ذلك أن يعمد أحدكم إلى معصية الله تعالى ويقول: إني أتوب بعد ذلك ، كلا فإن الموت قريب والموت يأتي بغتة ، وربما مات الإنسان وهو مرتكب المعصية ،أو قبل أن يتلفظ بكلمة التوبة فضلا عن أن مثل هذا الصنيع يعد خداعًا وتحايلًا ولا ينطلي على الله محال بل يجب علينا أن نعاهد الله تعالى على التوبة من جميع الذنوب ونصدق مع الله تعالى ونخلص كل الإخلاص لأنه سبحانه وتعالى عليم بما تخفي الصدور ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .أما إذا وقع في الذنب بغير رغبته ولا إرادته ثم ندم على ما فرط منه وبكى من خشية الله تعالى وسارع إلى إقامة حدود الله بامتثال أوامره تعالى واجتناب نواهيه واتباع سنة نبيه ﷺ فهذا هو الذي يرجى له النجاح ويكون من الفرقة الناجية ، أما أن يعمد أحدنا إلى انتهاك حرمات الله تعالى عامدًا متعمدًا قائلًا: غدًا أتوب فهذا غشاش مخادع تنطبق على أمثاله الآية الكريمة: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:٩- ١٢] .

أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن هؤلاء الجهلة الأغبياء الذين يظنون أنهم

---

(١) أي من تقرب إليّ بطاعتي تقربت إليه برحمتي وإن زاد زدت .

(٢) أي فليفعل ما شاء ما دام يذنب ويتوب لأن التوبة تهدم ما قبلها من الذنوب .

يخادعون الله والذين آمنوا إنما يخدعون أنفسهم وهم لا يشعرون : يخدعون أنفسهم لأنهم بأعمالهم هذه يسيرون بأنفسهم إلى النار والعياذ بالله تعالى لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

فسارعوا إلى رضوانه ومغفرته . وسارعوا إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين : قال الله تعالى :﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر:٤٥].

فسارعوا وجدوا فى طلب هذه الجنة التى وعدكم ربكم سبحانه وتعالى بها فى كتابه الحكيم ، واعلموا أن الله لا يخلف وعده ، فالبدار البدار [1]، واعلموا أن ربكم سبحانه وتعالى يقول : ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ* عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ* تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ* يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ* خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِى ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ* وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ* عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين:٢٢-٢٨].

وعن أبى هريرة قال :قال رسول الله ﷺ : « **أول زمرة يدخلون الجنة على صور القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة [2]، أزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا فى السماء** ». متفق عليه .

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إن فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد الضمر السريع مائة سنة ما يقطعها** » متفق عليه .

وعنه أيضا أن رسول الله ﷺ قال : «**إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك . فيقول : هل رضيتم . فيقولون : وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك . فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك . فيقولون : وأى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا** » متفق عليه .

ثم قال فضيلته :

---

(١) أى أسرعوا إلى الله .
(٢) الألوة : عود الطيب.

ها أنتم علمتم ما أعده الله سبحانه وتعالى لعباده الصالحين ،وما أعده للمنافقين فمن أى الفريقين تريدون أن تكونوا .

أسأل الله لى ولكم الهداية والتوفيق للأعمال الصالحة حتى نكون من الفرقة الناجية .ثم دعا لجميع المسلمين بالنصر والتأييد ، وأخذ على الحاضرين عهد الله على العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله الأمين ﷺ .

وانتهت الموعظة بعد منتصف الليل وكلما أراد فضيلة الأستاذ الانتهاء شفقة بالحاضرين طلب منه الجميع أن يزيدهم من نصائحه الغالية .

(تعليق)

وتعليقى على هذه الموعظة الغالية التى جمعت وأوعت...هو عن خاتمة الموضوع الذى أشار فيه الأخ المعلق .. فلقد ذكر أن فضيلة الأستاذ الوالد عليه رحمة الله – أنهى موعظته بعد منتصف الليل، وأنه كلما أراد – فضيلته – الانتهاء من الموعظة شفقة بالحاضرين طلب منه الجميع أن يزيدهم من نصائحه الغالية...(وهذا) معناه أن الأستاذ المحاضر كان مخلصًا فى أداء رسالته التى ورثها عن الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه كعالم عامل ..وهكذا كان أيضًا من كانوا يستمعون إليه بكل حضور بتلك الصورة التى كانت أساسًا فى انتفاعهم وتمسكهم بسنة الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليهم . (فلنكن) كن كذلك على شاكلتهم . والله ولى التوفيق

موعظة الأسبوع

ألقاها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ السيد عبد الله العفيفي عقب صلاة الجمعة فى الجمعية الشرعية الرئيسية فى ٥ جمادى الأولى ١٣٥٥ هـ

قال حفظه الله تعالى بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

العالم من تذكركم رؤيته الله ، أى أن العالم العامل إذا جالسته فلا تجد حديثا له إلا عن الله ورسوله ﷺ ، يذكرك دائمًا أبدًا بالله تعالى ويحذرك من

سخطه وغضبه ويحذرك من النار وعذابها الأليم ، ويذكرك بالجنة وما أعده الله سبحانه وتعالى فيها لعباده المتقين الخاضعين لربوبيته عز وجل ، المتوكلين عليه في السراء والضراء ، الخاشعين من خشيته ، المتصدقين في سبيله تعالى ، الخائفين من عذاب النار ، الذين قال الله فيهم : ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٦، ١٧] : يخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه سيجزي عباده الصالحين الذين يتركون راحة الدنيا ونعيمها طمعًا فيما عند الله جزاءًا لا يقدر ولا يوصف لعظمه وكثرته ، ويخبرنا عنه بقوله تعالى : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧] : نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم جميعا ، وليس علينا إلا أن نجد ونسارع في طلب الخير بمجالسة العلماء العاملين ،و الإنصات لنصائحهم الغالية ، والعمل بما يلقونه إلينا من تلك النصائح ،لأن العلماء العاملين هم ورثة النبي ﷺ . فأكثروا من مجالستهم والانتفاع بها عندهم ، واعلموا أن ربكم سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك(١) وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا منتنة**» متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة..**» رواه مسلم .

وعن أبي أمامه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**» ، ثم قال رسول الله ﷺ : «**إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون**

(١) يحذيك: أي يعطيك .

على **معلمى الناس الخير»** رواه الترمذى وقال: حديث حسن .

وعن أبى الدرداء رضي الله عنه قال :سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**من سلك طريقا يبتغى فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ،وإن الأنبياء لم يورثوا غير العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**» رواه أبو داود والترمذى .

فعليكم بمتابعة من يدلكم على ربكم واحذروا علماء السوء الذين قال الله فيهم :﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤]. وقال فيهم نبيكم ﷺ : «**من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة** » رواه أبو داود.

وعن أبى هريرة وأبى زيد بن حارثة رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحا فيجتمع عليه أهل النار فيقولون ما لك؟ألم تك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول :بل كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه** » متفق عليه .

فاحذروا علماء السوء ولا تخالطوهم ولا تجالسوهم واعلموا أنهم خطر على دينكم يقودونكم إلى جهنم والعياذ بالله تعالى .

وتوكلوا على الله واعلموا أنه سبحانه وتعالى يقول فى كتابه الحكيم : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:١٧٤] .

وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ

آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢].

فتوكلوا على ربكم واعلموا أنه سبحانه وتعالى قد تفرد بالعطاء والمنع والخفض والرفع والضر والنفع ، لا ينفعك أمير ولا كبير ولا صغير إلا بما قدر لك ،أما أن يعمد أحدكم إلى فلان الباشا أو فلان البك.. يجلس ببابه وربما طال به الجلوس وجاء وقت الصلاة فلا يقوم لتأديتها خوفا من أن يخرج الباشا أو البك ،فلا يجده ،والبعض يقول :إن عملى يحتم على ترك الصلاة لأنى لا أجد وقتا للصلاة وعملى هو الذى أرتزق منه وآتى منه بقوت عيالى.. فمثل هذا وذاك قد أشركا بالله تعالى وجعلوا أنفسهم عبيدًا لغير الله لأنهم توكلوا على غير الله وظنوا أن العبد يرزقهم ونسوا قول الله تعالى : ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ كان يقول : «**اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت ، اللهم أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلنى أنت الحى الذى لا تموت والجن والإنس يموتون** » متفق عليه . وهذا لفظ مسلم ، وعنه أيضا قال :«**حسبنا الله ونعم الوكيل : قالها إبراهيم ﷺ حين ألقى فى النار ، وقالها أصحاب محمد ﷺ حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل**» رواه البخارى .

فتوكلوا على الله سبحانه وتعالى واعلموا أنه هو الضار النافع والمعطى المانع، هو الرزاق ذو القوة المتين . ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠] . ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]. كفى المتوكل على الله شرفًا أنه ليس عبدًا إلا لله وحده لأنه توكل على الله وحده ،فلم يكن عبدًا إلا لله .لم يلجأ فى الشدائد إلا إلى الله، ولم يشكو أمره إلا لله ،لأنه آمن بالله وعرف أن لا إله إلا الله ، فكفاه الله ولم يجعله عبدًا لسواه . أشرف أكبر من هذا ؟أعز أعظم من هذا ؟ وما لنالا نكون جميعًا حائزين لهذا الشرف المنيع والعز الرفيع .إنه لا يكلفنا كثيرًا ، وإن ثمنه مجاهدة النفس والهوى .

فعلينا جميعا أن نجاهد أنفسنا ونعلم أن الموت قريب ونذكر الموت فى كل ساعة ولحظة ونتدبر قول الله تعالى:﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وقال تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون:٩-١١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال :أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي وقال : «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**» وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك رواه البخاري .

فاستعدوا للقاء الله تعالى ، وكونوا دائمًا متأهبين للرحيل واحرصوا على الزاد قبل الميعاد : ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة:١٩٧] . واعفوا عمن ظلمكم ، واعلموا أن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٤، ٣٥]. وقال تعالى :﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال : «**لقد لقيت قومك وكان أشد ما لقيته منهم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي وإذا أنا بسحابة قد أظلت فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال : إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك**

فما شئت إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين (1)**.فقال النبى ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا »**متفق عليه .

فتخلقوا بأخلاق نبيكم ﷺ تفوزوا بسعادتى الدنيا والآخرة .

ثم دعى لجميع المسلمين بالهداية والتوفيق ، وأخذ على الحاضرين عهد الله على العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

١٥) عظة ورد على افتراء واختلاق لحضرة صاحب الفضيلة السيد عبد الله العفيفى

قال فضيلته بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على نبيه المحبوب ﷺ :

قال تعالى :﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤]. وقال ﷺ : «**إذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله**».وقال تعالى فى حق نبيه ﷺ : ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] . وقال تعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

علمنا من الكتاب الحكيم المنزل من الرءوف الرحيم العالم بمصلحة عباده ومن حديث الإمام الأعظم ﷺ أنه يجب علينا أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر وأن نتبع نبينا ﷺ فى الأقوال والأفعال ، فإنه ﷺ لم يترك شيئا يقربنا إلى الله تعالى إلا وقد أمرنا به ولا شيئا يبعدنا عن الله تعالى إلا وقد نهانا عنه ، فهذا نص حديثه ﷺ ، وقد أمرنا الله تعالى بمتابعته ﷺ وعدم مخالفته فى شىء ما ، بقوله تعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ...﴾ [النور: ٦٣].

فمن حاد عن سنته ﷺ فقد خسر وخاب وغرق فى مراحيض الخزى والضلال والإضلال وأعمى الله بصيرته لتركه سنة صاحب الشفاعة ، ولغفلته عن ربه ، وعدم الطاعة . ولا يخفى على ذوى العقل السليم أن أكبر

---

(١) الأخشبان : الجبلان المحيطان بمكة، والأخشب هو الجبل الغليظ .

آفة مضرةٍ بالناس مذهبة لدينهم وأشد من اللعين الخناس ولا يفيد معها زجر ولا إرشاد هى صحبة من ينسب نفسه إلى العلم الشريف ولا يعمل بـه، وربما كره من يتمسك بالشرع المنيف وروج سوق المخالفات وكره وكرّه فى العمل بالسنة والعاملين بها . وفى أمثال هذا يقول الشيخ المجذوب :

اتفقــوا عــلى الــدّين تركــوه	**تعانــدوا فى المــال والكســاوى**
الثّــوبُ مِــن فــوق غســلوه	**وخلـوا القلـب مـن جـوه خـاوى**

فعليكم بملازمة العلماء العاملين الذين لا يخشون فى الله لومة لائم ليدلوكم على الطريق القويم والصراط المستقيم.

واعملوا على ما تعملون ، وذروا المخالفين ، ولا سيما أهل العناد فإن عدم العمل بالعلم أكبر هلاك ،وترك العمل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه المحبوب لأجل الناس إشراك ،ومن لم يخش إلا الله ينل كل المراد ،وما أحسن قول من قال :

إذا كنـت ذا عمـل ولم تـك عالمـا	**فأنـت كـذى رجْـل ولـيس لـه نعـلُ**
وإن كنـت ذا علـم ولم تـك عـاملا	**فأنـت كـذى نَعـل ولـيس لـه رِجْـل**
جـوادك مسـبوقٌ إلى كـلِّ غايـة	**وهـل ذو جـواد يَسْـبقه بَغـل**

فإياكم ومتابعة الأشرار علماء الألسنة جهلاء القلوب الذين لا يخشون الله ولا يأتمرون بأمر الله ويتغيظون ويكادون ينتحرون كيدًا وحزنًا إذا ظهرت سنة رسول الله ﷺ وفروا منهم كما يفر السليم من الأجرب حتى يعودوا إلى الحق ويعملوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، قال تعالى : ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وقال ﷺ : **«ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان فى أمتى من يصنع ذلك،وإن بنى إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار إلا من كان على ما أنا عليه وأصحابى»** حديث صحيح.

فكونوا عباد الله من الفرقة الناجية وتقربوا إلى ربكم سبحانه وتعالى بصالح الأعمال تنالوا كل الخير الذى ما له من نفاذ . فتأدبوا فى مجالس القرآن

كما أمركم ربكم فلا تشوشوا ولا تشربوا الدخان كما يفعل كثير من أهل الضلال والإضلال والطغيان . واعلموا أنه يطلب منكم أن تأتوا بالصلاة على وجهها الوارد عن الرسول مع معرفة أركانها وشروطها وسننها ومندوباتها ومكروهاتها ومفسداتها وما يصلحها . ومن لم يفعل ذلك خاب وحاد عن الفلاح والنجاح ، واحذروا أن يصاحبها شيء من بدع الجاهلين كالجهر بالنية أو الترقية أو التبليغ لغير حاجة وما إلى ذلك من البدع التى أدخلت على الدين زورًا وبهتانا والدين منها براء ، وقد قال ﷺ : «**صلوا كما رأيتمونى أصلى**»، وما كان شيء من هذه البدع التى فشت وانتشرت ولم تكن موجودة فى عهده ﷺ ولا فى عهد خلفائه الراشدين والأئمة المجتهدين فمن ارتكبها فهو مخالف لأمره ﷺ وقد قال ﷺ : «**اتبعوا ولا تبتدعوا فإنما هلك من كان قبلكم بما ابتدعوا فى دينهم وتركوا سنن أنبيائهم وقالوا بآرائهم فضلوا وأضلوا**» فمن عمل بشيء من البدع فقد ضل فى نفسه وأضل من اتبعه وهلكوا جميعا بنص حديث رسول الله ﷺ حيث قال:«**إن الله لا يقبل لصاحب بدعة صومًا ولا صلاة ولا زكاة ولا حجًا ولا عمرة ولا جهادًا ولا صرفًا ولا عدلًا ويخرج من الإسلام كما يخرج السهم من الرمية أو تخرج الشعرة من العجين**»أخرجه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى عن أنس. وقال ﷺ : «**إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعه**» وقال ﷺ : «**إنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار**». والأحاديث الواردة فى ذلك الناطقة بأن أهل البدع فى جهنم وبئس القرار كثيرة، ومن يصرف هذه الأحاديث عن العموم يكون مخطئًا مروجًا لما وجد عليه أسلافه من شنيع الفساد واقفًا هو وأمثاله فى خبيث الضلالة كما نص على ذلك صاحب الرسالة ﷺ ، ورواه الطبرانى وغيره عن يحيى ابن جعفر عن سيد العباد فقد قال ﷺ: «**كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به بنيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم**». فنزلت الآية الكريمة :﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٥١]. وقال ﷺ : «**ما تركت شيئًا يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم**

به ولا شيئًا يبعدكم عن الله تعالى إلا وقد نهيتكم عنه)).

فهل بعد هذا كله يا عباد الله تصدقون أن هناك بدعة حسنة؟ومن الذى حسنها ؟ وهل ترك نبيكم ﷺ الدين ناقصًا فجاء هؤلاء الخسرة جنود إبليس اللعين لإتمامه ؟ كلا والله ما حسنها إلا الشياطين وتبعه علماء السوء الذين ضلوا وأضلوا ، الذين يتغيظون إذا ظهرت السنة وانتصر الداعون إليها فيفترون عليهم الكذب ويتقولون عليهم الأقاويل ويتهمونهم بما هم منه براء، ولقد قال بعض العارفين :

قسمًا بالنجم حين هوى	ما المعافى والسقيم سوا
فاخلع الكونين عنك سوى	حب مولى العرب والعجم

وقال بعضهم:

نظرت فلم أنظر سواك أحبه	ولولاك ما طاب الهوى الذى يهوى
ولما اجتلاك الفكر فى خلوة الرضا	وعاينت قال الناس ضلت بك الأهوى
لعمرك ما ضل المحب وما غوى	ولكنهم لما عموا أخطأوا الفتوى

هذا ولا تظنوا يا عباد الله أننا نالنا من قولهم أذى .. بل هو سبب بإذن الله تعالى فى نصر السنة والعاملين بها، وما أحسن ما قيل فى هذا :

وإذا أراد الله نشر فضيلةٍ	طويت أتاح لها لسان حسودِ
لولا اشتعال النار فيما جاورت	لم يبد منها ريح عرف العود

وهكذا لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ، فقد مكر صاحب الاستفتاء واختلف قولا لم يقله أحد ، ولم يكتف مفتى المجلة الذى أضله الله وأعمى بصيرته بالإجابة على السؤال بل تعداه وأراد الله أن يظهر سوء نيته وخبث طويته فحمل على أهل السنة يريد الحط من قدرهم ،فإذا هو يمدحهم من حيث لا يدرى حيث تساءل لماذا اتخذ أهل السنة مساجد خاصة بهم .ثم عاد يجيب على نفسه بقوله : (وحجتهم فى ذلك أن المساجد فيها من البدع ما فيها) ثم عدد بعض البدع ، ثم قال بعد ذلك : (وفسق بعض أئمة الوزارة وشربهم الدخان وحلق لحاهم وغير ذلك) الله الله لقد أنطقه الله بالحق رغم أنفه وتلك عادة الله فى خلقه . فإنه ما قام داعيًا يدعوا إلى الحق إلا وجد من أنصار الباطل

من يخذله ويحاول إطفاء نور الحق الذى يدعو إليه ولكن الغاية السامية واليقين الثابت الذى يدعو إليه تهون إلى النفس احتمال الصعاب والله متم نوره ولو كره أعداء الدين والفوز للحق والعاقبة للمتقين.

فما سعى معاند الحق إلا فى هلاك نفسه وخذلانها ، وفى نصر السنة المحمدية وإظهار فضل أهلها .. وهكذا جرت عادة الله فى خلقه حفظا لدينه الحنيف إلى يوم الدين . وما احسن ما قيل فى هذا المعنى:

إذا كان عون الله للمرء مسعفا	تهيأ له فى كل أمر مراده
وإن لم يكن عون من الله للفتى	فأول ما يجنى عليه اجتهاده

فلا دواء لهؤلاء الحاسدين المعاندين إلا تركهم ينتحرون كيدًا وغيظًا ،وقد قيل فى هذا :

اصبر على حسد الحسود	فإن صبرك قاتله
النار تأكل بعضها	إن لم تجد ما تأكله

فليس من الحزم الاشتغال بالرد عليهم إذ فى ذلك تعطيل وشغل عما خلق له العبد من ذكر وعبادة ربه سبحانه وتعالى :

ولو أن كل كلب عوى ألقمته حجرًا	لأصبح الصخر مثقالا بدينار

خصوصا وقد علم أن الله تعالى تكفل بحفظ دينه وأهله العاملين به إلى يوم الدين : ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍ﴾ [الزمر: ٣٧] . ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣] .

ثم دعا لجميع المسلمين بالهداية والتوفيق وأخذ على الحاضرين عهد الله وميثاقه على العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

١٦) عظة بالغة

لصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الله العفيفي

قال فضيلة الأستاذ بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم :

قد أصبح الناس يظنون أن المدينة لا تكون إلا بالتبرج والتهتك والخروج

على آداب الـدين وارتكـاب الموبقـات والمحرمـات مـع أنهـم لـو نظـروا نظـرة واحدة إلى ما كان عليه أجدادنا القـدماء مـن التقـدم والرقيـة والمدنيـة لعلمـوا أنهم بلغوا ما لم تبلغه أرقى دولة فى العـالم إلى وقتنـا هـذا ، وفضـلا عـن ذلـك ، فقد كان الأمن والنظـام والطمأنينـة والرخـاء يسـود بلادهـم وكانـت الفـرس واليونان الذين اشتهروا بالنبوغ والذكاء يقتبسون من علومهم ، وما ذلـك إلا بتمسكهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم ، وهـا نحـن فى القـرن العشريـن [1] الـذى يظن فيه المسـلمون أن أوربـا بلغـت أرقـى درجـات المجـد والمدنيـة ، وسـارت علومهم تملأ البر والبحر والجـو . نـرى علماءهـم المنصـفين يعترفـون بفضـل الـدين الإسـلامى وعظمـة القـرآن الكـريم، وهـاهم الطيـارون والبحـارون وأساطين الأطباء يعترفون صراحة أن الـدين الإسـلامى وصـف مـا اكتشـفوه من العلوم وصفًا صريحًا لا لبث فيه ولا غموض .

ولكن نحن المسلمون ، نحـن أصـحاب الـدين قـد تركنـاه وظننـا أن المدنيـة هى التشبه بالغربيين فى أحط صفاتهم ظنّا أن المدنيـة هـى غشـيان دور الملاهـى والبـارات وتـرك نسـائنا شـبه عاريـات فى الطرقـات ، ظنّـا أن لا مدنيـة إلا فى شرب الخمـور وارتكـاب الفسـق والفجـور ظنّـا أن المدنيـة فى ذلـك فاتبعناهـا ونسينا قول العزيز الحكيـم : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

يخبرنا الله سبحانه وتعالى فى كتابه الحكيم أن الخمر والميسر رجس من عمل الشيطان ، ويأمرنا باجتنابه ويخبرنـا أن الشـيطان يريـد أن يوقـع بيننـا العـداوة والبغضاء ويصـدنا عـن ذكـر الله وعـن الصـلاة فى الخمـر والميسر. ومـع ذلـك ننسى أمر الله ونطيع أمر الشيطان لأن الخمر والميسر مـن ضروريـات المدنيـة . ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ

(١) أى الماضى ، لأننا الآن فى القرن الحادى والعشرين .

وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ ﴾ [النور:٣٠، ٣١].

يأمرنا الله سبحانه وتعالى رجالًا ونساء أن نغض أبصارنا عما حرمه علينا فإذا بنا نخالف رب الأرباب ونطيع الشيطان الرجيم .

فيجتمع الرجال بالنساء وهن متزينات متبرجات فى دور الملاهى والبارات ولا يتورعون عن احتساء الخمور ولعب الميسر؛ لأن ذلك من ضروريات المدنية.

لبئس المدنية التى تدعونا إلى ترك الدين ومخالفة رب العالمين وتجلب علينا الخراب والدمار وتنزل بأخلاقنا إلى أسفل الدرجات .

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

لقد انغمست النفوس فى الضلالات وانهمكت فى الشهوات وتهاونت فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واستعذبت ارتكاب المخالفات وغرقت فى البدع والضلالات وعز عليها العمل بما شرعه رب الكائنات فمرضت النفوس واستفحل داؤها، وعز دواؤها لأن القلوب عميت فلا تهتدى إليه وهو بين يديها. ألا وهو الرجوع إلى حظيرة الدين والتمسك بسنة خير المرسلين .

هذا هو الدواء الناجع وقد جرب مرارًا فأتى بأعظم الفائدة وأبرك الثمرات . ولكن أنى للقلوب الغافلة والرءوس الفارغة أن تهتدى إليه بعد أن تشبعت النفوس وتخدرت الأعصاب بهذا الداء الوبيل الذى سرت عدواه إلينا من أوروبا والذى أطلقنا عليه اسم المدنية .

لا نجاة من هذا الداء إلا بكثرة ذكر جبار السموات والأرض ، وبكثرة ذكرها هادم اللذات ومفرق الجماعات .

لا نجاة إلا بالتأدب بآداب الدين واتباع شرع أحكم الحاكمين.

تالله إن فى هذا الفوز والنجاح والفلاح، وفى مخالفته الخراب والدمار والبوار.

فهل آن لنا أن نعود إلى حصننا الحصين . هل آن لنا أن نعود إلى حظيرة الدين . هل آن لنا أن نتمسك بسنة خير المرسلين .

هل آن لنا أن نترك الفسق والفجور وشرب الدخان وشرب الخمور ولعب الميسر حتى يعود لنا عزنا ومجدنا .

والله يا إخوانى لا نبرأ من تلك الأوبئة القاتلة ، ولن تعود لنا هيبتنا ويخشانا عدونا إلا إذا تمسكنا بديننا وعملنا بأوامر نبينا ، وزال الحقد والحسد والتباغض من نفوسنا ، واتبعنا داعى الحق إلى ما يدعونا إليه.

يقولون: إننا نقصر دعوتنا على إعفاء اللحية وإسدال العذبة..فهل هذا صحيح؟

كلا والله بل هو الحقد فى نفوسهم والحسد يأكل قلوبهم وهذه دعوتنا يسمعها الخاص والعام :إننا ندعو العالم جميعا إلى السعادة الأبدية بالعودة إلى حظيرة الدين والعمل بما جاء به سيد المرسلين والبعد عما نهى عنه خاتم النبيين .

وفقنا الله جميعا إلى العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ووفق أولياء أمورنا إلى ما فيه صلاح أحوالنا فى الدنيا والآخرة .

(تعليق)

وتعليقى على هذا الدعاء الأخير هو أنه ينبغى علينا أن نكثر منه ومن مثله لولاة الأمور .. لأنه كما ورد فى الحديث الشريف : أن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .. (وقد) قرأت أن الإمام أحمد رحمه الله تعالى كان يقول : (لو كانت لى دعوة مستجابة لادخرتها للحاكم) لأنه يستطيع بجرة قلم يستطيع أن يغير آلاف المنكرات ... إلخ .

فلنكثر من الدعاء لولاة الأمور بأن يحقق الله على أيديهم صلاح الأحوال..اللهم آمين .

(١٧) موعظة

ألقاها صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل السيد عبد الله العفيفى فى الحفل الجامع بالعباسية القبلية بعد موعظة ألقاها فضيلة الأستاذ الشيخ أمين خطاب إمام أهل السنة

قال حفظه الله تعالى بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله ومن تبع هداه.

أما بعد: فأقدم نيابة عن نفسى وعن جميع المسلمين سيما الحاضرين جزيل الشكر إلى الأستاذ الإمام وأسأل الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء كما جازى والده الإمام رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، فقد رؤى بعد الوفاة أنه مع سيد المرسلين وإمام النبيين ﷺ يتمتع فى رياض الجنة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهكذا كل من نصره .

قد وعد الله المحسنين خصوصًا من تمسك بسنة نبيه وعمل على طاعته ، وعدهم أنه يحشرهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . قال ﷺ: ((**من أحيا سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة**))[1].

قد وعد الله من تمسك بدينه وعمل على مقتضى إيمانه الحق أن يعزه فى الدنيا والآخرة : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون: ٨].

قد وعد الله من يقيم الصلاة ويأمر أهله بها ويعلمهم أمر دينهم أن يسهل له أمر المعاش ولا يشغله به ويجعل له العاقبة الحسنى فى الآخرة : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[طه:١٣٢].

أمر الله المؤمنين أن يعملوا على وقاية من لهم الولاية عليهم من النار فقال : ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[التحريم: ٦] ، وحذر النساء من كشف المحاسن وأمرهن بالإستكنان فى البيوت ، فقال : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾[الأحزاب: ٣٣] ، لا يجوز للمرأة الخروج إلا لضرورة شرعية وإن خرجت تخرج فى حشمة ووقار لا تبدى زينتها للأجانب بحالة تستدعى الأنظار ((**فمن ترك امرأة فى هواها أدخله الله النار معها**)) كما أخبر بذلك النبى ﷺ وتتعلق به يوم القيامة فتقول: يا رب خذ لى حقى من هذا فقد تركنى ولم يعلمنى أمر دينى ، ولكن هيهات أن يجدى هذا سوى الحسرة والندامة بل الحجة عليها قائمة فكان عليها أن تتعلم العلم وتعمل على مقتضاه حيث أهمل ولى أمرها ، فالتبعة واقعة عليها لأن النساء شقائق الرجال ، وإن كانت التبعة

---

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن

أولا واقعة على الزوج . فالله سبحانه كما أمر الرجال أمر النساء ، فقال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور:٣٠] ، وقال تعال : ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور:٣٠].

فكل امرأة انكشفت على الأجانب لا ينفعها تقصير زوجها فى الواجب عليها بل يدخلها الله النار مع الداخلين ،فإذا سلكت طريق المؤمنين كانت مع الفائزين، وإذا اتبعت طريق المفسدين كانت مع الضالين المفسدين تستحكم العداوة يوم القيامة﴿الأَخِلاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْض عَدُوٌّ إلا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧] ، فما كان لله اتصل وما لغير الله انقطع وانفصل،فكل علاقة مآلها التلف إلا علاقة التقوى ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦].

فلنعمل على مقتضى الشرع الشريف وقد عمل على ذلك شيخنا وإمامنا رحمه الله ثم المقصود كما علمتم من فضيلة الأستاذ الإمام أن الأهم من جمعيتنا هذه هو الأغراض الحسنة وأن نتعاون على البر والتقوى وأن نعمل على إظهار شعائر الإسلام ، وأن يشد بعضنا بعضا فى إعلاء كلمة الله ،وأن نساعد (**أهل العباسية**) على إنشاء مسجدهم، فالنبى ﷺ يقول: ((**من بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتًا فى الجنة**)) وفى رواية : ((**سبعين قصرًا فى الجنة**)) [1]لا يقول ذلك عن هواه وإنما يقوله عن مولاه ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١] .

لا تظنوا أن الإنفاق فى سبيل الله تضيع عليكم ثمرته وفائدته ولكن الله سيكرمكم فى الدنيا ويخلفه عليكم﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩]. وفى دار الكرامة تكونون من المفلحين﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].وتكون لكم السيادة فى هذه الدار .

ببذلٍ وحلم ساد فى قومه الفتى ... وينالكم فضل ربكم وكرامته وبره

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

---

(١) متفق عليه .

لا خير ولا سعادة ولا كرامة لدى الله ولدى الرسول ﷺ إلا بالكرم والجود والله يضاعف لمن أنفق فى سبيله أضعافًا كثيرة : ﴿مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] ، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١]. الكريم من فاز بخيرى الدنيا والآخرة والبخيل من باء بالخسران ونال الذل والهوان .

أروني كريمًا نال ذلًا ببذله وهاتوا بخيلًا نال عزًّا ببخله

مثل البخيل مع ربه كمثل عبد مع سيد كريم أعطاه مفتاح الخزانة وقال له: إن أنت أنفقت من مالى فأنا أعطيك بكل واحدة عشرة إلى سبعمائة . فكلما أخرج واحدة أعطاه ما وعده حتى جعله وزيرًا له .

وإن بخل وظن بسيده سوءًا عزله وحرمه مما جعله مستخلفًا فيه . فقد نال الأول الكرامة من سيده لطاعته وتصديقه له : ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] ، ونال الثانى الذل والحرمان والطرد من الخير الذى أراد سيده أن يمتعه به فأبى إلا الشح والبخل وكفران النعمة : ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] ، ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [محمد: ٣٨] .

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل:٥-١٠].

فإذا أعطيت فأعط من غير سؤال ولا تكن كالذين قال الله فى حقهم : ﴿فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهَانَنِ﴾ [الفجر:١٥، ١٦].

ولا كالذين قال الله فيهم : ﴿كَلا بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الفجر:١٧، ١٨]. والله نسأل أن يوفقنا لطاعته وأن يبعدنا عن معصيته.

(١٨) عظة بالغة

لحضرة صاحب الفضيلة : الأستاذ السيد عبد الله العفيفى

قال فضيلته بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه

وآله سلم :﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانا﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

أما بعد : فيأمرنا الله سبحانه وتعالى بالاعتصام بدينه الحنيف والتمسك بآدابه ويذكرنا بالنعمة العظمى التى أنعم الله علينا بها وتلك النعمة هى الإسلام الذى جعلنا إخوانا متحابين بعد أن كنا شيعا متفرقة ، ولا شك أن الدين الإسلامى هو حبل الله المتين والحق الواضح المبين، من تمسك به فقد اهتدى ، ومن حاد عن طريقه ضل وغوى.

إن الله سبحانه وتعالى أوجب علينا فى هذا الدين أمرا عظيما ، وفتح لنا به إلى السعادة طريقا مستقيما فإن نحن أطعنا المولى فيه نلنا من السعادة والخير ما ينبغى وبلغنا من الرقى والنجاح ما نرتجى وهو أن تجتمع قلوبنا وتتآلف نفوسنا على البر والتقوى .

قال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢] .

والله ما نالت أمة من الأمم نصيبها من رغد العيش ولا فاز شعب من الشعوب بالنصر والفلاح والنجاح والتقدم والرقى والسعادة إلا بالاتحاد الوئام .

إن التفرق والخصام والتنازع والشقاق من الجنايات الكبرى والمصائب العظمى التى تبتلى بها الشعوب والأفراد ، وإن تلك المصائب لتهدم بنيان الأمم وتذهب قوتها فلا تقوى على الثبات أمام العدو وقد قال الله تعالى : ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] إننا إذا قلنا أن الإتحاد والتعاون يثمران كل خير وسعادة ، فلا نقول هذا القول جزافا ، بل نستشهد على قولنا بما كان للسلف الصالح والخلفاء الراشدين من الشرف الرفيع والعز المنيع ، والقوة التى قهروا بها الجبابرة ودوَّخوا بها الأكاسرة وأسقطوا بها عروش الظلم ورفعوا لواء العدل والمساواة بين الناس والله يعلم أنهم ما وصلوا إلى ذلك إلا بالاتحاد والتعاون والصدق والوفاء والأمانة والإخاء .

ولا ريب أن أقوى عامل على رفع منار الأمم وبلوغها العز والشرف

والتمكين : هو الإتحاد ، فما تمسكت أمة به إلا وظهر سلطانها وقويت شوكتها وهابتها جميع الأمم ، وما تفرقت أمة واختلفت كلمتها وتنازعت في أمرها إلا واضمحل سلطانها وضعفت قوتها ودالت دولتها وتبدل عزها ذُلاً ورفعتها ضعة وانحطاطا . وكان نصيبها الفشل والخسران .

لهذا نهانا ملك الملوك ورب الأرباب عن التنازع فقال تعالى : ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] . وأمرنا بالتمسك بدينه تعالى والتحصن بحصنه الحصين بحصنه الحصين فقال : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] ولننظر ما كانت عليه الأمة العربية أيام الجاهلية : نراها كانت على أسوأ حال ، فحرب متواصلة وتفرق دائم ونزاع شائن وعداءٌ مستحكم ، يبطش القوى بالضعيف فلا دين يردعه ، ولا قانون ينصف المظلوم من الظالم إلى أن سطع نور الإسلام فاستضاءت به سماء الجزيرة العربية ، وارتجت لأجله سماء الفرس والروم ، وأتم الله نوره فى جميع البلاد وأنزل على الأرض الرحمة والسلام والوفاق والاتحاد والوئام على يدى هذا الرسول الكريم والسيد الصادق الأمين، فانضم إلى نبينا ﷺ العقلاء ، والتف حوله السعداء الذين أسعدهم الله فى الدنيا والآخرة فنزع من قلوبهم داء العداوة والبغضاء وطهرها بدواء الإخلاص والمحبة وألف بين قلوبهم فصاروا روحا واحدة فى جملة أجساد . تتألم إذا أصيب جسد من هذه الأجساد بأية مصيبة لأنها تعلم أن هذا الجسد منها ، وعملوا بقول سيد الخلائق أجمعين: « **مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر** »[1]. وبقوله ﷺ: « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** »[2]. وشكروا مولاهم على تلك النعمة العظيمة التى أنعم بها عليهم وهى دين الإسلام ، وجعلوا نصب أعينهم قول الله تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

---

(١) حديث صحيح.
(٢) رواه البخارى.

عملوا بذلك فصار لهم العز الذى لا يُدَانَى والسلطان الذى لا يُضَاهَى ، وملكوا مشارق الأرض ومغاربها ، وأدركوا باتحادهم على قلة عددهم وعددهم ما لم تدركه جيوش الفرس والروم على كثرة عَدَدِهِم وعُدَدِهم .

أتدرون لماذا انتصروا هؤلاء القوم ؟ لأنهم نسوا شخصياتهم وعملوا لربهم فى السر والعلانية فاتحدت كلمتهم وخلصت نيتهم ، فقهروا جميع الأمم ولم ينهزم لهم جيش ولم تنكس لهم راية ، لأنهم عرفوا ربهم فتوكلوا عليه فنصرهم الله لأنه تكفل بذلك حيث يقول فى كتابه الحكيم : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] .

وسأضرب لكم مثلا صغيرا فى اللفظ كبيرا فى المعنى ، فى إنكار الشخصيات وعدم حب الذات : لما بويع عمر بن الخطاب ﷺ وأرضاه بالخلافة بادر بعزل خالد بن الوليد سيف الله القاطع من قيادة الجيش الذى كان أبو بكر ﷺ قد جهزه قبل وفاته لفتح فلسطين ، وما فعل عمر إلا لمصلحة رآها وهى خوفه من أن يفتتن الناس بخالد حيث أظهر شجاعته وقوته النادرة المثال حتى لقبه رسول الله ﷺ بالسيف المسلول وسماه سيفا من سيوف الله ، وبلغ خالد أمر العزل فلم يتكبر أو يضعف من قوته ، بل صار يعمل تحت أمر أبى عبيدة ﷺ بجد وإخلاص حتى فتح الله على يديهم . انظروا هذا خالد بن الوليد لم يجد فى نفسه حرجا مما رآه أمير المؤمنين ودخل فى صفوف المجاهدين كجندى بسيط وصار مرؤسا بعد أن كان رئيسا . هذا خالد بن الوليد فأين قُوَّاد هذا الزمان . نرى علماءنا وقادتنا كل يعمل لنفسه ويسعى وراء مصلحته ولو كان فى ذلك مضرة لأخيه حتى وقعنا جميعا فى الذل والهوان ، وعم الكل طوفان البلاء ، ولو أنهم انتبهوا من غفلتهم وثابوا إلى رشدهم وعملوا بتعاليم نبيهم ﷺ لسعدوا وفازوا فى الدنيا والآخرة ولو أنصفت حكومتنا [1] لدلت الناس إلى ربهم ولأمرتهم بالتمسك بأدب الدين ، بل لعملت هى على تنفيذ أوامر أحكم الحاكمين ونفذت القانون السماوى الذى يأمرنا به أحكم الحاكمين وبذلك تستريح وتريح العباد نسأل الله تعالى الهداية والتوفيق إلى أقدم طريق.

---

(١) أى فى عصره .

تعليق

** وهكذا أيها الأخ الواعظ المؤمن – بصفة خاصة – كان والدنا السيد عبد الله العفيفى عليه رحمة الله تعالى وأسكنه فسيح جناته وألحقنا به على الإيمان الكامل غير خزايا ولا مفتونين .. : يدعو فى جميع خطبه ومواعظه إلى التمسك بالسنة المحمدية كما كان يحذر من البدع التى كان النبى ﷺ يحذر منها فى قوله ﷺ : « **إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ..** » ، وما كان هذا منهجه إلا لأنه كان يحب الرسول ﷺ ، كما أنه كان دائم الصلاة والسلام عليه لدرجة أنه كان يملى قصائد فى هذا الحب الصادق له صلوات الله وسلامه عليه :

* (فمن) هذه القصائد التى كان يمليها ويرددها مع تلاميذه ومُسْتَرْشِدِيهِ:

اللهـــم صـــل وســـلم عـــلى . أحمـــد محمـــد طـــه الرســـول
وعـــلى الآل كـــذاك عـــلى . كـــل نصـــير لطـــه الرســـول
وأمـــنن علينـــا وجُـــد برضـــا . لكـــل محـــب لطـــه الرســـول
وأيـــد توابعـــه مـــن ســـنته . أحيـــا أفـــرح طـــه الرســـول

إلى أن يقول عليه رحمة الله فى ختام هذه القصيدة كما جاء فى كتابه (العضب المتين) :

وأصـــلح إلهـــى لنـــا نســـلنا   وشَـــفِّعْ إلهـــى طـــه الرســـول
فينـــا وفـــيهم وكـــن عوننـــا   وهبنـــا جميعـــا حـــبَّ الرســـول

** (كما) كان يقول فى استغفاره لله تعالى – من تأليفه – مع جميع تلاميذه فى ختام كل لقاء :

(أستغفر الله العظيم لى ولوالداتى ووالدِىَّ[1] ، والمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات من ميت وحى ، والصلاة والسلام على خير نبى وكل نبى ، وعلى آله وآلهم ، وصحبه وصحبهم، وكل تقى وولى ، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما خلق الله ويخلق من شىء) .

---

(١) والدِىَّ: بكسر الدال : أى آبائى إلى آدم عليه السلام .

** (وهكذا) كان شيخه السبكى عليه رحمة الله يقول فى كتابه (المقامات العلية) :

طه الذى عم الأنام بفضله . ساد النبيين الأولى من قبله

هو صفوة البارى وخاتم رسله . يا أيها المستمسكون بحبله

إن تبتغوا أجرا يكون جزيلا

صلوا عليه بكرة وأصيلا

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم . إن التشبه بالرجال فلاح

(وإذا) كان لى بعد ذلك أن أختم خطب ومواعظ والدى السيد عبدالله العفيفى بخطبة أو موعظة ينتفع بها الأخ الواعظ بصفة خاصة .. (فإنه) حسبى أن أختم بالخطبة الأولى من ديوان : (هداية الأمة المحمدية) الذى ألفه الإمام الأكبر محمود خطاب السبكى .. أستاذ والدى ومربيه الروحى .. وفيها يقول عليه رحمة الله تعالى ، تحت عنوان :

الحث على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

الحمد لله رب العالمين القائل : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] ... ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥] ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤] . وأشهد أن لا إله إلا الله الذى جعل طريق السنة المحمدية نورًا على نور ، وأعد لأهل البدع شديد العذاب . وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله المنزل عليه : ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧] . والقائل : ((**إن القوم إذا رأوا المنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقاب**))[1] صلى الله على سيدنا محمد وسلم وعلى الذين بسنته يعملون .

أما بعد : فهلم بنا إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أيها العارفون . لنخرج من اللعنة ومن نزول البلاء الذى شاهدتموه . قال الله تعالى : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا

---

(١) أخرجه النسائى عن أبى بكر – انظر ص ٩٣ ج ٣ الترغيب .

يَعْتَدُونَ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٩] .

وكيف يليق بعاقل أن يجعل نفسه من الملعونين . بتركه الإرشاد إلى الفلاح والبعد عن الخسران. وقد قال المصطفى ﷺ : ((**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**))[1].

فاتقوا الله وامتثلوا أمر الله ورسوله أيها المسلمون . لعلكم ترحمون . فإن خالفتم الله ورسوله بترك النصيحة . فامنعوا نفوسكم من إضلال العباد وتذكروا قول الله تعالى : ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الأعراف: ١٥٨] ، واحذروا قول الجهلة وجدنا آباءنا على هذا الحال . فلا نتحول عنها بحال . ويعادون من قال اتركوا البدع واتبعوا نبيكم فى الأقوال والأفعال . ويعارضون بخرافات لم ينزل الله بها من سلطان. وتأملوا قول الله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٣١] ، تجدوه ناطقًا بأنه لا يحصل لكم الفلاح إلا إذا كنتم بسنة نبيكم عاملين . تاركين البدع التى وجدتم عليها أشياخكم وآبائكم . فاتقوا الله يا ذوى العلم . وابذلوا الجهد فى إحياء سنة رسول الله وإماتة البدع فإنها فى الدين ثَلْمٌ. يبلغ بها إبليس من إضلال ما تمناه . قال الله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَى مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] .

فتنبهوا أيها المؤمنون . واعملوا بالسنة وازجروا أهل البدع فإنهم خاطئون لِتُحْرِزُوا الرضا والجنة . قال تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الجاثية:١٥] .

** (وإذا) كان لى أن أعلق بعد هذا على هذه الخطبة الجامعة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. (فإننى أحب أن ألفت نظر الأخ الواعظ إلى أن السيد عبد الله العفيقى ، والإمام الأكبر الشيخ محمود خطاب السبكى عليهما رحمة الله : كانا صاحبى منهج واحد فى الدعوة إلى السنة ومحاربة البدعة ..

(لأنه) لا خير إلا فى الاتباع .. (ولهذا) فقد قال الحبيب المصطفى صلوات الله عليه وسلم فى حديث العرباض بن سارية الذى أخرجه أحمد وأبو داود

---

(١) أخرجه السبعة إلا البخارى عن أبى سعيد الخدرى .

وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقى والترمذى وقال: حسن صحيح.

* « .. **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا ، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة** » .

(وأيضا) كانا عليهما رضوان الله يحبان الله تعالى ورسوله حبا إيجابيا لا سلبيا .. (فلقد) كانا كما أعرف عنهما .. من المكثرين من ذكر الله تعالى .. والمكثرين من الصلاة والسلام على الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .. بتلك الصورة التى كانت من أهم أسباب الفتوح عليهما حتى صار من الأئمة الأعلام الذين شهد لهم الدانى والقاصى بأنهما كانا من أهل الفضل والنور والعرفان .. والدليل على هذا هو أن الله تعالى جعلهما مع جميع الأئمة العاملين سببا فى انتشار السنة فى كل مكان .. فجزاهم الله تعالى - جميعا - عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء إلى يوم الدين .

اللهم آمين

باب المواعظ النافعة

** ومن المواعظ النافعة والهامة التى رأيت أن أزود بها الأخوة الوعَّاظ بها حتى يعملوا بها ويُذّكِرِّوا بها غيرهم من المسترشدين وطلاب العلم النافع ما قرأته فى كتاب (حياة الصحابة) ﷺ تأليف / محمد يوسف الكاندهولى[1] . أكرمه الله .

** (فقد) وجدت فى هذه المواعظ النافعة ابتداء من مواعظ النبى ﷺ الخير الكثير الذى ينبغى أن يتزود به الواعظ.. إلى آخر النماذج الأخرى التى سأزوده بها فى كثير من الأبواب الوعظية .. وغيرها من الآثار والأخبار التى سيجد فيها ضالته .. بالإضافة إلى الأشعار الدينية ... والحكم المأثورة عن الحكماء والصالحين ... من السلف الصالح وغيرهم من الذين من الله عليهم بالحكمة التى هى ضالة المؤمن .. كما ورد فى الحديث الشريف ..

** (هذا) ، وإذا كان لى ان أبدأ الآن فى باب (المواعظ النافعة) ، فإننى سأبدأ بموعظتين من مواعظ النبى ﷺ الذى أوتى جوامع الكلم .. وكان[2] خير واعظ من ولد آدم عليه السلام .. وسيظل خير واعظ لنا ولجميع خلق الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ...

بل وحتى فى يوم الدين[3] ... فإليك :

---

(١)طبعة دار التراث العربى.. بالقاهرة .

(٢) ولا يزال . بتصرف وإضافات توضيحية .

(٣) ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾[الانفطار : ١٧-١٩] .



من
مواعظ النبى ﷺ
المنقطعة النظير ...
فى العِبَرِ والأمثال

١ - (فعن) أبى ذر ﷺ قال : قلت : يا رسول الله .. ما كانت صحف إبراهيم ؟ قال :

« **كانت أمثالًا كلها .. أيها الملك المسلط**[1] **المبتلى المغرور إنى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكنى بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فإنى لا أردها إن كانت من كافر، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ساعات** ، فساعة يناجى فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر فيها فى صنع الله عز وجل ، وساعة يخلوا فيها لحاجته من المطعم والمشرب ، وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا[2] إلا لثلاث : تَزوُّدْ لمعادٍ ، أو مَرَمَّةٍ لمعاشٍ ، أو لذة فى غير محرم ، وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه،مقبلًا على شأنه ، حافظا للسانه ، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه». قلت : يا رسول الله .. فما كانت صحف موسى عليه السلام ؟ قال : « **كانت عبرا كلها ، عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح ، عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك ، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب**[3] **، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها ، عجبت أيقن بالحساب غدا ثم لا يعمل** » .

قلت : يا رسول الله ..أوصنى ، قال : « **أوصيك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله** » قلت يا رسول الله زدنى،قال :«**عليك بتلاوة القرآن وذكر الله عز وجل فإنه نور لك فى الأرض وذكر لك فى السماء**» . قلت : يا رسول الله .. زدنى، قال: « **إياك وكثرة الضحك فإنه يمت القلب ويذهب بنور الوجه** » . قلت : يا رسول الله .. زدنى ، قال : « **عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتى** » قلت: يا رسول الله.. زدنى ، قال : « **أَحِبَّ المساكين وجالسهم** » . قلت يا رسول الله.. زدنى ، قال: « **انظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك، فإنه أجدر أن لا تزدرى**[4]**نعمة الله عندك** » . قلت: يا رسول الله.. زدنى، قال:

---

(١) **السلطة** : أى التسلط والسيطرة والتحكم . وتسلط عليه .. أى تحكم وتمكن وسيطر.

(٢) يقال : ظعن فلان ظعنا : أى سار وارتحل .. ويقال ظعن به وأظعنه : أى : سيره .

(٣) **ينصب** : أى يتعب.

(٤) **تزدرى** : أى تحتقر .. من الازدراء .

« **قل الحق إن كان مرًا** [1]» . قلت: يا رسول الله .. زدني ، قال « **ليَرُدَّكَ عن الناس ما تعْلَمُهُ من نفسك ، ولا تجد عليهم فيما تأتي** [2]» ، **وكفى بك عيبا أن تعرف من الناس ما تجهله من نفسك ، وتجد عليهم فيما تأتي** » . ثم ضرب بيده على صدري ، فقال : « **يا أبا ذر .. لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف** [3]، **ولا حَسَبَ كحسن الخلق** » . أخرجه ابن حبان في صحيحه واللفظ له ، والحاكم وصححه [4].

* (وقد) ورد عن أبي ذر ﷺ أنه قال : دخلت المسجد فقال رسول الله ﷺ : « **إن للمسجد تحية** » ، فقلت: وما تحيته يا رسول الله ؟ قال : « **ركعتان تركعهما** » قلت : يا رسول الله هل أنزل الله عليك شيئًا مما كان في صحف إبراهيم وموسى ؟ قال : « **يا أباذر .. اقرأ** : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بل تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى:١٩] .. ثم ذكر نحو ما سبق ..

* (وقد) قرأت أن الله تبارك وتعالى قال مخاطبا الدنيا – كما جاء في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام -: يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تزينت لهم ..إني قذفت في قلوبهم بُغْضَكِ والصَّبَرَ عنك .. ما خَلَقْتُ خَلْقَا أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْكِ .. إني قضيت عليك يوم خَلَقْتُكِ أن لا تدومي لأحَدٍ وأن لا يدوم لكِ أحد.

* (وأخرج) الرامهرمزي في الأمثال ، (عن) عائشة ﵂ ، قالت : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « **أتدرون ما مَثَلُ أَحَدِكُمْ ، ومَثَلُ أهْلِهِ ومَالِهِ وعَمَلِه** » ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال : « **إنما مثل أحدكم ، ومثل مَالِهِ، وأهْلِهِ ، ووَلَدِهِ ، وعَمَلِهِ .. كمثل رجل له ثلاثة أخوة ، فلما حضرته الوفاة دعا**

---

(١) أي: قل الحق ولا تبالي بأهل الباطل .. لأن الله تعالى هو الحق .

(٢) أي: لا تغضب عليهم ..

(٣) أي: عن المحرمات .. بل والشبهات ..

(٤) ارجع إلى الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٤٧٣ ، وأبي نعيم في الحلية .. ج ١ ص ١٦٦ .. والكنز: ج٨ ص ٢٠١ .

بعض أخوته، فقال: إنه قد نزل بى من الأمر ما ترى فما لى عندك وما لى لديك؟ فقال : لك عندى أن أُمَرِضَكَ ولا أن أَمَلَّكَ[1] **وأن أقوم بشأنك ، فإذا مِتَّ غَسَّلْتُكَ ، وكَفَّنْتُكَ ، وحَمَلْتُكَ مع الحاملين ، أحملك طورا وأميط**[2] **عنك طورا ، فإذا رجعت أثنيت عليك بخير عند من يسألنى عنك . هذا أخوه الذى هو أهله فماذا ترونه»** ؟ قالوا لا نسمع طائلا[3] يا رسول الله . فقال : « **ثم يقول لأخيه الأخر : أترى ما قد نزل بى ، فما لى لديك وما لى عندك ؟ فيقول : ليس لك عندى إلا غَناء**[4] **إلا وأنت فى الأحياء ، فإذا مت ذهب بك فى مذهب وذهب بى فى مذهب ، هذا أخوه الذى هو ماله كيف ترونه »** ؟ قالوا : لا نسمع طائلا يا رسول الله . فقال : « **ثم يقول لأخيه الأخر : أترى ما نزل بى وما رَدَّ علىَّ أهْلِى ومالى فما لى عندك وما لى لديك ؟ فيقول : أن صاحبك فى لَحدِكَ وأَنِيسُكَ فى وحشَّتِكَ ، وأقعد يوم الوزن فى ميزانك ، هذا أخوه الذى هو عمله كيف ترونه »** ؟ قالوا : خير أخ وخير صاحب يا رسول الله ، قال : « **فإن الأمر هكذا** » .

قالت عائشة : فقام إليه عبد الله بن كَرْزٍ فقال : يا رسول الله .. أتأذن لى أن أقول على هذ أبياتا ؟ فقال : « نعم » فذهب فما بات إلا ليلة حتى عاد إلى رسول الله ﷺ فوقف بين يديه ، واجتمع الناس ، وأنشأ يقول :

فإنى وأهلى والذى قَدَّمَتْ يداى ... كداع إلى صَحْبَه ثم قائل

لإخوته إذهُم ثلاثة أخوةٍ ... أعينُوا على أمرٍ بىَ اليومَ نازِلُ

فراقٌ طويلٌ غير مُتَّقٍ به ... فماذا لديكم فى الذى هو غائِل[5]

فقال امرؤٌ منهم أنا الصاحب الذى ... أُطيعُك فيما شئت قبل التزايُل

فأمَّا إذا جَّد الفِراق فإننى ... لما بيننا من خُلَّةٍ غير واصل

فخذ ما أرت الآن مِنِّى فإننى ... سيُسلكُ بى فى مهيل من مهائل

---

(١) أى: لا أنفر منك .

(٢) أى: أبعد عنك الأذى .

(٣) أى لا نسمع شيئا فيه منفعة .

(٤) **الغناء** : بفتح الغين : أى: ما فيه النفع والكفاية.

(٥) **غائل** : أى هالك.

فـإن تبقِنِـى لا تُبـق فاسـتنفدننى و عجل صلاحا قبل حتف معاجل

وقـال امـرؤ قـد كنـت جـدًّا أُحِبُـهُ و أُؤثــره مــن بيــنهم فى التفاضــل

غَنَـائِى أَنِّـى جَاهِـدٌ لـك ناصـحٌ إذا جَّـدَ جُـدَ الكـرب غـير مقاتـل

ولكننــى بــاك عليــك ومعــول[1] و مُـثْنٍ بخـير عنـد مـن هـو سَـائِل

ومُتَّبِــع الماشــين أمشــى مُشَــيِّعًا أعــين برفــق عقبــة كــل حامــل

إلى بيـت مثـواك الـذى أنـت مـدخل و أرجـع مقرونـا بـما هــو شــاغل

كــأن لم يكــن بينــى وبينــك خلــة ولا حُسْــنَ وُدٍّ مَــرَّةً فى التَّبَــاذُل

فــذلك أهــلُ المــرء ذاك غنــائهم و لـيس وإن كـانوا حراصـا بطائـل

و قـال امـرؤ منهم : أنـا الأخ لا تـرى أخَالـك مـثلى عنـد كـرب الـزلازِل

لـدى القـبر تلقـانى هنالـك قاعـدا أجـادل عنـك القـول رجـع التَجَّـادُل

وأقعـد يـوم الـوزن فى الكفـة التـى تكـون عليهـا جاهـدا فى التثاقــل

فـلا تنسـى واعلـم مكـانى فـإننى عليـك شـفيق صـالح غـير خَـاذِل

فـذلك مـا قَـدَّمَتْ مـن كـل صَـالِح تلاقيـه إن أحسـنت يـوم التَّوَاصُـل

فبكى رسول الله ﷺ وبكى المسلمون من قوله ، وكان عبد الله بن كرز لا يمر بطائفة من المسلمين إلا دعوه واستنشدوه ، فإذا أنشدهم بكوا كذا فى الكنز (ج ٨ ص ١٢٤) .

وأخرجه أيضا جعفر الفريابى فى كتاب الكنى له وابن أبى عاصم فى الوجدان وابن شاخين، وابن منبه فى الصحابة، وابن أبى الدنيا فى الكفالة كلهم من طريق محمد بن عبد العزيز الزهرى عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها – نحوه ، كما فى الإصابة (ج ٢ ص ٣٦٢) .

** (وقد) ورد فى الحديث الشريف – هذا المعنى المشار إليه فى الحديث السابق والشعر الذى بعده : (فعن) رسول الله ﷺ أنه قال : .. «**إذا مات ابن آدم تبعه ثلاث : الأهل، والمال، والعمل .. يرجع الأهل والمال ويبقى العمل**».

** (هذا) مع ملاحظة أنه بمجرد أن يموت الإنسان ، وبمجرد أن يدفن فى قبره ، أو يوارى تحت التراب .

(١) أى رافع صوتى بالبكاء.

** (فإن) علاقته ستكون قد انقطعت بالنسبة للعمل إلا من ثلاث :

* (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعوا له** » أخرجه أحمد ومسلم والثلاثة [1].

** (والصدقة الجارية) : أى الباقى أجرها بعد موت المتسبب فيها مادامت قائمة ، وهى عشر خصال نظمها الحافظ السيوطى فى قوله :

إذا مات ابن آدم ليس يجرى	**عليه من خصال غير عشر**
علوم بثها ودعاء نجل	**و غرس النخل والصدقات تجرى**
وراثة مصحف ورباط ثغر	**و حفر البئر أو إجراء نهر**
و بيت للغريب بناه يأوى	**إليه أو بناء محل ذكر**
و تعليم القرآن كريم	**فخذها من أحاديث بحصر**

** (فليكن) هذا الوعظ الراقى نصب أعيننا .. حتى يكون سببا فى رقينا .. ونجاتنا يوم العرض على الله سبحانه وتعالى ..

٣ - (ومن) مواعظ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ..

* ما أخرجه الدينورى (عن) عمر رضي الله عنه أنه وعظ رجلا فقال : (لا تلهك الناس عن نفسك ، فإن الأمر يصير إليك دونهم ، ولا تقطع النهار ساربا فإنه محفوظ عليك ما عملت ، وإذا أسأت فأحسن ، فإنى لا أرى شيئا أشد طلبا ولا أسرع دركة من حسنة حديثه لذنب قديم) .

كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٠٨) .

* (وأخرج) البيهقى (عن) عمر رضي الله عنه قال : (اعتزل ما يؤذيك وعليك ، بالخليل الصالح وقل ما تجده ، وشاور فى أمرك الذين يخافون الله) . كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٠٨) .

---

(١) والثلاثة هم : أبو داود ، والترمذى ، والنسائى .

* (وأخرج) الخطيب وابن عساكر وابن البخارى (عن) سعيد بن المسيب قال: وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه للناس ثماني عشرة كلمة حكم كلها، قال: « **ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك منه ما يغلبك، ولا تظنَّنَّ بكلمة خرجت من مسلم شرًّا وأنت تجد لها في الخير محملاً، ومن عرَّض نفسه للتهم فلا يلومن من أساء به الظن، ومن كتم سِرَّه كانت الخيرة فى يده، وعليك بإخوان الصدق تعش فى أكنافهم، فإنهم زينة فى الرخاء وعُدَّة فى البلاء، وعليك بالصدق وإن قتلك، ولا تعرض فيما لا يعنى، ولا تسأل عما لم يكن فإن فيما كان شغلا عما لم يكن، ولا تطلب حاجتك إلى من لا يحب نجاحها لك، ولا تهاون بالحلف الكذب فيهلكك الله، ولا تصحب الفجار لتتعلم من فجورهم، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين ولا أمين إلا من خشى الله، وتخشع عند القبور، وذل عند الطاعة، واستعصم عند المعصية، واستشر فى أمرك الذين خشون الله فإن الله تعالى يقول:** ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] . **كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٣٥)** .

* (وعند) أبى نعيم فى الحلية (ج ١ ص٥٥) (عن) محمد بن شهاب قال: عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لا تعترض فيما لا يعنيك، واعتزل عدوك واحتفظ من خليلك إلا الأمين فإن الأمين من القوم لا يعادله شىء، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره، ولا تفش إليه سرك، واستشر فى أمرك الذين يخشون الله عز وجل) .

* (وأخرج) ابن أبى شيبة وابن أبى الدنيا والخرائطى والبيهقى وابن عساكر (عن) سمرة بن جندب، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الرجال ثلاثة والنساء ثلاث: فأما النساء: فامرأة عفيفة مسلمة لينة ودود ولود تعين أهلها على الدهر ولا تعين الدهر على أهلها وقليلا ما تجدها، وامرأة وعاء لا تزيد على أن تلد الأولاد، والثالثة: غل قمل يجعلها الله فى عنق من يشاء، فإذا شاء أن ينزعه نزعه، والرجال ثلاثة: رجل عفيف هين لين ذو رأى ومشورة فإذا أنزل به أمر ائتمر رأيه وصدر الأمور ومصادرها، ورجل لا

رأى له إذا نزل به أمر أتى ذا الرأى والمشورة فنزل عند رأيه ، ورجلا حائر بائر لا يتم رشدا ولا يطع مرشدا) كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٣٥) .

* (وأخرج) الطبرانى فى الأوسط (عن) الأحنف بن قيس قال : قال لى عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا أحنف .. من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن مزح استخف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، قال الهيثمى (ج ١٠ ص ٣٠٢) : وفيه دويد بن مجاشع ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات - ا . هـ .

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٥٥) (عن) عمر رضي الله عنه قال : (إن لله عبادا يميتون الباطل بهجره ويحيون الحق بذكره ،رغبوا فرغبوا ، ورهبوا فرهبوا [1]، خافوا فلا يأمنون ، أبصروا من اليقين ما لم يعاينوا فخلطوه بما لم يزايلوه ، أخلصهم الخوف فكانوا يهجرون ما ينقطع عنهم لما يبقى لهم ، الحياة عليهم نعمة ، والموت لهم كرامة ، فزوجوا الحور العين ، واخدموا الولدان المخلدين) .

* (وأخرج) أبونعيم فى الحلية (ج ١ ص ٥١) (عن) عمر رضي الله عنه : (كونوا أوعية الكتاب وينابيع العلم ، وسلوا الله رزق يوم بيوم) وأخرج أيضا عنه قال : (جالسوا التوابين فإنهم أرق شيء أفئدة) .

* (وأخرج) الخرائطى وغيره (عن) عن عمر رضي الله عنه قال : (من الناس من نفسه يعطى الظفر فى أمره ، والتذلل فى الطاعة أقرب إلى البر من التعزز بالمعصية) كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٣٥) .

* (وأخرج) ابن أبى شيبة ، والعسكرى ، وابن جرير ، والدارقطنى ، وابن عساكر (عن) مالك أنه بلغه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (كرم المرء تقواه ، ودينه حسبه ومروءته ، والجدءة والجبن غرائز فى الرجال، فيقاتل الرجل الشجاع عمن يعرف ومن لا يعرف ، ويفر الجبان عن أبيه وأمه ، والحسب المال ، والكرم التقوى ، لست بأخير من فارسى ، ولا عجمى ولا نبطى إلا بالتقوى) . كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٣٥) .

---

(١) جمع غريزة : أى الطبيعة .

*(وأخرجه) ابن أبى الدنيا وأبو بكر الصولى ، وابن عساكر (عن) عمر رضي الله عنه أنه كتب إلى ابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : (أما بعد .. فإنى أوصيك بتقوى الله فإنه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن أقرضه جزاه ، ومن شكره زاده ، ولتكن التقوى نصب عينيك ، وعماد عملك ، وجلاء قلبك فإنه لا عمل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا حسبة له ، ولا مال لمن لا رفق له ، ولا جديد لمن خلق له) .

كذا فى الكنز(ج ٨ ص ٢٠٧) .

*(وأخرج) البيهقى فى الزهد وابن عساكر (عن) جعفر بن الزبرقان ، قال : بلغنى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى بعض عماله فكان فى آخر كتابه: (أن حاسب نفسك فى الرخاء قبل حساب الشدة ، فإن من حاسب نفسه فى الرخاء قبل حساب الشدة عاد مرجعه إلى الندامة والحسرة ، فتذكر ما توعظ به لكى تنتهى عما تُنْهَى عنه) . كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٠٨) .

*(وأخرج) أبو الحسن بن رزقويه فى جزئه (عن) عمر رضي الله عنه أنه كتب إلى معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنهما : (أما بعد .. فالزم الحق يبين لك الحق منازل أهل الحق ولا تقضى إلا بالحق .. والسلام) . كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٠٨) .

**(وهكذا) كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من كبار الوُعَّاظ الذين مَّنَ الله عليهم بالحكمة ، وأجرى الله الخير على أيديهم .. (فلنكن) من المنتفعين بوعظه وإرشاده .. والحريصين على الاقتداء به فى كل خير فعله .. والله ولى التوفيق .

٣ - (ومن) مواعظ أمير المؤمنين علِىْ بن أبى طالب رضي الله عنه :

*(فقد) أخرج ابن عساكر (عن) ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال عمر لعَلِىٍّ رضي الله عنهما: (عظني يا أبا الحسن .. قال : لا تجعل يقينك شكًّا ، ولا علمك جهلًا، ولا ظَنَّكَ حَقًّا ، واعلم أنه ليس لك من الدنيا إلاَّ ما أُعْطِيتَ ، فأمْضيت، وقَسَّمْت ، فَسَوَّيت ، ولبِسْتَ فأبليْتَ .. قال : صدقت يا أبا الحسن) . كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٢١) .

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ص ٧٥) (عن) على ﵁ قال: (ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم علمك، وتباهى بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير فى الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل أذنب ذنبا فهو تدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع فى الخيرات، ولا يقلُّ عمل فى تقوى وكيف يقلُّ مَا يُتَقَبَّل). وأخرجه ابن عساكر فى أماليه عن على ﵁ نحوه، كما فى الكنز (ج٨ ص٢٢١).

* (وأخرج) ابن عساكر (عن) عقبة بن أبى الصهباء، قال: لما ضرب ابن ملجم عليا ﵁ دخل عليه الحسن ﵁ وهو باك، فقال له: ما يبكيك يا بُنَىَّ؟ قال: وما لى لا أبكى وأنت فى أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا، فقال: يا بنى.. احفظ أربعًا وأربعًا لا يُضُرُّك ما عملت مَعَهُنَّ، قال: وما هن يا أبت؟ قال: إن أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العُجب، وأكرم الكرم حُسْنُ الخلُق، قال: قلت: يا أبت.. هذه الأربع فأعلمنى الأربع الأخرى، قال: وإياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، وإياك ومصادقة الكذاب فإنه يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب، وإياك ومصادقة البخيل فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه). كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٣٦).

(عند) البيهقى وابن عساكر (عن) على ﵁ قال: (التوفيق خير قائد وحسن الخلق خير قرين والعقل خير صاحب والأدب خير ميراث، ولا وحشة أشد من العجب) كذا فى الكنز (ج٨ ص٢٣٦).

* (وأخرج) ابن السمعانى فى الدلائل (عن) على ﵁ قال: (لا تنظر إلى من قال وانظروا إلى ما قال). وعنده أيضا عنه قال: (كل إخاء منقطع إلا إخاء كان على غير الطمع). كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٣٦).

** (ومن) أجمل ما قرأت (عن) الإمام على كرم الله وجهه، فى كتاب (قطوف لغوية) للأستاذ فتحى الخولى، تحت عنوان:

* (عن) أبى صالح قال : جلست جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ يتذاكرون ، فتذكروا الحروف الهجائية ، وأجمعوا على أن (حرف الألف) هو أكثر دخولا فى الكلام .. فقام أمير المؤمنين على ؓ وارتجل هذه الخطبة الخيالية من حرف الألف .. وهو تتكون من سبعمائة كلمة ، و٢٧٤٥ حرفا سوى ما تلاه بعدها من القرآن الكريم ، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب :

* (حَمَدْتُ وعَظُمْتُ من عُظُمَتْ مِنَّته ، وسَبَغَتْ نِعْمَتُه ، وسبقت غضبه رحمته ، وتمت كلمته ، نفذت مشيئته ، وبلغت فضيته .

حَمَدْتُه حَمْدَ مُقِرٍّ بتوحيده ، ومُؤَمِّلٍ من رَبِّه مغفرة تُنْجِيه ، يوم يُشْغَلُ عن فصِيلتِهِ وبنيهِ ، ونستعينه ونسترشده ونشهد به ، ونؤمن به ، ونتوكل عليه ، ونشهد له ، تَشَهُّدَ مُخْلِصٍ موقن ، وتَفْرِيد مُمْتَنْ ، ونوحده توحيد عبد مُذْعِنٍ ، ليس له شريك فى ملكه ، ولم يكن له ولى فى صنعه ، جل عن وزير ومشير ، وعون ومعين ونظير ، علم فستر ، ونظر فجبر ، وملك فقهر ، وعُصِيَ فغفر ، وحكم فعدل ، لم يزل ولن يزول ، ليس كمثله شيء ، وهو قبل كُلِّ شيء ، رَبٌّ مُتَفَرِّدٌ بِعِزَّتِهِ ، مُتَمَكِّنٌ بقوته ، مُتَقَدِّسٌ بعلوه ، مُتَكَبِّرٌ بسموه ، ليس يدركه بَصَرٌ ، وليس يحيطه نظر ، قوى مَنِيعٌ ، رءوفٌ ، رحيمٌ ، عَجَزَ عَنْ وصفه من يصفه ، وَصَلَ به من نعمَتِهِ من يعْرِفه ، قَرُبَ فبَعُد ، وبَعُدَ فقَرُبَ ، مجيب دعوة من يدعوه ، ويرزقه ويَحْبُوه ، ذُو لُطْفٍ خَفِيٍّ ، وبطش قوى ، ورحمة موسعة ، وعقوبته موجعة ، رحمته جنة عريضة مُونقَةٌ ، وعقوبته جحيمٌ ممدود موثقة .

وشهدت ببعث محمد عبده ورسوله ، وصفيه ونبيه وحبيبه وخليله ، صِلَةً تُحبطه ، وتُزْلِفُهُ وتُعْليه ، وتُقَرِبُهُ وتُدْنِيه ، بعثه فى خير عصر ، وحين فترة كُفْرٍ ، رحمة لعبيده ، ومِنَّةٍ لمزيده ، ختم به نُبُوَّتَه ، ووضح به حُجَتَه ، فوعظ ونصح . وبلَّغ وكدح ، رءُوفٌ بكل مؤمن رحيم ، رِضِّيٌّ ولِيّ زَكِيٌّ عليه رحمةٌ وتسليمٌ ، وبركةٌ وتكريمٌ ، من رَبٍّ رءوف رحيم ، قريب مجيب .

موصيكم جميع من حضرنى ، بوصية ربكم ، ومذّكِرُكُم بسنة نبيكم ،

فعليكم برهبة تسْكُن قلوبَكُم ، وخشية تُذْرِفُ دموعكم وتنجيكم ، قبل يوم تَذْهلِكُم وتُبْلِّدُكُم ، يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنته ، وخف وزن سيئته ، ولتكن مسألتكم مسألة ذُلٍّ وخُضُوعٍ ، وشُكْرٍ وخُشوعٍ ، وتوبة ونزوع ، وندم ورجوع ، وليغتنم كل مغتنم منكم صحته قبل سَقَمِهِ ، وشِيبَتَهُ قبل هَرمه وكِبره ومَرَضِه ، وسعته وفرغته قبل شغله ، وثروته قبل فقره ، وحضره قبل سفره ، من قبل يكبر ويهرم ، ويمرض ويسقم ، ويمله طبيبه ويعرض عن حبيبه ، وينقطع عمره ، ويتغير عقله ، قبل قولهم هو موعول ، وجسمه مكهول ، وقبل وجوده فى نزع شديد ، وحضور كل قريب وبعيد ، وقبل شخوص بصره ، وطموح نظره ، ورَشْح جَبِينِه ، وخَطْفِ عَرِينِه ، وسكون حَنِينِه ، وحديث نفسه وحفر رمسه ، وبكى عرسه ،ويتم منه ولده ، وتفرق عنه عدوه وصديقه ، وقُسِّم جَمْعُه ، وذهب بصره وسمعه ، ولُقِّىَ ومُدِّدَ وَوُجِّهَ وجُرِّدَ ، وعُرِّىَ وغُسِّل ، وجفف وسُجِّىَ ، وبسط له ، وهيئ ، ونشر عليه كفنه ، وشد منه ذقنه ، وقبض وودع وسلم عليه ، وحمل فوق سريره وصلى عليه ، ونقل من دورا مزخرفة ، وقصور مشيدة ، وحجر متحدة ، فجعل فى ضريح ملحود ، ضيق موصود ، بلبن[1] منضود ، مُسَقَّفٍ[2]، وهيل عليه عفرة، وحشى عليه مدره[3] ، وتحقق صدره ، ونسى خبره ، ورجع عنه وليه وصَفِيُّهُ ونديمه ونسيبه، وتبدل به قريبه وحبيبه ، فهو حشو قَبْرٍ ، ورهين قَفْرٍ ، يسعى فى جسمه دود قبره ، ويسيل صديده على صدره ونحره ، يسحق تربه لحمه ، وينشف دمه ويرم عظمه ، حتى يوم محشره ونشره ، فينشر من قبره وينفخ فى صوره ويدعى لحشره ونشوره ، فتلم بعزة قبور،وتحصل سريرة صدور وجئ بكل صديق ، وشهيد ونطيق ، وقعد للفصل قدير ، بعبده خبير بصير ، فكم من زفرة تعنيه ، وحسرة تقصيه فى موقف مهيل ، ومشهد جليل ، بين يدى ملك عظيم، بكل صغيرة وكبيرة عليم، حينئذ يجمعه عرفه ومصيره، قلعة

---

(١) اللبن : بكسر الباء .. أى الطوب الأخضر الذى لم يدخل النار.

(٢) أى: معرش بسعف النخيل.

(٣) المدر : أى التراب .

عبرته[1] غير مرحومة ، وصرخته غير مسموعة ، وحجته غير مقبولة، تنشر صحيفته ، وتبين جزيرته ،حين نظر فى سوء عمله ، وشهدت عينه بنظره، ويده ببطشه ، ورجله بخطوه ، وفرجه بلمسه ، وجله بمسه ، وشهد منكر ونكير ، وكشف له من حيث يصير، وغلل ملكه يده، وسيق وسحب وحده، فورد جهنم بكرب وشدة ، فظل يعذب فى جحيم ، يشوى وجهه ، ويسلخ جلده ، ويضرب زبينه بمقمعه من حديد ، يعود جلده بعد نضجه وهو جلد جليد[2] ، يستغيث فيعرض عنه خزنة جهنم ، ويستصرخ فلم يجده ندم ، ولم ينفعه حينئذ ندمه .

نعوذ برب قدير ، من شر كل مضير ، ونطلب منه عفو من رضى عنه، ومغفرة من قبل منه ، فهو ولى مسألتى ومنجح طلبتى ، فمن زحزح عن تعذيب ربه ، جعل فى جنة قربه ، خلد فى قصور مشيدة ، وملك حور عين وعدة ، وطيف عليه بكئوس ، وسكن فى حظيرة فردوس، وتقلب فى نعيم، وسقى من تسنيم ، وشرب من عين سلسبيل قد مزج بزنجبيل، ختم بمسك، مستديم للملك ، مستشعر بسرور ، يشرب من خمور ، فى روض مغلق ليس يبرق ، فهذه منزلة من خشى ربه ، وحذر ذنبه ونفسه ، قوله قول فصل، وحكمه حكم عدل ، قص قصص ، ووعظ نص ، تنزيل من حكيم حميد، نزل به روح قدس متين ، مبين من عند رب كريم ، على بنى مهدى رحمة للمؤمنين ، وسيد حلت عليه سفرة ، مكرمون بررة ، وعذت برب عليم حكيم ، قدير رحيم ، من شر عدو ولعين رجيم ، يتضرع متضرع كل منكم ، ويبتهل مبتهلكم ، ويستغفر رب كل مذنوب لى ولكم (تمت) . والله أعلم . ثم قرأ بعدها قوله تعالى : ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [القصص:٨٣] .

** (ومن أعظم) ما قرأته من (وصايا) الإمام على كرم الله وجهه — فى

---

(١) أى: دموعه.

(٢) أى : صلب وقوى.

مكارم الأخلاق – أنه قال لولده محمد بن الحنفية[1] رضي الله عنه :

* (يا بنى : أوصيك بتقوى الله عز وجل فى الغيب والشهادة ، وكلمة الحق فى الرضا والغضب، والقصد فى الفقر والغنى، والعدل على الصديق والعدو، والعمل فى النشاط والكسل، والرضا عن الله عز وجل فى الشدة والرخاء.

* يا بنى : ما شر بعده الجنة شر ، ولا خير بعده النار خير ، وكل نعيم دون الجنة حقير ، وكل بلاء دون النار عافية .

* واعلم يا بنى : أن من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ، ومن رضى بقسم الله لم يحزن على ما فاته ، ومن سل سيف البغى قتل به ، ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها ، ومن هتك حجاب أخيه انكشفت عورات بنيه ، ومن نسى خطيئته استعظم خطيئة غيره ، ومن كابر الأمور عطب ، ومن أقتحم البحر غرق ، ومن أعجب برأيه ضل ، ومن استغنى بعقله ذل ومن تكبر على الناس ذل، ومن سفه عليهم شتم ، ومن سلك مسالك السوء أتهم ، وم خالط الأنذال حقر ، ومن جالس العلماء وقر ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شىء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه، قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار .

* يا بنى: من نظر فى عيوب الناس ثم رضيها لنفسه فذاك هو الأحمق بعينه، ومن تفكر أعتبر ، ومن أعتبر أعتزل ، ومن اعتزل سلم ، ومن ترك الشهوات كان حرا ، ومن ترك الحسد كان له المحبة عند الناس يا بنى : عز المؤمن غناه عن الناس، والقناعة مال لا ينفد، ومن أكثر من الموت [2]رضى من الدنيا باليسير، ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه ، إلا فيما يعنيه ، .. العجب ممن خاف العقاب فلم يكف، ورجا الثواب فلم يعمل، الفكر نور، والغفلة ظلمة، والجهالة ضلالة ، والسعيد من وعظ بغيره .. الأدب خير ميراث، وحسن الخلق خير قرين .

---

(١)لأن أمه كانت من حنيفة.
(٢) أى أكثر من ذكر الموت .

* يا بنى : ليس من القطيعة نما ، ولا مع الفجور غنى .

* يا بنى : العافية عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت إلا عن ذكر الله تعالى، وواحدة ترك مجالسة السفهاء ومن تزين، بمعاصى الله فى المجالس أورثه الله ذلًا ، ومن طلب العلم علم .

* يا بنى : رأس العلم الرفق ، وآفته الحذق [1]، ومن كنوز الإيمان الصبر على المصائب ، العفاف زينة الفقراء ، والشكر زينة الأغنياء .

* يا بنى أغنى الغنى العقل، وأفقر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العجب، وأكرم الحسب حسن الخلق .. إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، وإياك ومصادقة الكذاب فإنه يقرب إليك البعيد ، ويبعد عنك القريب ، وإياك ومصادقة البخيل فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه ، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه[2].

* يا بنى : كثرة الزيارة تورث الملال ، والطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم ، وإعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله .

* يا بنى : كم نظرة جلبت حسرة وكم كلمت سلبت نعمة .. لا شرف أعلى من الإسلام ، ولا كرم أعز من الزهد ، ولا معقل أحرز من الورع ، ولا لباس أجمل من العافية ، ولا مال أذهب للفاقة من الرضا بالقوت ، ومن اقتصر على بلوعة الكفاف تعجل الراحة .

* يا بنى: الحرص مفتاح التعب، ومطية النصب وداع إلى اقتحام الذنوب، والشره جامع لمساوئ العيوب، وكفاك أدبا لنفسك ما كرهته لغيرك ، لأخيك عليك مثل الذى لك عليه ، ومن تورط فى الأمور من غير تبصر فى الصواب فقد تعرض لفدحات النوائب .. التدبير قبل العمل يأمنك الندم..من استقبل وجوه الآراء عرف مواقف الخطأ .

* يا بنى : البخل جلباب المسكنة، والحرص علامة الفقر ، وصول معدم خير من جاف مكثر .. لكل شىء قوت ، وابن آدم قوت الموت .

---

(١) يقال: تحذلق الرجل إذا أظهر الحذق . أى أدعى أكثر مما عنده .
(٢) **التافه** : أى الشىء الحقير .

* يا بنى: لا تؤيسن مذنبا على ذنبه ، فكم عاكف على ذنب ختم له بالخير ، وكم مقبل على عمله أفسده فى آخر عمره فصار إلى النار .

* يا بنى : فى خلاف النفس رشدها والساعات تنقص الأعمار) ا . هـ .

ويروى أنه رضي الله عنه وكرم الله وجهه كان يترنم لهذه الأبيات :

إن المكارم أخلاق مطهرة　　فالعقل أولها والدين ثانيها

والعلم ثالثها والحلم رابعها　　والجود خامسها والعرف ساديها[1]

والبر سابعها والصبر ثامنها　　والشكر تاسعها واللين عاشيها[2]

والعين تعلم من عينى محدثها　　إن كان من حربها أو من أعاديها

والنفس تعلم أنى لا أصدقها　　ولست أرشد إلا حين أعصيها

* (ومن) وصاياه أيضا رضي الله عنه ، وكرم الله وجهه : (احفظوا عنى خمسا ، لو شددهم إليها المطايا ، لم تظفروا بمثلها ، ألا لا يرجون أحدكم إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه ، ولا يستحى أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم . وإذا سئل عن ما لا يعلم أن يقول : لا أعلم . ألا وإن الخامسة الصبر ، فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فمن لا صبر له لا إيمان له) .

** (ومن) أجمل ما قرأت كذلك ، فى :

٥ - وصف ضرار الصدائى علياً رضي الله عنه .

أن معاوية قال : لضرار الصدائى : يا يا ضرار صف لى عليا[3] - رضي الله عنه - قال: أعفنى يا أمير المؤمنين . قال : لتصفنه . قال : أما إذ لا بد من وصفه ، فكان والله بعيد المدى[4] ، شديد القوى ، يقول فصلا [5]، ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ،

---

(١) أى: سادسها .

(٢) أى : عاشرها .

(٣) وكان هذا بعد استشهاد الإمام على كرم الله وجهه.

(٤) أى: بعيد الغاية .

(٥) الفصل هنا : القضاء بين الحق والباطل ، وقول فصل : أى حق .

ويستأنس بالليل ووحشته، وكان والله عزيز العبرة [١]، طويل الفكرة [٢]، يقلب كفه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن [٣]، وكان فينا كأحدنا: يجيبنا إذا سألناه وينبؤنا إذا استنبأناه، ونحن مع تقريبه إيانا، وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته، ولا نبتدئه لعظمته، يعظ أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوى فى باطنه، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله [٤]، وغارت نجومه [٥]، وقد مثل [٦] فى محرابه قابضا على لحيته يتململ [٧] تململ السليم [٨] ويبكى بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غرى غيرى، ألى تعرضت أم إلى تشوقت؟ هيهات هيهات قد باينتك ثلاثا لا رجعت فيها، فعمرك قصير وخطرك حقير [٩]، آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق.

فبكى معاوية رحمه الله، وقال: رحم الله أبا الحسن، فلقد كان كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح واحدها فى حجرها. ا.هـ.

تعليق

وأقول: إذا كان معاوية – رحمه الله – قد شهد للإمام على كرم الله وجهه.. فإنه كان كذلك .. فإنه حسب على هذه الشهادة .. لأنه كان بينهما ما كان من العداوة والحروب ... التى لعب الشيطان فيها دورا كبيرا .. كان سببا فى استشهاد الآلاف من أصحاب رسول الله ﷺ ... إلخ (والفضل ما شهدت به الأعداء).

---

(١) أى كثير الدموع من خشية الله تعالى.
(٢) أى التأمل.
(٣) أى أنه لا يميل إلى عيشة ترف ولا إلى فاخر الطعام.
(٤) السدول: جمع سدل وهو الستر.
(٥) غارت نجومه: أى غربت.
(٦) وقد مثل: أى قام.
(٧) أى لا يستقر من الوجع.
(٨) أى الملدوغ أو الجريح الذى أشفى على الهلكة.
(٩) **الخطر**: القدر والمنزلة.

٦ - (ومن) مواعظ أبى عبيدة بن الجراح رضي الله عنه :

* (فقد) أخرج أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ١٠٢) عن نمران ابن مخمر أبى الحسن (عن) أبى عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أنه كان يسير فى العسكر فيقول: (ألا رب مبيض لثيابه مدلس لدينه ، ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين ، ادرؤوا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات ، فلو أن أحدكم عمل من السيئات ما بينه وبين السماء ثم عمل حسنة لعلت فوق سيئاته حتى تقهرهن).

* (وأخرج) ابن عساكر (عن) سعيد بن أبى سعيد المقبرى رضي الله عنه ، قال: لما طعن أبو عبيدة بن الجراح بالأردن - وبها قبره - دعا من حضره من المسلمين فقال : (إنى موصيكم بوصية إن قبلتموها لم تزال بخير : أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وصوموا شهر رمضان ، وتصدقوا ، وحجوا ، واعتمروا ، وتواصوا ، وانصحوا لأمرائكم ، ولا تغشوهم ولا تلهكم الدنيا ، فإن امرأ لو عمر ألف حول ما كان له بد من أن يصير إلى مصرعى هذا الذى ترون ، أن الله كتب الموت على بنى آدم فهم ميتون ، وأكيسهم[1] ، أطوعهم لربه وأعملهم ليوم معاده، والسلام عليكم ورحمة الله، يا معاذ بن جبل .. صل بالناس .. ومات.

فقام معاذ فى الناس فقال : أيها الناس .. توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة نصوحا ، فإن عبدا لا يلقى الله تائبا من ذنبه إلاكان حقا على الله أن يغفر له إلا ما كان عليه دين ، فإن العبد مرتهن بدينه ، ومن أصبح منكم مهاجرًا (أخاه فليلقه فليصافحه،ولا ينبغى لمسلم أن يهجر أخاه أكثر من ثلاث فهو الذنب العظيم).و كذا فى منتخب الكنز (ج ٥ ص ٧٤) .

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ١٠٢) (عن) أبى عبيدة رضي الله عنه قال : (مثل قلب المؤمن مثل العصفور يتقلب كل يوم كذا وكذا مرة) .

** (فليكن) هذا الوعظ النافع سببا فى تذكرنا دائما للموت وما بعده .. حتى نكون من المنفذين لما نصح به أبو عبيدة رضي الله عنه قبل وفاته .. (وكذلك)

---

(١) أى : أعقلهم .

حتى نكون من المنفذين لما علق به معاذ بن جبل ﷺ.. بكل صدق وإخلاص .. والله ولى التوفيق .

٧- (ومن) مواعظ معاذ بن جبل ﷺ :

*(فقد) أخرج أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٢٣٤) (عن) محمد بن سيرين قال: أتى رجل معاذ بن جبل ﷺومعه أصحابه يسلمون عليه ويودعونه ، فقال : (إنى موصيك بأمرين إن حفظتهما حفظت : إنه لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر ، فآثره نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا حتى تنتظمه لك انتظامًا فتزول به معك أينما زلت) .

*(أخرج) أبو نعيم الحلية (ج ١ ص ٢٣٦) (عن) عمرو بن ميمون الأودى ، قال: قام فينا معاذ بن جبل ﷺفقال: يا بنى .. أوصانى رسول الله ﷺ: تعلمن أن المعاد إلى الله تعالى ، ثم إلى الجنة أو إلى النار إقامة لا ظعن وخلود فى أجساد لا تموت) .

*(وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ص ٢٣٤) (عن) معاوية بن قرة ، قال : قال معاذ بن جبل ﷺلابنه : (يا بنى .. إذا صليت صلاة فصل صلاة مودع ، لاتظن أنك تعود إليها أبدًا ، واعلم يا بنى إن المؤمن يموت بين حسنتين : حسنة قدمها ، وحسنة أخرها) .

*(وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٢٣٣) ، (وعن عبد الله بن سلمة قال : قال رجل لمعاذ بن جبل ﷺ: علمنى ، قال : وهل أنت مطيعى؟ قال : إنى على طاعتك لحريص ، قال : صم وأفطره وصل ونم ، واكتسب ولا تأثم ، ولا تموتن إلا وأنت مسلم ، وإياك ودعوة المظلوم) .

*(وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٢٣٧) ، (عن) معاذ بن جبل ﷺقال : (ثلاث من فعلهن فقد تعرض للمقت : الضحك من غير عجب[1] ، والنوم من غير سهر[1]، والأكل من غير جوع) .

---

(١) قد يكون المراد أنه يضحك بدون عجب على شىء يدعو إلى العجب .

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٢٣٦) ، (وعن) معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : (ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم ، وستبتلون بفتنة السراء ، وأخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسورن الذهب(٢) والفضة ، ولبسن رياط الشام(٣) ، وعصب اليمن(٤) ، فأتبعن الغنى وكلفن الفقير ما لا يجد) .

** (وهكذا) معاذ بن جبل رضي الله عنه يعظ إخوانه وأهله بهذا الوعظ الراقى الذى هو من علم رسول الله ﷺ الذى كان حريصًا على مجالسته لكى يتعلم منه ، ولكى يسأله عن الأمور التى إن عملها كان من أهل الجنة لا من أهل النار .. (ونحن) كذلك كمؤمنين صادقين ينبغى .

علينا أو نعمل بوصايا معاذ بن جبل رضي الله عنه التى وقفنا عليها .. ولا سيما بالنسبة للوصية الأولى التى يوصى فيها أن نؤثر نصيب الآخرة على نصيب الدنيا .. لأن الآخرة هى الباقية .

(وكذلك) بالنسبه للموعظة الأخيرة التى يحذرنا فيها من فتنة النساء كما حذرنا النبى ﷺ فى الحديث الذى يقول فيه:« **ما تركت بعدى فتنه أضر على الرجال من النساء** » والله ولى التوفيق .

٨ - (ومن) مواعظ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

* (فقد) أخرج أبو نعيم فى الحلية (ج ١ص ١٣٠)، (عن) ابن مسعود رضي الله عنه قال :

(إنى لأمقت الرجل أن أراه فارغًا ليس فى شىء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة). وأخرجه عبد الرزاق عنه - نحوه - كما فى الكنز - ج ٨ ص ٢٣٢).

(وأخرجه) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ١٣٤) ، (عن) عبد الرحمن بن حجيرة عن أبيه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول إذا : (إنكم ممر الليل

---

(١) أى: من غير سهر فى صلاة الليل .

(٢) أى: لبسن السوار من الذهب والفضة .

(٣) جمع ربطة ، وهى كل ملاءة ليست بلفقين ، وقيل كل ثوب رقيق لين .

(٤) برود يمنية يعصب غزلها أى يجمع ويشد ثم يصبغ وينسج فيأتى موشيًا .

والنهار فى أجال منقوصة وأعمال محفوظة ، والموت يأتى بغتة ، فمن يزرع خيرًا يوشك أن يحصد رغبة ، فمن يزرع شرًا يوشك أن يحصد ندامة ، ولكل زارع مثل ما زرع ، ولا يسبق بطئ بحظه ، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له ، فمن أعطى خيرًا فالله تعالى أعطاه ، ومن وقى شرًا فالله تعالى وقاه ، المتقون سادة ، والفقهاء قادة ، ومجالسهم زيادة).

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ١٣٤) ، (عن) ابن مسعود رضي الله عنه قال : (ما منكم إلا ضيف وماله عارية ، والضيف مرتحل ، والعارية مؤداة إلى أهلها) .

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ١٣٨) ، (عن) عبد الله رضي الله عنه قال : (من أراد الدنيا أضر بالآخرة ، ومن أراد الآخرة أضر بالدنيا ، يا قوم فأضروا بالفانى للباقى) .

* (أخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ١٣٨) ، (عن) ابن مسعود رضي الله عنه قال : (من راءى بالدنيا راءى الله به يوم القيامة ، ومن يسمع فى الدنيا يسمع الله به يوم القيامة ، ومن يتطاول تعظيمًا يضيعه الله ، ومن يتواضع تخشعًا يرفعه الله) .

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ١٣٦) ، (عن) ابن مسعود رضي الله عنه قال :

(ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله ، فمن كانت راحته فى لقاء الله فكأن قد) .

** (فلنكن) نحن كذلك من المنتفعين بوعظ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .. الذى هو أيضًا من علم رسول الله ﷺ .. لأنه عليه رضوان الله كان أقرب المقربين إلى رسول الله ﷺ والمنتفعين بعلمه .. (ولا سيما) بالنسبة للموعظة المتعلقة بالتحذير من الرباء .. الذى نسأل الله سبحانه وتعالى أن يطهرنا منه .. لأنه محبط الأعمال .. اللهم آمين .

٩ - (ومن) مواعظ سلمان الفارسى رضي الله عنه :

* (فقد) أخرج أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٢٠٧) ، (عن) جعفر بن

برقان ، قال :بلغنا أن سلمان الفارسى كان يقول : (أضحكنى ثلاث وأبكانى ثلاث ، ضحكت من مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل لا يغفل عنه ، وضاحك ملء فيه لا يدرى أو مسخط ربه أو مرضيه ، وأبكانى ثلاث : فراق الأحبة محمد وحزبه ، وهول المطلع عند غمرات [1] الموت ، والوقوف بين يدى رب العالمين حين لا أدرى إلى النار أم إلى الجنة .) .

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٢٠٤) ، (عن) سلمان رضي الله عنه قال : (أن الله تعالى إذ أراد بعبد شرًّا أو هلكة نزع منه الحياء فلم تلقه إلا مقيتا[2] ممقتا ، فإذا كان مقيتًا ممقتًا نزعت منه الرحمة تلقه ألا فظًا [3] غليظًا ، فإذا كان كذلك نزعت منه الأمانة فلم تلقه ألا خائنًا مخونًا ، فإذا كان كذلك نزعت ربقة [4] الإسلام من عنقه فكان لعينًا ملعونًا) .

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٢٠٧) ، (عن) سلمان رضي الله عنه قال : (إنما مثل المؤمن فى الدنيا كمثل مريض معه طبيبه الذى يعلم داءه ودواءه ، فإن اشتهى ما يضره منعه ،وقال: لا تقربه ، فإنك إن أصبته أهلك ، ولا يزال يمنعه حتى يبرأ من وجعه ، وكذلك المؤمن يشتهى أشياء كثيرة مما فضل الله به غيره من العيش فيمنعه الله إياه ويحجز عنه حتى يتوفاه فيدخله الجنة) .

تعليق

** (وهكذا) كان سلمان الفارسى رضي الله عنه يعظ إخوانه بهذا الوعظ الراقى الذى إن دل على شيء فإنما يدل على أنه عليه رضوان الله عرف حقيقة الدنيا وأراك تمامًا أنها معبر إلى الآخرة .. وأنه ينبغى على المؤمن الصادق أن لا يكون مشغولًا بها عن الآخرة التى هى دار القرار .. (ولقد) ورد عنه رضي الله عنه أنه كان يقول [5] : «أمرنى خليلى صلى الله عليه وآله وسلم أن لا أتخذ من الدنيا إلا كمتاع الراكب».

---

(١) أى : سكرات الموت وشدائده .
(٢) أى: مبغوضًا .
(٣) أى : سيئ الأخلاق ..
(٤) جبل ذو عرّى .
(٥) ارجع إلى شرح الحديث رقم ٤٠ فى الأربعين النووية .

* (ومما قيل)في الزهد فى الدنيا :

أتبنـــى بنـــاء الخالـــدين وإنـــما مقامـــك فيهـــا لـــو عقلـــت قليـــل

لقد كـــان فى ظـــل الأراك كفايـة لـمن كـــــان فيهـــا يعتريه رحيل

* (ومما قيل) فى الزهد أيضًا :

ترجـو البقـاء بـدار لا بقـاء لهـا وهـل سـمعت بظـل غـير منتقـل

* (ولله در من قال) :

سـجنت بهـا وأنـت لهـا محـب فكيـف تحـب مـا فيهـا سـجنتا

فـلا تلهـو بـدار أنـت فيهـا تفـارق منـك يومًـا مـا لهوتـا

وتطعمـك الطعـام وعـن قريـب سـتطعم منـك مـا منهـا طعمتـا

١٠- (ومن) وعظ أبى الدرداء رضي الله عنه وأرضاه :

* (فقد) أخرج أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٢١٠) ، (عن) حسان بن عطية أن أبا الدرداء رضى الله عنه كان يقول : « **لا تزالون بخير ما أحببتم خياركم ، وما قيل فيكم بالحق فعرفتموه فإن عارف الحق كعامله** » ..

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٢١٢) ، (عن) أبى الدرداء رضي الله عنه قال:« **ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يعظم علمك ويكثر علمك ، وأن تبارى الناس فى عبادة الله عز وجل ، فإن أحسنت حمدت الله عز وجل ، إن أسأت استغفرت الله عز وجل** » .

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٢١٦) ، (عن) أبى الدرداء رضي الله عنه أنه كان يقول : « **ذروة الإيمان : الصبر للحكم ، والرضاء بالقدر ، والإخلاص فى التوكل ، والاستسلام للرب عز وجل** » .

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٢١٧) ، (عن) أبى الدرداء رضي الله عنه أنه كان يقول : « ويل لكل جماع فاغر فاه [1] كأنه مجنون يرى ما عند الناس ولا يرى ما عنده ، لو يستطيع لوصل الليل بالنهار ، ويله من حساب

---

(١) أى : فاتح .

غليظ وعذاب شديد » .

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٢١٧) ، (عن) أبى الدرداء رضي الله عنه أنه كان يقول : (يا معشر أهل دمشق .. ألا تستحيون ؟ تجمعون ما لا تأكلون ، وتبنون ما لا تسكنون ، وتأملون ما لا تبلغون ، قد كان القرون من قبلكم يجمعون فيوعون ، ويأملون فيطيلون ، ويبنون فيوثقون ، فأصبح جمعهم بورًا ، وأملهم غرورًا ، وبيوتهم قبورًا ، هذه عاد قد ملأت ما بين عدن إلى عمان أموالًا وأولادًا ، فمن يشترى منى تركة آل عاد بدرهمين) .

* و(أخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٢١٨) ، (عن) صفوان بن عمرو أن أبا الدرداء رضي الله عنه كان يقول : (يا معشر أهل الأموال .. بردوا على جلودكم من أموالكم قبل أن نكون وإياكم فيها سواء ، ليس إلا أن تنظروا فيها وتنظر فيها معكم .(وقال) أبو الدرداء رضي الله عنه : وإنى أخاف عليكم شهوةً خفية فى نعمة ملهية وذلك حين تشبعون من الطعام وتجوعون من العلم . (وقال) أبو الدرداء رضي الله عنه : إن خيركم الذى يقول لصاحبه : اذهب بنا نصوم قبل أن نموت ، وإن شراركم الذى يقول لصاحبه : اذهب بنا نأكل ونشرب ونلهو قبل أن نموت . (ومر) أبو الدرداء على قوم وهم يبنون فقال : تجددون والله يريد خرابها ، والله غالب على ما أراد (وعنده) أيضا عن مكحول قال : كان أبو الدرداء يتتبع الخرب ويقول: يا خرب الخربين.. أين أهلك الأولون؟) .

*(وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٢١٧) ، (عن) أبى الدر داء رضي الله عنه قال : (ثلاث أحبهن ويكرههن الناس : الفقر ، والمرض ، والموت) .

* (وعنده) أيضا قال : (أحب الموت اشتياقا إلى ربى ، وأحب الفقر تواضعا لربى ، وأحب المرض تكفيرًا لخطيئتى) .

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحليلة (ج١ ص ٢١٧) ، (وعن) شرحبيل أن أبا الدر داء رضي الله عنه قال : (ثلاث أحبهن ويكرههن الناس : الفقر ، والمرض ، والموت).

* (وعنده) أيضا عنه قال : (أحب الموت اشتياقا إلى ربى ، وأحب الفقر تواضعا لربى ، وأحب المرض تكفيرا لخطيئتى) .

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٢١٧) (وعن) شرحبيل أن أبا الدرداء رضي الله عنه كان إذا رأى جنازة قال : (اغدوا فإنا رائحون ، أو روحوا فإنا غادون ، موعظة بليغة وغفلة سريعة ، كفى بالموت واعظا ، يذهب الأول فالأول ويبقى الآخر لا حلم له) .

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج١ ص٢٢٣) (وعن) أبى الدرداء رضي الله عنه قال : (لا تزال نفس أحدكم شابة فى حب الشيء ولو التقت ترقوتاه من الكبر إلا الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، وقليل ما هم) . وأخرجه ابن عساكر عن أبى الدرداء _ مثله كما فى الكنز . (ج٨ ص ٢٢٤) .

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج١ ص ٢٢٢) ، (عن) عبد الرحمن ابن جبير بن نفير أن رجلًا قال لأبى الدرداء رضي الله عنه : علمنى كلمة ينفعنى الله عز وجل بها ، وقال : (وثنتين وثلاثا وأربعا وخمسا ، من عمل بهن كان ثواب على الله عز وجل الدرجات العلى ، وقال : لا تأكل إلا طيبا ، ولا تكسب إلا طيبا ، ولا تدخل بيتك إلا طيبا ، وسل الله عز وجل يرزقك يوما بيوم ، وإذا أصبحت فاعدد نفسك من الأموات فكأنك قد لحقت بهم ، وهب عرضك لله عز وجل ، فمن سبك أو شتمتك أو قاتلك فدعة لله عز وجل ، وإذا أسأت فاستغفر الله عز وجل) .

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج١ ص ٢٢١) ، (عن) أبى الدرداء رضي الله عنه قال : (ثلاث من ملاك أمر ابن آدم : لا تشك معيبتك ، ولا تحدث بوجعك ، ولا تزك نفسك بلسانك) .

(وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج١ ص ٢١٤) ، (عن) معمر عن صاحب له أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان الفارسى رضي الله عنهما : (يا أخى .. اغتنم صحتك وفراغك قبل أن ينزل منك البلاء ما لا يستطيع العباد رده ، واغتنم دعوة المبتلى .

* ويا أخى .. ليكن المسجد بيتك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« **إن المسجد بيت كل تقى** » وقد ضمنى الله عز وجل لمن كانت المساجد بيوتهم بالروح [1] والراحة والجواز على الصراط إلى رضوان الرب عز وجل .

* ويا أخى .. ارحم اليتيم وادنه منك وأطعمه من طعامك ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ وأتاه رجل يشتكى قساوة قلبه – فقال رسول الله ﷺ : « **أتحب أن يلين قلبك ؟** » فقال : نعم ، قال : « **أدن اليتيم منك وامسح رأسه ، وأطعمه من طعامك ، فإن ذلك يلين قلبك على حاجتك** ».

* ويا أخى .. لا تجمع مالا تستطيع شكره ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يجاء الدنيا يوم القيامة الذى أطاع الله تعالى فيها وهو بين يدى ما له وما له خلفه ، كلما تكفأ به الصراط** [2] **قال له ماله : امض قد أديت الحق الذى عليك ، قال : ويجاء بالذى لم يطع الله وماله بين كتفيه ، فيعثره ماله ويقول له : ويلك .. هلا عملت بطاعة الله عز وجل فى ، فلا يزال كذلك حتى يدعو بالويل** » .

*ويا أخى .. إنى حدثت أنك اشتريت خادمًا ، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا يزال العبد من الله وهو منه ما لم يخدم ، فإذا خدم وجب عليه الحساب** » ، وإن أم الدرداء سألتنى خادمًا وأنا يومئذ موسر [3] فكرهت ذلك لما سمعت من الحساب .

* ويا أخى .. لا تغترن بصحبة رسول الله ﷺ فإنا قد عشنا يا أخى ... من لى ولك بأن نوافى يوم القيامة ولا نخاف حساب ؟ دهرًا طويلًا والله أعلم بالذى أصبنا بعده .

* (وأخرج) ابن عساكر (عن) أبى الدرداء رضي الله عنه أنه كتب إلى مسلمة بن مخلد : أما بعد ..فإن العبد بطاعة الله ، فإذا أحبه الله حببه إلى خلقه، وإذا عمل. بمعصية الله أبغضه الله وإذا بغضه الله بغضه إلى خلقه) .كذا فى الكنز [ج٨ ص٢٢٥].

* (وأخرج) ابن عساكر (عن) أبى الدرداء رضي الله عنه : (لا إسلام إلا بطاعة،

---

(١) الروح بفتح الراء المشددة : أى الرحمة .
(٢) أى تميل وانقلب .
(٣) أى صاحب مال ويسار .

ولا خير إلا فى جماعة ، والنصح لله والخليفة وللمؤمنين عامة) كذا فى الكنز [ج٨ ص٢٢٧] .

**(وهكذا) كان أبو الدرداء ﷺ واعظا من الوعاظ الحكماء الذين من الله عليهم بالحكمة .. (هذا) بالإضافة إلى فلسته الإيمانية .. التى تجلب فى قوله : (أحب الفقر تواضعًا لربى ، وأحب الموت اشياقًا لربى ، وأحب الموت المرض تكفيرًا للخطايا)، (وقد) قرأت أنه وقف ذات يومًا أمام الكعبة فقال: أليس إذا أراد أحدكم سفرًا يستعد له بزاد ؟ قالوا : نعم ، قال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون ..

فقالوا : دلنا على زاده .. فقال :حجوا حجة لعظائم الأمور وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل توحشة القبور وصوموا يوما شديدًا حره لطول يوم النشور).

(فلنكن) من المنتفعين بوعظه وإرشاده إلى آخر لحظة فى حياتنا لكى نكون من أولى الألباب .

والله ولى التوفيق .

١١- (ومن) مواعظ أبى ذر رضى الله عنه وأرضاه :

*(فقد) أخرج أبو النعيم فى الحلية (ج١ ص١٦٥) ، (عن) سفيان الثورى قال : قام أبو ذر ﷺ عند الكعبة فقال : (يا أيها الناس .. أنا جندب الغفارى هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق .. فأكتنفه الناس ، فقال : أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفرًا أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه ؟ قالوا : بلى ، قال : فسفر طريق القيامة أبعد ما تريدون فخذوا منه ما يصلحكم . قالوا : وما يصلحنا ؟ قال : حجوا حجة لعظام الأمور ، صوموا يومًا شديدًا حره لطول النشور ، صلوا ركعتين فى سواد الليل لوحشة القبور ، كلمة خير تقولها، أو كلمة سوء يسكت عنها لوقوف يوم عظيم ، تصدق بها لك لعلك تنجو من عسيرها . اجعل الدنيا مجلسين : مجلسًا فى طلب الحلال ، والثالث يضرك ولا ينفعك لا تريده ، اجعل المال درهمين : درهما تنفقه على عيالك من حله ، ودرهما تقدمه لآخرتك ، والثالث يضرك ولا ينفعك لا تريده .

ثم نادى بأعلى صوته : يا أيها الناس .. قد قتلتم حرص لا تدركونه أبدًا) .

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج١ ص١٦٣) ، (عن) أبى ذر رضي الله عنه قال : (يولدون للموت ، ويعمرون للخراب ، ويحرصون على ما يغنى ، ويتركون ما يبقى ، ألا حبذا المكروهات : الموت والفقر) .

* (وعند) ابن عساكر كما فى الكنز (ج١ ص٢٢٤) ، (عن) حبان بن أبى حبلة أن أبا ذر وأبا الدرداء رضي الله عنهما قالا : (تلدون للموت ، وتعمرون للخراب ، وتحرصون على ما يغنى ، وتذرون على ما يبقى ، ألا حسن المكروهات الثلاث : الموت ، والمرض ، والفقر) .

تعليق

هذا ، وإذا كان أبو ذر رضي الله عنه قد نصح بهذا الوعظ الراقى .. فإن السبب فيه هو أنه كان زاهدًا فى الدنيا .. بمعنى أنه لم يكن مشغولًا بها عن الآخرة .. ولا سيما بعد أن أوصاه النبى صلى الله عليه وسلم بالوصية التى قال له فيها : « **يا أبا ذر .. أحكم السفينة فإن البحر عميق ، واستكثر الزاد فإن السفر طويل ، وخفق ظهرك فإن العقبة كؤود ، وأخلص العمل فإن الناقد بصير** » . رواه الإمام المقدسى .

فلننتفع نحن كذلك بهذا النصح الجامع ، والله ولى التوفيق .

١٢- (ومن) مواعظ حذيفة بن اليمان رضى الله عنه وأرضاه :

* (فقد) أخرج أبو نعيم فى الحلية (ج١ ص ٢٧٤) ، (عن) أبى الطفيل أنه سمع حذيفة رضي الله عنه يقول : (يا أيها الناس .. ألا تسألوني فإن الناس كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، أفلا تسألون عن ميت الأحياء ؟ فقال : إن الله تعالى بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم فدعا الناس من الضلالة إلى الهدى ، ومن الكفر إلى الإيمان فاستجاب له من استجاب فحيى بالحق من كان ميتًا ، ومات بالباطل من كان ميتًا ، ثم ذهبت النبوة ، فكانت الخلافة على مناهج النبوة ثم يكون ملكا عضوضًا [1] ، فمن الناس من ينكر بقلبه

(١) أى : يصيب الرعية فيها ظلم وعسف .

ولسانه كافًّا يده والحق استكمل ، ومنهم من ينكر بقلبه ولسانه فأيده وشعبه من الحق ترك ، ومنهم من لا ينكر بقلبه ولسانه فذلك ميت الأحياء) .

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٢٧٦) ، (وعن) حذيفة رضي الله عنه قال : (القلوب أربعة : قلب أغلف فذلك قلب الكافر ، وقلب مصفح وهذا قلب المنافق [١] ، وقلب أجدد فى سراج يزهر فذاك قلب المؤمن ، وقلب فيه نفاق وإيمان ، فمثل الإيمان كمثل شجرة يمدها ماء طيب ، ومثل النفاق مثل قرحه يمدها قيح ودم ، فأيهما ما غلب عليه غلب) .

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٢٧٢) ، (عن) حذيفة رضي الله عنه قال :

(إن الفتنة تعرض على القلوب ، فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء فإن أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء ، فمن أحبَّ منكم أن يعلم أصابته الفتنه أم لا فلينظر ، فإن كان يرى حراما ما كان يراه حلالا ، أو يرى حلالا ما كان يراه حراما فقد أصابته الفتنة) .

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٢٧٣) ، (عن) حذيفة رضي الله عنه قال : (إياكم والفتن لا يشخص إليها أحد فو الله ما شخص فيها أحد إلا نسفته [٢] كما ينسف السيل الدمن ، إنها مشبهة مقبلة حتى يقول الجاهل : هذه تشبه ، وتبين مدبرة فإذا رأيتموها فأجثموا [٣] فى بيوتكم ، وكسروا بسيوفكم ، وقطعوا أوتاركم) .

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٢٧٨) ، (عن) الأعمش قال: بلغنى أن حذيفة رضي الله عنه كان يقول : (ليس خيركم الذين يتركون الدنيا للآخرة ولا الذين يتركون الآخرة للدنيا ، ولكن الذين يتناولون من كُلٍّ) .

** (فلننتفع) بهذا الوعظ الراقى .. حتى نحذر الفتن وأهلها .. طوال حياتنا .. والله ولى التوفيق .

---

(١) أى: الذى له وجهان .

(٢) أى: أذرته .

(٣) أى : فاجلسوا .

١٣ - (ومن) مواعظ أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه وأرضاه :

* (فقد) أخرج أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٢٥٣) ، (عن) أبى العالية قال : قال رجل لأبى بن كعب رضي الله عنه : أوصنى ، قال : (اتخذ كتاب الله إماما ، ورضى به قاضيا وحكما ، فإنه الذى استخلف فيكم رسولكم شفيع مطاع ، وشاهد لا يُتَّهم ، فيه ذكركم وذكر من قبلكم وحكم ما بينكم ، وخبركم وخبر ما بعدكم) .

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٢٥٣) ، (عن) أبى بن كعب رضي الله عنه قال : (ما من عبد ترك شيئا لله عز وجل إلا أبدله الله به ما هو خير منه من حيث لا يحتسب ، وما تهاون به عبد فأخذوه من حيث لا يصلح إلا أتاه الله ما هو أشد عليه منه من حيث لا يحتسب)

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٢٥٥) ، (عن) أبى بن كعب رضي الله عنه قال : (المؤمن بين أربع : إن ابتلى صبر ، وإن أعطى شكر ، وإن قال صدق ، وإن حكم عدل ، فهو يتقلب فى خمسة من النور وهو الذى يقول الله : (نور على نور) [١] ، كلامه نور ، وعلمه نور ، ومدخله فى نور ، ومخرجه من نور ، ومصيره إلى النور يوم القيامة ، والكافر يتقلب فى خمسة من ظلمة ، فكلامه ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه فى ظلمة ، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة) .

* (وأخرج) ابن عساكر (عن) أبى بن كعب رضي الله عنه أن رجلا قال له : أوصنى يا أبا المنذر ، قال : (لا تعرضن فيما لا يعنيك ، واعتزل عدوك ، واحترز من صديقك ، ولا تغبطن حيا إلا ما تغبطه به ميتا ، ولا تطلب حاجة إلى من لا يبالى أن لا يقضيها لك) . كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٢٤) .

١٤- (ومن) مواعظ زيد بن ثابت رضي الله عنه وأرضاه :

* (فقد) أخرج ابن عساكر (عن) عبد الله بن دينار البهرانى قال : كتب

---

(١) النور : ٣٥ .

زيد بن ثابت إلى أبى بن كعب رضي الله عنه : (أما بعد .. فإن الله قد جعل اللسان ترجمانا للقلب ، وجعل القلب وعاء وراعيا ينقاد له اللسان لما أهداه له القلب، فإذا كان القلب على طوق اللسان جاء الكلام وائتلف القول واعتدل ولم تكلم للسان عثرة ولا زلة ولا حلم لمن لم يكن قلبه من بين يدى لسانه ، فإذا ترك الرجل كلامه بفعله صدق ذلك مواقع حديثه يذكر هل وجدت بخيلا إلا وهو يجود بالقول ويمن بالفعل ، وذلك لأن لسانه بين يدى قلبه يذكر هل تجد عند أحد شرفا أو مروءة إذا لم يحفظ ما قال ثم يتبعه ويقول ما قال وهو يعلم أنه حق عليه واجب حين يتكلم به لا يكون بصيرا بعيوب الناس ، فإن الذى يبصر عيوب الناس ويهون عليه عيبه كمن يتكلف ما لا يؤمر به - والسلام) . كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٢٤) .

١٥ - (ومن) مواعظ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وأرضاهما :

* (فقد) أخرج أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٣٢٤) ، (عن) ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : (يا صاحب الذنب .. لا تأمنن من سوء عاقبة ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته ، فإن قلة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال وأنت على الذنب أعظم من الذنب الذى عملته ، وضحكك وأنت لا تدرى ما الله صانع بك أعظم من الذنب ، وفرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب ، وحزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب إذا ظفرت به ، وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب إذا عملته ، ويحك .. هل تدرى ما كان ذنب أيوب عليه السلام ؟ فابتلاه الله تعالى بالبلاء فى جسده وذهاب ماله إنما كان ذنب أيوب عليه السلام أنه استعان به مسكين على ظلم يدرؤه [1] عنه فلم يعنه ولم يأمر بمعروف وينه الظالم عن ظلم هذا المسكين فابتلاه الله عز وجل) . (وأخرجه ابن عساكر عن ابن عباس نحوه - إلى قوله : ويحك .. هل تدرى) . كما فى الكنز (ج ٢ ص ٢٤٨) .

(١) أى : يدفعه عنه .

*(وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٣٢٦)، (عن) ابن عباس رضي الله عنهما، وقال : (عليك بالفرائض ، وما وظف الله تعالى عليك من حقه فأده ، واستعن بالله على ذاك ، فإنه لا يعلم من عبد صدق نية ، وحرصا فيما عنده من ثوابه إلا أخره عما يكره ، وهو الملك يصنع ما يشاء) .

(وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٣٢٦) ، (عن) ابن عباس رضي الله عنهما، وقال : (ما من مؤمن ولا فاجر إلا وقد كتب الله تعالى له رزقه من الحلال ، فإن صبر حتى يأتيه آتاه الله تعالى ، وإن جزع فتناول شيئا من الحرام نقصه الله من رزقه الحلال) .

١٦- (ومن) مواعظ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وأرضاهما :

*(فقد) أخرج أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٣٠٦) ، (عن) ابن عمر رضي الله عنهما، قال : (لا يصيب عبد شيئا من الدنيا إلا نقص من درجاته عند الله عز وجل وإن كان عليه كريم) .

*(وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٣٠٦) ، (عن) ابن عمر رضي الله عنهما، قال : (لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعد الناس حمقى فى دينه) .

*(وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص٣١٢) ، (عن) مجاهد قال : (كنت أمشى مع ابن عمر رضي الله عنهما فمر على خربة فقال : قل : يا خربة .. ما فعل أهلك ؟ فقلت : يا خربة .. ما فعل أهلك ؟ فقال ابن عمر رضي الله عنهما: ذهبوا وبقيت أعمالهم) .

١٧- (ومن) مواعظ عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وأرضاهما :

*(فقد) أخرج أبو نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٣٣٦) ، (عن) وهب بن كيسان قال : كتب إلى عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما بموعظة : (أما بعد .. فإن لأهل التقوى علامات يعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم : من صبر على البلاء ، ورضى بالقضاء ، وشكر النعماء ، وذل لحكم القرآن ، وإنما الإمام كالسوق ما نفق فيها حمل إليها . إن نفق الحق عنده حمل إليه وجاءه أهل الحق ، وإن نفق الباطل عنده جاء أهل الباطل ونفق عنده) .

١٨ - (ومن) مواعظ الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما وأرضاهما :

* (فقد) أخرج ابن النجار (عن) الحسن بن على رضي الله عنهما ، قال : (من طلب الدنيا قعدت به ، ومن زهد فيها لم يبال من أكلها ، الراغب فيها عبد لمن يملكها، أدنى ما فيها يكفى وكلها لا تغنى، من اعتدل يومه فيها فهو مغرور ، ومن كان يومه خيرا من غدة فهو مغبون [١] ، ومن لم يتفقد النقصان عن نفسه فإنه فى نقصان ومن كان فى نقصان فالموت خير له) . [كذا فى الكنز] (ج٨ ص٢٢٢) .

* (وأخرج) ابن عساكر (عن) الحسن بن على رضي الله عنهما قال : (الناس أربعة : فمنهم من له خلاق وليس له خلق ، ومنهم له خلق وليس له خلاق ، ومنهم من ليس لهم خلق ولا خلاق فذاك شر الناس ، ومنهم من له خلق وخلاق فذاك أفضل الناس) كذا فى الكنز (ج٨ ص٢٣٧) .

١٩- (ومن) مواعظ شداد ابن أوس رضي الله عنه وأرضاه :

* (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية (ج١ ص٢٦٤) ، (عن) زياد بن ماهك قال : كان شداد بن أوس رضي الله عنه يقول : (إنكم لم تروا من الخير إلا أسبابه ، ولم تروا من الشر إلا أسبابه ، الخير كله بحذافيره [٢] فى الجنة ، والشر كله بحذافيره فى النار ، وأن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر ، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر ، ولكل بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا . قال أبو الدرداء رضي الله عنه: وإن من الناس من يؤتى علمًا ولا يؤتى حلما ، وإن أبا يعلى رضي الله عنه قد أوتى علمًا وحلمًا) .

٢٠- (ومن) مواعظ جندب البجلى رضي الله عنه وأرضاه :

* (فقد) أخرج البيهقى فى شعب الإيمان (عن) جندب رضي الله عنه قال : (اتقوا الله واقرأوا القرآن ، فإنه نور الليل المظلم ، وبهاء النهار على ما كان من جهد وفاقة .. فإذا نزل البلاء فاجعلوا أموالكم دون أنفسكم ، فإذا نزل البلاء

---

(١) يقال : غبنه فى البيع غبنا : أى غلبه ونقصه .
(٢) يقال : أخذ الشىء بحذافيره : أى: كله .

فاجعلوا أنفسكم دون دينكم ، واعلموا أن الخائب من خاب دينه ، والهالك من هلك دينه ، ألا لا فقر بعد الجنة ، ولا غنى بعد النار ، لأن النار لا يفك أسيرها ، ولا يبرأ أحد برها ، ولا يطفأ حريقها ، وإنه ليحال بين الجنة وبين المسلم بملء دم أصابه من دم أخيه المسلم ، كلما ذهب ليدخل من باب من أبوابها وجدها ترد عنها ، واعلموا أن الآدمى إذا مات ودفن لا ينتن أول من بطنه،فلا تجعلوا مع النتن خبثًا ، واتقوا الله فى أموالكم ، والدماء فاجتنبوها) كذا فى الكنز[ج٨ ص ٢٢٢] .

٣١ - (ومن) مواعظ أبى أمامة ﷺ وأرضاه :

* (فقد) أخرج ابن أبى حاتم عن سليم بن عامر قال : خرجنا على جنازة فى باب دمشق ومعنا أبو أمامة الباهلى ﷺ فلما صلى على الجنازة وأخذوا فى دفنها ، قال أبو أمامة : (أيها الناس .. إنكم قد أصبحتم وأمسيتم فى منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر وهو هذا - ويشير إلى القبر - بيت الوحدة وبيت الظلمة ، وبيت الدود ، وبيت الضيق إلا ما وسع الله ، ثم تنتقلون منه إلى موطن يوم القيامة فإنكم فى بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس أمر من الله فتبيض وجوه وتسود وجوه ، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر فيغشى الناس ظلمة شديدة ، ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نورا ، ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئا ، وهو المثل الذى ضربه الله تعالى فى كتابه فقال : ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠] فلا يستضىء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضىء الأعمى ببصر البصير ويقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا: ﴿ انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قبل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ﴾[1] . وهى خدعة الله التى خدع بها المنافقين حيث قال: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] فيرجعون إلى المكان الذى قسم فيه النور فلا يجدون شيئا فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم : ﴿بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ

---

(١) الحديد : الآية ١٣ .

﴿مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣] إلا أنه يقول سليم بن عامر فما يزال المنافق مغتر حتى يقتسم النور ، ويميز الله بين المنافق والمؤمن . كذا فى التفسير لابن كثير (ج ٤ ص ٣٠٨) . وأخرجه البهيقى فى الأسماء والصفات (ص ٣٤٠) عن سليم بن عامر - نحوه .

(وأخرج) ابن عساكر عن سليمان بن حبيب قال : دخلت فى نفر على أبى أمامه ﷺ فإذا شيخ قد رق وكبر ، وإذا عقله ومنطقه أفضل مما يرى من منظره ، فقال فى أول ما حدثنا : (إن مجلسكم هذا من بلاغ الله إياكم وحجته عليكم ، فإن رسول الله ﷺ قد بلغ ما أرسل به وغن أصحابه قد بلغوا ما سمعوا ، فبلغوا ما تسمعون : ثلاثة كلهم ضامن على الله .. حتى يدخلوا الجنة أو يرجعه بما نال من أجر وغنيمة . فاصل (فصل) فى سبيل الله فهو ضامن من على الله حتى يدخلوا الجنة أو يرجعه بما نال من أجر وغنيمة ، ورجل توضأ ثم غدا إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يدخله الجنة أو يرجعه بما نال من أجر وغنيمة ، ورجل دخل بيته بسلام ، ثم قال : إن فى جهنم جسرا له سبع قناطير على أوسطهن القضاء ، فيجاء بالعبد حتى إذا انتهى إلى القنطرة الوسطى قيل : ماذا عليك من الدين ؟ فيحبسه ثم تلا هذه الآية : ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]. فيقول : يا رب .. على كذا أو كذا ، فيقول : اقضى دينك ، فيقول : ما لى شىء ما أدرى ما أقضى به ، فيقال: خذوا من حسناته ، فما زال يؤخذ من حسناته حتى ما يبقى له من حسنه ، فإذا فنيت حسناته ، يقال : خذوا من سيئات من بطلبه ، فركبوا عليه ، قال : فلقد بلغنى أن رجالا يجيئون بأمثال الجبال من الحسنات فما زال يأخذون لمن يطالبهم حتى ما يبقى لهم حسنة ، ثم يركب عليهم سيئات من يطلبهم حتى يرد عليهم أمثال الجبال ، ثم قال : إياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور، والفجور يهدى إلى النار ، وعليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدى إلى البر، والبر يهدى إلى الجنة ، ثم قال : أيها الناس .. لأنتم أضل من أهل الجاهلية، إن الله تعالى قد جعل لأحدكم الدينار ينفقه فى سبيل الله بسبعمائة دينار، والدرهم بسبعمائة درهم ، ثم أنكم ضالون تمسكون ، اما والله لقد فتحت الفتوح

بسيوف حليتها الذهب والفضة ولكن حليتها العلابى[1] ، والأنك[2] والحديد) . كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٢٣) .

٣٣ - (ومن) مواعظ عبد الله بن بسر ﷺ وأرضاه :

* (فقد) أخرج البيهقى وابن عساكر (عن) عبد الله بن بسر ﷺ قال : (والمتقون سادة، والعلماء قادة، ومجالستهم عبادة، بل ذلك زيادة، وأنتم يمرّ الليل والنهار فى آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، وأعدُّوا الزاد فكأنكم بالمعاد) . كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٢٤) .

(١) (ومن) مواعظ الصالحين وآثارهم وأخبارهم وأشعارهم ....

التى ينبغى علينا نحن الصالحين كذلك .. إن شاء الله .. أن يحرص على تنفيذها والعمل على نشرها .. حتى ينتفع بها على المستوى العام والخاص .. (وذلك) لأن كل فرد منا نحن المسلمين والمسلمات فى أشد الحاجة إلى هذا الزاد الحقيقى الذى به ستحقق الحياة الحقيقة لنا فى هذه الحياة الأولى التى لا حياة فيها إلا بالعلم النافع .. (فالناس موتى وأهل العلم أحياء) .

* ولله در من قال :

تعلم فإن العلم زين لأهله	**وفضل وعنوان لكلِّ المحامد**
وكن مستفيدا كل يوم زيادة	**من العلم واسبح فى بحور الفوائد**
تفقه فإن الفقه أفضل قائد	**إلى البرِّ والتقوى وأعدل قاصد**
هو العلم الهادى إلى سنن الهدى	**هو الحصن ينجى من جميع الشدائد**
فإن فقيها واحدا متورِّعًا	**أشدُّ على الشيطان من ألف عابد**

** (هذا) مع الملاحظة أن طلب العلم واجب ..كما ورد فى الحديث الشريف : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة** ».

---

(١) جمع علباء وهو عصب فى العنق يأخذ إلى الكاهل، وهما علباوان وإن يمينًا وشمالا وما بينهما منبت عرف الفرس ، وكانت العرب تشد على أجفان سيوفها العلابى الرطبة فتجف عليها وتشد الرماح بها إذا تصدعت فتيبس وتقوى .

(٢) الرصاص الأبيض وقيل: الأسود ، وقيل: هو الخالص منه .

(وقد) قال بعض العلماء : أراد به علم التوحيد ، وعلم أحوال القلب ، وعلم الشريعة .

* (فأما) علم التوحيد ، فهو أن يعرف الشخص أن له إله واحد عالما قادرًا حيًّا مريدا متكاملا سميعا بصيرا .. متصفا بصفات الكمال ، منزَّها عن النقصان والزوال ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ..﴾ [الشورى : ١١] ، وأن يعرف أن له ملائكة وهم عبادة لا يعصون فيما أمرهم به ، ويفعلون ما أمرهم به ، لا يأكلون ولا يشربون .. (وأن يعرف) أنه له كتبا منزَّله وكلها منسوخة بالقرآن (وأن) يعرف أن له رسلا أرسلهم إلى الخلق أولهم آدم عليه السلام وآخرهم سيدنا محمد ﷺ (وأن) شريعته باقية إلى يوم القيامة (وأن) يعرف سؤال منكر ونكير حق ، والحشر والنشر حق ، والجنة والنار حق ، والحساب والميزان حق، والصراط حق (وأن) يعرف أن القدر خيره وشره من الله تعالى لا يجرى شيء فى الوجود إلا بإرادته ومشيئته .

وأما علم أحوال القلوب ، فهو أن يعرف الشخص أن للقلب أخلاقًا محمودة فيفعلها ، وأخلاقًا مذمومة فيتباعد عنها .

* (أما) المحمودة ، فكالتوكل على الله تعالى ، والإخلاص له سبحانه وتعالى ، والحمد والشكر على النعم والتوبة من المعاصى والخوف والرجاء والزهد والصبر والمحبة والرضا بالقضاء وذكر الموت .

* (أما) المذمومة ، فكالحرص على الطعام والشراب ، وكراهية الجوع ، مع أن فيه فوائد .. منها : صفاء القلب ورقته ، وذل النفس ، وكسر الشهوات وزوال النوم ، المانع من العبادة ، وكالحرص على الكلام فيما لا يعنى . لأن اللسان آفات كثيرة ، والغالب عليها ، منها : الغيبة ، والكذب ، والمدح ، والمزاح ، وكالغضب والبخل ، وحب الجاه ، وحب الدنيا ، والكبر ، والعجب ، والرياء ، وغير ذلك من أمراض القلوب .

** (وأما) علم الشريعة : فكل ما يتعين عليك فعله .. فالواجب عليك معرفته لتؤديه على حقيقته كالطهارة ، والصلاة والزكاة ، والصوم ، والحج ، وغير ذلك من أنواع العبادات والمعاملات ، والمناكحات .

❋ (وأفضل) العبادات البدنية : الصلاة .. لأن العبادات إما قلبية كالإيمان ، والتفكر ، والتوكل ، والصبر ، والورع ، والزهد ، ونحوها (وإما) بدنية : كالإسلام ، والصلاة ، والصوم والحج .. والقلبية أفضل من البدنية .. وأفضل القلبية .. الإيمان .. ولا يكون إلا واجبا .. وقد يكون تطوعا بالتجديد .. وأفضل البدنية الصلاة كما تقدم .. لأنه اجتمع فيها مما تفرق فى غيرها من ذكر الله تعالى ورسوله ﷺ ، وقراءة وتسبيح ولبث وطهارة وستر واستقبال وترك أكل وشرب وغير ذلك .. وزادت بالركوع والسجود ونحوهما (واعلم) أن أعضاءك كالأغنام السائمة وأنت راعيها ، وقد رعت فى أودية المعاصى : فتجمعها فى وقت الصلاة بين يدى الله تعالى .. فإذا قمت بين يدى الله تعالى .. فإذا كبَّرت فقد أذعنت بأنَّ الكبرياء والعظمة له سبحانه وتعالى .. وإذا ركعت فكأنك قلت : يا رب رقبتى لك وأنا عبدك ، وثقل المعصية أنقض ظهرى فاطرحه عنى .. وإذا سجدت فكأنك تقول .. عفرت وجهى بالتراب تائبا خاضعا لك .. فإذا قمت للصلاة فاجتهد فى تطهير قلبك.. وتذكر فى قيامك أنك واقف بين يديه كوقوفك يوم العرض عليه سبحانه وتعالى .. وإذا كبرت بلسانك فلا يكذبك قلبك ، فإذا كان فيه شىء كبير سوى الله تعالى فاطرحه عنه .. ويكفينا فى فضيلة الصلاة ما روى أنه سئل البخارى ما تقول فيمن لا يصلى ؟ فينكس رأسه طويلا ثم رفع رأسه فقال للسائل : لا تظن أنى فعلت ذلك عجزا عن جوابك ، ولكن نظرت بقلبى فى كتب شرائع الإسلام وعرضت جميع القرآن من أوله إلى آخره هل أجد فيه أن من لا يصلى يكون مسلما أم لا ؟ فما وجدت أن من ترك الصلاة متعمدا يكون مسلما .. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لأداء ما افترض علينا من الصلوات وغيرها .. على وجه يرضيه سبحانه وتعالى .. آمين [1] .

(وإذا) كان كل هذا قد تحقق أو سيتحقق عن طريق العلم النافع .: (فإننى) أيضا أذكر الأخ المسلم .. بما يرغبه فيه إن شاء الله .. فإليك :

❋❋ بعض الآثار الشعرية التى منها :

---

(١) فلتذكر هذا دائما وأبدًا حتى نحافظ على الصلوات الخمس فى أوقاتها .

سهرى لتنقيح العلوم ألذ لى ... من وصل غانيه وطيب عناق
وتمايلى طربا كل عويصة ... أشهى وأحلى من مدامة ساق
وصرير أقلامى على أوراقها ... أحلى من الدوكاة والعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفها ... نقرى لألقى الرمل عن أوراقى
أأبيت سهران الدجا وتبيته ... نوما وتبغى بعد ذاك لحاقى

** والله در الإمام الشافعى رضي الله عنه فلقد قال :

تصبره على مرَّ الجفا من معلم ... فإن رسوب العلم فى نفراته
ولم يذق ذل التعلم ساعة ... تجرع ذل الجهل طول حياته
ومن فاته التعليم وقت شبابه ... فكبر عليه أربعا لوفاته
حياة الفتى والله بالعلم والتقى ... إذا لم يكونا لاعتبار لذاته

** وله أيضا رضي الله عنه وأرضاه :

رأيت العلم صاحبه كريم ... ولو ولدته آباء لئام
وليس يزال يرفعه إلى أن ... تعظم أمره القوم الكرام
ويتبعونه فى كل حال ... كراعى الضأن نتبعه السوام
فلولا العلم ما سعدت نفوس ... ولا عرف الحلال ولا الحرام

** وقال أيضا بعضهم :

العلم مغرس كل فضل فاجتهد ... أن لا يفوتك فضل ذاك المغرس
واعلم بأن العلم ليس يناله ... من همُّه فى مطعم أو ملبس
إلا أخو العلم الذى يعنو به ... فى حالتيه عاديا أو مكتسِ
واحرص لتبلغ فيه حظًّا وافر ... واهجر له طيب المنام وغلس
لتعز حتى إن حضرت بمجلس ... أكرمت فيه وكنت صدر المجلس
إن الخلى من العلوم مقامه ... عند النعال له صموت الأخرس

** (وأما) عن الآثار الواردة فى فضل العلم والعلماء .

* قال الإمام الشافعى رضي الله عنه : (مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة) .

* (وعن) الحسن البصرى رضي الله عنه أنه قال : (لا أعلم شيئا أفضل من الجهاد

فى سبيل الله إلا أن يكون فى طلب العلم ، فإنه أفضل من الجهاد فى سبيل الله ، ومن خرج من بيته فى طلب باب من العلم حفته الملائكة بأجنحتها ، وصلَّت عليه الملائكة فى جوا السماء والسباع فى البر والحيتان فى البحر وآتاه الله أجر اثنين وسبعين صديقًا) .

* (وعن) أبى الدرداء ﷺ قال : (ما لى أرى علماء كم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون ، تعلموا العلم قبل أن يرفع بموت العلماء) .

* (ويقال) : العلماء سرج الأزمنة ، فكل عالم مصباح زمانه) .

* (وروى) عن سالم بن أبى الجعد ﷺ أنه قال : (اشترانى مولاى بثلاثمائة درهم فأعتقنى ، فقلت فى نفسى : بأى الحرفة أحترف .. فاخترت العلم على كل حرفه .. فلم يمض بى كثير مدَّة حتى أتانى الخليفة دائرة فلم آذن له) .

* (وعن) أبى الدرداء ﷺ أنه قال : (الناس رجلان عالم ومتعلم .. ولا خير فيما سوى ذلك) .

* (ويقال) : (من ذهب إلى عالم وجلس عنده ولم يقدر على حفظ شىء مما قاله .. إلا أعطاه الله سبع كرامات : أولها : ينال فضل المتعلمين ، وثانيهما : ما دام عنده جالسًا كان محبوسًا عن الذنوب والخطايا ، وثالثها : إذا خرج من منزله نزلت عليه الرحمة ، ورابعها : إذا جلس عنده نزلت الرحمة على العالم فتصيبه ببركته، وخامسها: تكتب له الحسنات ما دام مستمعًا ، وسادسها : تحفهم الملائكة بأجنحتها وهو فيهم ، وسابعها : كل قدم يرفعها ويضعها تكون كفارة للذنوب ورفعًا للدرجات وزيادة فى الحسنات ... هذا لمن لم يحفظ شيئًا ... وأما الذى يحفظه فله أضعاف ذلك مضاعفة) .

* (وعن) عمر ﷺ أنه قال : (إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة ... فإذا سمع العلم خاف الله واسترجع من ذنوبه فينصرف إلى منزله وليس عليه ذنب .. فلا تفارقوا مجالس العلماء .. فإن الله لم يخلق على وجه الأرض أكرم من مجالسهم) .

* (وقال) بعض العلماء : (لو لم يكن لحضور مجلس العلم منفعة سوى النظر إلى وجه العالم لكان الواجب على العاقل أن يرغب فيه .. فكيف وقد أقام النبى ﷺ العلماء مقام نفسه فقال : من زار عالمًا فكأنما زارنى ، ومن صافح عالمًا فكأنما صافحنى ، ومن جالس عالمًا فكأنما جالسنى ، ومن جالسنى فى الدنيا أجلسه الله تعالى معى يوم القيامة فى الجنة) .

* وروى الحسن قال : (مثل العلماء كمثل النجوم إذا بدت اهتدوا بها ، وإذا أظلمت تحيروا وموت العالم ثلمة فى الإسلام لا يسدها شىء ما اختلفت الليالى والأيام) .

* * (وهذه) آثار موجهة أيضًا إلى : السادة العلماء

* (فعن) أبى الدرداء رضي الله عنه أنه قال : (لا يكون الرجل عالمًا حتى يكون بالعلم عاملًا) .

* (وعن) سيدنا عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام أنه قال : (من علم وعمل فذاك الذى يدعى فى ملكوت السموات عظيمًا)

* (وعن) على كرم الله وجهه أنه قال : (إذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل أن يتعلم منه وإن جمع العلم كله) .

* (وقال) سيفيان بن عيينة : (من عمل بما علم فهو العالم ، ومن ترك العمل بما علم فهو الجاهل) .

* (وروى) عن بشر بن الحرث أنه كان يقول لأصحاب الحديث : (أدوا زكاة هذه الأحاديث .. قالوا : كيف نؤدى زكاتها ؟ قال : أن تعملوا من كل مائتى حديث بخمسة أحاديث) .

(وقد) قال العلماء : ينبغى للعالم أن يعرف نعمة الله عليه التى لا تحصى وأن يتخلق بالمحاسن الشريفة التى ورد الشرع بها من الزهد فى الدنيا ، وعدم المبالاة بها ، وبأهلها ، والسخاء ، والجود ، والكرم ، ومكارم الأخلاق ، وطلاقة الوجه من غير خروج إلى حد الخلاعة ، والتواضع ، واجتناب الضحك ، والإكثار فى المدح ، وملازمة الوظائف الشرعية ، كالتلطف بإزالة

الأوساخ ، والشعور التى ورد الشرع .. بإزالتها كقص الشارب ، وتقليم الأظفار ، وتسريح اللحية ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وإزالة الروائح الكريهة ، والملابس المكروهة ، وأن يطهر بطنه من الأنجاس المعنوية كالحسد والكبر والرياء والعجب ، واحتقار غيره وإن كان دونه [1] .. وينبغى أن يترفق بمن يقرأ عليه ويعظه ويحسن إليه بحسب حاله ... إلخ .

(٣) ومن الآثار والأخبار والأشعار

المرغبة فى القناعة والمرهبة من الطمع فى الدنيا :

(فقد) قال طاوس لعطاء : (إياك أن تطلب حوائجك ممن يغلق بابه دونك ، وعليك بمن بابه

مفتوح إلى يوم القيامة [2] ..أمر أن تسأله ووعدك أن يجيبك) .

* (وقال) الفضيل بن عياض : (أحب الناس إلى الناس من استغنى عن الناس ، وأبغض الناس إلى الناس من احتاج إلى الناس وسألهم ، وأحب الناس إلى الله عز وجل من سأله واستغنى به عن غيره ، وأبغض الناس إليه تعالى من استغنى عنه وسأل غيره)

* (وقال) ابن السماك : (إن فى طلب الحاجة من أخيه فتنة ، إن هو أعطاه حمد غير الذى أعطاه ، وإن منعه ذم غير الذى منعه .. لأنه لا معطى ولا مانع فى الحقيقة إلا الله) .

* (وكان) (بعضهم يضع سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه .. لأن السؤال فيه ذل وافتقار) .

* (وكان) بعضهم يقول : (من احتجت إليه هنت عليه) .

* (وقال) عامر بن قيس : (قرأت آيات فى كتاب الله تعالى فاستغنيت بها عن الناس، قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]

---

(١) أى : أقل منه .

(٢) وهو الله سبحانه وتعالى .

فلم أسأل غيره كشف ضرّى، وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧] فلم أرد الخير والفضل إلا منه، وقوله تعالى : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] فلم أطلب الرزق من غيره .. فأغنانى عن الناس بهذه الآيات .

** (واعلم) أن السؤال مذموم إذا كان لآدمى ، وأما سؤال الله سبحانه وتعالى فينبغى للإنسان أن لا يتركه فى أمر من الأمور .. لأنه سبحانه وتعالى أمرنا به حيث قال : ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢] .

وقال رسول الله ﷺ : « **إن الله يغضب إذا ترك العبد سؤاله ، وإن الله يحب من عباده الملحِّين فى الدعاء** » .

* والله در من قال .

لا تسألنَّ بنىَّ آدم حاجة ... وسل الذى أبوابه لا تغلق

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبنى آدم حين يسأل يغضب

* وقال الحسن البصرى : (لا يزال الرجل كريما على الناس حتى يطمع فى دنياهم ، فإذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه) .

* وقال أعرابى لأهل البصرة : (من سيدكم ؟ قالوا الحسن . قال : فبم سادكم ؟ قالوا : احتاج الناس إلى علمه ، واستغنى هو عن دنياهم .. فقال: ما أحسن هذا) .

* (وسأل) كعب الأحبار وهو تابع عبد الله بن سلام بحضرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (ما يذهب العلم من قلوب العلماء بعد ما حفظوه وعقلوه ؟ فقال : يذهبه الطمع وطلب الحاجات إلى الناس ، فقال : صدقت).

* (وقال) أبو الحسن الشاذلى : (دخل علىَّ بالمغرب بعض الأكابر فقال : ما أرى لك كبير عمل ، فبم فقت الناس وعظموك ؟ فقلت : بخصلة واحدة.. وهى الإعراض عنهم وعن دنياهم) .

* والله در من قال :

وجدت القناعة ثوب الغنى ... فصرت بأذيالها أتمسك

فألبسنى جاهها حلة ... يمر الزمان ولم تنتهك
فصرت غنيا بلا درهم ... أمرُّ على الناس كأنى ملك

* (وقد) ورد فى الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله** » . ذكر فى الجامع الصغير .. (ولكن) المستحب للعبد السعى والطلب كما قال تعالى : ﴿ فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥] . (مع) اعتقاد أن السعى على الرزق أخذ بالأسباب .

* وإلى هذا يشير أحدهم فى قوله :

من دام أن يأخذ الأشياء بقوته ... يفوته القصد تحقيقا مع التعب
وأقنع برزقك إن الرزق منقسم ... يأتى إليك من الرزق بالسبب

* وقال آخر :

يا طالب الرزق فى الدنيا بقوته ... تدور من بلد فيها إلى بلد
أتعبت نفسك فيما لست تدركه ... وضاع عمرك فى هم وفى نكد
لو طرت بين السماء والأرض مجتهدا ... فى شربة الماء غير الرزق لم تجد
أقصره عنك فإن الرزق منقسم ... يأتى إليك ولو فى جبهة الأسد

* وقال آخر :

الرزق يأتى وإن لم يسع صاحبه ... حتما ولكن شقاء المرء مكتوب
وفى القناعة كنز لا نفاد له ... وكل ما يملك الإنسان مسلوب

* وقال آخر :

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل ... الرزق فى اللوح مكتوب مع
فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا ... لكنه خلق الإنسان من عجل

** (واعلم) أن الدنيا دار غرور وامتحان .. ولهذا قال ﷺ : « **إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء** ».

** (ولهذا) ، فقد قال الله تبارك تعالى فى قرآنه : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِى الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠] .

(وقد) قال الله تبارك وتعالى فى صحف إبراهيم الخليل عليه السلام مخاطبا الدنيا : (يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تزينت لهم ، إنى قذفت فى قلوبهم بغضك والصد عنك .. ما خلقت خلقا أهون على منك .. إنى قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لأحد ولا يدوم لك أحد) .

* والله در من قال :

إن لله عبـــادا فطنـــا	طلقـوا الـدنيا وخـافوا الفتنـا
نظـروا فيهـا فلـما علمـوا	أنهـا ليسـت لحـى وطنـا
جعلوهـا لجـة واتخـذوا	صـالح الأعـمال فيهـا سـفنا

* (وقد) قيل لزاهد : (أى خلق أصغر ؟ فقال الدنيا ..لأنها لا تعدل عند الله جناح بعوضة ومن هوانها عند الله أنه خلقها ولم ينظر إليها ولا يعصى إلا فيها ، ولا ينال ما عنده إلا بتركها .. وإذا أردت أن تزهد فيها فانظر هى عند من وفى يد من) .

* (وقال) على كرم الله وجهه : (حلالها حساب ، وحرامها عقاب ، ومن طلبها فاتته ، ومن نظر إليها أعمته ، ومن استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن) .

* وقال الإمام مالك ﷺ : (الدنيا تخرج حلاوة الإيمان من القلب) .

* وقال حاتم الأصم عليه رضوان الله : (الدنيا مثل ظلك إن تركته تراجع وإن طلبته تباعد) .

* (وروى) عن يحيى بن معاذ الرازى أنه قال : (الدنيا مزرعة لرب العالمين ، والناس فيها زرعة ، وملك الموت منجلة ، والمقبرة مدارسه ، والقيامة تذريته ، والجنة بيت أحبابه ، والنار بيت أعدائه .. ففريق فى الجنة وفريق فى السعير) .

* (وروى) أن لقمان الحكيم قال لابنه (يا بنى .. إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير .. فاجعل سفينتك فيها تقوى الله ، والأعمال الصالحة بضاعتك التى تحمل فيها، والحرص عليها ربحك ، والأيام موجها ، وكتاب الله دليلها ، ورد النفس عن الهوى حبالها ، والقيامة أرض المتجر التى تخرج إليها ، والله مالكها) .

** (وقد) اختلف الناس فى التفضيل بين الدنيا والآخرة .. فذهب قوم إلى أن الدنيا أفضل من الآخرة .. واحتجوا له بأمور (ومنها) أن الدنيا وسيلة والآخرة مقصد .. وقد يوجد فى الوسائل ما لا يوجد فى المقاصد (ومنها) أن الدنيا مزرعة للآخرة ، وطريق موصلة إليها .. فلا ينتهى الإنسان إلى دار الآخرة إلا بعد سلوكه فى دار الدنيا .. ومن زرع زرعا حصده .. ومن عمل عملا وجده .. قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٨]

(ومنها) أن الدنيا دار تكليف وعمل ، والآخرة دار جزاء وفضل .. ولا خفاء أن العمل أفضل من الجزاء ؛ لما ورد أن أهل القبور يودون أن يرجعوا إلى الدنيا ليعملوا فيها خيرا .. لما رؤوه من ثواب الأعمال (ومنها) ما ورد من مدحها فى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن .. عليها ينال الخير ، وبها ينجوا من الشر .. وإذا قال العبد : لعن الله الدنيا .. قالت الدنيا : لعن الله أعصانا لربه** » .

* (وذهب) آخرون إلى أن الآخرة أفضل .. واحتجوا بأمور : (منها) : أن الدنيا وإن عظم أمرها وتنهاى فخرها بما يوجد فيها من الأعمال الصالحات .. فهى آيلة إلى الفناء والزوال ..ومن المعلوم أن الدائم الباقى أفضل من الزائل الفانى (ومنها) : أن فيها يؤول أمر المؤمن إلى الخلود فى الجنان والخيرات الحسان ، والخير العظيم ، والنعيم المقيم ، والنظر إلى وجه الله الكريم وغير ذلك مما ورد فى الخبر مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

* ومما ورد فى ذم الدنيا :

سـألت عـن الـدنيا الدنيـة قيـل لى	هـى الـدار فيهـا الـدائرات تـدور
إذا ضـحكت أبكـت وإن أحسـنت	و إن عـدلت يومـا فسـوف تجـور

* والقائل الآخر :

إنـما الـدنيا غـرور ومحنـة	فالسـفيه الجهـول مـن يصـطفيها
مـا مضى فـات والمؤمـل غيـب	و لـك السـاعة التـى أنـت فيهـا

والقائل الآخر :

أرى طالـب الـدنيا وإن طال عمرهـا	ونـال مـن الـدنيا سرورا وأنعـما
كبـان بنـى بيـت فأقامـه	فلـما اسـتوى مـا قـد بنـاه تهـدما

والقائل الآخر :

هـى الـدنيا تقـول لطالبيهـا	حـذار حـذار مـن بطشـى وفتكـى
فـلا يغـرركم مـن ابتسـام	فقـولى مضـحك والفعـل مبكـى

** (هذا) ، وأحب أن أذكر الأخ المؤمن .. بأنه من الخير له .. أن ينتفع بطول عمره ..

* (فقد) ورد فى فضل طول العمر للمؤمن من أخبار منها ما روى (عن) أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : ((**ما من معمر يعمر فى الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء : الجنون ، والجذام ، والبرص .. فإذا بلغ الخمسين : سهل الله له الحسنات .. فإذا بلغ الستين : رزقه الله الإنابة بما يحب .. فإذا بلغ السبعين : أحبه الله تعالى وأحبه أهل السماء.. فإذا بلغ الثمانين : تقبل الله حسناته وتجاوز عن سيئاته .. فإذا بلغ التسعين : غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله فى الأرض وشفع فى أهل بيته .. فإذا بلغ مائة سنة : سمى جيش الله فى الأرض .. وحق على الله أن لا يعذب جيشه فى الأرض**)) .

* ولله در الشيخ الإمام صالح بن أبى شريف الأندلس ، فلقد قال :

ابـن عشر مـن السـنين غـلام	رفعـت عـن نظـيره الأقـلام
وابـن عشريـن للصّـبا والنصـابى	لـيس بثنيـه عـن هـواه مـلام

و الثلاثـون عـن قـوة وشـباب	و هيـام ولوعـة وغـرام
فـإذا ازداد بعـد ذلـك عشرا	فكـمال وشـدة وتمـام
وابـن خمسـين مـر عنـه صباه	فـيراه كأنـه أحـلام
وابـن سـتين سـيرته الليـالى	هـدفا للمنـون وهـى سـهام
وابـن سـبعين لا تسـلنى عنـه	فـابن سـبعين لـيس عليـه كـلام
فـإذا ازداد بعـد ذلـك عشرا	بلـغ الغايـة التـى لا تـرام
وابـن تسـعين عـاش مـا قـد كفـاه	واعترتـه وسـاوس وسـقام
فـإذا ازداد بعـد ذلـك عشرا	فهـى حـى كميـت والسـلام

* (وعن) أبى بكر رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله أى الناس خير؟ قال: « **من طال عمره وحسن عمله** » ، قال: فأى الناس شر ؟ قال : « **من طال عمره وساء عمله** » . رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

* (وعن) عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « **من بلغ الثمانين من هذه الأمة لم يعرض ولم يحاسب وقيل له : أدخل الجنة** » ، وفى الخبر أن الله تعالى ينظر فى وجه الشيخ فى اليوم خمس مرات فيقول : « ابن آدم .. كبر سنك ، ووهن عظمك ، وقرب أجلك ، فاستحى منى .. إنى أستحى أن أعذب ذا شيبة » ذكره القرطبى فى تذكرته .

(ومن) الآثار والأخبار والأشعار الواردة :
فى فضل التقوى والمتقين

(وذلك) من خلال المعنى المراد من قول الشاعر :

واتـــق الله فتقـــوى الله مـــا جـاورت قلـب امـرئ إلا وصـل

(فإن) المراد هو أن نتبع الأوامر ونجتنب المنهيات ..لأن اتباع المأمور به واجتناب المنهى عنه .. ما جاور قلب امرئ من الناس .. ذكرًا كان أو أنثى .. إلا وصل لربه سبحانه وتعالى .. (وعلى) هذا ، فإن المراد بالتقوى هو إتباع الأوامر واجتناب النواهى (فمن) المأمور به : أنواع الطهارة كالوضوء، والغسل ، والتيمم ، وإزالة النجاسة (ومنه) الصلاة بأنواعها، فرضًا ونفلا عينا وكفاية (ومنه) أيضًا :الزكاة بأنواعها والصوم بأنواعه ، والحج والعمرة بأنواعها (ومنه) أيضًا أنطع المعاملات كالبيع والسلم والصلح، والحوالة، والإجارة، ونحو ذلك (ومنه) أيضًا: الأنكحة، والأصدقة [1]، والطلاق، والرضاع، والنفقات، ونحو ذلك (ومنه) أيضًا: فروض الكفايات: كالجهاد ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وإحياء الكعبة بالحج كل عام ، وغير ذلك (ومنه) أيضا : ما كمل الله به نبيه محمدًا ﷺ من مكارم الأخلاق : كالزهد ، والورع ، والتوكل ، والقناعة ، وحسن الخلق : وكظم الغيظ ، والعفو عند القدرة ، وقضاء حوائج المسلمين ، وغير ذلك . (ومن) المنهى عنه : الشرك بالله تعالى ، وقتل النفس بغير حق ، والزنا والربا ، وشرب الخمر، والسرقة ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات المصونات المؤمنات الغافلات ، والغيبة ، والنميمة ، وأكل أموال الناس ظلمًا وعدوانًا : كالغضب ونحو ذلك .. (وكل) هذه المأمورات والمنهيات .. داخلة تحت قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠]، ومثلها قوله تعالى :﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧] وإذا اتبع

---

(١) جمع صداق المرأة .

الإنسان الأمر واجتنب النهى فقد جاورت التقوى قلبه وصار فى كل وقت يشاهد ربه .. فيكون حينئذ سامعًا بالله ، ناطقًا بالله ، باطشًا بالله ، ماشيًا بالله ، متحركًا بالله ، ساكنًا بالله وهو معنى قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : « **وما تقرب إلى عبدى بشىء أفضل مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطيته ، ولئن استعاذ بى لأعيذنه** » . رواه البخارى . (واعلم) أن التقوى وأن قل لفظها .. كلمة كثيرة المعنى شاملة لخيرى الدنيا والآخرة .. إذ هى تجنب كل منهى عنه .. وفعل كل مأمور به . (وهذا) هو الإسلام فى أسمى معانيه .. (وقد) سئل الإمام على كرم الله وجهه (عن) التقوى ؟ فقال : (هى: الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل) .

(وقال) عمر عبد العزيز رحمه الله وأرضاه : (التقوى : ترك ما حرم الله ، وأداء ما فترض الله .. فما رزق الله بعد ذلك فهو خير إلى خير) .

(وقيل) : (تقوى الله أن لا يراك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك) ، (ولهذا) قال بعضهم لشخص: (إذا أردت أن تعصى الله فاعصه حيث لا يراك ، واخرج من داره ، وكل رزقًا غير رزقه) .

(وقال) أكثر المفسرين فى قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣] ، أنها نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى .. أسر المشركين أبنًا له يسمى سالمًا .. فأتى رسول الله ﷺ وشكا الفاقة [١] إليه ، وقال: إن العدو أسر ابنى وجزعت الأم فما تأمرنا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « **اتق الله وأصبر ، وآمرك وإياها أن نكثر - من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم** » فعاد إلى البيت وقال لامرأته إن رسول الله ﷺ أمرنى وإياك أن تكثر من قول لا حول ولا قوة ألا بالله العلى العظيم.. فنعم ما أمرنا به .. فجعلا يقولانها .. فغفل العدو عن ابنه فساق

---

(١) أى: الفقر .

غنمهم وجاء به إلى أبيه .. وهى أربعه آلاف شاة .. فنزلت الآية .. ا . هـ .

(ولما) ولى على رضي الله عنه الخلافة بعث رجلًا على سرية ، فقال : (أوصيك بتقوى الله الذى لا بد لك من لقائه ، ولا منتهى لك من دونه ، وهل تملك الدنيا والآخرة إلا بالتقوى) .

* (وفى) منهاج العارفين : (أن بعض الصالحين قال لبعض أشياخه أوصنى ، قال : أوصيك بوصية رب العالمين الأولين والآخرين ، وهى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣١] ، وفى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال :من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله .. قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣] .

* ولله در من قال :

من عرف الله فلم تغنه ... معرفة الله فذاك الشقى

ما يصنع العبد بعز الغنى ... والعز كل العزّ للمتقى

* وقال بعضهم :

إذا المرء لم يلبث ثيابًا من التقى ... تقلب عريانًا ولو كان كاسيًا

وخير لباس المرء طاعة ربّه ... ولا خير فيمن كان لله عاصيا

* ولأبى الدرداء رضي الله عنه :

يريد المرء أن يعطى مناه ... ويأبى الله إلا ما أرادا

يقول المرء أن فائدتى ومالى ... وتقوى الله أفضل ما استفادا

* (وقد) ورد فى الحديث الشريف عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « **إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم يقول الله عز وجل : يا أيها الناس .. إنى قد جعلت لى نسبًا وجعلت لكم نسبًا .. فوضعتم نسبى ورفعتم نسبكم .. قلت : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣] وأبيتم إلا فلان ابن فلان .. فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبى .. أين المتقون فينصب للمتقين لواء فيتبعون لواءهم فيدخلون الجنة بغير حساب** » ا . هـ .

**ولله در من قال :

يـــا مبتغـــى العـــز والســـلامة ... الـــزم ثلاثًـــا تلـــق الكرامـــة
لا تســـأل المـــرء مـــا لديـــه ... ولا تـــرى آكـــلًا طعامـــه
ولا تـــرى ذاكـــرًا بســـوء ... مـــا عشـــت خلقًـــا إلى القيامـــة
وزد لهـذى الـثلاث التقـوى الإلـه ... تكمـــل تكمـــل لـــك الســـلامة

ولله در من قال :

ولا تمشـى إلا مـع رجـال قلـوبهم ... تحـن إلى التقـوى وترتـاح للـذكر

(٤) (ومن) الآثار والأخبار والأشعار الواردة ، فى الفقر والغنى والاكتساب .

(فقد) ورد (عن) أنس بن مالك ﷺ قال : بعث الفقراء رسولًا إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله إنى رسول الفقراء إليك .. فقال : «**مرحبًا بك وبمن جئت من عندهم .. جئت من عند قوم أحبهم الله** » ، فقال: يا رسول الله إن الأغنياء قد ذهبوا بالخير كله .. هم يحجون ونحن لا نقدر عليه ، ويتصدقون ونحن لا نقدر عليها .. فإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخرًا ..فقال ﷺ : « **بلغ عنى الفقراء أن لمن صبر منكم واحتسب ثلاث خصال ليس للأغنياء منها شيء .. أما الخصلة الأولى : فإن فى الجنة غرفة من ياقوتة حمراء ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى النجوم لا يدخلها إلا نبى فقير أو شهيد ، أو مؤمن فقير ، والثانية : يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو مقدار خمسمائة عام يتمتعون فيها كيف شاءوا .. ويدخل سليمان بن داود عليه السلام بعد دخول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الجنة بأربعين سنة وذلك بسبب ما أعطاه الله تعالى فى الدنيا، والثالثة: إذا قال الفقير : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر مخلصًا ويقول الغنى مثل ذلك مخلصًا لم يلحق الغنى الفقير وإن أنفق الغنى معها عشرة آلاف درهم ، وكذلك أعمال البر كلها** » فرجع إليهم الرسول وأخبرهم بذلك .. فقالوا : رضينا يا رب . ا.هـ .

*(وإن) صح الحديث هذا ونحوه .. فإن المراد هم الفقراء الصابرون الراضون الآخذون بأسباب التوسعة .. كما أمرنا الله تعالى فى قوله: ﴿ هُوَ الَّذِى

جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك:١٥] .
(وهذا) هو التوكل الحقيقى المشار إليه فى قول الرسول ﷺ : « **لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا**[١] » .. (وقد) قال العلماء إن السعى لا ينه فى التوكل .. مستدلين بما ورد فى قصة الأعرابى الذى أراد دخول المسجد على النبى ﷺ وناقته بيده..فقال: يا رسول الله أرسل ناقتى توكلًا على الله عز وجل أم أعقلها؟ فقال النبى ﷺ : « **اعقلها وتوكل** » . (هذا) مع ملاحظة أنه إذا كان النبى ﷺ قد ذكر الغدو والرواح فى طلب الرزق .. فقال : « **تغدو خماصًا وتروح بطانا** » .. فلا شك أنهما سببان فى الرزق ..كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله:

ألم تـــر أن الله أوحـــى لمـــريم فهزى إليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أدنى الجذع من غير هزه إليها ولكن كل شئ له سبب

(وقد) قيل لبعض الحكماء : ما خير المكاسب؟قال : خير مكاسب الدنيا:طلب الحلال لزوال الحاجة ، والأخذ منه للقوة على العبادة ،وتقديم فضله[٢] لزاد يوم القيامة (وأما)خير مكاسب الآخرة :فعلم معمول به نشرته ، وعمل صالح قدمته ، وسنة حسنة أحييتها .. قيل : وما شر المكاسب ؟ قال : أما شر مكاسب الدنيا : فحرام جمعته ، وفى المعاصى أنفقته ولمن لا يطيع ربه خلفته .. (وأما) شر مكاسب الآخرة : فحق أنكرته حسدًا ، ومعصية قدمتها إصرارًا ، وسنة سيئة أحييتها عدوانًا . (وعن) النضر بن يحيى قال : بلغنا عن بعض أهل العلم أنه قال : (لا يقوم الدين والدنيا إلا بأربعة: بالعلماء ، والأمراء وأهل القرآن ، وأهل الكسب) :

** وبعض الزهاد فسر هذا الكلام فقال :

*(أما) العلماء فهم ورثة الأنبياء وهم يدلون الخلق إلى الآخرة والناس يقتدون بهم (وأما) الأمراء : فهم الرعاة يرعون الخلق ، (وأما) أهل القرآن: فهم جند الله على الأرض لقمع الكفار ويقولون: دين الله الإسلام ،

(١) رواه الترمذى وقال: حديث حسن .
(٢) أى الزائد منه عن الحاجة .

(وأما) أهل الكسب : فهم أمناء الله تعالى لمصلحة الخلق ..(ثم) قال : إذا صارت الرعاة ذئابًا فمن يرعى الغنم ، والعلماء إذا تركوا العلم واشتغلوا بالدنيا. فبمن يقتدى الخلق ، والقراء إذا أركنوا للفخر والخيلاء وخرجوا للطمع فمن يظفر بالعدو ، وأهل الكسب إذا خانوا الناس فكيف تأمن بهم الناس).

** (واعلم) أن للكسب آفات: كالكذب، والأيمان الكاذبة وغير ذلك. (قال) قتادة: (وكان يقال: التاجر كيف يتخلص وهو يحلف بالنهار ويحسب بالليل) .

* وقال بعض الحكماء : (إذا لم يكن فى التاجر ثلاث خصال افتقر فى الدارين جميعًا : (أولها) : أن يكون لسانه نقيًا عن ثلاثة : الكذب ، واللغو ، والحلف (وثانيها) : أن يكون صافيًا من ثلاثة : الغش ، والخيانة ، والحسد ، (وثالثها) : أن يكون محافظًا لثلاث : الجمعة ، والجماعات ، وطلب العلم فى بعض الساعات) .

* (وعن) على بن أبى طالب رضي الله عنه قال : (التاجر إن لم يكن فقيهًا ارتطم فى الربا ثم ارتطم ثم ارتطم ، .. يعنى غرق فيه .. فإذا لم يعرف الحلال من الحرام لم يأمن إن يقع فى الربا) .

* (وقال) سفيان الثورى رحمه الله : (لا تنظر إلى أهل السوق فإن تحت ثيابهم ذئابًا) .

* (وعن) ابن شبرمة رحمه الله قال : (العجب ممن يحتمى من الحلال مخافة الداء ، فكيف لا يحتمى من الحرام مخافة النار) .

* (وقال) أحد الحكماء أكرمه الله : (الناس فى الكسب على خمس مراتب: (منهم) من يرى الرزق من الله تعالى ومن الكسب : فهو مشرك (ومنهم) من يرى الرزق من الله ولا يدرى أيعطيه أم لا فهو منا في شاك (ومنهم) من يرى الرزق من الله تعالى ويعصى الله لأجل الكسب ولا يؤدى حقه كما أمر الله تعالى : فهو مؤمن مسىء (ومنهم) من يرى الرزق من الله تعالى ويرى الكسب سببًا ويخرج حقه ولا يعصى الله لأجل الكسب: فهو مؤمن مخلص) .

(٥) (ومن) الآثار والأخبار والأشعار الواردة :

فى التحذير من التبذير وعكسه

* فقد قال الله تعالى لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ [الإسراء:٢٩] أى : لا تمسك عن الإنفاق حتى تضيق على نفسك وأهلك فلا تصل رحمك ، ولا تتوسع فى الإنفاق توسعًا زائدًا حتى لا تبقى فى يدك شيئًا ، بل توسط بين ذلك كما قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان:٦٧] ، أى حالًا وسطًا ... فقد علم من هذا: النص على قبح البخل والتبذير ، وأما البخل فقبحه لا يحتاج إلى النص عليه ، فقد ورد فى ذمه من الآيات والأحاديث والآثار ما لا يحصى ، قال الله تعالى : ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٠] .

* (وقال) عليه الصلاة والسلام : « **أقسم الله بعزته وعظمته وجلاله أن لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل** » .

* (وقال) على رضي الله عنه : « **البخيل يتعجل الفقر لنفسه .. يعيش فى الدنيا عيش الفقراء ، ويحاسب فى الآخرة حساب الأغنياء** » . وأما) التبذير (فقد) ورد فى ذمه آيات وأحاديث وآثار كثيرة (قال) تعالى : ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورا﴾ [الاسراء:٢٧] ، (وقال) عليه الصلاة والسلام: « **آفة الجود السرف** » .(وقال) معاوية رضي الله عنه : (ما رأيت سرفًا قط إلا وإلى جانبه حق مضيع) . (وقال بعضهم : السخاء خلق مستحسن ما لم ينته إلى سرف وتبذير.. فإن من بذل جميع ما يملكه لمن يستحقه لم يسم سخيًا ، وإنما يسمى مبذرًا ومضيعًا) .

*(ورأى) أبو ذر الغفارى معاوية يومًا وقد أنفق مالًا كثيرًا فقال له : (إن كان هذا من بيت المال فأنت خائن . والله لا يهدى كيد الخائنين .. وإن كان

من مالك فأنت مسرف .. والله لا يحب المسرفين .) . وقالوا : (ما وقع تبذير فى كثير ألا هدمه ودمره ، ولا دخل تدبير إلا أكثره).

* (وقال) أبو بكر الصديق ﷺ إنى لأبغض أهل بيت ينفقون رزق الأيام الكثيرة في يوم واحد .

* (وقال) معاوية بن أبى سفيان ﷺ لولده يزيد : (إنك إن أعطيت مالك فى غير الحق يوشك أن يجيء الحق وليس معك ما تعطى فيه) وقال : التدبير يثمر وينمى القليل ، والتبذير يمحق ويدمر الكثير .

(وكان) عبد الله بن الجعفرى من الأجواد الذين يغمرون بجودهم طوائف العباد وانتهى به الإفلاس إلى أن سأله رجل فقال له : إن حالى متغيرة بحوادث الزمان ، ولكن أعطيك ما أمكننى .. فأعطاه رداء كان عليه ثم دخل منزله ، فقال : اللهم استرنى بالموت .. فما لبث بعد دعوته إلا أيامًا قلائل .. ولله در من قال :

ولقد قدمت على الرجال طالما ... قدم الرجال عليهم فتموّلوا
أخنى الزمان عليهم فكأنهم ... كانوا بأرض أجدبت فتحولوا
الجود أفلسهم وغير حالهم ... فاليوم إن سئلوا النوال تبخلوا

** (واعلم أن اصطناع المعروف إلى اللئام من الإسراف والتبذير .. (ولذلك) قال بعضهم : (أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام) ، (وقال) بعضهم : (لا حسرة أعظم من نعمة أسديت إلى غير ذى حسب ولا مروءة) ، (وقال) بعضهم: (مانع المعروف فى غير أهله كالمسرج فى الشمس).

ولله در من قال :

متى تسدد معروفًا إلى غير أهله ... رزئت ولم تظفر بحمد ولا أجر

** (وقد) قال الفقهاء : (الأصح أن سرف المال فى الصدقات ووجوه الخيرات وفى المطاعم والملابس ليس بتبذير ولا إسراف .. لأن فى الصدقات غرضًا وهو حصول الثواب .. لأن المال إنما يجمع للانتفاع به فى المأكل والملابس وغير ذلك وقال مجاهد : لو كان أبو قبيس – الجبل المشهور –

لرجل ذهبا ثم أنفقه فى طاعة الله لم يكن إسرافا:ولو أنفق رجل درهما واحد فى معصية الله كان إسرافا (وقيل)للحسن بن سهل وكان كثير العطاء : لا خير فى السرف.. فقال :لا سرف فى الخير. ولله در من قال

ذهاب المال فى حمد وأجرا ذهاب لا يقال له ذهاب

(ومن)أجمل ما قرأت فى هذا ، أنه (لما) أتى بسبايا طيئ للنبى ﷺ أنه قالت له شابة من السبى..(يا محمد هلك[1] الوالد ، وغاب الوافد [2] ، فإن رأيت أن تمن على وتخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب .. فإنى أبنة سيد قومها .. إن أبى كان يحمى الذمار[3] ، ويفك العانى[4]، ويشبع الجائع ، ويكسو العارى ، ويفشى السلام ، ولا يرد طالب حاجة أبدا) ، فقال عليه الصلاة والسلام ، : « **من أبوها ؟** » قالوا : حاتم طيئ . فقال ﷺ : « **خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق** » ، فخرجت إلى أخيها عدى وكان بدومة الجندل [5]، فقالت : ائت هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله .. فإنى رأيت هديا ورأيا ستغلب به أهل الغلب .. رأيت خصالًا أعجبتنى .. رأيته يحب الفقير ، ويفك الأسير ، ويرحم الصغير ، ويعرف حق الكبير ، وما رأيت أحدًا أجود منه ولا أكرم . أ . هـ .

* (وقال) لقمان الحكيم : (ثلاثة لا تعرف إلا فى ثلاثة : لا يعرف الحلم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه). (وكان) الإمام الشافعى ﷺ يقول:

جزى الله الشدائد كل خير عرفتُ بها عدوى من صديقى

* (وكان) عليه رضوان الله يقول :

صديق ليس ينفع وقت بأس [6] بعيد بل عدو بالقياس

---

(١) أى مات .

(٢) وغاب الوافد : أى الوارد .

(٣) الذمار هو ما وراء الرجل مما يحق له أن يحميه .. وسمى ذمارًا ، لأنه يجب على أهله التذمر أى التشجيع له .

(٤) **العانى** : أى الأسير .

(٥) دومة الجندل بين المدينة والشام .

(٦) أى وقت الشدة .

(٦) (ومن) الآثار والأخبار والأشعار الواردة : فى العفو عند القدرة والحلم عند الغضب

* (فقد) ورد (عن) رسول الله ﷺ أنه قال: (إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد : أين أهل الفضل ؟ فيقوم أناس وهم يسير فينطلقون سراعًا إلى الجنة .. فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم : إنا نراكم سراعًا إلى الجنة .. فيقولون : نحن أهل الفضل .. فيقولون لهم : ما كان فضلكم ؟ فيقولون : كنا إذا ظلمنا صبرنا ، وإذا أسىء إلينا غفرنا ، وإذا جهل علينا حلمنا .. فيقال لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين) (وفى) رواية : (إذا جثت الأمم بين يدى الله عز وجل يوم القيامة نودوا : ليقم من كان له أجر على الله .. فلا يقوم إلا العافون عن الناس فى الدنيا) وإلى ذلك يشير الله تعالى بقوله : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠].. . (وعن) عائشة رضي الله عنها ، قالت : (ما رأيت رسول الله ﷺ منتصرًا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله ، فإذا انتهك من محارم الله شىء كان أشدهم فى ذلك غضبًا ، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا).

*(وقال) ﷺ : قال موسى عليه السلام : (يا رب أى عبادك أعز إليك ؟ قال: الذى إذا قدر عفا) .

* (وقال) ﷺ : « **التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة .. فتواضعوا يرفعكم الله ، والعفو لا يزيد العبد إلا عزًا .. فاعفوا يعزكم الله ، والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة .. فتصدقوا يرحمكم الله** » ولله در من قال :

ليست الأحلام فى حين الرضا ... إنما الأحلام فى حين الغضب

* (وقال) عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: (ما قرن الله شيئًا إلى شىء أفضل من علم إلى حلم ، ومن عفو إلى قدرة) ، وقال أيضًا رضي الله عنه : (استدعوا العفو من الله بالعفو عن الناس ، والرحمة بهم ، والشفقة عليهم) .

* (ويقال) : (ما شىء أشد على الشيطان من عالم معه حلم .. إن تكلم بعلم ، وإن سكت بحلم ، يقول الشيطان : سكوته أشد على من كلامه).

* (وروى) أن عيسى عليه السلام ، قال : (ليس الإحسان أن تحسن إلى

من أحسن إليك إنما ذلك مكافأة .. وإنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك) ويقال : الكريم أوسع ما يكون مغفرة إذا ضاقت بالمسىء المعذرة . ولله در من قال :

إذا اعتذر المسىء إليك يومًا ... من التقصير عذر فتى مقر

فصنه من عتابك أو عف عنه ... فإن العفو شيمة كل حر

* (وروى) عند المنصور رجل بذنب، فقال : يا أمير المؤمنين : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) فإن أخذت فى غيرى بالعدل فخذ فى بالإحسان .. فعفا عنه) ، وغضب يومًا على بعض الكتاب فأمر بضرب عنقه ، فقال :

وإنا الكاتبون وإن أسأنا ... فهبنا للكرام الكاتبينا

فعفا عنه .. (وكان) يقول : (لذة العفو أطيب من لذة التشفى ..لأن لذة العفو يلحقها حمد العافية ، ولذة التشفى يلحقها ذم الندم) وفى هذا المعنى يقول أحدهم :

لذة العفو إن نظرت بعين الـ ... ـعدل أشهى من لذة الانتقام

هذه تكسب المحامد والمجـ ... ـد وهذى تجىء بالآثام

(وجىء) برجل إلى الهادى فجعل يقرعه ويهدده فقال : (يا أمير المؤمنين اعتذارى عما تقر عنى عليه رد عليك ، وإمساكى عن الاعتذار يوجب ذنبًا لم أحبه) : ثم قال :

فإن كنت تبغى بالعقاب تشفيًا ... فلا تزهدن عند التجاوز فى الأجر

فعفا عنه .ا. هـ.

* (وقال) معاوية ﷺ : (لا يبلغ العبد مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله ، وصبره شهوته ، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم) وله ﷺ فى الحلم أخبار مشهورة :

* (منها) أنه كتب إلى عقيل بن أبى طالب ﷺ يعتذر إليه من شىء جرى بينهما، يقول: (من معاوية بن أبى سفيان إلى عقيل بن أبى طالب: أما بعد .. يا بنى عبد المطلب فأنتم والله فروع قصى، ولباب عبد مناف، وصفوة هاشم..

فأين أخلاقكم الراسية ، وعقولكم الكاسية ، ولقد والله أساء أمير المؤمنين ما كان جرى ، ولن يعود لمثله إلى أن يغيب فى الثرى [1]) ، فكتب إليه عقيل : صدقت وقالت حقا غير أني .. أرى أن لا أدراك ولأترانى فركب إلية معاوية ﷺ وناشده فى الصفح عنه واستعطفه حتى رجع. (ومنها) أنه كان له أرض وعبيد: بجوار أرض عبد الله بن الزبير ﷺ ،فدخل فيها عبيدة.. فكتب إليه يقول : (أما بعد..إن عبيدك دخلوا أرضى فانهم عن ذلك، وإلا كان لى ولك شأن والسلام)، فلما وقف على الكتاب دفعه لولده يزيد، وقال له يزيد ما ترى؟ قال: أرى أن تبعث إليه جيشا أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه..فقال له:غير هذا خير ثم كتب كتابا يقول فيه :(أما بعد..فقد وقفت على كتاب ولد حوارى رسول الله ﷺ وساءنى ما ساءه، والدنيا بأسرها هينة عندى فى جنب رضاه، وقد نزلت عن أرضى لك فأضفها إلى أرضك. بما فيها من العبيد والأموال والسلام)، فلما وقف ابن الزبير عليه كتب إليه: (قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، ولا أعدمه الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل، والسلام)، فلما وقف معاوية عليه رميه به إلى ابنه .. فلما رآة تهلل وجهه أسفر [2] ، فقال له : (يا بنى.. من عفا ساد، ومن حلم عظم ، ومن تجاوز استمال إليه القلوب ، فإذا ابتليت بشىء من هذه الأمور فداوه . بمثل هذا الدواء) .

*وما أحسن قول بعضهم :

إذا ما طاش حلمك عن عدو	وهان عليك هجران الصديق
فلست إذا أخا عفو وصفح	ولا لأخ على عهد وثيق
إذا زل الرفيق وأنت ممن	بلا رفق بقيت بلا رفيق
وإن أنت اتخذت أخا جد يدا	لما أنكرت من خلق عتيق
فما تدرى لعلك مستجير	من الرمضاء فر إلى الحريق
فكم من سالك لطريق أمن	أتاه ما يحاذر فى الطريق

(١) **الثرى** : أى التراب .

(٢) تهلل وجه الرجل من فرحة ، وأسفر وجهه حسنا ، أى : أشرق .

* ولله در من قال :

أحسن إلى الناس تستعبد رقابهم ... فطالما استعبد الإحسان إحسان

وإن أساء مسيء فليكن لك فى ... عراض زليه صفح وغفران

وكن على الدهر معوانا لذى أمل ... يرجو نداك فإن الحر معوان

* وأيضا ما أجمل قول أحدهم :

ولا تقطع أخالك عند ذنب ... فإن الذنب يغفره الكريم

ولا تعجل على أحد بظلم ... فإن الظلم مرتعه وخيم [1]

ولا تعنف عليه وكن رفيقا ... فقد بالرفق تلتئم الكلوم [2]

ولا تفحش ولو ملئت غيظا ... على أحد فإن الفحش لوم

** (ثم) اعلم : أن الغضب قد يكون فى بعض المواضع أنفع من الحلم ، كما قال النابغة الجعدى :

ولا خير فى علم إذا لم تكف له ... بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

ولما أنشد هذا البيت للنبى ﷺ قال : (لا يفضض الله فاك) ، فعاش مائه وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية . (وقال) على كرم الله وجهه : (الخير بالخير ، والبادئ أكرم ، والشر بالشر والبادئ أظلم) .

* (وقال) أبوا نواس :

فى الناس إن جربته ... من لا يعزك أو تذله

فاترك مدارة اللئيم ... فإن فيها العجز كله

(وقال) الشعبى يعجبنى الرجل إذا سيم هوانا دعته الأنفة إلى المكافأة (وجزاء سيئة سيئة مثلها[3] ..) ، فبلغ كلامه الحجاج ، فقال ، لله دره ، أى رجل بين جنبيه ، وأنشد :

ولا خير فى عرض امرئ لا يصونه ... ولا خير فى حلم امرئ ذل جانبه

---

(١) وخيم : أى ثقيل .

(٢) تلتئم الكلوم : أى تُسد الجراح .

(٣) أى رجل بين جنبيه : كناية عن كونه رجلًا عظيمًا .

* وقال المتنبى :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وأن أنت أكرمت اللئيم تمردا

*وما أجمل أيضًا قول أحدهم :

أذل الكريم فكن حليمًا ... فإن الحلم حينئذ مزية

وإن جاء اللئيم إليك عمدًا ... بما كسبت يداه من الأسية

ولم يخضع لعفوك باعتراف ... فعجل بالمكافأة القوية

فإن الحر يكفيه ملام ... وإن العبد تصلحه الأذية

فعامل كل إنسان بحكم ... وفى هذا ترى فصل القضية

(٧) (ومن) الآثار والأخبار والأشعار الواردة : فى التوبة إلى الله تبارك وتعالى

* (فقد) قال الله تعالى فى قرآنه : ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] أى: وأقلعوا عن ذنوبكم لعلكم بعفو ربكم تفوزون.. فإن الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات .. ولله در من قال :

بادر إلى التوبة فى وقتها ... فالمرء مرهون بما قد جناه

وأنتهز الفرصة إن أمكنت ... ما فاز بالكرم[1] سوى من جناه

* (هذا) مع ملاحظة أنه إذا كانت التوبة واجبة . فإن هناك ما هو أوجب منها ،و كما قال الأمام الشافعى ﷺ : وكان قد سئل عن ثمانية أمور : عن الواجب والأوجب ، والعجيب والأعجب ، والصعب والأصعب ، والقريب والأقرب .. ؟ فأجاب بقوله :

من واجب الناس أن يتوبوا ... لكن ترك الذنوب أوجب

والدهر فى صرفه عجيب ... وغفلة الناس عنه أعجب

والصبر فى النائبات صعب ... ولكن فوات الثواب أصعب

وكل ما ترتجى قريب ... والموت من دون ذاك أقرب

* (وعلى) هذا .. فإنه لابد لكى يكون العبد فعلًا من التائبين بصدق ..

---

(١) الكر م : شجر العنب .

أن يترك الذنب أولًا .. وإلا كان غير صادق فى توبته .

* (ولهذا) فقد قال أحدهم : (توبتنا تحتاج إلى توبة ، واستغفارنا يحتاج إلى استغفار) . (وقد) قال الإمام النووى رضي الله عنه فى كتابه رياض الصالحين . تحت عنوان : باب التوبة .

* قال العلماء : التوبة واجبه من كل ذنب .. فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط :

أحدهما : أن يقلع عن المعصية ، والثانى : أن يندم على فعلها ، والثالث : أن يعزم أن لا يعود إليها أبدًا ، فإن فقد أحد الثلاثة لم تصلح توبته .

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها أربعة ، هذه الثلاثة - أى الماضية أعلاه - وأن يبر أمن حق صاحبها . فإن كانت مالًا أو نحوه رده إليه ، وإن كان حد قذف مكنه منه أو طلب عفوه ، وأن كان غيبة أستحله منها . ويجب أن يتوب من جميع الذنوب ، فأن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقى علية الباقى .. وقد تظاهرت دلائل الكتاب ، والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة .. قال الله تعالى : ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] وقال الله تعالى : ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣] ، وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم: ٨] .

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **والله أنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة** » . رواه البخارى .

** (ولا بد) وأن يكون هناك رجاء فى الله تبارك وتعالى .. لأن الله تبارك وتعالى يقول :﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

* (وعن) أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **قال الله تعالى: يا بن آدم إنك ما دعوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى يا بن آدم : لو بلغت ذنوبك عنان[1] السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ، يا بن آدم : إنك لو**

(١) قيل: هو السحاب وقيل : ما عن لك منها أى ظهر إذا رفعت رأسك .

أتيتني بقراب[2] الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتينك بقرابها مغفرةً » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

* (وعن) عائشة رضي الله عنها ، قالت : لما أراد الله أن يتوب على آدم - عليه السلام - صلى ركعتين ، وقال : اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي ، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي.. اللهم إني أسالك إيمانًا يباشر قلبي ، ويقينًا صادقًا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبته لي ورضني بما قسمت لي .. (فأوحى) الله إليه : يا آدم .. غفرت لك ذنبك ، ولن يأتيني أحد من ذريتك يدعوني بمثل ما دعوتني إلا غفرت له ذنوبه ، وكشفت غمومه ، ونزعت الفقر من بين ، عينه ، وجاءته الدنيا وهو لا يريدها) (وقال) صلى الله عليه وسلم : « **ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب ، وما من شيء أبغض إلى الله من شيخ [3] مصر على معاصيه** » .

(وقد) ورد في الحديث القدسيّ .. عن رب العزة سبحانه وتعالى أنه قال : « **أحب ثلاثا وحبيِّ لثلاث أشد ، : أحب أهل السخاء وحبي للفقير السخي أشد ، وأحب المتواضعين وحبي للغني المتواضع أشد ، وأحب التائبين وحبي للشاب التائب أشد ، وأبغض ثلاثا وبغضي لثلاث أشد : أبغض البخلاء وبغضي للغني البخيل أشد ، وأبغض المتكبرين وبغضي للفقير المتكبر أشد ، وأبغض الفساق وبغضي للشيخ الفاسق أشد** » .

* ولله در ابن حجر رحمه الله ، فلقد قال :

خليلَّ ولَّى العمر منا ولم نتب	وننوى فعال الصالحين ولكنا
فحتى متى نبني بيوتا مشيدة	وأعمارنا منّاً تهدُّ وما تُبنا

(ومن) توسلاته رحمه الله :

يا رب أعضاء السجود عتقتها	من فضلك الوافي وأنت الواقي
والعتق يسري في الغني يا ذا الغني	فامنن على الفاني بعتق الباقي

---

(٢) أي: بما يقارب ملء الأرض خطايا .

(٣) المراد بالشيخ هنا .. أي : الرجل المسن .

(وعن) الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « **إذا تاب العبد أنس الله الحفظة ذنوبه وأنس ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله وليس عليه شاهد بذنب**» . وعنه ﷺ أنه قال : « **إذا تاب العبد وحسنت توبته أو قدت الملائكة بينه وبين سماء الدين سبعين قنديلًا من نور ، وينادى المنادى : ألا إن فلان قد اصطلح الليلة مع سيده .. فإذا سمع إبليس ذلك .. ذاب كما يذوب الملح فى الماء** » (فالعاقل) من تاب إلى الله تعالى وأناب وتذكر العرض ومناقشته الحساب .. فإن الله تعالى بقوله فمن تاب ورجع بعد أن بغى واعتدى : ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه:٨٢] .

* (وقد) ورد أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : (يا داود ..لو يعلم المدبرون [١] عنى كيف انتظارى لهم ، ورفقى بهم ، وشوقى إلى ترك معاصيهم .. لماتوا شوقًا إلى وتقطعت أوصالهم [٢] من محبتى .. يا داود .. هذه أرادتى فى المدبرين عنى .. فكيف إرادتى فى المقبلين على) .

ولقد أحسن من قال :

أسيء فيجزى بالإساءة إحسان ... وأعصى فيولينى من الحلم إمهالًا

فحتى متى أجفوه وهو يبرنى ... وأبعد عنه وهو يبذل إيصالا

وكم مرة قد زغت[٣] عن نهج طاعة ... ولا حال عن ستر القبيح ولا زالا

*(وقال) الأصمعى – رحمه الله – سمعت شابًا يقول هذه الأبيات :

ألا أيها المقصود فى كل وجهة ... شكوت إليك الضر فارحم شكايتى

ألا يارجائى أنت تكشف كربتى ... فهب لى ذنوبى كلها واقض حاجتى

أتيت بأعمال قباح رديئة ... وما فى الورى عبد جنى كجنايتى

أتحرقنى بالنار ياغاية المنى ... فأين رجائى ثم أين مخافتى

* (يقول) الأصمعى : ثم سقط مغشيًا عليه .. فدنوت منه .. فإذا هو

(١) يقال: أدبر الرجل : إذا ولى .
(٢) الأوصال : أى الفاصل .
(٣) وقد زغت : أى ملت .

زين العابدين بن على بن الحسين بن على رضي الله عنهم أجمعين .. فرفعت رأسه فى حجرى وبكيت .. فقطرت دمعة على خده .. فقال : من هذا الذى يهجم علينا فقلت : عبدك الأصمعى . سيدى ما هذا البكاء والنحيب ، وأنت من أهل بيت الحبيب .. والله تعالى يقول : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] ؟ ، فقال : هيهات هيهات [1] .. إن الله تعالى خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان حرًّا عبدًا حبشيًّا وخلق النار لمن عصاه ولو كان قرشيًّا .. أليس الله يقول : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١، ١٠٢].

* (وفى) الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**إنى لأخوفكم من الله وأشدكم له خشية**» .

* (وقال) أبو بكر الصديق رضي الله عنه : «**لو كانت إحدى رجلى فى الجنة والأخرى على بابها ما أمنت من مكر الله [2]**» .

* ولله در من قال :

يـا أيهـا المغـرور قـم وانتبـه	قـد فاتـك المطلـوب والركـب سـار
إن كنـت أذنبـت فقـم واعتـذر	إلى كـريم يقبـل الاعتـذار
وانهـض إلى مـولى عظيـم الرجـا	يغفـر بالليـل ذنـوب النهـار

* (ورأى) بعضهم أبا نواس - الشاعر - بعد موته فقال : ما فعل الله بك؟ فقال : غفر لى بأربعة أبيات وفقنى الله لها قبل الموت، وها هى تحت الوسادة.. فبحث عنها .. فإذا هى :

يـا رب إن عظمـت ذنـوبى كثـيرة	فلقـد علمـت بـأن عفـوك أعظـم
إن كـان لا يرجـوك إلا محسـن	فمـن ذا الـذى يـدعو ويرجـو المجـرم
أدعـوك رب كـما أمـرت تضرعًـا	فلـئن رددت يـدى فمـن ذا يـرحـم
مـا لى إليـك وسـيلة إلا الرجـا	وجميـل عفـوك ثـم إنـى مسـلم

---

(١) أى : بعد .

(٢) أى : من عذابه .

قل للذى ألف الذنوب[1] وأجرما	وغدا على زلاته متندما
لا تيأس من الجميل فعندنا	فضل ينيل التائبين تكرمًا
يا معشر العاصين جودى واسع	توبوا ودونكم المنى والمغنما
لا تقنطوا فالذنب مغفور لكم	إنى الجدير بأن أجود وأرحما

(فطوبى) لعبد تخلص من أوحاله وسعى في تحسين أحواله ، وأقبل على باب مولاه الكريم ولم يعرض عن جنابه العظيم وفهم الإشارات من هذه الأبيات:

* (جعلنا) الله ممن اصطفاه وستر بفضله ذنوبه ، وملأ من فيض إحسانه ذنوبه :

فهو الذى أوجد الأشياء وقدرها	وهو الذى يرحم العاصى ويستره
يخفى القبيح ويبدى كل صالحة	ويغمر العبد إحسانًا ويشكره
ومن يلوذ به فى دفع نائبة	يعطيه من فضله عزًا وينصره
فنسأل الله جميعًا حسن خاتمة	عند المهات وصفوًا لا يكدره

اللهم آمين

** ارجع إلى كل هذا الذى وقفت عليه بالتفصيل فى :

١ - كتاب: فتح الرحمن بشرح لأمية بن الوردى المسمى بنصيحة الإخوان رحمه الله.

٢ - كتاب : تحفة العصر الجديد ، ونخبة الأدب المفيد .. للإمام عبد المجيد الشرنوبى الأزهرى .. رحمه الله . الصادر فى ١٣١٦ هـ .

(هذا) بالإضافة إلى إضافات أخرى من رياض الصالحين .. للإمام النووى .. وبعض المراجع الأخرى المعتمدة إن شاء الله .

*(ثم) إليك أيها الأخ الواعظ بصفة خاصة .. بعض الأقوال المأثورة التى اخترتها لك . والتى أرى أنك - إن شاء الله - ستحتاج إليها فى وعظك

---

(١) الذنوب: بفتح الذال : أى الدلو العظيم .

وإرشادك .. فإليك :

١) فى وصف الدنيا

*(قال) أحد الحكماء : (الدنيا ميراث المغرورين ، وميدان الفاسقين ، وسوق الراغبين ، ومسكن البطالين ، وسجن المؤمن ، ومزبلة المتقين ، ومزرعة العاملين) .

*(وقال) آخر : (الدنيا كسوق انتصب وانفض ، ربح فيه الرابحون وخسر فيه الخاسرون) . وورد أنه حديث شريف .

* (وقال) الإمام على كرم الله وجهه (الدنيا أولها بكاء وأوسطها غناء ، وأخرها فناء).

*(وقال) أحد الحكماء : تطلب الدنيا لثلاث : (للغنى والعز والراحة .. فمن قنع استغنى ، ومن زهد فيها عز، ومن قل سعيه استراح) .

٢) فى وصف المؤمن والمنافق

*(سئل) رسول الله ﷺ عن علامة المؤمن والمنافق ، فقال : « **إن المؤمن همته فى الصلاة والصيام ، والمنافق همته فى الطعام والشراب كالبهيمة** » .

* وقال حاتم الأصم - رحمه الله - فى وصف المؤمن :

(المؤمن مشغول بالفكر والعبر ، والمنافق مشغول بالحرص والأمل ، والمؤمن آيس من كل أحد إلا من الله ، والمنافق راج كل أحد إلا الله ، والمؤمن آمن كل أحد إلا من اله والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله ماله دون دينه، والمنافق يقدم دينه دون ماله ، والمؤمن يحسن ويبكى ، والمؤمن يسىء ويضحك، والمؤمن يحب الخلوة والوحدة ، والمنافق يحب الخلطة والملأ ، والمؤمن يزرع ويخشى الفساد ، والمنافق يقلع ويرجو الحصاد ، والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصتلح ، والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد .. وأول ما يمتحن حسن الخلق الصبر على الأذى ، واحتمال الجفاء) .

*(وقد) قرأت تحت عنوان :

أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه عين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضيًا على المدينة _ وكان هذا بعد أن أصبح الصديق خليفة لرسول الله ﷺ _ فمكث عمر سنة لم يفتتح جلسة ، ولم يختصم إليه اثنان .. (فذهب) إلى أبى بكر وطلب منه إعفاء من القضاء ... فقال له الصديق : أمن مشقة القضاء جئت تطلب الإعفاء ياعمر ؟ فقال : لا يا خليفة رسول الله ، ولكن لا حاجة بى عند قوم مؤمنين .. عرف كل منهم ما له من حق فلم يطلب أكثر منه ، وما عليه من واجب فلم يقصر فى أدائه ، أحب كل منهم لأخيه ما يجب لنفسه ، إذا غاب أحدهم تفقدوه ، وإذا مرض عادوه ، وإذا افتقر أعانوه ، وإذا احتاج ساعدوه، وإذا أصيب واسوه ، دينهم النصيحة، وخلقهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .فهم يختصمون ياخليفة رسول الله ؟).

* (وقال) الفضيل بن عياض رحمه الله : (المؤمن رؤيته شفاء ، وموعظته دواء ، ينتفع برؤيته قبل روايته ، وخيره بادر ، وشره نادر).

* (وقال) آخر : (المؤمن قليل الكلام كثير العمل ، والمنافق كثير الكلام قليل العمل) .

* (وقال) ذو النون المصرى - رحمه الله- : (المؤمن بشره فى وجهه ، وحزنه فى قلبه ، أوسع صدرًا وأخفى نفسًا ، زاجرًا عن كل شر ، آمرًا بكل خير.. لا حقود ، ولا حسود ، ولا مرتاب ، ولا سباب ، ولا عياب .. يكره الرفعة ويبغض السمعة .. طويل الهم فى الآخرة ، كثير الغم فى الدنيا [1].. حليف الصمت ، عزيز الوقت .. لا متفاخر ولا متهتك ولا متكبر .. ضحكه تبسم ، واستفهامه تعلم ، ومراجعته تفهم .. لا يبخل ولا يعجل ولا يضجر ولا يجهل .. قليل المنازعة ، جميل المراجعة .. عدل إن غضب .. رفيق إن طلب .. خليص الود ، وثيق العهد ، وفى الوعد شفوق وصول حليم حمول ، قليل الفضول .. راض عن مولاه .. مخالف لهواه ، لا يغلظ على من يؤذيه ،

(١) أى : عندما يرى فيها فسادًا وانحلالًا .

ولا يخوض فيما لا يعنيه .. إن سب وأوذى لم يسب ، وإن طلب ومنع لم يغضب، ولا يشمت بمصيبة ، ولا يذكر أحدًا بغيبة .. هشاش بشاش .. لا فحاش ولا غشاش.. بسام .. دقيق النظر عظيم الحذر.. فهذا هو المؤمن حقًّا).

٣) فى الإخوان

* (قال) علقمة بن لبيد يوصى ولده : (يا بنى .. إن احتجت إلى صحبة الرجال .. فاصحب من إن صحبته زانك ، وإن أصابتك خصاصة[١] أعانك ، وإن قلت سدد قولك ، وإن صلت قوى صولتك ، وإن بدت منك ثلمة سدها ، وإن رأى منك حسنة عدها ، وإن سألته أعطاك ، وإن نزلت بك إحدى المهمات واساك[٢]، من لا يأتيك منه البوائق [٣]، ولا تختلف عليك منه الطرائق) .

* وفى هذا المعنى يقول أحدهم :

إن أخاك الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب [٤]الزمان صدعك ... شتت فيك شمله ليجمعك

* (وقد) يكون العكس هو الصحيح ، وإلى هذا يشير أحدهم فى قوله :

وإخوان اتخذتموهم دروعا ... فكانوها ولكن للأعادى

وخلتهمو سهاما صائبات ... فكانوها ولكن فؤادى

وقالوا قد صفت منا قلوب ... نعم صدقوا ولكن من ودادى

وقالوا قد سعينا كل سعى ... لقد صدقوا ولكن فى فسادى

* (وهذا) هو ما يحدث غالبًا من أكثر الناس .. ولهذا قال أحدهم :

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم ... والمنكرون لكل أمر منكر

وبقيت فى خلف يزين بعضهم ... بعضًا ليدفع معور عن معور

---

(١) الخصاصة : أى الفقر .
(٢) الثلمة : هى الخلل فى الحائط أو غيره .
(٣) واساك : أى أعانك .
(٤) البوائق : جمع بائقة وهو الشر الشديد .

*وقال بعضهم :

فما الناس بالناس الذين عهدتهم … وما الدار بالدار التى كنت أعرف

وكانت عائشة رضي الله عنها تتمثل بقول لبيد :

قديما كان فى الناس أناس … بهم تحيا العلا والمكرمات

فلما غال فعل الخير دهر … به عاش الخنا والمكر ماتوا

* وقيل لبعضهم : لم اعتزلت الناس ؟ فقال :

من أجل هذا الناس أبعدت المدى … ورضيت أن أبقى ومالى صاحب

إن كان فقر فالقريب مباعد … أو كان مال فالبعيد مقارب

* (وقال) أبو الربيع لداود الطائى : غطنى ، فقال : صم عن الدنيا ، واجعل فطرك الآخرة ، وفر من الناس فرارك من الأسد . (وقال) الحسن : كلمات أحفظهن من التوراة : قنع ابن آدم فاستغنى ، اعتزل الناس فسلم ، ترك الشهوة فصار حرًا ترك الحسد فظهرت مروءته ، صبر قليلًا فتمتع طويلًا .

* (وقال) لسهل : أريد أن أصحبك ... فقال : إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر ؟ فقال : الله . قال : فليصحبه الآن . (وفى) هذا المعنى يقول أحدهم :

خذ من الناس جانبا … وارض بالله صاحبًا

*(وقيل) لإبراهيم بن أدهم : لم لم تصحب الناس ؟ فقال : إن صحبت من هو دونى آذنى بجهله ، وإن صحبت من هو فوقى تكبر ، وإن صحبت من هو مثلى حسدنى ، فاشتغلت بمن ليس فى صحبته ملال ، ولا فى وصلة انقطاع ، ولا فى الأنس به وحشة - وهو الله سبحانه وتعالى .

*(وقد) ورد فى الحديث الشريف : « من أراد صاحبًا فالله يكفيه ، ومن أراد واعظًا فالموت يكفيه .. ومن لم يرضى بهؤلاء الأربعة .. فالنار تكفيه» .

*(وقد) أشار أحدهم إلى ما نلمسه جميعًا من أكثر المنافقين من الناس فقال :

ومـا أحـد مـن ألسـن سـالمًا	ولـو أنـه ذاك النبـى المطهـر
فإن كان مقداما [1] يقولون أهوج [2]	وإن كان مفضالًا [3] يقولون مبذر
وإن كان سكيتًا يقولون أبكم	وإن كان منطيقًا [4] يقولون مهذر
وإن كان صوامًا وبالليل قواما	يقولون زوار [5] يرائى ويمكر
فلا تكثر بالناس فى المدح والثناء	ولا تخش غير الله والله أكبر

❊(ولهذا) فإننى أنصح بقول الطغرائى :

أعدى عدوك أدنى من وثقت به	فحاذر الناس واصحبهم على دَخَلِ
وإنما رجل الدنيا وواحدها	من لا يعول فى الدنيا على رجل
وحسن ظنك بالأيام معجزة	فظن شرًا وكن منها على وجل
غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت	مسافة الخلف بين القول والعمل
وشأن صدقك عند الناس كذبهم	وهل يطابق معوج معتدل

(وعلى) الأخ المسلم إذا أراد أن يعرف من هو الصديق..

أن يلاحظ المراد من قول الإمام الشافعى رضي الله عنه :

جزى الله الشدائد كل خير	عرفت بها عدوى من صديقى

(وعندما) ستتعرف علية إن شاء الله تعالى عن طريق المعاملة ..فإنه ينبغى أن يكون من الأخيار الذين من الخير أن تصحبهم ..كما قال أيضا الإمام الشافعى رضي الله عنه : (لولا صحبة الأخيار، ومنجاة المولى بالأسحار ما أحببت البقاء فى هذه الدار) .

واحرص طوال حياتك على تنفيذ وصية الرسول ﷺ التى يقول فيها : **(لا تصاحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقى [6])**، لأن المؤمن كما ورد

---

(1) أى: كثير الأقدام على العدو بشجاعة .
(2) **الأهوج** : أى الذى به تسرع وحمق .
(3) رجل **مفضال** :أى ذا فضل .
(4) **منطيقًا** : أى بليغًا .
(5) أى : كثير الزوار.
(6) رواه أبو داود والترمذى .

أيضًا فى الحديث : (كله منفعة .. إن شاورته نفعك ، وإن شاركته نفعك وإن ماشيته نفعك .. فأمره كله منفعة) . والله ولى التوفيق

٤) داء ودواء

ذهب رجل إلى أحد الصالحين يشكو له من مرض البعد عن الله .. فوصف له هذا الدواء :

(عليك بعروق الإخلاص ، وورق الصبر ، وعصير التواضع ، ثم ضع ذلك فى إناء التقوى ، وصب عليه ماء الخشية ، وأوقد عليه بنار الحزن ، وصفه بمصفاة المراقبة ، وتناوله بكف الصدق ، واشربه من كأس الاستغفار، وتمضمض بالورع ، وابعد نفسك عن الحرص والطمع .. تشفى من مرضك بإذن الله) .

* (وروى) عن عيسى عليه السلام أنه قال : (البر فى ثلاثة : فى النطق ، والنظر ، والصمت .

(فمن) كان منطقة فى غير ذكر فقد لغا (ومن) كان نظره فى غير اعتبار فقد سها (ومن) كان صمته فى غير فكر فقد لها) .

(من صحف إبراهيم الخليل عليه السلام)

يقول الله تعالى : (يا دنيا .. ما أهونك على الأبرار الذين تزينت لهم .. إنى قذفت فى قلوبهم بغضك والصبر عنك ... ما خلقت خلقًا أهون على منك .. إنى قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لأحد ولا يدوم لك أحد) .

٥) (من علامات المسلم)

(قوة فى دين ، وحزم فى لين ، وإيمان فى يقين ، وعلم فى حلم ، وكيس فى رفق ، وإعطاء فى حق ، وقصد فى غنى ، وتجمل فى فاقة ، وإحسان فى قدرة ، وصبر فى شدة ، لايغلبه الغضب ، ولا تجمع به الحمية ، لا تغلبه شهوة ، ولا تفضحه بطنه، ولا يستخفه حرصه، ولا تقصر به نيته، فينصر المظلوم، ويرحم الضعيف ، لا يبخل ولا يبذر ، ولا يسرق ولا يقتر .. يغفر إن ظلم ، ويعفو

عن الجاهل ، نفسه منه فى عناء ، والناس منه فى رخاء) .

(ومن علامات المحب)

(قليل الخلطة، كثير الخلوة، دائم التفكير ظاهر الصمت، لا يبصر إذا نظر، ولا يسمع إذا نودى، ولا يفهم إذا كلم، ولا يحزن إذا ابتلى بمصيبة، وإذا أصيب بجوع فلا يدرى، ويعرى ولا يشعر، ويشتم ولا يخشى، ينظر إلى الله تعالى فى خلوته، ويأنس به ويناجيه، ولا ينازع أهل الدنيا فى دنياهم) .

(ثلاثة لايعرفون إلا عند ثلاثة)

(لا يعرف الحليم إلا عند الغضب،ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا أخوك إلا عند الحاجة إليه).

من وصايا لقمان الحكيم لولده :

٦) (أتريدون شيئًا بشىء؟)

وقفت أعرابية على جماعة فقالت لهم : ما الكرم يرحمكم الله ؟ فقالوا : بذل المعروف ، والإيثار على النفس ، قالت : هذا فى الدنيا فما هو فى الدين ؟ قالوا : بذل المجهود فى العبادة ، واجتناب محارمه ، والوقوف عند حدوده ، قالت : أفتريدون على ذلك جزاءً ؟ قالوا : نعم ، قالت : ولم ؟ قالوا : لأن الله وعد الحسنة عشر أمثالها ، فقالت : سبحان الله ، فإذا أعطيتم واحدة على أنكم تأخذون عشرًا فأين الكرم ؟ قالوا : فما هو يرحمك الله ؟ قالت : أن يعبد الله حق عبادته لا يراد على ذلك جزاء يفعل بكم مولاكم مايشاء .. ألا يستحيون من الله تعالى أن يطلع على قلوبكم فيعلم أنكم تريدون شيئًا بشىء) .

وقال على ﷺ :

(من اشتاق إلى الجنة : سارع إلى الخيرات ، ومن خاف من النار : نهى نفسه عن الشهوات ، ومن تيقن من الموت : هانت عليه الملذات) .

٧) (علام الهم؟)

مر إبراهيم بن أدهم ﷺ على رجل ينطق وجهه بالهم والحزن ... فقال له :

أيها الرجل .. إنى سائلك عن ثلاث فأجبنى .. قال الرجل نعم . فقال إبراهيم : أيجرى فى هذا الكون شىء لا يريده الله ؟ قال : كلا قال : أفينقص من رزقك شىء قدره الله ؟ قال كلا ، قال : أينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك فى هذه الحياة ؟ قال : كلا ، فقال إبراهيم : فعلام الهم إذن ؟) .

*(وقيل) أوحى الله إلى داود عليه السلام ... (يا داود ... تريد وأريد ، ولا يكون إلا ما أريد .. فإن سلمت لما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لما أريد .. أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد) .

(من هو العاقل المصيب ؟)

العاقل المصيب من عمل ثلاثًا :

(من ترك الدنيا قبل أن تتركه ، وبنى قبرًا أن يدخل فيه ، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه) ، والعاقل المصيب :

*(من عرف الله تعالى فأطاعه ، وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الحق فاتبعه ، وعرف الباطل فاتقاه ، وعرف الدنيا فرفضها ، وعرف الآخرة فطلبها) .

٨) (بديهة واعظ)

** جلس نحوى فى مجلس وعظ ، فسمع الواعظ يلحن ، فقال له النحوى: أخطأت يا لحنة - أى يا كثير اللحن - فقال الواعظ العارف بالله :

*(أيها المعرب فى أقواله ، اللاحن فى أفعاله ، ما لى أراك تائهًا مفكرًا .؟ أكل ذلك لأنك رفعت ، ونصبت ، وخفضت ، وجزمت .. هلا رفعت يدك إلى الله فى جميع الحاجات ، ونصبت بين عينيك ذكر المات ، وخفضت نفسك عن الشهوات ، وجزمتها عن اتباع المحرمات .. أو ما علمت أنه لايقال لك يوم القيامة : ألا كنت فصيحًا معربًا، وإنما يقال لك: لم كنت عاصيًا مذنبًا ؟ فلو كان الأمر كما زعمت،والخطب كما حكمت لكان هارون أحق بالرسالة من موسى .. إذ قال الله إخبار منه : ﴿وَأَخِى هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤] ، فجعل الرسالة فى موسى لفصاحة تبيانه ، لا لفصاحة لسانه ..

فالفصاحة فصاحة الجنان لا فصاحة اللسان .. وأنشد يقول :

مجـــازف فى الفعـــال ذو ذلـــل ... حتـــى إذا جـــاء قولـــه وزنـــه

قـــال وقـــد أعجبتـــه لفظتـــه ... تهيـــا وعجبًـــا أخطـــأت يـــا لحنـــة

فقلـت: أخطـأت الـذى يقـوم غـدًا ... ولا يـــرى فى كتابـــه حســـنة

٩) (من رباعيات الخيام .. ترجمة أحمد رامى)

عـاشر مـن النـاس كبـار العقـول ... وجانـب الجهـال أهـل الفضـول

واشرب نقيـع السـم مـن عاقـل ... واسكب عـلى الأرض دواء الجهـول

زخـــارف الـــدنيا أســـاس الألم ... وطالـــب الـــدنيا نـــديم النـــدم

فكـــن خـــلى البـــال مـــن أمرهـــا ... فكـــل مـــا فيهـــا شـــقاء وهـــم

الـــدرع لا تمنـــع ســـهم الأجـــل ... والمـــال لا يدفعـــه إن نـــزل

وكـــل مـــا فى عيشـــنا زائـــل ... لا شـــىء يبقـــى غـــير طيـــب العمـــل

الله يـــدرى كـــل مـــا تضـــمر ... يعلـــم مـــا تخفـــى ومـــا تظهـــر

وإن خـــدعت النـــاس لم تســـتطع ... خـــداع مـــن يطـــوى ومـــن يـــنشر

يـا مـن نسيت النـار يـوم الحسـاب ... وعفـــت أن تشرب مـــاء المتـــاب

أخـــاف إن هبـــت ريـــاح الـــردى ... عليـــك أن يـــألف منـــك الـــتراب

١٠) (ومن أقوال الصالحين فى الموت وما بعده)

* (قال) الميدانى :

العمر مثل الضيف أو كالطيف له إقامة .

وأخو الحجا فى سائر الأحوال مرتقب حمامة [1]

والجاهل المغتر من لم يجعل التقوى اغتنامه .

* (وكان) ابن السماك يعاتب نفسه ويقول لها : (تقولين قول الزاهدين، وتعملين عمل المنافقين، ومع ذلك الجنة تطلبين أن تدخليها .. هيهات هيهات .. للجنة قوم آخرون، ولهم أعمال غير ما نحن عاملون) .

---

(١) الحمام : بكسر الحاء : أى الموت .

*(وكان) آخر يعاتب نفسه ويقول لها : (ويحك يا نفس .. ما الذى يصلى عنك بعد الموت ، ما الذى يصوم عنك بعد الموت ، ما الذى يتصدق عنك بعد الموت ، ما الذى يزكى عنك بعد الموت ، ما الذى يحج عنك بعد الموت،.. وهكذا ثم يقول : أيها الناس .. ألا تبكون وتنتحبون على أنفسكم .. فمن كان الموت موعده ، والقبر بيته ، والثرى فراشه ، والدود مؤنسه ، وخوف الفزع الأكبر يزعجه .. كيف يلتذ بمنام) .

*(وقال) سليمان بن عبد الملك لأبى حازم رحمه الله : (يا أبا حازم ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة .. فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب .. قال : يا أبا حازم .. كيف القدوم على الله تعالى ؟ قال : يا أمير المؤمنين .. أما المحسن فكا الغائب يأتى أهله فرحًا .. وأما المسيء فكالعبد الآبق[1] يأتى مولاه خائفًا محزونًا) .

*(وكان) على رضي الله عنه يقول : (من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ، ومن خاف من النار نهى نفسه عن الشهوات ، ومن تيقن من الموت هانت عليه الملذات) .

*(وروى) أن الأرض تنادى فى كل يوم بخمس كلمات فتقول :

(يا بن آدم .. تمشى على ظهرى ومصيرك إلى بطنى ، يا بن آدم .. تضحك على ظهرى فسوف تبكى فى بطنى ، يابن آدم .. تفرح على ظهرى فسوف تحزن فى بطنى ، يا بن آدم .. تأكل الألوان على ظهرى فسوف تأكل الديدان فى بطنى ، يا بن آدم .. تذنب على ظهرى فسوف تعذب فى بطنى) .

(من الأحاديث القدسية)

(عن) مكحول .. قال النبى ﷺ : قال الله تعالى : « **يابن آدم .. أنعمت عليك نعماً عظامًا لا تحصى عددها ، ولا تطيق شكرها .. وإن مما أنعمت عليك.. أن جعلت لك عينين تنظر بهما ، وجعلت لهما غطاءً ، فانظر بعينيك**

(١) أى: العبد الهارب من سيده .

إلى ما أحللت لك .. فإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما .. (وجعلت) لك لسانًا .. وجعلت له غلافًا .. فانطق بما أمرتك وأحللت لك فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك .

(وجعلت) لك فرجًا .. وجعلت لك سترًا .. فأصب بفرجك ما أحللت لك .. فإن عرض عليك حرام ..فأرخ عليك سترك..ابن آدم .. إنك لا تحمل سخطى ، ولا تطيق انتقامى » .

(وفى) حديث قدسى آخر يقول الله عز وجل :

(يا بن آدم .. لا تغتر بشبابك .. فكم من شاب سبقك إلى الموت .. يا بن آدم .. لا تفرح بدنياك فلست بمخلد . يا بن آدم .. استحى منى عند معصيتك.. أستحى منك فلا أعذبك) .

(وعن) رب العزة سبحانه وتعالى أنه قال : «أنا الله .. لا إله إلا أنا ، ملك الملوك ، ومالك الملك ، قلوب الملوك كلها فى يدى . فإن أطاعنى عبادى .. حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة .. وإن العباد إذا عصونى حولت قلوبهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب .. فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك ولكن اشغلوا أنفسكم بالذكر والتقرب أكفكم ملوككم » . رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى الدرداء .

(قال) داود فيما يخاطب ربه : يا رب أى عبادك أحب إليك أحبه بحبك ؟ قال : يا داود .. أحب عبادى إلى : تقى القلب ، نقى الكفين ، لا يأتى إلى أحد سواء ، ولا يمشى بالنميمة .. تزول الجبال ولا يزول .. أحبنى .

*(قال) داود فيما يخاطب ربه : يا رب أى عبادك أحب إليك أحبه بحبك؟ قال : يا داود أحب عبادى إلى : تقى القلب ، نقى الكفين ، لا يأتى إلى أحد سوءًا ، ولا يمشى بالنميمة .. تزول الجبال ولا يزول .. أحبنى وأحب من يحبنى وحببنى إلى عبادى .. قال يا رب ..إنك لتعلم أنى أحبك

وأحب من يحبك .. فكيف أحببك إلى عبادك ؟ فقال: ذكرهم بآلائى [1] وبلائى ونقمائى .. يا داود .. إنه ليس من عبد يعين مظلومًا أو يمشى معه فى مظلمته إلا أثبت قدميه يوم تزول الأقدام » .رواه البيهقى ، وابن عساكر عن ابن عباس .

* (وفى) الحديث القدسى عن رب العزة :

« يا بن آدم .. لا تخف من سلطان مادام سلطانى باقيا .. وسلطانى لا ينفذ أبدا .. يابن آدم .. لا تأنس بغيرى وأنا لك .. فإنك إن طلبتنى وجدتنى وأن أنست بغيرى فاتك .. وفاتك الخير كله، يابن آدم .. خلقتك للعبادة فلا تلعب، وقسمت لك رزقك فلا تتعب، إن كثر فلا تفرح، وإن قل فلا تجزع» .

وفيه : « كيف أجود برحمتى على من بخل بطاعتى» .

(١) بآلاء : أى النعم .

وهذه أيضا مختارات من مجموعة النظم والنثر
طبعة وزارة المعارف العمومية
أرجو أن ينتفع بها كذلك الأخ الواعظ فى وعظه وإرشاده .

١) من القصيدة النونية

لأبى الفتح على بن محمد البستى _ المتوفى سنة ٤٠٠هـ

دع الفؤاد من الدنيا وزخرفها ... فصفوها كدرٌ والوصل هجران
وأوع سمعك أمثالاً أفضلها ... كما يفصل ياقوتٌ ومرجان
أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإحسان إحسان
ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته ... أتطلب الربح مما فيه خسران ؟
أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان
وكن على الدهر معواناً لذى أمل ... يرجو نداك فإن الحر معوان
واشدد يديك بحبل الله معتصمًا ... فإنه الركن إن خانتك أركان

٢) وللمتنبى المتوفى سنة ٣٥٤هـ فى الحكم

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله ... وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ... حتى يراق على جوانبه الدم
والظلم من شيم النفوس فإن تجده ... ذا عفة فلعلة لا يظلم
ومن البلية عذل من لايرعوى ... عن جهله وخطاب من لا يفهم
ومن العداوة ما ينالك نفعه ... ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

٣) ولأبى العتاهية ...المتوفى سنة ٢١١هـ

فى النصيحة :

أسلك بنى مناهج السادات ... وتخلقن بأشرف العادات
لاتلهينك عن معادك لذة ... تفنى وتورث دائم الحسرات
وإذا اتسعت برزق ربك فاجعلن ... منه الأجل لأوجه الصدقات
وارع الجواد لأهله متبرعاً ... بقضاء ما طلبوا من الحاجات
واخفض جناحك إن منحت إمارة ... وارغب بنفسك عن ردى[1] اللذات

---

(١) أى : عن الهلاك الذى يعقب اللذات

وله فى الوعظ:

أنلهـــو وأيامنـــا تـــذهب	ونلعـــب والمـــوت لا يلعـــب؟
عجبـت لـذى لعـب قـد لهـا	عجبـت ! ومـا لى لا أعجـب؟
أيلهـو ويلعـب مـن نفسـه	تمـوت ومنـزله يخـرب ؟
نـرى كـل مـا سـاء دائـما	علـى كـل مـا سرنـا يغلـب
نـرى الليـل يطلبنـا والنهـار	ولم نـدر أيهـما أطلـب
أحـاط الجديـدان [1] جمعـاً بنـا	فلـيس لنـا عـنهما مهـرب
وكـل لـه مـدة تـقضى [2]	وكـل لـه أثـر [3] يكتـب

٤) وللإمام الشافعى رضي الله عنه المتوفى سنة ٢٠٤هـ

*** فى مدح السفر :**

مـا فى المقـام لـذى عقـل وذى أدب	مـن راحـة فـدع الأوطـان واغـترب
سـافر تجـد عوضـاً عمـن تفارقـه	وانصب فإن لذيذ العيش فى النصب
إنـى رأيـت وقـوف المـاء يفسـده	إن سـال طـاب وإن لم يجـر لم يطـب
الأسد[5]لولا فراق الغاب ما افترست	والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والشمس لو وقفت فى الملك دائمة	لملها النـاس مـن عجـم ومـن عـرب
والتبر [6] كالترب[7] ملقى فى أماكنه	والعـود [8] فى أرضـه نـوع مـن الحطب
فـإن تغـرب هـذا عـز مطلبـه [9]	وإن تغـرب ذاك عـز كالـذهب

وله فى المؤاخاة :

إذا المـرء لا يرعـاك إلا تكلفـا	فدعـه ولا تكثـر عليـه التأسـفاً

---

(١) الجديدان : الليل والنهار .
(٢) أى: كل إنسان له عمر محدود لابد من انقضائه.
(٣) أى : وكل إنسان له أعمال تحصى عليه ويحاسب بها .
(٤) النصب : أى التعب ..
(٥) الأسد : جمع أسد.
(٦) أى : الذهب فى ترب معدنه.
(٧) أى : التراب .
(٨) أى : عود البخور وهو ذو الرائحة الذكية .
(٩) أى : صار عزيزًا عندما يطلب .

ففى الناس أبدال وفى الترك راحة … وفى القلب صبر للحبيب وإن جفا

فما كل من تهواه يهواك قلبه … ولا كل من صافيته لك قد صفا

إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة … فلا خير فى ود : يجىء تكلفًا

ولا خير فى خل يخون خليله … ويلقاه من بعد المودة بالجفا

وينكر عيشاً قد تقادم عهده … ويظهر سراً كان بالأمس فى خفا

سلام على الدنيا إذا لم يكن بها … صديق صدوق يصدق الوعد منصفاً

* **وله فى عزة النفس :**

وعين الرضا عن كل عين كليلة[١] … كما أن عين السخط تبدى المساويا[٢]

ولست بهياب لمن يهابنى [٣] … ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا

فإن تدن منى تدن منك مودتى … وإن تنأ عنى تلقنى عنك نائيا

كلانا عنى عن أخيه حياته … ونحن إذا متنا أشد تغانيا

٥) ولأبى نواس المتوفى سنة ١٩٦ هـ .

فى وصف النرجس واتخاذه دليلا على التوحيد .

تأمل فى نبات الأرض وانظر … إلى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين [٤] شاخصات … بأبصار هى الذهب السبيك [٥]

على قصب الزبرجد[٦] شاهدات … بأن الله ليس له شريك

٦) ولبشار بن برد المتوفى سنة ١٦٧ هـ

فى الشورى والجد :

إذا بلغ الرأى المشورة فاستعن … بحزم نصيح أو نصيحة حازم [٧]

---

(١) يعنى مغمضة . من الضعف .

(٢) أى: أن من يكون ساخطاً على شئ وينظر إليه لاتتوجه عينه إلا إلى مساويه

(٣) أى : لا أوقر من لا يوقرنى

(٤) أى : الفضة

(٥) أى: المذاب..أى أن النرجس بأوراقه البيض المستديرة وما فى وسطه من الكرات الذهبية يشبه عيون من ذهب محيط بها الحار من فضة .

(٦) أى: على قوائم خضر مثل الزبرجد .

(٧) أى : إذا احتجت إلى استشارة فاستشر حازمًا .

ولا تحسب الشورى عليك فريش [٢] الخوافى قوت للقوادم
وما خير كف أمسك الغل [٣] أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم ؟
وخل الهوينى [٤] للضعيف ولا تكن نؤوما فإن الحزم ليس بنائم
وادن إلى القربى [٥] المغرب نفسه ولا تشد الشورى أمرأ غير كاتم [٦]
وإنك لا تستطرد الهم بالمنى [٧] ولا تبلغ العليا بغير المكارم [٨]

* وله فى المعاشرة :

إذا كنت فى كل الأمور معاتبا [٩] صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
فعش واحدًا أو صل أخاك فإنه مقارف [١٠] ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت [١١] وأى الناس تصفو مشاربه؟
ومن ذا الذى ترضى سجاياه [١٣] كلها كفى بالمرء نبلاً [١٤] أن تعد معايبه

٧) ولعبد الله بن جعفر الطالبى المتوفى سنة ٨٠ هـ فى النصيحة

إذا كنت فى حاجة مرسلا فأرسل حكيما [١٥] ولا توصيه
وإن باب أمر عليك التوى [١٦] فشاور لبيبا ولا تعصه
وأن ناصح منك يوما دنا فلا تنا عنه ولا تقصه [١٧]

---

(١) نقصا أو شيئًا مكروها .
(٢) ريشات فى الجناح الواحدة .
(٣) أى : القيد .
(٤) أى : السير ببطء فى الأعمال .
(٥) أى : قرب من يتقرب إليك .
(٦) أى : لا تحضر المجلس الذى تفقد فيه الشورى إنسانا لا يكتم الأسرار .
(٧) أى : أن الأمانى لا تنفع فى إزالة الهموم .
(٨) جمع مكرمة .
(٩) أى : لائما .
(١٠) أى: أن المرء لا يخلو من الهفوات .
(١١) القذى : أى الوسخ .
(١٢) أى : عطشت .
(١٣) السجايا : أى الطبائع .
(١٤) النبل : أى الشرف .
(١٥) أى العاقل الحازم .
(١٦) أى صعب .
(١٧) أى لا تبعده .

وذا الحـــق لا تنـــتقص حقـــه   فـــإن القطيعـــة [1] فى نقصـــه
ولا تـــذكر الـــدهر فى مجلـــس   حـــديثا إذا أنـــت لم تحصـــه [2]
ونـــص [3] الحـــديث إلى أهلـــه   فـــإن الأمانـــة فى نصـــه
وكـــم مـــن فتـــى عـــازب [4] لبـــه   وقـد تعجـب العـين مـن شخصـه
و آخـــر تحســـبه جـــاهلا   ويأتيـك بـالأمر مـن فصـه [5]

٨) ومما ينسب إلى الإمام على كرم الله وجهه المتوفى سنة ٤٠ هـ فى النصائح:

صـن النفس واحملها على ما يزينها   تعـش سـالما والقـول فيـك جميـل
ولا تـرين النـاس إلا تجمـلا   نبـا بـك [6] دهـر أو جفـاك خليـل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غـد   عسـى نكبـات الـدهر عنـك تـزول
يعـز غنـى الـنفس إن قـل مالـه   ويغنـى غنـى المـال وهـو ذليـل
ولا خـير فى ود امـرئ متلـون [7]   إذا الـريح مالـت مـال حيـث تميـل
جـواد إذا اسـتغنيت عـن أخـذ مالـه   وعنـد احـتمال الفقـر عنـك بخيـل
فـما أكثـر الإخـوان حـين تعـدهم   ولكـنهم فى النائبـات [8] قليـل

٩) ولعمرو بن العاص المتوفى سنه ٦٣ هـ فى وصف مصر:

مصر تربة غبراء [9] ، وشجرة خضراء [10] ، طولها شهر ، وعرضها عشر [11] ، يكتنفها جبل أغبر [12] ، ورمل أغفر [13] ، يخط وسطها نهر ميمون الغدوات ،

(١) القطيعة أى : الهجر .
(٢) أى لم تعرفه حق المعرفة .
(٣) أى انسب الكلام إلى أهله ولا تزد فيه ولا تنقص منه .
(٤) عازب : أى غائب عقله ... منظره يعجب ولا عقل له .
(٥) أى يأتيك بالخبر اليقين .
(٦) نبا الدهر به أى جافاه وتخلى عنه .
(٧) أى متقلب .
(٨) النائبات: أى الشدائد . .. والمعنى أنه عند الشدائد تعرف الإخوان .
(٩) أى سهلة الإنبات .
(١٠) أى أنها كثيرة الشجر الأخضر .
(١١) لعله يريد أن يقول : إن الماشى يقطعها طولا فى شهر وعرضًا فى عشرة أيام .
(١٢) أى يحيط بها جبل ضارب إلى السواد .
(١٣) أى أبيض مائل إلى الحمرة والصفرة .

مبارك الروحات[1]، يجرى بالزيادة والنقصان كجرى الشمس والقمر له أوان[2]، تطهر به عيون الأرض وينابيعها، حتى إذا أعج عجاجه[3]، وتعظمت أمواجه[4]، لم يكن وصول بعض أهل القرى إلى بعض إلا فى خفاف القوارب، وصغار المراكب، فإذا تكاملت تلك كذلك، نكص[5] على عقبه كأول ما بدأ فى شدته، وطما فى حدته[6]، فعند ذلك يخرج القوم ليحرثوا بطون أوديته[7] وروابيه، يبذرون الحب، ويرجون الثمار من الرب، حتى إذا أشرق وأشرق[8] سقاه من فوقه الندى، وغذاه من تحته الثرى، فعند ذلك يدر حلابه[9]، ويغنى ذبابه[10]، فبينما هى يا أمير المؤمنين درة بيضاء إذا هى عنبرة سوداء، وإذا هى زبرجدة خضراء، فتعالى الله الفعال لما يشاء . ا.هـ .

١٠) وللإمام على كرم الله وجهه ينصح ابنه الحسن عليه رضوان الله :

(يا بنى اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم، وأحسن كما تحب أن يُحسن إليك واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وأرض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم وكل ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرًّا . واعلم أن حفظ ما فى يدك أحب إلى من طلب ما فى يد غيرك، ولا تأكل من طعام ليس

---

(١) أى محمود الذهاب والإياب .
(٢) أى يزيد وينقص فى أزمنة معينة .
(٣) الصياح من كل ذى صوت ... أى كثر ماءه .
(٤) أى تقطعت وتسربت فى الأراضى .
(٥) **نكص** : أى رجع وذهب .
(٦) أى نقص بشدة كما زاد بقوة .
(٧) أوديته أى أعالى الأرض وأسافلها .
(٨) أى ظهر وبان .
(٩) أى يعظم محصوله .
(١٠) أى يكثر عليه الجانون .

لك فيه حق فبئس الطعام الحرام ، وجدَّ فى تحصيل معاشك ، وإياك والاتكال على المُنى فإنها بضائع النوكى [1]) .

* وله عليه رضوان الله ينصح عامله بالبصرة :

(دع الإسراف مقتصدًا ، واذكر فى اليوم غدا ، وأمسك من المال بقدر ضرورتك [2] وقدم الفضل ليوم حاجتك . أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين ؟ وتطمع وأنت متمرغ فى النعيم تمنعه الضعيف والأرملة [3] أن يوجب الله لك ثواب المتصدقين ؟ إنما المرء مجزى بما أسلف ، وقادم على ما قدَّم ، والسلام) .

(وأخيرًا) ، أيها الأخ الواعظ بصفة خاصة ... أنصحك باسم الأخوة الصادقة التى بسببها .. قدمت لك كل تلك (الجواهر المنبرية – فى الجزء الأول – والجزء الثانى . لكى يكون زادًا لك ولإخوانك المؤمنين الذين ستشرف بالوقوف أمامهم – فى كل أسبوع – من فوق منبر رسول الله ﷺ لكى تزوِّدهم بإحدى هذه الخطب المنبرية – التى بذلت فى كتابتها مجهودًا كبيرًا أسأل الله تعالى أن يتقبله منى وأن يجعلها فى صحيفة حسناتى – هذا بالإضافة إلى خطب والدى رحمه الله – الذى علمنى كيف أكون من الدعاة إلى الله منذ نعومة أظفارى – وأيضًا بالإضافة إلى المواعظ والآثار والأخبار والأشعار الدينية التى ستنتفع بها انتفاعًا كبيرًا على المستوى العام والخاص .

* (هذا) مع ملاحظة ما نبهت عليه قبل ذلك فى الجزء الأول من الجواهر.. وهو أن هذه الخطب .. ليست للحفظ وإنما للدراسة والفهم .. ثم

---

(١) النوكى : أى الحمقى

(٢) أى احفظ لنفسك من مالك ما تصرفه فى حاجات معيشتك وتصدق بالباقى ينفعك فى المآب يوم تحتاج إليه ليكون ثقلا فى ميزان حسناتك .

(٣) أى المحتاجة المسكينة .

بعد ذلك يستطيع أن تقف بعد ذلك على المنبر لكى تقول ما سيفتح الله به عليك بعد أن فهمت المراد من الموضوع وحفظت ما فيه من النصوص القرآنية والنبوية .. واستوعبت ما فيه من الأحكام الفقهية وأنت تسأل الله تعالى التوفيق والسداد .. لأنه :

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجنى عليه اجتهاده

(وإن) شاء الله تعالى سأبدأ فى إعداد الجزء الثالث من (الجواهر المنبرية) الذى لن يقل أهمية عن الجزءين السابقين ..مع الدعاء لى بالتوفيق والشفاء .. وطول العمر حتى أستطيع أن أواصل معكم هذا التزويد النافع من العلم النافع الذى هو علم رسول الله ﷺ والله ولى التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

خادم القرآن والسنة

طه عبد الله العفيفى



أهمّ المراجع

أهم مراجع
(الجواهر المنبرية) الجزء الثانى

١ القرآن الكريم .

٢ تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) .

٣ تفسير الجلالين وحاشية الصاوى عليه .

٤ مختصر تفسير الطبرى مع الهامش طبعة دار التراث العربى بالقاهرة .

٥ الدين الخالص للإمام محمود خطاب السبكى عليه رحمة الله .

٦ فقه السنة – لفضيلة الشيخ سيد سابق .... رحمه الله .

٧ الفقة الواضح ... لفضيلة الدكتور محمد بكر إسماعيل .... أكرمه الله .

٨ البداية والنهاية لابن كثير .

٩ الترغيب والترهيب ... للإمام المنذرى ... مع الهامش لفضيلة الشيخ الدكتور خليل الهراس .. عليه رحمة الله ... طبعة مكتبة الجمهورية العربية – بالقاهرة .

١٠ رياض الصالحين – للإمام النووى .

١١ مفتاح الخطابة والوعظ .

١٢ مختار الصحاح .

١٣ معجم ألفاظ القرآن الكريم .

١٤ الإبداع فى مضار الابتداع . لفضيلة الشيخ على محفوظ عليه رحمة الله.

١٥ شرح الأربعين النووية .

١٦ منهاج الصاحين – للأستاذ عز الدين بليق – دار الفتح للطباعة والنشر – بيروت .

١٧ مجموعة النظم والنشر ... وزارة المعارف .

١٨ بعض المجلات الشرعية القديمة .

١٩ هداية الأمة المحمدية ... للإمام محمود خطاب السبكى .

٢٠ حياة الصحابة – للأستاذ محمد يوسف الكاندهلوى – مطبعة دار التراث العربى – بالقاهرة .

مؤلفاتى فى دور النشر الآتية

١) دار الاعتصام :

٨ شارع حسن حجازى ت / ٣٥٥١٧٤٨ القاهرة ص ب ٤٧٠ – الرمز البريدى ١١٥١١ .

١ – من (وصايا الرسول ﷺ) فى ثلاث مجلدات فاخرة ..

٢ – (سلسلة الحقوق الإسلامية) عدد ١٠ أجزاء طبعة فاخرة .

٣ – (من مكائد الشيطان) طبعة فاخرة .

٤ – (من أفعال الرسول ﷺ) فى الطهارة والصلاة .. طبعة فاخرة .

٥ – (أسباب السلامة من أهوال القيامة) طبعة فاخرة .

٦ – (مفاتيح السماء من مختارات الدعاء) طبعة فاخرة .

٧ – (مفاتيح الجنة من الكتاب والسنة) طبعة فاخرة.

٢) دار التراث العربى [١] :

ميدان المشهد الحسينى ..... القاهرة .

١ – (مجلد الحقوق الإسلامية) .

٢ – (من خطب الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين ﷺ أجمعين .

٣- وميراث رسول الله ﷺ .

٣) الدار المصرية اللبنانية :

١٦ شارع عبد الخالق ثروت – القاهرة . تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ – ٣٩٣٦٧٤٣ .

١ – (الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة فى حق الله تبارك وتعالى) . طبعة فاخرة .

---

(١) وقد تنبه عليها بعدم مواصلة الطبع لأسباب قضائية .

٢ – (الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام) . طبعة فاخرة .

٣ – (من صفات الرسول ﷺ الخُلقية والخِلقية) طبعة فاخرة

٤ – (العشرة المبشرون بالجنة خِلْقِيا وخُلقُيا) طبعة فاخرة .

٥ – (ميراث رسول الله ﷺ) طبعة فاخرة .

٤) دار الرشاد :

١٤ شارع جواد حسنى – القاهرة . تليفون : ٣٩٣٤٦٠٥ – ٢٩٩٢٦١٥ .

١ – (من فتاوى الرسول ﷺ) الجزء الأول والثانى ... طبعة فاخرة .

٢ – (الملعونون والملعونات – فى القرآن و السنة) . طبعة فاخرة .

٣ – (أهل الرحمة – فى القرآن والسنة) . طبعة فاخرة .

٤ – (سنن الفطرة) وأهم أحكامها . طبعة فاخرة .

٥ – (من خطب الرسول ﷺ ، وأهم مواعظه ووصاياه) . طبعة فاخرة .

٦ – (من خطب الخلفاء الراشدين) رضي الله عنهم وأهم مواعظهم ووصاياهم – تحت الطبع .

٧ – (لا تقل كذا أو كذا ولكن قل : كما جاء فى القرآن والسنة) – تحت الطبع .

٥) كتب تحت الإنفاق :

١ – (الجواهر المنبرية – فى خطب الجمع والمناسبات الدينية) فى مجلد فاخر .

٢ – (الجواهر المنبرية) فى الخطب والمواعظ العامة والهامة . فى مجلد فاخر.

٣ – (الجواهر المنبرية ..) الجزء الثالث – تحت التجهيز إن شاء الله ...

**** كتب – للمؤلف – تحت الإنفاق على الطبع ... مع إحدى دور النشر الإسلامية :**

١ – المجموعة الثانية : (من وصايا الرسول ﷺ) : مائة وصية جديدة – في مجلدين أو ثلاثة .. إن شاء الله .

٢ – (رحلة الرجوع إلى الله تبارك وتعالى) من يوم الميلاد ... إلى يوم الميعاد .

٣ – من ميراث الحكماء والعلماء والفقهاء .

(هذا) بالإضافة إلى مجموعات دينية أخرى جارى التجهيز لها ... إن شاء الله تعالى والله ولى التوفيق ...

طه عبد الله العفيفى

المعادى شارع ١٠ منزل رقم ٨٤ – القاهرة . تليفون ٣٥٨٠٩١٣


الفهرس

دليل موضوعات الجواهر المنبرية

الجزء الثاني